

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد المقدسي

رؤية اعترالية عن الإمام علي (ع)

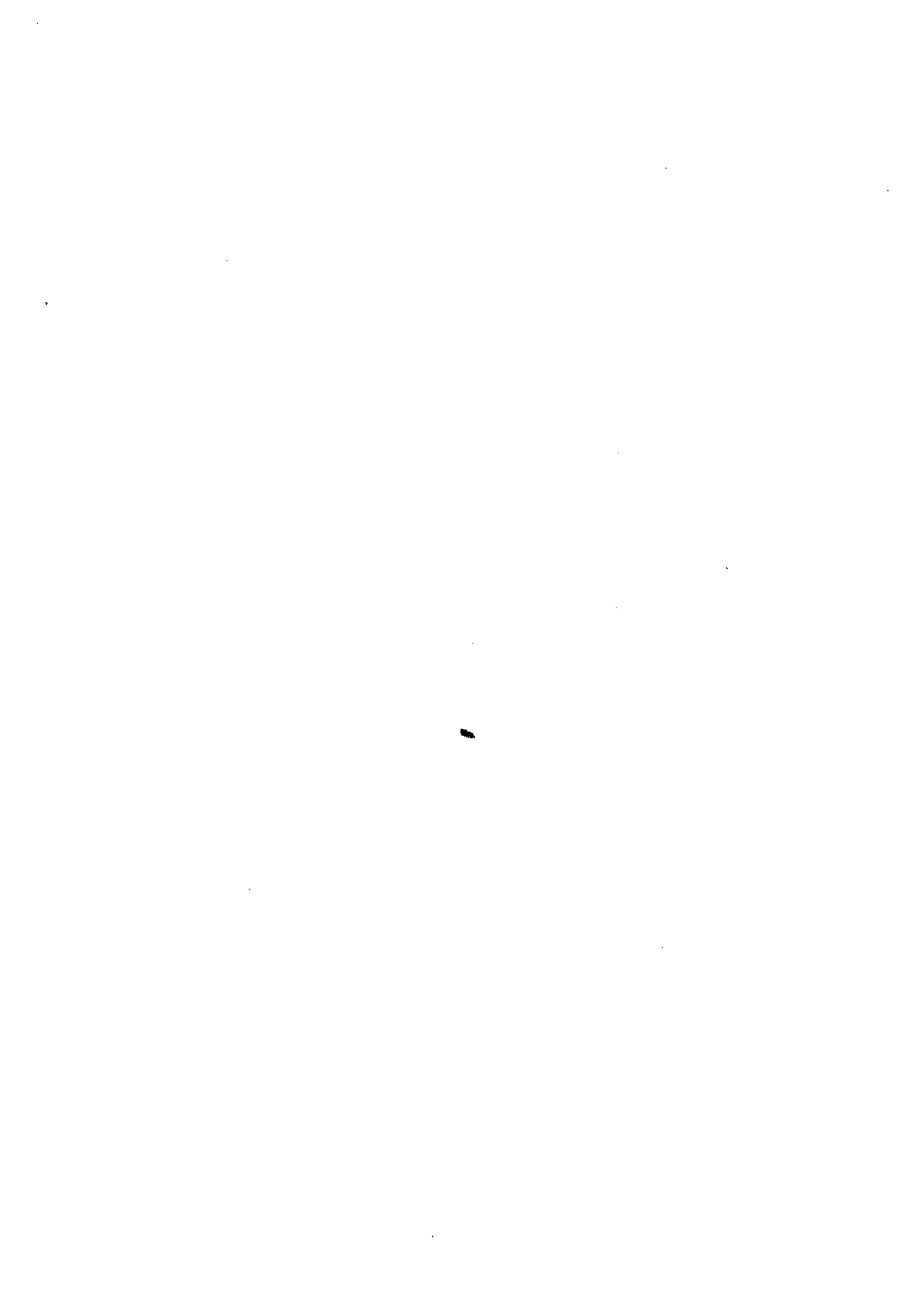


دراسة
وتحقيق





www.haydarya.com



شرح نهج البلاغة
لابن ابي الحديد المعتزلي
رؤية اعتزالية عن الامام علي عليه السلام

شرح نهج البلاغة
لابن ابي الحديد المعتزلي
رؤية اعتزالية عن الامام علي عليه السلام

اطروحة تقدم بها
جواد كاظم منشد النصر الله

الى مجلس كلية الآداب - جامعة البصرة
وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه
فلسفة في التاريخ الاسلامي

اشراف
الاستاذ الدكتور
خليل هاشم عباس الزويني



٣١
١٠٠
لغا
٤٤



انتشارات نوى القربى

| | |
|--|------------|
| شرح نهج البلاغه لابن ابى الحديد المعتزلى | نام كتاب: |
| جواد كاظم منشد النصرالله | مؤلف: |
| الدكتور خليل هاشم عباس الزويني | إشراف: |
| ذوي القربى | ناشر: |
| الأولى | نوبت چاپ: |
| ١٣٨٤ | تاريخ چاپ: |
| ١٢٥٠ | تیراژ: |
| كاظم | چاپخانه: |
| ٩١٤٤ - ٧٩٩٧ - ٩٦٤ | شابک: |

مرکز پخش: قم - پاساژ قدس - الطابق الاول - پ ٥٩ - تلفن: ٧٧٤٤٦٦٣ - ٢٥١ - ٩٨ +

عراق - نجف الأشرف - سوق الحويش - همراه: ٣٥٧٢ + ٧٨٠١٠٠

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾

﴿عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾

النبيأ: ١-٥

الاهداء

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضرُّ وجئنا ببضاعةٍ﴾
﴿مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا﴾

الهي و سيدي و مولاي

منك و اليك

شكر وتقدير

ان واجب الاقرار بالحق يتوجب علي بان ابتهل الى الله جللت قدرته شاكراً
لانعمه. فلولا فضله ولطفه - تقدرت الآئه - لما آن لهذا البحث ان يكون شيئاً
مذكوراً.

بدءاً أتقدم بالشكر والتقدير الى أ.د محمد النعيمي رئيس جامعة البصرة و
أ.م.د عصام السالم عميد كلية الآداب و أ.م.د طارق المناصير رئيس قسم التاريخ
على الاهتمام المتواصل واللامحدود بالمسيرة العلمية.

ان من مصاديق لطفه تعالى بنا، ان قيض لي استاذاً مشرفاً وسنداً وايداً، وقد
لمست أثر ذلك اللطف منذ بواكير كتابة الاطروحة، فلقد كان لي استاذاً مشرفاً وأباً
ناصرهاً وعوناً ظهيراً، حيث كان يتفقدني على الدوام تفقد الوالد الحنون لولده ولم
يكتف بالسؤال عن نتاجي العلمي بل يردف ذلك بالسؤال عن احوالي الشخصية،
فكان له اكبر الاثر في تذليل أي صعوبة مهما كان نوعها ولم يتوقف الامر على
شخصه الكريم، بل فتح لي بيته جاعلاً اياي كأحد افراد اسرته الكريمة، التي ابدت
من الاهتمام ما يقصر لساني عن بيانه، فلاستاذي المشرف ولعائلته الكريمة اسمي
معاني العرفان والاجلال والثناء والتقدير، وفقهم الله وسدد خطاهم.

ومن مصاديق لطفه تعالى ايضاً ان وفقني لشرف التلمذة على يد أ.د محمد
جواد الموسوي ولمراحل ثلاث - الاولية - الماجستير - الدكتوراه - فكان من

لطف الله تعالى ان اقتبست قبساً من نير علمه ترك اثره الواضح في توجهاتي العلمية، وما هذه الاطروحة الا اثراً من اثاره وقبساً من قبساته.

ويشرفني ان اتقدم بخالص التقدير الى عيلم الكوفة أ.د حسن الحكيم على ما ابداه ويديه من اهتمام تربوي وعلمي بطلبة العلم وخاصة طلبة البصرة حيث فتح لهم قلبه قبل مكتبه وبيته، فكان لآرائه القيمة اثر كبير في مسيرتهم العلمية.

ولا بد من ان انوّه بكل تقدير واجلال بذكر أ.د حميد التميمي على ما اولاه من اهتمام وما قدمه من مساعدات جمة للطلاب ابان تسنمه رئاسة قسم التاريخ ومنصب معاون عميد كلية الآداب.

واغتنم هذه المناسبة لاتقدم بفائق العرفان لكل من كان لي شرف التلمذة على يديه من معلمين ومدرسين واساتذة، وبالخصوص اساتذتي في السنة التحضيرية.

ولا بد من بيان تلك الجهود التي قدمتها تلك العقول النيرة، التي كان لها الدور في تأهيل الاطروحة للمناقشة، تتقدمها جهود أ.د تحسين حميد مجيد الذي ابدى آرائه العلمية القيمة حول الاطروحة، ثم ذلك الموقف المبدئي الذي ابدته أ.م.د سلمى الهاشمي - مشكورة - على موافقتها على تقييم الاطروحة فكرياً، ولا يسعني الا ان ابتهل الى الله ان يسدد خطاها في مسيرتها العلمية. ثم كان ذلك الجهد الذي قدمه د. عادل عبد الجبار بإبداء ملاحظاته حول الاطروحة لغويّاً. فلجميع مني عظيم التقدير والثناء.

وبعظيم الامتنان اتقدم الى أ.م.د رعد الموسوي الذي كان لي شرف التلمذة على يديه طوال مراحل الدراسة الاولى والماجستير والدكتوراه وكانت معه الباكورة الاولى لاول انتاج علمي في الماجستير شاكرأله تشجيعه المتواصل في الاستمرار في موضوع الدراسة. واذكر باعتزاز ذلك الدور الذي قدمه أ.د جاسم ياسين و د. عادل مالك و د. هشام الربيعي و د. شاكر الحواني و د. زينب العلي

على ما ابدوه من مساعدة كان الباحث بحاجة ماسة اليها.
وبخالص الوفاء اذكر الموقف النبيل الذي ابدته طالبتي الآنسة انتصار
عدنان عبدالواحد بكتابتها اصل الاطروحة. اسأل الله ان يوفقها في مسيرتها
العلمية.

ولابد من الاشارة لما ابداه طلبتي في قسم اللغة العربية والتاريخ في
الدراستين النهارية والمسائية من مواقف متنوعة كان بالتأكيد لها الاثر في مسيرة
الاطروحة، ولا يسعني الا ان ابتهل الى الله ان يأخذ بأيديهم لما يحبه ويرضاه.
ولابد من بيان ذلك الاهتمام المنقطع النظير الذي ابدته عائلتي الكريمة
بتوفير الجو الملائم للدراسة حفظهم الله جميعاً من كل سوء ومكروه.

واتقدم بشكر مفعم بالامتنان الى جميع مسئولتي وموظفي المكتبات التي
استعان بها الباحث في مدن العراق المختلفة لما ابدوه من تسهيلات للباحث،
واخيراً اتقدم الى كل من كان له يد في مساعدتي اياً كان نوع المساعدة
بالشكر والثناء سائلاً الله جلّت قدرته ان يوفق الجميع لما فيه الصلاح والنجاح.

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لننتهدي لولا ان هدانا الله والصلاة والسلام على من كان نبياً وآدم بين الماء والطين وعلى ذوي قرباه الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعلى الخيرة من اصحابه المنتجبين.

شهدت الحركة الثقافية في الدولة العربية الاسلامية منذ بواكير نشأتها نشاطاً ملحوظاً في شتى صنوف المعرفة^(١). ولما كانت امة العرب هي امة الشعر والبلاغة منذ ما قبل الاسلام، وجاء الدين الاسلامي بكتابه المقدس القرآن الكريم والذي تحدى بلاغة فصحاء العرب، وبما جاء عن النبي ﷺ وهو افصح من نطق بالضاد، لذا نجد اهتماماً كبيراً بالادب حيث تناثرت في مؤلفات التراث وعلى مختلف انواعها اللغوية والادبية والتاريخية والكلامية والفقهية الخطب والرسائل وقصار الكلمات لبلغاء العرب سواء قبل الاسلام او بعده.

بل لقد خصصت بعض الكتب لهذا الغرض ككتاب البيان والتبيين للجاحظ ت ٢٥٥هـ، وعيون الاخبار لابن قتيبة ت ٢٧٦هـ، والكامل في اللغة والادب للمبرد ت ٢٨٥هـ، والاغاني لابي الفرج الاصفهاني ت ٣٥٦هـ.

(١). انظر عبد الخضر حمادي: الحركة الفكرية في القرن الاول الهجري رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٤.

وما ان جاء القرن الرابع الهجري وهو قمة الابداع العربي الاسلامي^(١) في مختلف صنوف المعرفة حيث انجب الكثير من فطاحل العروبة ومنهم محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي^(٢) الذي نبغ بالادب شعراً ونثراً، ففي اطار الشعر ترك لنا ديواناً لا زال مثار اهتمام الباحثين^(٣). اما في مجال النثر فقد وضع سلسلة من المؤلفات التي تميّزت بالطابع البلاغي.

فقد نظر في ما اثر عن النبي ﷺ من كلام فاقتبس منه قيسات اودعها كتاباً اسماء المجازات النبوية، وقد تميز ما اقتبسه بأسلوب المجاز وهو اسلوب بلاغي. ثم نظر في ما اثر من كلام الامام علي عليه السلام في ما توافر لديه من كتب اللغة والادب والتاريخ وغيرها، فانتقى منه ما كان في قمة الفصاحة فاودعها في كتاب اسماء نهج البلاغة.

هذا يعني ان ما جاء في نهج البلاغة لا يمثل إلا نزريراً يسيراً مما اثر عن الامام علي عليه السلام، ونظرة متفحصة في كتب التراث تؤكد ذلك. وقد قسم الشريف الرضي كتابه هذا لثلاثة اقسام؛ خطب الامام علي عليه السلام،

(١) انظر آدم متر. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري.

(٢) عن الشريف الرضي انظر: ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ٣١١/١ - ٤١ وسيرد باسم الشرح. الشعالي يتيمة الدهر ١٥٥/٣ - ١٧٨. الخطيب، تاريخ بغداد ٢٤٦/٢ - ٧. ابن الجوزي: المنتظم ٢٧٩/٧ - ٢٨٣. القفطي انباه الرواة ١١٤/٣ - ١١٥. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٤١٤/٤ - ٢٠. الصفدي: الوافي بالوفيات ٣٧٤/٢ - ٣٧٦. ابن عنبه: عمدة الطالب ص ٢٠٧ - ٢١١.

(٣) خصصت مجلة آفاق عربية، ع ٧٤، ١٩٨٥ للشريف الرضي في ذكره الالفية فنشرت فيه المسقالات التالية: شالوش: من صور البطولة في شعر الشريف الرضي ص ٧ - ٢٢. الشبي: حجازيات الشريف الرضي ص ٢٣ - ٦٢. الصفار: المؤثرات العامة في شعر الشريف الرضي ص ٦٣ - ٩٣. الجادر: الرؤى الاجتماعية والاخلاقية في شعر الشريف الرضي ص ٩٥ - ١٤٠. مطلوب: الشريف الرضي ناقداً ص ١٥٩ - ١٩٢. غزوان: بناء القصيدة عند الشريف الرضي ص ١٩٣ - ٢٤٦. الصائغ: الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي ص ٢٤٧ - ٣١٠. الجنابي: لغة الشريف الرضي ص ٣١١ - ٣٢٨. عواد: الشريف الرضي في آثار الدارسين ص ٣٢٩ - ٣٥٣. وانظر: العطية: الشريف الرضي الشاعر الأبدي والاديب العبقرى، مجلة ثقافة الهند ص ٤٠ - ٦٢.

الثاني: رسائله، الثالث: قصار كلماته.

وقد ترك نهج البلاغة وقعاً في النفوس اذ تلاقته اقلام وعقول المفكرين شرحاً وتعليقاً منذ ايام الشريف الرضي والى يومنا هذا، حتى بلغت شروحاته (٣٧٠) شرحاً^(١).

وقد تباينت هذه الشروحات في احجامها، فمنها الكبير كشرح حبيب الله الهاشمي المسمى منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (ط)، والمتوسط كشرح ميشم البحراني (ط)، والصغير كشرح صبحي الصالح (ط).

وتباينت ايضاً في موضوعاتها، فهناك من غلب عليه الطابع البلاغي كشرح ميشم البحراني^(٢)، او السياسي كشرح محمد جواد مغنية (ط) او اللغوي كشرح محمد عبده (ط).

ومن بين هذه الشروحات كان شرح - ابن ابي الحديد ت ٦٥٦ هـ وهو من رجالات الاعتزال، وقبل الحديث عن هذا الشرح لابد ان نوضح ما المقصود بالاعتزال؟

الاعتزال: - تيار فكري ظهر في اطار الفكر العربي الاسلامي متمثلاً بفرقة المعتزلة التي اتخذت من علم الكلام موضوعاً لها^(٣).
فعلم الكلام^(٤) هو الجانب النظري في الفكر الاسلامي، فالمعروف ان الدين

(١). انظر الاميني: الفدير ٢٥٧/٤ - ٢٦٥. الخطيب: مصادر نهج البلاغة واسبابه ٢٤٧/١ - ٣١٤.

(٢). قال احد الباحثين: «يكاد يكون شرحاً بلاغياً لولا لغة ابن ميشم القرينية من المنطق والجدل والكلام انظر: الفحام: التصوير الفني في خطب الامام علي عليه السلام. ص ٢.

(٣). عن فكر المعتزلة انظر: الناشء الاكبر: مسائل الامامة. الخياط: الانتصار. وانظر موسوعة القاضي عبد الجبار: المغني في التوحيد والعدل وهي في عشرين جزءاً، وكتابه الآخر شرح الاصول الخمسة. وكتاب التذكرة لابن متويه، وكتاب مسائل الخلاف بين البصريين والبغداديين لأبي رشيد النيسابوري.

(٤). عن علم الكلام انظر: الجاحظ: رسالة صناعة الكلام ٤٩ - ٥٨. احمد محمود صبحي: في

الاسلامي جاء عقيدة وعملاً، فالعمل هو ما يقوم به الفرد من اعمال في اوقات محددة كالصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها لذا سميت بالاعمال، وهو ما اطلق عليه اصطلاح (فروع الدين)، والعلم الذي يهتم به يسمى علم الفقه، والشخص الذي يهتم به يسمى الفقيه.

اما القسم الاول وهو العقيدة، فهو ما عقد في القلب دون القيام بعمل كالاتقاد بان الله واحد، وان بعث الانبياء واجب، وان الله يبعث من في القبور، فهذه المسائل تسمى اصول الدين والعلم الذي يهتم بها هو علم الكلام. وقد ظهر في نطاقه فرق متعددة كالمعتزلة والخوارج، والاشاعرة وغيرها.

لقد واجهت المجتمع العربي الاسلامي مشكلات فكرية منذ اواخر القرن الاول الهجري، وقد طرح بعض المفكرين اجابات لهذه المشكلات، فازاء مسألة هل الانسان حر في افعاله ام مقيد؟ طرح غيلان الدمشقي^(١) فكرة حرية الارادة، وازاء كنه الله سبحانه وتعالى طرح الجعد بن درهم^(٢) مسألة نفي الصفات وكانت مسألة مرتكب الكبيرة تشغل بال الكثيرين، فطرح واصل بن عطاء مسألة المنزلة بين المنزلتين.

هذه الازاء التي كان التوصل اليها عقلاً اخذ يعتنقها فيما بعد تيار عرف بالاعتزال بدأ بالبصرة ثم بغداد مكوناً مدرستين.

علم الكلام ١/١ - ١٠١ بدوي: مذاهب الاسلاميين ٧/١ - ٣٢.

(١) هو غيلان بن مسلم الدمشقي ظهر ايام عمر بن عبد العزيز حيث ولاه الخزائن، ولما جاء هشام بن عبد الملك صلبه. ابن قتيبة المعارف ص ٤٨٤. القاضي: فرق وطبقات المعتزلة ص ٣٨ -

٤١. ابن نباتة: سرح العيون ص ٢٠١ - ٢٠٣. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٢٥ - ٢٧.

(٢) هو من الموالي كان يسكن الجزيرة الفراتية واتصل بمروان بن محمد لما تولى الاخير الجزيرة لهشام بن عبد الملك وكان الجعد مؤدباً لمروان، قتله خالد القسري لنفيه الصفات. انظر:

ابن الأثير: اللباب ١/٢٣٠. ابن نباتة: سرح العيون ص ٢٠٣. ابن تغري: النجوم الزاهرة ١/٣٢٢.

الحفني: موسوعة الفرق ص ١٩٨ - ١٩٩.

وتميز الاعتزال بميزات ثلاث: الاولى: انه اعتبر العقل هو المصدر المعرفي الوحيد، حيث أنه سابق للشوائع، لان الشرائع موجهة لاناس عقلاء، فلا تأتي الشريعة للصبى، ولا المجنون لانهما بلا عقل، بل حتى السكران والنائم يرتفع عنه تكليف الشريعة مادام فاقداً للعقل.

الثانية: التأويل: ان فهم الشريعة يكون بالعقل، لذا يجب ان تكون الشريعة مطابقة للعقل، ولكنه احياناً نجد ظاهر الشريعة يخالف العقل، هنا اضطر المعتزلة لصرف ظاهر النص الشرعي إلى معنى مجازي أي القول بالتأويل معتمدين على قوله تعالى: «وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم»^(١). ولذا قالوا: «إذا تعارض ظاهر النص مع العقل، فان العقل هو المرجح»^(٢).

الثالثة: حرية الارادة: ان الله سبحانه وتعالى اعطى الانسان العقل وهو امتياز عن باقي المخلوقات مقابل تكليفه. إذا فالانسان مسؤول عن عمله، وهذه المسؤولية تقتضي ان يكون الانسان حراً في ارادته^(٣). اذن فهذه المشكلات الفكرية ادت الى ظهور تيار فكري عرف بالاعتزال، تمثله مدرستان الاولى في البصرة، والثانية في بغداد. وقد تميزت معتزلة بغداد عن البصرة:

(١) الميل الى الامام علي عليه السلام

(٢) الرغبة بتطبيق الاعتزال عملياً^(٤).

وقد انتعشت المعتزلة ايام الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق ولكنها

(١). سورة آل عمران، آية ٧.

(٢). صبحي: في علم الكلام ٣٨٩/١.

(٣). الموسوي: محاضرات القيت على طلبة الدكتوراه ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م.

(٤). صبحي: في علم الكلام ٢٨٣/١ - ٢٨٧. الراوي: ثورة العقل ص ٩٤ - ٩٥.

١٠ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

واجهت تحدياً قوياً منذ عهد المتوكل، حتى جاء الصاحب بن عباد^(١) فأحيا الفكر المعتزلي مرة أخرى^(٢).

ولكن المعتزلة واجهت تحدياً من الاشاعرة والمتصوفة منذ القرن الخامس الهجري، هذا دفعهم للبحث عن اصول لهم فادعوا ان واصلاً تتلمذ على يد ابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، وابي هاشم تلميذ ابيه محمد، ومحمد تلميذ ابيه الامام علي عليه السلام^(٣).

والملاحظ ان جذوة الاعتزال قد خفت منذ اواخر القرن الخامس الهجري فلم نعد نسمع بشخصيات اعتزالية لها أثر في الفكر المعتزلي، حتى ان ابن المرتضى ت ٥٨٤٠ لما وضع كتاب (طبقات المعتزلة) توقف في القرن الخامس الهجري^(٤).

وفي القرن السابع الهجري ظهر ابن ابي الحديد المعتزلي^(٥) ٥٨٦ - ٦٥٦ هـ الذي ولد ونشأ في المدائن ثم انتقل الى بغداد فدرس علوم اللغة والادب والكلام والفلسفة حتى اصبح من كبار علماء عصره، وبرز بشكل واضح في الادب والكلام، ففي الادب وضع كتابه (الفلك الدائر على المثل السائر) وهو رد على

(١). هو الوزير البويهبي اسماعيل واول من لقب بالصاحب (٣٢٦ - ٣٥٨)، انظر: ابن الجوزي: المنتظم ١٧٩/٧ - ٨١. القفطي: انباه الرواة ٢٠١/١ - ٣. الحموي: معجم الادياء ١٦٨/٦ - ٣١٧. الخوانساري: روضات الجنات ١٩/٢ - ٤٣.

(٢). زهدي جار الله: المعتزلة ص ١٥٨ - ٢١٣.

(٣). الشرح ١٧/١، ٣٧١/٦. القاضي: فرق وطبقات المعتزلة ص ١٧ - ١٨. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٥ - ٧.

(٤). ص ١١٦ - ١١٩.

(٥). انظر ترجمته: الحوادث الجامعة لمؤلف مجهول ص ٣٦٦. الكتبي: فوات الوفيات ٢٥٩/٢ - ٢٦٢. ابن كثير: البداية والنهاية ١٩٩/١٣ - ٢٠٠. ولمزيد من التفاصيل والتحليلات انظر: رسالة الماجستير الموسومة «ابن ابي الحديد سيرته وأثاره الادبية والنقدية» لعلي جواد مسحي الدين.

كتاب المثل السائر لابن الاثير^(١)، اما في الكلام فقد وضع عدة مؤلفات ولكنها فقدت ولم تصل الينا. ومن كتبه الكلامية (النقيضين)، و(نقض السفىانية) وهو رد على كتاب السفىانية للجاحظ، و(شرح الغرر) وهو شرح لكتاب الغرر للمرتضى. ومن بين كتبه كان كتاب (شرح نهج البلاغة) الذي يقع في عشرين جزءاً، وهو كتاب موسوعي ضم اللغة والادب والتاريخ والكلام وغيرها من نواذر المعرفة ولذا اعتبره «كتاب ادب لا نظر»^(٢).

وياتي التساؤل: لماذا شرح ابن ابي الحديد نهج البلاغة؟ وما الذي اراد ان يقوله من خلال شرحه هذا؟

اولاً: الملاحظ ان المعتزلة واجهوا نقداً شديداً في هذه الفترة وما سبقها منذ القرن الخامس الهجري حول اصل الاعتزال لذا اراد رجال المعتزلة تأصيل الفكر الاعتزالي بارجاعه الى مصدر موثوق من قبل الجميع الا وهو الامام علي عليه السلام وذلك عن طريق اتصال واصل بابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية. وقد ساعدهم على ذلك ما اثر عن الامام علي عليه السلام من كلام حول التوحيد والنبوة والمعاد وخلق الافعال وغيرها من المسائل الكلامية، مما لا يوجد مثيله لدى أحد من الصحابة.

ولذا نجد ابن ابي الحديد في شرحه للنهج يشرحه شرحاً اعتزالياً ليقول بعد ذلك بان عقائد المعتزلة مأخوذة من كلام الامام علي عليه السلام.

ثانياً: ان الميزة التي ميزت معتزلة بغداد قاطبة هو القول بالترفضيل^(٣)، لذا نجد ابن ابي الحديد يفتتح شرحه بالقول بالترفضيل ثم يؤكد على هذه المسألة في

(١). محي الدين: ابن ابي الحديد ص ٢٢١-٢٢٦.

(٢). الشرح ٢٠/٢٤٥.

(٣). انظر: تفصيل ذلك في المدخل الذي قدمناه لهذه الدراسة.

اجزائه العشرين اينما سنحت له الفرصة.

ومثلما وجدنا الزمخشري يقول ان مدة تفسيره للكشاف استمرت سنتين وثلاثة اشهر وهي مدة خلافة الخليفة ابي بكر^(١). نجد ابن الحديد يقول ان مدة اكماله شرح نهج البلاغة استمرت اربع سنوات واربعة اشهر وهي مدة خلافة الامام علي^(٢). فالزمخشري يؤكد على رؤية معتزلة البصرة القائلة بافضلية الخليفة ابي بكر وكان ابن ابي الحديد رد على ذلك برؤية معتزلة بغداد القائلة بافضلية الامام علي^(٣).

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتقدم لنا صورة عن رؤية اعتزالية إلا وهي مسألة التفضيل أي تفضيل الامام علي^(٤) بعد الرسول^(٥) التي جاءت عند المعتزلة من جانبين:

(١) بكونه الاكثر ثواباً.

(٢) الاكثر مناقباً.

لم تكن هذه الدراسة هي الاولى حول شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، بل سبقتها دراسات متعددة منها:-

اولاً: الكتب

١. تشريح شرح نهج البلاغة: محمود الملاح^(٦): كتاب وضع للرد على شرح

ابن ابي الحديد، ومن خلال نظرة متفحصة للكتاب يعلم القارئ الى أي مدى يستحق مؤلفه العطف على ضالة تفكيره.

(١). الكشاف ٤/١.

(٢). الشرح ٣٤٩/٢٠.

(٣). طبع في بغداد، ١٩٥٤.

٢. احمد الربيعي: العذيق النضيد بمصادر ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة. استعرض فيه مؤلفه اولاً مصادر الشريف الرضي في نهج البلاغة، ثم مصادر ابن ابي الحديد في الشرح مرتباً المصادر ترتيباً ابجدياً، مكتفياً بتعريف بسيط للمؤلف واشارة إلى كون المصدر مطبوعاً او مخطوطاً، ثم اشارة للصفحات الوارد فيها المصدر في الشرح، واحياناً إذا كثرت الصفحات يذكر بعضاً منها. ان الذي يؤخذ على الكتاب:

١. ذكره لمجموعة من المصادر ليست لابن ابي الحديد وإنما للشريف الرضي^(١).

٢. ذكره لمجموعة من المصادر ليست من مصادر ابن ابي الحديد، وإنما هي من مصادر مصادر ابن ابي الحديد.^(٢)

٣. لم يتم بدراسة للمصدر الذي اعتمده ابن ابي الحديد، من حيث نوعية الاستفادة، والموضوع الذي استقى منه ابن ابي الحديد. ومع ذلك تبقى لهذا الكتاب اهمية خاصة لمن يريد القيام بدراسة شاملة لمصادر ابن ابي الحديد المتنوعة.

ثانياً: المقالات:

١. د. مصطفى جواد: بعض مستندات ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة^(٣). مقال ذكر فيه مجموعة من مصادر ابن ابي الحديد في الشرح مكتفياً بذكر اسمائها دون التعليق عليها.

(١). انظر مثلاً العذيق ص ١٣٤ وقارن الشرح ١٣١/١٧.

(٢). انظر مثلاً العذيق ١٦٧/١٦٨ وقارن الشرح ٥٩/٥/١٢٠/٤ - ٦٠.

(٣). مجلة لغة العرب، مج ٩، ٧٤، ١٩٣١، ص ٥٤٣ - ٥٤٦.

٢. د. صفاء خلوصي: الكنوز الدفينة في شرح نهج البلاغة^(١). يتحدث عن بعض المصادر التي اعتمدها ابن ابي الحديد، حيث ضم بين اجزائه العشرين مادة واسعة لمصادر فقدت ولم تصل الينا لحد الان. اذ يقول: «ان كثيراً من الكتب التي اصبحت في عداد التراث العربي المفقود لا تزال عناوينها ومقتبسات منها محفوظة فيه»^(٢) ولكن بعضاً من هذه الكتب قد اكتشفت الان وحققت^(٣). بالاضافة لبعض الموضوعات التي اسهب ابن ابي الحديد في الحديث عنها كالخوارج وصاحب الزنج والتتار.

٣. د. صفاء خلوصي: مصادر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد^(٤)، وهو مقال يتضمن جرداً بالاسماء فقط لطائفة من مصادر الشرح وليس كلها.

٤. د. صفاء خلوصي: شكوك الرضي وابن ابي الحديد في بعض نصوص نهج البلاغة^(٥). انه حول بعض تلك النصوص التي اشار الشريف الرضي هل هي للامام علي عليه السلام ام للرسول ﷺ^(٦)، اما بالنسبة لابن ابي الحديد، فقد توقف في بعض النصوص الذي اضطر الى تأويلها او التوقف فيها^(٧).

٥ - د. مصطفى جواد: عبد الحميد ابن ابي الحديد شارح نهج البلاغة^(٨). مقال في حدود الصفحتين وهو تعريف موجز بابن ابي الحديد وشرحه للنهج.

(١). مجلة المعلم الجديد، مج ٢٤، ح ٣-٤، س ١٩٦١، ص ١-٢٢.

(٢). ن. م. ص ١.

(٣). مثل كتاب صفين للمتفري وكتاب الفارات لابن هلال الثقفي وكتاب الموقيات لابن بكار وكتاب الخراج لقدامة بن جعفر وغيرها.

(٤). مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٩، س ١٩٦١، ص ٢٤٠-٣٤٨.

(٥). مجلة الاستاذ، كلية التربية، مج ١٠، س ١٩٦٢.

(٦). انظر مثلاً الشرح: ٣١١/١٨ نهج البلاغة ص ٤٩٠.

(٧). انظر مثلاً الشرح: ٨٧/٩-٨٨، ٣٠٧، ١٥٦/١٦-٧.

(٨). مجلة المعرفة (بغداد)، س ٢، ع ٢٩، ١٩٦٢، ص ٤-٦، ٣٤.

٦. ابراهيم الابياري: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد^(١)، وهو تعريف بسيط بابن ابي الحديد وبشرحه للنهج.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

١. علي جواد محي الدين: ابن ابي الحديد سيرته وآثاره النقدية والادبية رسالة ماجستير، تناولت عصر ابن ابي الحديد وسيرته ومؤلفاته بالتفصيل لذا اغنت كل باحث عن الرجوع للمصادر الاخرى او الكتابة عنه.
 ٢. حامد الظالمي: ابن ابي الحديد: جهوده النقدية والبلاغية رسالة ماجستير ناقش فيها الباحث جهود ابن ابي الحديد في النقد الأدبي.
 ٣. عبد الواحد خلف وساك آل عجيل: جهود ابن ابي الحديد النحوية في شرح نهج البلاغة، رسالة في اللغة العربية، درس فيها الباحث جهود ابن ابي الحديد في النحو.
 ٤. عبد الجبار سالم عبد الكريم: شعر عبد الحميد بن هبة الله المدائني، رسالة دكتوراة جمع فيها الباحث شعر ابن ابي الحديد من شرح نهج البلاغة او القصائد السبع العلويات او القصائد المستنصرينات لابن ابي الحديد، او من مؤلفات اخرى.
 ٥. حسن حميد فياض: ابن ابي الحديد ناقداً، وهي رسالة تتحدث عن النقد الادبي عند ابن ابي الحديد وخاصة في كتابه الفلك الدائر على المثل السائر. وجاءت هذه الرسالة لتتناول جانباً معيناً من فكر ابن ابي الحديد المعتزلي، حيث تقدم لنا رؤية معتزلة بغداد إلى الامام علي عليه السلام.
- اقتضت الدراسة البدء بمدخل يبين رؤية المعتزلة عموماً للامامة، ومسألة الافضل وجواز امامة المفضول ام لا؟ ثم اوضحنا رؤية معتزلة بغداد قاطبة القائلة

(١). مجلة تراث الانسانية، مج ٢، ص ١٢٥ - ١٣٩.

بالتفضيل مبينين ادلتهم في هذا الاطار، ثم موقف ابن ابي الحديد الذي ارجع التفضيل إلى عصر الصحابة.

ولأجل ايضاح هذه الرؤية قسمت الرسالة لخمس فصول، اختص الفصل الاول منها بدراسة تفصيلية لعراقة نسب الامام علي عليه السلام حيث ينتسب لبني هاشم الذين وصفهم الجاحظ بانهم ملح الارض، فكان لهاشم الجد الاكبر للقبيلة صاحب الايلاف الذي جعل من مكة مركزاً دينياً واقتصادياً، ثم جاء ولده عبد المطلب والذي تزامن عصره مع سلسلة احداث مهمة كحفر زمزم وفشل حملة الفيل، واستحداثه جملة اعمال اقرها الاسلام فيما بعد حتى سمي بابراهيم الثاني. وقد ترك عشرة من الاولاد وصفهم احد المعاصرين لهم بان الله اذا اراد ان ينشأ دولة اوجد لها مثل هؤلاء^(١)، وقد اوصى إلى ابي طالب، ومن جملة وصاياه اوصاه بالنبي صلى الله عليه وآله تلك الوصية التي استمرت لخمسين سنة حيث كان لابي طالب الدور الرائد في حماية النبي صلى الله عليه وآله واستمراره للدعوة لعشر سنوات بحيث لما توفي ابو طالب اخذ النبي صلى الله عليه وآله يبحث عن اماكن اخرى لنشر الدعوة الاسلامية.

وكان الامام علي عليه السلام قد ولد لابوين هاشميين فأمه ايضاً من بني هاشم. مضافاً لذلك كان الامام علي عليه السلام يفتخر نسباً بعمه حمزة واخيه جعفر.

اما الفصل الثاني فقد اوضحنا فيه رؤية المعتزلة لنشأة الامام علي عليه السلام، والتي عدوها من اسس تفضيله عليه السلام، فبدءاً كانت ولادته في الكعبة الشريفة، ثم انتقاله لبيت الرسالة، حيث كان له شرف التربية على يد النبي صلى الله عليه وآله، فكان لذلك اثر في نشأته الروحية، حيث كان في مقدمة من آمن بالرسول صلى الله عليه وآله، ثم ما لبث ان اصبح له وزيراً يوم الانذار، واستمر في المؤازرة طيلة وجودهما في مكة، وكان هو الذي نام في فراش الرسول صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة ليموه على المشركين.

وبعد الهجرة المباركة زوجه النبي ﷺ بأمر السماء من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، فكان ذلك من اعظم فضائله حتى ان كبار الصحابة كعمر وسعد كانا يغبطانه على ذلك.

ومن زواجه هذا جاء ولداه الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ وسيدا شباب اهل الجنة، وقد تكون من هذه الاسرة ما عرف باهل البيت النبوي الشريف الذين خصهم القرآن بعدد من الآيات كآية التطهير والمباهلة.

كان للامام علي عليه السلام جملة من الخصائص الخلقية، والسجايا النفسية فاق بها الاقران والمعاصرين واسدل الستار على من سبقه وتلاه فيها.

هذه الخصائص خصص الفصل الثالث لبيان رؤية المعتزلة فيها، سواء في الشجاعة او الحلم او الصبر او الزهد او العبادة او غيرها. والشيء الذي يلفت النظر في خصائصه عليه السلام هو جمعه بين المتناقضات حيث كان ذلك مثار اعجاب الشريف الرضي وابن ابي الحديد.

اما تفسير المعتزلة لرؤية الامام علي عليه السلام لنظام الحكم، فقد تناولها الفصل الرابع، اذ يرى معتزلة بغداد ان الامام علياً عليه السلام يرى نفسه الاحق ليس بالنص، وانما بالافضلية. ولكنه عليه السلام لما رأى ان الامة اجمعت على بيعه الخليفة ابي بكر ثم عمر ثم عثمان فقد بايع لهم.

ويتخذ معتزلة بغداد مواقفهم من موقف الامام علي عليه السلام اذ لما قبل بخلافة من سبقه اعتبر المعتزلة خلافتهم صحيحة، ولكنهم خطأوا من خرج عليه ايام خلافته، وحكموا بتوبة ام المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وانهم من اهل الجنة.

وقد اوضح ابن ابي الحديد الرؤية الاعتزالية التي قدمها الجاحظ والاسكافي والجبائي والقاضي حول كثير من الشبهات التي اثيرت حول سياسة الامام علي عليه السلام سواء قبل خلافته او بعد توليه الخلافة.

في حين جاء الفصل الخامس والاخير ليوضح الرؤية الاعتزالية حول الامام علي عليه السلام والفكر العربي الاسلامي، إذ اثبت المعتزلة ان الامام علي عليه السلام هو الوحيد الذي بان في العلم الالهي، ومن خلال ما جاء في كلامه عن التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وخلق الافعال وغيرها استمد المعتزلة آرائهم الكلامية، وكان ابن ابي الحديد يؤكد على ذلك في شرحه اينما سنحت له الفرصة.

ان كثيراً مما ورد في فكر المتصوفة مأخوذ من الامام علي عليه السلام، وهذا ما اشار إليه ابن ابي الحديد في اثناء شرحه لكلام الامام علي عليه السلام، واكد انتساب المتصوفة للامام عليه السلام.

اما في علم الفقه فقد اكد ابن ابي الحديد ان الإمام علياً عليه السلام كان مصدر الخلفاء والصحابة والمذاهب الفقهية الاربعة، حيث اثر عن الخليفة عمر قوله: «لا ابقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن».

وكذلك الحال في علوم القرآن، وعلوم اللغة العربية وخاصة البلاغة حيث ترك الامام علي عليه السلام كنزاً من الخطابة اصبح مصدراً ومورداً للادباء والشعراء ينتقون منه ويوشون به خطبهم واشعارهم.

وكان عليه السلام قد اشار لبعض الحوادث التاريخية والمسائل الفلكية، وما يخص علم الحيوان، بالاضافة لاشارته لبعض الغيبات التي اعتبرها ابن ابي الحديد من اسس تفصيله.

وختمنا هذه الفصول بخاتمة اوضحنا فيها اهم ما تم التوصل إليه من خلال البحث، منوهين بالمواضع التي يمكن ان تكتب عن ابن ابي الحديد وكتابه شرح نهج البلاغة، والتي لا زالت لم تحظ باهتمام الباحثين.

تحليل المصادر

لقد اعتمدت الدراسة على جملة من المصادر والمراجع يأتي في مقدمتها - شرح نهج البلاغة - لابن أبي الحديد المعتزلي، اذ هو المحور الذي دارت حوله الدراسة.

لقد صنّفه ابن أبي الحديد على عشرين جزءاً، اودع فيه الكثير من جوانب المعرفة سواء في اللغة او الادب او التاريخ او الكلام وغيرها لذا اعتبره كتاب ادب وليس نظراً، ولما كانت موضوعات نهج البلاغة متنوعة جاءت موضوعات شرح نهج البلاغة متنوعة ايضاً.

قال باحث معاصر في وصفه: «كتاب ولا كالكتب، بل بوسعي ان اقول انه من الكتب القليلة النادرة التي تجمع بين المتعة والفائدة إلى اقصى حدودهما، مع نضاعة في الديباجة، وحلاوة في اللغة، وسلامة في التعبير، وسلاسة في البيان، فانت حين تقرأ الكتاب تشعر كأنك تطالع انسكلوبيديا او دائرة معارف تزودك بمعلومات لغوية وادبية وتاريخية وفلسفية على صعيد واحد ضمن اطار نهج البلاغة للامام علي... وتستشف من وراء الكتاب كله عقلية نيرة غير متعصبة وتحليلات منطقية والمعية في التفكير وابتكاراً في التعليل، قلّ ان تجد له نظيراً في الكتب الحديثة بله القديمة. وبوسع القارئ المطالع له ان يقتبس شيئاً جديداً من كل فصل من فصوله ان لم اقل من كل صفحة من صفحاته فهو الكتاب القديم - الجديد دائماً وابدأ»^(١).

ويخلص للقول: «وهكذا نجد بوجه عام ان ابن أبي الحديد قد جعل شرح نهج البلاغة اطاراً جميلاً لصورة رائعة تزدهم فيها الوقائع التاريخية والبحوث

(١). خلوصي: الكنوز الدفينة ص ١-٢.

الادبية والمناقشات الفلسفية فهو بحق منجم لكنوز دفينه لا تقوم بـ«شمن»^(١).
وقد شرح ابن ابي الحديد نهج البلاغة شرحاً اعتزالياً ليؤكد رؤية المعتزلة
القائلة بان مصدر عقيدتهم هو الامام علي عليه السلام، ولكنه كان يتوقف عند بعض
النصوص التي لا تتفق والرؤية الاعتزالية لذا يضطر لتأويلها او التوقف عندها
وعدم اصدار حكم فيها^(٢).

وهنا فان ابن ابي الحديد عامل كلام الامام معاملة النص القرآني او
الحديث النبوي الذي يؤول إذا خالف ظاهره العقل عند المعتزلة.
لقد حاول ابن ابي الحديد وهو من معتزلة بغداد المتأخرين ان يسدل الستار
على الخلاف ما بين مدرستي الاعتزال وان يقدم صورة موحدة للفكر الاعتزالي.
وان كان احياناً يشير لمواضع الخلاف ويحاول تبريرها.

ولم يظهر منه تحامل على معتزلة البصرة، بل اعتمد كثيراً من مؤلفاتهم
كمؤلفات الجاحظ ت. ٢٥٥ هـ الذي كان يقف عند آرائه قائلاً «رحم الله ابا عمرو
لقد غلبت عليه البصرة وطينتها...» ولما اتهم ابراهيم بن سيار النظام - وهو من
معتزلة البصرة - الامام علياً عليه السلام بالتدليس في الحديث، رد عليه ابن ابي الحديد
مستغفراً له.

وقد استخدم ابن ابي الحديد في اثبات ما يراه ونفي ما لا يراه صحيحاً،
الآيات القرآنية التي ياخذها على ظاهرها، اما إذا تعارض ظاهرها مع العقل فانه
يؤولها. وكذا الحال بالنسبة للسنة النبوية الشريفة، مع أنه يرى ان هناك الكثير من
الاحاديث النبوية موضوعاً، وكذلك كان يستخدم الروايات التاريخية ونجده لا
يقف سلبياً ازاءها بل يناقشها فيقبل ما يراه صحيحاً ويرفض العكس.

(١). خلوصي: الكنوز الدفينة ص ٢٢.

(٢). انظر: مثلاً الشرح ٨٧/٩ - ٨٨ - ٧، ٣٠٧، ١٦٦/١٥٦ - ٧.

ووصل الينا من مؤلفاته ايضاً سبع قصائد في مدح الإمام علي عليه السلام سميت بالقصائد السبع العلويات، اوضح فيها رؤيته للإمام علي عليه السلام.

وتأتي مؤلفات علم الكلام بعد - شرح نهج البلاغة - كمصدر للرسالة، ومنها مؤلفات المعتزلة كرسائل الجاحظ الكلامية ومنها العثمانية التي اوضح فيها وجهة نظر القائلين بعدم افضلية الامام علي عليه السلام، فرد عليه الاسكافي ت ٢٤٠ هـ وهو من معتزلة بغداد بكتاب (نقض العثمانية) الذي استفدنا منه في بيان رؤية معتزلة بغداد في تفضيل الامام علي عليه السلام.

وللناشيء الاكبر ت ٢٩٣ هـ احد رجال المعتزلة كتاب (مسائل الامامة) افاد الرسالة في بيان رؤية المعتزلة للامامة من حيث وجوبها؟ ثم رؤيته للإمام هل يجب ان يكون الافضل؟ ام تجوز امامة المفضول؟ ومن هو الافضل؟

وللخياط ت ٣٠٠ هـ احد معتزلة بغداد كتاب (الانتصار) اثبت فيه افضلية الامام علي عليه السلام. وجاءت مؤلفات القاضي عبد الجبار ت ٤١٥ هـ وخاصة كتابه (المغني في ابواب العدل والتوحيد) الذي صنفه على عشرين جزءاً، اوضح فيه تفصيلاً الفكر الاعتزالي، حيث استفدنا من الجزء العشرين الذي يقع في قسمين خصصهما للامامة، وقد افرد فصلاً عن التفضيل مبيناً آراء المعتزلة فيه كالاسكافي وابي علي وابي هاشم الجبائيان. اما كتابه فضل الاعتزال فقد افادنا في دراسة تراجم رجالات المعتزلة قبل القاضي، وقد نشر - النشار - كتاباً باسم - فرق وطبقات المعتزلة - اخذه من كتاب المنية والامل لابن المرتضى^(١).

ومن المؤلفات الكلامية مؤلفات الاشاعرة، كمقالات الاسلاميين لابي الحسن الاشعري ت ٣٢٤ هـ، والتمهيد للباقلاني ت ٤٠٢ هـ، والفرق بين الفرق للبغدادى ت ٤٢٩ هـ. ومن كتب الامامية الكلامية، تنزيه الانبياء للشريف المرتضى

(١). انظر: رأي: البطاط في هذا الكتاب: قاضي القضاة عبد الجبار ص ٤٢ - ٤٣.

ت ٤٣٦هـ والذي استفدنا منه في رؤيته لرواية خطبة الامام علي عليه السلام جويرية بنت ابي جهل، وكتابه (الشافى في الامامة) وهو رد على كتاب المغني للقاضي عبد الجبار، وقد اعتمده ابن ابي الحديد كثيراً في معرض المقارنة بين اراء القاضي عبد الجبار والشريف المرتضى. ويلاحظ على ابن ابي الحديد عدم الميل نحو القاضي لانه معتزلي مثله. بل تارة يؤيد هذا وتارة يؤيد ذاك حسبما يراه صحيحاً. لقد اعتمد ابن ابي الحديد في شرحه لنهج البلاغة على جملة من المصادر التاريخية بعض منها وصل الينا، لذا آثرنا من باب التوثيق التاريخي الرجوع إلى هذه المصادر كسيرة ابن اسحق ت ١٥١هـ، ومغازي الواقي ت ٢٠٩هـ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ت ٣١٠هـ، ومروج الذهب للمسعودي ت ٣٤٦هـ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ت ٦٣٠هـ وغيرها.

وهناك من المصادر التاريخية لم يعتمدها ابن ابي الحديد ولقد رجعنا إليها في مواضع من البحث كتاريخ اليعقوبي ت بعد ٢٩٢هـ الذي قدم لنا رؤية لبني هاشم قبل الاسلام خاصة موقف عبدالمطلب في حملة ابرهة وانعكاس ذلك الموقف في رؤية العرب له، وشارته إلى ما سنه من سنن اثبتها الاسلام فيما بعد.

اما كتب التفسير فقد اعتمدت الدراسة في تفسير بعض الآيات على جامع البيان للطبري، والتبيان في تفسير القرآن للطوسي ت ٤٦٠هـ، والجامع لاحكام القرآن للقرطبي (٦٧١هـ)، والكشاف للزمخشري ت ٥٢٨هـ. ويعد الزمخشري من معتزلة البصرة، لذا افدنا منه كثيراً في بيان رؤية معتزلة البصرة في الآيات الخاصة بالامام علي عليه السلام.

اما كتب الحديث؛ فقد استفاد البحث من عدد من كتب الصحاح كصحيح البخاري ت ٢٥٦هـ ومسلم ت ٢٦٣هـ وكتب السنن كسنن ابن ماجه (٢٧٣) والترمذي (٢٧٩) وابي داود (٢٧٥) والنسائي (٣٠٣) والبيهقي (٤٥٨) ومن

المسانيد مسند احمد بن حنبل ت ٢٤٠هـ. ومنها المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری ت ٤٠٥هـ الذي استفدنا منه في مواضع متعددة، ومنها تأكيدہ علی ولادة الامام علي عليه السلام في الكعبة اذ يقول: «وتواترت الاخبار ان فاطمة بنت اسد ولدت علياً كرم الله وجهه في جوف الكعبة». واستفدنا منه في مسألة رواية خطبة الامام علي عليه السلام لجويرية اذ قدم روايات اقرب للموضوعية.

اما كتب الصحابة فقد رجعنا إلى الطبقات الكبرى لابن سعد ت ٢٣٠هـ، والاستيعاب لابن عبدالبر ت ٤٦٣هـ، وصفة الصفوة لابن الجوزي ت ٥٩٧هـ، واسد الغابة لابن الاثير ت ٦٣٠هـ، والاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ت ٨٥٢هـ، وغيرها.

ومن كتب التراجم رجعنا لكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ت ٦٨١هـ، ومعجم الادباء لياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ، وفوات الوفيات للكتبي ت ٧٦٤هـ، والوافي بالوفيات للصفدي ت ٧٦٤هـ، ومرآة الجنان لليافعي ت ٧٦٨هـ.

اما كتب الادب فقد رجعنا لكتاب البيان والتبيين للجاحظ ت ٢٥٥هـ، والكامل في الادب للمبرد ت ٢٨٥هـ، وعيون الاخبار لابن قتيبة ت ٢٧٦هـ، والاغانى لابي الفرج الاصفهاني ت ٣٥٦هـ، وربيع الابرار للزمخشري ويلاحظ ان كثير من نصوص الشرح ربما منقولة عنه ولكنه لم يشير لذلك.

واعتمد البحث على كتب الجرح والتعديل لمناقشة بعض الروايات ككتاب الجرح والتعديل لابن ابي حاتم ت ٣٢٧هـ، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ت ٣٦٥هـ، والضعفاء لابي زرعة ٢٥٦، وميزان الاعتدال للذهبي ت ٧٤٨هـ، وتقريب التهذيب، وتهذيب التهذيب، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ.

ورجعنا لعدد من الدواوين الشعرية لتوثيق كثير من الابيات الشعرية كديوان امرؤ القيس، وأميه بن أبي الصلت والمنتبي، والبحثري، وأبي تمام وغيرها.

فضلاً عن اعتماد الدراسة على مجموعة من الكتب الحديثة والرسائل الجامعية وبعض المقالات، حيث اقتبست الرسالة آرائهم اما للتأييد واما للمناقشة.

لما كانت الدراسة حول كتب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد لذا آثرنا اذا تعددت المصادر في الهامش الواحد، الاشارة اولاً اليه ثم الى المصادر الاخرى حتى وان كنت اسبق منه زمنياً، واقتصرنا في الاشارة اليه بكلمة الشرح.

ولغرض عدم اثقال الهوامش بالمعلومات لذا اقتصرنا على الاشارة لاسم المؤلف وكتابه والجزء ان وجد والصفحة، اما باقي المعلومات فسيجدها القارئ في فهرس المصادر والمراجع.

تجدر الاشارة ان تقيد الباحث بنص ابن ابي الحديد كان سبباً في تباين عدد صفحات فصول الاطروحة، وذلك لتباين كمية المادة العلمية التي قدمها ابن ابي الحديد حول موضوعات الشرح.

وختاماً لا بد من القول ان الله سبحانه وتعالى ابي ان يكون هناك صحيحاً الا كلامه المقدس، ولذا فأن هذه الدراسة المتواضعة لا تخلو من الهنات، وما احرى كاتبها بالقول:

وما ابريء نفسي انني بشر اسهو واخطئ ما لم يحمن قدر
ولا ترى عذراً اولى بذي زلل من ان يقول انني بشر

فان كنت اصبت الذي اردت فهذا من جزيل نعم الله تعالى فله الحمد والشكر مبلغ رضاه، وان كنت لم ابلغ ذلك فيكفيني نيتي التي اسأل الله ان يجعلها

خالصة لوجهه الكريم... ونية المرء خير من عمله.
وآخر دعوانا ربي توفني مسلماً والحقني بالصالحين واجعلني من ورثة
جنة النعيم... والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

الباحث

البصرة

رمضان ١٤٢٣ هـ

كانون الاول ٢٠٠٢ م

المدخل التفصيل عند المعتزلة

اقتضت الحكمة الالهية تكليف الانسان للقيام ببعض الاعمال، والانتهاء عن اعمال اخرى، وسيقابل هذا الانجاز بثمرات دنيوية واخروية على ان ذلك لن يكون إلا بوجود ضمانات له توجه الانسان للقيام به. ومن هنا فإن الاسلام لم يطرح النظرية فقط، بل وضع لها اسس التطبيق العملي حيث اوجد نظاماً سمي «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» مهمته حماية المجتمع والنظام، مما يساعد على تحقيق ما كلف به الانسان على الوجه الافضل ويقف على رأس هذا النظام - الحاكم - الذي وصل لهذا المنصب بناء على شروط معينة^(١).

لقد عد المعتزلة - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - اصلاً من اصولهم الخمسة^(٢)، وهو الاصل العملي الوحيد، اذ باقي الاصول نظرية^(٣)، وهذا الاصل واجب عند المعتزلة ووجوبه شرعي بدليل قوله تعالى: ﴿كنتم خير امة اخرجت

(١). د. عبد الكريم عثمان: قاضي القضاة ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٢). وهي - التوحيد - العدل - الوعد والوعيد - المنزلة بين المنزلتين - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. فكل من قال بهذه الاصول مجتمعة فهو معتزلي. انظر: الخياط: الانتصار ص ٩٣. وقد شرح هذه الاصول القاضي عبد الجبار بكتاب اسماء شرح الاصول الخمسة. وهو مطبوع.

(٣). صبحي: في علم الكلام ١٧٤/١ - ١٧٧.

للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر^(١). بالاضافة لوجوبه العقلي^(٢). فهو يجب إلى درجة استخدام القوة، ومن هنا اجاز المعتزلة الخروج على الامام الجائر، وبهذا فهم يماثلون الخوارج^(٣)، لكنهم اکتفوا بالقول دون الفعل لذا سموا مخانيث الخوارج^(٤).

ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عند المعتزلة على كل مكلف وفق شروط^(٥)، وهو فرض كفاية إذا قام به من به الكفاية سقط عن الآخرين^(٦). وفي مقدمة من يجب عليهم القيام بهذا الاصل هو الامام، لذا اصبح موضوع الامامة من موضوعات هذا الاصل «ووجه اتصاله بهذا الباب ان اكثر ما يدخل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقوم به إلا الائمة»^(٧).

وقبل التحدث عن موضوع الامامة لابد من الاشارة إلى ان التطور التاريخي للمعتزلة بشير لمدرستين للاعتزال، الاولى نشأت في البصرة واشارت الروايات إلى ان اول من قال بالاعتزال هو واصل بن عطاء وزميله عمرو بن عبيد، وسميت بمدرسة البصرة لنشوتها في البصرة، وقد وضع رجالات هذه المدرسة القواعد والاصول الاساسية للاعتزال، وبرز فيها كبار رجالات المعتزلة كأبي الهذيل العلاف، وابراهيم بن سيار النظام، والجاحظ، والجبائين، والقاضي عبد الجبار، وابن متويه، واصبح كل من يحمل اراء هذه المدرسة يعد بصرياً بغض النظر عن بلده^(٨).

(١). سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٢). القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة ص ١٤٢، ٧٤١-٧٤٦.

(٣). ابن ابي الحديد: الشرح ٧٨/٥.

(٤). البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٧١.

(٥). القاضي: شرح الاصول ص ١٤٢-١٤٤.

(٦). القاضي: شرح الاصول ص ١٤٨.

(٧). القاضي: شرح الاصول الخمسة ص ٧٤٩.

(٨). عن مدرسة البصرة انظر: صبحي: في علم الكلام ١٠٥/١-٣٩٣ الراوي: ثورة العقل

أما بالنسبة لمعتزلة بغداد فهي التي ينسب تأسيسها إلى بشر بن المعتمر الذي تتلمذ على يد معتزلة البصرة، ثم جاء لبغداد مؤسساً فرعاً جديداً للاعتزال عرف بمعتزلة بغداد، فأصبح كل من يأخذ بآراء هذه المدرسة يعد من معتزلة بغداد بغض النظر عن بلده. ومن رجالات هذه المدرسة بشر بن المعتمر، والجعفر بن، والاسكافي، وأحمد بن أبي دؤاد^(١)، والخياط، والكعبي، وابن أبي الحديد^(٢).

والذي يميز مدرسة بغداد عن مدرسة البصرة:

أولاً: ميل مدرسة بغداد قاطبة إلى الإمام علي عليه السلام.

ثانياً: أنها طبقت عملياً رؤية معتزلة البصرة في التوحيد حيث الغت القول بالصفات، وقالت بخلق القرآن، فكان ما عرف تاريخياً بالمحنة، حيث كان معتزلة بغداد القائمين بها^(٣).

ثالثاً: النزعة العملية: حيث لما اتسم الاعتزال البصري بالسكونية والنظرات التجريدية، وجعل البحث النظري حواراً وجدلاً طابعه العقائدي، نجد معتزلة بغداد تسعى لايجاد بعد عملي لفكرها على نحو تحقيق رغبتها بإقامة دولة اعتزالية.

رابعاً: اقتضاهم عصر النهضة الفكرية، وقرائهم للفلسفة، تعميق وتطوير

ص ٢٣ - ٧٧. النعمي: مدرسة البصرة الاعتزالية ص ٧ وما بعدها.

(١). هو أحمد بن أبي دؤاد فرح بن جرير القاضي، والمتولي لمهمة القول بخلق القرآن فيما عرف بالمحنة. انظر: الملطي: التنبيه والرد ص ٣٩. ابن النديم: الفهرست ص ٣ - ٤ (تراجم ملحقة باخر الكتاب). ابن الأثير: اللباب ٤٢٧/١. الصفدي: الوافي بالوفيات ٣٣/٢. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١٢٣ - ٦.

(٢). عن مدرسة بغداد انظر: صبحي: في علم الكلام ٢٨٣/١ - ٣١٧. الراوي: ثورة العقل ص ٨١ - ٢٩٩.

(٣). صبحي: في علم الكلام ٢٨٣/١ - ٢٨٧. الراوي: ثورة العقل ص ٩٥. وعن مسألة خلق القرآن انظر: الجاحظ: رسالة في خلق القرآن ص ١٦٣ - ١٧٥. الأزدي: تاريخ الموصل: ٤١٢ - ٤١٤.

٣٠..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

مباحث العدل الالهي^(١)، بعد ان شرحها معتزلة البصرة، كالقول بالتوليد^(٢)، واللفظ الالهي^(٣).

خامساً: تصدى معتزلة بغداد للمباحث الدقيقة في الكلام، كمسألة الجوهر^(٤).

سادساً: الزهد: كانت هذه الصفة غالبية على اكثرية معتزلة بغداد كبشر بن المعتمر، وتلميذه ابو موسى، والاسكافي وغيرهم، ولشيع هذه الصفة فيهم عرفوا بـ «نسك بغداد»^(٥).

لقد ناقش المتكلمون على اختلاف توجهاتهم موضوع الامامة، من حيث وجوب نصب الامام او لا؟ وهل ان الامامة واجبة عقلاً ام شرعاً؟ وهل يجب ان يكون الامام افضل الامة؟ ام تجوز امامة المفضول مع وجود الافضل؟^(٦)

١. العدل: ما يقتضيه العقل من الحكمة، او صدور الفعل على وجه الصواب والمصلحة، ويناقش المعتزلة تحت هذا الاصل موضوعات. (نفي صدور القبح عن الله، اللطف الالهي، حرية الارادة)، انظر الشهرستاني: الملل والنحل ١/٥٥-٥٦ صبحي: في علم الكلام ١/١٤٨-١٦٥.

٢. هو الفعل الذي يتولد من فعل الانسان، فاذا ضرب انسان انساناً، فالضربة من فعل الضارب، وهو مسؤول عنها، ولكن ماذا عن الالم المتولد، او اذا فعل الانسان فعلاً عن غير قصد. انظر الخياط: الانتصار ٦٠-٦١، الباقلائي: التمهيد ١/٢٩٦-٢٠٢، الشهرستاني: الملل والنحل ١/٨٨-٩٠، بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/١٩٢-٧.

٣. هو كل ما يوصل الانسان إلى الطاعة ويبعده عن المعصية. انظر القاضي عبيد الجبار: شرح الاصول الخمسة ص ٥١٨-٥٢٥، الباقلائي: التمهيد ١/٣٣٨-٤٠، الشهرستاني: الملل والنحل ١/٨٢-٨٣، بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/٢٩٣-٧.

٤. هو الجزء الذي لا يتجزأ واول من قال به ابو الهذيل العلاف، انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٧، ابو رشيد: المسائل في الخلاف ص ٢٨-١٠٤، الجرجاني: التعريفات ص ١٣، الشهانوي: كشف اصطلاحات العلوم ١/٢٠٧، ابن متويه التذكرة ص ٤٧-١٤٥ بينس: مذهب الذرة عند المسلمين ص ١-١٦.

٥. الراوي: ثورة العقل ص ٩٤-١٠٠.

٦. افراد المتكلمون مؤلفات لهذا الغرض. انظر: الناشء الاكبر: مسائل الامامة، وخصص القاضي عبيد الجبار الجزء العشرين من كتابه (المغني) في قسمه الاول والثاني لمسائل الامامة ووضع الشريف المرتضى: الشافي في الامامة ص ٢ وما بعدها، الطوسي: تلخيص الشافي ١/٦٣-١٩٠، ٢٠٧-٢٤٢.

قال ابن حزم: «اتفق جميع اهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع المعتزلة، وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الامامة... حاشا النجدات^(١) من الخوارج»^(٢).

واوضح - الناشئ الاكبر - وجهة نظر المعتزلة فقال: «المعتزلة صنفان: صنف اوجبوا الامامة وزعموا ان نصب الامام فرض على الامة في عقد الدين، وصنف انكروا وجوب الامامة، وزعموا ان للمسلمين ان يقيموا اماماً، ولهم ان لا يقيموه، وليس احد الامرين باولى من الاخر»^(٣).

بينما اشار ابن ابي الحديد إلى المعتزلة جميعهم قالوا بالوجوب ما عدا ابا بكر الاصم^(٤) الذي يرى «انها غير واجبة اذا تناصفت الامة ولم تتظالم». وهذا الرأي عدة متأخرو المعتزلة قولاً بالوجوب، وذلك لان في العادة لا تستقيم امور الناس من دون رئيس يحكم^(٥).

وقد تباينت وجهة نظر المعتزلة حول طريق وجوب الامامة، هل هو شرعي؟ ام عقلي؟ فالبعض من معتزلة البصرة يرى ان طريق وجوبها الشرع. اما معتزلة بغداد وبعض من معتزلة البصرة كالجاحظ، وابو الحسين البصري، وكذلك الامامية^(٦) فيرون ان طريق وجوبها العقل^(٧).

(١) اصحاب نجدة بن عامر الحنفي. انظر الاشعري: مقالات الاسلاميين ١٦٢/١ - ٤. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٩. البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٥٢ - ٥٤. الشهرستاني: الملل ١٦٥/١ - ٩.

(٢) الفصل في الملل ١٤٩/٤.

(٣) مسائل الامامة ص ٤٩.

(٤) هو ابو بكر عبد الرحمن بن كيسان الاصم من معتزلة البصرة، يعد من الطبقة السادسة. انظر: الملطي: التنبيه ص ٣٩، القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٦٧، الشهرستاني: الملل ٩٢/١. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٥٦ - ٥٧، الداودي: طبقات المفسرين ٢٧٤/١.

(٥) الشرح ٣٠٨/٢. انظر رأي الاصم: الاشعري: مقالات الاسلاميين ١٣٣/٢.

(٦) ان كل الفرق الاسلامية قالت بالامامة، ولكن لفظ (الامامية) إذا ذكر ينصرف إلى تلك الفرقة التي حددت عدد ائمتها واسمائهم بلا زيادة ولا نقصان. وهم المعروفون بالاثني عشرية.

واذا كانت المعتزلة ترى ان الهدف من وجوب الامامة لان فيها مصالح دنيوية ودفع مضار دنيوية، فإن الامامية يوجبونها على الله لان فيها لطف وابعاد للمكلفين عن مواجهة القبائح العقلية^(٨).

وناقش المتكلمون: هل يجب ان يكون الامام هو الافضل؟ ام تجوز امامة المفضول؟^(٩) يرى الباقلاني^(١٠) «انه واجب ان يكون الامام افضل الامة». وقد رد عليه ابن حزم قائلاً: «هذا خطأ متيقن لبرهانين؛ احدهما: انه لا يعرف الافضل الا بالظن في ظاهر امره، وقد قال تعالى ﴿ان الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾^(١١). والثاني: ان قريشاً انتشرت في مشرق الارض وغربها وجنوبها وشمالها، ولا سبيل لمعرفة الافضل. ويكفي بطلان قول الباقلاني؛ ان الصحابة الذين ادركوا امامة الحسن ومعاوية قالوا بها مع ان فيهم من هو افضل من الحسن ومعاوية كسعد، وسعيد بن زيد، وابن عمر»^(١٢).

اما المعتزلة فقد انقسموا لقسمين؛ الاول يرى عدم جواز عقد الامامة إلا للافضل، لانهم يرون انه ليس بعد النبوة منزلة افضل من الامامة، فكما كان النبي ﷺ افضل الناس فكذلك الامام، لان الامام هو الذي يؤدب الامة ويعرفها

فيما لم تحدد باقي الفرق الاسلامي عدداً ائمتها. انظر الاشعري: مقالات الاسلاميين ٨٧/١ - ٨٠. الفياض: تاريخ الامامية ص ٧٣ - ٨٥.

(٧). الشرح ٣٠٨/٢.

(٨). الشرح ٣٠٨/٢. عن الامامة انظر: الناشء الاكبر: مسائل الامامة ص ٤٩. الشريف

المرتضى: الشافي ص ٤ - ٥. الطوسي: تلخيص الشافي ٦٣/١ - ١٩٠.

(٩). الاشعري: مقالات الاسلاميين ١٣١/٢ وما بعدها.

(١٠). ابو بكر محمد بن الطيب ولد بالبصرة ثم سكن بغداد وهو من كبار رجال اشاعرة

ت ٤٠٣ هـ انظر السمعاني الانساب ٢٦٦/١. ابن الاثير: اللباب ٥١/١ - ٥٢. النباهي: تاريخ

قضاة الاندلس ص ٣٧ - ٤٠. الصفدي: الوافي ١٧٧/٣. محمد عبد الله رمضان: الباقلاني ص ٩٦

وما بعدها. بدوي: مذاهب الاسلاميين ٥٦٩/١ - ٦٣٣.

(١١). سورة يونس: الآية ٣٦.

(١٢). الفصل في المنل ١٧٩/٤ - ١٨٠.

معالم دينها، فلا يجوز ان يكون المؤدّب افضل من المؤدّب، وإلى هذا المذهب يذهب عمرو بن عبّيد^(١)، وابراهيم النظام^(٢).

اما القسم الثاني فيرى جواز امامة المفضول مع وجود الافضل حيث يرون ان النبي ﷺ ولي المفضول على الافضل كما في تولية عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل^(٣) على جيش فيه ابو بكر وعمر وابو عبّيدة بن الجراح (رض)، وهم افضل منه، وتولية اسامة بن زيد على جيش فيه ابو بكر وعمر (رض)^(٤)، ويرون «إذ رأينا رجلاً تجمع عليه الكلمة ولم يكن ساقط العدالة، وكان معه علم بالكتاب والسنة، وليناه امر الامة، وان كان فيهم من هو افضل منه واوسع علماً. والقائلون بهذا القول واصل بن عطاء^(٥)، وقاطبة معتزلة بغداد^(٦).

(١). هو صاحب واصل بن عطاء ولد في البصرة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٤٠هـ. انظر: البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٨٦ - ٩. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٤٢ - ٥٠. الشهرستاني: الملل: ٦٢/١. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٣/٤٦٠ - ٢. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٣٥ - ٤١. المقرئزي: الخطط ٢/٣٤٦.

(٢). احد معتزلة البصرة، سمي بالنظام لاشتغاله بنظم الخرز: له اراء ومؤلفات فلسفية ويعد فيلسوف المعتزلة. انظر: الخياط: الانتصار ص ١٩، ٢١ - ٤٧. البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٧٠ - ١. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٦٤ - ٥. ابن النديم: الفهرست ص ٢ (تراجم ملحقة بآخر الكتاب). البغدادي: الفرق ص ٧٩ - ٩١. الشهرستاني: الملل ٦٧/١ - ٨١، ابن نباتة: سرح العيون ص ١٥٣ - ١٥٧. ابن المرتضى طبقات المعتزلة ص ٤٩ - ٥٢. ابن تغري: النجوم الزاهرة ٢/٢٣٤. بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/١٩٨ - ٢٧٩.

(٣). كانت في السنة السابعة للهجرة. انظر الشرح ٦/٣١٩ - ٣٢٠. ابن سعد: الطبقات ٢/١٣١. البخاري: الصحيح ٥/٦٨. الطبري: تاريخ ٣/٣٢. الحاكم: المستدرک ٣/٤٥. الشهرستاني: الملل ١/٢١٩.

(٤). في مرض الرسول ﷺ الشرح ١/١٥٩، ٦/٥٢، ١٧/١٨٢. ابن سعد: الطبقات: ٢/٢٤٩. يعقوبي: التاريخ ٢/١٠٣. ابو هلال العسكري: الاوائل ص ١٣٧.

(٥). ينسب إليه تأسيس الاعتزال. وكان الشغ بالراء ومع ذلك كان يلقي الخطب البليغة الخالية من الراء. وهو اول من قال بالمتزلة بين المتزلتين. انظر: ابن عطاء: الخطبة الخالية من الراء، نوادر المخطوطات ٢/١١٨ - ١٣٦. البلخي: باب ذكر المعتزلة ٦٤ - ٨. ابن النديم: الفهرست ص ١٠ (تراجم ملحقة بآخر الكتاب). البغدادي: الفرق ص ٧٠ - ٧٢. الشهرستاني: الملل ١/٥٧ - ٦٢. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٢٨ - ٣٥. بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/٧٣ - ٩٦.

(٦). الناشء الاكبر: مسائل الامامة ص ٥١ - ٥٢. انظر الاشعري: مقالات الاسلاميين ٢/١٣٤.

وناقش المتكلمون من هو الافضل بعد الرسول ﷺ، قال ابن حزم: اختلف المتكلمون فيمن هو افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام، فذهب بعض السنة وبعض المعتزلة، وبعض المرجئة^(١)، وجميع الشيعة إلى ان افضل الامة بعد رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد روينا هذا القول نصاً عن بعض الصحابة (رضي الله عنهم) وعن جماعة من التابعين والفقهاء.

وذهبت الخوارج كلها وبعض اهل السنة، وبعض المعتزلة، وبعض المرجئة، إلى ان افضل الصحابة بعد الرسول ابو بكر ثم عمر. وروينا عن ابي هريرة ان افضل الناس بعد الرسول ﷺ جعفر ثم حمزة. وروينا عن نحو عشرين من الصحابة اكرم الناس على الرسول ﷺ علي والزبير^(٢).

ثم قال: «والذي نقول به، وندين الله تعالى به، ونقطع على انه الحق عند الله عز وجل: ان افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام نساء رسول الله ﷺ ثم ابو بكر»^(٣). حيث يرى ان افضل الناس بعد الرسول ﷺ هم الصحابة لان فضيلة الصحبة لها فضل عظيم، ولما كانت نساء النبي ﷺ، قد اشتركن في الصحبة، وزدن بفضيلة الامومة (امهات المؤمنين)، ثم كونهن زوجات الرسول ﷺ، وهذا يعني انهن معه في الدنيا والاخرة، لذا اصبحن هن الافضل^(٤).

واوضح البغدادي رؤية الاشاعرة الذين «قالوا بتفضيل ابي بكر وعمر على من بعدهما، وانما اختلفوا في التفاضل بين علي وعثمان رضي الله عنهما»^(٥).

ويوافقهم الزيدية. الشهرستاني: الملل ٢٠٨/١.

(١) هي فرقة كلامية ناقشت مسألة الايمان والعمل ويرى اصحابها انه مثلما لا ينفع مع الكفر طاعة لا يضر مع الايمان معصية. انظر: الملطي: التنبيه ص ٤٣ - ٤٧، ١٤٦ - ١٥٦، البغدادي:

الفرق بين الفرق ص ١٢٢ - ١٢٥، الشهرستاني: الملل ١٨١/١ - ١٩٥.

(٢) الفصل ١٨١/٤.

(٣) الفصل ١٨١/٤.

(٤) الفصل ١٨٣/٤.

(٥) الفرق بين الفرق ص ٢١١.

اما بالنسبة إلى المعتزلة فقد تعددت وجهة نظرها بتعدد مدارسها فمدرسة البصرة تنقسم لعدة اقسام:

القسم الاول: يرى افضلية الخلفاء الراشدين حسب تسلسلهم بالخلافة.

القسم الثاني: يرى افضلية ابي بكر ثم عمر ثم علي ثم عثمان (رض).

القسم الثالث: يرى افضلية ابي بكر ثم عمر ثم عبد الرحمن بن عوف ثم

عثمان (رض).

القسم الرابع: يتوقف في القول بالافضلية بين ابي بكر (رض) والامام

علي عليه السلام.

القسم الخامس: يرى افضلية الامام علي عليه السلام ثم ابي بكر ثم عمر ثم

عثمان (رض).

فبالنسبة إلى القسم الاول دليلهم «ان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدموه (ابو بكر)

في الامامة على سائر الناس. قالوا: ووجدنا المفضول لا يتولى على الفاضل الا

باحدى خصلتين: اما بأن يغلب المفضول الامة على امرها، ويتولى على الفاضل،

والناس لذلك كارهون، واما بأن يكون الذين يتولون اختيار الامام غير مناصحين

للامة ولا ناضرين ولا محتاطين في حسن الاختيار لامام يرعاها فينحرفون عن

الفاضل البارع إلى المفضول الناقص، وقالوا: كما وجدنا امامة ابي بكر قد زال عنها

هذان الامران وذلك انه لم يستكره الامة، ولم يغلبها على الامامة، ولو كان ذلك

لجاءت الاخبار به، وكان الذين عقدوا امامته خيار الخلق والحجة، وهم الذين

الرسول لآدابه، وباجتماع منهم عليه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ولم تكن امتي لتجتمع

على ضلالة^(١). علماً ان ابا بكر انما عقد المسلمون الامامة لانه افضلهم عندهم.

وقالوا مثل ذلك في عمر انه افضل الناس بعد بيعة ابي بكر، وان عثمان افضل

(١). اخرجہ ابو داود: السنن ٩٨/٤. ابن الطيب: المعتمد ٤٧١/٢، ٤٧٥-٦، ٤٨٠، ٤٨٣-٤.

٤٩١-٢، ٤٩٦، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥١٥. الشهرستاني: الملل ٣٧/٢.

الناس بعد عمر في الوقت الذي ولي إلى سنة ست من خلافته... واثبتوا امامة علي فقالوا: كان افضل الناس في الوقت الذي عقد له الخلافة...»^(١).

اما القسم الثاني فهو رأي واصل بن عطاء حيث قدم الامام علياً على عثمان بالافضلية لتوقف واصل في احداث الفتنة^(٢).

وانفرد ابو بكر الاصم في القسم الثالث باثباته افضلية عبد الرحمن بن عوف بعد ابي بكر وعمر، وتقديمه على عثمان (رض)، لانه يرى ان عبد الرحمن ازهد الناس، فيما لم يثبت أي امامة للامام علي عليه السلام وذلك «ان بيعته عن غير شوري، وان اكفائه ونظرائه في الفضل نازعوه وابوا ان يسلموه الامامة فحاربهم، قال: والامامة لا تعقد بالسيف، وانما تعقد لمن تمد اليه الاعناق طوعاً بعد النظر والتشاور ورضى الامة، واجتماع الكلمة. وصوب معاوية في حربه علياً ومنعه من الشام لان عمر ولي معاوية ثم اثبتته عثمان، وهما امامان. فلما قتل عثمان كان علي معاوية الا يسلم الشام الا إلى امام مفترض الطاعة. فاذا اراد ذلك الامام ان ياخذ الشام بالقوة وجب على معاوية محاربتة..»^(٣).

اما القسم الرابع فقد توقفوا في القول بالترفضيل بين ابي بكر وعمر (رض) وبين الامام علي عليه السلام، ومن هؤلاء ابي الهذيل العلاف^(٤) الذي يعد المؤسس الثاني لاعتزال بعد واصل، والذي وان توقف بين ابي بكر وعمر والامام علي، فانه يقطع

(١) الناشئ الاكبر: مسائل الامامة ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) الشرح ٨/١، القاضي: شرح الاصول الخمسة ص ٧٦٧. المغني ١١٤/٢/٢٠.

(٣) الناشئ الاكبر: مسائل الامامة ص ٥٩ - ٦٠.

(٤) هو محمد بن الهذيل العلاف (١٢٥ - ٢٣٥): لقب بالعلاف لان داره في العلافين بالبصرة.

انظر ترجمته: الخياط: الانتصار ص ١٥ - ٢١، ٥٦ - ٥٩، ٨٠ - ٨٣، ٩٠ - ٩٣، ١١٥ - ١١٧، ٢٠ - ٢١.

٢١. البسليخي: سباب ذكر المعتزلة ص ٦٩ - ٧٠. السلطي: التنبيه ص ٣٨ - ٣٩. القاضي: فضل

الاعتزال: ص ٢٥٤ - ٢٦٣. ابن النديم: الفهرست ص ١ - ٢ (تراجم العتقت في اخر الكتاب).

البغدادي: الفرق ص ٧٣ - ٧٩. الشهرستاني: الملل ٦٢/١ - ٦٧. ابن خلكان: وفيات ٢٦٥/٤ -

٧. اليافعي: مرآة الجنان ١١٦/٢. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٤٤ - ٤٩. ابن حجر: لسان

الميزان ٤١/٥، ٤١٤.

بتفضيل الامام علياً على عثمان^(١).

ومن الذاهبين إلى التوقف ايضاً - ابو هاشم عبد السلام بن ابي علي الجبائي^(٢) - (٢٤٧ - ٣٢١هـ) وهو من متأخري معتزلة البصرة، وقد عدّه القاضي في الطبقة التاسعة من طبقات المعتزلة.

كان يرى في التفضيل بأنه لو صح خبر الطائر^(٣) لوجب القطع بافضلية الامام علي عليه السلام ولكنه لما لم يصح، لذا لم يعلم فضل احدهما لان الاعمال لا تبني على فضل الانسان إذا لم يعلم المغيب من حالة، فإذا فقدنا الدلالة وجب التوقف^(٤).

ومن المتوقفين ايضاً ابو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري، كان حسن العبارة غزير المادة، وله تصانيف في اصول الفقه منها - المعتمد^(٥) - وهو

(١). الشرح ٨/١ ابن حجر: لسان الميزان ٤١٣/٥ - ٤١٤.

(٢). انظر ترجمته: المصطفى: التنبيه ص ٤٠. القاضي: فضل الاعتزال ص ٣٠٤ - ٨. الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص ٢٧٨ - ٩. ابن النديم: الفهرست ص ٢٤٧. البغدادي: الفرق بين الفرق ص ١١١ - ٩. الشهرستاني ٩٨/١ - ١٠٨. السمعاني: الانساب ١٨٧/٣ - ٨. ابن الاثير: اللباب ١٥٧/١. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٩٤ - ٩٦. المقرئ: الخطط ٣٤٨/٢. ابن حجر: لسان الميزان ١٦/٤.

(٣). اشارت كتب الحديث انه اهدي للنبي صلى الله عليه وآله طائر مشوي فقال: اللهم ائتني باحب الخلق اليك يأكل معي هذا الطائر فجاء علي بن ابي طالب عليه السلام. اخرج: الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ٢٢٠، ٢٣١ - ٢. الترمذي صحيح ١٢/١٧٠. البلاذري: انساب ١٤٢/٢. النسائي: خصائص ص ٥١ - ٥٢. ديوان الصاحب بن عباد ص ٣٥، ٤٤. ابن اخي تسبوك: مناقب علي بن ابي طالب ص ٤٣٥. الحاكم: المستدرک ١٤٢/٣ - ٣. الخطيب: تاريخ بغداد ١٧١/٣. ابن المغازلي: المناقب ص ١٥٦ - ١٧٥. الخوارزمي: المناقب ص ٥٩ - ٦٥. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٨ - ٣٩. محب الدين: الرياض النظرة ٢/٢١١ - ٢. الجويني: فرائد السمطين ١/٢٠٩ - ٢١٥. ٣٢٢. ابن تيمية: منهاج السنة ٣/١٣. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٥١ - ٤. وقال في نهاية حديثه عنه: «وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنقات مفردة منهم ابو بكر بن مردويه، والحافظ ابو طاهر محمد بن احمد بن حمدان، فيما رواه شيخنا ابو عبد الله الذهبي، ورأيت فيه مجلداً في جمع طرقة والقاظه لابي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب التاريخ، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سنداً ومنتناً للقاضي ابي بكر الباقلاني المتكلم. وبالجمله ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر، وان كثرت طرقة والله اعلم». البداية والنهاية ٧/٣٥٤.

(٤). القاضي: المغني ٢/٢٠ - ١١٩ - ١٢٠.

(٥). طبع بجزأين في دمشق ١٩٦٤.

٣٨ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

كتاب كبير، واصبح هذا الكتاب مع كتاب المستقصى للغزالي^(١) مصدراً لفخر الدين الرازي^(٢) في تأليفه لكتاب المحصول^(٣) وتوفي سنة ٤٣٦هـ^(٤).

اما القسم الخامس من معتزلة البصرة فهم الذاهبون لتفضيل الامام علي عليه السلام وسنشير اليهم فيما بعد^(٥).

اما بالنسبة لمعتزلة بغداد فقد اجمعت على القول بافضلية الامام علي عليه السلام على سائر الامة بعد الرسول ﷺ. ومن اشهر رجالها:

اولاً: بشر بن المعتز الهلالي^(٦) ت ٢١٠هـ: يعد مؤسس مدرسة بغداد المعتزلية. كانت ولادته ونشأته في الكوفة. ثم انتقل للبصرة لدراسة الاعتزال على يد رجال معتزلة البصرة، ثم ذهب لبغداد مؤسساً الاعتزال البغدادي، وقد تتلمذ على يديه كبار معتزلة بغداد كأحمد بن ابي دواد الذي كان له الدور الاكبر في مسألة المحنة^(٧).

كان بشر اول من قال بالتفضيل ومنه سرى القول إلى معتزلة بغداد وبعض

(١). كتاب في علم الاصول وقد طبع بجزاين في بيروت سنة ١٣٢٢.

(٢). ٥٤٤ - ٦٠٦هـ احد كبار المفسرين وصاحب مفاتيح الغيب. انظر ترجمته: ابن خلكان: وفيات ٢٤٨/٤ - ٥٢. الذهبي: العبر ١٤٢/٣. السبكي: طبقات الشافعية ٣٣/٥ - ٤٠. ابن كثير: البداية والنهاية ٥٥/١٣ - ٥٦.

(٣). كتاب في علم اصول الفقه. وقد طبع في جده سنة ١٣٩٩هـ انظر: صالحية: المعجم الشامل ٢١/٣.

(٤). الشرح ٩/١. الخطيب: تاريخ بغداد ١٠٠/٣. الحاكم: الطبقتان الحادية عشرة والثانية عشرة من كتاب سرح العيون، ص ٨٣٧. ابن خلكان: وفيات ٢٧١/٤ الصفدي: الوافي ١٢٥/٤. اليافعي: مرآة ٥٧/٤.

(٥). الشرح ٧/١ - ٨. وانظر رؤية الزيدية القائلين بافضلية الامام علي عليه السلام ايضاً: الجاحظ: استحقاق الامامة ص ١٨٤. الملطي: التنبيه ص ٣٤. صاحب بن عباد: نصره ص ٨٤ - ١٢٩.

(٦). انظر ترجمته: البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٧٢ - ٧٣. الملطي: التنبيه ص ٣٨. القاضي: فضل الاعتزال: ص ٢٦٥ - ٦. البغدادي: الفسوق ص ٩٤ - ٩٦. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٥٢ - ٥٤. المسقريري: الخسطط ٣٤٦/٢. ابن حجر: لسان الميزان ٣٢/٢. الداوودي: طبقات المفسرين ١١٧/١.

(٧). انظر تفاصيل المحنة: الراوي: ثورة العقل ص ٢٠٣ - ٢٣٨.

من معتزلة البصرة^(١).

يقول الناشيء الاكبر: «قال بشر بن المعتمر ومن قال بقوله: كان علي افضل بعد النبي ﷺ وكان ابو بكر يليه في الفضل. إلا ان قريشاً كانت اميل إلى ابي بكر منها إلى علي لان علياً كان قد وتر منها وقتلها في غزوات النبي ﷺ، فكره اصحاب محمد ان يولوا علياً فتختلف الكلمة. فولوا ابا بكر وكان دونه في الفضل غير ان تخلفه عنه لم يكن يقعد به عن ان يكون مضطجعاً بالامامة. قالوا: وكان ابو بكر في تلك الحال اصلح للامة على هذه العلة»^(٢).

وأضاف: «واحتجوا في ذلك ان علياً كان افضل الناس بعد النبي ﷺ بأن قالوا: انا وجدنا الفضل في الدين انما ينال بالعلم والعمل، فلما اعتبرنا علم اصحاب النبي ﷺ وعلمهم على ما تناهت به الاخبار اليينا عنهم وجدنا علياً ارجحهم علماً وافضلهم عملاً، وذلك انا اذا قلنا: من كان اقدم المسلمين اسلاماً؟ قالوا: علي. وقال قوم: ابو بكر. وقال قوم: زيد. وقال قوم: خباب. فقلنا لا اقل من ان نجعل علياً واحداً من هؤلاء. فلا نقضي له بانه اقدمهم اسلاماً، ولا عليه بان اسلامه متاخر عنهم. وان كانت الاخبار في ان علياً كان اقدمهم اسلاماً اشهر واكثر.

واذا قلنا من كان اعظم اصحاب رسول الله ﷺ جهاداً واقتلهم للاكفاء واشدهم بذلاً لمهجته في الحرب؟ فالقائلون: علياً والزبير وعمر وابو دجانة والبراء بن مالك، غير انهم قد اجمعوا ان لعلي من الاكفاء والاقران ما ليس لاحد منهم. فقلنا: لا اقل من ان نجعله رجلاً من هؤلاء ولا يحتسب بما له من الفضل عليهم وإذا قلنا من كان اعلم اصحاب رسول الله ﷺ؟ قال قوم: معاذ بن جبل وعمر وعبد الله بن مسعود وعلي. غير انهم اجمعوا ان علياً يُسأل ولا يسأل، فقلنا:

(١). الشرح ٢٨٨/٣ - ٢٨٩.

(٢). الناشيء الاكبر: مسائل الامامة ص ٥٦.

لا اقل من ان نجعله كأحدهم في العلم، ولا يحتسب بما جاء من الاخبار في فضله عليهم. وإذا قلنا: من كان ازهدهم في الدنيا؟ قال قوم: ابو ذر او عمر وسلمان او ابو الدرداء او علي، غير انهم اجمعوا: ان علياً ملك رقاب العرب والعجم وبيوت الاموال، فكان إذا اتى المال قسمه في الناس، ولا يدخر شيئاً منه، ثم يكنس بيت المال، ويرشه، ويقول: يا صفراء، ويا بيضاء^(١) غري غيري^(٢). وكان يقول إذا قسم الاموال بين الناس:

هذا جنائي وخياره فيه اذ كل جانٍ يده إلى فيه^(٣)

فقلنا: لا اقل من ان يكون علي كأحدهم. قالوا: فلما راينا علياً شارك كل ذي فضل من اصحاب رسول الله ﷺ، وبان هو بفضائل لم يشركوه فيها علمنا انه افضل الناس بعد النبي ﷺ. فوجب علينا ان نفضله على سائر اصحاب النبي ﷺ^(٤).

ويؤكد بشر ان الامام علي عليه السلام اشجع واسخى الصحابة لذلك استحق التفضيل^(٥).

وكان بشر بن المعتمر قد الف كتاباً في الرد على ابي بكر الاصم، حيث

(١). الصفراء (الذهب) أي الدنانير، والبيضاء (الفضة) أي الدراهم.
(٢). ابن قتيبة: عيون الاخبار ٥٣/١. الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٤٨٠. البلوي: ألف باء ٢٢٣/١. الثعالبي: التمثيل والمحاضرة ص ٣٠. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٣١٤/١ - ٥. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١١٠.
(٣). انشده عمرو بن عدي الذي كان يخرج مع خدم خاله الملك جذيمة الابرش، لاجتناء الكمأة، فكان الآخرون إذا وجدوا كمأة جيدة اكلوها، اما هو فلا، وحين يعود يردد هذا البيت. انظر: ابن قتيبة: عيون الاخبار ٥٣/١. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣١٢/٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١١٤/٣. الميداني: مجمع الامثال ٣٩٧/٢. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٣١٤/١.
(٤). الناشئ، الاكبر: مسائل الامامة ص ٥٦ - ٥٧. وانظر الجاحظ: رسالة استحقاق الامامة ص ١٧٩ - ١٨١.
(٥). الشرح ٢٨٨/٣ - ٢٨٩.

يخطيء الاخير الامام علياً عليه السلام. ولا يرى له امامة اصلاً^(١).

ثانياً: ابو موسى عيسى بن صبيح ت ٢٢٦هـ^(٢). اخذ الاعتزال عن استاذه بشر بن المعتمر، حتى ان ارائه تحاكي اراء استاذه، وتولى رئاسة معتزلة بغداد بعد وفاته، وقد تخرج على يديه الجيل التالي من كبار معتزلة بغداد كجعفر بن حرب^(٣) وجعفر بن مبشر، وقد انتشر الاعتزال البغدادي في ايامه بكثرة، وكان ابو موسى يتميز بالورع والزهد حتى سمي -الناسك- وعرف «براهب المعتزلة» وكان على نسق معتزلة بغداد في القول بافضلية الامام علي عليه السلام^(٤).

ثالثاً: جعفر بن مبشر بن احمد بن محمد الثقفي ت ٢٣٤هـ^(٥) كان تلميذ ابي موسى مع زميله جعفر بن حرب حتى عرفا بالجعفرين، وكان يرتزق ببيع القصب لذا كعرف بالقصبي، عاش عيشة زهد كاكثر معتزلة بغداد، وكان ممن القائلين بافضلية الامام علي عليه السلام^(٦).

رابعاً: ابو جعفر الاسكافي^(٧) ت ٢٤٠هـ: هو محمد بن عبدالله، عدده القاضي

(١). الراوي: ثورة العقل ص ١٠٦.

(٢). انظر ترجمته: الخياط: الانتصار ص ٥٣ - ٦ - ٥٩، ٧٣ - ٤. البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٧٤. الملطي: التنبيه ص ٣٨. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٧٧ - ٩. البغدادي: الفرق ص ١٠٠ - ١. الشهرستاني: الملل ٨٨/١ - ٨٩. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة: ص ٧٠ - ٧١. المقرئ: الخطط ٣٤٦/٢. ابن حجر: لسان الميزان ٣٩٨/٤.

(٣). انظر ترجمته: البغدادي: الفرق ص ١٠١ - ١٠٢. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧٣ - ٧٦. ابن حجر: لسان الميزان ١٦٣/٢.

(٤). الشرح ٧/١.

(٥). انظر: الخياط: الانتصار ص ٦٣ - ٤ - ٦٧، ٦٨ - ٧٣، ٧٤. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٨٣.

(٦). البغدادي: الفرق ص ١٠١ - ١٠٢. الخطيب: تاريخ بغداد ١٦٢/٧. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧٦ - ٧٧. ابن حجر: لسان الميزان ١٢١/٢.

(٦). الشرح ٧/١. وانظر الملطي: التنبيه ص ٣٤.

(٧). انظر ترجمته: الملطي: التنبيه ص ٣٤٢. الخياط: الانتصار ص ١٩، ٦٨ - ٩، ٧٤، ٧٦، ١٠٣. البغدادي: الفرق ص ١٠٢ - ١٠٣. السمعاني: الانساب ٢٣٤/١ - ٥. ابن الاثير: اللباب ٤٥/١. ابن المرتضى «طبقات المعتزلة» ص ٧٨. الراوي: ثورة العقل ص ١٥٥ - ١٦٧. المقرئ: الخطط ٣٤٦/٢. ابن حجر: لسان الميزان ٢٤١/٥. محمد السيد: ابو جعفر الاسكافي: ص ٧ وما بعدها.

في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة، درس علي يد جعفر بن حرب حتى بلغ مبلغاً من العلم في الاعتزال، وكان من اشهر معتزلة بغداد في الميل إلى تفضيل الامام علي عليه السلام حيث «يبالغ في ذلك، وكان علوي الرأي، محققاً منصفاً، قليل العصبية»^(١).

هذه الرؤية جاءت في كتابه «نقض العثمانية»^(٢) الذي وضعه رداً على كتاب «العثمانية» للجاحظ، وفيه اثبت الاسكافي افضلية الامام علي عليه السلام حيث كان «من المتحققين بموالاته علي عليه السلام، والمبالغين في تفضيله، وان كان القول بالتفضيل عاماً شائعاً في البغداديين من اصحابنا كافة، إلا ان ابا جعفر كان اشدهم في ذلك قولاً واخلصهم فيه اعتقاداً»^(٣).

والمقصود بالافضل عند الاسكافي «اكرمهم عند الله، واكثرهم ثواباً وارفعهم في دار الجزاء منزلة»^(٤).

والطريقة التي استخدمها الاسكافي في التوصل للافضل هي الموازنة في الاعمال بين الامام علي عليه السلام وغيره من الصحابة وقد وضع كتاباً باسم المعيار والموازنة^(٥).

قال القاضي: «فان شيخنا ابو عبد الله (الاسكافي) فانه يقطع على ان علياً عليه السلام افضل لاخبار يقطع بصحتها، ثم يذكر مع ذلك موازنة الاعمال، ويبين ان لفضائل امير المؤمنين مزية»^(٦).

(١). الشرح ١٣٢/١٧-١٣٣.

(٢). ورد هذا الكتاب في شرح نهج البلاغة، وقد نشر ملحق بكتاب العثمانية للجاحظ حيث اخذه المحقق من الشرح. انظر الجاحظ: العثمانية ص ٢٨١-٣٤٢. وقارن الشرح ٢١٥/٣-٢٩٥.

(٣). الشرح ٦٣/٤.

(٤). الشرح ١٢٠/١١.

(٥). القاضي: المغني ١١٢/٢/٢٠. ابو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة ٩٨/١. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٤.

(٦). القاضي: المغني ١٢٠/٢/٢٠.

ومن جملة الامور التي استدل بها الاسكافي على افضلية الامام علي عليه السلام^(١):

اولاً: حديث الطائر حيث اهدي للنبي صلى الله عليه وآله طائراً مشوياً فقال صلى الله عليه وآله: اللهم آتني باحب الخلق اليك ليأكل معي هذا الطائر. فجاء الامام علي عليه السلام .
وقد استدل الاسكافي على صحة هذا الحديث بطريقتين:

الاول: ان هذه الاخبار كانت مشهورة في الصحابة، ولم يختلفوا في قبولها مع وقوع الكلام في التفضيل ولم يقع من احدهم الرد والنكير، ولم يجروه مجرى اخبار الاحاد.

الثاني: ان الامام علي عليه السلام انشد اهل الشورى هذا الخبر مع سائر الفضائل فأقروا به. فدل على صحة الخبر.

ثم اوضح دلالة على ان الامام علي عليه السلام افضل فهو «لان المحبة إذا اضيفت إلى الله تعالى لم يحتمل إلا الفضل في باب الدين فهو مخالفة للمحبة التي تضاف إلى من يجوز خلاف ذلك عليه»^(٢).

ثانياً: حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٣).

(١). القاضي: المغني ١٢٢/٢/٢٠.

(٢). القاضي: المغني ١٢٢/٢/٢٠ - ١٢٥.

(٣). اخرجه: احمد: المسند ٣٤٧/٥، ٣٦٦. الجاحظ. رسائل الجاحظ السياسية ص ٢٢٠. البلاذري: انساب ١٠٨/٢ - ١١٢. ابن ماجه: الصحيح ٢٦/١. الترمذي: صحيح ١٦٥/١٢. النسائي: خصائص ص ٦٤. ابن عدي: العقد الفريد ٣١١/٤. الملطي: التنبيه ص ٢٥. الحاكم: المستدرک ١١٨/١١٦/١٠٩/٣ - ٩. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٠٩٩/٣. ابن المغازلي: مناقب علي بن ابي طالب ص ١٦ - ٢٧. البلوي: ألف بيا ٢٢٣/١. الخوارزمي: المناقب ص ٧٤، ٧٩. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٣١٣/١. النووي: تهذيب الاسماء ٣٤٧/١/١. محب الدين: الرياض ٢٢٢/٢ - ٥. ابن تيمية: منهاج السنة ١٣/٣. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣٥/٧، ٣٣٩، ٣٤٤ - ٣١٥. ابن حجر: الاصابة ٥٠٩/٢. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٩٦. وقد استعرض عبد الحسين الاميني هذا الحديث ومصادره التاريخية والادبية واثاره في كتاب اسماء الغدير في

قال الاسكافي: «وثبوته مثل ثبوت الخبر المتقدم بل اولى. وقد ثبت انه ^{عليه السلام} جمع الناس لاظهار هذا الامر فلا بد من ان يفيد فائدة تليق بالحال، ولا بد من ان يعرف بها، ما لم يكن معروفاً من قبل. وقد ثبت له انه لا يجوز ان يراد به الامامة على ما قاله بعضهم. وثبت انه لن يرد به استحقاق الولاء على ما روي من ان منافرة وقعت بين علي وزيد بن حارثة في ذلك... فكيف يحمل عليه وقد قال له عمر: اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن. وفي بعض الاخبار هنالك اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة. حتى روي عن جماعة من الانصار كأبي ايوب وغيرهم انهم عند ذلك سلموا عليه وقالوا له: يا مولانا وبطل ان يراد بذلك النص والموالاة، لان ذلك كان معروفاً لامير المؤمنين من قبل، فيجب حمله على ان المراد به انه يليه في الفضل وفضلهم عنده، لان ذلك ما يجوز ان يجمع له الناس لما فيه من التشريف العظيم الذي يبين به من غيره»^(١).

ثالثاً: قوله ^{عليه السلام} لعلي: «انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي»^(٢) قال الاسكافي: «اما أريد به في باب الامامة، وقد علمنا خلافه او في

احد عشر جزءاً.

- (١). القاضي: المغني ١٢٥/٢/٢٠ - ١٢٦.
- (٢). اخرجيه: ابن حنبل: المسند ١٧٣/١، ٣٦٨/٤. رسائل الجاحظ السياسية ص ٢٢٠، ٢٣٤ - ٩ البخاري: الصحيح ٩٠/٥. البلاذري: انساب ٩٦/٢. ابن ماجه: صحيح ٢٥/١ - ٢٧. الترمذي: صحيح ١٧١/١٢، ١٧٥. النسائي: خصائص ص ٤٨ - ٥٠. البيهقي: المحاسن والمساوي، ص ٤٤. ابن عدي: العقد الفرزدق ٣١١/٤. الملقط: التنبيه ص ٢٥. الطبراني: المعجم الكبير ٧٨/١٢. الحاكم: المستدرک ١١٧/٣، ١٤٤. ابن حزم: الفصل ٢٢/١٥٩/٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٠٩٧/٣ - ٨. المغازلي: مناقب ص ٢٧ - ٣٧. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٨ - ٢٠، ٢٣. النووي: تهذيب الاسماء ٣٤٦/١/١. الخوارزمي: المناقب ص ١٩، ٥٩. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٧٣. الرياض ٢١٤/٢ - ٦. الجويني: فرائد السمطين ص ١١٦، ١٢٢، ١٢٦، ٣١٧، ٣٢٩. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣٥/٧، ٣٣٩ - ٣٤٢. الهيثمي: مجمع الزوائد ١٢٠/٩. ابن حجر: الاصابة ٥٠٩/٢. تهذيب التهذيب ٣٣٧/٧. لسان الميزان ٣٢٥/٢. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٨. الهيثمي: الصواعق ص ١١٨ - ٩. تجدر الاشارة إلى ان هناك حديثاً مشابهاً مضمونه «ابو بكر مني بمنزلة هارون من موسى». ولقد اعتبره الذهبي موضوعاً.

باب انه خلفه على قومه على ما روي في غزاة تبوك عند كلام المنافقين وانه اراد ان يزيل الشبهة في ان يبين انه خلفه على امر هو اعظم أثراً من اخراجه معه في الجهاد، او يراد بذلك في باب المؤازرة والمعاونة على ما كلف وحمل، أو يراد بذلك ان يليه في الفضل وإذا بطل باب الامامة وجب في ماعداه ان يكون الكل مراداً بالكلام إذ كان يحتمله، لأن جميع ذلك يدخل تحت المنازل»^(١).

رابعاً: حديث المؤاخاة: أخى الرسول بين الصحابة بعد الهجرة وقال لعلي: «انت أخي»^(٢).

هذا الدليل عدة القاضي من اقوى الادلة التي استدل بها القائلون بأفضلية الامام علي عليه السلام، ومنهم الاسكافي^(٣).

خامساً: ما ورد في القرآن الكريم من آيات تشمل الامام علي كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٤). وآية المباهلة^(٥)، وقوله تعالى ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٦).

انظر ميزان الاعتدال ١٢٢/٣.

(١). القاضي المغني ١٢٦/٢/٢٠.

(٢). الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ٢٢٠. الترمذي: صحيح ١٧٠/١٢. ابن حبيب: المحبر ص ٧٠. الحاكم: المستدرک: ١٥/٣ - ٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٠٩٨/٣ - ٩. ابن المغازلي: مناقب ص ٣٧ - ٩. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٣١٢/١. النووي: تهذيب الاسماء ٣٤٨/١/١. محب الدين: الرياض ٢٢٠/٢. الجويني: فراتد السمطين ص ١١٦ - ٢١. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣٦/٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٦، ١٧٠. المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٦ - ٧. الهيتمي: الصواعق ص ١٢٠.

(٣). القاضي: المغني ١٢٦/٢/٢٠ - ١٢٧.

(٤). سورة الاحزاب: الآية ٣٣. وانظر: الترمذي: صحيح ٢٠٠/١٢. النسائي: خصائص ص ٤٩. الطبري: جامع البيان ٥/٢٢ - ٨. البيهقي: الميجاسن ص ٨٧. الحاكم: المستدرک ١٥٨/٣ - ١٦٠. الواحدي: اسباب النزول ص ٢٢٩ - ٤٠. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠٠/٣. ابن المغازلي: المناقب ص ٣٠١ - ٧. الخوارزمي: المناقب ص ٢٣، ٧٣. الرمخشري: الكشف ٣٦٩/١. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٧، ٢٣٣. ابن تيمية: منهاج السنة ١٢١/٢.

(٥). وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَكُ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاتَكُمْ وَنَسَائِنَا وَنَسَائِكُمْ وَانفُسَنَا وَانفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. سورة

اشار ابن ابي الحديد انه وقع بيده كتاب للاسكافي يذكر فيه عقيدته في التفضيل إذ يقول: «ثم وقع بيدي بعد ذلك كتاب لشيخنا ابي جعفر الاسكافي ذكر فيه ان مذهب بشر بن المعتمر، وابي موسى، وجعفر بن مبشر، وسائر قدماء البغداديين ان افضل المسلمين علي بن ابي طالب، ثم ابنه الحسن، ثم الحسين، ثم حمزة بن عبد المطلب ثم جعفر بن ابي طالب، ثم ابو بكر بن ابي قحافة، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان»^(٧).

سادساً: - ابو الحسين الخياط^(٨) ت ٣٠٠هـ. هو عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط، تولى زعامة معتزلة بغداد، وكان قد تصدى لاحد الخارجين على الاعتزال إلا وهو ابن الراوندي^(٩)، فالف ضده كتاب الانتصار. كان الخياط ممن يقول بتفضيل الامام علي عليه السلام إذ اثر عنه انه قال: «الاقتصاد في التشيع حق، وهو ديننا، وهو وضع علي بن ابي طالب حيث وضعه

آل عمران: الآية ٦١. الترمذي: صحيح ١٢٦/١١، ١٧٣. الطبري: جامع ٢٩٩/٤ - ٣٠١. البيهقي: المحاسن ص ٤٢. الحاكم: المستدرک ١٦٣/٣. الواحدي: اسباب النزول ص ٦٧ - ٦٨. ابن المغازلي: المناقب ص ٢٦٢. الزمخشري: الكشاف ٣٦٨/١ - ٩. النووي: تهذيب ٢٤٧/١/١. محب الدين: الرياض ٢٤٨/٢. ابن كثير: البداية ٣٤٠/٧. ابن حجر: الاصابة ٥٠٩/٢. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٩. الهيثمي: الصواعق ص ١١٣، ١٤٣، ١٥٥. (٦) سورة الانسان: الآية ٨. الواحدي: اسباب النزول ص ٢٩٦. الزمخشري: ربيع الابرار ١٤٧/٢ - ١٤٨. الكشاف ٦٧٠/٤. الخوارزمي: المناقب ص ١٩٢. محب الدين: الرياض ٢٧٤/٢، ٣٠٢. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٥٩/٧. (٧) الشرح ١١٩/١١.

(٨) انظر ترجمته: القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٩٦ - ٧. البغدادي: الفرق ص ١٠٧ - ١٠٨. الشهرستاني: الملل والنحل ٩٧/١ - ٩٨. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٥ - ٨٨. ابن حجر: لسان الميزان ٨/٤ - ٩.

(٩) ابو الحسين احمد بن يحيى اسحق الراوندي، عد من الطبقة الثامنة للمعتزلة ثم خرج عليهم ولف كتاب فضيحة المعتزلة رد به على كتاب فضيلة المعتزلة للجاحظ، فرد عليه الخياط بكتاب الانتصار. الخياط: الانتصار ص ١١، ٧٨. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٩٢. الخوانساري: روضات الجنات ١٩٣/١ - ٥.

الله»^(١).

ولما سئل عن افضل الصحابة قال: «امير المؤمنين علي بن ابي طالب، لان الخصال التي فضل الناس بها متفرقة في الناس وهي مجتمعة فيه، وعد الفضائل فليل: فما منع الناس من العقد له بالامامة؟ فقال: هذا باب لا علم لي به إلا بما فعل الناس وتسليمه الامر على ما امضاه عليه الصحابة لأنني لما وجدت الناس قد عملوا ولم اره انكر ذلك ولا خالف علمت صحة ما فعلوا»^(٢).

وعقب باحث معاصر على موقف الخياط هذا قائلاً: (وفي ظل هذا التفسير يسقط الخياط كل الدعوات المتطرفة التي حاول اصحابها خلق ثغرة مذهبية ضيقة في صفوف المسلمين او احداث الانشقاق داخل المجتمع العربي الاسلامي تحت ستار من الشعارات المحرصة.. وبهذا التفسير ايضاً يثبت ابو الحسين عقلاية الاتجاه الثوري وحيويته الذي يتجه بحركته الواعية إلى ما هو موجود وإلى ما ينبغي ان يكون بدراية نقدية تلتقط وتبوب، تحلل وتركب وتستخلص نتائج تجربتها الفكرية داخل التاريخ وفي عمق حركته، لتنتفي فيما بعد كل الاتجاهات المذهبية والعنصرية المريضة، التي لم تستطع ان تنفذ إلى الحياة الاجتماعية فعاشت متطفلة على محيطها)^(٣).

سابعاً: ابو القاسم الكعبي ت ٥٣١٩ هـ^(٤): عبد الله بن احمد بن محمود البلخي،

(١). الانتصار: ص ١١٢.

(٢). ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٦.

(٣). الراوي: ثورة العقل ص ١٨٠ - ١٨١.

(٤). انظر ترجمته: الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص ٢٧١. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٩٧. البغدادي: الفرق ص ١٠٨ - ١٠. الخطيب: تاريخ بغداد ٣٨٤/٩، ابن الجوزي: المنتظم ٢٣٨/٦، ابن خلكان، وفيات الاعيان ٤٥/٣. الذهبي: العبر ٤/٢، ابن كثير: البداية ١٦٤/١١، المقرئ: الخطط ٣٤٨/٢، ابن قطلوبغا: تاج المتراجم ص ٣١. ابن حجر: لسان الميزان ٢٥٥/٣ - ٦. القرشي: الجواهر المضية ٢٧١/١، المشهداني: فلسفة ابو القاسم الكعبي: رسالة دكتوراه غير منشورة.

ولد في بلخ ثم انتقل إلى بغداد ودرس على يد الخياط حتى أصبح من المتحمسين لاراء معتزلة بغداد والمدافعين عنها وكان له دور في اسلام كثير من اهل خراسان. يرى الكعبي ان مسألة وجوب نصب الامام عقلية وليست سمعية أي حتى لو لم ينص على نصب امام فانه يجب على المسلمين ان ينصبوا اماماً لأن مصلحة المسلمين الدينية تقتضي ذلك^(١).

اما في التفضيل فيذهب إلى ان الامام علياً عليه السلام (لوانزع عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله)، وسل سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين اظهر نفسه، ولكنه مالك الامر وصاحب الخلافة إذا طلبها، وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا امسك عنها وجب علينا القول: بعدالة من اغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وآله، لانه قد ثبت عنه في الاخبار الصحيحة انه قال: علي مع الحق، والحق مع علي يدور حيثما داره^(٢)، وقال غير مرة: حربك حربي، وسلمك سلمي^(٣)^(٤).

ان القول بالتفضيل لدى معتزلة بغداد نجده قد سرى فيما بعد إلى متأخري معتزلة البصرة فممن قال بالتفضيل منهم:-

اولاً: ابو علي الجبائي (٢٣٥ - ٣٠٣هـ)^(٥) محمد بن عبد الوهاب ولد في

- (١). القاضي: شرح الاصول الخمسة ص ٧٥٨ - ٩.
- (٢). اخرج الترمذي: صحيح ١٦٦/١٢. الحاكم: المستدرک ١١٩/٣، ١٢٤، ١٣٥. ابن الطيب: ٩٤٥/٢ - ٦. الخطيب: تاريخ بغداد ٣٢١/١٤. الخوارزمي: المناقب ص ٥٦ - ٥٧. الزمخشري: ربيع الابرار ٨٢٨/١. الجويني: فرائد السمطين ١٧٧/١. الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٣٦/٧.
- (٣). ابن حنبل: المسند ٤٤٢/٢. الطبراني: المعجم الكبير ٤٠/٣. الحاكم: المستدرک ١٦١/٣.
- (٤). الخطيب: تاريخ بغداد ١٣٧/٧. ابن المغازلي: مناقب ص ٦٣ - ٤. الخوارزمي: المناقب ص ٧٦ - ٩١. محب الدين: الرياض النظرة ٢٤٩/٢. ابن تيمية: منهاج السنة ٢٢١/٢. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٦/٨. ابن حجر: الصواعق ص ١٤٢.
- (٥). الشرح: ٢٩٦/٢ - ٢٩٧.
- (٥). انظر ترجمته: الملطي: التنبيه ص ٣٩ - ٤٠. ابن النديم: الفهرست ص ٦ (تراجع ملحقة ساخر الكتاب). الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص ٢٠٨ - ٩. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٨٧ - ٩٦.

جبا^(١)، ثم رحل إلى البصرة والتقى بابي يعقوب الشحام^(٢) الذي انتهت إليه رئاسة معتزلة البصرة، وبعد وفاة الشحام ترأس الجبائي معتزلة البصرة وبغداد، وقد عرفت بغزارة إنتاجه العلمي سواء في التفسير أو الفقه أو الكلام، وقد عدّه القاضي في الطبقة الثامنة من طبقات المعتزلة.

كان في البدء متوقفاً في تحديد الافضل وهذا يتضح مما جاء به القاضي^(٣) وان (كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به، وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته، وقال في كثير من تصانيفه: ان صح خبر الطائر فعلي افضل، ثم ان قاضي القضاة عليه السلام ذكر في شرح المقالات^(٤) لابي القاسم البلخي، ان ابا علي عليه السلام مات حتى قال بتفضيل علي عليه السلام وقال: انه نقل ذلك عنه سماعاً ولم يوجد في شيء من مصنفاته وقال ايضاً: ان ابا علي عليه السلام يوم مات استدنى ابنه ابا هاشم اليه، وكان قد ضعف عن رفع الصوت، فلقى إليه اشياء من جملتها القول بتفضيل علي عليه السلام)^(٥). وقال القاضي: ان البعض لجهلهم بابي علي الجبائي يرمونه بالنصب (وكيف وقد نقض كتاب عباد^(٦) في تفضيل ابن بكر ولم ينقض كتاب الاسكافي المسمى

البغدادي: الفرق ص ١١٠ - ١. الشهرستاني: الملل والنحل ٩٨/١ - ١٠٨. السمعاني: الانساب ١٨٧/٣. ابن الاثير: اللباب: ٢٠٨/١. ابن خلكان: وفيات ٢٦٧/٤ - ٩. الصفدي: الوافي ٧٤/٤ - ٥. ابن كثير: البداية ١٢٥/١١. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٩٤ - ٦. المقرئ: الخطط ٣٤٨/٢. ابن حجر: لسان الميزان ٢٧١/٥.

(١). تقع جنوبي عربستان: ياقوت الحموي: معجم البلدان ٩٧/٢.
(٢). يوسف بن عبد الله احد معتزلة البصرة، توفي سنة ٢٦٧هـ، انظر الملطي: التنبيه ص ٣٩.
القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٨٠ - ١. البغدادي: الفرق ص ١٠٧. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧١ - ٧٢.

(٣). المغني ١١٤/٢/٢٠، ١١٧، ٨ - ١٢٥ - ١٣٣.
(٤). الفه سنة ٢٧٩هـ، وطرح فيه وجهة نظر الاعتزال، انظر ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٩، حاجي خليفة: كشف الظنون ١٧٨٢/٢.
(٥). الشرح: ٧/١ - ٨.

(٦). عباد بن سليمان من تلامذة هشام الفوطي، وله كتاب الابواب الذي نقضه ابو هاشم الجبائي وكتاب تفضيل ابو بكر ورد عليه الجبائي ايضاً. الملطي: التنبيه والرد ص ٣٩. ابن النديم:

المعيار والموازنة، في تفضيل علي علي أبي بكر^(١).

ثانياً: الشيخ المرشد ابو عبد الله الحسين بن علي البصري^(٢) ت ٣٦٧هـ: من فقهاء ومتكلمي مدرسة معتزلة البصرة وهو من تلامذة ابي هاشم الجبائي وعده القاضي في الطبقة العاشرة من طبقات المعتزلة، وكان يميل إلى الامام علي عليه السلام ميلاً عظيماً، وصنف كتاب التفضيل واحسن فيه غاية الاحسان^(٣).

قال ابن أبي الحديد: كان متحققاً بتفضيله ومبالغاً في ذلك، وصنف فيه كتاباً مفرداً^(٤).

ولما سئل: أتجد في النصوص ما يدل على تفضيل علي عليه السلام، بمعنى كثرة الثواب لا بمعنى كثرة مناقبه، فان ذلك امر مفروغ منه؟ فذكر حديث الطائر المشوي، إذ ان المحبة من الله ارادة الثواب، فقليل له: قد سبقك الشيخ ابو علي عليه السلام تعالى إلى هذا فهل تجد غير ذلك؟ فقال: نعم! قوله تعالى: ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾^(٥) فإذا كان اصل المحبة لمن ثبت كثبوت البنيان المرصوص فكل من زاد ثباته زادت المحبة له، ومعلوم ان علياً عليه السلام ما فر في زحف قط، وفر غيره في غير موطن^(٦).

الفهرست ص ٢٤٧، ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧٧ - ٧٨، ٨٤، ١٠١. ابن حجر: لسان الميزان ٢٢٩/٣ - ٢٣٠.

(١) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٤.

(٢) انظر ترجمته: ابن النديم: الفهرست ص ٢٤٨. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٢٥ - ٨. ابو حيان: الامتاع والمؤانسة ١٤٠/١. ابن الجوزي، المنتظم ١٠١/٧. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١٠٥ - ١٠٧. ابن حجر: لسان الميزان ٢٠٣/٢. اللكنوي: الفوائد البهية ص ٦٧. الداودي: طبقات المفسرين ١٥٩/١.

(٣) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١٠٧.

(٤) الشرح: ٨/١.

(٥) سورة الصف آية ٤.

(٦) الشرح: ٢٦٤/٣.

ثالثاً: قاضي القضاة ابو الحسن عبد الجبار بن احمد الهمداني^(١) ت ٤١٥ هـ «وهو الذي فتح علم الكلام، وتكلم في دقيقة وجليلة، وإليه انتهت رئاسة المعتزلة وصار المعتمد على كتبه ومسائله»^(٢).

ومن خلال ما جاء في كتاب المغني يتضح أنه كان متوقفاً^(٣) ويقول مانكديم تلميذ القاضي (وقد كان قاضي القضاة يتوقف في الافضل من هؤلاء الاربعة كالشيخين إلى ان شرح هذا الكتاب (شرح الاصول الخمسة) فقطع على ان افضل الصحابة امير المؤمنين علي عليه السلام)^(٤).

وقال ابن ابي الحديد: (ذكر ابن متويه في كتاب الكفاية^(٥) في علم الكلام أنه كان من المتوقفين بين علي عليه السلام وابي بكر ثم قطع على تفضيل علي عليه السلام بكامل المنزلة)^(٦).

رابعاً: ابن متويه: ابو محمد الحسن بن احمد بن متويه^(٧) ت ٤٦٩ هـ من معتزلة البصرة تتلمذ على يد القاضي عبد الجبار وله عدة مؤلفات في الكلام اكد في كتابه الكفاية على تفضيل الامام علي عليه السلام (واحتج لذلك واطال في

(١). انظر ترجمته: الجشمي: الطبقتان الحادية عشرة والثانية عشرة من كتاب سرح العيون ص ٣٦٥ - ٧٥. الذهبي: العبر ٢/٢٢٩. اليافعي: مرآة الجنان ٣/٢٩. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١١٢ - ١١٣. ابن حجر: لسان الميزان ٣/٣٨٦ - ٧. الداوودي: طبقات المفسرين ١/٢٦٢ - ٣. بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/٣٨٠ - ٤٨٤. عثمان: قاضي القضاة عبد الجبار بن احمد الهمداني ص ١١، وما بعدها. الراوي: القاضي عبد الجبار ص ٢٨ - ٦٠. البطاط: قاضي القضاة ص ١٢ - ١٧٦.

(٢). ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١١٢ - ١١٣.

(٣). المغني: ٢/٢٠ - ١٤٤.

(٤). شرح الاصول الخمسة ص ٧٦٧.

(٥). من الكتب المفقودة حيث لم يشر له حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/١٤٩٦ - ١٥٠٢. ولا صالحية: المعجم الشامل ٥/٢٤.

(٦). الشرح: ٨/١.

(٧). انظر ترجمته: الجشمي: الطبقتان ص ٣٨٩. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١١٩، صبحي: في علم الكلام ١/٢٧٢.

(الاحتجاج)^(١).

وبعد هذا الاستعراض نأتي لتوضيح رؤية ابن ابي الحديد والذي نجده يقرّر ان اعتقاده كاعتقاد سائر معتزلة بغداد في اثبات افضلية الامام علي عليه السلام ويقول: (وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الافضل؟ وهل المراد به الاكثر ثواباً ام الاجمع لمزايا الفضل والخصال الحميدة؟ وبيننا أنه عليه السلام افضل على التفسيرين معاً)^(٢).

والملاحظ ان ابن ابي الحديد افتتح شرحه لنهج البلاغة بالحديث عن القول في التفضيل^(٣)، واخذ يؤكد على هذه المسألة في ثنايا كتابه كلما سنحت الفرصة محاولاً اثبات صحة ما يذهب إليه معتزلة بغداد في القول بالتفضيل وقد كان هذا الاجماع من معتزلة بغداد وكثير من معتزلة البصرة مثار اعجابه وسروره فعد ذلك اعدل المذاهب^(٤) حيث يقول: (فاعجبني هذا المذهب وسررت به بان ذهب الكثير من شيوخنا اليه، ونظمته في الارجوزة التي شرحت بها عقيدة المعتزلة فقلت): -

| | |
|---------------------------|-------------------------------------|
| وخير خلق الله بعد المصطفى | اعظمهم يوم الفخار شرفا |
| السيد المعظم الوصي | بعل البتول المرتضى علي |
| وابناه ثم حمزة وجعفر | ثم عتيق بعدهم لا ينكر |
| المخلص الصديق ثم عمر | فاروق دين الله ذلك القصور |
| وبعده عثمان ذو النورين | هذا هو الحق بغير مين ^(٥) |

لقد ارجع ابن ابي الحديد القول بافضلية الامام علي عليه السلام إلى مصدر التشريع، اذ يقول: (واقترضت حكمته.... ان قدم المفضول على الافضل لمصلحة

(١). الشرح: ٨/١.

(٢). الشرح: ٩/١.

(٣). الشرح: ٧/١ - ٩.

(٤). الشرح: ٢٩٧/٢.

(٥). الشرح: ١٢٠/١١.

اقتضاها التكليف^(١). وقال ايضاً: (وانه لولا ما يعلمه الله ورسوله من ان الاصلح للمكلفين تقديم المفضول عليه)^(٢).

لكنه من جانب اخر ارجع القول بالترفضيل إلى الصحابة إذ لما نظر الصحابة لمصلحة الاسلام، وخافوا فتنة لا تقتصر على ذهاب الخلافة فقط، بل وتقضي إلى ذهاب الملة والنبوة، عدلوا عن الافضل الاشرف الاحق لآخر فاضل دونه فعدوا له بالخلافة^(٣)، ولما ادرك الامام المصلحة في ذلك ترك حقه لغيره^(٤).

واكد ابن ابي الحديد ان القول بتفضيل الامام علي عليه السلام كان معروفاً لدى البعض من كبار الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمار بن ياسر والمقداد^(٥) وابو ذر الغفاري وسلمان المحمدي وجابر بن عبد الله الانصاري^(٦) وابي بن كعب^(٧) وحذيفة بن اليمان^(٨) وبريده بن الحصيب الاسلمي^(٩) وابو ايوب الانصاري^(١٠).

(١). الشرح: ٣/١.

(٢). الشرح: ٢٩٦/٢.

(٣). الشرح: ١٥٧/١، ١١١/١١.

(٤). الشرح: ١٤٠/١، ٢٩٥/٢ - ٢٩٦.

(٥). هو المقداد بن عمرو الكندي، هاجر متخفياً بعد الهجرة ونال حضوره لدى الرسول ﷺ توفي سنة ٣٣هـ. الطبري: المنتخب ص ٥٠٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٤٨٠/٤ - ٢.

(٦). لم يشهد بدر لانه صغيراً وشهد سائر المشاهد واشترك في صفين مع الامام علي عليه السلام توفي سنة ٧٤هـ. الطبري: المنتخب ص ٥٢٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ٢٢٠/١. الكشي: رجال ص ٤٢ - ٤٥.

(٧). انصاري شهد العقبة الثانية وهو من قراء الصحابة مات في خلافة عمر او عثمان (رض) ابن سعد: الطبقات ٣٤٠/٢ - ١. مسلم: الصحيح ١٩/١٦. الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ١٢. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠ - ٤١. ابن عبد البر: الاستيعاب ٦٥/١ - ٧. الذهبي: معرفة القراء الكبار ٣٢/١.

(٨). كان يسمى صاحب سر المنافقين، وهو احد الانصار مات سنة ٣٦هـ. الطبري: المنتخب ص ٥٧٣. الحاكم: المستدرک ٤٢٧/٣ - ٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣٣٤/١ - ٥. الكشي: رجال ص ٢٧ - ٨.

(٩). انصاري شهد الحديبية وبيعة الرضوان مات ايام يزيد بن معاوية بمرو، ابن عبد البر: الاستيعاب ١٨٥/١ - ١٨٦.

(١٠). خالد بن يزيد انصاري شهد سائر مشاهد الرسول ﷺ وصفين والنهروان مع الامام

وسهل بن حنيف^(١).

وعثمان بن حنيف^(٢) وابو الهيثم بن التيهان^(٣) وخزيمة بن ثابت^(٤) وابو الطفيل عامر بن وائلة^(٥) والعباس بن عبد المطلب وبنوه وبنو هاشم كافة، وبنو المطلب كافة بل حتى الزبير بن العوام كان اولاً من القائلين بالتفضيل ثم رجع عنه، وكان من الاسرة الاموية من يقول بالتفضيل مثل خالد بن سعيد بن العاص^(٦) وعمر بن عبد العزيز^(٧).

اما من التابعين فمن قال بافضلية الامام علي عليه السلام ذكر ابن ابي الحديد منهم، اويسا القرني^(٨) وزيدا بن صوحان^(٩) واخاه صعصعة بن صوحان^(١٠) وجندب

علي عليه السلام ومات علي حدود بيزنطة ايام معاوية. الطبري: المنتخب ص ٥١٥. البيهقي: المحاسن والمساويء ص ١٣٦ - ١٣٧. الحاكم: المستدرک ٥١٨/٣ - ٥٢٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٦٦/٤ - ٧.

(١). انصاري من الاوس شهد مشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم واستخلفه الامام علي على المدينة ايام خلافته توفي سنة ٢٨هـ بالكوفة. رسائل الجاحظ السياسية: ص ٢٤٠. الطبري: المنتخب ص ٥١٢. الحاكم: المستدرک ٤٦١/٣ - ٤٦٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٦٢/٢ - ١٦٣.

(٢). اخو سهل بن حنيف تولى مهمة مسح السواد للخليفة عمر بن الخطاب (رض) وتولى البصرة للامام علي عليه السلام. الطبري: المنتخب: ص ٥٣٥. الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ١٥٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٠٣٣/٣.

(٣). مالك بن التيهان انصاري من الاوس احد النقباء ليلة العقبة وممن شهد بدر وشهد صفين مع الامام علي عليه السلام وقتل فيها، الحاكم: المستدرک ٣٢٣/٣ - ٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٧٧٣/٤. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٤٦٢/١ - ٣.

(٤). انصاري عرف بذى الشهادتين شهد مشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقتل بصفين مع الامام علي عليه السلام، الشرح: ١٠٨/١٠ - ٩. الطبري: المنتخب ص ٥١١، ٥٧٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤٤٨/٢. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٧٠٢/١.

(٥). اسلم يوم احد وكان اخر من بقي من الصحابة ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم شهد مشاهد الامام علي عليه السلام، توفي سنة ١٠٠هـ: ابن عبد البر: الاستيعاب ١٦٩٦/٤ - ٧.

(٦). اسلم منذ بواكير الدعوة الاسلامية وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وولاه الرسول صلى الله عليه وسلم اليمن، وكان ممن دعا لبيعة الامام علي عليه السلام، الشرح: ٣١/٦ - ٣٣. رسائل الجاحظ السياسية، ص ٢٥٢ - ٣. الحاكم: المستدرک ٢٧٧/٣ - ٢٨٠.

(٧). الشرح: ٢٢٢/٢٠ - ٢٢٥.

(٨). اويس بن عامر تابعي شهد صفين مع الامام علي عليه السلام ويرجح البعض انه قتل فيها. ابن

الخير^(١١) وعبده السلماي^(١٢) وغيرهم^(١٣).

واضاف ابن ابي الحديد: (ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله ولم تكن مقالة الامامية... على هذا النحو من الاشتهار فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة، وجميع ما ورد من الآثار والاعخبار في فضل الشيعة وانهم موعودون بالجنة^(١٤))، فهو لاء هم المعنيون به دون غيرهم، ولذلك قال اصحابنا المعتزلة في كتبهم وتصانيفهم: نحن الشيعة حقاً، فهذا القول هو اقرب إلى السلامة واشبه بالحق من القولين المقتسمين طرفي الافراط والتفريط ان شاء الله^(١٥).

ان المعتزلة بقولها بالتفضيل لا على اساس النص كما تعتقد الامامية وإنما على اساس افضلية الامام ذاته لكثرة فضائله ومناقبه^(١٦) ومع القول بافضلية الامام لكن المعتزلة تحكم بصحة خلافة المفضول، فكل من سبق الامام علي عليه السلام

سعد: الطبقات ١٣٢/٧. مسلم: الصحيح: ٩٤/١٦. الطبري: المنتخب ص ٦٢٧ - ٨. الحاكم: المستدرک ٤٥٥/٣ - ٤٦١. ابو نعيم: حلية الاولياء ٧٩/٢ - ٨٧. (٩). اسلم على عهد النبي ﷺ وشارك مع الامام علي عليه السلام في معركة الجمل وقتل فيها، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٤٣٩/٨ - ٤٤٠. ابن عبد البر: الاستيعاب ٥٥٥/٢ - ٧. الكشي: رجال ص ٦٣ - ٤.

(١٠). كان من سادات عبد القيس معروفاً بالفضل والدين والبلاغة، ويعد من اصحاب الامام علي عليه السلام حيث شارك معه في صفين، ثم نفاه المغيرة إلى البحرين في خلافة معاوية، ابن عبد البر: الاستيعاب ٧١٧/٢. الكشي: رجال ص ٦٤ - ٥. ابن حجر: الاصابة ٢٠٠/٢. المرصفي: رغبة الآمل ١٣٨/٧.

(١١). جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي له صحبة، اخذ عنه الحسن البصري وابن سيرين، ابن عبد البر: الاستيعاب ٢٥٦/٢ - ٧. ابن حجر: الاصابة ٢٤٨/١ - ٩.

(١٢). عبيده بن عمرو السلماي اسلم ايام النبي ﷺ وعده من اصحاب ابن مسعود الفقهاء، ومن اصحاب الامام علي عليه السلام ابن عبد البر: الاستيعاب ١٠٢٣/٣.

(١٣). الشرح: ٢٢٦/٢٠.

(١٤). انظر مثلاً: سبط بن الجوزي: تذكرة ص ٥٤.

(١٥). الشرح: ٢٢٦/٢٠، وانظر الملطي: التنبيه ص ٣٥.

(١٦). الشرح: ١٥٧/١، ٣٠٥/٩، ٣٠٧، ٢٥٤/١٠.

بالخلافة فخلافته صحيحة بلحاظ موقف الامام علي عليه السلام فلو نازع الامام علي عليه السلام لحكم بتفسيق المنازع له ما لم يتب فإذا ثبت توبته يحكم المعتزلة له بالجنة، وإذا لم تثبت يحكمون له بالنار^(١).

وفي الفصول التالية نستعرض الرؤية الاعتزالية في تفضيل الامام علي عليه السلام باسهاب.

(١). الشرح: ١/١٥٧، ٢/٢٩٦-٧، ٩/٣٢٨، ١٠/٢٥٥، ٢٠/٢٢١-٢٢٢.

الفصل الأول

عراقة النسب

كان امير المؤمنين عليه السلام في مصاص الشرف ومعدنه ومعانيه لا يشك عدو ولا صديق انه اشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١). فهو ابو الحسن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ^(٢)، ينتمي إلى قبيلة قريش ^(٣) اصرح القبائل العربية، والتي نزل القرآن بلهجتها ^(٤)، وهو من اعرق بطونها واشرفها - بني هاشم ^(٥).
ولهاشم ^(٦) بن عبد مناف تاريخ معروف وحافل بالامجاد كان اسمه اولاً

(١). ابن ابي الحديد: الشرح ٥١/١.

(٢). لا يكاد يخلو مصدر من مصادرنا الاولية ايا كان نوعها من اشارة إلى سيرة الامام علي عليه السلام إلا ما ندر لذا لا نجد مسوغاً للاشارة لمصادر ترجمته ومن اراد فعله بهذه الاطروحة التي حاولنا الالمام قدر الامكان بعدد من مصادر ترجمته.

(٣). عن قبيلة قريش انظر: الجميلي: قبيلة قريش ص ٥ وما بعدها.

(٤). ابن خلدون: المقدمة ص ١٠٤١. هاشم يحيى الملاح: الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٣٠٤.

(٥). ان اعداد رسالة جامعية اكااديمية حول قبيلة بني هاشم سيعطي صورة اوضح ليس على نطاق مكة فحسب بل مجمل الجزيرة العربية، والعالم القديم يومذاك لذا يلفت الباحث نظر الباحثين الكرام لمثل هكذا دراسات.

(٦). وقد عقد ابن ابي الحديد فصلاً اوضح فيه افضلية بني هاشم قبل الاسلام وبعده. ميرزاً اهم الانجازات التي تحققت على يد رجالاتهم. الشرح ١٩٨/١٥ - ٢٩٥. وانظر: الجاحظ: رسالة فضل هاشم علي عبد شمس ضمن رسائل الجاحظ السياسية ص ٤٠٧ - ٦٠. وكذلك رسالة الاوطان والبلدان ص ١٠٦ - ١١٠.

عمرأ، ولقب بالقمر لجمالة، ولما اصابت قريش ضائقة اقتصادية اخذ يهشم لهم الخبز ثريداً فلقب بهاشم وغلب هذا اللقب عليه ومن اشهر اعماله (الايلاف) حيث كان هاشم كثير السفر والتجارة، ففي الشتاء يتجه إلى اليمن وفي الصيف إلى بلاد الشام، وشاركة في تجارته زعماء القبائل العربية، واخذ عهوداً من ملوك الاطراف، فكانت تجارته تدر الربح الوفير، بعد ان تمكن بوساطة هذه العهود من حماية تجارته من مخاطر الطريق، لذلك ازدهرت تجارة قريش حتى قال فيه الشاعر:

ان اخي هاشماً
ليس اخا واحد
الآخذ الايلاف و
القائم للقاعد

ولهذا فسر البعض قوله تعالى: ﴿وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١).. أي ان تجارتهم اصبحت آمنة من مخاوف الطريق^(٢).

وتولى هاشم الرئاسة والسقاية والرفادة^(٣) بعد ابيه من دون اخوته، فازدادت مكانة مكة في زمانه حيث كانت مورداً لجموع الحجاج من ارجاء الجزيرة العربية، لذا دعا هاشم اهل مكة بضرورة الاهتمام بموسم الحج من حيث توفير الامن والطعام والشراب، والظرف اللازم لتأدية مناسك الحج فكان لذلك اثره في ازدهار مكانة مكة في داخل الجزيرة العربية وخارجها^(٤).

ان توفير الطعام في بيئة فقيرة يعد من اكبر الفضائل التي يمدح صاحبها، وبسببها ينال الاحترام، والمؤاكلة تعد جواراً عند العرب، فاطعام قريش لقبائل

(١). سورة قريش: الآية ٤، انظر الزمخشري: الكشاف ٨٠١/٤.

(٢). الشرح ١٩٩/٥ - ٢٠٣. وانظر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق السندوبي ص ٦٨ - ٧١. الطبري: تاريخ ٢٥١/٢ - ٢. ابو هلال العسكري: الاوائل ص ٢١ - ٢٢.

(٣). الرفادة: توفير الطعام للحجيج، واول من اوجده قصي. انظر الطبري تاريخ ٢٦٠/٢.

(٤). الشرح ٢٠٩/١٥ - ٢١٣. وانظر اليعقوبي: تاريخ ٢١٢/١ - ٢١٤. الطبري: تاريخ ٤ - ٢٥٢/٢.

العرب يعني انها تنال احترام القبائل العربية لها وعقداً للجوار من هذه القبائل لذا أصبحت قريش آمنة عند سيرها في اراضيها^(١).

ومن مآثر هاشم بن عبد مناف أنه خلفه في الزعامة ولُد يحمل سيماء إلا وهو عبد المطلب، واسمه شيبه الحمد وسيد الوادي بلامدافع، اجمل الناس جمالاً، واطهرهم جوداً، واكملهم كمالاً، وهو صاحب الفيل، والطير الابابيل، وصاحب زمزم، وساقى الحجيج وقد اعطاه الله في زمانه واجرى على يديه، واطهر من كرامته ما لا يعرف إلا لنبي مرسل، وهذا ما نجده في كلامه لابرهه وتوعده اياه برب الكعبة وفعلاً تحقق وعيده بقتل اصحاب الفيل بالطير الابابيل والحجارة السجيل حتى تركوا كالعصف المأكول^(٢). وهذا من اعجب البراهين وأسنى الكرامات وقد يكون ذلك ارهاصاً للنبوة وتأسياً لما ارده الله من الكرامة وليجعل بهاء عبد المطلب متقدماً واشارة لنبوة النبي ﷺ حتى يكون اشهر في الافاق واجل في صدور الفراعنة والجبابرة والاكاسرة، وان يقهر المعاند ويكشف غباوة الجاهل^(٣).

يقول الجاحظ: (ولو عزلنا ما اكرمه الله به من النبوة حتى تقتصر على اخلاقه ومذاهبه وشيمه، لما وفي به بشر ولا عد له شيء، ولو شئنا ان نذكر ما اعطى الله به عبد المطلب من تفجر العيون وينايع الماء من تحت كل كل بعيره^(٤))، واخفافه

(١). الملاح: الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٣٨٢.

(٢). اشارة لما جاء في سورة الفيل.

(٣). الشرح ٢٠٠/١٥ - ٢٠١. وانظر الجاحظ: رسالة في فضل بني هاشم على بني عبد شمس، ص ٤١١ - ٤١٢. ابو الفرج: الاغانى ١٥/١، الشهرستاني: الملل والنحل ٢٢٣/٣ - ٤. واوضح السيوطي ان عبد المطلب كانت لديه دلائل على ان محمداً نبي مرسل: الخصائص الكبرى ٢٠١/١ - ٤.

(٤). اشارة لقصة زمزم ومنافرة قريش له. الشرح ٢١٥/١٥ - ٢١٧، ٢٢٨ - ٢٢٩. وانظر ابن اسحق: السير والمغازي ص ٢٥، ابن هشام: السيرة ١٥٢/١ - ١٥٣. الازرقى: اخبار مكة ٤٢/٢ - ٤٨. ابن حبيب: المنطق ص ٤١٣ - ٤١٦. اليعقوبي: التاريخ ٢١٦/١ - ٢٢٠.

بالارض القسي، وبما اعطى من المساهمة وعند المقارعة من الامور العجيبة^(١). ان اشهر ما وقع في عهد عبد المطلب هو ما عرف بحملة الفيل^(٢)، تلك الحملة التي قادها ابرهة الحبشي في محاولة منه لهدم الكعبة وصرف العرب عن الحج اليها، ودفعهم بالتالي إلى التوجه نحو كنيسة بناها في اليمن اسمها (القليس) في محاولة منه لنشر النصرانية.

وقد افادت المصادر ان مكانة عبد المطلب ازدادت لدى العرب بعد هذه الحملة، وفي ذلك دلالة على ان ما قام به عبد المطلب له اثر في فشل حملة ابرهة، فلا يصح ان يقال ان عبد المطلب دعا قريشا للذهاب إلى قمم الجبال حتى لا تصيبهم معرة الجيش، وانه اكتفى بالمطالبة بأبله التي أخذها جيش ابرهة، اما عن مصير الكعبة فاكتفى عبد المطلب بالقول: انا رب الابل، وللبيت رب يحميه^(٣).

ان هكذا موقفاً سلبياً لا يمكن ان يصدر من زعيم مكة ازاء الكعبة التي هي عماد حياة مكة على مختلف الاصعدة فمكة ما وجدت ولا قامت فيها الحياة إلا ببناء الكعبة المشرفة، ومكانة مكة السياسية والاقتصادية والدينية كلها متعلقة بالكعبة، إذاً فهل يمكن ان نتصور ان عبد المطلب يترك امر الكعبة بهكذا رؤية (ان للبيت رباً يحميه). وإذا كان هكذا فلماذا اعظمت العرب عبد المطلب بعد هذه الحملة؟!؟

والاصح هو ما اشار إليه اليعقوبي^(٤) بقوله: (لما قدم ابرهة ملك الحبشة

(١). الشرح ٢٠١/١٥ - ٢٠٢. وانظر الجاحظ: رسالة في فضل بني هاشم على بني عبد شمس، ص ٤١٢.

(٢). انظر: خالد العسلي: عام الفيل صورة من الصراع العربي الحبشي، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، بغداد، ع ٢٤، ١٩٨٢، ص ١٧١ - ٩٢.

(٣). انظر تفاصيل ذلك الازرقعي: اخبار مكة ١٤١/١ - ٧، ٤٢/٢ - ٤٩. الطبري: تاريخ ١٣٠/٢ - ١٣٩.

(٤). التاريخ ٢٢١/١ - ٢٢٢.

صاحب الفيل مكة ليهم الكعبة، فتهاربت قريش في رؤوس الجبال. فقال عبد المطلب: لو اجتمعنا فدفعنا هذا الجيش عن بيت الله. فقالت قريش: لا بد لنا به. فاقام عبد المطلب في الحرم وقال: لا ابرح من حرم الله ولا اعوذ بغير الله فاخذ اصحاب ابرهة ابلاً لعبد المطلب وصار عبدالمطلب إلى ابرهة فلما أستاذن عليه، قيل له: قد اتاك سيد العرب وعظيم قريش وشريف الناس. فلما دخل عليه اعظمه ابرهة وجل في قلبه لما رأى من جماله وكماله ونبله. فقال لترجمانه: قل له: سل ما بدا لك. فقال: اياً لي اخذها اصحابك فقال: لقد رأيتك فأجللتك واعظمتك وقد تراني حيث تهدم مكرمتك وشرفك فلم تسألني الانصراف، وتكلمني في ابلتك، فقال عبد المطلب: انا رب هذا الابل، ولهذا البيت الذي زعمت تريد هدمه رب يمنعك منه، فرد الابل وداخله ذعر لكلام عبد المطلب. فلما انصرف جمع ولده ومن معه ثم جاء إلى باب الكعبة فتعلق به وقال:

| | |
|-----------------------|---------------------|
| لا هم ان المرء يمنع | رحله فامنع رحالك |
| لا يغلبن صليهم | ومحالهم عدواً محالك |
| ولئن فعلت فانه | امر تتم به فعالك |
| ان كنت تاركهم وقبلتنا | فأمر ما بدا لك |

واقام بموضعه فلما كان من غد بعث ابنه عبد الله ليأتيه بالخبر، ودنا وقد اجتمعت إليه من قريش جماعة ليقاتلوا معه، ان امكنهم ذلك، فأتى عبد الله على فرس شقراء يركض، وقد جردت ركبته، فقال عبد المطلب: قد جاءكم عبد الله بشيرا ونذيراً والله ما رأيت ركبته قط قبل هذا اليوم فاخبرهم ما صنع الله باصحاب الفيل).

ان هذا النص يوضح لنا الواجب الذي كان على عبد المطلب ان يضطلع به لمواجهة اكبر خطر يواجهه مدينة مكة، ويتمثل ذلك بـ:-
اولاً: ثبات عبد المطلب بعد هروب قريش في الجبال حينما ادركت أنه لا

طاقة لها بحرب ابرهة فيما كان هو يدعوها للوقوف بوجهه.

ثانياً: مقابلة لابرهة تلك المقابلة التي كان لها اكبر الاثر في نفس ابرهة حيث يشير النص إلى ان ابرهة (داخلة ذعر لكلام عبد المطلب). وهذا بالتأكيد يوضح لنا حسن استخدام عبد المطلب للحرب النفسية.

ثالثاً: استخدام عبد المطلب لعبارة: (ان للبيت رباً يحميه). لا تعني تركه امر البيت وانما تلقي ضوءاً على ايمان عبد المطلب وتوكله على الله سبحانه وتعالى وكأنه يطبق قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(١)، فالملاحظ ان عبد المطلب بعد توكله على الله قام بالعمل الفعلي حيث جمع اولاده ومن معه ثم ساروا نحو الكعبة مرابطين عازمين على الدفاع عنها.

رابعاً: وضع عبد المطلب ما يسمى (بقوة الاستطلاع) لمعرفة اخبار العدو متمثلة بولده عبد الله واختياره لعبد الله قد يعطينا انطباعاً عن كون هذا الابن شخصية مهيأة لهكذا مواقف وهذا لا يعني ان عبد الله كان لوحده بل ربّما كان قائداً لقوة الاستطلاع.

خامساً: بعد ان علم الله صدق عزيمة عبد المطلب، انزل نصره وأهلك اعداءه وكان عبد المطلب قد اوفد ولده عبد الله، الذي عندما عاد إليه قال عنه: قد جاءكم عبد الله بشيراً او نذيراً. وفي هذا دلالة على ان عبد المطلب:

١. كان لديه اعتقاد بتدخل العناية الالهية.

٢. كان مدركاً لنوايا ابرهة ولذا فسر عودة عبد الله بهذا الشكل بأنه يريد انذارهم من تحريك ابرهة نحو الكعبة.

ونتيجة لهذا اصبح عبد المطلب سيد قريش، حيث اعطاه الله من الشرف ما لم يعط احد وسقاه زمزم، وحكمته قريش في اموالها، واطعم في المحل حتى اطعم

الطير والوحوش في الجبال. ورفض عبادة الاصنام^(١)، حتى اعتبره ابن ابي الحديد من المتألهين البعيدين عن القبائح^(٢).

وقد سن عبد المطلب سنناً نزل القرآن بأكثرها، واثبتتها السنة الشريفة، كالوفاء بالندر^(٣)، وجعل الدية مئة من الابل^(٤)، وحرمة زواج المحارم^(٥) وان لا تؤتي البيوت من ظهورها^(٦)، وقطع يد السارق^(٧)، والنهي عن قتل المؤودة^(٨)، والمباهلة^(٩)، وتحريم الخمر^(١٠)، والزنا وفرض الحد عليها^(١١)، والقرعة، ولا يطوف بالبيت عريان^(١٢)، واستضافة الضيف^(١٣)، وإلا ينفقوا إذا حجوا إلا من طيب اموالهم^(١٤)، وتعظيم الاشهر الحرام^(١٥)، ونفي ذوات الرايات^(١٦) ولذا عظمته قريش

(١). البيهقي: التاريخ ٩/٢.

(٢). الشرح ١٢٠/١.

(٣). ورد في الشريعة الاسلامية قوله تعالى: ﴿يوفون بالندر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾. سورة الانسان آية ٧.

(٤). دية الفرد المسلم في الشريعة الاسلامية مائة من الابل او الف رأس من الغنم او الف مثقال من الذهب. الشافعي: الأم ١١٢/٦.

(٥). قوله تعالى ﴿حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم...﴾. سورة النساء: الآية ٢٣.

(٦). قوله تعالى ﴿وليس البر بأن تؤتوا البيوت من ظهورها...﴾. سورة البقرة: الآية ١٨٩.

(٧). قوله تعالى ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما...﴾. سورة المائدة: الآية ٣٨.

(٨). قوله تعالى ﴿واذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت...﴾. سورة التكويد: الآية ٩.

(٩). قوله تعالى ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾. سورة آل عمران: الآية ٦١.

(١٠). قوله تعالى ﴿انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾. سورة المائدة: الآية ٩٠.

(١١). قوله تعالى ﴿والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة...﴾. سورة النور: الآية ٢.

(١٢). كان مما اوصى به الرسول ﷺ الامام علي عليه السلام ليقراء على الناس في الحج (إلا يطوف في البيت عريان) البخاري: الصحيح ١٢٣/٦ - ٤. الطبري: تاريخ ١٢٣/٣، ابن كثير: البداية والنهاية ٣٥٨/٧. القسطلاني: ارشاد الساري ٢٠٩/٣ - ١٠.

(١٣). قال ﷺ: ﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...﴾ مسلم: الصحيح ٢٠/٢. الترمذي: صحيح ١٤٥/٨.

(١٤). وهذا امر طبيعي في الشريعة الاسلامية.

وكانت تسمية ابراهيم الثاني وقالوا فيه: (ان كنت لعظيم البركة، لميمون الطائر مذ كنت) (١٧). ولقد عظمت قريش موته فغسل بالماء والسدر، ولف في حلتين من حلل اليمن قيمة الواحدة الف مثقال ذهب، وحمل على ايدي الرجال اياماً اعظماً واکراماً له من تعييبه تحت التراب (١٨).

وقد روي عن الرسول ﷺ انه قال: (ان الله يبعث جدي عبد المطلب امة واحدة في هيئة الانبياء وزي الملوك) (١٩).

وقد خلف عبد المطلب في الزعامة ولده ابو طالب الذي كان سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع فقره، ولذا قال الامام علي عليه السلام: (ابي ساد فقيراً وما ساد فقير قبله) (٢٠). وكان عبد المطلب قد اوصى إليه من بين اولاده العشرة، ومن ضمن وصاياه المهمة اوصى إليه بمهمة كفالة الرسول ﷺ حيث كان عليه السلام وقتها في الثامنة من عمره الشريف. فكان ابو طالب خير كافل (٢١)، والملاحظ ان ابا طالب كان اخا لعبد الله والد الرسول من ابيه وامه (٢٢)، ونتيجة لمكانة ابي طالب فقد عرف بالشيخ او شيخ البطحاء (٢٣).

لذا كان الامام علي عليه السلام يدعي التقدم على الكل، والشرف على الكل بابن

(١٥). قوله تعالى ﴿ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً. منها اربعة حرم...﴾. سورة التوبة: الآية ٣٦.

(١٦). اليعقوبي: التاريخ ٩/٢ - ١٠.

(١٧). اليعقوبي: التاريخ ١٠/٢.

(١٨). اليعقوبي: التاريخ ١٢/٢.

(١٩). الشرح ٦٨/١٤، وانظر: اليعقوبي: التاريخ ١٣/٢. ابن حجر: الاصابة ١١٧/٤ - ١١٨.

(٢٠). الشرح ٢٩/١، ٧٠/١٤، وانظر: اليعقوبي: التاريخ ١٣/٢.

(٢١). الشرح ٢٩/١، وانظر: اليعقوبي: التاريخ ١٣/٢. الطبري: التاريخ ٢٧٧/٢. ابو نعيم: دلائل النبوة ص ١٢٣. سبط بن الجوزي: تذكرة ص ٦، ٨. ابن حجر: الاصابة ١١٥/٤.

(٢٢). الشرح ١٤/١، وانظر: الطبري: التاريخ ٢٧٧/٢.

(٢٣). الشرح ٢٩/١، ٢٢٧/١، وانظر الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٨٩ ابن الأثير: اسد الغابة ٤١٤/٣.

عمه وبنفسه وبأبيه ابي طالب (فانه من قرأ علوم السير عرف ان الاسلام لولا ابو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً)^(١).

والملاحظة ان عبد المطلب كأنما كان ينظر من وراء الغيب لما سيجري على النبي ﷺ، ولذا فهذه الكفالة لا تقتصر على النبي ﷺ زمن الصبا، بل استمرت حتى بلغ ﷺ الخمسين من عمره الشريف، وما انتهت كفالة ابي طالب إلا بنهاية عمره، يقول ابن ابي الحديد: (ابو طالب هو الذي كفل رسول الله ﷺ وحماءه وحاطه كبيراً، ومنعه من مشركي قريش ولقي لاجله عننا عظيماً، وقاسى بلاءً شديداً وصبر على نصره والقيام بأمره وجاء في الخبر انه لما توفي ابو طالب اوحى إليه ﷺ، وقيل له: اخرج منها فقد مات ناصرك)^(٢).

اذا فخليق بابي طالب الذي درج في حجر والده، ان يكون المثل الاعلى في نشأته من حيث الطموح إلى رificات المراتب، والتأهب لمستوى فوق مستوى قومه، وان يخلف اباه في جميع مزاياه في حكمته وتوحيده، ومنايذته لخرافات عصره^(٣).

وكان ابو طالب اول من سن القسامة قبل الاسلام^(٤)، ولما جاء الاسلام اثبتها^(٥) والقسامة كلمة مشتقة من القسم وهو اليمين، حيث لما قتل عمرو بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف، وأتهم خداش بن عبد الله بن ابي قيس العامري بقتله، طلب ابو طالب ان يحلف منهم خمسون رجلاً بان لا علم لهم بقاتل القتل، ويقال انهم حلفوا بأجمعهم ما عدا حويطب بن عبد العزى، فهلكوا باجمعهم قبل ان يدور

(١). الشرح ١٤٢/١.

(٢). الشرح ٢٩/١.

(٣). العاملي: شيخ الاطبع ص ٨.

(٤). الشرح ٢١٩/١٥.

(٥). النسائي: سنن ٤/٦ - ٥. الطحاوي: شرح معاني الآثار ٣/١٩٧ - ٢٠٣.

الحول^(١).

ان ذلك الدور الذي اداه ابو طالب في حمايته للرسول ﷺ ونصرته اياه، مما مكنه ﷺ من القيام بالدعوة للاسلام عشر سنوات، كان ولا زال مثار نقاش بين الباحثين، فهل كان ذلك الدفاع عن الرسول ﷺ دليل ايمان من ابي طالب؟ ام انه كان بدافع العصبية القبلية؟

عقد ابن ابي الحديد فصلاً عن الاراء التي قيلت في ذلك، فاوضح ان الامامية واكثر الزيدية، وبعض من شيوخ المعتزلة كالكعبي والاسكافي يرون انه ما مات إلا مسلماً، فيما يرى اهل الحديث والعامه من معتزلة البصرة بانه مات على دين قومه^(٢).

وقبل ان يصدر ابن ابي الحديد حكمه في هذه المسألة استعرض ادلة الطرفين. فذكر اولاً ادلة القائلين ببقائه على دين قومه. وهي: -
اولاً: - ان رسول الله ﷺ قال له عند موته: (قل يا عم كلمة اشهد لك بها غداً عند الله تعالى. فقال: لولا ان تقول العرب ان ابا طالب جزع عند الموت لا قررت بها عينك)^(٣).

ثانياً: - روى ان ابا طالب قال عند موته: انا على دين الاشياخ، او انا على دين عبد المطلب^(٤).

ثالثاً: - ان قوله تعالى ﴿ما كان للنبي والذين امنوا معه ان يستغفروا

(١). مصعب الزبيري: نسب قريش ص ٤٢٤ - ٥. ابن حبيب: المحبر ص ٣٣٥ - ٧. المنقح ص ١٤٠ - ١٤٢. النسائي: سنن ٣/٦ - ٤. ابو هلال العسكري: الاوائل ص ٣٦ - ٣٧. ابن حزم:

جمهرة نسب العرب ص ١٦٨. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٥.

(٢). الشرح ٦٥/١٤ - ٦٦.

(٣). الشرح: ٦٦/١٤. وانظر الطبري: جامع البيان ٩٢/٢٠. الثعالبي: الجواهر الحسان ١٦٠/٢. ابن كثير: البداية والنهاية ١٢٤/٣.

(٤). الشرح ٦٦/١٤. وانظر ابن هشام: السيرة ٢٦٤/١. ابن سعد: الطبقات ١٢٢/١. الطبري: تاريخ ٣٢٥/٢. الواحدي: اسباب النزول ص ١٧٧ - ٢١٨. ابن كثير: البداية والنهاية ١٢٤/٣.

- للمشركين ولو كانوا اولي قربي من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم... ﴿١﴾ .
 نزلت في ابي طالب لان الرسول ﷺ استغفر له بعد موته (٢).
 رابعاً: - ان قوله تعالى ﴿انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (٣). نزلت في ابي طالب (٤).
 خامساً: - ان الامام علياً عليه السلام جاء للرسول ﷺ بعد وفاة ابي طالب فقال:
 ان عمك الضال قد قضي فما الذي تأمرني فيه؟ (٥)
 سادساً: - لم ينقل عن ابي طالب انه رآه احد يصلي، والصلاة هي المفرقة
 بين المسلم والمشرك (٦).
 سابعاً: - ان الامام علياً وجعفرأ لم يأخذا من تركته (٧).
 ثامناً: - قول النبي ﷺ: (ان الله قد وعدني بتخفيف عذابه، لما صنع في حقي
 وانه في ضحضاح من نار) (٨).

(١). سورة التوبة: الآيات ١١٣ - ١١٤.
 (٢). الشرح: ٦٦/١٤. وانظر: ابن سعد: الطبقات ١/١٢٢. البخاري: الصحيح ٦/١٣٢ - ٣.
 الطبري: جامع البيان ٤١/١١. الواحدي: اسباب النزول ص ١٧٦ - ١٧٨. القرطبي: الجامع
 لاحكام القرآن ٢٧٢/٨. ابن كثير: البداية والنهاية ٣/١٢٤.
 (٣). سورة القصص: الآية ٥٦.
 (٤). الشرح: ٦٦/١٤. وانظر ابن سعد: الطبقات ١/١٢٣. الطبري: تاريخ ٢/٣٢٥. وايضاً جامع
 البيان ٩١/٢٠. الواحدي: اسباب النزول ص ٢٢٨. الشعالي: الجواهر الحسان ٢/١٦٠، ٣/١٧٩ -
 ١٨٠. القرطبي: الجامع ١٧/٢٩٩. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/١٢٤. السيوطي: الخصائص
 ١/٢١٧.
 (٥). الشرح: ٦٦/١٤. وانظر ابن سعد: الطبقات ١/١٢٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/١٢٥.
 (٦). الشرح ٦٦/١٤. وهذا الدليل ان ثبت فهو صحيح لان الرسول ﷺ قال: بين الكفر
 والايمان ترك الصلاة. مسلم: الصحيح ٢/٧٠ - ٧١. الترمذي: صحيح ١٠/٨٩. ابن ماجه:
 صحيح ١/١٧٧.
 (٧). الشرح: ٦٦/١٤. وانظر: ابن سعد: الطبقات ١/١٢٤. ابن قتيبة: المعارف ص ٢٠٣. وانظر
 رد ابن معد: الحجة على الذاهب ص ١٦٢ - ١٦٨.
 (٨). الشرح: ٦٦/١٤. ابن سعد: الطبقات ١/١٢٤. مسلم: الصحيح ٣/٨٤ - ٥. الطبري: جامع
 البيان ٢٠/٩٣. الملطي: التنبيه ص ١٦٢. ابن معد: الحجة ص ٨٧ - ١٠٣. ابن كثير: البداية
 والنهاية: ٣/١٢٥. السيوطي: الخصائص الكبرى ١/٢١٥.

تاسعاً: - قيل للرسول ﷺ: لو استغفرت لابيک وامک! فقال: لو استغفرت لهما لاستغفرت لابي طالب فانه صنع الي مالم يصنعا وان عبد الله وآمنة و ابا طالب جمرات من جمرات جهنم^(١).

بعد طرحه لهذه الادلة، لم يبد ابن ابي الحديد إلا تعليقاً واحداً حول الدليل السادس القائل بانه لم ينقل عن ابي طالب صلاة، حيث قال عنه: (فأما الصلاة وكونه لم ينقل عنه انه صلى، فيجوز ان يكون لان الصلاة لم تكن بعد قد فرضت، وانما كانت نفلا غير واجب فمن شاء صلى ومن شاء ترك ولم تفرض إلا بالمدينة)^(٢).

ثم استعرض ادلة القائلين باسلامه^(٣): -

اولاً: - عن الامام علي عليه السلام: - قال لي جبرائيل: ان الله مشفعك في ستة: بطن حملتك آمنة بنت وهب، و صلب انزلك، عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك، ابي طالب، وبيت اواك، عبد المطلب، واخ كان لك في الجاهلية، قيل: يا رسول الله: وما كان فعله؟ قال: كان سخيا يطعم الطعام ويجود بالنوال، وثدي ارضعتك، حليلة بنت ابي ذؤيب^(٤).

(١). الشرح: ٦٦/١٤.

(٢). الشرح: ٨٣/١٤. وانظر ابن هشام: السيرة ٢٥٩/١ - ٢٦١. دحلان: اسنى المطالب ص ٢٧.

(٣). وضعت قديماً مجموعة من الكتب تناقش مسألة صحة ايمان ابي طالب وقد اوردها بحر العلوم عند تحقيقه لكتاب الحجة على الذاهب الى كفر ابي طالب ص ١٧ - ٢٦، لكن هذه الكتب فقدت ولم يصل اليها إلا كتاب ابي نعيم علي بن حمزة البصري اللغوي ت ٢٧٥هـ والذي لا زال مخطوطاً في احدى مكتبات سامراء. ن.م ص ٢٧. وكتاب الشيخ المفيد وابن معد وقد طبعا واستخدمناهما.

(٤). الشرح: ٦٧/١٤. وانظر: اليعقوبي: التاريخ ٣٠/٢، ابن معد: الحجة ص ٤٨ - ٥٠، ٥٥. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٩، ومؤلفات السيوطي: الدرج المنيفة ص ٦: مسالك الحنفا ص ١٤. التعظيم والمنة ص ٢٥، الخصائص الكبرى ٢١٦/١. الحلبي: السيرة الحلبية ٢٨٢/١. دحلان: اسنى المطالب ص ٢٤.

ثانياً: - قول الرسول ﷺ (نقلنا من الاصلاب الطاهرة إلى الارحام الزكية)^(١). فوجب بهذا ان يكون آباؤه كلهم منزهين عن الشرك، لانهم لو كانوا عبدة اصنام لما كانوا طاهرين^(٢). والظاهر ان هذا الدليل قد تعرض للنقد حيث ان القرآن اشار إلى ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان مشركاً: فقالوا: هذا لا يقدر في مذهبنا لان المذكور في القرآن عم ابراهيم (آزر) اما ابوه (تارح) فكان مسلماً، وقد سمي القرآن العم اباكما في قوله تعالى: ﴿ام كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك﴾^(٣). ثم عد فيهم اسماعيل عليه السلام وليس من ابائه ولكنه عمه^(٤).

وقد احتجوا باسلام الاباء بما رواه الامام الصادق عليه السلام عن الرسول ﷺ انه قال: ان الله يبعث عبد المطلب يوم القيامة وعليه سيما الانبياء وبهاء الملوك^(٥).
ثالثاً: - سأل العباس النبي ﷺ: يا رسول الله: ما ترجوا لابي طالب؟ فقال: ارجوا له كل الخير من الله عز وجل^(٦).

رابعاً: - كتب ابان بن محمود^(٧) للامام علي بن موسى الرضا عليه السلام: جعلت فداك! اني قد شككت في اسلام ابي طالب! فكتب اليه: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين...) انك ان لم تقر بايمان ابي طالب كان مصيرك إلى النار^(٨).

(١). اخرج السيوطي: الدرج المنيفة ص ٩، السبل الجلية ص ١١. مسالك الحنفا: ص ١٨.

(٢). الشرح: ٦٧/١٤. وانظر ابن معد: الحجة ص ٥٦ - ٥٧.

(٣). سورة البقرة: الآية ١٢٣.

(٤). الشرح: ٦٧/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ٥٨ - ٥٩.

(٥). الشرح: ٦٨/١٤، وانظر اليعقوبي: التاريخ ١٣/٢. ابن معد: الحجة ص ٥٦.

(٦). الشرح: ٦٨/١٤، وانظر ابن سعد ١/١٢٤ - ١٢٥. المفيد: ايمان ابو طالب ص ٧٦. ابن معد:

الحجة ص ٧١ - ٧٢. سبط ابن الجوزي: تذكره ص ٨. السيوطي: الخصائص الكبرى ١/٢١٥.

(٧). لم اعثر على ترجمته.

(٨). سورة النساء اية ١١٥.

(٩). الشرح: ٦٨/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ٧٦ - ٧٧، ٨٢.

خامساً: - سئل محمد بن علي الباقر عليه السلام عما يقول الناس: ان ابا طالب في ضحضاح من نار! فقال: لو وضع ايمان ابي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق في الكفة الاخرى لرجح ايمانه. ثم قال: ألم تعلموا ان امير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر ان يحج عن عبد الله وابي طالب في حياته ثم اوصى في وصيته بالحج عنهم^(١).

سادساً: - ان ابا بكر (رض) جاء بابيه ابي قحافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح يقوده، وهو شيخ كبير اعمى، فقال صلى الله عليه وسلم: الا تركت الشيخ حتى تأتيه! فقال: اردت يا رسول الله ان يأجره الله! اما والذي بعثك بالحق لانا كنت اشد فرحاً باسلام عمك ابي طالب مني باسلام ابي التمس بذلك قرّة عينك فقال صلى الله عليه وسلم: صدقت^(٢).

سابعاً: - سئل الامام علي بن الحسين عليه السلام عن اسلام ابي طالب فقال: واعجباً! ان الله تعالى نهى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقر مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت اسد من السابقات في الاسلام ولم تزل تحت ابي طالب حتى مات^(٣). ثامناً: - يروى بعض الزيدية ان ابا طالب حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: حدثني محمد ابن اخي ان ربه بعثه بصلة الرحم، وان يعبده وحده لا يعبد معه غيره، ومحمد عندي الصادق الامين^(٤).

تاسعاً: - ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»^(٥)، ان كافل اليتيم هو ابو طالب لانه كفل الرسول صلى الله عليه وسلم^(٦).

(١). الشرح: ٦٨/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ٨٤ - ٨٥.

(٢). الشرح: ٦٨/١٤ - ٦٩، وانظر ابن معد: الحجة ص ١١٥ - ١١٦ - ١١٩.

(٣). الشرح: ٦٩/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٤). الشرح: ٦٩/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ١٣٣ - ١٣٧، ابن حجر: الاصابة ١١٦/٤.

زيني دحلان: اسنى المطالب ص ٦.

(٥). أخرجه ابن حنبل: المسند ٣٣٣/٥.

(٦). الشرح: ٦٩/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ١٤٢ - ١٤٣.

عاشراً: - ان ما يروى من ان علياً او جعفر لم يأخذا من تركة ابي طالب شيئاً حديث موضوع حيث ان مذهب اهل البيت عليهم السلام بخلاف ذلك، فان المسلم عندهم يرث الكافر ولا يرث الكافر المسلم^(١). ولو كان اعلى درجة منه في النسب، ولذا فسروا قوله صلى الله عليه وآله: لا توارث بين اهل ملتين^(٢). قالوا: تقول بموجبه لان التوارث تفاعل ولا تفاعل عندنا في ميراثهما واللفظ يستدعى الطرفين، كالتضارب لا يكون إلا من اثنين^(٣).

حادي عشر: - ان حب الرسول صلى الله عليه وآله لعنه ابي طالب معلوم مشهور وإذا كان كافراً فكيف يجوز له ان يحبه لقوله تعالى^(٤): ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾^(٥).

ثاني عشر: - استفاض عنه صلى الله عليه وآله قوله لعقيل: انا احبك حبين: حبا لك، وحبا لحب ابي طالب فانه كان يحبك^(٦).

ثالث عشر: - ان الخطبة التي القاها ابو طالب لما خطب خديجة^(٧) للرسول صلى الله عليه وآله تدل على توحيده وهي: «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم، وزرع اسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوباً، وجعلنا الحكام على الناس

(١). روى الترمذي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يرث المسلم كافر ولا الكافر المسلم، الترمذي: صحيح ٢٥٧/٨. ابن ماجه: صحيح ١١٥/٢. ابن حزم: الفصل ٢٧٦/٣.
 (٢). اخرجه الترمذي: صحيح ٢٥٩/٨. ابن ماجه: صحيح ١١٦/٢.
 (٣). الشرح: ٦٩/١٤. وانظر ابن معد: الحجة ص ١٦٢ - ١٦٤.
 (٤). سورة المجادلة: الآية ٢٢.
 (٥). الشرح: ٦٩/١٤ - ٧٠. وانظر ابن معد: الحجة ص ١٦٢ - ١٦٤.
 (٦). الشرح: ٧٠/١٤. وانظر: الحاكم: المستدرک ١٦٧/٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ٥٠٩/٢.
 ابن معد: الحجة ص ١٧٩. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٢٢٢. سبط ابن الجوزي: تذكره ص ١٢. الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٧٣/٩. ابن عسبة: عمدة الطالب ص ٣١. العامري: بهجة المحافل ٣٢٧/١.
 (٧). عن سيرة السيدة خديجة. انظر: حسين علي الشرهاوي: السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠١ م.

ثم ان محمداً بن عبد الله اخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برأً وفضلاً وحزماً وعقلاً ورأياً ونبلاً وان كان في المال قل، فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما اصبتم من الصداق فعلي وله والله بعد نبأ شائع وخطب جليل»^(١).

قالوا: افتراه يعلم نبأه الشائع وخطبه الجليل ثم يعانده ويكذبه وهو من اولى الالباب فهذا غير سائغ في العقول^(٢).

رابع عشر: - روي الامام الصادق عليه السلام ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ان اصحاب الكهف اسروا الايمان واظهروا الكفر فاتاهم الله اجرهم مرتين، وان ابا طالب اسر الايمان واظهر الشرك، فاتاه الله اجره مرتين^(٣).

خامس عشر: - ان جبرائيل عليه السلام قال للرسول صلى الله عليه وسلم في الليلة التي مات بها ابو طالب: اخرج منها فقد مات ناصرك^(٤).

سادس عشر: - اما حديث الضحضاح من النار^(٥)، فهو يروي عن شخص واحد وهو المغيرة بن شعبة المعروف ببغضه لبني هاشم وخاصة الامام علي عليه السلام وقصته وفسقه غير خاف على احد^(٦).

سابع عشر: - روي بأسانيد مختلفة عن العباس وابي بكر (رض): ان ابا طالب ما مات حتى قال: لا اله إلا الله محمد رسول الله. وهناك خبر مشهور: ان ابا

(١). الشرح: ٧٠/١٤، وانظر: ابن هلال العسكري: الاوائل ص ٩١. ابن المغازلي: مناقب ص ٣٣٣ - ٤، الزمخشري: ربيع الابرار ٢٩٩/٤ - ٣٠٠. ابن معد: الحجة ص ١٨٢ - ١٨٦. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٠٢. دحلان: اسنى المطالب ص ٨، ٦٠ - ١.

(٢). الشرح: ٧٠/١٤، وانظر: ابن معد: الحجة ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٣). الشرح: ٧٠/١٤.

(٤). الشرح: ٢٩/١، ٧٠/١٤، وانظر المفيد: ايمان ابو طالب ص ٧٤. ابن معد: الحجة ص ٢٦٠.

(٥). الشرح: ٧٠/١٤، وانظر: ابن معد الحجة ص ٧٧ - ١٠٣.

(٦). انظر تفاصيل ذلك في الشرح ٢٢٧/١٢ - ٢٤٦، ابو الفرج: الاغانى ١٠٣/١٦ - ١٠. الحاكم: المستدرک ٥٠٧/٣ - ٨.

طالب عند الموت قال كلاماً خفياً، فاصغى إليه العباس ثم قال للنبي ﷺ: يا ابن اخي والله لقد قالها عمك، ولكن ضعف عن ان يبلغك صوته^(١).

ثامن عشر: - قال الامام علي عليه السلام: ما مات ابو طالب حتى اعطى الرسول ﷺ من نفسه الرضا^(٢).

تاسع عشر: - ان اشعار ابي طالب تدل على انه كان مسلماً، حيث لا فرق بين الكلام المنظوم والمنثور إذا تضمننا اقراراً بالاسلام، الا ترى ان يهودياً لو توسط جماعة من المسلمين وانشد شعراً قد ارتجله ونظمه يتضمن الاقرار بنبوة محمد ﷺ لكننا نحكم باسلامه، كما لو قال: اشهد ان محمد رسول الله ﷺ^(٣). ومن هذه الاشعار:

وظلم نبي جاء يدعوا إلى الهدى وامراتي من عند ذي العرش قيم^(٤)
ومن شعره لما كتبت قريش صحيفة المقاطعة:

الم تعلموا انا وجدنا محمداً رسولاً كموسى خط في اول الكتب
ومنها:

فلسنا وببيت الله نسلم احمداً لعزاء من غض الزمان ولا كرب^(٥)
وقال:

يرى الناس برهانا عليه وهيبه وما جاهل في قومه مثل عالم

(١) الشرح: ٧١/١٤. وانظر ابن هشام: السيرة: ٥٨/٢ - ٥٩، ابن معد: الحجة ص ١٠٦ - ١٠٨، تاريخ ابو الفداء ١٢٠/١، وانظر ابن كثير: البداية والنهاية ١٢٣/٣، وما بعدها.

(٢) الشرح: ٧١/١٤، وانظر: ابن معد الحجة ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٣) الشرح: ٧١/١٤، وانظر: ابن معد الحجة ص ١٨٦ - ٣٢٤.

(٤) من قصيدة في سبعة ابيات: الشرح: ٧١/١٤ - ٧٢، وانظر ديوان ابي طالب ط بحر العلوم ص ٢٩ - ٣١. ابن معد: الحجة ص ١٨٩.

(٥) الشرح: ٧٢/١٤ - ٧٣، وانظر ديوان ابي طالب ط حسن آل ياسين ص ٥٠. ابن هشام: السيرة ٣٣٧/١ - ٣٣٩. ابن معد: الحجة ص ١٩٢ - ١٩٣. السهيلي: الروض الاتف ٢٢٠/١. ابن كثير: البداية والنهاية ٨٧/٣، البغدادي: خزنة الادب ٢٦١/١. دحلان: اسنى المطالب ص ٧،

نبي اتاه الوحي من عند ربه ومن قال لا: يقرع بهاسن نادم^(١)

وقال من قصيدة لما غضب لعثمان بن مظنون الجمحي لما عذبتة قريش:

او تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى او كذي النون^(٢)

وروي ان ابا جهل اراد ان يرضخ رأس الرسول ﷺ وهو ساجد بحجر

فلصق الحجر بكفه ولم يستطع فعل شيء فقال ابو طالب:

واعجب من ذلك في امركم عجائب في الحجر الملصق

بكف الذي قام من حينه إلى الصابر الصادق المتقى

فأثبته الله في كفه على رغمه الخائف الاحمق^(٣)

وقال المأمون ان ابا طالب اسلم بقوله:

نصرت الرسول رسول المليك ببيض تلالاً كلمع البروق

اذب واحمي رسول الاله حماية حام عليه شفيق^(٤)

ولما ذهب عمرو بن العاص إلى الحبشة ليحرض النجاشي على تسليم

مهاجري الحبشة، كتب ابو طالب قصيدة إلى النجاشي يطلب منه اكرام جعفر

والمهاجرين، ومنها:

الا ليت شعري كيف في النأي جعفر وعمرو واعداء النبي الاقارب!^(٥)

وقال في تحريض ولديه علي وجعفر على نصره النبي ﷺ:

(١). من قصيدة في ثمانية ابيات. الشرح: ٧٣/١٤. وانظر ديوان ابي طالب ط آل ياسين ص ٥٠.

١١٩. ابن معد: الحجة ص ٢٠١.

(٢). من قصيدة في سبعة ابيات: الشرح: ٧٣/١٤ - ٧٤. وانظر ديوان ابي طالب ط آل ياسين

ص ٣٠٧. ابن معد: الحجة ص ٢٢٢.

(٣). الشرح: ٧٤/١٤. وانظر ديوان ابي طالب ط آل ياسين ص ١٥٦. ابن معد: الحجة ص ٢٢٤.

(٤). الشرح: ٧٤/١٤. وانظر ديوان ابي طالب ط آل ياسين ص ٦٦ - ٦٧. ابن معد: الحجة

ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٥). الشرح: ٧٥/١٤. وانظر ديوان ابي طالب ط آل ياسين ص ١٤٥. ابن هشام: السيرة

٣٥٧/١. ابن معد: الحجة ص ٢٣٩. ابن كثير: البداية ٧٧/٣.

ان عليا وجعفرأ ثقتي عند ملم الزمان والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما اخي لامني من بينهم وابي
والله لا اخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب^(١)
ومن شعره يخاطب به اخوه حمزة ويدعوه لنصرة النبي ﷺ :-

فصبرا ابا يعلى على دين احمد

وكن مظهراً للدين وفقت صابرا

وحط من اتى بالحق من عنده

بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا

فقد سرنى اذ قلت انك مؤمن

فكن لرسول الله في الله ناصرا

وباد قريش بالذي قد اثبتته

جهاراً وقل ما كان احمد ساحراً^(٢)

وله قصيدة يمدح فيها النبي ﷺ منها: -

قرم اعز مسود

انت النبي محمد

طابوا وطاب المولد

لمسودين اكارم

ومنها:

وانت طـفـل امرء^(٣)

ما زلت تنطق بالصواب

(١). الشرح: ٧٦/١٤، وانظر ديوان ابي طالب ط آل ياسين ص ٦٣ - ٤. ابو هلال العسكري: الاوائل ص ٧٥. المفيد: ايمان ابو طالب ص ٨٢ - ٨٣. ابن معد: الحجة ص ٢٤٩ - ٢٥١. جعفر نقدي: زهرة الادباء ص ٦.

(٢). الشرح: ٧٦/١٤ - ٧٧. وانظر ديوان ابي طالب ط آل ياسين ص ١٥٣. المفيد: ايمان ابو طالب: ص ٨٠. ابن معد: الحجة ص ٢٧٧. الحلبي: السيرة الحلبية: ٢٨٦/١. جعفر نقدي: زهرة الادباء ص ٦.

(٣). الشرح: ٧٧/١٤. ابن معد: الحجة ص ٢٨١ - ٢٨٢.

ومن شعره ايضاً:

لقد اكرم الله النبي محمداً
وشق له من اسمه ليجله
فاكرم خلق الله في الناس احمد
فدو العرش محمود وهذا احمد^(١)
وقوله:

يا شاهد الله علي فاشهد
اني على دين النبي احمد
من ضل في الدين فاني مهتد^(٢)

ومن شعره قصيدته اللامية التي اورد ابن هشام^(٣) منها - اربعة وتسعون بيتاً
- ذكر ابن ابي الحديد سبعة عشر منها فقط، ومنها:

اعوذ برب البيت من كل طاعن
علينا بسوء او يلوح بباطل
ومنها: كذبتم وبيت الله نبزي محمد
ولما نطاعن دونه ونناضل
ومنها: الم تعلموا ان ابننا لا مكذب
لدينا، ولا يعبأ بقول الاباطل^(٤)

يرى القائلون بتوحيده ان هذه الاشعار جاءت مجيء التواتر، لانه ان لم
تكن احادها متواترة فمجموعها يدل على امر واحد مشترك، وهو تصديق

(١). الشرح ٧٨/١٤. وانظر: ابو نعيم: دلائل النبوة ١١/١. ابن معد: الحجة ص ٢٨٤. ابن كثير:
البداية والنهاية ٢٢٦/١، ٢٢٥/٢. ابن حجر: الاصابة ١١٥/٤. القسطلاني: المواهب ٥١٨/١.
دحلان: اسنى المطالب ص ١٨.

(٢). الشرح ٧٨/١٤. وانظر ابن معد: الحجة ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٣). السيرة النبوية ٢٩١/١ - ٢٩٩. وذكر بعضها المفيد: ايمان ابي طالب ص ٧٠ - ٧٢.

(٤). الشرح ٧٨/١٤ - ٧٩. وانظر ديوان ابي طالب، ط آل ياسين ص ٨٥ - ٩٤. حيث ذكرها في
(١١٥) بيت. الطبري: تاريخ ٤٤٦/٢، ٢٢٢/٤. الشهرستاني: الملل والنحل ٢٢٦/٣. ابن معد:
الحجة ص ٢٩٦ - ٣٠٠. ابن كثير: البداية والنهاية ٥٣/٣ - ٧٥. وقد ذكر ابن كثير منها (٩٢) بيتاً
وقال: هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع ان يقولها الا من نسبت اليه. وهي افحل من
المعلقات السبع، وابلغ في تأدية المعنى فيها جميعها وقد اوردتها الاموي في مغازيه مطولة
بزيادات اخر والله اعلم. ٥٧/٣. وقال القسطلاني في ارشاد الساري: قصيدة جليلة بليغة من بحر
الطويل، وعدة ابياتها مائة وعشرة ابيات ٢٢٧/٢. وذكر البغدادي منها في خزانة الادب (٤٢)
بيتاً مع شرحها ٢٥٢/١ - ٢٦١. دحلان: اسنى المطالب ص ١٨ - ١٩. السيرة الدحلانية ٩٤/١ -
٩٥. وقد شرحها جعفر نقدي في كتابه: زهرة الادباء في شرح لامية شيخ البطحاء ص ٧ - ٤١.

محمد ﷺ، ومجموعها متواترة، كما ان كل واحدة من قتلات علي عليه السلام الفرسان منقولة احاداً، ومجموعها متواتر، ولذا يفيدنا العلم الضروري بشجاعته، كذلك القول بسخاء حاتم، وحلم الاحنف، وذكاء اياس وغير ذلك^(١).

عشرون: لما مات ابو طالب جاء الامام علي عليه السلام فاعلم النبي ﷺ فتوجع ﷺ وجعاً عظيماً وحزن حزناً شديداً، ثم قال: امض فتول غسله، فاذا رفعته على سريره فاعلمني، ففعل، فاعترضه ﷺ وهو محمول على رؤوس الرجال. فقال ﷺ: وصلتك رحم يا عم، وجزيت خيراً: اما والله لاستغفرن لك، ولا شفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان^(٢).

قال القائلون بتوحيده: والمسلم لا يجوز ان يتولى غسل الكافر، ولا يجوز للنبي ﷺ ان يرق لكافر، ولا يدعو له بخير، ولا الاستغفار والشفاعة، وكان سبب توليه الامام علي عليه السلام غسله، لان طالباً وعقيلاً لم يكونا قد اسلما، اما جعفر فكان بالحبشة، واما بخصوص صلاة الجائر فانها لم تشرع بعد ولذا لم يصل النبي لا على ابي طالب ولا خديجة، انما كان تشيع ودعاء^(٣).

احدى وعشرون: ان رسول الله ﷺ استغفر لابي طالب بعد معركة بدر لما ذكر عبدة بن الحارث^(٤) شعر ابي طالب:

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً
ولما نطاعن دونه وناضل

(١). الشرح: ٧٨/١٤.

(٢). الشرح ٧٦/١٤. وانظر ابن سعد: الطبقات ١/١٢٣. اليعقوبي: التاريخ ٢/٣٠. المفيد: ايمان ابي طالب ص ٧٥. الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/١٩٦. ابن معد: الحجة ص ٢٦٤ - ٥. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٨ - ٩. ابن كثير: البداية والنهاية ٣/١٢٥. ابن حجر: الاصابة ١٤/١١٦. الحلبي: السيرة الحلبية ١/٣٧٣.

(٣). الشرح ٧٦/١٤. وانظر ابن معد: الحجة ص ٢٦٦ - ٢٦٧. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٠٤. الشبلنجي: نور الابصار ص ١٣.

(٤). استشهد في معركة بدر. انظر ترجمته، ابن الاثير: اسد الغابة ٣/٣٥٦ - ٧. ابن حجر: الاصابة ٢/٥٤٩.

وننصره حتى نصرع حوله ونذهل عن ابناءنا والحلائل^(١)

اثنتان وعشرون: روي ان اعرابياً انشد النبي ﷺ شعراً لما حل به من جذب، فدعا النبي ﷺ واستسقى، فاستجاب الله له، ثم قال ﷺ لله در ابي طالب: لو كان حياً لقرت عينه. من ينشدنا قوله فانشد علي قصيدته التي منها:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل
يطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

ورسول الله ﷺ قائم يستغفر لابي طالب على المنبر^(٢).

ثالث وعشرون: اما سبب عدم اظهار ابي طالب لاسلامه، فلانه لو اظهره لم يتهاى له نصره الرسول ﷺ، فيكون بذلك كأحد المسلمين نحو ابي بكر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما، وانما تمكن من نصرته، والدفاع عنه بالثبات ظاهراً على دين قريش، وان ابطن الاسلام^(٣).

هذه الادلة لم يبد ابن ابي الحديد عليها تعليقاً ما عدا الدليل الثاني وهو قول النبي ﷺ: «نقلنا من الاصلاب الطاهرة إلى الارحام الزكية» فوجب بهذا ان يكون اباؤه كلهم منزهين عن الشرك لانهم لو كانوا عبدة اصنام لما كانوا طاهرين».

قال ابن ابي الحديد: هذا الاحتجاج عندي ضعيف لان المراد من قوله: «نقلنا من الاصلاب الطاهرة إلى الارحام الزكية». وهو تنزيه آبائه واجداده وامهاته عن السفاح لا غير، لان العرب كان يعيب بعضها البعض باختلاط المياه،

(١) الشرح ٢٥٨/٣ - ٩، ٨٠/١٤. وانظر ديوان ابي طالب ط. آل ياسين ص ٨٨. الواقدي:

المغازي ٦٩/١ - ٧٠. ابن هشام: السيرة ٢٩٤/١، ٢٢٤/٣. ابن معد: الحجة ص ٣٠٠ - ٣٠٢.

(٢) الشرح ٨٠/١٤ - ٨١. انظر: ديوان ابي طالب، ط آل ياسين ص ٨٩، ٩٦. ابن هشام: السيرة

٣٠٠/١. اليعقوبي: التاريخ ٢٢/٢. ابن معد: الحجة ص ٣٠٥ - ١١. الشهرستاني: الملل

٢٢٥/٣ - ٦. ابن حجر: الاصابة ١١٥/٤. السيوطي: الخصائص الكبرى ٢١٤/١. الديار بكري:

تاريخ الخميس ٣٥٤/١. دحلان: اسنى المطالب ص ١٤، ١٨.

(٣) الشرح ٨١/١٤ - ٨٢. ابن معد: الحجة ص ٣٤٠ - ٣٤٢.

واشتباه الانساب، ونكاح الشبهة. ورد ابن ابي الحديد على قولهم: لو كانوا عبدة اصنام لما كانوا طاهرين. قال: انه لا منافاة بين طهارة الاصلاب وعبادة الصنم، فلو اراد صلى الله عليه وسلم ما زعموه لذكر العقائد بدل الاصلاب والارحام. كذلك رد على قولهم: ان ابا ابراهيم كان مسلماً، وان المشرك عمه. قال: ان هذه الآية لا تفيدهم، فان ابا طالب هو عم النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك فهذه الآية ليست لهم بحجة في اسلام ابي طالب^(١).

موقف ابن ابي الحديد:

لقد بنى ابن ابي الحديد حكمه في ابي طالب على امرين:

الاول: انه قد روى في اسلامه اخبار، وروي في موته على دين قومه اخبار اخرى، لذا تعارضت الادلة فتعارض الجرح والتعديل ويمكن ان يقول اصحاب الحديث: اذا تعارض الجرح والتعديل، فالترجيح عند اصحاب الاصول لجانب الجرح، لان الجرح قد اطلع على زيادة لم يطلع عليها المعدل.

اجاب ابن ابي الحديد: ان هذا يكون في اصول الفقه في طعن مفصل في مقابلة تعديل مجمل، فعلى سبيل المثال يروي شعبه^(٢) حديثاً عن شخص ما هو عنده ثقة، ويكفي توثيقه انه بالنسبة إليه مستور الحال ظاهرة العدالة، ولكن الدارقطني^(٣) يطعن فيه كأن يقول: كان مدلساً^(٤) او يرتكب الذنب الفلاني فيكون

(١). الشرح ٦٧/١٤ - ٦٨.

(٢). شعبه بن الحجاج الازدي بالولاء من ائمة رجال الحديث ٨٢ - ١٦٠، انظر ابو نعيم: حلية الاولياء ١٤٤/٧ - ٢٠٩، الخطيب، تاريخ بغداد ٢٥٥/٩ - ٢١٦.

(٣). علي ابن عمر احمد الدارقطني الشافعي (٣٠٦ - ٥٣٨٥) من ائمة الحديث واول من صنف في القراءات، الخطيب: تاريخ بغداد ٣٤/١٢ - ٤٠. السبكي: طبقات الشافعية ٢/٣١٠ - ٢. الذهبي: معرفة القراء الكبار ٢٨١/١. السمعاني: الانساب ٢٧٣/٥ - ٥. مظفر شاكر محمود الحياتي: الامام الدارقطني ص ٣٨ - ١٣٠.

(٤). التدليس: اسقاط الراوي من اسناد الحديث بحيث يكون السقط من الاسناد خفياً.

طعنه فيه مفصلاً في مقابلة تعديل مجمل.

اما هنا فالروايتان متعارضتان تفصيلاً لا اجمالاً فهؤلاء يقولون: انه تلفظ بكلمتي الشهادة عند الموت والآخرون يرون انه قال عند الموت انا على دين الاشياخ.

وقال: اما من يقول باسلامه فيقول ان روايتنا ارجح لانا نروي حكماً ايجابياً ونشهد على اثبات، وخصوصاً يشهدون على النفي.

قال: ولا شهادة على النفي، وذلك ان الشهادة في الجانبين معاً، انما هي على اثبات ولكنه اثبات متضاد^(١).

الثاني: ما ورد في رسالة محمد ذي النفس الزكية^(٢) حيث يقول: ويقف في صدري رسالة النفس الزكية إلى المنصور وقوله فيها: (فانا ابن خير الاخيار وانا ابن شر الاشرار وانا ابن سيد اهل الجنة وانا ابن سيد اهل النار). فان هذه شهادة منه على ابي طالب بالكفر، وهو ابنه وغير متهم عليه، وعهده قريب من عهد النبي ﷺ، ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً^(٣).

ان هذين الامرين جعلنا ابن ابي الحديد يتوقف في اصدار حكم ابي طالب حيث يقول: (فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيهقيين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقف فانا في امره من المتوقفين)^(٤).

التهانوي: كشاف اصطلاحات العلوم ٤٨١/٢.

(١). الشرح: ٨٢/١٤.

(٢). سترجمه لاحقاً.

(٣). الشرح: ٨٢/١٤.

(٤). الشرح: ٨٢/١٤. وقد رد يوسف البحراني ت ١١٨٦هـ على توقف ابن ابي الحديد هذا في كتاب اسماء (سلاسل الحديد في تقييد ابن ابي الحديد) حيث قال يوسف البحراني في ترجمته لنفسه في كتابه لؤلؤة البحرين في ذكر مؤلفاته ما نصه (ومنها كتاب سلاسل الحديد في تقييد ابن ابي الحديد) والرد عليه في شرحه نكتاب نهج البلاغة الذي رام فيه ان يشرحه على رأى المعتزلة واصلهم ومذاهبهم وقواعدهم، وذكرت في اوله مقدمة شافية في الامامة تصلح ان تكون كتاباً مستقلاً ثم نقلت من كلامه في الشرح المذكور ما يتعلق بالامامة واحوال الخلفاء

والان لنقف عند الادلة التي ذكرها ابن ابي الحديد في مسألة ايمان ابي طالب، او بقاءه على دين قومه تلك الادلة التي وقف منها ابن ابي الحديد موقفاً سلبياً فلم يبد رأياً فيها، فلنقف عندها ولنناقشها لئلا نرى مدى مطابقتها للواقع ولنبدأ اولاً بادلة القائلين ببقاءه على دين قومه:-

الدليل الاول والثاني: واللذان ينصان على ان النبي ﷺ، طلب من ابي طالب ان يشهد الشهادتين عند موته، فكان رد ابي طالب، انه على دين عبد المطلب.

والسؤال هنا: ما هو دين عبد المطلب؟ المعروف ان المعتقد الاول لاهل مكة هو دين الحنيفية الذي هو بقايا دين ابراهيم الخليل عليه السلام ثم جاء عمرو بن لحي بفكرة الاصنام^(١) والتي وان انتشرت في مكة الا انه بقي اناس لا يقرون بها عرفوا بالاحناف^(٢).

اذا نظرنا إلى عبد المطلب فنجد ان الاحداث الهامة في مكة قد ارتبطت بايامه، كحفر زمزم والذي يلاحظ انه تم بوحي^(٣) وحملة ابرهة التي اشار لها القرآن الكريم حيث كان لعبد المطلب الدور الرائد في افشالها، وموقفه فيها دليل على توحيده والآفا معنى قوله لابرهة: (ان للبيت رباً يحميه) وفيه اشارة لايمان عميق برب هذا البيت وانه لمؤمن بعدم قدرة اياً كان على هدمه، ولقد كان لكلامه اثر في ادخال الرعب في قلب ابرهة، وبالتالي فشل الحملة، ولو لم يكن عبد

والصحابة وما يناسب ذلك ويدخل تحته وبينت ما فيه من الخلل والمفاسد الظاهرة لكل طالب وقاصد، خرج منه مجلد ومن المجلد الثاني ما يقرب من ثلث مجلد، وعاق الاشتغال بكتاب الحدائق عن اتمامه، نؤلوة البحرين ص ٤٤٦-٤٤٧، احمد الربيعي: العذيق النضيد ص ٨٠.

(١). الازرقسي: اخبار مكة ١/١١٧، ابو هلال العسكري: الاوائل ص ٤٨. الشهرستاني: الملل ٢١٧/٣. السيوطي: السبل الجلية ص ١٣.

(٢). انظر الالوسي: بلوغ الارب ٢/١٩٤-٦، ٢٤٤-٢٨٦.

(٣). البعقوبي: تاريخ ١/٢١٦.

المطلب على هذه الدرجة من التوحيد لما اسمته العرب (ابراهيم الثاني) ولما اعظمت موته حتى بقي على رؤوس الرجال اياماً.

ويروى انه كان يؤمن بالمعاد فكان من وصاياه: (انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة). فلما هلك احد الظلمة ولم تكن قد اصابته عقوبة قال: والله ان وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسيء باسائه ته^(١).

ومن الادلة على توحيد عبد المطلب، اشادة الرسول ﷺ به في موقف من اصعب المواقف التي مرت به ﷺ وذلك يوم حنين الذي اعجب المسلمون فيه بكثرتهم ولكنهم ما لبثوا ان انهزموا تاركين الرسول ﷺ في عدد قليل ممن ثبت معه، فنزل ﷺ إلى ساحة المعركة يقاتل ويهتف:-

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب^(٢)

انه لامر يثير الاستغراب في موقف يدعو النبي فيه المشركين لعبادة الله سبحانه وتعالى ونبذ الوثنية إلى ان وصل به الحال إلى استخدام القوة، وفي مثل هذا الموضع الذي يجدر بالنبي ﷺ فيه ان يذكر اناساً على خط التوحيد، اما انه يذكر مشركاً ويفتخر به في موضع يقاتل به الشرك والمشركين ان هذا لشيء عجاب!!

والظاهر ان النبي ﷺ انما بقوله هذا يعيد إلى الاذهان ذكرى عبد المطلب ومواقفه النبيلة وكأنه يقول لهم: انا ابن ذلك الانسان الذي اسميته ابراهيم الثاني؟ الذي اوجد لكم زمزم والذي رد ابرهة عن البيت الحرام؟ فاذا كان عبد

(١). الشهرستاني: الملل والنحل بهامش الفصل ٢٢٤/٣ - ٢٢٥، السيوطي: الدرر المنيفة ص ١٤ مسالك الحنفا ص ٣٧.

(٢). الواقدي: المغازي ٢٨٠/١. ابن حنبل: المسند ٢٨٩/٤. ٣٠٤. الطبري: تاريخ ٧٦/٣. جامع البيان ١٠٣/١٠. الملطي: التنبيه ص ١٥٢. ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ٢٣٤. ابن تيمية: منهاج السنة ١٧٧/٤.

المطلب بتلك المكانة التي تعرفونها عنه فانا ابنه: (انا النبي لا كذب).
وينسحب الكلام حول ابوي النبي ﷺ حيث يرى القائلون ببقاء ابي طالب على دين قومه ان ابوا النبي ﷺ (جمرة من جمرات جهنم) وقد اثبت السيوطي ايمان ابوي النبي ﷺ في اكثر من كتاب من كتبه ومنها: مسالك الحنفا في والذي المصطفى^(١)، والدرج المنيفة في الاباء الشريفة^(٢)، والمقامة السندسية في النسبة المصطفوية^(٣)، والتعظيم والمنة في ان ابوي رسول الله في الجنة^(٤)، ونشر العلمين في احياء الابوين^(٥)، والسبل الجليلة في الاباء العلية^(٦).

تجدد الاشارة إلى ان قصة فداء عبد الله بذلك الاسلوب الذي اشارت به الكاهنة فاصبح فداؤه مائة بعير^(٧)، وهذا ما اثبتته الاسلام فيما بعد فيه دلالة على ان مسألة تدخل الكهان والاصنام لا صحة لها، اذ كيف يثبت الاسلام حكماً اقرته الاصنام والكهان، وهو الذي جاء للقضاء عليها.

إذاً ماذا كان يقصد ابو طالب بقوله: (اني على دين عبد المطلب). فهل يريد التعمية على المشركين الذين يعتقدون ان عبد المطلب على دينهم؟ ام ان ابا طالب اراد تأكيد ايمانه بانه كايما عبد المطلب كما يقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب^(٨)
الدليل الثالث: الذي يشير لنزول الاية القرآنية ﴿وما كان للنبي والذين امنوا

(١). ص ٢ وما بعدها.

(٢). ص ٢ وما بعدها.

(٣). ص ٢ وما بعدها.

(٤). ص ٢ وما بعدها.

(٥). ص ٢ وما بعدها.

(٦). ص ٢ وما بعدها.

(٧). الازرقسي: اخبار مكة ٤٨/٢ - ٤٩. الطبري: تاريخ ٢/٢٤٠ - ٢٤٤. السيوطي: الوسائل ص ٥٥ - ٦.

(٨). للشاعر النابغة: ديوانه ص ١٥. ابن خلكان: وفيات ٢/٢٥٧.

ان يستغفروا للمشركين، ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ﴿١﴾.

روي البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال: لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه الرسول ﷺ فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة فقال: أي عم! قل: لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية: اترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانها بتلك المقالة حتى قال ابو طالب اخر ما تكلم به: على ملة عبد المطلب وابي ان يقول: لا اله الا الله فقال ﷺ: والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزل قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين...﴾ (١).

والان لنطرح الحثيات الآتية:-

اولاً: المعروف ان الرسول ﷺ وعلى مدى عشر سنوات كان يدعوا إلى التوحيد تحت مرأى وحماية ابي طالب، فاين كان ﷺ عن ابي طالب؟ ولماذا لم يدعه إلى التوحيد إلا في هذه الساعة الاخيرة من حياته؟ حيث لم نقرأ في الروايات انه دعاه إلا ما كان في يوم الانذار في بدء الدعوة الاسلامية والذي ايد فيه ابو طالب النبي، ودعاه للقيام بأمره وتهد بحمايته (٢).

ثانياً: ان قول النبي ﷺ: لاستغفرن لك ما لم انه عنك. فيه دلالة ان النبي ﷺ كانت ماثلة لديه فكرة النهي عن الاستغفار للمشركين، اذا كان الاجدر بالنبي ﷺ ان يطلب اولا الاذن من الله سبحانه وتعالى على الاستغفار، قبل المبادرة إلى فعل يشك ﷺ بان الله لا يرخص به.

(١). الصحيح ١٣٢/٦ - ٣ وانظر مسلم: الصحيح ١/٢١٤.

(٢). انظر موقف ابي طالب يوم الانذار. الشرح: ١٣/١٩٩، ٢١١. اليعقوبي: التاريخ ٢/٢٣ -

٢٤. الطبري: جامع البيان ١٩/١٢٢.

ثالثاً: اما الآية اعلاه فهي الآية (١١٤) من سورة التوبة والمعروف ان هذه السورة نزلت في المدينة في السنة التاسعة للهجرة^(١) اي بعد وفاة ابي طالب باثنتي عشر سنة فما هو السر في تأخرها ان كانت نزلت في حق ابي طالب؟!..
رابعاً: حتى لو قلنا انها نزلت في ابي طالب بعد كل هذه السنين ولكن الا تستوقفنا تلك الايات الكثيرة التي نزلت قبلها، والتي تدعو النبي والمؤمنين لعدم الاستغفار للمشركين، ولا المودة لهم ولا اتخاذهم اولياء^(٢) أفما كان بهذه الآيات دليل للنبي ﷺ ان لا يستغفر لابي طالب حتى ينتظر كل تلك المدة وهو يستغفر له؟

خامساً: ان هناك مناسبات اخرى لنزول الآية قد تكون اكثر مصداقاً لسبب نزولها ومنها: -

أ. قال الامام علي عليه السلام: سمعت رجلاً يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت: اتستغفر لابويك وهما مشركان؟ قال: اولم يستغفر ابراهيم؟ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنزلت الآية^(٣).

ب. قال ابن عباس: كانوا يستغفرون لابائهم حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت امسكوا عن الاستغفار لامواتهم، ولم ينهوا عن الاستغفار للاحياء حتى يموتوا ثم انزل الله تعالى (وما كان استغفار ابراهيم لاييه...) أي ان استغفاره كان ما دام ابوه حياً^(٤).

(١). انظر: الزمخشري: الكشاف ٢/٢٤١، القرطبي: الجامع ٨/٦١.
(٢). كقوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَائِهِمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾. سورة المجادلة: الآية ٢٢، نزلت قبل سورة التوبة بسبع سور. السيوطي: الاتقان ١/١٧. بالاضافة إلى الآية ٢٨ من سورة آل عمران والايات ١٣٩، ١٤٤ من سورة النساء وغيرها.
(٣). الترمذي: صحيح ١١/٢٤٩ - ٢٥٢. الطبري: جامع البيان ١١/٤٣. دحلان: اسنى المطالب ص ٣٢.

(٤). دحلان: اسنى المطالب ص ١٨، ٤٥.

ج. عن قتادة: ذكرنا رجالاً من اصحاب النبي ﷺ قالوا: يا نبي الله ان من ابائنا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم ويفك العاني ويوفي بالذمم افلا نستغفر لهم؟ فنزل قوله تعالى (ما كان للنبي...) (١).

سادساً: ان الاداة (ما) الواردة في الاية تفيد النفي وليس النهي أي ان الاية تفيد نفي استغفار الرسول ﷺ للمشركين، أي ان النبي ﷺ لم يستغفر للمشركين فاذا كان النبي ﷺ قد استغفر لابي طالب فهذه الاية تؤكد ان ابا طالب ليس مشركاً لانه لو كان مشركاً لما كان النبي ﷺ سيستغفر له.

سابعاً: ان من احتج على الاستغفار للمشركين لم يحتج بفعل النبي ﷺ بل بفعل ابراهيم عليه السلام ولو كانوا يعرفون ان ابا طالب مشرك وان النبي ﷺ يستغفر له، لكان الاولى ان يحتجوا بفعل النبي ﷺ لا بفعل ابراهيم عليه السلام (٢).

ثامناً: ان مصدر الرواية مطعون فيه، فالراوي هو سعيد بن المسيب وهو المعروف بموقفه السلبي تجاه الامام علي عليه السلام حيث ذكره ابن ابي الحديد في جملة من اتخذ موقفاً سلبياً من الامام علي عليه السلام (٣).

تاسعاً: المعروف ان النبي ﷺ قال لعقيل الذي اسلم قبل فتح مكة: (احبك حين حباً لك وحباً لحب ابي طالب) (٤) والمعروف ان الايات الكثيرة التي نزلت قبل فتح مكة تؤكد على عدم المودة للمشركين.

الدليل الرابع: نزول الاية ﴿انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾. سورة القصص ٥٦. في ابي طالب (٥).

(١). الطبري: جامع البيان ٣١/١١.

(٢). الطبري: جامع البيان ٣١/١١.

(٣). الشرح: ١٠١/٤ - ٢. مع ان سعيد بن المسيب موثق عند علماء الجرح والتعديل، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/٢٠٥ - ٦، تهذيب التهذيب ٤/٨٤ - ٨٥.

(٤). الشرح: ٧٠/١٤، وانظر الحاكم: المستدرک ٣/٦٦٧، ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٥٠٩.

(٥). انظر تحليل الخيزي: ابو طالب ص ٣١١، ٣٦١ - ٣٧٦.

اولاً: ان نسبة الهداية إلى الله سبحانه وتعالى لا تقتصر على هذه الآية وانما هناك آيات كثيرة تشير إلى ذلك فعلى سبيل المثال قوله تعالى ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾^(١)، و﴿ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل﴾^(٢) و﴿اتريدون ان تهدوا من اضل الله﴾^(٣) و﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا﴾^(٤) وغيرها.

غير ان هذه الهداية والضلال لا تأتي بالقوة ولكن الله سبحانه وتعالى اوضح للانسان الطريق الصحيح ومنحه الحرية لاختيار ما يشاء ﴿انا هديناه السبيل اما شاكرًا واما كفورًا﴾^(٥) فاذا ما اختار طريق الهداية فالله سبحانه وتعالى قادر على ان يضلّه، ولكن عدله سبحانه وتعالى يابى ذلك واذا ما اختار طريق الضلال فالله قادر على هدايته ولكنه تعالى لا يستخدم الجبر في ذلك أي ان فحوى الايات ان ايمان الانسان وضلاله ليس خارجاً عن قدرة الله سبحانه وتعالى.

اذن فهناك آيات كثيرة نزلت بهذا المعنى فلا يوجد داع لتخصيص هذه الآية دون غيرها في ابي طالب.

ثانياً: ان قوله تعالى: ﴿انك لا تهدي من احببت﴾ هذا الخطاب لا يعني انه موجه للنبي ﷺ فقط، بل هو موجه لكل من سار في طريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ثم ان لفظه (انك) التي تفيد المفرد قد تفيد الجمع، فالقران احياناً يستخدم المفرد ويريد الجمع واحياناً يستخدم الجمع ويريد المفرد وهذا موجود في اللغة العربية^(٦).

(١). سورة البقرة الآية ٢٧٢.

(٢). سورة النحل: آية ٣٧.

(٣). سورة النساء: آية ٨٨.

(٤). سورة الكهف: آية ١٧.

(٥). سورة الانسان: آية ٣.

(٦). وقد ورد هذا الاسلوب كثيراً في القران الكريم كقوله تعالى ﴿الذين قالوا ان الله فقير ونحن

ثالثاً: ان روايات نزول هذه الاية في ابي طالب كلها مروية عن اشخاص لم يشهدوا زمان ابي طالب او معاينته حال الوفاة وهم:

١. رواية مصدرها - ابو هريرة - وهو صحابي من اهل البحرين جاء إلى المدينة واسلم في السنة السابعة للهجرة في فتح خيبر، أي بعد وفاة ابي طالب بعشر سنين ولم تشر الرواية لمصدر ابي هريرة^(١).

٢. رواية عن ابي سهل السري بن سهل، عن عبد القدوس، عن ابي صالح، عن ابن عباس، والمعروف ان ابا سهل ضعيف الحديث، بل مجهول العين والحال^(٢). اما عبد القدوس بن حبيب الكلاعي من اهل الشام فلم يكن ابن المبارك يفصح بقوله كذاب إلا لعبد القدوس هذا وقال الفلاس: اجمعوا على ترك حديثه، وقال النسائي: ليس بثقة^(٣).

ومصدر الرواية ابن عباس الذي كان يوم وفاة ابي طالب رضيعاً^(٤). فمن الذي اخبره بالرواية^(٥)؟ هل هو اياه الذي اكد ان ابا طالب قال كلمة التوحيد في اخر لحظات حياته.

٣. رواية عن ابي سهل السري الكذاب المار الذكر، عن عبد القدوس

اغنياء ﴿سورة آل عمران: الآية ١٨١، نزلت في حي بن اخطب. القرطبي: الجامع ٢٩٤/٤. وقوله تعالى ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الخصام﴾ سورة البقرة: الآية ٢٠٤ نزلت في الاخنس بن شريق. الواحدي: اسباب النزول: ص ٢٩. وقوله تعالى ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم﴾ سورة النور: الآية ٣٢. نزلت في غلام حويطب بن عبد العزى. الواحدي: اسباب النزول ص ٢١٩.

(١). انظر الرواية لدى السيوطي: الدر المنثور ١٣٣/٥.

(٢). الذهبي: ميزان الاعتدال ٥٣٥/٤.

(٣). ابو زرعة: الضعفاء ٨١٥/٣. الذهبي: ميزان الاعتدال ٦٤٢/٢. ابن ابي حاتم: الجرح والتعديل ٥٦/١/٣.

(٤). الطبري: المنتخب ص ٥٢٤. ابن حزم: جمهرة ص ١٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ٩٣٣/٣. ابن الاثير: اسد الغابة ١٩٢/٣.

(٥). انظر الرواية لدى السيوطي: الدر المنثور ١٣٣/٥.

الكذاب ايضاً إلى ان تنتهي إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب والمعروف ان ابن عمر كان عمره وقتذاك سبع سنوات^(١) ولا يتصور انه حضر وفاة ابي طالب فمن الذي اخبره بذلك؟^(٢)

فهذه الروايات برواتها الضعفاء والكذابين يمكن القول انها وضعت ونسبت إلى الصحابة.

الدليل الخامس: قول الامام علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم: ان عمك الضال قد قضي! فما الذي تأمرني فيه؟

اولاً: هل هذا الكلام الصادر من الامام علي عليه السلام بحق ابيه يتناسب مع خلق الامام الذي هو من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم!!!

ثانياً: اذا كان علي عليه السلام ناقماً علي ابيه، فاين كان عنه؟ فهل سمعنا او قرأنا ان علياً عليه السلام ناقش اياه يوماً علي الضلالة؟ وينسحب الامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث لم نقرأ انه دعا عمه ابا طالب إلا في اللحظات الاخيرة من حياته وهو امر غير مستبعد، لان تلقين الميت بالشهادتين من السنة المباركة.

ثالثاً: اليس من اغرب الغرائب ان يموت شيخ البطحاء، وهو الذي كان السند والعمود لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم لعشر سنوات والنبي محمد صلى الله عليه وسلم بعيد عنه، ثم يموت ولا احد بجواره، لدرجة ان الامام علياً عليه السلام يحتار في امره فيأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الاذن فيه، يقول له صلى الله عليه وسلم: اذهب فواره، فاين ابناء عبد المطلب العشرة؟ اين بقية بني هاشم؟ اين زعماء قريش؟ أي موت ابو طالب بهكذا وضع وكأنه من عامة الناس.

رابعاً: ان سند الرواية مطعون فيه وهو: عن سفيان بن عيينه عن ابي اسحاق، عن ناجية ابن كعب، قال: قال علي عليه السلام: ان عمك...).

(١). ابن الأثير: اسد الغابة ٢٢٧/٣ - ٢٣١.

(٢). انظر الرواية لدى السيوطي: الدر المنثور ١٣٣/٥.

اما سفيان بن عيينة فمع انه حافظ فقيه، امام حجة، وثقة، وقد اجتمعت الامة على الاحتجاج به، لكنه كان يدلس عن الثقات، وقد تغير حفظه واختلط في سنة ١٩٧هـ^(١).

ابو اسحق السبيعي: هو عمرو بن عبد الله الهمداني، يشار إلى انه كان عابداً ثقة وقد ولد ايام الخليفة عثمان (رض) وراى الامام علياً واسامة، ولكنه في عهد معاوية كان يتقاضى منه ثلاثمائة دينار في الشهر، وهذا يوجب التوقف في امره؟ والتساؤل عن سر ذلك؟ ويشار إلى انه اختلط في اخر حياته، واخذ ينسى وتغير حفظه ويقال ايضاً انه افسد حديث اهل الكوفة^(٢).

اما ناجية بن كعب، فقد توقف ابن حيان في توثيقه ولم يحدث عنه إلا ابو اسحق السالف الذكر^(٣).

الدليل السادس: لم ينقل عن ابي طالب انه صلى:

اولاً: اذا كان ابو طالب لم يعلن اسلامه قولاً، اتجده يعلن صلاته فعلاً، فان كان قد تستر على القول فالفعل اولى بالتستر!

ثانياً: ان الصلاة يومذاك لم تكن واجبة^(٤)، بل نافلة فمن شاء صلى، ومن شاء ترك لان المسلمين كانوا تحت انظار المشركين.

ثالثاً: هل نقل عن جميع ممن اسلم في مكة انه صلى!

الدليل السابع: عدم اخذ الامام علي عليه السلام وجعفر من تركه ابي طالب^(٥).

اولاً: ما هي هذه التركة التي تركها ابو طالب؟ او ليس ابو طالب هو ذاك

(١). الذهبي: ميزان الاعتدال ١٧٠/٢ - ١٧٠/١. ابن حجر: تقريب التهذيب ٣١٢/١.

(٢). الذهبي: ميزان الاعتدال ٢٧٠/٢. ابن حجر: تقريب التهذيب ٧٣/٢.

(٣). الذهبي: ميزان الاعتدال ٢٣٩/٤.

(٤). الشرح: ٨٣/١٤. وانظر: ابن زبالة: منتخب ص ٤٨، حيث ذكر ان خديجة توفيت قبل فرض الصلاة.

(٥). انظر تحليل الخنيزي: ابو طالب ص ٣٧٦ - ٧.

الفقير الذي ساد مكة وما ساد فقير قبله! او ليس ابو طالب هو الذي ترك النبي ﷺ والعباس يأخذ ولديه علياً وجعفرأ حتى يخففا عنه اثقال المعيشة لانه كان فقيراً؟
ثانياً: ولنفترض انه كان لديه تركة، فاي شيء يبقى منها في ذلك الزمن الصعب؟ بل ما الذي بقي من اموال خديجة وهي من كبار اغنياء مكة، حتى اصبحت في ايام حصار الشعب تجلس على حصير ولا تجد لها طعاماً، حيث انفقت اموالها في خدمة الدعوة الاسلامية^(١)، فاذا كان هكذا يؤول حال خديجة فما ظنك بابي طالب!!؟

الدليل الثامن: رواية الضحاح^(٢) في النار.

فحوى هذه الرواية ان العباس بن عبد المطلب سأل النبي ﷺ: ما اغنيت عن عمك، فانه كان يحوطك ويغضب لك. قال ﷺ: هو في ضحاح من النار، ولولا انا لكان في الدرك الاسفل، وفي رواية: وجدته في غمرات النار فاخرجته إلى ضحاح. وفي رواية: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحاح من نار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه.

يمكن مناقشة النص اعلاه في الحثيات الآتية^(٣).

اولاً: المعروف في العقيدة الاسلامية ان من يموت مشركاً فان له نار جهنم خالداً فيها ابداً، فهو ممن لا يغفر له يقول تعالى ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾^(٤).

ثانياً: ان الشفاعة في العقيدة الاسلامية منحصرة باهل التوحيد فقط، اما من

(١). انظر الشرهاوي: السيدة خديجة ص ٨١-٨٧.

(٢). الضحاح: الماء القريب الفجر، الرازي: مختار الصحاح ص ٣٧٧.

(٣). انظر تحليل الخنيزي: ابو طالب ص ٣٧٧-٤٠٣.

(٤). سورة النساء: الآية ٤٨.

كان ليس بموحد ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾^(١).

قال ﷺ قيل لي: سل فان كل نبي قد سأل فأخرت مسألتني إلى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد ان لا إله إلا الله^(٢) وقال ﷺ (شفاعتي لمن شهد لا إله إلا الله مخلصاً وان محمداً رسول الله يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه)^(٣).

ثالثاً: اما مسألة التخفيف في العذاب فقد انكره القرآن الكريم في اكثر من اية، قال تعالى ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾^(٤). وقال ﴿واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينصرون﴾^(٥) وقال ﴿خالدين فيها ابداً لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾^(٦) وقال ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة إلا اتخذ الرحمن عهداً﴾^(٧) والعهد هنا شهادة لا إله إلا الله والقيام بحقها^(٨).

رابعاً: ان الرواية مطعون في سندها فمن رواتها:

- سفيان الثوري الذي وان كان ثبنا حجة متفقا عليه، وله نقد وذوق ولكنه كان يدلس عن الضعفاء ويكتب عن الكذابين^(٩).

- عبد الملك بن عمير اللخمي: يوصف بانه من اوعية العلم تولى قضاء

(١). سورة: المدثر: الآية ٤٨.

(٢). ابن حنبل: المسند ٤٤٤/٢. المنذري: تهذيب الترغيب والترهيب ٥١٩/٤. وهناك ما يماثله في مسلم: الصحيح ٧٤/٣. الترمذي: صحيح ٢٩٥/٢.

(٣). ابن حنبل: المسند ٣٠٧/٢، ٥١٨.

(٤). سورة فاطر: الآية ٣٦.

(٥). سورة النحل: الآية ٨٥.

(٦). سورة البقرة: الآية ١٦٢، سورة آل عمران: الآية ٨٨.

(٧). سورة مريم: الآيات ٨٦-٨٧.

(٨). القرطبي: الجامع ١٥٤/١١. تفسير البيضاوي ٤٠/٢. تفسير ابن كثير ١٣٨/٣.

(٩). ابن حاتم: الجرح والتعديل ٢٢٥/٢/١، الذهبي: ميزان الاعتدال ١٦٩/٢. ابن حجر: تقريب التهذيب ٣١١/١.

الكوفة بعد الشعبي ويقول ابن حجر انه فقيه ثقة ولكنه تغير حفظه، وربما دلس ومات وله من العمر مائة وثلاث سنين، وقال الذهبي ولكنه طال عمره وساء حفظه وقال ابن ابي حاتم: (ليس بحافظ تغير حفظه). وقال احمد: ضعيف، يغلط. وقال ابن معين: مخلط، وقال ابن خراش: كان شعبه لا يرضاه. وذكر الكوسج عن احمد: انه ضعف جدا ولكن العجلي وثقه، وقال النسائي: لا بأس به، وقال الذهبي: الرجل من نظراء ابي اسحق السبيعي وسعيد المقري لما وقعوا في هرم الشيخوخة، نقص حفظهم وساءت اذهانهم ولم يختلطوا^(١).

- عبد الله بن يوسف التنيسي: اختلف علماء الجرح والتعديل فيه، ففي الوقت الذي قال فيه الذهبي انه: (الثقة شيخ البخاري) فقد ضعفه ابن عدي واورده في الضعفاء، وشك يحيى بن بكر في سماعه من الامام مالك، وكان التنيسي من اهل الشام^(٢).

- الليث بن سعد: كان احد الاعلام والائمة الاثبات وحجة بلا نزاع عند الذهبي، ولكن ابن معين اشار إلى انه كان يتساهل في الشيوخ والسماع^(٣).
- يزيد بن عبد الله الهادي: هو من ثقات التابعين وعلمائهم عند الذهبي، ولكن ابا عبد الله بن الحذاء اورده في باب من ذكر بجرح من رجال الموطأ وكان يروي عن كل احد^(٤).

- عبد العزيز بن محمد بن عبيده الداوردي: قال الذهبي: صدوق من علماء اهل المدينة، ولكن غيره اقوى منه. وقال احمد بن حنبل: اذا حدث من حفظه ليس هو بشيء واذا حدث من كتابه فنعم، واذا حدث من حفظه جاء ببواطيل، وفي

(١). ابن ابي حاتم: الجرح والتعديل ٢/٢٠٣ - ٣٦١، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٦٦٠ -

٦٦١، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/٥٢١.

(٢). ابن عدي: الكامل في الضعفاء ٥/٣٤١ - ٢، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٥٢٨.

(٣). الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/٤٢٣.

(٤). الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/٤٣٠.

الوقت الذي وثقه ابن المديني فقد قال فيه ابن ابي حاتم: لا يحتج به، وقال: ابو زرعة: سبىء الحفظ، فيما ارتقى به معن بن عيسى: يصلح الداوردي ان يكون امير المؤمنين^(١).

اما بالنسبة إلى ادلة القائلين باسلامه

فقد توقفنا عند الادلة التالية:-

١. الدليل الثالث: هذا الدليل يأتي في مقابلة الدليل الثامن لدى القائلين ببقاء ابي طالب على دين قومه، ففي كلا الدليلين نجد العباس يسأل النبي ﷺ عن مصير ابي طالب الذي يختلف عند الطرفين فهو في ضحاح من نار عند القائلين ببقائه على دين قومه، اما عند القائلين بايمانه فالرسول يرجو له كل الخير، والظاهر انه وضع في مقابل حديث الضحاح، وإلا فما معنى سؤال العباس عن ابي طالب فانه ان صح يورث شكاً في ايمان ابي طالب.

٢. الدليل الرابع: قول الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام: (انك ان لم تقر بايمان ابي طالب كان مصيرك إلى النار) الملاحظ ان المقصود هو ممن قامت لديه البينة على ايمان ابي طالب ومع ذلك انكره لما رب اخرى كأن يكون البغض للامام علي عليه السلام وإلا فلا يؤخذ هذا النص على ظاهره في حالة صحته.

٣. الدليل الخامس: لم اجد ما يؤيد ان الامام علياً عليه السلام اوصى بالحج عن عبد الله وابي طالب.

٤. الدليل السادس: قول ابي بكر (رض) للرسول ﷺ: لانا كنت اشد فرحاً باسلام عمك ابي طالب مني باسلام ابي، التمس بذلك قرّة عينك.

(١). ابن ابي حاتم: الجرح والتعديل ٣٩٥/٢/٢ - ٦. ابو زرعه: الكامل في الضعفاء ٤٢٥/٢. الذهبي: ميزان الاعتدال ٦٣٢/٢ - ٦٣٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣٥٣/٦ - ٥. تقريب التهذيب ٥١٢/١.

إذا كان اسلام ابي طالب في بدء الدعوة الاسلامية فلا معنى لفرح الرسول ﷺ، او ابي بكر (رض) لان اسلامه كاسلام أي من المسلمين الاوائل، اما إذا كان اسلامه في لحظات الموت، ولذلك فرح الرسول ﷺ به تبعاً لذلك فرح ابو بكر (رض)، فان هذا ما لا يقوله القائلون باسلام ابي طالب، فكيف يعتبرونه دليلاً على اسلامه، بل ان النص اعلاه يفيد عدم اسلام ابي طالب، أي ان ابا بكر كان يتمنى اسلام ابي طالب ولو اسلم لكان اشد فرحاً به من اسلام ابيه.

٥. الدليل السابع: مسألة بقاء فاطمة بنت اسد وهي مسلمة تحت ابي طالب

فيه دلالة على اسلامه، لانه لا يجوز بقاء المسلمة تحت كافر.

(١) ان طبيعة دعوات النبي ﷺ في مكة تختلف عنها في المدينة، فالدعوة المكية كانت مقتصرة على الدعوة إلى التوحيد والتأكيد على المساواة ومحاربة الغنى والترف الذي كان المشركون يعتبرونه من مميزات العلو والغلبة^(١).

اما بالنسبة إلى التشريع فهذا كان في المدينة حيث شرعت الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد وغيرها.

(٢) ان النبي لم يُسمح له الظرف في مكة بتطبيق الاحكام وخاصة على عمه ابي طالب الذي كان يحوطه ويحميه، فهو طوال عشر سنوات ينشر الدعوة تحت حمايته فأني له ان ينتزع منه زوجته. ولدينا دليل على ان الظرف لم يكن يسمح للنبي ﷺ بتطبيق الاحكام وهو ان ابنته زينباً أسلمت في بدء الدعوة الاسلامية إلا ان زوجها ابي العاص بقي على شركة فاستمرت تحت عصمته حتى السنة الثانية من الهجرة حيث معركة بدر التي وقع ابو العاص اسيراً بيد المسلمين فاطلق الرسول ﷺ سراحه بعد ان شرط عليه اطلاق سراح زينب^(٢).

(١). انظر د. محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي ص ٧٢ - ٧٥.

(٢). انظر ابن عبد البر: الاستيعاب ١٧٠١/٤ - ٤، ابن الاثير: اسد الغابة ٢٣٦/٥ - ٨.

(٣) قوله تعالى ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾^(١) هذا خطاب للمسلمين من الرجال باطلاق النساء الكافرات ثم ان الاية نزلت في المدينة^(٢).

(٤) ولكن الاجدر ان يقال ان بقاء فاطمة بنت اسد تحت عصمة ابي طالب فيه دلالة على اسلامه، اذ لو كان مشركاً لتركته فاطمة، اذاً فالقول بايمان ابي طالب لا يرجع هنا لموقف الرسول ﷺ في ابقاء فاطمة، وانما يرجع لموقف فاطمة نفسها في بقائها تحت عصمة ابي طالب.

٦. الدليل السابع عشر: حينما حضرت ابا طالب الوفاة تكلم بكلام خفي فانصت له العباس، وقال للرسول ﷺ: يا ابن اخي والله لقد قالها عمك، ولكنه ضعف ان يبلغك صوته.

إذا صحت هذه الرواية وهذا الموقف من العباس، فلماذا لم يسلم هو، ثم هذا يعني ان ابا طالب اسلم في اللحظات الاخيرة والقائلون باسلامه يقولون: انه اسلم منذ يوم الانذار.

والاولى ان يقال في ذلك ان ما قاله ابو طالب في اللحظات الاخيرة لا يعني بدء اسلامه وانما هو التشهد الذي يقوله المحتضر ساعة الاحتضار كما تؤكد السنة المشرفة.

٧. الدليل التاسع عشر والثالث والعشرون: ان شعر ابي طالب دليل ايمانه: ان من يقرأ شعر ابي طالب او يسمعه يقطع بايمانه اذاً يا ترى ما هو موقف مشركي مكة من هذا الشعر، فهل كان ابو طالب يقوله بعيداً عن اسماع المشركين؟ نجد ان بعضه قاله بوجه المشركين وبمسمع منهم؟

والملاحظ ان فترة المقاطعة قد تكون حداً فاصلاً بين فترتين متميزتين من حياة ابي طالب بعد ظهور الاسلام إلا وهي فترة السر وهي الفترة السابقة

(١). سورة الممتحنة: الآية ١٠.

(٢). انظر: الطبري: جامع البيان ٧١/٢٨ - ٣.

للمقاطعة، ولكن حينما ادرك المشركون ان ابا طالب قد امن بدعوة ابن اخيه لذا اصدروا بحقه اقسى العقوبات إلا وهي المقاطعة، حيث كان ابو طالب هو كبير المقاطعين والمحصورين فدعا بني هاشم لنصرة النبي ﷺ وتأسيده واستنكر موقف القريشيين هذا شعراً.

فهل ان شعر ابي طالب جاء بعد المقاطعة؟ خاصة إذا علمنا ان القائلين باسلامه يقولون بان ابا طالب كتم اسلامه بغية حماية النبي ﷺ؟ فكيف يتأتى ذلك مع شعره الصريح بايمانه!!؟

اما بالنسبة إلى موقف ابن ابي الحديد السلمي وعدم اتخاذه قراراً واضحاً معتمداً على الدليلين: الاول: تعارض ادلة القائلين ببقائه على دين قومه مع ادلة القائلين باسلامه.

والواقع انه لا يوجد تعارض وذلك لان عدد الادلة التي ساقها لبيان بقاءه على دين قومه لا تتجاوز التسع ادلة بينما اورد ثلاثة وعشرين دليلاً على ايمانه وفي هذا نجد موقفاً خفياً لابن ابي الحديد.

الثاني: ما ورد في رسالة محمد ذي النفس الزكية إلى الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ وقول ذي النفس الزكية فيها: (انا ابن خير الاخيار، وانا ابن شر الاشرار)، (فان هذه شهادة منه على ابي طالب بالكفر وهو ابنه وغير متهم عليه) واطاف: وعهده قريب من عهد النبي ﷺ ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً.

نظرة في رسالة محمد ذو النفس الزكية

هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب، من كبار رجالات اهل البيت خلقا وعلما حتى سمي بذئ النفس الزكية لزهده ونسكه، وحينما لاحت علامات ضعف وانحلال الدولة الاموية، اخذ رجالات البيت

الهاشمي بعقد الاجتماعات ومداولة الرأي، وقد عقد في ابواء اجتماعان، كان الاول سنة ١٢٦هـ اما الثاني سنة ١٢٩هـ لبيعه ذي النفس الزكية فلم تتم فيهما البيعة لان الدعوة العباسية كانت قد اتت اكلها، وسرعان ما قامت الدولة العباسية، فاخفى محمد ولم يبايع لابي العباس السفاح ١٣٢ - ١٣٦، وقد اراد الاخير ان يقدم صورة لخلافة هاشمية، فلم يتعرض لابناء عمه العلويين، ولكنه لما جاء ابو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨)، لم يقتنع إلا ببيعة محمد، مستخدماً جملة من الاجراءات التي اضطرت محمداً للخروج في المدينة، وهنا اشارت المصادر إلى ان الخليفة وحدها فرصة للاعلان عن الرؤية العباسية في نظرية الخلافة، فكانت ثلاث رسائل تبودلت بدأها المنصور، واجاب محمد عن الاولى ثم اعاد الخليفة الجواب، فيما لم تشر المصادر لرسائل جوابية ثانية من محمد لتكون اربع رسائل وكان من جملة ما ورد في رسائل محمد عبارة (انا ابن خير الاخيار، وانا ابن شر الاشرار)^(٢).

هنا نتطرح عدة حيثيات حول ذلك:-

اولاً: ان هذه الرسائل^(٣) انما كتبت لاثبات من هو الاحق بمنصب الخلافة، اذن يجدر بمحمد ان يبحث عن ادلة تؤيد احقيته، فهل يعقل ان نجد محمداً يسجل

(١) البلاذري: انساب الاشراف ٧٥/٢ - ١٣٥ مؤلف مجهول: اخبار العباس وولده ص ٣٨٥ - ٢٨٨، ٩. الطبري: تاريخ ٥١٧/٧ - ٦٠٩. ابو الفرج: مقاتل الطالبين ص ١٥٧ - ٢٠٠. مؤلف مجهول: العيون والحدائق ص ٢٣٠ - ٢٥٠. القالي: ذيل الامالي ص ١٢٠. ابن عنبه: عمدة الطالب ص ١٠٣ - ١٠٥.

(٢) انظر هذه الرسائل في البلاذري: انساب الاشراف ٩٥/٢ - ١٠٢. المسيرد: الكامل في اللغة والادب ١١٣/٤ - ٢٠. الطبري: تاريخ ٥٦٥/٧ - ٥٧١. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٧٩/٥ - ٨٥. الازدي: تاريخ الموصل ١٨٢ - ١٨٧ مؤلف مجهول: العيون والحدائق ص ٢٤٠ - ٢٤١. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٢٢١ - ٢٢٤. القلقشندي: صبح الاعشى ٢٣١/١ - ٥. صفوة: جمهرة رسائل العرب ٨٤/٣ - ٩٦. وانظر تحليل لهذه الرسائل، عمر: العباسيون الاوائل ١١٨/١ - ١٣٤.

على نفسه وبقلمه عند خصمه هذا الدليل الذي يعد طعنا فيه لاله؟ كيف يجوز لعاقل ان يظن صدور مثل هذا القول من محمد وهو في وقت مملوء حماساً وافتخاراً؟ وإذا كان محمد ابن شر الاشرار فاي فخر يبقى له؟! (١)

ثانياً: لو قبلنا بصحة ذلك جد لا فهل هناك من يقول ان ابا طالب شر الاشرار فهل هو شر من ابي لهب الذي ضرح القرآن به، وابو جهل فرعون هذه الامة، والوليد بن المغيرة الذي توعدده القرآن بسقر (٢)

ثالثاً: ولو تنزلنا بعد وقلنا بصدور ذلك من ذي النفس الزكية فما هو الدليل على ان قصد محمد بشر الاشرار هو ابو طالب فقد يكون قصده جده لأمه، عبد العزى، فأم محمد هي هند بنت ابي عبيده بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى، وكان عبد العزى من مشيخة قريش ومشركيهم (٣) وقد يقصد جده زمعة بن الاسود (٤)، احد المناوئين للنبي ﷺ

رابعاً: يرى ابن ابي الحديد انه لا يمكن القول بافتعال ذلك على محمد لان عهده قريب من عهد النبي ﷺ فلم يطل الزمان حتى يكون الخبر مفتعلاً.

ان المتتبع لما ورد في شرح ابن ابي الحديد يكاد يقطع بان ابن ابي الحديد لا يقتنع نفسه بهذا الدليل - حيث اكد في مناسبات عدة على ان مسألة الوضع في الحديث قد بدأت في عهد معاوية، حتى ان الاخير وضع اشخاصاً لهذا الغرض (٥) مع ان الامام علياً يرى ان الوضع في الحديث قد بدأ في عصر النبي ﷺ ولذا

(١). العاملي: شيخ الابطح ص ٨١. الخنيزي: ابو طالب ٢٩٥-٢٩٦.

(٢). العاملي: شيخ الابطح ص ٨١.

(٣). ابن عسبه: عمدة الطالب ص ١٠٣. العاملي: شيخ الابطح ص ٨٢. الخنيزي: ابو طالب ص ٢٩٦-٢٩٨.

(٤). من الداء اعداء النبي ﷺ وقتل في معركة بدر انظر: الطبري: تاريخ ٣٧٠/٢، ٤٣٧، ٤٥٨، ٤٦١.

(٥). الشرح: ٦٣/٤ - ٧٢، ٢٨/١١ - ٥٠.

نجده سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوعد اولئك ويقول: من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار^(١).
فاذا كان الوضع قد افتعل على النبي سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زمانه، فمن باب اولي ان نجده
في العصور اللاحقة، ولا داعي للافاضة في هذه المسألة فهي من المسلمات.
خامساً: بدأ المنصور بارسال رسالة ممزوجة بالترغيب والترهيب إلى
محمد، وكأنه اراد استشارته حتى إذا جاءت رسالة محمد الجوابية، نجد الخليفة
وكانه يريد ان يوضح نظرية العباسيين في الخلافة، محاولاً ابطال النظرية العلوية،
إلا اننا بعد ذلك لا نجد رسالة لمحمد للاجابة على النظرية التي طرحها الخليفة؟
فهل هذا يعني اقتناع محمد بما جاء به المنصور؟ او رأى ان الاجابة لا تجدي نفعاً؟
ام ان هناك رسالة ولكن يدا خفية اخفتها؟.

سادساً: ان محمداً قد قتل وتشتت اصحابه بين القتل والسجن والتشريد،
فلم يكن لدينا مصدراً عن هذه الرسائل الا بلاط الخليفة العباسي!!؟.
سابعاً: ولنأت الان إلى مصدر هذه الرسائل ورواتها:

١. مصدرها لدى البلاذري: هو ابن حرب. وقد اورد الذهبي شخصيين بهذا

الاسم، قال بحق الاول: مجهول، اما الاخر فهو: واه^(٢).

٢. مصدرها لدى الطبري: قال الطبري: قال عمر بن شبة: حدثني محمد بن

يحيى قال: نسخت هذه الرسائل من محمد بن بشير وكان بشير يصححها وحدثنيها
ابو عبد الرحمن من كتاب اهل العراق والحكم بن صدقة بن نزار، وسمعت ابن ابي
حرب يصححها، ويزعم ان رسالة محمد لما وردت على ابي جعفر قال ابو ايوب:
دعني اجبه عليها: فقال: ابو جعفر: لا بل انا اجيبه، اذا تقارنا على الاحساب
فدعني واياه.

(١). الشرح: ٣٨/١١. واخرج حديث النسبي. الترمذي: صحيح ١٦٧/١٢. ابن ماجه: صحيح

١٢/١ - ١٣.

(٢). الذهبي: ميزان الاعتدال ٥١٣/٤.

بدءاً يتضح ان هناك شكوكاً في الرسائل ولذا نجد محمداً بن بشر يصححها، ولا ندري ماذا يقصد بالتصحيح؟ ويذكر لفظه (ويزعم) وهي من الفاظ التمريض والشك.

اما بالنسبة إلى الرواة، فابن ابي حرب، لم نجد شخصاً بهذا الاسم، وقد يكون ابن حرب الذي ذكره البلاذري ولاحظنا القول فيه.

- الحكم بن صدقة بن نزار: لم اجد في كتب التاريخ او الجرح والتعديل شخصاً بهذا الاسم حيث اطلعت على كتاب الجرح والتعديل لابن ابي الحاتم، وميزان الاعتدال للذهبي، وتقريب التهذيب وتهذيب التهذيب لابن حجر وغيرها.
- ابو عبد الرحمن: ذكر الذهبي سبع اشخاص بهذه الكنية وقد طعن فيهم كلهم^(١).

- محمد بن بشر: ذكر الذهبي ستة اشخاص بهذا الاسم ولم يسلم احد من تجريحه^(٢).

- محمد بن يحيى: قال فيه محمد ابن ابي حاتم: شيخ، وقال السليماني: حديثه منكر، وقال النسائي: ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما خالف وقال عمر بن شبه: كان كاتباً وابوه كاتباً وجداه كاتبين، وكان عمه كاتباً بينما عده ابن حزم مجهولاً، اما الدارقطني وابن حجر فقالا فيه ثقة^(٣).

٣. مصدرها لدى ابن عبد ربه في العقد الفريد: قال: حدث عبد العزيز بن عبد الله البصري عن عثمان بن سعيد بن سعد المدني^(٤).

فبالنسبة إلى عبد العزيز بن عبد الله البصري فقد قال فيه الذهبي (تكلم فيه

(١). الذهبي: ميزان الاعتدال ٥٤٦/٤ - ٥٤٧.

(٢). الذهبي: ميزان الاعتدال ٤٩١/٢ - ٤٩٢.

(٣). ابن ابي حاتم: الجرح والتعديل ١٢٣/٤/١، الذهبي: ميزان الاعتدال ٦٢/٤، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢١٨/٢، تهذيب التهذيب ٥١٧/٩ - ٥١٨.

(٤). العقد الفريد ٧٤/٥.

ابن عدي وقال: هو القرشي البصري، ثم ساق له احاديث تستنكر، وقال: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات^(١).

في حين عجزت كتب الجرح والتعديل ان تجد لها مكاناً تضع فيه عثمان بن سعيد بن سعد المدني، حيث لم اجد له ذكراً في كتاب الجرح والتعديل لابي ابي حاتم ولا الكامل في الضعفاء لابن عدي ولا ميزان الاعتدال للذهبي، ولا تقريب التهذيب وتهذيب التهذيب لابن حجر. اذن فهو من مجاهيل الرواة، ان لم يكن مختلفاً.

والان لنطرح سؤالاً:

لماذا قام ابو طالب بنصرة النبي ﷺ؟

ان أي دارس للدعوة الاسلامية في مكة المكرمة يجد ان ابا طالب كان عماد هذه الدعوة^(٢) الذي ما ان زال حتى بان الضعف فيها، فاعطى الاعداء الفرصة لمحاولة الاجهاز عليها.

فبدء نجد ابا طالب يحتضن الدعوة منذ يوم الانذار^(٣)، ونجده يجيب

(١). ابن عدي: الكامل في الضعفاء ٥١١/٦ - ٢. الذهبي: ميزان الاعتدال ٦٣٠/٢.
 (٢). يقول ابن كثير: (وقد قدمنا ما كان يتعاطاه ابو طالب من المحاباة والمحاجة والممانعة عن الرسول ﷺ والدفع عنه وعن اصحابه وما قال فيه من المباح والتناء، وما اظهره له ولاصحابه من المودة والمحبة والشفقة في اشعاره التي اسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خافه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلية التي لا تدانى ولا تسامى، ولا يمكن عريباً مقاربتها ولا معارضتها، وهو في ذلك كله يعلم ان رسول الله ﷺ صادق بار راشد ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه، وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك في شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري... كان ابو طالب يصد الناس عن اذية الرسول ﷺ واصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ونفس ومال. ولكن مع هذا لم يقدر الله له الايمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة والحجة الفاطمة البالغة الدافعة التي يجب الايمان بها، والتسليم لها ولو لا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاسغفرنا لابي طالب وترحمنا عليه). البداية والنهاية ١٢٦/٣.
 (٣). حينما نزل قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين). سورة العشاء اية ٢١٤.

النبي ﷺ قائلاً لابي لهب: (والله لنصرته ثم لنعينته. يا ابن اخي اذا اردت ان تدعو إلى ربك فاعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح)^(١).

وهنا اخذ النبي يباشر دعوته باسناد عمه، الذي بدوره اسند ولديه عليا وجعفر اودعاهاما لنصرة النبي ﷺ وخصص علياً للمنام في فراش الرسول ﷺ إذا ما احس بوجود خطر عليه يوماً ما^(٢). ثم اخذ ابو طالب على عاتقه الرد بيد من حديد لكل من تسول له نفسه ايذاء النبي ﷺ بالقول او الفعل كما فعل مع ابن الزبيري^(٣)، ومع ابي جهل^(٤).

ولما لم تجد قريش من وسيلة لا يقف النبي ﷺ عن مواصلة دعوته لجأت إلى عمه ابي طالب تقدم الاقتراحات لتسوية الخلافات، وما كان من ابي طالب سوى القيام بدور ذكي وكأنه دور الوسيط فيبعث للنبي ﷺ ويعرض عليه اقتراح قومه، وحينما يرفض النبي ﷺ نجد ابا طالب يعلن تجديده لعهدده بحماية النبي ﷺ ودعوته اياه لمواصلة منهجه في الدعوة إلى التوحيد^(٥).

ولما شعر المشركون بان ابا طالب وكأنه شريك للنبي ﷺ في دعوته قرروا ان تكون العقوبة شاملة لابي طالب فكانت مقاطعة قريش لبني هاشم جميعاً^(٦). وفي الواقع ان المقاطعة انما كانت سلاحاً موجهاً ضد ابي طالب لارغامه على ترك حماية النبي ﷺ واما مقاطعة بني هاشم فلعلمهم بانهم تبع لابي طالب، فاذا ما تم ثني ابي طالب عن عزمه فهنا ينتهي دور بني هاشم بصورة طبيعية مما

(١). اليعقوبي: ٢٤/٢.

(٢). الشرح: ٢٠٠/١٣، ٥٣/١٤، ٦٤، ٧٥-٦٦. ابونعيم: دلائل النبوة ١/٢٢٧.

(٣). انظر القرطبي: الجامع ٦/٢٦١.

(٤). الشرح: ٧٢/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ٢٢٤.

(٥). الشرح: ٥٣/١٤ - ٥، ٧٤. وانظر: الطبري: تاريخ ٢/٢٢٣ - ٧. الحاكم: المستدرك

٣/٦٦٧. الواحدي: اسباب النزول ص ١٤٩، ٢٤٦ - ٧. النويري: نهاية الارب ١٦/١٩٩ - ٢٠٢.

(٦). الشرح: ٥٨/١٤ - ٦١. وانظر اليعقوبي: التاريخ ٢/٢٦ - ٢٧. الطبري: تاريخ ٢/٣٣٥،

يسهل عليهم الاجهاز على النبي ﷺ.

ولكننا نجد ابا طالب يهب داعياً بني هاشم لنصرة النبي ﷺ وتأيبده ولما رأى استجابتهم سره ذلك واعلن ذلك شعراً^(١)، ولم يكتف بذلك بل اعلن استنكاره على قريش فعلهم هذا نظماً ونثراً واعتبره مثلية لقريش^(٢).

وعلى مدى ثلاث سنوات عانى ابو طالب الامرين من اثر الحصار حتى إذا علم النبي ﷺ بان صحيفة المشركين قد اكلتها الارضة إلا ما كان من (باسمك اللهم) جاء ﷺ واخبر عمه، الذي سرعان ما ذهب إلى اندية قريش مخبراً اياهم بما اخبره به النبي ﷺ وهو على ثقة من كلام النبي ﷺ^(٣). وبذلك اعلن ابو طالب فشل مقاطعتهم وخرج بنو هاشم من الحصار الذي كان تجر به قاسية ومثلاً من امثلة التضحية والاباء.

وما هي إلا ايام حتى كان ابو طالب يعيش في اخر ايامه، فدعا قريشاً واوصاهم ومن جملة وصاياه اوصاهم بالنبي ﷺ خيراً^(٤).

ان الملاحظ على ذلك امران: الاول: ان كان ابو طالب على دين عبد المطلب الذي هو كما يرى البعض، دين الوثنية، إذ ليس الاجدر به ان يثأر لابييه صاحب المكانة الكبرى لدى قريش خاصة والعرب عامة؟ كيف يتسنى لابي طالب ان يحمي ابن اخيه حول امر هو اول المدانين عليه؟ فالنبي ﷺ كان يسفه

(١). الشرح: ٥٦/١٤ - ٦٤. وانظر: الطبري: تاريخ ٢/٣٢٧ - ٣٢٨.

(٢). الشرح: ٧٢/١٤ - ٧٩/٣. وانظر: ديوان ابي طالب، ط بحر العلوم ص ١٧.

(٣). اليعقوبي: التاريخ ٢/٢٧. ابو نعيم: دلائل النبوة ص ٢٢٨ - ٩. ابن كثير: البداية والنهاية ٣/٩٧. السيوطي: الخصائص الكبرى ١/٣٧٥. النويري: نهاية الارب ١٦/٢٥٩. الحلبي: السيرة الحلبية ١/٣٧٣ - ٤. دحلان: اسنى المطالب ص ١٥ - ١٦. الشبلنجي: نور الابصار ص ١٢.

(٤). سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٨. السهيلي: الروض الانف ١/٢٥٩. السيوطي: الخصائص الكبرى ١/٢١٥. الديار بكري: تاريخ الخميس ١/٣٠٠ - ١. الحلبي: السيرة الحلبية ١/٣٨٣. دحلان: اسنى المطالب ص ٧ - ٨، ٦٢ - ٦٣.

احلام المشركين ويطعن في عقولهم علنا وصراحة ويتوعدهم بالهلاك في الدنيا والجحيم في الآخرة فهل كان هذا الوعيد الذي يشمل المشركين لا يشمل ابا طالب ان كان مشركاً؟ وهل يشمل عبد المطلب ام لا؟

المعروف ان العvisية للاباء والاجداد اشد من العvisية للابناء ﴿انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون﴾^(١) إذا فحري بابي طالب ان كان مشركاً ان يثار لعقيدته وعقيدة ابيه التي سفها النبي ﷺ.

الثاني: كان ابو طالب مع بدء الدعوة الاسلامية في قمة مجده فهو شيخ الابطح، واليه المرجع في الاحكام ليس لدى قريش فحسب بل عند العرب عامة حيث عد من الحكام وكان قد استنبط بعض الاحكام. وعندما بدأت الدعوة الاسلامية نجد العباس لا يتخذ بشأنها قراراً قائلاً: (نتنظر رأي الشيخ) حيث ان ابا طالب قد حاز مجد ابيه السياسي والاجتماعي.

اذا ليس الاجدر بابي طالب ان يحافظ على هذا المجد ويقف امام أي محاولة للطعن فيه؟ ام انه وجد في دعوة النبي ﷺ مجداً اعظم من ذلك المجد؟ فياترى ما هو المجد الذي جعل ابا طالب يمضي السنين العشر الاواخر من حياته في صراع مع قريش لفسح المجال للرسول ﷺ لنشر دعوته!!؟.

بعد هذا التحليل يأتي التساؤل حول السر في توقف ابن ابي الحديد في امر اسلام ابي طالب فمن خلال تحليلات اخرى لابن ابي الحديد يتضح ان مسألة توقفه قد تكون مجرد مسألة توفيقية لا اعتقادية ومن هذه التحليلات:-

اولاً: اشار ابن ابي الحديد ان احد الطالبين في زمانه ولم يشر إلى اسمه وضع كتاباً حول اسلام ابي طالب، وقدمه إليه، ليكتب عليه بخطه اما شعراً او تقرأ وليشهد بصحة ذلك بوثاقه الادلة عليه. ومن خلال بحثنا قد تبين لنا ان هذا الطالبي

هو - شمس الدين فخار بن معد الموسوي^(١) احد شيوخ ابن ابي الحديد وقد وصل كتابه هذا الينا باسم (الحجة على الذهاب إلى تكفير ابي طالب) وقد اعتمده ابن ابي الحديد كثيراً في ايراد ادلة القائلين باسلام ابي طالب إلا انه لم يشر لذلك^(٢).
قال ابن ابي الحديد: (فتخرجت ان احكم بذلك حكماً قاطعاً لما عندي من التوقف فيه، ولم استجز ان اقعد عن تعظيم ابي طالب فاني اعلم انه لولاه لما قامت للاسلام دعامة، واعلم ان حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى ان تقوم الساعة فكتبت على ظهر المجلد):

| | |
|------------------------|---------------------------|
| ولولا ابو طالب وابنه | لما مثل الدين شخصاً وقاما |
| فذاك بسمكة اوى وحاما | وهذا بيثرب جس الحماما |
| تكفل عبد مناف بأمر | واودى فكان علي تماما |
| فقل في ثبير مضى بعد ما | قضى ما قضاه وابقى شماما |
| فله ذا فاتحا للهدى | ولله ذا للمعالي ختاما |
| وما ضر مجد ابي طالب | جهول لغا او بصير تعامى |
| كما لا يضر اياه الصباح | من ظن ضوء النهار الظلاما |

قال ابن ابي الحديد بعد ذلك: (فوفيته حقه من التعظيم والاجلال ولم اجزم بامر عندي فيه وقفه)^(٣) ولكن لتساءل عن قول ابن ابي الحديد اعلاه: وما ضر مجد ابي طالب... فانتا لن تقرأ او نسمع ان احدا طعن في ابي طالب في شيء غير اسلامه، اذاً فكل من طعن في ذلك عند ابن ابي الحديد هو (جهول لغا او بصير

(١) هو النسابة السيد شمس الدين ابو علي فخار بن معد بن فخار بن معد بن احمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن ابراهيم المجاب بن محمد العابد بن الامام موسى الكاظم عليه السلام. توفي سنة ٦٠٢ هـ وله مؤلفات عدة انظر ترجمته: البحراني: اللؤلؤة ص ٢٨٠، الخوانساري: روضات الجنات ٢٣/٥، الامين، اعيان الشيعة ٢٦٢/٤٢ - ٣. الاميني: الغدير ٤٠١/٧.

(٢) وقد اعتمده في مواضع اخرى اشار له مثل ٤١/١، ٤١/٢، ٤١/٣، ٨٣/١٤، ٢٣/١٥.

(٣) الشرح: ٨٣/١٤ - ٨٤.

تعامى) وهذا لا يضر مجد ابي طالب ولكن ماذا نقول لابن ابي الحديد إذا كان هو في صف اولئك ام ان هناك امرأ خفياً!!!.

ثانياً: في حديثه عن اديان العرب قبل الاسلام قسم ابن ابي الحديد العرب إلى قسمين، المعطلة: وهم عباد الاصنام والكواكب، وادخل معهم اليهود لقولهم بالتجسيم، والنصارى لقولهم بالتثليث. اما القسم الثاني: غير المعطلة: أي المتألهون وهم اصحاب الورع والتحرج عن القبائح وعدّ منهم عبد المطلب وولديه ابا طالب وعبد الله^(١).

ثالثاً: عدّ ابن ابي الحديد أبوة ابي طالب من فضائل الامام علي^{عليه السلام} اذ يقول: (وما اقول في رجل ابوه ابو طالب سيد البطحاء وشيخ قريش ورئيس مكة)^(٢). وقال ايضاً: (ان علياً^{عليه السلام} كان يدعى التقدم على الكل، والشرف على الكل، والنعمة على الكل، بابن عمه صلى الله عليه واله وبنفسه وبابيه ابي طالب، فانه من قرأ علوم السير عرف ان الاسلام لولا ابو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً)^(٣). والظاهر ان هذا الرأي قد واجه نقداً فعقب ابن ابي الحديد قائلاً: (وليس لقائل ان يقول: كيف يقال هذا في دين تكفل الله تعالى باظهاره سواء كان ابو طالب موجوداً او معدوماً! لانا نقول: فينبغي على هذا ان لا يمدح رسول الله صلى الله عليه واله ولا يقال: انه هدى الناس من الضلالة، وانقذهم من الجهالة، وان له الحق على المسلمين، وانه لولاه لما عبد الله تعالى على الارض وإلا يمدح ابو بكر، ولا يقال: ان له اثر في الاسلام وان عبد الرحمن وسعدا وطلحة وعثمان وغيرهم من الاولين في الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه واله لا تباعه لهم، وان له يدا غير مجحودة في الانفاق واشتراء المعذيين، واعتقاهم، وانه لولاه لاستمرت الردة بعد

١. الشرح: ١٢٠/١.

٢. الشرح: ٢٩/١.

٣. الشرح: ١٤٢/١.

الوفاة، وظهرت دعوة مسيلمة وطليحة، وانه لولا عمر لما كانت الفتوح، ولا جهزت الجيوش، ولا قوي امر الدين بعد ضعفه، ولا انتشرت الدعوة بعد خمولها).
وأضاف: (فان قلت في كل ذلك: ان هؤلاء يحمدون ويشنى عليهم، لان الله تعالى اجرى هذه الامور على ايديهم ووقفهم لها، والفاعل بذلك بالحقيقة هو الله تعالى، وهؤلاء آله مستعملة ووسائط تجري الافعال على ايديها فحمدهم والثناء عليهم، والاعتراف لهم انما هو باعتبار ذلك قيل: لكم في شأن ابي طالب مثله)^(١).
رابعاً: في شرحه لوصية الامام علي عليه السلام لابنه الحسن بضرورة السير على سنة السلف الصالح، اشار ابن ابي الحديد ان الامامية وكثيراً من المعتزلة يرون ان ابا طالب من السلف الصالح^(٢).

خامساً: عدّ ابن ابي الحديد ابي طالب من اباة الضيم في قوله عند نصره النبي صلى الله عليه وآله:

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً
ولما نطاعن دونه وناضل
ونصره حتى نصرع حوله
ونذهل عن ابائنا والحلائل^(٣)

وقد قيض الله تعالى للامام علي عليه السلام أمماً تعد من شواخص نساء التاريخ وهي السيدة فاطمة بنت اسد بن هاشم^(٤). الزوجة الوحيدة لابي طالب فانجبت له اولاده الخمسة طالباً وعقيلاً وجعفرأً وعلياً وام هانىء. وهي اول هاشمية تلد لهاشمي، اسلمت بعد عشرة من المسلمين فكانت الحادية عشرة، وهي اول امرأة بايعت الرسول صلى الله عليه وآله من النساء.

(١). الشرح: ١٤٢/١.

(٢). الشرح: ٧١/١٦.

(٣). الشرح: ٢٥٨/٣ - ٢٥٩.

(٤). انظر ترجمتها: ابن سعد: الطبقات ٢٢٢/٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٨٩١/٤. ابن المغازلي: مناقب ص ٦، ٧٧. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٥٤/٢. ابن الاثير: اسد الغابة ٥١٧/٥. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٩ - ١٠. ابن حجر: الاصابة ٣٨٠/٤.

كان صلى الله عليه وآله يكرمها ويعظمها ويدعوها (امي) لانها هي التي احتضنته صغيراً منذ كان في السادسة من عمره حيث توفت امه امنة بنت وهب، فاوصى عبد المطلب برعايته صلى الله عليه وآله لابي طالب.

وقد هاجرت فاطمة إلى المدينة، ولما حضرتها الوفاة اوصت إلى النبي صلى الله عليه وآله فقبل وصيتها وصلى عليها، ونزل في لحدّها، واضطجع معها فيه، بعد ان البسها قميصه، فقال له اصحابه: انا ما رأيناك صنعت يا رسول الله باحد ما صنعت بها. فقال: انه لم يكن احد ابر بي منها، انما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها ليهون عليها ضغطة القبر^(١).

تجدر الاشارة إلى انها من الموحدين قبل الاسلام ولم يؤثر عنها انها سجدت لصنم^(٢). حتى تشير الروايات انها اتخذت من الكعبة مكاناً لولادة ابنها الاصغر علياً كما سنرى في الفصل القادم.

يخلص ابن ابي الحديد^(٣) في شأن نسب الامام للقول: (فآبأؤه اباء رسول الله وامهاته امهات رسول الله وهو منوط بلحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله ادم إلى ان مات عبد المطلب بين الاخوين عبد الله وابي طالب، وامهما واحدة فكان منهما سيذا الناس هذا الاول وهذا التالي، وهذا المنذر وهذا الهادي)^(٤).

وممن كان يفتخر به الامام عليه السلام عمه (حمزة)^(٥) الذي اسلم مع بواكير الدعوة

(١). الشرح: ١٣/١ - ١٤. وانظر: الصاحب بن عباد: عنوان المعارف ص ٤٣. ابو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٤ - ٥. الحاكم: المستدرک ١١٧/٣.

(٢). الشبلنجي: نور الابصار ص ٧٦.

(٣). الشرح: ٣٠/١.

(٤). اشارة لقوله تعالى: ﴿انما انت منذر ولكل قوم هاد﴾ سورة الرعد: الآية ٧. حيث يشار إلى نزولها في النبي صلى الله عليه وآله باعتباره المنذر، والامام علي عليه السلام الهادي انظر الطبري: جامع البيان ١٠٨/١٣. الحاكم: المستدرک ١٤٠/٣. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٥٨/٧ - ٩.

(٥). انظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣٦٩/١ - ٣٧٥. ابن الاثير: اسد الغابة ٤٦/٢ - ٥٠. ابن حجر: الاصابة ٣٥٣/١ - ٣٥٤.

الاسلامية، وكان لنصرته للرسول ﷺ مدعاة لارتياح ابي طالب الذي مدحه بشعره. وقد تميز حمزة بالشجاعة حتى عرف باسد الله واسب رسول الله، لذلك نجده مع الامام علي عليه السلام وعبدة بن الحارث اول من يتقدم لحرب المشركين في اول مناخزة عسكرية.

وكان ممن ثبت يوم احد حيث استشهد، وترك مقتله اثراً سلبياً في نفس النبي ﷺ (١).

وكان الامام عليه السلام يفتخر به ويقول:

محمد النبي اخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي (٢)

ويرى ابن ابي الحديد (٣) انه لو كان حمزة حياً لما بايع علياً عليه السلام بل كان يدعو إلى نفسه لانه كان جباراً، قوي النفس، شديد الشكيمة ذاهباً بنفسه، شجاعاً بهمه، وهو العم والاعلى سناً، واثاره في الجهاد معروفة.

والظاهر ان ابن ابي الحديد اراد ان يعرف وجهة نظر الامامية في هذه المسألة. فتوجه إلى شيخه النقيب ابو جعفر (٤) الامامي المذهب. فكان رأي النقيب؛ ان هناك من الادلة التي تثبت ان حمزة لو كان حياً لتابع علياً ولبايعه، ومن هذه الادلة:-

١. ان حمزة رضي الله عنه كان صاحب دين متين، وتصديق خالص للرسول ﷺ.
٢. ان حمزة لو عاش لرأى من احوال الامام علي عليه السلام مع الرسول ﷺ ما

(١). لا زالت سيرة - حمزة بن عبد المطلب - موضع اهمال من قبل الباحثين، حيث انه يمثل نموذجاً للفروسية عند العرب.

(٢). الشرح ١٢٢/٤. وانظر: ابن المغازلي: مناقب ص ٤٠٤. ابن طلحة: مطالب السئول ص ٣٠. الطبرسي: الاحتجاج ١١٢/١. المازندراني: مناقب آل ابي طالب ١٩/٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٧. الهيثمي: الصواعق المحرقة ١٣٠.

(٣). الشرح ١١٥/١١.

(٤). لمزيد من التفاصيل عنه انظر: مصطفى جواد: ابو جعفر النقيب ص ٨ وما بعدها.

يدفعه لمتابعته وبيعته.

٣. ابن خلق حمزة السبعي، من خلق الامام علي عليه السلام الممزوج من خلق حمزة السبعي. وخلق علي الروحاني، فاتصفت نفس علي بالخلقتين معاً.

٤. ابن هيولانية^(١) نفس الحمزة، وخلوها من العلوم من نفس علي القدسية التي ادركت بالفطرة لا بالقوة التعليمية، ما لم تدركه نفوس مدققي الفلاسفة الالهيين! فلو ان حمزة عليه السلام كان قد بقي حياً ورأى من علي ما رأى غيره لكان اتبع من ظله واطوع له من ابي ذر والمقداد.

٥. اما كون حمزة العم والاعلى سناً، فكذلك كان العباس، وقد بذل خدماته لعلي، ثم ان الاعمام ما زالت تخدم ابن الاخ، كما فعل ابو طالب وحمزة والعباس في موقفهم من ابن اخيهم الرسول صلى الله عليه وآله، وكما خدم اولاد علي العباسي ابن اخيهم ابا العباس السفاح^(٢).

ويرى ابن ابي الحديد ان لقب «سيد الشهداء» الذي اطلق على حمزة عليه السلام يقصد منه الشهداء في حياة النبي صلى الله عليه وآله ولا يشمل علياً عليه السلام لان علياً افضل من حمزة وسيده، بل هو سيد كل الناس، وهذه المسألة لا خلاف فيها بين المعتزلة^(٣). وممن كان يفتخر به الامام علي عليه السلام ويعد من فضائله اخوه جعفر بن ابي طالب^(٤) حيث يقول فيه مفتخراً

وجعفر الذي يضحى ويمسى يطير مع الملائكة ابن امي^(٥)

(١). هي القوة في الانسان وهي في النفس بمنزلة القوة الناظرة في العين. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٨١. بنسي: مذهب الذرة ص ٤١-٦٠. صليبا: المعجم الفلسفي ٥٣٦/٢-٧.
(٢). الشرح ١١٥/١١-١١٦.
(٣). الشرح ١٩٣/١٥. والى هذا الرأي يذهب ايضاً الحسن البصري. الشرح ٩٦/٤.
(٤). انظر ترجمته: الطبري: المنتخب ص ٤٩٤-٥٠٥. ابو الفرج مقاتل الطالبيين ص ٣-١٠.
الحاكم: المستدرک ٢٣٠/٣-٥. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٥١١/١. ابن الاثير: اسد الغابة ٢٨٦/١. ابن حجر: الاصابة ٢٣٧/١-٨.
(٥). ابن المغازلي: مناقب ص ٤٠٤. الطبرسي: الاحتجاج ١١٢/١. سبط ابن الجوزي: تذكرة

الذي اسلم منذ بواكير الدعوة الاسلامية، واستجاب لامر والده في نصره النبي ﷺ مع اخيه علي عليه السلام^(١)، ثم اختاره الرسول ﷺ سفيراً إلى الحبشة حيث تزعم مهاجري الحبشة، فكانت اول هجرة في الاسلام، حيث بقي هناك حتى السنة السابعة للهجرة^(٢).

تجدد الاشارة الى ان اختيار (جعفر) لهذه المهمة من بين سائر المسلمين فيه دلالة على مكانته المتميزة لدى الرسول ﷺ وقدرته على ما اسند اليه من مهام فكان اول سفير في الاسلام^(٣).

بعد عودته في ايام فتح خيبر سنة ٥٧هـ، قال ﷺ: لا ادري بايهما اشد فرحاً بفتح خيبر ام بقدوم جعفر؟^(٤) ثم قال له: اشبهت خلقي وخلي^(٥).

ثم سير الرسول ﷺ جيشاً لحرب الروم البيزنطيين، رتب له ثلاثة من القادة، اختلف في الاول هل هو جعفر ام زيد بن حارثة، وازاف لهما عبد الله بن

ص ١٠٧. ابن طلحة: مطالب السئول ص ٣٠. الجويني: فرائد السمطين ص ٤٢٧. الهيثمي: الصواعق ص ١٣٠.

(١). كان للامام اخوة اخرين اكبرهم طالب، والذي لا يعرف عنه شيء سوى انه هلك في الجاهلية ولعله شخصية اسطورية، مأخوذة من كنية ابا طالب ليس الا والثاني عقيل الذي اسلم متأخراً وكان ﷺ يحبه حبين حب لحب ابي طالب له وحب له. ويعد عقيل ممن عرف بعلم الانساب عند العرب. وقد اسيء فهم موقفه من الامام علي ومعاوية - كما سنلاحظ - ويشار إلى ان اولاده صرعوا كلهم مع الحسين عليه السلام في كربلاء، وكان للامام اخت تدعى ام هاني «اشاد الرسول بشجاعته، قائلاً: لو ان ابا طالب اوند كل الناس لولدوا شجعاناً وكان لها ولد يدعى هبيرة كان من المساندين للامام ايام خلافته. انظر: الزمخشري: ربيع الابرار ١/٨٦٩. ابن حجر: الاصابة ٢/٤٩٤، ٤/٥٠٣.

(٢). عن الهجرة الى الحبشة. انظر: الطبري: تاريخ ٢/٣٢٨ - ٣٢٢.

(٣). لا زالت سفارة جعفر إلى الحبشة بحاجة إلى مزيد من الدراسة لالتقاء الضوء على اسباب بقائهم لخمسة عشرة سنة وما النتائج التي اسفرت عن بقائهم؟

(٤). ابن الاثير: اسد الغابة ١/٢٨٧. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٢١٨، ٢٢٤. ابن عنبه: عمدة الطالب ص ٣٥. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/٢٧١ - ٢٧٢.

(٥). الشرح ١/٢٩. وانظر اليعقوبي: التاريخ ٢/١٠٦. ابو الفرج: مقاتل ص ١٠. الحاكم: المستدرک ٣/٢٣٣.

رواحه^(١).

وقد استنتج ابن ابي الحديد من خلال شعر حسان بن ثابت، وكعب بن مالك ان جعفر هو الاول^(٢)، حيث جاء في قصيدة حسان:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا جميعاً واسياف المنية تخطر^(٣)

أما قصيدة كعب بن مالك الانصاري:

نام العيون ودمع عينك يهمل سحاً كما وكف الرباب المسبل
وجداً على النفر الذين تتابعوا قتلى بمؤتة اسندوا لم ينقلوا
ساروا امام المسلمين كأنهم طود يقودهم الهزبر المشبل
اذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام اولهم ونعم الاول^(٤)

تجدر الاشارة ان هناك من الادلة ما تفيد قيادة جعفر للجيش منها:

١. ان زيدا مولى فلا يعقل ان النبي ﷺ يقدم مولى على جعفر الهاشمي، اذ

لم يعهد من النبي فعلاً كهذا.

٢. ان المكانة التي تميز بها جعفر تجعله هو المقدم من حيث كونه هاشمياً

كما ذكرنا. واول سفير في الاسلام واتصافه بخلق الرسول ﷺ، وشجاعته المعروفة.

٣. ان الملاحظ لاحداث معركة مؤتة، لا يجد هناك من صدى الآ لجعفر،

(١). عن تفاصيل غزوة مؤتة انظر الشرح ٦١/١٥ - ٧٣. الواقدي: المغازي ٧٥٥/٢ - ٧٦٧. ابن هشام ٣٧٣/٣ - ٣٨٩.

(٢). الشرح ٦٢/١٥ - ٦٤، ٢٤٩/١٠. وانظر: اليعقوبي: التاريخ ٥٥/٢. الطبرسي: اعلام الوري ص ١٠٢.

(٣). الشرح ٦٢/١٥ - ٦٣. وانظرها في الديوان ٩٩ - ١٠٠. ابن هشام ٣٨٤/٤ - ٣٨٥.

(٤). الشرح ٦٣/١٥ - ٦٤. وانظرها في الديوان ٢٦٠ - ٣. ابن هشام: السيرة ٣٨٥/٤ - ٦. ابو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٨ - ٩.

فهو الذي قطعت يده في ساحة المعركة، حيث عوضه الله بجناحين يطير بهما في الجنة، لذا عرف بجعفر الطيار^(١). وحينما تستعرض الروايات احداث المعركة لا تفيض في الحديث الا عن موقفه.

٤. نجد ان اصداء موقف جعفر ماثلة لدى الرسول ﷺ والشعراء، بل كان الاجدر بشعراء الانصار مدح صاحبهم عبدالله بن رواحة، ولكنهم اشادوا بموقف جعفر.

٥. اشادة حسان وكعب دليل على تقدمه كما اوضح ابن ابي الحديد.

(١). الشرح ١٨٢/١٥. وانظر: الطبري: المنتخب ص ٤٩٤ - ٥. الشريف الرضي: نهج البلاغة ٣٨٦. الحاكم: المستدرك ٢٣١/٣ - ٢٣٢. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٢٢٦ - ٢٢٨.
(٢). اليعقوبي: التاريخ ٥٥/٢ - ٥٦. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٢٢٦ - ٨. الهيثمي: مجمع الزوائد ٣٢٧/٩ - ٣٧٣.

الفصل الثاني

نشأة الامام علي عليه السلام في بيت الرسالة

ولد الامام علي عليه السلام داخل الكعبة المشرفة، وكرم الله وجهه عن الخضوع والسجود للاصنام، فكأنما كان ميلاده ايذاناً بعهد جديد للكعبة والعبادة فيها.^(١) هذه الفضيلة التي انفرد بها الامام علي عليه السلام، حيث الكعبة^(٢) بيت الله الحرام، اقدس في بيت الوجود، وقد جعله الله سبحانه وتعالى قبلة للموحدين في آخر الزمان رغم وجوده منذ القدم.

اراد الله سبحانه وتعالى ان يضع منهاجه في الارض عن طريق خليفة يتخذه ﴿واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة﴾،^(٣) فأوجد سبحانه وتعالى الانسان الذي ادخله في تجربة طويلة، حيث تكفلت السماء برسم المنهج، الدستور، النظام، عن طريق ما عرف بسلسلة الانبياء، فكان هناك ١٢٤ ألف نبي، كل ارسل الى قومه ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾.^(٤)

اما طريقة الحياة فكان على الانسان ان يدخل في صراع مع الطبيعة، وكان

(١). العقاد: عبقريّة الامام علي، ص ٤٣.

(٢). الكعبة لغة: كعبت الشيء أي ربعته، والكعبة: البيت المربع، وسمي البيت الحرام بالكعبة لتكعبه اي تربيعه، والعرب تسمي السكان المرتفع كعبة. ابن منظور: لسان العرب ٢/٢١٣.

(٣). سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٤). سورة الاسراء: الآية ١٥.

١٢٠..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

لذلك الصراع اثره في حصول الانسان على المعرفة حيث اكتشف الزراعة، ثم الصناعة، ثم التجارة، ثم العلاقات الدولية. وما كان ذلك ليتم الا بعد زمن وصراع طويل مع الطبيعة.

وما أن حل القرن السابع الميلادي، وكأن البشرية قد وصلت الى درجة من التكامل في التعامل مع الطبيعة، وتعامل الانسان مع الانسان اينما كان لذا وصل الانسان الى الدرجة التي تؤهله ليكون خليفة الله في الارض، فالمعروف ان الانبياء السابقين كانوا انبياء قوميين، وكل ارسل الى قومه، والكتب السماوية، كانت متباينة، وخاضعة لعنصر الزمن، ومختصة بقوم دون قوم. فما تلبث ان تنسخ لانها لم تعد ملائمة لتطور الانسان.

فأرادت المساء هنا أن تضع منهاجا واحداً، حيث لا انبياء متعددون بعد الآن ولا كتباً متعددة، ولا اديان متعددة، فالدين الذي سيسود هو الدين الاسلامي ﴿ان الدين عند الله الإسلام﴾^(١) والنبي الوحيد الذي سيكون للبشرية اجمع هو النبي محمد ﷺ، ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾^(٢) والدستور الذي ينظم حياة البشرية جمعاء هو القرآن حيث أن أحكامه ستتناسب طردياً مع كل متغيرات الزمان والمكان والكل ستتوجه نحو قبلة واحدة هي الكعبة المشرفة، التي أصبحت قبلة للموحدين، فهي اليوم القبلة الوحيدة التي تحظى بقبول السماء، قال تعالى ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾^(٣).

وقد كانت هذه القبلة موضعاً لولادة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام فكانت

(١). سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٢). سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

(٣). سورة البقرة، الآية ١٤٤.

هذه الفضيلة مما انفرد به،^(١) حتى عرف باسم (وليد الكعبة).

وقد تصور ابن ابي الحديد ان رواية ولادته في الكعبة هي رواية امامية والواقع أن مسألة ولادته هي اجماع بين مؤرخي العرب المسلمين بل وشعرائه. واقدم من اشار اليها الشاعر - السيد الحميري ت ١٧٣ هـ^(٢) - في قصيده له اذ قال:

| | |
|---------------------------|--|
| ولدته في حرم الاله وامنه | والبيت حيث فناؤه والمسجد |
| بيضاء طاهرة الثياب كريمة | طابت وطاب وليدها والمولد |
| في ليلة غابت نحوس نجومها | وبدامع القمر المنير الاسعد |
| ما لف في خرق القوابل مثله | الا ابن آمنة النبي محمد ^(٣) |

وممن ذكرها المسعودي ت ٣٤٦ هـ^(٤) والصدوق ت ٣٨١ هـ،^(٥) وقال الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ «تواترت الاخبار ان فاطمة بنت اسد ولدت امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة».^(٦)

وقال الشريف الرضي ت ٤٠٦ هـ: «لم نعلم مولوداً في الكعبة غيره».^(٧) و اشار لها المفيد ت ٤١٣ هـ،^(٨) والشريف المرتضى ت ٤٣٦ هـ،^(٩) والطوسي ت

(١). هناك روايات لولادة حكيم بن حزام في الكعبة، لكنها روايات مراسيل. انظر ابن بكار: جمهرة نسب قريش ص ٣٥٣. ابن حبيب: المحبر ص ١٧٦.
 (٢). هو اسماعيل بن محمد بن يزيد المعروف بالسيد الحميري، شاعراً ظريفاً وله ديوان شعر مطبوع. انظر ترجمته. ابن المعتز: طبقات الشعراء ص ٢٢ - ٦. ابو الفرج: الاغانى: ٢٤٨/٧ - ٩٧. الطوسي: الفهرست ص ١٠٨. الكشي: رجال ص ٢٤٢ - ٥. الخوانساري: روضات الجنات ١٠٣/١ - ١١.
 (٣). ديوانه ص ١٥٥.
 (٤). مروج الذهب ٣٥٨/٢.
 (٥). الامالي ص ١١٦. علل الشرائع ١٣٥/١. معاني الاخبار ص ٦٢.
 (٦). المستدرک على الصحيحين ٥٥٠/٣.
 (٧). خصائص الائمة، ط مجمع البحوث الاسلامية، ص ٣٩.
 (٨). الارشاد، ص ٧. المقنعة ص ٤٦١. مسار الشيعه، ص ٥٩.
 (٩). القصيدة المذهبة، ص ١١٩.

٤٦٠ هـ،^(١) وابن المغازلي ت ٤٨٣ هـ.^(٢) والفتال ت ٥٠٨ هـ^(٣) والطبرسي ت ٥٤٨ هـ،^(٤) وعماد الدين الطبرسي ت بعد ٥٥٣ هـ^(٥) والمازندراني ت ٥٨٨ هـ.^(٦)
ونوه بها ابن طلحة الشافعي ت ٦٥٢ هـ،^(٧) وسبط ابن الجوزي الشافعي ت ٦٥٤ هـ،^(٨) والكنجي الشافعي ت ٦٥٨ هـ، الذي قال «ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه اكراماً له بذلك، واجلالاً لمحلّه من التعظيم».^(٩)
وقال الحسن بن محمد الهادي الى الحق احد ائمة الزيدية في اليمن:
وكان في البيت العتيق مولده وامه اذ دخلت لا تقصده^(١٠)
واشار لها الاربلي ت ٦٩٣ هـ^(١١) والعلامة الحلبي ت ٧٢٦ هـ^(١٢) والجويني ت ٧٣٠ هـ،^(١٣) واكدها الذهبي ت ٧٤٨ هـ في تلخيصه للمستدرک،^(١٤) و اشار لها الشاعر السيد عبدالعزيز بن محمد السريحي الاوالي^(١٥) في حدود ٧٥٠ هـ اذ قال:
من كان في حرم الرحمن مولوده وحاطه الله من باس وعدوان^(١٦)
وذكرها ايضاً في شعره ابو الحسن علاء الدين الشيخ علي بن الحسين من

-
- (١). الامالي: ط دار الثقافة ص ٧٠٦. مصباح المتهدج، ص ٨٠٥.
 - (٢). مناقب علي بن ابي طالب، ص ٧.
 - (٣). روضة الواعظين ٧٦/١.
 - (٤). اعلام الوري، ص ١٥٣.
 - (٥). بشارة المصطفى: ص ٧-٨.
 - (٦). مناقب آل ابي طالب ٢٢/٢-٢٣.
 - (٧). مطالب السنول، ص ٢٩.
 - (٨). تذكرة خواص الامة، ص ١٠.
 - (٩). كفاية الطالب، ص ٤٠٦-٤٠٧.
 - (١٠). الاميني: الفدير ٦٥٣/٥. وعن الحسن بن محمد انظر: ن. م ٦٥٣/٥-٦٠.
 - (١١). كشف الغمة ٦٠/١-٦١.
 - (١٢). كشف اليقين: ص ١٧.
 - (١٣). فرائد السمطين ٤٢٥/١-٦.
 - (١٤). تلخيص المستدرک ٥٥٠/٣.
 - (١٥). نسبة الى اوال جزيرة في البحرين. الحموي: معجم البلدان ٢٧٤/١.
 - (١٦). الاميني: الفدير ٣٤/٦. وعن الشاعر انظر ن. م ٣٣/٦، ٤٨، ٥٨.

رجالات القرن الثامن الهجري اذ قال:

ام هل ترى في العالمين باسرههم
 في ليلة جبريل جاء بها مع
 فلقد سما مجدداً كما علا
 بشراً سواه بييت مكة يولد
 الملاً المقدس حوله يتعبد
 شرفاً به دون البقاع المسجد^(١)

وذكرها من المتأخرين ابن عنبه ت ٨٢٨ هـ،^(٢) والديلمي ت ٨٤١ هـ^(٣) وابن الصباغ المالكي ت ٨٥٥ هـ،^(٤) والصفوري الشافعي ت ٨٩٤ هـ،^(٥) والسكتواري ت ١٠٠٧ هـ،^(٦) وعلي القاري الحنفي ت ١٠١٤ هـ،^(٧) والحلي الشافعي ت ١٠٤٤ هـ،^(٨) والدهلوي الحنفي ت ١١٧٦ هـ،^(٩) والشاعر العمري ت ١٢٧٨ بقوله:

انت العلى الذي فوق العلى رفعا بطن مكة عند البيت اذ وضعاً^(١٠)

وقال الالوسي ت بعد ١٢٧٠ هـ في شرحه البيت اعلاه: «وفي كون الامير كرم الله وجهه ولد في بيت امر مشهور في الدنيا... واحرى بأمام الائمة ان يكون وضعه في موضع هو قبلة للمؤمنين. سبحان من يضع الاشياء في مواضعها وهو احكم الحاكمين».^(١١)

ونوه بها الشبلنجي،^(١٢) والشنقيطي ت ١٣٦٣ هـ،^(١٣) والفيروز آبادي.^(١٤)

(١). الاميني: الغدير ٥٠٨/٦، وعن الشاعر انظر: ن. م ٥٠٣/٦ - ٥٥٦.

(٢). عمدة الطالب، ص ٥٨ - ٥٩.

(٣). ارشاد القلوب ٢١١/٢.

(٤). الفصول المهمة، ص ١٣.

(٥). نزهة المجالس ٢٠٤/٢ - ٢٠٥.

(٦). محاضرة الاوائل، ص ١٢٠.

(٧). شرح الشفا ١٥١/١. نقلاً من الاميني: الغدير، ص ٢٧/٦.

(٨). السيرة الحلبية ١٥٤/١، ٤٠٥/٣.

(٩). ازالة الخفاء ٢٥١/٢. نقلاً من الزنجاني: عقائد الامامية ص ١٢٨ - ١٢٩.

(١٠). ديوانه، ص ٩٧.

(١١). سرح الخريدة الغيبية بشرح القصيدة العينية ص ١٥، ٧٥.

(١٢). نور الابصار، ص ٣٦.

(١٣). كفاية الطالب، ص ٣٧.

مضت فترة علي ولادته عليه السلام لينتقل من بيت الله الى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فمن الفضائل التي لم يحظ بها سواه عليه السلام هو شرف تربيته في بيت النبي صلى الله عليه وآله، منذ كان عمره ست سنوات، حيث تروى الروايات ان قريشاً اصابتها ازمة اقتصادية فاقترح الرسول صلى الله عليه وآله على عمه العباس التخفيف عن ابي طالب، فقال ابو طالب ان تركت ما لي عقيلاً افعل ما شئتما، فاختر العباس جعفرأ واختار الرسول صلى الله عليه وآله علياً^(١٥) وقال «قد اخترت من اختاره الله لي».^(١٦)

فكان صلى الله عليه وآله يسدي لعلي عليه السلام من الاحسان والشفقة وحسن التربية حتى بعث صلى الله عليه وآله،^(١٧) لذا كان علي عليه السلام يقول: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وانا وليد يضمني الى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا غلطة في فعل».^(١٨)

ان ولادته عليه السلام في الكعبة وتربيته في بيت الرسالة تعني انه كاد ان يولد مسلماً، بل ولد مسلماً على التحقيق اذا نظرنا الى ميلاد العقيدة والروح، لانه فتح عينه على الاسلام، ولم يعرف عبادة الاصنام.^(١٩) حيث يقول عليه السلام: «اني ولدت على الفطرة».^(٢٠)

هنا نتساءل: ان كل مولود يولد على الفطرة، يقول صلى الله عليه وآله: «كل مولود يولد

١٤. فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١٧٦/١.

١٥. ان عدم ورود (طالب) بن ابي طالب في هذه الحادثة فيها دلالة على انه لا وجود له، وان ابا طالب كنية او اسما لابي طالب. وقد اشار لذلك الحاكم: المستدرك ١١٦/٣.

١٦. الشرح ١٥/١. وانظر: البلاذري: انساب الاشراف ٩٠/٢. ابو الفرج: مقاتل الطالبين ص

١٥. الحاكم: المستدرك ٦٦٧/٣. الخوارزمي: المناقب ص ١٧.

١٧. الشرح: ١٥/١.

١٨. الشرح ١٩٧/١٣.

١٩. العقاد: عبقرية الامام ص ٤٣.

٢٠. الشرح: ٥٤/٤.

على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه»^(١) فماذا يقصد الامام بذلك؟

هنا ابن ابي الحديد يطرح عدة آراء في تفسير الفطرة:

اولاً: ان الامام عليه السلام لم يولد في الجاهلية، حيث كانت ولادته قبل البعثة بعشر سنوات، وهذه السنوات العشر يعدها ابن ابي الحديد مقدمة للاسلام وارهاسات للنبوّة، حيث يقول: «وقد جاء في الاخبار الصحيحة انه عليه السلام مكث قبل الرسالة سنين عشرًا يسمع الصوت ويرى الضوء، ولا يخاطبه احد وكان ذلك ارهاسات لرسالته عليه السلام، فحكم تلك السنين العشر حكم ايام رسالته عليه السلام؛ فالمولود فيها اذا كان في حجره وهو المتولي لتربيته، مولود في ايام كآيام النبوّة، وليس بمولود في جاهلية محضة». وهذا هو وجه المقارنة بمعنى ولادته عليه السلام على الفطرة، وولادة غيره من الصحابة، حيث اكد ابن ابي الحديد ان هذه السنة لا اثر في حياة النبي عليه السلام وذلك:

(١). ان السنة التي ولد فيها الامام علي عليه السلام هي السنة التي بدء فيها برسالة الرسول عليه السلام، حيث سمع الهتاف من الاحجار والاشجار، وكشف عن بصره، فشاهد انواراً، واشخاصاً، ولم يخاطب فيها بشيء.

(٢). في هذه السنة ابتدأ النبي عليه السلام بالتبلي، والاتقطاع والعزلة في جبل حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة، ونزل عليه الوحي.

(٣). وكان عليه السلام يتيمن بتلك السنة، وبولادة علي عليه السلام فيها، ويسميا سنة الخير والبركة؛ وقال لاهله ليلة ولادته، وقد شاهد فيها ما شاهد من الكرامات والقدرة الالهية، ولم يكن من قبل شاهد ذلك: «لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به ابواباً كثيرة من النعمة والرحمة». وقد اكد ابن ابي الحديد صحة ذلك بقوله: وكان كما قال عليه السلام، فإنه عليه السلام كان ناصره والمحامى عنه، وكاشف الغم عن

(١). اخرجته: مسلم: الصحيح ٢٠٧/١٦، ٢٤٠. البيهقي: سنن ٢٠٢/٦. الترمذي: صحيح ٣٠٣/٨ - ٤. ابن حزم: الفصل ١٦٨/٣، ١٣١/٤ - ١٣٤.

وجهه، وبسيفه ثبت دين الاسلام، ورست دعائمه وتمهدت قواعده.^(١)
 ثانياً: معنى ولادته على الفطرة أي الفطرة التي لم تتغير، ولم تحل، وذلك ان
 معنى قوله صلى الله عليه وآله: «كل مولود يولد على الفطرة». ان كل مولود فان الله تعالى قد
 هياه بالعقل الذي خلقه فيه، وبصحة الحواس، والمشاعر، لان يعلم التوحيد
 والعدل، ولم يجعل فيه مانعاً يمنعه من ذلك، ولكن التربية والعقيدة في الوالدين،
 والالف لا اعتقادهما، وحسن الظن فيهما، يصده عمّا فطر عليه، وامير المؤمنين عليه السلام
 دون غيره، ولد على الفطرة التي لم تحل، ولم يصد عن مقتضاها مانع، لا من جانب
 الابوين، ولا من جهة غيرهما، وغيره ولد على الفطرة، ولكنه حال عن مقتضاها،
 وزال عن موجبها». ^(٢)

ثالثاً: انه اراد بالفطرة - العصمة - وانه منذ ولد لم يواقع قبيحاً، ولا كان كافراً
 طرفه عين، ولا مخطئاً ولا غالطاً في شيء يتعلق بالوالدين وقال ابن ابي الحديد
 «وهذا تفسير الامامية». ^(٣) ولكنه لم يعلق عليه لا سلباً ولا ايجاباً.

وما ان بزغ نور الاسلام حتى كان الامام علي عليه السلام في مقدمة معتنقيه، حيث
 يقول: «وسبقت الى الايمان». ^(٤) ولكن كيف يتفق هذا مع ان هناك من يقول
 باسبقيه ابي بكر وزيد (رض). ^(٥)

اشار ابن ابي الحديد ان اكثر اهل الحديث يرون ان الامام علياً عليه السلام هو اول
 من اسلم، حيث استعرض روايات - ابن عبد البر - الذي اورد احدى وعشرين

(١). الشرح: ١١٤/٤ - ١١٥.

(٢). الشرح: ١١٥/٤. وانظر عن اثر الاسرة في تنشئة الابناء: كاظم: التنشئة الاجتماعية ص ١٤٩ - ٥٥.

(٣). الشرح: ١١٥/٤ - ١١٦.

(٤). الشرح: ٥٤/٤.

(٥). انظر الاختلافات: الشرح ٢١٥/١٣ وما بعدها. الجاحظ: العثمانية ص ٣ وما بعدها. الاسكافي نقض العثمانية ص ٢٨٢ وما بعدها.

رواية تفيد اسبقية الامام علي عليه السلام للاسلام، ويقول في نهايتها «انه لا شك عندنا ان علياً اولهما اسلاماً». (١) لذا يقول ابن ابي الحديد: «ان شيوخنا المتكلمين لا يكادون يختلفون في ان اول الناس اسلاماً علي بن ابي طالب عليه السلام» الا من عساه خالف في ذلك من اوائل البصريين، فاما الذي تقررت المقالة عليه الان فهو القول بانه اسبق الناس الى الايمان، لا نكاد نجد اليوم في تصانيفهم وعند متكلميهم والمحققين منهم خلافاً في ذلك. (٢)

واضاف: «ان امير المؤمنين عليه السلام ما زال يدعي ذلك لنفسه، ويفتخر به، ويجعله في افضليته على غيره، ويصرح بذلك، وقد قال غير مرة: «انا الصديق الاكبر، والفاروق الاول، اسلمت قبل اسلام ابي بكر، وصليت قبل صلاته». (٣) وكان عليه السلام يقول

سبقتكم الى الاسلام طراً غلاماً ما بلغت اوان حلمي (٤)

وخلص للقول: «والاخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جداً، لا يتسع هذا الكتاب لذكرها، فلتطلب من مظانها ومن تأمل كتب السير والتواريخ عرف من ذلك ما قلناه». (٥)

ثم اشار ان هذا يطابق قوله عليه السلام «لقد عبدت الله قبل ان يعبده احد من هذه الامة سبع سنين». وقوله «كنت اسمع الصوت، وابصر الضوء سنين سبعا».

(١). الشرح ١١٦/٤ - ١٢٢. وانظر: ابن قتيبة: المعارف ص ١٦٨ - ٩. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٠٩٠/٣ - ١٠٩٦.

(٢). الشرح ١٢٢/٤. وانظر القاضي: المغني ١٣٨/٢/٢٠ - ١٤١.

(٣). الشرح: ١٢٢/٤. وانظر: الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٩. بن قتيبة: المعارف ص ١٦٩. ابو هلال العسكري: الاوائل ص ١٠٧ - ١١٠.

(٤). الشرح ١٢٢/٤. وانظر: ابن المغازلي: مناقب ص ٤٠٤. المازندراني: مناقب ١٩/٢. الحموي: معجم الادباء ٤٨/١٤. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٨. الحلبي: السيرة الحلبية ٢٩٤/١. ابن طلحة: مطالب السئول ص ٣٠. الجويني: فرائد السمطين ص ٤٢٧. الهيثمي: الصواعق ص ١٣١.

(٥). الشرح: ١٢٣/٤.

والرسول ﷺ حينئذٍ صامت، ما اذن له في الانذار والتبليغ؛ وذلك لانه اذا كان عمره يوم اظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة، وتسليمه الى رسول الله ﷺ من ابيه وعمره ست سنوات، فقد صح انه كان يعبد الله قبل الناس باجمعهم سبع سنين، وابن ست تصح منه العبادة اذا كان ذا تمييز على ان عبادة مثله هي التعظيم والاجلال، وخشوع القلب، واستخذاء الجوارح اذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه وتعالى، وآياته الباهرة، ومثل هذا يوجد عند الصبيان.^(١)

ويرى اكثر المعتزلة ان عمر الامام علي عليه السلام يوم اسلم كان ثلاث عشرة سنة،^(٢) وقد سبق ذلك ارهاصات، حيث كان يسمع رنة الشيطان،^(٣) وان الرسول ﷺ قال له: لولا اني خاتم الانبياء لكنت شريكاً في النبوة، فان لا تكن نبياً، فانك وصي نبي ووارثه بل انت سيد الاوصياء وامام الاتقياء.^(٤)

ولما كان رسول الله محمد ﷺ نبياً، فقد اصبح الامام علي عليه السلام وزيراً، وذلك يوم الانذار بعد نزول قوله تعالى: ﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾،^(٥) فدعا عليه السلام بني هاشم وابلغهم، وطلب منهم مؤازرته، فلم يؤازروه الا علي عليه السلام.^(٦) واستدل ابن ابي الحديد «على انه وزير رسول الله ﷺ من نص الكتاب والسنة، قول الله تعالى: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾ * هارون أخي * اشدد به ازري * وأشركه في أمري». ^(٧) وقال النبي ﷺ في الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الاسلام: «انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي».

(١). الشرح: ١٥/١.

(٢). الشرح: ١٤/١.

(٣). الشرح: ٢٠٩/١٣.

(٤). الشرح: ٢١٠/١٣.

(٥). سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٦). الشرح: ٢١٠/١٣ - ٢ - ٢٤٤ - ٥. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٠٣. الطبري: تاريخ

٢ - ٣٢١/٢.

(٧). سورة طه: الآيات ٢٩ - ٣١.

فأثبت له جميع مراتب هارون من موسى، فأذن هو وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاد ازره، ولولا انه خاتم النبيين لكان شريكاً في امره». (١)

واكد الامام عليه السلام على سبقه حتى في الهجرة اذ يقول: «وسبقت الى الايمان والهجرة». (٢) ولكن المعروف ان الامام لم يكن اول من هاجر بل سبقه الكثيرون لانه بات في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم كما هو معلوم.

ويفسر ابن ابي الحديد كلام الامام علي اعلاه بانه عليه السلام لم يقل سبقت كل الناس، وانما سبق المهاجرين، اذ ان سيل الهجرة استمر حتى قبيل فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة. (٣)

واضاف: «ان اللام في الهجرة يجوز ان لا تكون للمعهود السابق، بل تكون للجنس، وامير المؤمنين عليه السلام سبق ابا بكر وغيره الى الهجرة التي قبل هجرة المدينة، فان النبي صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة مراراً يطوف على احياء العرب، وينتقل من ارض قوم الى غيرها، وكان علي عليه السلام معه دون غيره». (٤)

لقد كان الامام علي عليه السلام ذا صلة وثيقة بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث انهما ذوا اصل واحد «فأباؤه ابا رسول الله، وامهاته امهات رسول الله، وهو منوط لحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم، الى ان مات عبد المطلب بين الاخوين عبد الله وابي طالب، وامهما واحدة، فكان منهما سيدا الناس؛ هذا الاول وهذا التالي، وهذا المنذر وهذا الهادي». (٥)

ومما يؤكد هذه الانطلاقة المشتركة نحو الهدف الواحد المنشود ما رواه الزمخشري - احد معتزلة البصرة - في حق الامام علي عليه السلام والزمخشري حسبما

(١). الشرح: ٢١١/١٣.

(٢). الشرح: ٥٤/٤.

(٣). الشرح: ١٢٥/٤.

(٤). الشرح: ١٢٥/٤ - ١٢٦.

(٥). الشرح: ٣٠/١.

يصفه ابن ابي الحديد: «مذهبه في الاعتزال ونصرة اصحابنا معلوم، وكذلك في انحرافه عن الشيعة، وتسخيفه لمقالاتهم - ان رسول الله ﷺ قال: «لما اسري بي، اخذني جبريل، فأقعدني على درنوك من درانيك الجنة، ثم ناولني سفرجلة، فبينما انا اقلبها انفلقت، فخرجت منها جارية لم ار احسن منها، فسلمت، فقلت: من انت؟ قالت: انا الراضية المرضية، خلقتني الجبار من ثلاثة اصناف؛ اعلاي من عنبر، واوسطي من كافور، واسفلي من مسك. ثم عجنني بماء الحيوان. وقال لي: كوني كذا، فكنت. خلقتني لاختيك، وابن عمك علي بن ابي طالب»^(١).

ولذا كان الامام علي عليه السلام بالنسبة للنبي ﷺ «شعاع من شمس، وغصن من غرسه، وقوة من قوى نفسه، ومنسوب اليه نسبة الغدالي يومه واليوم الى امسه، فما هما الا سابق ولاحق، وقائد وسائق، وساكت وناطق، ومجل ومصل، سيفا لمحمة البارق، وانارا سدنة الغاسق، صلى الله عليهما ما استخلب خبير وتناوح حراء وشبير»^(٢)،^(٣)

وكان الامام يفتخر بهذه العلاقة ويقول:

محمد النبي اخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي^(٤)

هذه القرابة القريبة بينهما سبها «كونه في حجره، ثم حامى عنه ونصره عند اظهار الدعوة دون غيره من بني هاشم، ثم ما كان بينهما من المصاهرة التي افضت الى النسل الاظهر دون غيره من الاصهار»^(٥).

بل وصل الامران شبه ابن ابي الحديد ومعاصريه سياسة النبي ﷺ والظرف

(١). الشرح: ٢٨٠/٩ - ١. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٢٨٦/١. الخوارزمي: المناقب ص ٢١٠. الجويني: فرائد السمطين ٤٨/١.

(٢). جبلان قرب مكة. انظر الحموي: معجم البلدان ٧٢/٢ - ٢٣٣/٤ - ٤.

(٣). الشرح: ٣/١.

(٤). الشرح: ١٢٢/٤. وانظر ابن المغازلي: مناقب ص ٤٠٤. ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٣٠.

(٥). الشرح: ١٩٨/١٣.

الذي عاشه بسياسة الامام والظرف الذي عاش فيه، اذ يقول: «واذا تأملت احواله في خلافته كلها وجدتها هي مختصرة من احوال رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، كأنها نسخة مستنسخة منها، في حربه وسلمه، وسيرته واخلاقه، وكثرة شكايته من المناققين من اصحابه والمخالفين لامره، واذا اردت ان تعلم ذلك علماً واضحاً، فاقراً سورة براءة ففيها الجمل الغفير من المعنى الذي اشرنا اليه»^(١).

ولما كان الامام علي عليه السلام ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله في النسب واخاه ولحمه ودمه، وفضائله مشتقة من فضائل الرسول صلى الله عليه وآله، وهو قبس من نوره، وثانيه على الحقيقة ولا ثالث لهما. لذا نجد سيرته عليه السلام جارية نفس مجرى سيرة الرسول صلى الله عليه وآله^(٢).

وحينما شرح كلام الامام علي عليه السلام في اقسام اصحابه، قال ابن ابي الحديد: «ان حاله كانت مناسبة لحال النبي صلى الله عليه وآله، ومن تذكر احوالهما وسيرتهما، وما جرى لهما الى ان قبضا، علم تحقيق ذلك»^(٣).

ولذا نجده عليه السلام يقول لاصحابه: «والله ما اسمعكم الرسول شيئاً، الا وها انا ذا اليوم مسمعكموه، وما اسماعكم اليوم بدون اسماعكم بالامس، ولا شقت لكم الابصار ولا جعلت لهم الافئدة في ذلك الزمان، الا وقد اعطيتم مثلها في هذا الزمان، ووالله ما بصرتم بعدهم شيئاً جهلوه، ولا اصفيتم به وحرموه، ولقد نزلت بكم البلية جائلاً حطامها...»^(٤).

ولقد علق ابن ابي الحديد على كلام الامام علي عليه السلام قائلاً: «...المخاطبون وان كانوا نوعاً واحداً متساوياً، الا ان المخاطب مختلف الحال، وذلك لانك وان

(١). الشرح: ٢٢٩/٦.

(٢). الشرح: ١٩٠/٦.

(٣). الشرح: ١٤٧/١٦.

(٤). الشرح: ٣٨٧/٦.

كنت ابن عمه في النسب واخاه ولحمه ودمه، وفنائلك مشتقة من فضائله، وانت قبس من نوره، وثانيه على الحقيقة، ولا ثالث لكما؛ الا انك لم ترزق القبول الذي رزقه، ولا انفعلت نفوس الناس اليك حسب انفعالها له، وتلك خاصية النبوة التي امتاز بها عنك»^(١).

هذه الرؤية في توافق السيرتين اكدها ايضاً شيخ ابن ابي الحديد وهو ابو جعفر النقيب ثم قال: «انظر الى اخلاقهما وخصائصهما، هذا شجاع وهذا شجاع، هذا فصيح وهذا فصيح، هذا سخي جواد وهذا سخي جواد، وهذا عالم بالشرائع والامور الالهية، وهذا عالم بالفقه والشريعة والامور الالهية الدقيقة الغامضة، وهذا زاهد في الدنيا غير نهم ولا مستكثر منها، وهذا زاهد في الدنيا تارك لها غير متمتع بلذاتها، وهذا مذيب نفسه في الصلاة والعبادة، وهذا مثله. وهذا غير محبب اليه شيء من الامور العاجلة الا النساء وهذا مثله. وهذا ابن عبد المطلب بن هاشم، وهذا في قعدده، ابواهما اخوان لاب واحد دون غيرهما من بني عبد المطلب، وربى محمد ﷺ في حجر والده هذا ابي طالب، فكان جارياً عنده مجرى احد اولاده. ثم لما شب ﷺ، وكبر استخلصه من ابي طالب وهو غلام، فربى في حجره مكافأة لصنيع ابي طالب به، فامتزج الخلقان، وتمثلت السجيتان، واذا كان القرين مقتدياً بالقرين، فما ظنك بالتربية والتنقيف الدهر الطويل!»^(٢).

واردف قائلاً: «فواجب ان تكون اخلاق محمد ﷺ كاخلاق ابي طالب، وتكون اخلاق علي عليه السلام كاخلاق ابي طالب أبيه، ومحمد ﷺ مربيه، وان يكون الكل شيمة واحدة، وسوساً واحداً، وطينة مشتركة ونفساً غير منقسمة ولا متجزئة، والا يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرق ولا فضل، لولا ان الله تعالى اختص

(١). الشرح: ٣٩٠/٦.
(٢). الشرح: ٢٢١٢/١٠.

محمد صلى الله عليه وآله برسالته، واصطفاه لوحيه، لما يعلمه من مصالح البرية في ذلك، ومن ان اللطف به اكمل، والنفع بمكانه اتم واعم، فامتاز برسول الله صلى الله عليه وآله بذلك عن سواه، وبقي ما عدا الرسالة على امر الاتحاد، والى هذا المعنى اشار صلى الله عليه وآله: «اخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع»^(١) وقال له ايضاً: «انت مني بمنزلة هارون من موسى، الا انه لا نبي بعدي» فأبان نفسه منه بالنبوة، واثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركاً بينهما»^(٢).

هذه العلاقة الوثيقة بين النبي صلى الله عليه وآله والامام علي عليه السلام نجدتها تتمثل أيضاً في الايام الاخيرة من عمر النبي صلى الله عليه وآله حيث كان علي عليه السلام الى جواره حيث لم يرسله ضمن سرية اسامة بن زيد الى الشام، ثم هو الذي تولى غسله صلى الله عليه وآله وكفنه ودفنه. فلما مرض صلى الله عليه وآله دعا اسامة بن زيد بن حارثة، وقال له: سر الى مقتل ابيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش. وكان ضمن الجيش وجوه المهاجرين^(٣) ولكن اختلف في ابي بكر (رض) هل موجود ضمنه او لا؟ فقد اشار موسى بن عقبة^(٤) والواقدي^(٥) والطبري^(٦) لعدم وجوده في الجيش بينما ذكره اليعقوبي^(٧) وابو هلال العسكري^(٨) والجوهري^(٩) ضمن الجيش الخارج للشام،^(١٠)

(١) اخرج: ابونعيم: حلية الاولياء ٦٥/١ - ٦٦. ابن طلحة الشافعي: مطالب السنول ص ٣٤.
الكنجي: كفاية الطالب ص ١٣٩. محب الدين: الرياض النظرة ٢/٢٩٢.
(٢) الشرح: ١٠/٢٢٢.
(٣) الشرح: ١/١٥٩. وانظر: البخاري: الصحيح ٦/٣٩ - ٤٠. الطبري: تاريخ ٣/١٨٤.
(٤) الشرح: ١٧/١٨٣.
(٥) المغازي: ٣/١١١٨ - ١١٢٠.
(٦) تاريخ: ٣/١٨٤.
(٧) التاريخ: ٢/١٠٣.
(٨) الاوائل ص ٣٢٧.
(٩) الشرح: ١/١٥٩، ٦/٥٢، ١٧/١٨٣.
(١٠) انظر تفاصيل حملة اسامة وآراء المعتزلة فيها. الشرح: ١/١٥٩ - ٦٢، ١٧/١٧٥ - ٩٤.
القاضي: المغني ٢٠/١/٣٤٣ - ٩.

فيما لم يذكر أي مصدر ان الامام علي عليه السلام كان ضمن الجيش وهذا فيه دلالة على مدى اختصاصه بالرسول صلى الله عليه وآله.

وقد اكد هذه الحقيقة الامام علي عليه السلام بقوله مخاطباً الرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاته «وفاضت بين نحري وصدري نفسك»^(١).

ولكن روي عن السيدة عائشة (رض) انها قالت: «توفي رسول الله صلى الله عليه وآله بين سحري ونحري»^(٢). لذا حاول ابن ابي الحديد التوفيق بين الرويتين بقوله «الله اعلم بحقيقة هذا الحال، ولا يبعد عندي ان يصدق الخبران معاً، بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وقت الوفاة مستنداً الى علي وعائشة جميعاً، فقد وقع الاتفاق على انه مات وهو حاضر لموته، وهو الذي كان يقلبه بعد موته، وهو الذي كان يعلله ليالي مرضه، فيجوز ان يكون مستنداً الى زوجته وابن عمه، ومثل هذا لا يبعد وقوعه في زماننا هذا، فكيف في ذلك الزمان الذي كان النساء فيه والرجال مختلطين، لا يستتر البعض عن البعض، فان قلت: فكيف تعمل بآية الحجاب، وما صح من استتار ازواج الرسول صلى الله عليه وآله عن الناس بعد نزولها؟ قلت قد وقع اتفاق المحدثين كلهم على ان العباس كان ملازماً للرسول صلى الله عليه وآله ايام مرضه في بيت عائشة، وهذا لا ينكره احد، فعلى القاعدة التي كان العباس ملازمه صلى الله عليه وآله كان علي عليه السلام ملازمه، وذلك يكون باحد امرين: اما بأن نسائه لا يستترن من العباس وعلي لكونهما اهل الرجل وجزءاً منه. او لعل النساء كن يختمرن باخمرتھن، ويخالطن الرجال فلا يرون وجههن، وما كانت عائشة وحدها في البيت عند موته، بل كان نسائه كلهن في البيت، وكانت ابنته فاطمة عند رأسه صلى الله عليه وآله»^(٣).

(١). الشرح: ٢٦٥/١٠. وانظر ابن سعد: الطبقات: ٢/٢٦٢ - ٢٦٣. البيهقي: المحاسن ص ٢٩٨.

الزمخشري: ربيع الابرار: ٤/١٩٧.

(٢). الشرح: ٢٦٧/١٠. وانظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٢٦١ - ٢٦٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٤٣.

(٣). الشرح: ٢٦٧/١٠ - ٨.

ومن خلال استعراضه لاحداث وفاة الرسول ﷺ ومراسيم تجهيزه ودفنه لاحظ ابن ابي الحديد ان الامام علي عليه السلام كان المتصدي لكل ذلك، اذ يقول: «من تأمل هذه الاخبار، علم ان علياً عليه السلام كان الاصل والجملة والتفصيل في امر الرسول ﷺ وجهازه، الاترى ان اوس بن خولي^(١) لا يخاطب احداً من الجماعة غيره، ولا يسأل غيره في حضور الغسل والنزول في القبر! ثم انظر الى كرم علي عليه السلام وسجاجة اخلاقه وطهارة شيمته، كيف يضمن بمثل هذه المقامات الشريفة عن اوس؛ وهو رجل غريب من الانصار، فعرف له حقه واطلبه بما طلبه! فكم بين هذه السجبة الشريفة، وبين قول من قال: لو استقبلت من امري ما استدبرت ما غسل الرسول ﷺ الا نساؤه، ولو كان في ذلك المقام غيره من اولى الطباع الخشنة وارباب الفظاظة والغلظة، وقد سأل اوس ذلك لجزر وانتهر ورجع خائباً»^(٢).

وبعد وفاته ﷺ كان الامام علي عليه السلام شديد الورع في ما يرويه عن النبي ﷺ حيث بلغ من تعظيمه له، واجلاله لقدره واحترام حديثه، الا يرويه الا بالفاظه، لا بمعانيه، ولا بأمر يقتضي فيه الباساً وتعميه، ولو كان مضطراً الى ذلك ترجيحاً للجانب الذي على جانب مصلحته في خاص نفسه^(٣).

ولقد اثار ذلك التساؤل لدى ابن ابي الحديد فتوجه نحو شيخه ابي جعفر قائلاً: قد وقفت على كلام الصحابة وخطبهم فلم ار فيها من يعظم رسول الله ﷺ واله تعظيم هذا الرجل، ولا يدعو كدعائه، فأنا قد وقفنا من نهج البلاغة ومن غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل، تدل على جلال عظيم، وتبجل شديد منه

(١). هو من شهر سائر مشاهد النبي ﷺ، وطلب الانصار من الامام علي عليه السلام ان يشاركوا في دفن النبي ﷺ فسمح لاحدهم فنزل اوس بن خولي: انظر: ابن الاثير: اسد الغابة ١/١٤٤ - ٥.
ابن حجر: الاصابة ١/٨٤.
(٢). الشرح: ١٣/٤٠ - ٤١.
(٣). الشرح: ٦/١٣٢.

لرسول الله ﷺ.

فاجاب ابو جعفر: ان علياً عليه السلام كان قويا الايمان برسول الله ﷺ والتصديق له، ثابت اليقين، قاطعاً بالامر، متحققاً له، وكان مع ذلك يحب رسول الله ﷺ لنسبته منه، وتربيته له، واختصاصه به من دون اصحابه، وبعد فشرفه له لانهما نفس واحدة في جسمين: الاب واحد، والدار واحدة؛ والاخلاق متشابهة فاذا عظمه فقد عظم نفسه واذا دعا اليه فقد دعا الى نفسه، ولقد كان يود ان تطبق دعوة الاسلام مشارق الارض ومغاربها، لان جمال ذلك لاحق به، وعائد عليه، فكيف لا يعظمه ويبجله ويجتهد في اعلاء كلمته. (١)

ونتيجة لكل ذلك اصبح الامام علي عليه السلام وريثاً للرسول ﷺ في كل شيء، حتى فيما كانت العرب تعتقده من ثارات حيث «ان كل دم اراقه رسول الله ﷺ بسيف علي عليه السلام وبسيف غيره، فان العرب بعد وفاته عليه السلام عصبت تلك الدماء بعلي بن ابي طالب عليه السلام وحده، لانه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعهم وسنتهم وعاداتهم ان يعصب به تلك الدماء الا بعلي وحده، وهذه عادة العرب اذا قتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل، فان مات او تعذرت عليها مطالبته، طالبت به امثل الناس من اهله... ومن نظر في ايام العرب ووقائعها ومقاتلها عرف ما ذكرناه». (٢)

ومما امتاز به الامام علي عليه السلام على سائر الامة، وعد من فضائله: زواجه من فاطمة بنت النبي محمد عليه السلام، (٣) حيث كان عليه السلام يفتخر بذلك قائلاً: «ومنا خير نساء

(١). الشرح: ١٧٤/٧ - ١٧٥.

(٢). الشرح: ٣٠٠/١٣ - ٣٠١.

(٣). روي ان عمر بن الخطاب (رض) او سعد بن ابي وقاص قال: لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة احب الي من حمر النعم: زواجه بفاطمة، وسكناه في المسجد، واعطائه الراية يوم خيبر. الترمذي: الصحيح ١٧١/١٢ - ٢. الحاكم: المستدرک ١٣٥/٣، ١١٧، ١٢٦. الخوارزمي: المناقب ص ٢٢٨. سبط ابن الجوزي. تذكرة ص ١٢٨. الذهبي: تلخيص المستدرک ١٣٥/٣.

العالمين»^(١).

قال ابن ابي الحديد: «يعني فاطمة عليها السلام، نص رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك، لا خلاف فيه. وقد تواتر الخبر عنه صلى الله عليه وآله انه قال: فاطمة سيدة نساء العالمين،^(٢) اما بهذه اللفظ بعينه، او لفظ يؤدي هذا المعنى. روي انه قال وقد رآها تبكي عند موته: الا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة.^(٣) وروي انه قال: سادات نساء العالمين اربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران»^(٤)،^(٥)

وناقش ابن ابي الحديد ايها شرف بالآخر الامام علي ام فاطمة؟ تسائل ابن ابي الحديد اولاً: ما المقصود بالافضل؟

(١). ان اريد بالافضل الاجمع للمناقب التي تتفاضل بها الناس، نحو العلم و الشجاعة ونحو ذلك، فعلي افضل.

(٢). وان اريد بالافضل: الارفع منزلة عند الله، فالذي استقر عليه رأي المتأخرين من اصحابنا، ان علياً ارفع المسلمين كافة عند الله تعالى بعد رسول

ابن كثير: البداية والنهاية ٣٤١/٧ - ٣. الهيثمي: مجمع الزوائد ١٢٠/٩. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٥.

(١). الشرح: ١٨٢/١٥.

(٢). ابن سعد: الطبقات ٢٤٨/٢. النسائي: خصائص ص ١١٤ - ١٢٠. البيهقي: المحاسن ص ٨٠ - ٢. الطحاوي: مشكل الآثار ٥٠/١. الحاكم: المستدرک ١٧١/٣ - ٢، ١٧٤. أبو نعیم: حلية الأولياء: ٤٢/٤٠/٢. ابن عبد البر: الاستيعاب: ١٨٩٣/٤ - ٥. النووي: تهذيب الاسماء ١٥٨/١/١، ٣٤٤. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٣٦، ٤٩ - ٥٠. ابن تيمية: منهاج السنة ١٦٩/٢. المتقي الهندي: كنز العمال ٩٣/١٣ - ٩٥. ابن حجر: الصواعق ص ١١٨ - ١٨٩.

(٣). ابن سعد: الطبقات ٢٤٨/٢. النسائي: خصائص ص ١١٨ - ٢٠. الطحاوي: مشكل الآثار: ٤٩/١. أبو نعیم: حلية الاولياء ٤٠/٢.

(٤). ابن زبالة: منتخب من كتاب ازواج النبي صلى الله عليه وآله ص ٤٩. الترمذي: الصحيح ٢٥٥/١٣. الطحاوي: مشكل الآثار ٥٠/١. الحاكم: المستدرک ١٧٢/٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٨٩٥/٤ - ٦. الحافظ العراقي: طرح الشريب ١٤٩/١ - ٥٠.

(٥). الشرح: ١٩٧/١٥. وانظر أيضاً الشرح ٣٠/١، ٢٦٥/١٠ - ٦.

الله ﷺ من الذكور والاناث، وفاطمة امرأة من المسلمين، وان كانت سيدة نساء العالمين ويدل على ذلك انه قد ثبت انه احب الخلق الى الله تعالى بحديث الطائر، وفاطمة من الخلق، واحب الخلق اليه سبحانه اعظم ثواباً يوم القيامة على ما فسره المحققون من اهل الكلام.

(٣). وان اريد بالافضل الاشرف نسباً، ففاطمة افضل لان اباها سيد ولد ادم من الاولين والآخرين، فليس في ابا علي عليه السلام مثله ولا مقارنه.

(٤). وان اريد بالافضل: من كان رسول الله ﷺ اشد عليه حنواً، وامس به رحماً، ففاطمة افضل، لانها ابنته، وكان شديد الحب لها، والحنو عليها جداً، وهي اقرب اليه نسباً من ابن العم، لا شبهة في ذلك. (١)

ثانياً: تساءل ابن ابي الحديد هل علي شرف بفاطمة ام فاطمة شرفت به؟ فأجاب: «ان علياً عليه السلام كانت اسباب شرفه وتميزه على الناس متنوعة، فمنها ما هو متعلق بفاطمة عليه السلام، ومنها ما هو متعلق بابيها ﷺ، ومنها ما هو مستقل بنفسه. فاما الذي هو مستقل بنفسه، فنحو شجاعته، وعفته، وحلمه وقناعته، وسجاجة اخلاقه، وسماحة نفسه، واما الذي هو متعلق برسول الله ﷺ فنحو علمه، ودينه وزهده، وعبادته، وسبقه الى الاسلام، واخباره بالغيوب. واما الذي يتعلق بفاطمة عليه السلام فنكاحه لها، حتى صار بينه وبين رسول الله ﷺ الصهر المضاف الى النسب والسبب، وحتى ان ذريته منها صارت ذرية لرسول الله ﷺ، واجزاء من ذاته عليه السلام؛ وذلك لان الولد انما يكون من مني الرجل ودم المرأة، وهما جزءان من ذاتي الاب والام، ثم هكذا ابداً في ولد الولد ومن بعده من البطون دائماً. فهذا هو القول في شرف علي عليه السلام بفاطمة فأما شرفها به، فانها وان كانت ابنة سيد العالمين الا ان كونها زوجة علي افادها نوعاً من شرف آخر زائداً على ذلك الشرف

الاول؛ الا ترى ان اباها لو زوجها ابا هريرة او انس بن مالك لم يكن حالها في العظمة والجلالة كحالها الان، كذلك لو كان بنوها وذريتها من ابي هريرة و انس بن مالك، لم يكن حالهم في انفسهم كحالهم الان»^(١).

لذا لم يتزوج الامام علي عليه السلام على فاطمة طيلة حياتها الشريفة شأنه شأن الرسول ﷺ بعدم زواجه في حياة خديجة عليها السلام. الا ان هناك رواية تفيد ان الامام علياً عليه السلام اراد ان يتزوج على فاطمة حيث خطب جويرية بنت ابي جهل.

ففي استعراض ابن ابي الحديد لما جاء به - ابو جعفر الاسكافي - قال الاخير ان ابا هريرة روى الحديث «الذي معناه ان علياً عليه السلام خطب ابنة ابي جهل في حياة رسول الله ﷺ فأخطه، فخطب على المنبر، وقال لاها الله! لا تجتمع ابنة ولي الله وابنة عدو الله ابي جهل! ان فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها، فان كان علي يريد ابنة ابي جهل فليفارق ابنتي، وليفعل ما يريد». أو كلاماً هذا معناه، والحديث مشهور من رواية الكرايسي»^(٢) و اضاف^(٣) ابن ابي الحديد: «هذا الحديث ايضاً مخرج في صحيحي مسلم والبخاري عن المسور بن مخرمة الزهري، وقد ذكره المرتضى في كتابه المسمى تنزيه الانبياء والائمة، وذكر انه رواية حسين الكرايسي، وانه مشهور بالانحراف عن اهل البيت عليهم السلام، وعداوتهم والمناصبة لهم فلا تقبل روايته»^(٤).

ثم قال: «وعندي ان هذا الخبر لو صح لم يكن على امير المؤمنين فيه

(١). الشرح: ٢٠/١٦ - ٢١.
(٢). هو ابو علي الحسين بن علي بن يزيد المهلب الكرايسي، كان من المجبرة، وعارفاً بالحدِيث والفقه، وله كتاب المدلسين في الحديث، وكتاب الامامة وفي الاخير غمز على علي عليه السلام. انظر ابن النديم: الفهرست ص ٢٥٦. الخطيب: تاريخ بغداد ٦٦/٨. ابن حجر: لسان الميزان ٣٠٣/٢ - ٥.
(٣). الشرح: ٦٤/٤.
(٤). الشرح: ٦٤/٤ - ٦٥.

غضاضة، ولا قدح، لان الامة مجمعة على انه لو نكح ابنة ابي جهل، مضافاً الى نكاح فاطمة عليها السلام لجاز، لانه داخل تحت عموم الاية المبيحة للنساء الاربع؛ فابنة ابي جهل المشار اليها كانت مسلمة، لان هذه القصة، كانت بعد فتح مكة، واسلام اهلها طوعاً وكرهاً، ورواة الخبر متوافقون على ذلك، فلم يبق الا انه ان كان هذا الخبر صحيحاً فان رسول الله صلى الله عليه وآله، لما رأى فاطمة عليها السلام قد غارت وادركها ما يدرك النساء، عاتب علياً عليه السلام عتاب الاهل، وكما يستثبت الوالد رأي الولد ويستعطفه الى رضا اهله وصلاح زوجته، ولعل الواقع كان بعض هذا الكلام فحرف وزيد فيه»^(١).

واضاف: «لو تأملت احوال النبي صلى الله عليه وآله مع زوجاته، وما كان يجري بينه وبينهن من الغضب تارة، والصلح اخرى، والسخط تارة والرضا اخرى، حتى بلغ الامر الى الطلاق مرة، والى الايلاء مرة، والى الهجر مرة والقطيعة مرة، وتدبرت ما ورد في الروايات الصحيحة مما كن يلقينه عليه السلام به، ويسمعه اياه، لعلمت ان الذي عاب الحسدة والشائتون علياً عليه السلام به بالنسبة الى تلك الاحوال قطرة من البحر المحيط، ولو لم يكن الا قصة مارية، وما جرى بين رسول الله صلى الله عليه وآله، وبين تينك الامراتين من الاحوال والاقوال، حتى انزل فيه قرآن يتلى في المحاريب، ويكتب في المصاحف، وقيل لهما ما لا يقال للاسكندر ملك الدنيا لو كان حياً، منابذاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾^(٢)، ثم اردف ذلك بالوعد والتخويف ﴿عسى ربه ان طلقكن﴾^(٣)، الآيات بتمامها. ثم ضرب لهما مثلاً امرأة نوح وامرأة لوط اللتين خانتا بعليهما، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وتمام الآية معلوم، فهل ما روي

(١). الشرح: ٦٥/٤ - ٦٦.

(٢). سورة التحريم: الآية ٤.

(٣). سورة التحريم: الآية ٥.

في الخبر من تعصب فاطمة عليها السلام على علي عليه السلام وغيرها من تعريض بني المغيرة له بنكاح عقيلتهم، اذا قويس الى هذه الاحوال وغيرها مما كان يجري الاكنسبة التأيف الى حرب البسوس! ولكن صاحب الهوى والعصية لا علاج له». (١)

والان لنستعرض الروايات التاريخية التي اشارت لخطبة الامام جويرية، واره بعض الباحثين فيها، ثم نحاول ان ندلي برأي في ذلك.

أولاً: ابن سعد ت ٢٣٠هـ: قال في ترجمة جويرية بلا سند (وجويرية هذه هي التي خطبها علي بن ابي طالب، فجاء بنو المغيرة الى رسول الله صلى الله عليه وآله يستأمرونه في ذلك، فلم يأذن لهم ان يزوجه وقال: انها فاطمة بضعة مني يسؤني ما ساءها». (٢)

ثانياً: الزيري ت ٢٣٦هـ: قال بلا سند: «خطب علي بن ابي طالب جويرية بنت ابي جهل فشق ذلك على فاطمة، فارسل اليها عتاب (بن اسيد): انا اريحك منها: فتزوجها». (٣)

وقال ايضاً: «وكان علي بن ابي طالب قد خطب جويرية بنت ابي جهل قبل عتاب، وهم بنكاحها، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: اني لاكره ان تجمع بين بنت ولي الله وبين بنت عدو الله، فتركها علي وتزوجها عتاب». (٤)

ثالثاً: ابن بكار ت ٢٥٦هـ: اورد رواية مرسله الى ابن عباس تحكي محاوره بين ابن عباس والخليفة عمر (رض) بشأن الامام. فقال ابن عباس: يا امير المؤمنين ان صاحبنا ما قد علمت انه ما غير ولا بدل، ولا سخط رسول الله صلى الله عليه وآله ايام صحبته له. فقطع علي الكلام فقال: ولا في ابنة ابي جهل لما اراد ان يخطبها

(١). الشرح: ٦٦/٤ - ٦٧.

(٢). الطبقات: ٢٦٢/٨.

(٣). نسب قريش ص ١٨٧.

(٤). نسب قريش ص ٣١٢.

علي فاطمة! قلت: قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾^(١) وصاحبنا لم يعزم علي سخط رسول الله ﷺ، ولكن الخواطر التي لا يقدر احد علي دفعها عن نفسه وربما كان من الفقيه في دين الله، العالم العامل بامر الله^(٢).

رابعاً: البخاري ت ٢٥٦هـ: - عن المسور بن مخرمة قال: ان علياً خطب بنت ابي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت النبي ﷺ، فقالت: يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت ابي جهل. فقام رسول الله ﷺ. فسمعت حين تشهد يقول: اما بعد، فاني انكحت ابا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، وان فاطمة بضعة مني، واني اكره ان يسوؤها. والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد، فترك علي الخطبة، وزاد محمد بن عمرو بن حلحلة عن ابن شهاب عن علي عن مسور سمعت النبي ﷺ ذكر صهرأله من بني عبد شمس، فأتني عليه في مصاهرته اياه فاحسن قال: فصدقني ووعدني فوفى لي^(٣). وقال أيضاً عن المسور «ان رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني من اغضبها اغضبني»^(٤).

خامساً: مسلم ت ٢٦٣هـ: اورد اربع روايات:

- (١). عن المسور: «انه سمع رسول الله ﷺ على المنبر، وهو يقول: ان بني هشام بن المغيرة استاذنونني ان ينكحوا ابنتهم علي بن ابي طالب. فلا آذن، ثم لا آذن. ثم لا آذن الا ان يحب ابن ابي طالب ان يطلق ابنتي، وينكح ابنتهم، فانما ابنتي بضعة مني يرييني ما رايبها، ويؤذيني ما اذاها»^(٥).
- (٢). «عن المسور قال: قال رسول الله ﷺ: انما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما

(١). سورة طه: الآية ١١٥.

(٢). الموققيات ص ٦١٩. وردت كذلك في الشرح ٥٠/١٢ - ٥١.

(٣). الصحيح ٩٥/٥ - ٩٦. اوردها الصبان: اسعاف الراغبين ص ٨٥ - ٨٦.

(٤). الصحيح ١٠٥/٥. اوردها المتقي الهندي: كنز العمال ٩٣/١٣.

(٥). الصحيح: ٢/١٦. وذكرها: الترمذي: الصحيح ٢٤٦/١٣ - ٧. النسائي: خصائص ص ١٢٠.

اذاها» (١).

(٣). «عن ابن شهاب: ان علي بن الحسين حدثه انهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية (بعد) مقتل الحسين بن علي عليه السلام لقيه المسور بن مخرمة فقال له: هل لك لي من حاجة تامرني بها؟ قال: فقلت له: لا، قال له: هل انت معطي سيف رسول الله ﷺ، فاني اخاف ان يغلبك القوم عليه. وايم الله لئن اعطيتنيه لا يخلص اليه ابداً، حتى تبلغ نفسي ان علي بن ابي طالب خطب بنت ابي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا، وانا يومئذ محتلم، فقال: ان فاطمة مني وانا اتخوف ان تفتن في دينها. قال: ثم ذكر صهر له من بني عبد شمس، فاثني عليه في مصاهرته اياه فاحسن قال: حدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي، واني لست احرم حلالاً، ولا احل حراماً. ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله في مكان واحد ابداً» (٢).

(٤). عن المسور: «ان علي بن ابي طالب خطب بنت ابي جهل وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ فلما سمعت بذلك فاطمة، اتت النبي ﷺ فقالت له: ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح ابنة ابي جهل. قال المسور: فقام النبي ﷺ فسمعتة حين تشهد ثم قال: اما بعد، فاني انكحت ابا العاص بن الربيع، فحدثني فصدقني، وان فاطمة بنت محمد مضغة مني، وانما اكره ان يفتنوها والله لا تجتمع بنت رسول الله، وبنت عدو الله عند رجل واحد ابداً. فترك علي الخطبة» (٣).

سادساً: الترمذي ت ٢٧٩هـ: ذكر روايتين الاولى سبق واوردها مسلم، اما الثانية: عن ابن ابي مليكة عن عبد الله بن الزبير: «ان علياً ذكر بنت ابي جهل فبلغ

(١). الصحيح ٢/١٦ - ٣.

(٢). الصحيح ٣/١٦ - ٤.

(٣). الصحيح: ٤/١٦، وذكرها ابن الاثير: اسد الغابة ١٩/٥. محب الدين: ذخائر العقبى ص

٤٧- ٨. المتقي الهندي: كنز العمال ٩١/١٣ - ٩٢.

ذلك النبي ﷺ فقال: ان فاطمة بضعة مني يؤذيني ما اذاهما وينصبني ما انصبها. قال ابو عيسى (الترمذي) هذا حديث حسن صحيح هكذا قال ايوب عن ابن ابي مليكة عن ابن الزبير، وقال غير واحد عن ابن ابي مليكة عن المسور بن مخرمة. ويحتمل ان يكون ابن ابي مليكة روى عنهما جميعاً^(١).

سابعاً: الحاكم النيسابوري ت ٥٤٠ هـ: ذكر اربع روايات:

(١). عن المسور: «انه بعث اليه حسن بن حسن يخطب ابنته. فقال له: قل له فليلقاني في العتمة. قال: فلقية: فحمد الله المسور واثنى عليه ثم قال: واما بعد وايم الله، ما من نسب ولا سبب ولا صهر احب الي من نسبكم وسببكم وصهركم. ولكن رسول الله ﷺ. قال: فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها، ويبسطني ما يبسطها. وان الانساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري. وعندك ابنتها. ولو زوجتك لقبضها ذلك. فانطلق عاذراً له»^(٢).

(٢). عن سويد بن غفلة: «خطب علي ابنة ابي جهل الى عمها الحارث بن هشام، فاستشار النبي ﷺ. فقال: اعن حسبها تسألني؟ قال علي: قد اعلم ما حسبها. ولكن اتامرني بها، فقال: لا! فاطمة مضغة مني، ولا احسب الا وانها تحزن او تجزع، فقال علي: لا آتي شيئاً تكرهه»^(٣).

(٣). عن ابي حنظلة رجل من اهل مكة: «ان علياً خطب ابنة ابي جهل فقال له اهلها: لا تزوجك علي ابنة رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: انما فاطمة مغضة مني فمن اذاهما فقد آذاني»^(٤).

(٤). الرواية اعلاه التي اشار لها الترمذي.

(١). الصحيح ٢٤٧/١٣ - ٢٤٨. وذكرها الحاكم: المستدرک ١٧٣/٣.

(٢). المستدرک ١٧٢/٣. وذكرها محب الدين: ذخائر العقبى ص ٤٨.

(٣). المستدرک ١٧٣/٣.

(٤). المستدرک ١٧٣/٣.

ثامناً: الشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ: طرح رؤية مغايرة لما جاءت به هذه الروايات حيث عدها موضوعة قائلاً: «هذا خبر باطل موضوع غير معروف ولا ثابت عند اهل النقل، وانما ذكره الكرايسي طاعنا به على امير المؤمنين عليه السلام، ومعرضاً بذكره لبعض ما يذكره شيعته من الاخبار في اعدائه وهيئات ان يشبهه الحق الباطل ولو لم يكن في ضعفه الا رواية الكرايسي له، واعتماده عليه وهو من العداوة لاهل البيت عليه السلام، والمناصبه لهم، والازراء على فضائلهم ومآثرهم على ما هو مشهور لكفى».(١)

واضاف: «على ان هذا الخبر قد تضمن ما يشهد بطلانه، ويقضي على كذبه، من حيث ادعى فيه ان النبي ذم هذا الفعل، وخطب بانكاره على المنابر، ومعلوم ان امير المؤمنين عليه السلام لو كان فعل ذلك على ما حكى لما كان فاعلاً لمحذور في الشريعة لان نكاح الاربع حلال على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والمباح لا ينكره الرسول صلى الله عليه وسلم، ويصرح بدمه، وبأنه متأذ به؛ وقد رفعه الله عن هذه المنزلة، واعلاه من كل منقصة ومذمة، ولو كان عليه السلام نافرأ من الجمع بين بنته وبين غيرها بالطباع التي تنفر من الحسن والقبيح، لما جاز ان ينكره بلسانه، ثم ما جاز ان يبالغ في الانكار، ويعلن به على المنابر، وفوق رؤوس الاشهاد، ولو بلغ ايلامه لقلبه كل مبلغ فالذي اختص به عليه السلام من الحلم والكظم ووصفه الله بأنه من جميل الاخلاق، وكريم الادب، ينافي ذلك ويحيله، ويمنع من اضافته اليه، وتصديقه عليه واكثر ما يفعله مثله عليه السلام في هذا الامر، اذا ثقل على قلبه، ان يعاتب علياً عليه السلام سراً، ويتكلم في العدول عنه خفياً على وجه جميل ويقول لطيف».(٢)

ثم ضرب المرتضى مثلاً بالمأمون لما زوج ابنته من ابي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام فأخذها معه الى المدينة، ثم تزوج عليها فكتبت شاكية لابيها،

(١). تنزيه الانبياء ص ١٩٠.

(٢). ن.م ص ١٩٠.

فأجابه المأمون «أنا ما انكحناه لنحظر عليه ما اباحه الله له»، ولذا يرى المرتضى ان «المأمون اولى بالامتعاظ من غيره ابنته، وحاله اجمل للمنع من هذا الباب والانكار له»^(١).

واكد المرتضى ان الطعن في هذا الخبر على النبي ﷺ هو اعظم من الطعن على الامام علي عليه السلام لذا وصف واضع هذا الطعن بأنه «لا يبالي ان يشفي غيظه بما لا يرجع على اصوله بالقدح والهدم»^(٢).

ثم قال «علي انه لا خلاف بين اهل النقل ان الله تعالى هو الذي اختار امير المؤمنين عليه السلام لنكاح سيدة النساء عليها السلام، وان النبي ﷺ رد عنها جلة اصحابه وقد خطبوها، وقال ﷺ: اني لم ازوج فاطمة عليها السلام حتى زوجها الله في سمائه، ونحن نعلم ان الله سبحانه لا يختار لها من بين الخلائق من غيرها ويؤذيها، فان ذلك من اول دليل على كذب الراوي لهذا الخبر»^(٣).

وقدم دليلاً آخر على وضع الخبر «وبعد؛ فان الشيء انما يحمل على نظائره، ويحلق بامثاله، وقد علم كل من سمع الاخبار انه لم يعهد امير المؤمنين عليه السلام خلافاً على الرسول، ولا كان قط بحيث يكره، على اختلاف الاحوال، وتقلب الازمان وطول الصحبة، ولا عاتبه عليه السلام على شيء من افعاله، مع ان احداً من اصحابه لم يخل من عتاب على هفوة ونكير لاجل زلة فكيف خرق بهذا الفعل عاداته وفارق سجيته وسنته لولا تخرص الاعداء وتعديهم»^(٤).

وختم كلامه بآخر دليل «فاين كان اعداؤه عليه السلام... من هذه الفرصة المنتهزة، وكيف لم يجعلوها عنواناً لما يتخرصونه من العيوب والفروق، وكيف تحملوا

(١). ن. م ص ١٩٠.

(٢). ن. م ص ١٩٠ - ١٩١.

(٣). تنزيه الانبياء ص ١٩١.

(٤). ن. م ص ١٩١.

الكذب، وعدلوا عن الحق، وفي علمنا بأن احداً من الاعداء متقدماً لم يذكر ذلك، دليل على انه باطل موضوع»^(١).

تاسعاً: ابن حزم ت ٤٥٦هـ: قال في اشارته لبني مخزوم «وولد أيضاً ابو جهل الحنفاء، اراد على ان يتزوجها؛ فكره ذلك رسول الله ﷺ فتزوجها عتاب بن اسيد»^(٢).

والظاهر ان ابن حزم قد وهم لان ابن سعد ذكر ان الحنفاء وهي بنت ثانية لابي جهل غير جويرية تزوجها سهيل بن عمرو ثم اسامة بن زيد^(٣).

عاشراً: ابن حجر ت ٨٥٢هـ: اورد ترجمتين لابنة ابي جهل:

الاولى تحت اسم «جميلة بنت ابي جهل بن هشام ابن المغيرة المخزومية. روت عن النبي ﷺ، روى عنها زوجها، اخرج حديثها ابن منده من طريق سماك بن حرب عن عبدالله بن عمره عن زوج بنت ابي جهل، واسمها جميلة. قالت: مر بنا النبي ﷺ فاستسقى فسقيناها. وقال: خير القرون قرني ثم الذين يلونهم... وقيل انها هي التي خطبها علي. والمحفوظ انها جويرة»^(٤).

الثانية: جويرية بنت ابي جهل التي خطبها علي بن ابي طالب فقال رسول الله ﷺ: لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد ابداً. فترك علي الخطبة... وقصتها في الصحيحين من حديث المسور بن مخرمة من غير ان تسمى»^(٥).

حادي عشر: ان الروايات اعلاه وظفها المستشرق - اميل در منغم - للطعن في شخص الامام علي عليه السلام اذ يقول: «ولكن محمداً مع امتداحه قدم علي في

(١). ن.م ص ١٩١.

(٢). جمهرة انساب العرب ص ١٤٥.

(٣). الطبقات: ٢٦٢/٨.

(٤). الاصابة: ٢٦٢/٤ - ٣.

(٥). الاصابة ٢٦٥/٤.

الاسلام ارضاء لابنته، كان قليل الالتفات اليه، وكان صهرا للنبي الامويين عثمان الكريم وابي العاص اكثر مداراة للنبي من علي، وكان علي يألم من عدم عمل النبي على سعادة ابنته، ومن عد النبي له غير قوام بجليل الاعمال، فالنبي كان يفوض اليه ضرب الرقاب، وكان يتجنب تسليم قيادة له، وقد اراد علي يوماً ان يتزوج علي فاطمة فغضب النبي واحتج على ذلك، جهراً من فوق المنبر، وهذا لان علياً كان غير لبق في ميله للزواج من ابنة ابي جهل وجمعه تحت سقف واحد بنت رسول الله و بنت اشد اعدائه ومما آلم منه علي عدم اذن النبي له في الزواج من اخرى مع فاطمة كما صنع مع صهره الآخريين»^(١).

ثاني عشر: بنت الشاطي: استفادت من هذه الروايات لتصوغ لنا هذه الحادثة باسلوب ادبي اضفت عليه شيئاً من خيالها. فقالت: «لكنه (الامام علياً عليه السلام) كاد ياتي - غير متعمد - شيئاً تكرهه فاطمة اشد الكره، وتالم منه افدح الالم... واي شيء ابغض الي زوجة كالزهراء من ان ياتيها زوجها وابن عمها بضرة؟ لقد هم علي بالزواج على فاطمة، وفي حسابانه انه انما يجري على مالوف عادة قومه في الجمع بين زوجتين واكثر، ويفعل ما اباحه له الاسلام من تعدد الزوجات، دون ان يخطر بباله ان في هذا ما تنكره بنت نبي الاسلام! لكن الامر جرى على غير ما قدر علي... فما كاد يهم بالزواج... حتى راعه ان يرى ابا الزهراء يقبل على المسجد مغضباً، ويخطب في الناس منكرأ على ابن ابي طالب ان يتزوج على فاطمة»^(٢).

ثم تساءلت: «ولكن كيف والاسلام يبيح تعدد الزوجات، والنبي صلى الله عليه وآله كان يجمع في بيته يومئذ بين زوجات ثلاث او اربع، فيهن عائشة بنت ابي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب الذي اعز الله به الاسلام؟ كيف يحرم النبي

(١). حياة محمد ص ١٩٩.

(٢). بنات النبي ص ١٧٥-١٧٦.

ما احله الله، وينكر علي ابن عمه ما لم ينكره علي نفسه؟ ليكن هذا الزواج مؤذياً لفاطمة، افلم تتعرض لمثله بنتا ابي بكر وعمر؟ وهل يأبى النبي ان يجوز علي ابنته ما يجوز علي كل مسلمة... وهل استثنى الاسلام من تعدد الزوجات بنات نبيه الذي بلغ رسالته؟ ياله من موقف بالغ الدقة والصعوبة والحرص، فالنبي يعلم حق علي في الزواج ولو علي فاطمة... ومحمد في ابوته الرحيمة وبشريته السوية، يؤذيه ان تروع احب بناته بضرة، ويشفق عليها من تجربة قاسية كهذه، يعلم انه لا قبل لها باحتمالها... الا ليت علياً قد صبر علي واحدة اسوة بابن عمه حين اكتفى بخديجة زوجة، مدى ربع قرن من الزمان! اذن لأعفى الاب النبي من الحرج، واغناه من ذلك الموقف الشائك الصعب... واني لا تمثله عليه السلام يرنو الي بنته الغالية وهي تترقب المحنة في خوف وقهر، فتكاد لفرط اسائها وقلقها، تذوب من ضعف وكمد، ويود بكل ما استطاع ان يدفع عنها ما تكره، وان يحميها من الخوف الذي يقرح اجفانها ويروع امنها، ويؤرق ليالها، لكن الامر يبدو امقداً، فما كان لنبي ان يحرم ما احل الله! وفي ظلمات الحيرة، يلوح شعاع من الضوء ينير السبيل: ان علياً ذكر بنت عمرو بن هشام المخزومي فهل يرضى الله ان يجمع بيت علي بين بنت رسول الله، وبنت عدو الله؟ فعمر وهذا هو ابو الحكم بن هشام ابو جهل، الذي لم ينس الرسول والمؤمنين ما اقترف من آثام في اضطهاد الدعوة الاسلامية...»^(١)

ثم اخذت تعدد مواقف ابي جهل من الدعوة الاسلامية، واردفت قائلة: «اتكون بنت هذا الرجل ضرة لفاطمة بنت النبي؟ ياأبى الرسول ذلك... وياأباه الاسلام! وانطلق عليه السلام الى المسجد مغضباً حتى بلغ المنبر فخطب في صحبه: ان بني المغيرة استأذنونني... ثم ذكر عليه السلام صهره ابا العاص، وهو من بني عبد شمس، لا

من بني عبدالمطلب كعلي فاشنى عليه في مصاهرته اياه احسن الثناء... وقد ورد هذا الحديث في الكتب الستة الامهات ولكن احداً من الرواة لم يذكر لنا وقوعه على المسلمين وصداه في المدينة. فهل ترى يعيننا ان نتصور مدينة الرسول، وقد باتت ليلتها ساهرة، تؤمن على قول النبي، وترى فيه مظهراً جميلاً من مظاهر بشريته التي طالما اصر على الاعتراف بها. وآية ناطقة بابوته الرحيمة التي كانت مضرب الامثال، ودليلاً جديداً من ادلة حبه لبناته، هذا الحب الذي شاء الله ان يملا به قلب النبي المختار في بيئة وأدت بناتها؟ او هل يقصر خيالنا عن متابعة علي وهو ينصرف من المسجد اثر سماعه خطبة صهره النبي ﷺ، ويأخذ طريقه الى بيته بطيء الخطو، مثقل القلب، يفكر فيما كان؟ اتراه حقاً قد اراد الزواج على فاطمة، من بنت عدو الاسلام؟... كيف هان عليه جهاده الطويل الباسل في سبيل الدعوة المحمدية؟ بل كيف هان عليه ان يروع امن الحبيبة بنت الحبيب، ويكسر قلبها بزواج كهذا لا يمكن ان يؤول الا بالرغبة في متاع حسي مادي، لا يجده لديها». (١)

ثم اوضحت بنت الشاطيء ان زواج النبي ﷺ المتعدد له مبرراته الخاصة، وظروفه والا فما باله ﷺ قد اكتفى بخديجة خمسة وعشرين سنة، فلم يتزوج عليها حتى ماتت وقد بلغ الخمسين. ثم ان الامام كان يشغله الجهاد في سبيل الدين الجديد، اذن «فلتكن بنت ابي جهل من حظ غيره، اما هو، فليس بالذي يحبط جهاده الباسل، فيستبدل بالنبي ابا جهل بن هشام صهراً... وليس هو بالذي يؤذي نبيه واباه وابن عمه، في احب بناته اليه، ولن يكون ابو العاص بن الربيع قبل اسلامه ابر منه ببنت محمد، ابن عمه عبدالله بن عبدالمطلب ولا ارعى في مصاهرته للنبي ذماماً». (٢)

ثم اختلقت - بنت الشاطيء - اعتذاراً من علي للزهراء عليها السلام فقالت: «واذ

(١). بنات النبي ص ١٧٧ - ١٨١.

(٢). بنات النبي ص ١٨١.

رآها تبكي، همس معتذراً: هبيني اخطأت في حقك يا فاطمة، فمثلك اهل للعفو والمغفرة، ومضت قطعة من الليل قبل ان تجيب: غفر الله لك يا ابن عم». (١)

وختمت كلامها بالسؤال:

متى هم علي بالزواج على الزهراء؟

قالت: «صمت المؤرخون ورجال الحديث فلم يشيروا الى موعد الخطبة على ما لذلك من اهمية وخطر، لكننا نظمئن الى انها كانت في الفترة الاولى من زواجها. وهو اطمئنان لا يسنده دليل نقلي، وانما يغرينا به فهمنا لطبيعة الموقف، وتقديرنا انه اقرب احتمالاً قبل ان يرزقا الولد، حين كانت فاطمة وعلي في مستهل حياتهما الزوجية، لم تألف بعد شدته وصرامته، ولم يروض هو نفسه على احتمال ما كانت لاتزال تجد من حزن لفقد امها، وشجو لفراق بيتها الاول! وبهذا الاطمئنان نميل الى توقيت الحادثة على وجه التقريب بالعام الثاني من الهجرة، قبل ان يأتيهما العام الثالث باولى الثمرات المباركة للزواج... انقضت السحابة التي ظللت افق الزهراء حيناً لا نحدد مداه، وعاد البيت اصفى جواً مما كان قبل ان يمتحن بتلك التجربة القاسية، وضمت الحياة تسير بالزوجين الكريمين على ما يرجوان من تعاون ومودة؛ فاطمة في الدار تقوم على خدمة زوجها ما وسعها وتتخلص شيئاً فشيئاً مما كان يعتادها من شجن وانقباض، وعلي الى جانبها يبذل لها من الحب والرعاية ما يعينها على مشقة العيش الكادح في جو المدينة الذي لم تسعفها صحتها على ان تألفه بسرعة كما الفه كثير من المهاجرين. ويحاول قدر ما اطاق ان يترفق بها ويروض نفسه على شيء من اللين واليسر. ثم شاء الله ان يقر عين الزهراء وعيون من يحبونها فوضعت بكرها الحسن بن علي في السنة الثالثة

من الهجرة»^(١).

ثالث عشر: ورد - توفيق ابو علم - ما جاء عن بنت الشاطيء و اضاف
«ليس علي هو الذي يؤذي نبيه واباه وابن عمه في احب بناته اليه والتي قال
لها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك»^(٢) وهي التي قال فيها ايضاً «اذا
كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد ان
الجليل جل جلاله يقول: نكسوا رؤوسكم وغضوا ابصاركم فان هذه فاطمة بنت
محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تريد ان تمر على الصراط»^(٣) وعن ابي سعيد الخدرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ انه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر
في السماء السابعة. وقال: فرأيت فيها لمريم ولام موسى ولاسية امرأة فرعون
ولخديجة بنت خويلد قصوراً من ياقوت، ولفاطمة بنت محمد سبعين قصراً من
مرجان احمر باللؤلؤ ابوابها واسرتها من عود واحد»^(٤)^(٥).

واضاف: «هذه هي الزهراء التي يحبها الرسول كما رأينا فيما سبق وتكرر
انه لم يكن من المعقول ان يجمع بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبنت عدو الله بيت واحد.
وعن يحيى بن سعيد القطان قال: ذاكرت عبد الله بن داود الحرثي قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لا آذن الا ان يحب علي بن ابي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، قال ابن داود:
حرم الله علي علي ان ينكح علي فاطمة حياتها لقول الله عز وجل: ﴿وما أتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^(٦) فلما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا آذن لم يكن
يحل لعلي ان ينكح علي فاطمة الا ان يأذن رسول الله. قال: وسمعت عمر بن داود

(١). بنات النبي ص ١٨٢ - ٣.

(٢). اخرجته: الطبراني: المعجم الكبير ٢١٠/١١. الهيثمي: الصواعق ص ١٥٨. المتقي الهندي:

كنز العمال ٦٩/١٣. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٥. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٠٩.

(٣). اخرجته الطبراني: المعجم ١٠٨/١. الهيثمي: الصواعق ص ١٨٨. المتقي الهندي: كنز

العمال ٩١/١٣ - ٩٣. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٦. الحاكم: المستدرک ١٦٦/٣، ١٧٥.

(٤). الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٦.

(٥). اهل البيت: ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٦). سورة الحشر: الآية ٧.

يقول: لما قال الرسول: فاطمة بضعة مني يريني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها حرم الله على علي ان ينكح على فاطمة، اذ انه بنكاحه عليها يؤذي الرسول، والله تعالى يقول ﴿وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله﴾ (١) (٢).

رابع عشر: الحسن: اذا رأينا منغم، وبنت الشاطيء وتوفيق ابو علم، وكذلك كحاله (٣) اعتمدوا المنهج الحرفي (النقلي) في التعامل مع الروايات لذا أكدوا صحة الحادثة، فان هاشم معروف الحسني قد انتهج نهج الشريف المرتضى، وابن ابي الحديد وهو النهج العقلي في التعامل مع النصوص لذلك حكم بعدم صحة الروايات. حيث جاء في معرض مناقشته للحادثة:

«واما حديث زواجه (علي) من غيرها، فقد جاء في بعض المرويات انه كاد ان ياتي شيئاً تكرهه سيدة النساء، ولا تتمكن من التغاضي عن نتائجه ويشير اليه الرواة، انه هم ان يتزوج من جويرية... وان اهلها استشاروا النبي صلى الله عليه وآله فانكر عليهم، ولم يأذن لهم بذلك، واطاف الرواة لهذه الاسطورة: ان الزهراء ذهبت الى ابيها باكية تقول له: ان الناس يزعمون بانك لا تغضب لبناتك، وان رسول الله صلى الله عليه وآله قام من ساعته، واقبل الى المسجد مغضباً، وصعد المنبر، وقال على ملاً من المهاجرين والانصار: الا وان بني هشام... الى غير ذلك مما جاء حول هذه الاسطورة التي تصور النبي وكأنه انسان تستبد به العاطفة الى الخروج من المؤلف ومحابة ابنته على حساب حكم من احكام الله، وتصور الزهراء، وكأنها اقل حظاً من الدين والصبر من سائر النساء، وان النبي يتخوف عليها ان تتعدى حدود ما انزل الله لو تم هذا الامر.

«ان الذين وضعوا هذه الاسطورة ارادوا ان يسيئوا الى النبي، لا الى علي

(١). سورة الاحزاب: الآية ٥٣.

(٢). اهل البيت ص ١٥٥-١٥٦.

(٣). اعلام النساء: ١١٢/٤.

وحده، لان النبي ﷺ كما جاء في الرواية، اراد ان يمنع علياً عليه السلام مما اباحه الله لجميع الناس، وما فعله هو وجميع المسلمين او اكثرهم، ومع ذلك فهل يجوز على النبي ان يقف هذا الموقف المتصلب، ويحايي ابنته الزهراء في حكم من احكام الله، ومع العلم انه كان يقول لفاطمة «اعملي فلن اغني عنك من الله شيئاً»^(١) وقال لمن جاء يستشفع في امرأة من الانصار قد سرقت: والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.^(٢)

«هذا بالاضافة الى ان قوله المزعوم: اخاف ان تفتن ابنتي عن دينها، هذا القول على تقديره، يعني انها كغيرها من النساء اللواتي يخرجن عن المألوف، ويتجاوزن احكام الله في مثل هذه الحالات، في حين انه قال اكثر من مرة: «ان الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»،^(٣) وبلا شك فانها لم تبلغ هذه المرتبة الا لأن جميع اعمالها وتصرفاتها، واقوالها في حدود ما اراد الله. واذا صح كما يزعم الراوي ان تفتن في دينها لامر قد اباحه الله لعلي وغيره من سائر الناس، فكيف يربط النبي رضاها برضى الله وغضبها بغضبه. هذا بالاضافة الى انها احد المعنيين بآية التطهير بلا شك في ذلك عند احد من المسلمين، ومع ذلك فكيف تفتن في دينها وقد اذهب الله عنها الرجس وطهرها من الذنوب وجعلها السيدة الاولى لنساء العالمين.

«ان الذين رووا هذه الاسطورة ونسبوا الى النبي هذا الموقف المتصلب،

(١) مسلم: الصحيح ٨٠/٣. الطبري: جامع البيان ١١٨/١٩ - ١٢٠. الهيثمي: الصواعق ص ١٥٥-٦.

(٢) البيهقي: المحاسن ص ٣٦٨. ابن تيمية: منهاج السنة ١٧/٣.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير ١٠٨/١. الحساكس: المستدرک ١٦٧/٣. ابن حجر: الاصابة ٣٧٨/٤ الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٠٣/٩. المتقي الهندي: كنز العمال ٩٦/١٣. وقد اعتبر ابن تيمية هذا الحديث موضوعاً بقوله «ما ورد هذا من النبي ﷺ ولا يعرف هذا من شيء من كتب الحديث المعروفة ولا الاسناد معروف عن النبي ﷺ لا صحيح ولا حسن» منهاج السنة ١٧٠/٢.

وتلك المقالة البعيدة عن منطقة قد روى الى جانبها انه اذا كان يوم القيامة يجمع الله الاولين والآخرين على صعيد واحد، ثم ينادي مناد الجليل جل جلاله: نكسوا رؤوسكم وغضوا ابصاركم فان فاطمة بنت محمد تريد ان تمر على الصراط. واذا كانت بهذا المستوى فكيف تفتن عن دينها لامر متاح ومألوف بين المسلمين، وفي بيت ابيها سيد المسلمين اكثر من اربع من النساء.

«على ان المتتبع لتاريخ علي عليه السلام في تلك الفترة من تاريخ الاسلام سواء كان منها في حياته مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الى جانبه يجاهد في سبيل الدعوة، او بعد زواجه من سيدة النساء، لا يتردد في ان جميع ما روي عنه في محاولة زواجه من ابنة ابي جهل، ومن اختياره لنفسه بعض الجوارى في احدى غزواته الناجحة^(١) كما تحدث بذلك بعض المؤلفات في السيرة من موضوعات....

«والغريب في المقام ان اكثر المؤرخين يذهبون الى ان خطبة علي عليه السلام لجويرية... كانت في السنة الثانية التي تزوج بها من فاطمة الزهراء، وقبل ان يأتيهما العام الثالث باولى الثمرات المباركة لزواجهما... ووجه الغرابة في ذلك ان ابا جهل وبني المغيرة كانوا في مكة، وابو جهل كان من اقطاب المشركين، والد أعداء الاسلام ومن اكثرهم تحريضاً واساءة الى النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه... وقد قتل ابو جهل في بدر وظل بنوه على شركهم في مكة الى السنة الثامنة حيث فتح مكة، فاسلموا، فكيف يجتمع هذا مع قول النبي في مطلع السنة الثالثة للهجرة، وقبل ولادة الحسن: الا ان بني المغيرة قد استأذنوني ان يزوجوا ابنتهم علياً. وخلص للقول: «ومهما كان الحال فلو افترضنا ان علياً فكر في غير فاطمة من النساء، وان فاطمة لم تكن طيبة النفس بهذا التفكير، فذلك لا يوجب تجريحاً، ولا يبيح لاحد

(١). عندما ولاة النبي صلى الله عليه وسلم اليمن. انظر الترمذي: الصحيح ١٦٤/١٢ - ٥، ١٧٢ - ٣. الحاكم: المستدرک ١١٩/٣.

ان ينال من قداستها شيئاً»^(١).

خامس عشر: العقاد: قال بصددها «ولا نعلم نحن من شأن هذه الخطبة غير ما جاء في رواياتها المختلفة. ولكننا نعلم ان هذه الفتاة (جويرية) اسلمت وبايعت النبي وحفظت عنه، فلعلها قد خيف عليها الفتنة ان تتزوج بغير كفء من المسلمين، واهلها هم من هم في المكانة والحسب لا يرضيهم من هو دون علي بن ابي طالب من ذوي قرابتها. او لعلها غضبة من غضبات علي انفة من انفات فاطمة، او لعلها نازعة من نوازع النفس البشرية لم يكن في الدين ما يأبأها، وان ابأها العرف في حالة المودة والصفاء»^(٢).

سادس عشر: الشرهاوي: وآخر من علمنا انه كان له رأي في هذه الحادثة زميلنا - حسين الشرهاوي - الذي قال بصددها:

«والرواية التي اوردناها تحمل ضعفها بين طياتها وهي متناقضة الى درجة كبيرة لا يمكن قبولها وهي تحمل اساءة الى رسول الله ﷺ أولاً قبل الامام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام ووجه اعتراض رسول الله ﷺ حبه لابنته فاطمة... ولو افترضنا جديلاً ان علياً عليه السلام قدم على هذه الخطبة بالفعل، فانه لم يأت بشيء محرم في الشريعة لان الاسلام اباح الزواج بأربع، فكيف يقف رسول الله ﷺ على المنبر وامام كل المسلمين ويحرم شرع الله الذي أتى به من عند ربه، وذلك لمحبه لابنته فاطمة عليها السلام! وهو ينادي بالمساواة والعدالة وعدم التفضيل وكون فاطمة كأبي امرأة من نساء المسلمين من منطلق المساواة، ثم يصعد على المنبر ويعرض باحدى المسلمات وهي جويرية بنت ابي جهل، ويعيرها بأبي جهل، على الرغم من اسلامها فهل تحاسب بذنب ايها».

«وقد روي ان عكرمة بن ابي جهل عندما اسلم هاجر الى المدينة بعد فتح

(١). سيرة الأئمة الاثني عشر ١/٩٢-٩٥.

(٢). فاطمة الزهراء ص ٤٤-٥.

مكة فجعل عكرمة كلما مر بمجلس من مجالس الانصار قالوا: هذا ابن ابي جهل وسبوا ابي جهل فشكا ذلك الى رسول الله ﷺ فقال: لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات (١) فاذا كان هذا حال رسول الله ﷺ في مراعاة مشاعر المسلمين فكيف يصعد على المنبر امام المسلمين ويهجم على هذه المرأة المسلمة وينهي عن شرع الله، وحتى ان كان قد كره هذا الامر بقلبه لمحبة فاطمة عليها السلام كما تذكر الرواية وبلغ به الغيظ والغضب! اليس هو الموصوف بكظم الغيظ، وعدم التسرع بالاحكام). وقد وصفه الله بجميل الاخلاق، وكريم الآداب فلماذا لم يعاتب علياً سراً وبينها. دون ان يجرح مشاعره ومشاعر المسلمين» (٢).

والآن لنأت لمناقشة الحادثة في الحيثيات الآتية:

اولاً: من هم بنو المغيرة؟

ثانياً: من هي ابنة ابي جهل؟

ثالثاً: مناقشة تناقضات الروايات؟

رابعاً: موقف النبي ﷺ؟

خامساً: موقف فاطمة عليها السلام؟

سادساً: موقف الامام علي عليه السلام؟

سابعاً: من هو راوي الرواية؟

ثامناً: تحليلات بعض الباحثين؟

(١). انظر: الزبيرى: نسب قريش ص ٣١١. الزمخشري: ربيع الابرار ٨٤١/٢. السيوطي: مسالك الحنفا ص ١٥. دحلان: اسنى المطالب ص ١٥.
(٢). السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام ص ١٣١-١٣٢.

اولاً: من هم بنو المغيرة؟

هو المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. من الاسر التي اتخذت موقفاً سلبياً من الدعوة الاسلامية في مكة او فيما بعد في المدينة، فقد قتل في بدر منم ابو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وابو جهل واخوه العاصي بن هشام، واسر عثمان بن عبدالله بن المغيرة ومعبد بن هشام بن المغيرة، اما في الخندق فقد قتل نوفل بن عبدالله بن المغيرة.^(١)

ومن اشهر رجالاتهم الوليد بن المغيرة وهو اول من خلع حذائه عند الدخول للكعبة اعظماً لها،^(٢) واول من بدأ بتهديمها لما ارادت قريش اعادة بنائها وكانت تخشى ذلك،^(٣) ولذلك عُرف بعظيم قريش، وفيه نزل قوله تعالى ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾.^(٤)

والوليد هو الذي اتهم النبي ﷺ بالسحر لذا نزل فيه قوله تعالى ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً* وجعلت له مالا ممدوداً* وبينين شهوداً* ومهدت له تمهيداً* ثم يطمع ان ازيد* كلا انه كان لآياتنا عنيداً* سأرهقه صعوداً* انه فكر وقدر* فقتل كيف قدر* ثم قتل كيف قدر* ثم نظر* ثم عبس وبسر* ثم ادبر واستكبر* فقال ان هذا الا سحر يؤثر* ان هذا الا قول البشر* سأصليه سقر* وما ادراك ما سقر* لا تبقي ولا تذر* لواحة للبشر* عليها تسعة عشر﴾^(٥). وقد قتل

(١). ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٢). الازرقسي: اخبار مكة ١/١٧٤، البيهقي: المحاسن والمساوي ص ١٦٥، السيوطي: الوسائل ص ٣٢ - ٣٣.

(٣). الطبري: تاريخ ٢/٢٨٨ - ٩.

(٤). سورة الزخرف: الآية ٣١. انظر: الطبري: جامع البيان ٩٥/٢٥، القرطبي: الجامع ٨٣/١٦، ابن كثير: تفسير ٣٩٥/٧.

(٥). سورة المدثر: الآيات ١١ - ٣٠. انظر: الطبري: جامع البيان ١٥٢/٢٩ - ١٥٣، الواحدي: اسباب النزول ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

ابنه ابو قيس يوم بدر مع المشركين فيما اسلم ابنه خالد بن الوليد قبيل فتح مكة. (١)
اما باقي بنو المغيرة فقد دخلوا في الاسلام يوم فتح مكة ومن ضمنهم
الحارث بن هشام اخو ابي جهل الذي اصبح من الطلقاء ثم من المؤلفة قلوبهم
ولذلك اعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم هوازن مائة بعير. (٢) ويشار انه هو الذي اشار
على الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بوضع ديوان العطاء. (٣)
ويأت هنا التساؤل: من بني المغيرة استأذن النبي صلى الله عليه وسلم؟ هل هو الحارث بن
هشام عم جويرية؟ ام خالد بن الوليد؟ ام عكرمة بن ابي جهل؟

ثانياً: من هي ابنة ابي جهل؟

انها جويرية او جويرة او جميلة او الحنفاء هكذا على اختلاف الروايات
ابنة ابي جهل عمرو بن هشام المخزومي المعروف قبل الاسلام بأبي الحكم، (٤)
وكان لاتخاذها موقفاً سلبياً من النبي صلى الله عليه وسلم والدعوة الاسلامية ان لقبه صلى الله عليه وسلم بابي
جهل، وذلك لبعده عن استيعاب مفاهيم الاسلام ورفضه لاتباعها، فالجاهلية هي
حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدي الله. (٥)
وابو جهل هو صاحب فكرة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة (٦) ثم كان (اس)
البلاء على قريش يوم بدر حتى اوردها المهالك، فكان ان قتل يوم بدر وقد لاقى

(١). ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٤٧.

(٢). ابن هشام: السيرة ٤/٤١٣، ٤٩٣، الطبري: تاريخ ٣/٩٠.

(٣). البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٣٦. الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ١٧. ذكر اسمه الوليد بن هشام.

(٤). ابن سعد: الطبقات ٨/٦٢. ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٤٥. ابن حجر: الاصابة ٤/٢٦٢، ٢٦٥.

(٥). لدينا بحث سينشر قريباً ان شاء الله تحت عنوان (الجاهلية فترة زمنية ام حالة نفسية؟).

(٦). الطبري: تاريخ ٢/٣٧٠-٢.

خبر مقتله سروراً لدى النبي ﷺ واصحابه. (١) فيما بقيت اسرته حتى السنة الثامنة من الهجرة، حيث فتح مكة فكان ولده عكرمة بن ابي جهل من الدعاة لقتال المسلمين وعدم السماح لهم بالدخول لمكة، ولما فتحت مكة هرب الى البحر، فلحقته زوجته بعد ان اخذت له الامان من النبي ﷺ فعاد واعلن اسلامه. (٢)

ومن اسرة ابي جهل ابنته التي اختلف في اسمها اعلاه، وقد كان لها موقف لما دخل المسلمون مكة فلما اذن بلال وقال: اشهد ان محمداً رسول الله، قالت جويرية: (قد لعمرى رفع لك ذكرك، اما الصلاة فسنصلي، ووالله ما نحب من قتل الاحبة ابداً، ولقد جاء الى ابي الذي كان جاء الى محمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه). (٣)

اذن كانت من مسلمة الفتح، وبفتح مكة ختمت الهجرة، فلا هجرة بعد الفتح (٤) هذا يعني انه لا هجرة بعد ذلك للمدينة الا لاغراض خاصة، فاين يا ترى كانت خطبة الامام لجويرية هل في مكة ام المدينة؟ وبعد عدم تحقق الخطبة سواء لرفض النبي ﷺ؟ (٥) او رفض بنو المغيرة انفسهم؟ (٦) او تدخل عتاب الذي خطبها فتزوجها، (٧) ويأتي هنا التساؤل: اين كان عنها عتاب بن اسيد وهو ايضاً من مسلمة الفتح، وقد ولدت لعتاب ولده عبدالرحمن بن عتاب الذي كان ضمن اهل الجمل ضد الامام علي عليه السلام فكان ان قتل في هذه المعركة. (٨)

(١). الطبري: تاريخ ٤٥٤/٢ - ٦.

(٢). الطبري: تاريخ ٤٤/٣، ٤٨، ٥٧، ٦٠، ٦٣. المنتخب ص ٥٠١ - ٢. ابن حجر: الاصابة ٤١٦/٢ - ٧.

(٣). الازرقعي: اخبار مكة ٢٧٤/١ - ٢٧٥.

(٤). حديث للنبي ﷺ. اخرجه ابن حنبل: المسند ٢٢/٣، ٤٠١، ٤٨٧/٥.

(٥). ابن سعد: الطبقات ٢٦٢/٨، الزبيرى: نسب قريش ص ٣١٢، البخاري: الصحيح ٩٥/٥ - ٩٦.

(٦). الحاكم: المستدرک ١٧٣/٣.

(٧). الزبيرى: نسب قريش ص ١٨٧.

(٨). الشرح: ١٢٣/١١ - ٤، الزبيرى: نسب قريش ص ١٩٣، ابن حزم: جمهرة انساب العرب

وبعد وفاة عتاب تزوجها ابان بن سعيد بن العاص بن امية فلم تلد له شيئاً. (١)
وتشير الروايات انها روت عن النبي صلى الله عليه وآله، وروى عنها زوجها: «عن
عبدالله بن عميرة عن زوج بنت ابي جهل». فأبن عميرة هنا لا يعلم زوج ابنة ابي
جهل؟ ومن هي؟ والملاحظ ان كتب الصحاح لم تذكر اسمها. (٢)

ثالثاً: تناقض صيغ الروايات

تشير بعضها ان بني المغيرة هم الذين استأذنوا النبي صلى الله عليه وآله في تزويج ابنتهم
للامام، (٣) فيما تشير روايات اخرى ان الخبر كان شائعاً، وان الناس قد تحدثوا به،
فلما بلغ ذلك فاطمة عليها السلام ذهبت للنبي صلى الله عليه وآله واخبرته صلى الله عليه وآله (٤) فيما تأتي رواية لدى
الحاكم لتشير ان الامام هو الذي طلب الاذن من النبي صلى الله عليه وآله فرفض (٥) وتذهب
رواية اخرى لعلم النبي صلى الله عليه وآله بالامر دون تحديد من الذي اخبره. (٦) اما السبب في
عدم تحقق الخطبة فهذا ايضاً موضع تناقض بين الروايات فأكثر الروايات تعزوه
للنبي صلى الله عليه وآله، (٧) فيما تأتي رواية لتشير الى رفض بني المغيرة منذ البدء لان ذلك
يؤذي النبي صلى الله عليه وآله برأيهم، (٨) ولكن رواية الزبيرى تشير الى تدخل عتاب بن اسيد
الذي حسم الموقف بخطبته جويرية؟ (٩) ولكن اليس خطبة المؤمن على اخيه

ص ١١٣.

(١). ابن سعد: الطبقات ٢٦٢/٨.

(٢). ابن حجر: الاصابة ٢٦٥/٤.

(٣). ابن سعد: الطبقات ٢٦٢/٨. مسلم: الصحيح ٢/١٦. الترمذي: الصحيح ٢٤٦/٣ - ٧.

(٤). البخاري: الصحيح ٩٥/٥ - ٩٦. مسلم: الصحيح ٤/١٦.

(٥). المستدرک: ١٧٣/٣.

(٦). المستدرک: ١٧٣/٣.

(٧). ابن سعد: الطبقات ٢٦٢/٨. الزبيرى: نسب قريش ص ٣١٢. البخاري: الصحيح ٩٥/٥ -

٩٦.

(٨). الحاكم: المستدرک: ١٧٣/٣.

(٩). الزبيرى: نسب قريش ص ٣١٢.

المؤمن حراماً؟! (١)

رابعاً: موقف النبي ﷺ؟

اشرنا الى تناقض الروايات في من الذي اخبر النبي ﷺ بخطبة الامام علي عليه السلام لجويرية.

(١). فبعضها يشير ان بني هشام بن المغيرة استأذنوا النبي ﷺ فهذا يعني انه رفض ذلك، اذن لماذا يصعد عليه السلام المنبر معلناً (ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا ابنتهم علي بن ابي طالب، فلا اذن ثم لا اذن ثم لا اذن لهم). (٢) فلماذا لا يرسل النبي ﷺ للامام علي عليه السلام ويدعوه لترك الخطبة؟ فما معنى هذا الموقف المتشدد من النبي ﷺ حيال علي عليه السلام وامام الناس؟ فهل يريد النبي ان يقول ان علياً اتى بأمر خطير؟ ام ان النبي ﷺ اراد ان يسمع من تسول له نفسه ولو مستقبلاً تزويج علي كما فعل بنو المغيرة؟

ولكن رواية الحاكم تفيد ان الامام علياً عليه السلام هو الذي طلب الموافقة من النبي منذ البدء ولكنه عليه السلام لم يوافق فقال علي عليه السلام: لا اتى شيئاً تكرهه، (٣) اذاً ما معنى صعود النبي المنبر واستنكاره، فهل هذا يعني ان علياً عاود الخطبة رغم نهى النبي ﷺ له!!

(٢). فيما تأتي رواية اخرى تشير ان فاطمة هي التي ابلغت النبي ﷺ: «فلما سمعت فاطمة اتت النبي ﷺ فقالت: ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك»، (٤)

(١). اخرج الطحاوي: شرح معاني الآثار ٣/٣ - ٤. ابن حزم: الفصل ١٦/٤.

(٢). مسلم: الصحيح ٢/١٦. الترمذي: ٢٤٦/١٣ - ٧.

(٣). المستدرک: ١٧٣/٣.

(٤). البخاري: صحيح ٩٥/٥ - ٩٦. مسلم: الصحيح ٤/١٦.

اذن فالقوم يرون ان فعل الامام علي عليه السلام غير صحيح، ولذلك اشيع بين الناس واخذوا يتحدثون به، فبلغ مسامع فاطمة لذا اتت النبي صلى الله عليه وآله لتخبره بمقالة الناس. فلماذا ياترى هذا التصور لدى الناس؟ والمعروف ان العرب قبل الاسلام وفي ظل عصر الرسول صلى الله عليه وآله كانوا يتزوجون لاكثر من واحدة، ولا نكاد نقرأ عن موقف متوتر حيال زواج ثاني، اذن لماذا يستنكر قوم النبي صلى الله عليه وآله ذلك الى درجة انهم يقولون: ان النبي صلى الله عليه وآله لا يفضب لبناته، فمن سبقه وقد غضب لبناته حتى يؤخذ على النبي عدم غضبه لبناته.

(٣). ان الرسول صلى الله عليه وآله بموقفه الاستنكاري هذا عرض بعلي عليه السلام، مقارناً اياه بموقف احد اصهاره من بني عبد شمس، اذ يقول: (فأني انكحت ابا العاص بن الربيع، فحدثني فصدقني) وفي رواية اخرى: (حدثني فصدقني، ووعدني فاوفى لي).^(١) فمن هو ابو العاص هذا؟.

هو ابو العاص بن الربيع من بني عبد شمس وامه هالة بنت خويلد، اي اخت السيدة خديجة عليها السلام تزوج زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله قبل الاسلام، ورغم ان الروايات تشير لاسلامها في بدء الدعوة الاسلامية لكنها بقيت في مكة ثلاث عشرة سنة عند زوجها وهو مشرك، ومع ذلك فلم تشر الروايات لاي موقف سلبي لاحدهما تجاه الاخر رغم تناقضهما في العقيدة، وقد بقيت حتى بعد الهجرة واشترك زوجها ابو العاص في معركة بدر مشركاً، فكان ان وقع اسيراً بيد المسلمين فارسلت زينب قلادة كانت امها قد اهدتها لها ليلة زفافها، فرق النبي صلى الله عليه وآله لها واعادها عليها واطلق سراح زوجها بعد ان شرط عليه ان يبعث زينب له، ففعل، واستمر ابو العاص مشركاً، حتى السنة السادسة للهجرة حيث خرج في قافلة فاعترضها المسلمون واخذوا ما فيها وفر ابو العاص الى المدينة حيث استجار بزينب

فاجارته واعاد عليه المسلمون كل ما اخذوه من اموال، فمضى الى مكة واعاد الاموال لاصحابها ثم جاء الى المدينة فأعلن اسلامه وتشير الروايات ان الرسول ﷺ اعاد اليه زينب بالعقد الاول، وبقيت معه سنتان حيث توفيت في السنة الثامنة من الهجرة، فيما عاش بعدها ابو العاص حتى توفي في عهد الخليفة ابي بكر (رض).^(١)

ان ملاحظة سيرة ابي العاص ومقارنتها بسيرة الامام علي عليه السلام لتقطع عقلاً بانه لا يمكن ان تكون هناك ادنى مقارنة عند عامة الناس، فكيف بالنبي ﷺ ولا داعي لبيان سيرة الامام علي عليه السلام، فهي معروفة للخاص والعام كعرفة البلد الحرام، اما ابو العاص فلا وجود له الا في بطون الكتب، وقل من يعرفه حتى من المتخصصين وليس ذلك الا لانه شخص من عامة الناس.

والملاحظة ان الرواية تشير لقول النبي ﷺ: حدثني فصدقني، ووعدني فآوفا لي، والسؤال: متى حدثه؟ ومتى صدقه؟ ابعد ثلاثة عشر سنة والرسول في مكة يدعو للاسلام، فلم يؤمن به؟ ابعد تضيقه على ابنة النبي ﷺ التي اسلمت وبقيت عنده؟ ابعد خروجه مع المشركين في بدر ثم وقوعه في الاسر؟ ابعد ست سنين من الهجرة؟ ولما رأى واقع الجزيرة العربية يتجه لصالح النبي ﷺ جاء معلنا اسلامه؟

ثم ان القول المنسوب للنبي ﷺ: (فحدثني فصدقني، ووعدني فآوفا لي). هل هذا الكلام لا نجد له مصداقية لدى الامام علي عليه السلام؟!؟

ثم لتساءل عن سربقاء زينب لدى ابو العاص؟ والمعروف ان قريشاً سعت لولدي ابي لهب لتطبيق بنات النبي ﷺ وهما من بني هاشم وابناء عمه؟ فلماذا لم

(١). ابن سعد: الطبقات ٣٠/٨ - ٣٦. الطبري: المستنخب ص ٤٩٩ - ٥٠١. ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ٧٧ - ٧٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٧٠/٤. ابن الاثير: اسد الغابة ٢٣٦/٥ - ٨. ابن حجر: الاصابة ١٢١/٤ - ٣١٢. ٣.

تسع بالنسبة لابي العاص؟ واذا كانت قد سعت ورفض ابو العاص؟ فما هو سبب رفضه؟ هل اعتزاز بمصاهرته النبي صلى الله عليه وآله؟ اذاً لماذا لم يقبل دعوته؟ ام اعتزاز بابنته؟ فهي قد دخلت الاسلام طاعنة في ما يعتنقه من الشرك؟ ثم ما سر بقاءها: هل برضاها؟ فهذا لا يجوز شرعاً؟ ام رغماً عنها؟ فاذا كان كذلك فكيف يقول الرسول صلى الله عليه وآله انه وعدني فاوفى لي؟ وان شرط النبي صلى الله عليه وآله ارسال زينب مقابل اطلاق سراحه دليل على ان بقائها عنده رغماً عنها.

(٤). ان السر في منع النبي صلى الله عليه وآله من زواج علي عليه السلام هو «ان فاطمة بضعة مني، وانما اكره ان يفتنوها»^(١) نعم... ان فاطمة قطعة من رسول الله صلى الله عليه وآله بلا شك، ولكن ماذا يقصد صلى الله عليه وآله بفتنة فاطمة؟ هل يقصد انه يصيبها ما يصيب النساء، وان هذا سيدعوها للانحراف في التعامل مع زوجها ومع ضررتها؟

ان مثل هذا التصور يقوله شخص غير مدرك لحقيقة النسب النبي صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة عليها السلام التي صرح القرآن الكريم بطهارتها من الرجس، فلا يمكن بحال من الاحوال ان تشعر بأي شيء يحرمه الاسلام، والمعروف ان غير المرأة محرمة في الاسلام،^(٢) ولهذا قطعاً ففاطمة سوف لن ينتابها من هذا شيء.

(٥). يخلص الرسول صلى الله عليه وآله للقول: (الا ان يحب ان ابي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم).^(٣)

المعروف ان قول الرسول صلى الله عليه وآله وفعله وتقريره سنة واجبة الاتباع، فاذا ما حدث ان النبي صلى الله عليه وآله طلق ابنته لان زوجها اراد الزواج عليها، فهذا يعني انه تشريع ستسير عليه الامة، فيصبح احدنا اذا اراد شخص ان يتزوج على ابنته ان يطلب منه طلاقها مقتدياً بالنبي صلى الله عليه وآله.

(١). مسلم: الصحيح ٤/١٦، ابن الاثير: اسد الغابة ٤١٩/٥.

(٢). قال الامام علي عليه السلام: «غيرة المرأة كفر وغيره الرجل ايمان». الشرح: ٣١٢/١٨.

(٣). الترمذي: الصحيح: ٢٤٧/١٣.

ثم ما هو علاج الرسول ﷺ للمسألة؟ انه الطلاق، والمعروف ان الطلاق شرع كعلاج للفساد الاسري، وهو من ابغض الحلال عند الله تعالى.

فاذا صح وطلقت علياً اليس الذي سيواجهه النبي ﷺ هو مشكلة من سيتزوجها؟ اذ المعروف ان كثيراً من الصحابة خطبواها فردهم النبي ﷺ لانه ينتظر امر السماء، وقد جاء امر السماء بتزوجها من علي عليه السلام (١).

يقول اليعقوبي: «وقدم علي بن ابي طالب عليه السلام بفاطمة بنت رسول الله ﷺ وذلك قبل نكاحه اياها... ثم زوجها رسول الله ﷺ من علي عليه السلام بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبواها من رسول الله ﷺ فلما زوجها علياً عليه السلام قالوا في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: ما انا زوجته، ولكن الله زوجه» (٢).

فهل شرطت السماء على علي عليه السلام الا يتزوج على فاطمة عليه السلام؟ وأنى للنبي

ان يطلقها من علي والسماء هي التي زوجته!!

(٦). ثم يقول الرسول ﷺ: «وانها والله لا تجتمع بنت رسول الله، وبنت عدو

الله عند رجل واحد ابداً».

هل يعقل ان هذا التصور وهذا الكلام يصدر من ابي هذه الامة؟ هل يعقل ان يصدر من رحمه الله ﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾؟ (٣) هل يعقل ممن وصفه القرآن ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ (٤) و﴿لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (٥) و﴿لقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم

(١). ابن سعد: الطبقات ١٩/٨.

(٢). التاريخ: ٣٥/٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٠٧. وانظر الهيثمي: الصواعق ص ١٢٢.

(٣). المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/٢٠١/٢٠٥، ٩٧/١٣. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٦.

(٤). سورة الانبياء: الآية ١٠٧.

(٥). سورة القلم: الآية ٤.

(٦). سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

بالمؤمنين رؤوف رحيم»^(١).

فهل هذه المواصفات القرآنية تنطبق على هذا الشخص، وهو يفرق بين ابناء امته!!؟ ويعلن بلسان العصبية بان ابنته لا تجتمع مع ابنة عدو الله. اليس هذا تشريعاً؟! وما هو ذنب جويرية المسلمة، ان كان ابوها كافراً؟ أليس في هذا طعن لها وايداء!! والله سبحانه نهى عن ايداء المؤمن.

(٧). ان الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي جاء عن الله مشرعاً للمسلمين ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾^(٢) وهذه الآية عامة لجميع المسلمين فهي تضم علياً وغيره، فكيف يحرمها الرسول صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام «واني لست احرم حلالاً ولا احل حراماً».

قال ابن العربي: (واذية النبي صلى الله عليه وآله لا تغفر، فان قيل: فيكف منع النبي صلى الله عليه وآله علياً من النكاح ولا يقضي ذلك عقد النكاح، قلنا قد بين النبي صلى الله عليه وآله ذلك غاية البيان، فقال: انه ليس في تحريم ما احل الله الا اذا اراد علي بن ابي طالب ان يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم، فبين له ان ذلك ليس بحرام، وبين له انه لا عليه ان يطلق علي فاطمة، فاما الزواج عليها فانه يؤذيه، وما اذاه كان حراماً من جهة اذايته لا من جهة تحريم النكاح في الاصل... هذا الامر يختص به النبي صلى الله عليه وآله وحده، فاذا غيره ما ذون فيه مباح لا حرج على احد ان يفعله).^(٣) والشيء الذي يلفت النظر هو سكوت القرآن الكريم ازاء هذه الحادثة لا تأييداً لموقف النبي صلى الله عليه وآله ولا نقداً له. ولكن يا ترى لماذا لم يغضب النبي صلى الله عليه وآله لرقية او ام كلثوم على اختلاف الروايات في زواج عثمان (رض) عليها، فيروى ان الرسول صلى الله عليه وآله في ساعة الدفن شرط ان لا يدخل القبر من قارف زوجته تلك الليلة فلم يدخل عثمان (رض)

(١). سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٢). سورة النساء: الآية ٣.

(٣). صحيح الترمذي بشرح ابن العربي ٢٤٦/١٣ - ٢٤٧.

القبر^(١) ولهذا فصاحب الرواية جعل على لسان النبي ﷺ ان يحتج بابي العاص مع انه مشرك، ولم يحتج بعثمان (رض) لان الاخير قد تزوج على رقية او ام كلثوم. المتتبع لسيرة النبي ﷺ يجد لديه اهتماماً بفاطمة عليها السلام يفوق بكثير اهتمامه بباقي بناته، فزينب التي تزوجت من ابي العاص والذي استمر على شركه لاحدى وعشرين سنة قضت معه اكثر من خمسة عشر سنة وحينما هاجرت الى المدينة بقيت لاربع سنوات حتى اسلم ابو العاص فاعادها النبي ﷺ اليه. ولم يعرف لماذا لم تتزوج بعد عودتها للمدينة؟! وكانت قد ولدت له ولدين (علي) وقد مات صغيراً، و(امامة) التي تزوجها علي بعد فاطمة وبعده تزوجت نوفل بن المغيرة ولم تلد لاي منهما.^(٢)

اما رقية فقد تزوجت من ابن ابي لهب والذي طلقها حال بدء الدعوة الاسلامية فتزوجها عثمان (رض) الذي هاجر بها الى الحبشة ثم عاد لمكة ولا تعرف اسباب عودته، وتوفيت في المدينة في السنة الثانية من الهجرة وقد ولدت لعثمان (رض) ولدا اسمه عبدالله مات صغيراً حيث نقره الديك.^(٣)

اما بالنسبة الى ام كلثوم فقد اشار الرواة لزواجها من الابن الثاني لابي لهب، الذي اقتفى اثر اخيه فطلقها، ولكنها لم تجد زوجاً فبقيت ثم غابت عن الرواة لخمسة عشرة سنة حتى ماتت رقية فظهرت من جديد في الروايات حيث تزوجها الخليفة عثمان (رض) ولكنها لم تطل معه حيث توفيت في السنة الثامنة من الهجرة

(١). ابن سعد: الطبقات ٣٨/٨. الطبري: المنتخب ص ٤٩٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٨٤١/٤، ١٩٥٢. ابن حجر: الاصابة ٣٠٤/٤، ٤٨٩.

(٢). ابن سعد: الطبقات ٣٠/٨ - ٣٦. الطبري: المنتخب ص ٤٩٤، ٥٩٤ - ٥. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٨٥٣/٤ - ٤. ابن الاثير: اسد الغابة ٤٦٧/٥ - ٨ ابن حجر: الاصابة ٣١٢/٤ - ٣.

(٣). ابن زبالة: منتخب ص ٤٢ - ٣. ابن سعد: الطبقات ٣٦/٨ - ٣٧. الطبري: المنتخب ص ٥٩٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٨٣٩/٤ - ٤٣. ابن الاثير: اسد الغابة ٤٥٦/٥ - ٧. ابن حجر: الاصابة ٣٠٤/٤ - ٥.

دون ان تلد له ولداً. (١)

ان كتب السيرة والحديث لتخلو من الاشارة الى فضائل بنات رسول الله صلى الله عليه وآله ما عدا فاطمة التي افردت لها كتب الصحاح باباً في ذكر مناقبها. (٢) بالاضافة الا انه لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله نسل من بناته الا من فاطمة عليها السلام ولم يبق لبناته الاخر من الذكر الا في بطون الكتب، في الوقت الذي اصبحت فيه فاطمة الوعاء الوحيد الذي ينتسب اليه الملايين ممن ينتسب الى رسول الله صلى الله عليه وآله.

خامساً: موقف فاطمة عليها السلام:

تصور الرواية فاطمة عليها السلام وكانها المرأة الضعيفة القليلة الحنكة شأنها شأن سائر النساء، فتنفعل، وتستغل سلطة ابوها لتذهب اليه قائلاً: (ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك).

ان المرأة الاصيله هي التي تعالج مشاكلها مع زوجها وبدون تدخل احد حتى اهلها، اما اذا لجأت لتدخل الاخرين فهذا دليل على عدم اصالتها، وهذا كما هو معروف لا ينطبق على فاطمة عليها السلام التي ارتقت لتكون سيدة نساء هذه الامة، (٣)

(١). ابن زبالة: منتخب ص ٤٣. ابن سعد: الطبقات ٣٧/٨ - ٩. الطبري: المنتخب ص ٤٩٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٩٥٢/٤ - ٣. ابن الاثير: اسد الغابة ٦١٢/٥ - ٣. ابن حجر: الاصابة ٤٨٩/٤ - ٤٩٠.

(٢). انظر البخاري: الصحيح ٩١/٥ - ١٠٥/٢. مسلم: الصحيح ٢/١٦ - ٧. الترمذي: الصحيح ٢٤٦/١٣ - ٢٥١. النسائي: خصائص ص ١١٦ - ١٢٢. الطحاوي: مشكل الآثار ٤٧/١ - ٥٢. الحاكم: المستدرک ١٦٤/٣ - ١٧٩. ابو نعيم: حلية الاولياء ٣٩/٢ - ٤٣. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٠٦ - ٣٢٢. الحافظ العراقي: طرح التثريب ١٤٩/١ - ١٥١. الهيثمي: الصواعق ص ١٨٨ - ٩. المتقي الهندي: كنز العمال ٩١/١٣ - ٧. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٠٤ - ١٢١، ١٧٠ - ١٧٣. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٤ - ٤٧.

(٣). الحاكم: المستدرک ١٧٠/٣. مسلم: الصحيح ٦/١٦ - ٧. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٠٩. الحافظ العراقي: طرح التثريب ١٤٩/١.

او سيدة نساء الجنة،^(١) او سيدة نساء العالمين.^(٢)

اننا لم نقرأ في متون الكتب ولم نسمع ان الله سبحانه وتعالى يغضب لغضب امرأة، ويرضى لرضاها امرأة سوى فاطمة عليها السلام.^(٣) فهل التي تتوصل الى هذه الدرجات العلية تقف هكذا موقفاً!!

سادساً: موقف الامام علي عليه السلام

تصوره كافة الروايات ما عدا رواية للحاكم، وكأنه الجندي المجهول فالكل يتجاهله، بنو المغيرة يتجاهلونه ويذهبون النبي صلى الله عليه وسلم ليستأذنه في ان يزوجوا علياً ابنتهم، وفاطمة تتجاهله وتذهب للنبي صلى الله عليه وسلم شاكية اياه! والنبي صلى الله عليه وسلم بدوره يتجاهله ويقف مندداً به بدون ذكر اسمه (ان اراد ابن ابي طالب) ومعرضاً به بابي العاص بن الربيع، وكأن علياً عليه السلام شخص عادي لا ثقل له.

وكان الراوي يريد القول ان الرسول صلى الله عليه وسلم تناسى من هو علي عليه السلام؟ وأين تربى؟ ومتى أسلم؟ ومن هو الذي بات في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة؟ ومن هو صاحب السيف في سائر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم؟ وهو الذي لم يجد لفاطمة ندا سواه؟ والذي جاء التشريف من السماء بتزويجه اياها؟ وهو الذي حفظ نسل الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم، فلا نسل له صلى الله عليه وسلم الا من الامام علي عليه السلام و...و...و....

كل ذلك يريد الراوي ان يسدل الستار عليه، وقد روى ابن ابي الحديد اربعة وعشرين حديثاً في امهات كتب الحديث في فضل الامام علياً عليه السلام.^(٤)

(١). البخاري: الصحيح ٩١/٥، ١٠٥. الحاكم: المستدرک ١٦٤/٣، ١٦٨. ابن تيمية: منهاج السنة ١٢/٣.

(٢). ابن ماجه: صحيح سنن ٢٧١/١. الحاكم: المستدرک ١٧٠/٣.

(٣). الطبراني: المعجم الكبير ١٠٨/١. الحاكم: المستدرک ١٦٧/٣. الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٠٣/٩.

(٤). الشرح: ١٦٦/٩ - ١٧٤.

والان لتساءل: أحقاً كان علي عليه السلام يرغب بالزواج في حياة فاطمة عليها السلام؟
يمكن القول ان اكثر الرجال لديهم الرغبة بان يتزوجوا ثانياً، ولكن يكون
ذلك بدافع، وهذا الدافع يكمن في مسألتين:

الاولى: ان لا توفر الزوجة الاولى الاحتياجات اللازمة للزوج.

الثانية: ان يجد الزوج امرأة اسمى من زوجته.

فيا ترى هل كانت فاطمة عليها السلام مقصرة او قاصرة عن تلبية متطلبات زوجها؟
اكان في نسبها بعض الطعن؟ اليست هي من اصرح العرب نسباً؟ ومن اشهر قبائل
قريش (بنو هاشم)؟ وابنة سيد المخلوقات؟ أليس هي (فاطمة بضعة مني) والبضعة
هي القطعة من اللحم ففاطمة عليها السلام قطعة من رسول الله صلى الله عليه وآله عند علي عليه السلام روحاً
ودماً وعقلاً، اليست هي سيدة نساء العالمين؟ والتي لم تحض ابداً فكانت في قمة
الطهارة الروحية والجسدية؟ اليست هي التي ولدت لعلي عليه السلام القمرين، الحسن
والحسين، سيدي شباب اهل الجنة؟ اليست هي التي كانت تنهل من علوم ابيها الى
درجة ان اصبح لديها كتاب كبير سمي بمصحف فاطمة فيه الكثير مما اخذته عن
الرسول صلى الله عليه وآله من الاحكام الشرعية؟ لذا كانت في مكانة تؤهلها لتوازي مكانة
علي عليه السلام العلمية. الى غيرها من الفضائل التي اهلتها لان تكون زوجة مثالية
لعلي عليه السلام اذا فلماذا يبحث عن زوجة ثانية؟

ثم من هي هذه التي اختارها؟ فاذا ما قورنت بفاطمة عليها السلام هل هناك وجه
مقارنه في النسب والايمان والعلم؟ انها ابنة ابي جهل المعروف بعدائه
للسول صلى الله عليه وآله والاسلام، وفاطمة بنت رسول الاسلام، وتلك عاشت مشركة حتى
بعد الاسلام لاحدى وعشرين سنة، وحينما فتحت مكة وسمعت بلال يقول: (اشهد
ان محمد رسول الله) قالت: «قد لعمرى رفع لك ذكرك اما الصلاة فسنصلي، ووالله
ما نحب من قتل الاحبة ابداً، ولقد جاء ابي الذي كان جاء الى محمد بالنبوة، فردها

ولم يرد خلاف قومه»،^(١) اما فاطمة فهي التي فتحت عينها على الاسلام، ولم تعرف للشرك معنى بل يقال ان صحت الرواية ان نطفتها من تفاحة من الجنة.^(٢) وتلك من الطلقاء، وفاطمة سيدة نساء العالمين، وتلك تزوجت عتاباً بن اسيد الحد الطلقاء وفاطمة تزوجت من الامام علياً عليه السلام الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى.

وتلك ولدت عبد الرحمن بن عتاب الذي قاتل علياً يوم الجمل وقتل، وفاطمة ولدت الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة وولدي رسول الله صلى الله عليه وآله حيث لا يعرف له نسل الا منهما وتلك نهايتها مجهولة، وفاطمة لما توفيت نذبتها الرجال قبل النساء.

سابعاً: مصدر الحادثة:

ارجع الرواة مصدر الحادثة لخمسة اشخاص وهم، المسور بن مخرمة، عبد الله بن الزبير، ابن عباس، سويد بن غفلة، ابي حنظلة.
اولاً: المسور بن مخرمة:^(٣) هو الذي ترجع اليه اكثر الروايات فمن هو؟ انه المسور بكسر الميم وسكون السين، بن مخرمة بن نوفل الزهري، وامه عاتكة بنت عوف اخت الصحابي عبد الرحمن بن عوف.

ولد بمكة بعد الهجرة الى المدينة بسنتين وفي عام ٨ هـ فتحت مكة، ودخل اهلها الاسلام، فكان عمره ست سنوات وفي ذي الحجة من هذه السنة ٨ هـ قدم الى المدينة وهو ابن ست سنوات ولا تعرف اسباب مقدمه ومع من؟ والظاهر انه قدم

(١). الازرقعي: اخبار مكة ١/ ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٢). الحاكم: المستدرك ٣/ ١٦٩. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٤٦. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٤ - ٤٥.

(٣). انظر ترجمته: الطبري: المنتخب ٥٢٢، ٥٥٦ - ٧. ابن ابي حاتم: الجرح والتعديل ٤/ ٢٩٧. ابن الاثير: اسد الغابة ٤/ ٣٦٥ - ٦. ابن حجر: الاصابة ٣/ ٤١٩ - ٤٢٠.

مع والده الذي اسلم يوم الفتح، فكان من الطلقاء ثم من المؤلفة قلوبهم.^(١)
روي المسور روايتين ايام وجوده في المدينة. الاولى: «مر بي يهودي
والنبي ﷺ يتوضىء وانا خلفه، فرفع ثوبه فاذا خاتم النبوة في ظهره فقال لي
اليهودي: ارفع رداءه عن ظهره فذهبت افعل فنضح في وجهي كفاً من ماء».
الثانية: «اقبلت بحجر احمله، ثقيل وعلي ازار خفيف فانحل فلم استطع ان
اضع الحجر حتى بلغت به موضعه فقال لي النبي ﷺ: ارجع الي ثوبك فخذه ولا
تمشوا عراة».^(٢)

فالروايتان اعلاه تدلان على صغر سنة يوم جاء الى المدينة!! ثم انه يتصور
ان خاتم النبوة هو كالخواتم المعروفة ولان هذا الخاتم لا يعرفه الا اليهود لان
لديهم العلم الاول كما يزعمون لذا كان ذلك الشخص الذي اعلمه بالخاتم يهودياً،
مع ان اليهود قد اجلاهم النبي ﷺ عن المدينة منذ معركة الخندق سنة ٥ هـ.
وتشير الروايات لملازمته الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وكان مع خاله
عبدالرحمن بن عوف يوم الشورى، فاقام بالمدينة حتى قتل الخليفة عثمان (رض)
ثم سار الى مكة حتى وفاة معاوية، فكره بيعة يزيد وايد عبد الله بن الزبير في مكة،
وبقي معه حتى حصار الحصين بن نمير، حيث اصابه حجر من حجارة المنجنيق
فمات على اثره، فصلى عليه ابن الزبير ودفنه و اشار ابن سعد ان عبد الله بن الزبير
ادعى الخلافة لنفسه بعد وفاة المسور، اذ كان سابقاً يدعي انها شورى بينه وبين
المسور ومصعب بن عبد الرحمن.^(٣) فاذا كان المسور بن مخزومة ابن ست سنوات
فهل بالامكان ان يع ما يحدث بتفاصيله؟ ومن الغرابة ان تلك الحادثة التي جعلت

(١). ابن هشام: السيرة ١٩٣/٤. الطبري: تاريخ ٩٠/٣. المنتخب ص ٥١٦. ابن حزم: جمهرة
انساب العرب ص ١٢٩.
(٢). ابن حجر: الاصابة ٤١٩/٣.
(٣). الطبقات: ١٦٠/٥.

النبي ﷺ يغضب ويصعد المنبر ويندد بعلي، وبكل من تسول له نفسه تزويج علي عليه السلام، وجعلت المدينة تعج باهلها والناس يتحدثون بل وينتقدون النبي ﷺ لانه لم يغضب لبناته.

نعم... تلك الحادثة لا يرويها الا طفل في السادسة من عمره وهو قريب عهد وبلدته بالاسلام، ولا تعرف اسباب مجيئه الى المدينة في هذا السن؟ وقد احجم المهاجرون والانصار عن روايتها، فلا يعرف هل نسوها وتذكرها هذا الطفل الصغير ام انهم رأوها غير ذات بال.

والملاحظ ان المسور واجه نقداً من علي بن الحسين عليه السلام حيث تشير احدي الروايات للقاء المسور بعلي بن الحسين بعد رجوع الاخير من الشام، فاراد المسور ان يقدم له المساعدة، والتي تتمثل بان يحتفظ بسيف الامام الحسين عليه السلام خوفاً ان يؤخذ منه ولا ادري من الذي سيأخذه والامام قد عاد من الشام حيث يزيد، فاذا لم يأخذه الاخير فمن يأخذه! هذا ان قلنا ان الامام بقي لديه سيف والمعروف ان سيوف الامام الحسين عليه السلام كلها قد اخذت في ساحة المعركة.

ولما لم يجد المسور تجاوباً من الامام علي بن الحسين انطلق فجأة بتلك الرواية، رواية خطبة الامام لجويرية، ولا يعرف ما الربط بين طلبه السيف وبين ايراده خطبة الامام لجويرية، واورد قوله «وانا يومئذ محتلم» فهل في هذا اشارة لشك الامام في ما يقوله، فاكد المسور بقوله انه يومها قد بلغ الحلم، قال ابن حجر: «وهذا يدل على انه ولد قبل الهجرة، ولكنهم اطبقوا انه ولد بعدها»^(١).

ويلاحظ ايضاً ان علياً بن الحسين انكر على المسور لان النبي ﷺ هو الذي جاء بتشريع تعدد الزوجات فقال المسور حاكياً عن النبي ﷺ: «واني

لست احرم حلالاً ولا احل حراماً».

ولكي يدعم موقفه رفض المسور تزويج ابنته من الحسن بن الحسن بدعوى: (ما سبب ونسب وصهر احب الي من نسبكم وصهركم، ولكن رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها، ويبسطني ما يبسطها، وان الانساب يوم القيامة تنقطع الانسيبي وسبيي وصهري، وعندك ابنته، ولو زوجتك لقبضها ذلك).^(١)

فما الذي يريد المسور ان يقوله؟! هل ان ذرية الرسول ﷺ من البنات يكره الزواج عليا؟!!

ثانياً: عبدالله بن الزبير: هو الابن الاكبر للزبير بن العوام وكان اول مولود للمهاجرين بعد الهجرة، ولد في السنة الاولى للهجرة فعمره يوم فتح مكة ثمان سنوات، ولم تذكر الرواية واحدة تنتهي اليه «عن اسماعيل بن علي بن ايوب عن ابن ابي مليكة عن عبدالله بن الزبير». وقد شك الترمذي في ذلك قائلاً: «هكذا قال ايوب عن ابن ابي مليكة عن ابن الزبير، وقال غير واحد عن ابن ابي مليكة عن المسور» ثم حاول الترمذي التوفيق فقال: «ويحتمل ان يكون ابن ابي مليكة روي عنهما جميعاً».^(٢)

ان حادثة خطبة الامام علي لجويرية لم يروها ابن ابي مليكة الا عن المسور بن مخرمة، فاذا صحت روايته هذه عن ابن الزبير فيحتمل ان الاخير اخذها عن المسور، خاصة وان المسور وابن الزبير اتخذوا من مكة مكاناً لرفض بيعة يزيد وانهما كانا يرشحان انفسهما للخلافة، حتى قتل المسور في حصار مكة الاول على يد الحصين بن نمير.

ثالثاً: ابن عباس: رواية واحدة اوردها الزبير بن بكار مرسله عن ابن

(١). الحاكم: المستدرک ١٧٢/٣. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٤٨.

(٢). الترمذي: الصحيح ٢٤٧/١٣ - ٢٤٨.

عباس، ولا تعدوا ان تكون ضمن تلك الروايات التي اصبغت طابعاً خاصاً على ابن عباس في مجادلاته ومناظراته مع الخليفين عمر وعثمان (رض).^(١)

رابعاً: سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي: مخضرم قبيل ولد في عام الفيل واسلم في حياة النبي ﷺ ولكنه لم يدخل المدينة الا بعد دفن النبي ﷺ سنة ١١ هـ وعاش طويلاً حتى مات سنة ٨٠ او ٨٠ او ٨٢ وله اكثر من مائة وثلاثين سنة.^(٢)

فاذا كانت خطبة الامام علي عليه السلام لجويرية في السنة الثامنة من الهجرة فمن اين علم بذلك سويد وهو لم يدخل المدينة الا بعد ثلاث سنوات، واذا كان هناك شخص اخبره، فمن ذلك الشخص؟ على انها الرواية الوحيدة التي تسند الى سويد هذا، وقد يكون اخذها من المسور، ولكنه تغافل عن اسنادها اليه، بعد ان بلغ من العمر عتياً.

خامساً: ابي حنظلة: روى الحاكم رواية واحدة تعود لشخص يدعى ابو حنظلة قال عنه: انه رجل من اهل مكة ولا يعرف عنه شيء سوى هذه الكنية، وقد بخلت كتب الصحابة والتراجم، وعجزت ان تجد لها مكاناً تضع فيه ترجمة لابي حنظلة هذا.

ثامناً: تحليلات بعض الباحثين:

وطبقاً للفهم الخاطيء لشخصيتي الامام علي وفاطمة عليهما السلام ولعدم تطبيق مبدأ الجرح والتعديل والاعتماد على المنهج الحرفي النصي، لذا بنى البعض آراءهم

(١). الشرح ٨/٩ - ٢١. ابن بكار: الموقيات ص ٦٠٤ - ٦١٢.

(٢). انظر ترجمته: الذهبي: تجريد اسماء الصحابة ٢٥٠/١. ابن حجر: الاصابة ٨/٢ (١).

تهذيب التهذيب ٢٧٨/٤ - ٩. وذكر الطبراني له حديثين يتضح منهما انه لم ير النبي ﷺ.

المعجم الكبير ٩١/٧ - ٩٢.

حول تلك الحادثة فقد قالت بنت الشاطي: «انقضت السحابة التي ظللت افق الزهراء حيناً لا نحدد مداه، وعاد البيت اصفى جواً مما كان قبل ان يمتحن بتلك التجربة القاسية، ومضت الحياة تسير بالزوجين الكريمين علي ما يرجوان من تعاون ومودة: فاطمة في الدار تقوم على خدمة زوجها ما وسعها، وتتخلص شيئاً فشيئاً مما كان يعتادها من شجن وانقباض، وعلي الى جانبها يبذل لها من الحذب والرعاية ما يعينها على مشقة العيش الكادح في جو المدينة الذي لم تسعفها صحتها على ان تألفه بسرعة كما ألفه كثير من المهاجرين، ويحاول قدر ما اطاق ان يترفق بها ويروض نفسه على شيء من اللين واليسر»^(١).

ان هذه الرؤية لشجن الزهراء وانقباضها، وشدة الامام علي عليه السلام وضراوته هي وليدة تلك الدراسات الاستشراقية^(٢) التي تناولت جانباً من السيرة النبوية، وشواخص الامة، معتمدة على ما جاء في بعض الروايات الضعيفة، لتصوير وضعاً سلبياً لبيت الرسالة ولاعلام الامة، فلننظر الى ما جاء لدى (منغم) احد المستشرقين: «وكان للنبي ابنة غير متزوجة وكانت في العشرين من عمرها اسمها فاطمة، وقد توفيت ابنته رقية منذ زمن غير قليل، وكانت رقية متزوجة بعثمان وكانت فاطمة نحيفة طويلة القامة مع الشحوب، وكانت فاطمة عابسة ودون رقية جمالاً ودون زينب ذكاءً ولم تدر فاطمة حينما اخبرها ابوها من وراء الستار ان علي بن ابي طالب ذكر اسمها، وكانت من عادة البنت اذا وافقت على الزواج سكنت والا حركة الستر، فلما اخبرت فاطمة بذلك صمتت، فكان ذلك عن حياء او حيرة، ما دامت قد قالت لابيها ذات يوم انه زوجها فقيراً، وكانت فاطمة تعد علياً دميماً محدوداً مع عظيم شجاعته، وما كان علي اكثر رغبة فيها من رغبتها

(١). بنت الشاطي: بنات النبي ص ١٨٢.

(٢). انظر كلمة للعقاد في نقده للدراسات الاستشراقية. فاطمة الزهراء ص ٣٣-٣٧.

فيه»^(١).

وقال ايضاً: «وكان علي غير بهي الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترتين وانخفاض قصبه انفه وكبر بطنه وصلعه، وذلك كله. الا ان علياً كان شجاعاً، تقياً صادقاً، وفيماً، مخلصاً، صالحاً، مع توان وتردد.. وكان علي ينهت فيستقي الماء لنخيل احد اليهود في مقابل حفنة تمر فكان اذا ما عاد بها قال لزوجته عابساً: كلي واطعمي الاولاد... وكان علي يحرر بعد كل منافرة، ويذهب لينام في المسجد وكان حموه يربته على كتفه ويعظه ويوفق بينه وبين فاطمة الى حين ومما حدث ان رأى النبي ابنته في بيته ذات مرة، وهي تبكي من لكم علي لها»^(٢).

واضاف: «ولكن محمداً مع امتداحه قدم علي في الاسلام، ارضاءً لابنته كان قليل الالتفات اليها، وكان صهراً للنبي الامويان عثمان الكريم وابي العاص اكثر مداراه للنبي من علي، وكان علي يألم من عدم عمل النبي على سعادة ابنته ومن عد النبي له غير قوام بجليل الاعمال، فالنبي كان يفوض اليه ضرب الرقاب، وكان يتجنب تسليم قيادة له، وقد اراد علي يوماً ان يتزوج علي فاطمة، فغضب النبي واحتج على ذلك جهراً من فوق المنبر، وهذا لان علي كان غير لبق في ميله للزواج من ابنة ابي جهل، وجمعه تحت سقف واحد بنت رسول الله، وبنت اشد اعدائه، ومما آلم منه علي عدم اذن النبي له في الزواج من اخرى مع فاطمة كما صنع مع صهره الآخرين»^(٣).

ان النصوص اعلاه فيها من الجناية والتحامل على صاحب الرسالة وعلى ابن عمه وابنته مما يجعلنا نتوقف عندها قليلاً.

ان وصف السيدة فاطمة عليها السلام بالعبوس جاء من تصور البعض انه السبب في

(١). حياة محمد ص ١٩٧.

(٢). حياة محمد ص ١٩٩.

(٣). حياة محمد ص ١٩٩.

تأخر زواجها حتى بلغت العشرين، اذا صحت رواية ولادتها قبل البعثة بخمس سنين بينما تقدم زواج اخواتها وهن دون العاشرة،^(١) والسبب في تأخر زواجها لانها اصبحت المسؤولة عن ابيها بعد وفاة امها خديجة عليها السلام فتكفلت برعاية ابيها،^(٢) اما بعد الهجرة فقد اصبحت محط انظار الصحابة، قال ابن سعد: «ان ابا بكر خطب فاطمة من النبي صلى الله عليه وآله فقال له: يا ابا بكر انتظر بها القضاء. فذكر ذلك ابو بكر لعمر، فقال له عمر: ردك يا ابا بكر، ثم ان ابا بكر قال لعمر: اخطب فاطمة الى النبي، فخطبها فقال له مثل ما قال لابي بكر، انتظر بها القضاء»،^(٣) الى ان جاء الامر من السماء بتزويجها من علي عليه السلام كما مر.

والان لنلقي نظرة على ما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وآله بخصوص فاطمة عليها السلام لنرى الى أي مدى يصدق كلام منعم؟!.

قال صلى الله عليه وآله: فاطمة حوراء أنسية، كلما اشتقت الى الجنة قبلتها.^(٤)

وقال صلى الله عليه وآله: ابنتي فاطمة حوراء آدمية.^(٥)

وقالت ام انس بن مالك: «كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر، او الشمس كفر غماماً - اذا خرج من السحاب - بيضاء مشربة حمرة، لها شعراً اسود، من اشد الناس برسول الله صلى الله عليه وآله شبيهاً». ^(٦) ويكفي في الاشارة لجمالها لقبها بالزهراء.

اما وصفها بقلة الذكاء مقارنة بزینب فاي وجه للمقارنة بين الاثنتين بلا طعن في زينب؟ فهل ذكاء الاخيرة يكمن في بقاءها تحت مشرك يحارب اباها

(١). للتفاصيل انظر الشرهاوي: خديجة بنت خويلد ص ١١٣ - ١٢٢.

(٢). الشرح: ٢٨٢/٦. انظر البخاري: الصحيح ١٢٧/٤. المتقي الهندي: كنز العمال ٨٩/٢ - ٩٠.

(٣). الطبقات: ١٩/٨. وانظر المتقي الهندي: كنز العمال ٩٧/١٣.

(٤). الحاكم: المستدرک ١٦٩/٣. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨٧/٥.

(٥). الهيتمي: الصواعق ص ١٥٨. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٧٢. المتقي الهندي: كنز العمال ٩٤/١٣.

(٦). الحاكم: المستدرک ١٧٦/٣.

ويقع في الاسر مرتين، بينما فاطمة تسهر على راحة ابيها حتى سميت بأم ابيها،^(١) ولكن - منعم - لم ينظر لدعوة النبي ﷺ كدعوة سماوية بل تصور انها مجردة مسألة دنيوية لطلب السلطة، لذلك نظر لبقاء زينب عند زوجها دليل ذكاء، وانها لم تصدق بدعوة ابيها.

ولننظر ما جاءت به السنة فيما يخص ذكاء فاطمة عليها السلام:

عن السيدة عائشة (رض): ما رأيت احد اشبه سمياً ودلاً وهدياً وحديثاً برسول الله في قيامه وعوده من فاطمة، وكانت اذا دخلت على رسول الله ﷺ قام اليها فقبلها ورحب بها وأخذ بيدها واجلسها في مجلسه.^(٢)

اما وصف الامام علي عليه السلام بالدمامة، فليته دلنا على مصدره، وهلا نظر في مصادرها العربية الاسلامية وهي تصف الامام بأنه حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر، وكأن عنقه ابريق فضة،^(٣) ضحوك السن،^(٤) فأن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم.^(٥) وكم ناقض - منعم - الحقيقة بوصفه الامام علياً عليه السلام بالتردد والتوان، ويكفي ان نحيل القارئ الى ما كتبناه في فصل خصال الامام وسجاياه.

اما عن تلك المنافرات بين الامام علي عليه السلام وفاطمة والتي كان مصدرها تلك الرواية التي تفيد ان علياً اغضب فاطمة ثم خرج الى المسجد، فجاءه الرسول ﷺ ووجده نائماً وقد سقط التراب على جسمه، فقال له اجلس انما انت

(١). الطبري: المنتخب ص ٤٩٩. لما كانت الام هي الاصل ولولاها لم يكن الولد، لذا لما كانت ذرية النبي ﷺ انحصرت بفاطمة فكانت السبب في ذلك الامتداد للنبي ﷺ لذلك سميت بأم ابيها.

(٢). الترمذي: الصحيح ٢٤٩/١٣. ابن عسبر ربه: العقد الفريد ٢٣٠/٣ - ٣. الحاكم: المستدرک ١٦٧/٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٨٩٦/٤. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٥٠ - ٥١. الحافظ العراقي: طرح الشريب ١٥٠/١. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٧١.

(٣). ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٢٣/٣. محب الدين: الرياض النظرية: ٢٠٥/٢. الصفوري: نزهة المجالس ٢٤/٢.

(٤). النووي: تهذيب الاسماء واللغات ٣٤٩/١/١.

(٥). البيهقي: المحاسن والمساوي ص ٤٦ - ٤٧. ابو نعيم: حلية الاولياء ٨٤/١.

ابو تراب. (١)

ان من يقرأ سيرة امير المؤمنين عليه السلام ويستطلع تلك الاحاديث النبوية هي ممن «وما ينطق عن الهوى» ان هو الا وحي يوحى» (٢) ليستبعد هذا التصوير لمعاملة الامام علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام.

قال صلى الله عليه وسلم لعلي: «اشبهت خلقي وخلقى، وانت من شجرتي التي انا منها». (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم: «علي خير امتي، اعلمهم علماً وافضلهم حليماً». (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة: «زوجتك اقدم امتي سلماً، واكثرهم علماً، واعظمهم

حليماً». (٥)

فهل يمكن تصور الامام علياً عليه السلام وهو يلکم فاطمة عليها السلام كما ادعى منغم

وهو يسمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم لفاطمة «ان الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «فاطمة بضعة مني فمن اغضبها فقد اغضبني». كما مر.

ولقد ناقض منغم نفسه، فتارة يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم يمدح علياً ارضاء لابنته

وتارة يقول ان علياً كان يتألم من النبي لعدم اهتمامه بابنته والاغرب من ذلك ان

النبي الذي كان لا ينطق عن الهوى، يمدح علياً ارضاء لابنته وكأن علياً عليه السلام لم

يقدم للاسلام شيئاً، ويكفي هنا ان نذكر قول احمد بن حنبل حيث يقول «ما جاء

(١). ابن هشام: السيرة ٢/٢٣٦. ابن سعد: الطبقات ٢/١٠. البخاري: الصحيح ٥/٨٨-٨٩. الحاكم: المستدرک ٣/١٥١ - ٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١١٨. ابن كثير: البداية والنهاية ٣/٢٤٧. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١٣٦. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٣. يوسف محمد عمرو: ابو تراب ص ١٥ - ٣١.

(٢). سورة النجم: الآية ٣.

(٣). الخطيب: تاريخ بغداد: ١١/١٧١.

(٤). الطبراني: المعجم الكبير ١/١٩٤. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١٠٢. المتقي الهندي: كنز العمال ٦/١٥٣، ٣٩٢، ٣٩٨.

(٥). الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٨٩ - ٦٠. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٨٨. الرياض النظرة ٢/٢٤٠، ٢٥٥. الجويني: فرائد ١/٩٢. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١٠١، ١١٤. المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/٢٠٥.

لاحد من الصحابة من الفضائل بقدر ما جاء لعلي بن ابي طالب»^(١).
ولعدم الالمام بحوادث التاريخ وقعت بنت الشاطي وتبعها ابو علم في
الخطأ حينما ارخوا وقت هذه الحادثة في السنة الثانية من الهجرة، وقد اتضح لدينا
انها في السنة الثامنة بعد فتح مكة المكرمة.
وختاماً ما هو تفسير هذه الحادثة؟

- هل هي مجرد فكرة طرحها الامام علي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله ولكن النبي
كره ذلك، لذا عزف عنها الامام كما صورتها احدي روايات الحاكم^(٢) بدون ذلك
التهويل الذي صورته الروايات الاخرى؟

- ام انها فكرة بني المغيرة، ولا علاقة للامام بذلك، وقد تكون تلك الفكرة
من باب خلق اشكال بين النبي صلى الله عليه وآله والامام علي عليه السلام ولكنها لم تنجح؟
- ام ان الرواية موضوعة لتكون مصداق لقوله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: فاطمة
بضعة مني من اغضبها فقد اغضبني؟ كما ادلى بذلك ابن تيمية^(٣).
ان:

(١). معرفة حقيقة النبي صلى الله عليه وآله بصفته نبياً مرسلأً وانه ما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى، والوحي لا يضاد الوحي.

(٢). معرفة طبيعة العلاقة التي تربط النبي صلى الله عليه وآله بالامام علي عليه السلام من جهة
والامام علي بفاطمة عليها السلام من جهة اخرى وهي طبيعة ايجابية.

(٣). اقتصار مصدر الرواية على طفل في السادسة من عمره او شخص لم
يدخل المدينة الا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله او شخص مجهول.

(١). الحاكم: المستدرک ١١٦/٣. الهيثمي: الصواعق ص ١١٨. ابن عبد البر: الاستيعاب
١١١٥/٣.

(٢). الحاكم: المستدرک ١٧٣/٣.

(٣). منهاج السنة: ١٧٠/٢.

(٤). عدم استغلال خصوم الامام علي عليه السلام هذه الحادثة للتشيع به. كل ذلك دليل على ان الحادثة قد بولغ فيها كثيراً ان لم نقل انها موضوعة. ارض فدك^(١)

ارض لم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب فاصبحت خالصة للرسول ﷺ فاعطاها لفاطمة عليها السلام وبعد وفاته ﷺ اعادها الخليفة ابو بكر (رض) لتكون صدقة لجميع المسلمين مستنداً الى حديث رواه عن النبي ﷺ مفاده: انا معاشر الانبياء لا نورث، ما تركناه صدقة.^(٢)

هذه المسألة اولها ابن ابي الحديد اهمية حيث عقد فصلاً ثلاثاً لمناقشتها:

الفصل الاول:^(٣) مصدر حوادث مسألة فدك، اذ يقول: «فيما ورد من الاخبار والسير المنقولة من افواه اهل الحديث وكتبهم، لا من كتب الشيعة ورجالاتهم، لانا مشترطون على انفسنا الانحفل بذلك، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب ابي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري^(٤) في السقيفة وفدك، وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقب وفاة النبي ﷺ، وابو بكر الجوهري هذا

(١). قرية بالحجاز تبعد عن المدينة المنورة يومين، فتحت صلحاً على ان يعطوا نصف ثمارها فاصبحت خالصة للرسول ﷺ. انظر البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٢ - ٤٧. الحموي: معجم البلدان ٢٣٨/٤ - ٤٠.

(٢). اخرج ابن سعد: الطبقات ٣١٤/٢ - ٥. البخاري: الصحيح ٩١/٥. البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٤. الطحاوي: شرح معاني الآثار ٣٠٧/٣. مشكل الآثار ٤٧/١. ابن حزم: الفصل ١٥٥/٤. ابن الطيب: المعتمد في اصول الفقه ٦٤٦/٢.

(٣). الشرح: ٢١٠/١٦ - ٢٣٧.

(٤). هو الشيخ المتقدم البارع ابو بكر بن عبد العزيز الجوهري من رجالات القرن الرابع الهجري وله مؤلفات تاريخية اعتمدها ابو الفرج وابن ابي الحديد. انظر: الشرح ٤٤/٢ - ٥٩. الاغانى: ١٣٥/٥ - ٩، ١٤١، ٨، ١٥٣. وانظر ترجمته: الطوسي: الفهرست ص ٦١. المازندراني: معالم العلماء ص ٢٢. الخوانساري: روضات الجنات ٤٨/٢. الربيعي: العذيق النضيد ص ١٦٣

عالم محدث كثير الادب، ثقة ورع، اثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته»،
واضاف: «ونحن لا ننصر مذهباً بعينه، وانما نذكر ما قيل، واذا جرى بحث
نظري قلنا ما يقوى في انفسنا عنه».

الفصل الثاني: (١) ناقش فيه هل ان النبي ﷺ يورث ام لا؟ موضحاً ذلك من
خلال ما جاء في كتاب المغني للقاضي حسب الرؤية الاعتزالية، ورد الشريف
المرتضى في كتابه الشافي في الامامة حسب الرؤية الامامية، وقد وقف ابن ابي
الحديد ناقداً ومحللاً ومؤيداً هذا وذلك حسبما يراه اقرب للصحة برأيه.

الفصل الثالث: (٢) ناقش فيه هل ان فدك نحلة من الرسول ﷺ لفاطمة عليها السلام
ام لا؟ وقد تناول هذا الفصل من خلال طرحه ما جاء لدى القاضي في كتابه
المغني (٣) ورد المرتضى في كتابه الشافي، ومعلقاً ومناقشاً لهذا او ذاك وخلص
للقول: «فاما انا فالاخبار عندي متعارضة، يدل بعضها على ان دعوى الارث
متأخرة، ويدل بعضها على انها متقدمة، وانا في هذا الموضوع متوقف» (٤).

واضاف: «وما ذكره المرتضى من ان الحال تقتضي ان تكون البداية بدعوى
النحل فصحيح، واما اخفاء القبر، وكتمان الموت، وعدم الصلاة وكل ما ذكره
المرتضى فيه فهو الذي يظهر ويقوى عندي، لان الروايات به اكثر واصح من
غيرها، وكذلك القول في موجدتها وغضبها فاما المنقول عن رجال اهل البيت فانه
يختلف فتارة وتارة، وعلى كل حال فميل اهل البيت الى ما فيه نصرة ابيهم
وبيتهم» (٥).

واردف: «لقد كان التكرم ورعاية حق رسول الله ﷺ وحفظ عهده يقتضي

(١). الشرح: ٢٣٧/١٦ - ٢٦٨.

(٢). الشرح: ٢٦٨/١٦ - ٢٨٦.

(٣). المغني: ٢٣٢٢/١/٢٠ - ٢٣٧.

(٤). الشرح: ٢٨٦/١٦.

(٥). الشرح: ٢٨٦/١٦.

ان تعوض ابنته بشيء يرضيها، ان لم يستنزل المسلمون من فذك وتسلم اليها تطيباً لقلبها، وقد يسوغ للامام ان يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين، اذا رأى المصلحة فيه، وقد بعد العهد الان بيننا وبينهم، ولا نعلم حقيقة ما كان والى الله ترجع الامور»^(١).

كانت فاطمة عليها السلام وحيدة يوم وفاة ابيها صلى الله عليه وسلم لذلك كان ثقل فراقه صلى الله عليه وسلم عظيماً عليها، فكانت تندبه قائلة: «يا ابتاه! جنة الخلد مثواه، يا ابتاه! عند ذي العرش مأواه! يا ابتاه! كان جبريل يغشاه! يا ابتاه لست بعد اليوم اراه!». ويشار الى انها «كانت تشوب هذه الندبة بنوع من التظلم والتألم لامر يغلبها»^(٢). ويذكر انها تحاملت نحو القبر الشريف، واقت بنفسها عليه مغشياً عليها فلما افاقت اخذت حفنة من تراب القبر، وادنتها من عينيها اللتين قرحهما البكاء وراحت تشمها وتقول:

ماذا على من شم تربة احمد الا يشم مدى الزمان غواليا
صبت عليّ مصائب لو انها صبت على الايام عدن لياليا^(٣)
ولم تطل حياتها بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا اشهرا حيث توفيت وهي في الثامنة والعشرين من عمرها وكان لوفاتها ومن قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقع عظيم في نفس الامام علي عليه السلام، لذا قال:

ارى علل الدنيا علي كثيرة وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وان افتقادي فاطماً بعد احمد دليل على ان لا يدوم خليل^(٤)

(١). الشرح: ٢٨٦/١٦.

(٢). الشرح: ٤٢/١٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٣٨/٣. الحاكم: المستدرک ٦١/٣. ١٧٨. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢٢٧/١.

(٣). الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٦. العقاد: فاطمة الزهراء ص ٤٩.

(٤). الشرح: ٢٨٨/١٦. وانظر المسبرد: الكامل ٣٠/٤. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٤١/٣.

ونختم كلامنا عن فاطمة الزهراء بكلمة للعقاد جديرة بالتأمل اذ يقول: «ان في كل دين صورة للانوثة الكاملة المقدسة يتخضع بتقديسها المؤمنون، كأنما هي آية الله من ذكر وانثى، فاذا تقدست في المسيحية صورة مريم العذراء، ففي الاسلام لا جرم ان تتقدس صورة فاطمة البتول. ولقد اخذت الزهراء مكانها الرفيع بين اعلام النساء في التاريخ واقرن اسمها بمئات الشهداء، وظل اسم المنتسبين اليها يقض مضاجع الحكام... وكان لاكبر دولة اسلامية شرف الانتساب اليها، خلال ثلاثة قرون او تزيد بل كان الانتساب اليها من اقوى الدعائم، ليس لانها بنت نبي وزوجة امام وام لآلاف الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الضعفاء والمحرومين والمعذبين فحسب، بل لأنها رافقت دعوة ابيها منذ بدايتها، وتأصلت في نفسها حتى اصبحت وكأنها جزء من كيائها وطبيعتها تمدها بالثبات على الحق، والدفاع عن المظلومين مهما كان الثمن غالياً... وظلت تكافح وتناضل الى ان فارقت الدنيا تاركة صورة للانوثة الكاملة المقدسة يقدها مئات الملايين من البشر، وكأنها من اقدس آيات الله التي خلقها فيما خلق من بني الانسان منذ بداية الخليقة وحتى نهايتها».^(١)

الحسن والحسين عليهما السلام

ومن فضائل الامام علي عليه السلام انه رزق بولدين كان لهما الاثر الاكبر في تاريخ الامة العربية الاسلامية من زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام وهما الحسن والحسين اللذين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وآله انهما سيدي شباب اهل الجنة.^(٢) لذا

الحاكم: المستدرک ١٧٩/٣. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣١٩. ابن كثير: البداية ١١/٨. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٧.

(١). انظر العقاد: فاطمة الزهراء ص ٦٨. الحسيني: سيرة الائمة ١٣٧/١ - ١٣٨.

(٢). الشرح: ٣٠/١٧، ١٨٢/١٥. وانظر ابن ماجه: صحيح سنن ٢٦/١. البيهقي: المحاسن والمساوي ص ٧٨، ٨٠، ٩٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣١٢/٤. الطبراني: المعجم الكبير: ٣٥/٣ - ٤١. الحاكم المستدرک ١٨٢/٣. ابو نعيم: حلية الاولياء ١٣٩/٤ - ١٤٠. ابن عبد البر:

كان الامام علي عليه السلام يفتخر بهما ويقول:

وسبطا احمد ولدائي منها فايكم له سهم كسهمي ^(١)

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوهما ولداه ويقول: «لكل بني انشى عصابة ينتمون اليها، الا ولد فاطمة فانا وليهم وانا عصبتهم»، ^(٢) وقال ايضاً «ان الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب». ^(٣)

وقد ناقش ابن ابي الحديد مسألة: هل يجوز ان يقال ان الحسن والحسين عليهما السلام وولدهما ابناء رسول الله وذرية رسول الله ونسل رسول الله؟

قال «نعم، لان الله تعالى سماهم (ابنائهم) في قوله تعالى ﴿ندع ابنائنا وابنائكم﴾، ^(٤) وانما عني الحسن والحسين ولو اوصى لولد فلان بمال دخل فيه اولاد البنات وسمى الله تعالى عيسى ذرية ابراهيم في قوله ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ الى ان قال ﴿ويحيى وعيسى﴾ ^(٥) ولم يختلف اهل اللغة في ان ولد البنات من نسل الرجل».

وفسر ابن ابي الحديد قوله تعالى ﴿ما كان محمد ابا احد من رجالكم﴾ ^(٦) بان ذلك يعني به زيد بن حارثة لان العرب كانت تقول (زيد بن محمد). على

الاستيعاب ٣٩١/١. النووي: تهذيب الاسماء ١٦٠/١، ١٦٣. ابن الاثير: اسد الغابة ٩/٢، ١٨. ابن حجر: الاصابة ٣٣٠/٢. ابن حجر: لسان الميزان ٣٤٢/٢. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٥ - ١٨٩. المتقي الهندي: كنز العمال ٩٣/١٣، ٩٧، ٩٨-١٠٠.

(١). الشرح: ١٢٢/٤. وانظر الطبرسي: الاحتجاج ١١٢/١. المازندراني ١٩/٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٨. الهيثمي: الصواعق ص ١٢١.
(٢). الحاكم: المستدرک ١٧٩/٣. الهيثمي: الصواعق ص ١٥٤. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٣٣.

(٣). الجويني: فرائد ٣٢٤/١. المتقي الهندي: كنز العمال ٢٠١/١٢. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٢، ١٥٤. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٣٢.

(٤). سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٥). سورة الانعام: الآية ٨٤. وبهذه الآية احتج يحيى بن معمر على الحجاج في اثبات بنوه الحسن والحسين للنبي صلى الله عليه وآله. الحاكم: المستدرک ١٨٠/٣.

(٦). سورة الاحزاب: الآية ٤٠.

عادتهم في تبني العبيد، فابطل الله تعالى ذلك، ونهى عن سنة الجاهلية وقال: «ان محمداً ﷺ ليس ابا لواح من الرجال البالغين المعروفين بينكم ليعتزي اليه بالنبوة، وذلك لا ينفي كونه ابا للاطفال، الذين تطلق عليهم لفظة الرجال كابراهيم والحسن والحسين»^(١).

وتسائل ابن ابي الحديد: هل ان ابن البنت ابن على الحقيقة ام المجاز؟ فقال: «لذاهب ان يذهب الى انه حقيقة اصلية لان اصل الاطلاق الحقيقة، وقد يكون اللفظ مشترك بين مفهومين وهو في احدهما اشهر، ولا يلزم من كونه اشهر في احدهما، الا يكون حقيقة في الاخر، ولذاهب ان يذهب الى انه حقيقة عرفية، وهي التي كثر استعمالها، وهي في الاكثر مجاز، حتى صارت حقيقة في العرف كالراوية للمزادة، والسماء للمطر، ولذاهب ان يذهب الى كونه مجاز قد استعمله الشارع، فجاز اطلاقه في كل حال، واستعماله كسائر المجازات المستعملة».

«ومما يدل على اختصاص ولد فاطمة دون بني هاشم كافة بالنبي ﷺ انه ما كان يحل له ﷺ ان ينكح بنات الحسن والحسين ﷺ ولا بنات ذريتهما، وان بعدت وطال الزمان ويحل له نكاح بنات غيرهم من بني هاشم من الطالبين وغيرهم، وهذا يدل على مزيد من الاقربية وهي كونهم اولاده، لانه ليس هناك من القربى غير هذا الوجه، لانهم ليسوا اولاد اخيه ولا اولاد اخته، ولا هناك وجه يقتضي حرمتهم عليه، الا كونه والداً لهم وكونهم اولاداً له. فان قلت: قد قال الشاعر:

بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابنا الرجال الاباعد^(٢)

(١). الشرح: ٢٦/١١ - ٢٧.

(٢). هذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته في كتب النحاة: انظر مؤلف مجهول: اخبار العباس ص

١٢١. البغدادي: خزنة الادب ٢١٣/١.

وقال حكيم العرب: اكثم بن صيفي^(١) في البنات يذمهن: انهن يلدن الاعداء ويورثن البعداء.

قلت: انما قال الشاعر ما قاله علي المفهوم الاشهر: وليس في قول اكثم ما يدل على نفي بنوتهم، وانما ذكر انهن يلدن الاعداء وقد يكون ولد الرجل لصلبه عدواً، قال الله تعالى ﴿ان من ازواجكم واولادكم عدواً لكم﴾،^(٢) ولا ينبغي كونه عدواً كونه ابناً.^(٣)

ولذلك جعل الامام علي عليه السلام الولاية في التصرف بامواله الى الحسن والحسين عليهما السلام لشرفهما من الرسول صلى الله عليه وآله وقد عد ابن ابي الحديد ذلك (رمز وازراء بمن صرف الامر عن اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مع وجود من يصلح للامر أي كان الاليق بالمسلمين والاولى ان يجعلوا الرئاسة بعده لاهله، قرينة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وتكريماً لحرمة وطاعة له وانفة لقدره صلى الله عليه وآله ان تكون ورثته سوقه يليهم الاجانب ومن ليس من شجرته واصله. الا ترى ان هيبة الرسالة والنبوة في صدور الناس اعظم اذا كان السلطان والحاكم في الخلق من بيت النبوة وليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال في نفوس الناس للنبوة اذا كان السلطان الاعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة صلى الله عليه وآله.^(٤)

وقد عقد ابن ابي الحديد فصلاً عن الامام الحسن عليه السلام^(٥) وقال في تحليله لصلح الحسن مع معاوية بان السبب يكمن في فقدان الحسن للانصار، فلا حيلة له

(١). احد حكماء العرب قبل الاسلام وهو تميمي ادرك الاسلام، وحث قومه على الدخول فيه.
الشعالبي: التمثيل والمحاضرة ص ٣٦. ابن نباتة: سرح العيون ص ١٤-١٦. الالوسي: بلوغ الارب ٣٠٨/١، ١٧٢/٣-٢. ابن حجر: الاصابة ١١٠/١-٢.
(٢). سورة التغابن: الآية ١٤.
(٣). الشرح: ٢٧/١١-٢٨، وانظر القرطبي: الجامع ١٠٤/٤.
(٤). الشرح: ١٤٩/١٥.
(٥). الشرح: ٩/١٦-٥٢.

١٩٠..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

ثم قال: «والذي خاضها (الغمرات) مع عدم الانصار هو الحسين عليه السلام ولهذا عظم عند الناس قدره، فقدمه قوم كثير على الحسن عليه السلام». (١)

واكد ابن ابي الحديد ان مكانتهما عند المعتزلة هي التساوي في الفضيلة، «اما الحسن فلو قوفه مع قوله تعالى ﴿الا ان تتقوا﴾» (٢) واما الحسين فلأعزاز الدين». (٣)

اما الحسين عليه السلام فقد اعتبره ابن ابي الحديد من اباة الضيم فقال «سيد اهل الاباء، الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف اختياراً له على الدنيا، ابو عبدالله الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، عرض عليه الامان واصحابه، فانف من الذل وخاف من ابن زياد ان يناله بنوع من الهوان ان لم يقتله فاختر الموت على ذلك».

حتى كأن ابيات ابي تمام ما قيلت الا في الحسين:

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده

اليه الحفاظ المر والخلق الوعر

ونفس تعاف الضيم حتى كأنه

هو الكفر يوم الروع او دونه الكفر

فأثبت في مستتقع الموت رجله

وقال لها: من تحت اخمصك الحشر

تردي ثياب الموت حمراً فما أتى

لها الليل الا وهي من سندس خضر (٤)

(١). الشرح: ٦٥/١٦.

(٢). سورة آل عمران: الآية ٢٨.

(٣). الشرح: ٦٥/١٦.

(٤). الشرح: ٢٤٩/٣، وانظر ديوان ابي تمام ص ٣٢٩.

واشار ابن ابي الحديد لوصف رجل شارك في حرب الحسين عليه السلام مشيراً للجانب البطولي لدى الحسين واصحابه فقال: «قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ويحك! اقتلتم ذرية رسول الله ﷺ! فقال: عضضت بالجدل، انك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة، ايديها في مقابض سيوفها، كالاسود الضارية، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي انفسها على الموت، لا تقبل الامان، ولا ترغب في المال، ولا يحول له حائل بينها، وبين الورود على حياض المنية، او الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لاتت على نفوس العسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين لا ام لك»^(١).

النص اعلاه وان كان يمثل تبريراً لا ولئك الذين قتلوا الحسين عليه السلام لكنه يشير الى انهم رفضوا السلامة المشوبة بالذل والاموال، وقبلوا الموت لانهم رأوا عزهم فيه، وقد انتقد ابن ابي الحديد الجاحظ لتجاهله ما حدث بكر بلاء قائلاً: «هذا ايضاً تحامل منة ابي عثمان (الجاحظ) هلا ذكر قتلى الطفوف وهم عشرون سيداً من بيت واحد، قتلوا في ساعة واحدة، وهذا ما لم يقع مثله في الدنيا لا في العرب ولا في العجم، ولما قتل حذيفة بن بدر يوم الهبأة^(٢) وقتل معه ثلاث او اربعة من اهل بيته ضربت العرب بذلك الامثال واستعظموه، فجاء يوم الطف (جرى الوادي فطم على القرى)^(٣)»،^(٤).

وقد فسر ابن ابي الحديد موقف الجاحظ هذا بقوله: «لقد غلبت البصرة

(١). الشرح: ٢٦٣/٣.

(٢). الهبأة ماء باعلى ارض نجد كان فيه يوم الهبأة بين عيس وذبيان قتل فيه حذيفة بن بدر، انظر ابن حبيب: المحبر ص ٣٤٩. ابن رشيقي: العمدة ٢٠٢/٢ - ٣. الميداني: مجمع الامثال ٢٥٢/١، ١١٥/٢ - ١١٩. النويري: نهاية الارب ٣٦٠/١٥ - ٢.

(٣). أي جرى سيل الوادي فدفن القرى والقرى هي مجاري المياه الصغيرة، ابو هلال العسكري: جمهرة الامثال ٣٢٢/١، الميداني: مجمع الامثال ١٥٩/١.

(٤). الشرح: ٢٥١/١٥.

وطينتها على اصابة رأية»^(١).

اهل البيت

لقد عرفت تلك الاسرة التي تكونت من علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام باسم اهل البيت ووصفوا بأنهم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله أي اهله الادين ونسله ولا تشمل رهطه وان بعدوا وعقب ابن ابي الحديد على قول ابي بكر (رض) يوم السقيفة: «نحن عترة رسول الله وبيضته التي فقئت عنه» انه على سبيل المجاز لانهم بالنسبة الى الانصار عترة له لا في الحقيقة، كما يفاخر العدناني القحطاني بانه ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وهو ليس ابن عمه حقيقة وانما مجازاً اذا قورن بالقحطاني^(٢).

والعترة التي بينها الرسول صلى الله عليه وآله هي ما اشار اليها في قوله «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي، حبلان ممدوان من السماء الى الارض، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»^(٣).

وبين في مقام اخر اهل بيته لما طرح عليهم كساءً أنزل قوله تعالى ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(٤) فقال الرسول صلى الله عليه وآله: «اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب الرجس عنهم» وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام^(٥).

(١). الشرح: ٢٤٧/١٥.

(٢). الشرح: ٣٧٥/٦.

(٣). الشرح: ١٢٣/٩، اخرجه الحاكم: المستدرک ١١٨/٣، ١٦٣. النووي: تهذيب الاسماء

١٥٩/١/١، ٣٤٧. الخوارزمي: المناقب ص ٩٣. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٢٢ - ٣.

الهيتمي: الصواعق ص ١٢٤، ١٤٧ - ٨.

(٤). سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

(٥). الشرح: ١٦٩/٦، ٣٧٥ - ٦. وخرجه الحاكم: المستدرک ١١٧/٣، ١٤٣، ١٥٨ - ٦٠. ابن

تيمية: منهاج السنة ١٢١/٢.

وقد نعت الامام العترة بانها السبب،^(١) وانها راية الحق^(٢) قال ابن ابي الحديد (ان الامام يشير هنا الى نفسه وولديه، والاصل في الحقيقة نفسه،^(٣) حيث وصف نفسه (دليلها مكث الكلام) اي بطيئة^(٤) اما ولداه فهما تابعان له ونسبتهما له كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة، وقد اشار لذلك النبي صلى الله عليه وآله بقوله لهما: وابوكما خير منكما»^(٥).

وعد الامام علي عليه السلام اهل البيت «ازمة الحق، واعلام الدين، والسنة الصديق، فانزلوهم منزلة القرآن». ان تحت قوله عليه السلام: فانزلوهم منزلة القرآن، سر عظيم، وذلك لانه امر المكلفين بأن يجروا العترة في الاجلال والاعظام والانتقاد لها والطاعة لاوامرها مجرى القرآن.^(٦)

هذه الرؤية الا تشعر بعصمة العترة؟ اشار ابن ابي الحديد لرؤية ابن متويه لعصمة الامام علي عليه السلام وانه لم يكن واجب العصمة حيث ان العصمة ليست شرطاً في الامامة، عند المعتزلة، الا ان «ادلة النصوص قد دلت على عصمته، والقطع على باطنة ومغيبه، وان هذا امراً اختص هو به دون غيره من الصحابة، والفرق ظاهر بين قولنا (زيد معصوم) وبين قولنا: (زيد واجب العصمة)، لانه امام ومن شروط الامام ان يكون معصوماً فالاعتبار الاول مذهب المعتزلة، والثاني مذهب الامامية.^(٧)

ثم ان آل البيت عليهم السلام هم (ابواب الحكم) وهي الشرعيات والفتاوي وهم

(١). الشرح: ١٢٣/٩.

(٢). الشرح: ٨٥/٧.

(٣). الشرح: ٣٧٦/٦.

(٤). الشرح: ٨٥/٧.

(٥). الشرح: ٣٧٦/٦، وانظر ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣١٢/٤. الصبان: اسعاف الراغبين ص

١١٦.

(٦). الشرح: ٣٧٦، ٣٧٣/٦.

(٧). الشرح: ٣٧٦/٦ - ٧.

ضياء الامور، اي العقليات والعقائد، وهذا المقام العظيم لا يستطيع ان يجسر احد من المخلوقين على ادعائه الا الامام علي عليه السلام فلو ادعاه غيره لكذب وكذبه الناس. (١)

وقد قال عليه السلام: «نحن مختلف الملائكة» (٢) ولذا دعا الامام علي الناس الى «ورودهم ورود الهيم العطاش»، أي الحرص على اخذ العلم والدين منهم، (٣) ووصف امرهم بانه «صعب مستعصب لا يحتمله الا عبداً امتحن قلبه للايمان». «والمعنى انهم صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها، ويجوز ان يكون وضع الامتحان موضع المعرفة لأنه تحققك الشيء انما يكون باختياره... ويجوز ان يكون المعنى: ضرب الله على قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى... ويجوز ان يكون المعنى انه اخلص قلوبهم للتقوى من قولهم: امتحن الذهب، اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاها». (٤)

وفي شرحه لقوله عليه السلام: «لا يقاس بال محمد من هذه الامة احد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابداً»، قال: «لا شبهة ان المنعم اعلى واشرف من المنعم عليه، ولا ريب ان محمداً صلوات الله عليه وآله واهله الادنين من بني هاشم، - لا سيما علياً عليه السلام - انعموا على الخلق كافة بنعمة لا يقدر قدرها، وهي الدعاء الى الاسلام، والهداية اليه، ومحمد صلوات الله عليه وآله وان كان هدى الخلق بالدعوة التي قام بها بلسانه ويده، ونصرة الله تعالى له بملائكته وتأيبده، وهو السيد المتبوع والمصطفى المنتجب، الواجب الطاعة الا ان لعلي عليه السلام من الهداية ايضاً وان كان ثانياً لاول ومصلياً على اثر سابق، ما لا يجحد ولو لم يكن الا جهاده بالسيف اولا وثانياً، وما كان بين

(١). الشرح: ٢٨٩/٧.

(٢). الشرح: ٢١٨/٧.

(٣). الشرح ٣٧٧، ٣٧٣/٦.

(٤). الشرح: ١٠٥، ١٠١/١٣.

الجهاديين من نشر العلوم، وتفسير القرآن وارشاد العرب الى ما لم تكن له فاهمه، ولا متصوره، لكفى في وجوب حقه، وسبوغ نعمته عليه السلام، فان قيل: ... فاي نعمه له عليهم؟ قيل: نعمتان: الاولى منهما، الجهاد عنهم وهم قاعدون، فان من انصف علم انه لولا سيف علي عليه السلام لاصطلم المشركون... وقد علمت اثاره في بدر واحد والخندق وخيبر وحنين، وان الشرك فيها فغرفاه، فلو لا ان سده بسيفه لالتهم المسلمون كافة، والثانية: علومه التي لولاها لحكم بغير الصواب في كثير من الاحكام وقد اعترف عمر (رض) له بذلك، والخبر مشهور، لولا علي لهلك عمر». (١)

واضاف: «ويمكن ان يخرج كلامه على وجه آخر، وذلك لان العرب تفضل القبيلة التي منها الرئيس الاعظم، على سائر القبائل، وتفضل الادنى منه نسباً، فالادنى على سائر احاد تلك القبيلة، فان بني دارم يفتخرون بحاجب واخوته وبزرارة ابيهم على سائر بني تميم... (٢) فكذلك لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رئيس الكل والمنعم على الكل جاز لواحد من بني هاشم ولا سيما مثل علي عليه السلام ان يقول هذه الكلمات». (٣)

ومن مميزات اهل البيت عليهم السلام ان الصلة وصدقة التطوع والزكاة الواجبة محرمة عليهم وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، واما غيرهم فتحرم عليهم الزكاة الواجبة ولا تحرم صدقة التطوع ولا الصلة. وتساؤل ابن ابي الحديد: كيف يقال ان الصلة محرمة عليهم، وقد اخذ الحسن والحسين عليهم السلام الصلوات من معاوية؟ فاجاب: «كلا! لم يقبل صلته ومعاذ الله ان يقبلها! وانما قبلا

(١). الشرح: ١٤٠/١ - ١.

(٢). عرف هذا البيت بالوفاء وبأنهم حضان الملوك حيث تربى مالك بن المنذر بن ماء السماء لديهم. انظر المبرد: الكامل ١٧٠/١، ابو هلال العسكري: جمهرة الامثال ٢٦١/١. القلقشندي:

صبيح الاعشى ٣٧٩/١. الالوسي: بلوغ الارب ٣١١/١.

(٣). الشرح: ١٤١/١ - ٢.

منه ما كان يدفعه اليهما من جملة حقهما من بيت المال، فان سهم ذوي القربى منصوص عليه في الكتاب العزيز ولهما غير سهم ذوي القربى سهم آخر للاسلام من الغنائم»^(١).

ولما اشار علي الى اختصاص آل البيت بخصيصة بعد الموت «ايها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله انه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلى منا وليس ببالي». حمل ابن ابي الحديد هذا الكلام على وجهين. «الاول: ان يكون النبي صلى الله عليه وآله وعلي ومن يتلوهما من اطيب العترة احياء بابدانهم التي كانت في الدنيا باعيانها، قد رفعهم الله تعالى الى ملكوت سماواته، وعلى هذا لو قدرنا ان محترفاً احتفر تلك الاجداث الطاهرة عقب دفنهم لم يجد الابدان في الارض، وقد روي في الخبر النبوي صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وهو قوله «ان الارض لم تسلط علي وانها لا تأكل لي لحماً، ولا تشرب لي دماً»^(٢). نعم، يبقى الاشكال في قوله: «ويبلى من بلى منا وليس ببالي». فانه ان صح هذا التفسير في الكلام الاول وهو قوله: «يموت من مات منا وليس بميت». فليس يصح في القضية الثانية وهي حديث البلاء، لانها تقتضي ان الابدان تبلى وذاك الانسان لم يبلى، فاحوج هذه الاشكال الى تقدير فاعل محذوف، فيكون تقدير الكلام: يموت من مات حال موته وليس بميت فيها بعد ذلك من الاحوال والاوقات، ويبلى كفن من بلى منا وليس هو ببالي، فحذف المضاف كقوله «والي مدين»^(٣) أي والى اهل مدين، ولما كان الكفن كالجاء من الميت لاشتماله عليه عبر باحدهما عن الاخر للمجاورة والاشتمال، كما عبروا عن المطر بالسماء وعن الخارج المخصوص بالغائط وعن الخمر بالكأس، ويجوز

(١). الشرح: ٢٤٩/١١.

(٢). روى ما يشابهه ابن ماجه: صحيح ١٧٩/١، ٢٧٣. ابن كثير: نهاية البداية والنهاية ٢٧٨/١.

(٣). سورة الاعراف: الآية ٨٥.

ان يحذف الفاعل كقوله تعالى ﴿حتى توارت بالحجاب﴾^(١) و﴿فلولا اذا بلغت الحلقوم﴾^(٢) وقول حاتم: اذا حشرجت.^(٣)

الثاني: ان اكثر المتكلمين ذهبوا الى ان للانسان الحي الفعال اجزاء اصلية في هذه البنية المشاهدة وهي اقل ما يمكن ان تأتلف منه البنية التي معها يصح كون الحي حياً، وجعلوا الخطاب متوجهاً نحوها، والتكليف وارداً عليها، وما عداها من الاجزاء فهي فاصلة ليست داخلية في حقيقة الانسان واذا صح ذلك جاز ان ينتزع الله تلك الاجزاء الاصلية من ابدان الانبياء والاصياء فيرفعها اليه بعد ان يخلق لها من الاجزاء الفاضلة عنها نظير ما كان لها في الدار الاولى، كما قاله من ذهب الى قيامة الانفس والابدان معاً، فتتبعه وتلتذ بضروب اللذات الجسمانية ويكون هذا مخصوصاً بهذه الشجرة المباركة دون غيرها؛ ولا عجب فقد ورد في حق الشهداء نحو ذلك في قوله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون﴾^(٤).

«وعلى الوجه الاول لو ان محترفاً احتفر اجداثهم لوجد الابدان فيها، وان لم يعلم ان اصول تلك البنى قد انتزعت منها ونقلت الى الرفيق الاعلى، وهذا الوجه لا يحتاج الى تقدير ما قدرناه اولاً من الحذف، لان الجسد يبلى في القبر الا قدر ما انتزع منه ونقل الى محل القدس، وكذلك ايضاً يصدق على الجسد انه ميت، وان كان اصل بنيته لم يمت، وقد ورد في الخبر الصحيح (ان ارواح الشهداء من المؤمنين في حواصل طيور خضر تدور في افناء الجنان، وتأكل من ثمارها،

(١). سورة ص: الآية ٣٢.

(٢). سورة الواقعة: الآية ٨٣.

(٣). قال حاتم:

اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

اماوي ما يغني الشراء عن الفتى

ديوانه ص ٥٠.

(٤). سورة آل عمران: الآية ١٤٥.

١٩٨..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش^(١) فاذا جاء هذا في الشهداء
فما ظنك بموالي الشهداء وساداتهم^(٢).

(١). اخرجہ مالک الموطأ ٣٢٨/١. ابن حنبل: المسند ٢٨٦/٦.
(٢). الشرح: ٣٧٧/٦ - ٣٧٩.

الفصل الثالث

خصال الامام علي عليه السلام الخلقية وسجاياه النفسية

ان الخصائص الخلقية، والسجايا النفسية التي امتاز بها الامام علي عليه السلام على سائر الامة جعلته افضل شخصية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، فان فضائله عليه السلام (١) بلغت من العظم، والجلالة، والانتشار مبلغاً يسمح (٢) منه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال ابو العيناء (٣) لعبيد الله بن يحيى بن خاقان (٤): «رأيتني

-
- (١) يروي عن الامام احمد بن حنبل انه قال «ما جاء لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما جاء لعلي ابن ابي طالب عليه السلام»
- الحاكم: المستدرک ١١٦/٣. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٨. ووضع النسائي احد اصحاب السنن والصحاح الستة كتاباً في فضائل الامام اسماء «خصائص امير المؤمنين». والكتاب مطبوع. وافرد ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة وافية للامام عليه السلام. هذه الترجمة نشرها محمد باقر المحمودي في كتاب مستقل. وخرج الفيروز آبادي فضائل الامام من كتب الصحاح الستة، ونشرها في كتاب اسماء «فضائل الخمسة من الصحاح الستة» في ثلاثة اجزاء.
- (٢) سمج: قبح. الرازي: مختار الصحاح ص ٣١٢.
- (٣) محمد بن القاسم الهاشمي بالولاء، اديب مشهور بالكتابة والترسل، توفي سنة ٢٨٣. انظر ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٧٠/٢ - ١٧٩. الشابشتي: الديارات ص ٥٢ - ٦٠.
- الذهبي: ميزان الاعتدال ١٣/٤. ابن حجر: لسان الميزان ٣٤٤/٥ - ٣٤٦.
- (٤) ٢٠٩ - ٢٦٣ هـ: هو وزير المتوكل والمعتمد: الطبري التاريخ ١٧١/٩، ١٨٥، ٢٠٠، ٢١٤ - ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٥٨، ٣٣٦، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٥٧ - ٨، ٤٧٤، ٥٠٧، ٥١٧، ٥٣٢.
- ٧، ٢٢٢ - ٣، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٥٨، ٣٣٦، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٥٧ - ٨، ٤٧٤، ٥٠٧، ٥١٧، ٥٣٢. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٨١٦/٤، ١٢٢/٥، ٤٠٦. الشابشتي الديارات ص ٨٢. الذهبي: دول الاسلام ١١٦/١.

فيما اتعاطى من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر؛ فايقنت اني حيث انتهى بي القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك، ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك»^(١).

هذه المناقب التي بلغ من الشهرة والتفرد بها فرضت على اعدائه الاعتراف بها فاقروا له بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله،^(٢) رغم ان بعض الخلفاء الامويين اجتهدوا في اطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعاييب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيه بالحبس والقتل، ومنعوا من رواية الاحاديث المتضمنة لفضائله عليه السلام، حتى وصل الامر بمنعهم التسمية باسمه عليه السلام، ولكن كل ذلك لم يزده الا رفعة وسمواً، «وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه، وكلما كتم توضع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار ان حجبت عنه عين واحدة، ادركته عيون كثيرة»^(٣).

كان عليه السلام في الخصائص الخلقية، والفضائل النفسانية - ابن جلاها وطلاع ثناياها^(٤) - فكان عليه السلام من لطافه الاخلاق، وسجاحة الشيم على قاعدة عجيبة

(١). الشرح ١٦/١. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ١٥٧/٤.

(٢). انظر وصف ضرار للامام علي الى معاوية وبكاء الاخير. الشرح ٢٢٤/١٨. انظر الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٤٨٠ - ٤٨١. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠٧/٣ - ٨. البلوي: الف باء ٢٢٢/١ - ٣. الزمخشري: ربيع الابرار ٩٧/١، ٨٣٥ - ٦. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٣١٥/١ - ٦. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١١٨ - ٩. محب الدين: الرياض ٢٨١/٢ - ٢. ابن الصباغ: الفصول المهمة ص ١١١.

(٣). الشرح ١٦/١ - ١٧. وقد اعتبر المفيد ذلك من باب المعجزات الخارقة للعادة. الارشاد ص ١١٦.

(٤). مأخوذ من بيت شعر قاله - سحيم بن وثيل الرياحي - وهو:

انا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى اضع العمامة تعرفوني

وابن جلا: جلا أي النهار. والمقصود: الامر الواضح. وطلاع الثنايا: كناية عن السمو الى معالي الامور. والثنايا جمع الثنية وهي الطريق في الجبل.

انظر: الميداني: مجمع الامثال ٣١/١. ابن منظور: لسان العرب ١٦٥/١٨. الفيروز آبادي،

جميلة.^(١)

ففي -الشجاعة- فانه انسى فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، حيث لما سئل خلف الاحمر^(٢): ايهما اشجع عنبة وبسطام ام علي بن ابي طالب؟ فقال: انما يذكر عنبة وبسطام مع البشر والناس، لامع من يرتفع عن هذه الطبقة، فقليل له: فعلى كل حال؛ قال والله لو صاح في وجههما لماتا قبل ان يحمل عليهما.^(٣)

تجدد الاشارة الى ان بسطاماً وعنبة هما من مشاهير فرسان العرب قبل الاسلام وبعده، فالاول هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، سيد شيبان، ومن اشهر فرسان العرب قبل الاسلام، وبه يضرب المثل في الفداء فيقال: «اغلى فداء من بسطام بن قيس»،^(٤) وكان قد ادرك الاسلام الا انه لم يعتنقه، وتوفي في حدود السنة العاشرة للهجرة.^(٥)

اما عنبة بن سحيم الكلبي فهو من فرسان العرب المسلمين في الاندلس، تولى الاندلس للخليفة الاموي هشام بن عبدالملك، وكان من الغزاة الشجعان والفاحين توفي سنة ١٠٧ هـ اثر جرح اصابه في حروبه في الاندلس.^(٦) وقد يتصور البعض ان كلام خلف الاحمر فيه غلواً، ولكننا لو تأملنا مقاماته

القاموس المحيط ٣١٣/٤.

(١). الشرح ٢٤٨/١١.

(٢). ابو محرز بن المعروف بالاحمر. ت نحو ١٨٠ هـ راوية واديب وشاعر بصري وله ديوان ومقدمة في النحو وهو معلم الاصمعي. انظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٦٧٣/٢ - ٤. ابن النديم: الفهرست ص ٧٤. الحموي: معجم الادباء ٦٦/١١ - ٧٢. السيوطي: بغية الوعاة ص ٢٤٢.

(٣). الشرح ١٤٦/١٦.

(٤). انظر الميداني ٦٦/٢.

(٥). ابن حبيب: المحبر ص ٢٥٠. المبرد: الكامل في اللغة والادب ١٠٩/١. ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٢٢٤/١. مهدي عربي الدخيلي: بسطام بن قيس ذي الجدين، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة.

(٦). الحميدي: جذوة المقتبس ٣١٨/١، ٥٠٧/٢. ابن عذاري: البيان المغرب ٢٧/٢.

في الحروب التي اصبحت مضرب الامثال، حيث كان الشجاع الذي ما فر قط، ولا ارتاع من كتيبة،^(١) بل كان يقول بأنه «آنس بالموت كأنس الطفل بثدي امه».^(٢) والمعروف عنه عليه السلام انه ما بارز احداً الا قتله، ولا ضرب ضربة فاحتاجت الاولى الى ثانية بل «كانت ضرباته وتراً».^(٣)

ويشار الى ان الامام علي عليه السلام دعا معاوية في صفين للبراز بدلاً من ارساله لاصحابه الذين جدلهم الامام في ساحة المعركة، وكان قصده عليه السلام ان يستريح الناس من الحرب بقتل احدهما، وحينما استشار معاوية وزيره عمراً بن العاص لعله يجد عنده حيلة للتخلص من هذه المشكلة لكن عمراً بن العاص قال له: لقد انصفك. فادرك معاوية نوايا عمرو بن العاص فقال له: ما غششتني منذ نصحتني الا اليوم، كيف تأمرني بمبارزة ابي الحسن وانت تعلم انه شجاع المطرق!^(٤) اراك طمعت في امارة الشام بعدي!^(٥)

وقد كانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، يشار الى ان عبد الله بن الزبير مازح معاوية قائلاً له: يا امير المؤمنين، لو شئت ان افتك بك لفعلت، فقال معاوية: لقد شجعت بعدنا يا ابا بكر! واستغرب ابن الزبير من عدم اقرار معاوية بشجاعته وقدم الدليل على ذلك وهو: وما الذي تنكره من شجاعتي، وقد وقفت في الصف ازاء علي ابن ابي طالب، فقال معاوية: لا جرم! انه قتلك واباك بيسرى

(١). الشرح ٢٠/١.

(٢). الشرح ٢١٣/١، ٢١٥. وانظر الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٥٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٢٨.

(٣). الشرح ٥٠/١. قال ابن فارس في المجلد: كانت ضربات علي عليه السلام في الحرب ابكاراً، ان اعتلى قد، وان اعترض قط. المجلد ١/١٣٣.

(٤). اطرق: الرجل يرخي عينيه ينظر الى الارض لا يتكلم. الرازي: مختار الصحاح ص ٣٩١.

(٥). الشرح ٢٠/١، ٢١٧/٥. وانظر المنقري: صفين ص ٢٥٧. ابن قتيبة: الامامة والسياسة ص

يديه، وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها.^(١)

وكان ذوو قتلاه يفتخرون بقتله اياهم، ويعتبرون ذلك شرفاً لهم، حيث قالت
أخت عمرو بن عبد ود الذي قتله الامام عليه السلام يوم الخندق:
لو كان قاتل عمرو غير قاتله

بكيته ابدأ ما دمت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له

وكان يدعى ابوه بيضة البلد^(٢)

وقد وظف الامام عليه السلام شجاعته في الجهاد في سبيل الله، حتى اصبح معروفاً
لدى اعدائه واوليائه انه سيد المجاهدين،^(٣) وكانت علائم شجاعته الواضحة في
مبيته في فراش الرسول صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة في الوقت الذي اجمعت فيه قريش على
ضرب الرسول صلى الله عليه وآله ضربة واحدة من قبل اربعين شخصاً ينتمون لاربعين قبيلة،
فلم يعبا عليه السلام بذلك، ولم يكتف بهذا الدور، بل قام بارجاع كل الودائع والامانات
التي كانت عند الرسول صلى الله عليه وآله لاهلها، ثم هاجر علناً.^(٤)

والى ذلك اشار - الاسكافي - احد معتزلة بغداد بأنه لما علم الرسول صلى الله عليه وآله
بخطة قريش بقتله «دعا اوثق الناس عنده، وامثلهم في نفسه، وابدلهم في ذات الله
لمهجته، واسرعهم اجابة الى طاعته، فقال له: ان قريشا قد تحالفت على ان تبيتني
هذه الليلة، فامض الى فراشي، ونم في مضجعي، والتف في بردي الحضرمي ليروا

(١). الشرح ٢١/١.

(٢). بيضة البلد هو الشيء المفرد الذي لا نظير له، والمقصود هنا الامام، وقد ورد البيت في
بعض المصادر:

لكن قاتله من لا يعاب به
وكان يدعي قديماً بيضة البلد.

انظر: الحاكم: المستدرک ٦/٣. المفيد: الارشاد ص ٤٣. ابن منظور: لسان العرب ٣٩٥/٨.

(٣). الشرح ٢٤/١.

(٤). عن موضوع مبيت الامام في فراش الرسول صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة، راجع أي من كتب السيرة
النبوية والتاريخ العام.

اني لم اخرج، واني خارج ان شاء الله، فمنعه اولا من التحرز واعمال الحيلة،
وصده عن الاستظهار لنفسه بنوع من انواع المكاييد والجهات التي يحتاط بها
الناس لنفوسهم، والجأه ان يعرض نفسه لظبات السيوف الشحيذة من ايدي ارباب
الحنق والغیظة، فأجاب الى ذلك سامعا مطيعا طيبة بها نفسه، ونام على فراشه
صابرا محتسبا، واقيا بها بمهجته، ينتظر القتل، ولا تعلم فوت بذل النفس درجة
يلتمسها صابر، ولا يبلغها طالب؛ «والجود بالنفس اقصى غاية الجود»؛ ولولا ان
رسول الله ﷺ علم انه اهل لذلك، لما اهله، ولو كان عنده نقص في صبره، او في
شجاعته او في مناصحته لابن عمه، واختير لذلك، لكان من اختاره ﷺ منقوصا
في رأيه، مضرا في اختياره، ولا يجوز ان يقول هذا احد من اهل الاسلام، وكلهم
مجمعون على ان الرسول ﷺ عمل الصواب واحسن الاختيار»^(١).

كانت معركة بدر الكبرى (٢ هـ) هي من اعظم غزوات الرسول ﷺ واشدها
نكاية بالمشركين، وقد قتل منهم سبعون رجلا، قتل الامام علي عليه السلام نصفهم بينما
قتل المسلمون والملائكة النصف الاخر^(٢). قال ابن ابي الحديد يمدح الامام
علي عليه السلام في موقفه يوم بدر:

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| رمى الله منه يوم بدر خصومه | بذي فذذ في آل بدر مبادر |
| وقد جاشت الارض العريضة بالقنا | فلم يلق الا ضامر فوق ضامر |
| فلو نتجت ام السماء صواعقا | لما شج منها سارح رأس حاسر |
| فكان وكانوا كالقظامي ناهض | البغاث فصرى شلوه في الاظافر |

(١). الشرح ٢٥٩/١٣. وانظر الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٢٢. وقد حاول البعض التنقص
من فضيلة الميبت هذه، وتصدى للرد عليهم الاسكافي في كتابه اعلاه. انظر: الشرح ٢٥٨/١٣ -
٢٦٤. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٢١ - ٢٢٦. الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ١٥٣ -
١٥٥. العثمانية ص ٤٤.

(٢). الشرح ٢٤/١، ١٨١/١٠ - ١٨٢. وانظر الواقدي: المغازي ١٤٧/١ - ١٥٢. البلاذري:
انساب الاشراف ٢٩٦/١ - ٣٠٤.

سرى نحوهم رسلا فسارت قلوبهم
كأن ضبات المشرفية من كرى
فلا تحسبن الرعد رجس غمامه
ولا تحسبن البرق نارا فإنه
ولا تحسبن المزن تهمي فانها
من الخوف وخذاعوه في الحناجر
فما يبتغي الا مقر الحناجر
ولكنه من بعض تلك الزماجر
وميض اتى من ذي الفقار بفاقر
انامله تهمي باوظف هامر^(١)

اما موقفه عليه السلام يوم الخندق فقد اجاد في وصفه ابن ابي الحديد اذ قال: «فاما
الخرجة التي خرجها يوم الخندق الى عمرو بن عبد ود، فانها اجل من ان يقال
جليلة، واعظم من ان يقال عظيمة، وما هي الا كما قال شيخنا ابو الهذيل وقد سأله
سائل: ايما اعظم منزلة عند الله... فقال: والله لمبارزة علي يوم الخندق تعدل اعمال
المهاجرين والانصار وطاعتهم كلها وتربي عليها»^(٢).

رؤية ابو الهذيل اعلاه سبق وان اشار اليها الصحابي حذيفة بن اليمان حينما
قال: «والذي نفس حذيفة بيده لو وضع جميع اعمال امة محمد في كفة ميزان منذ
بعث الله تعالى محمد الى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من اعمال علي في
الكفة الاخرى لرجح على اعمالهم كلهم». فاعتبر احد السامعين هذا الكلام اسرافاً
فاجابه حذيفة: «يا لكع، وكيف لا يحمل، واين كان المسلمون يوم الخندق، وقد
عبر اليهم عمرو واصحابه، فملكهم الهلع والجزع، ودعا الى المبارزة فاحجموا
فبرز اليه علي فقتله والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم اعظم اجراً من اعمال
امة محمد عليه السلام الى هذا اليوم والى ان تقوم الساعة»^(٣).

وقد علق - ابو الخير مصدق بن خير النحوي^(٤) - شيخ ابن ابي الحديد على

(١). ابن ابي الحديد: القوائد العلويات السبع ص ٣٢-٣٣.

(٢). الشرح ٦٠/١٩.

(٣). الشرح ٦٠/١٩ - ٦١. وانظر المفيد: الارشاد ص ٤١. الطبرسي: اعلام الورى ص ١٩٣ - ٤.

(٤). وانظر نفس المعنى على لسان الرسول عليه السلام. الحاكم: المستدرک ٣٤/٣.

(٤). الاديب البارع ولد في قرية دوران احدي قرى الصلح من سواد شرقي واسط سنة ٥٢٥ هـ

قول عمرو بن عبد ود للامام علي عليه السلام «لقد كان ابوك نديماً لي وصديقاً، فارجع فاني لا احب ان اقتلك» فقال ابو الخير: «والله ما امره بالرجوع ابقاءً عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه بيدر واحد، وعلم انه ان ناهضه قتله، فاستحيا أن يظهر الفشل، فاطهر الابقاء والرعاء، وانه لكاذب فيهما»^(١).

ويخلص ابن ابي الحديد للقول في ان قتلى الامام في معارك الاسلام الاولى لا معنى للاطناب فيها لانه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر.^(٢)

تجدر الاشارة الى ان خصوم الامام قتلوا من شأن عمرو بن عبد ود العامري وانكروا ما يقال من شجاعته، وقد رد عليه الاسكافي في كتابه نقض العثمانية بالادلة التي تؤكد فروسية عمرو بن عبد ود قبل الاسلام وبعده.^(٣) وقد ثمن ابن ابي الحديد موقف الامام يوم الخندق قائلاً:

يا هازم الاحزاب لا يثنيه عن خوض الحمام مدجج ومدرع^(٤)

ان جهاد الامام هذا اعتبره ابن ابي الحديد من نعم الامام على الصحابة «وان من انصف علم انه لولا سيف علي عليه السلام لا صطم المشركون، من اشار اليه وغيره من المسلمين (كذا)، وقد علمت آثاره في بدر واحد والخندق وخيبر وحنين، وان الشرك، فيها فغرفاه، فولا سده بسيفه لالتهم المسلمين كافة»،^(٥) ولذا

وتوفي في بغداد سنة ٦٠٥. وانظر ترجمته: الحموي: معجم الادباء ١٤٧/١٩ - ١٤٨: ابن الاثير: الكامل ٢٨٢/١٢. القفطي: انباه الرواة ٢٧٤/٣ - ٥. ابي شامة: ذيل الروضتين ص ٦٦. ابن الساعي: الجامع ٢٧٣/٩ - ٤. المنذري: التكملة ٢٣٩/٣ - ٢٤٠. السيوطي: بغية الوعاة ص ٣٩١.

(١). الشرح ٦١/١٩.

(٢). الشرح ٢٤/١.

(٣). الشرح ٢٨٧/١٣ - ٢٩٢. انظر الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ١٦ - ٤. العثمانية ص ٥٩. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٣٥ - ٩.

(٤). ابن ابي الحديد: الفصائد السبع العلويات ص ٤٣.

(٥). الشرح ١٤١/١.

يقول ابن ابي الحديد في شعره:

الا انما الاسلام لولا حسامه
ويقول ايضاً:

عنز او قلامة حافر^(١)

يا قاتل الابطال مجدك العدى من غرب مخدك المهند اقتل
بذباب سيفك قر قارع طوره بعد التاود واستقام الاميل
لولاك اصبح ثلثة لا تتقى اطرافها ونقيصة لا تكمل
كم جحفل للجزء من اجزائه يوم النزال يقل قولك جحفل
اثوابه الزرد المضاعف نسجه لكنه بالزاغبية مخمل
يحبي المنية منه طعن ابخل برح محاجره وضرب اهذل
نهنت سورته بقلب قلب ثبت يحالفه صقيل مصقل^(٢)

وكان عليه السلام يفتخر بشجاعته، ويوظف اسمه الاول - حيدرة - لارهاب
الخصم، وهو الاسم الذي اسمته به امه اولاً، والمعروف ان - حيدرة - من اسماء
الاسد، وفيه اشارة الى الشجاعة،^(٣) وقد اصبح هذا الاسم فيما بعد اسماً على
مسمى، فكان عليه السلام لما برز يوم خيبر ارتجز قائلاً:
انا الذي اسمتني امي حيدرة.^(٤)

(١). ابن ابي الحديد: القوائد السبع العلويات ص ٣٢.

(٢). القوائد السبع ص ٥٥ - ٥٦.

(٣). الشرح ١، ١٢ - ١٢٧/١٩. وانظر محب الدين: الرياض النظرة ٢/٢٠٥. الدميري: حياة
الحيوان الكبرى ٣/١.

(٤). الشرح ١٢/١. وانظر: مسلم الصحيح ١٢/١٨٥. ابوالفرج: مقاتل الطالبين ص ١٤.
الحاكم: المستدرک ٤١/٣ - ١١٦. المفيد: الارشاد ص ٥٠. الطوسي: الامالي ط النجف ٣/١.
ابن المغازلي: مناقب ص ١٧٨، ١٨٢. الخوارزمي: المناقب ص ٦، ١٠٤. سبط ابن الجوزي:
تذكرة ص ٣ - ٤، ٢٦. الكنجي: كفاية الطالب ص ١٠٢.

وكان عليه السلام تكتنفه الملائكة^(١) في حملاته الجهادية فكان صلى الله عليه وسلم يبعثه، وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، ولذلك شهد جبريل للامام يوم احد حينما نادى:

لا سيف الا ذوالفقار ولا فتى الا علي^(٢)

والظاهر ان هناك شكوكاً اثيرت حول ذلك حيث يقول ابن ابي الحديد: «وقد روي هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الاخبار المشهورة، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن اسحق،^(٣) ورأيت بعضها خالياً منه، وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينه^(٤) رحمه الله عن هذا الخبر، فقال: خبر صحيح، فقلت: فما بال الصحاح لم تشتمل عليه؟ قال: او كلما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح؟ كم قد اهلل جامعوا الصحاح من الاخبار الصحيحة!».^(٥)

ولم يقتصر جهاده عليه السلام على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وانما كان صلى الله عليه وسلم قاتل على

(١). انظر تحليل ابن الحديد لنزول الملائكة. الشرح ١٥٧/١ - ١٦٤. وانظر ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠١/٣. محب الدين: الرياض ٢٥١/٢. الجويني: فرائد ٢٢٢/١.
(٢). الشرح ٢١٩/٧.

(٣). لم اجده في القطعة التي حققها سهيل زكار. وقد ورد في سيرة ابن هشام ١٠٠/٣. وانظر المفيد: الارشاد ص ٣٥. ابن المغازلي: مناقب ص ١٩٧ - ٩. الخوارزمي: المناقب ص ٦، ١٠٣ سبط ابن الجوزي. تذكره ص ٢٦. الكنجي: كفاية الطالب ص ٢٧٧ - ٨١. محب الدين: الرياض النظرة ٢٥١/٢. ابن تيمية: منهاج السنة ١٣/٣. الجويني: فرائد ٢٥٢/١ - ٢٥٧ - ٨.

(٤). ابو احمد عبد الوهاب بن ابي مضر علي البغدادي الصوفي المعروف بابن سكينه وهي جدته ام ابيه، ولد في ٥١٩ هـ ودرس علوم عصره، ورافق السمعاني صاحب الانساب، وحدث في مكة والمدينة وبغداد والشام ومصر. وتوفي في بغداد في ٦٠٧ هـ انظر ابن الاثير: الكامل ٢٩٥/١٢. المنذري: التكملة ٣/٢٢٤ - ٦. الذهبي: معرفة القراء ٢/٤٦٤ - ٦. الصفدي: الوافي ١٦٧/١ - ٨. ابن كثير: البداية والنهاية ٦١/١٣. الجزري: غاية النهاية ٤٨٠/١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٠١/٦. الحنبلي: شذرات الذهب ٢٥/٥ - ٢٦.

(٥). الشرح ٢٥١/١٤. يشار الى ان الامام البخاري ومسلم وضعوا شروطاً لتخريج الاحاديث الصحيحة ولكنهما لم يخرجوا كل الاحاديث حسب هذه الشروط. فاستدرك الحاكم النيسابوري ذلك في كتاب اسماء المستدرك على الصحيحين حيث خرج الاحاديث الصحيحة وفق شروط الشيخين ولم يخرجها.

التنزيل، فعلي عليه السلام قاتل علي التأويل،^(١) لذلك كان عليه السلام اول من سن قتال اهل القبة، وكان المسلمون قبله يتحاشون ذلك حتى قال الامام الشافعي: ما عرفنا قتال اهل البغي الا من علي.^(٢)

ان هذه الشجاعة جعلت من الامام يأنف ان يموت حتف انفه، بل القتل عنده اهون من الموت حتف انفه، وذلك على مقتضى ما منحه الله تعالى من الشجاعة الخارقة لطبيعة البشر، ولذا نجده عليه السلام يحرض اصحابه ليجعل من طبائعهم موافقة لطباعه، واقدامهم على الحرب كأقدامه، وهو بهذا يفعل كما يفعل الامراء في حث جندهم، فهو هنا كما قال المتنبي:

يكلف سيف الدولة الجيش همه وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم^(٣)

ويفسر ابن ابي الحديد^(٤) سبب ذلك: «ليست النفوس كلها من جوهر واحد، ولا الطباع والامزجة كلها من نوع واحد، وهذه خاصية توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده، في الاوقات المتطاولة، والدهور المتباعدة؛ وما اتصل بنا من بعد الطوفان؛ فان التواريخ من قبل الطوفان - مجهولة عندنا - ان احداً ان اعطي من الشجاعة والاقدام ما اعطيه هذا الرجل من جميع فرق العالم على اختلافها؛ من الترك والفرس والعرب والروم وغيرهم؛ والمعلوم من حاله انه كان يؤثر الحرب

(١). روي عنه عليه السلام انه قال: «ان منكم من يقاتل علي تأويل القرآن، كما قاتلت علي تنزيله، فاستشرف لها القوم، وفيهم ابو بكر و عمر (رض). قال ابو بكر: انا هو. قال: لا، قال عمر: انا هو. قال: لا، ولكن خصاصف النعل يعني علياً. فأتيناه فبشرناه، فلم يرفع رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله. الشرح ٧/٢ - ٢٠. وانظر المنقري: صفين ص ١٤٨. الملطي: التنبيه ص ٢٥. الحاكم: المستدرک ١٣٢/٣. الطوسي: الامالي، ط النجف ١/٢٦٠. محب الدين: الرياض ٢/٢٥٢. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٠٥/٧، ٣٦١. المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/٢١١.

(٢). راجع فصل سياسة الامام. وانظر الشرح ٩/٣٣١. وينسب القاضي هذا القول للامام ابي حنيفة: شرح الاصول الخمسة ص ١٤١.

(٣). الشرح ٧/٣٠١. وانظر ديوان المتنبي ص ٢٨٩.

(٤). الشرح ٧/٣٠١.

على السلم،^(١) والموت على الحياة، والموت الذي كان يطلبه ويؤثره، انما هو القتل بالسيف، لا الموت على الفراش كما قال الشاعر:

لو لم يمت بين اطراف الرماح الملمات - اذ لم يمت - من شدة الحزن^(٢)
وقال آخر:

يستعذبون مناياهم كأنهم لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا^(٣)

بل كان عليه السلام يرى ان الف ضربة بالسيف اهون عليه من ميتة على الفراش في غير طاعة الله. وهنا يأتي التساؤل: هل الالف ضربة بالسيف اهون المأ على المقتول من موته واحدة على الفراش بالحقيقة، ام هذا قول قاله عليه السلام على سبيل المبالغة والتجوز، ترغيباً لاصحابه في الجهاد؟

يقول ابن ابي الحديد في جواب التساؤل: «الحالف يحلف على احد امرين: احدهما ان يحلف على ظنه واعتقاده؛ نحو ان يحلف ان زيداً في الدار، او اني اعتقد كون زيد في الدار، اي أنا حالف ومقسم على اني اظن ان زيداً في الدار، او اني اعتقد كون زيد في الدار. والثاني: ان يحلف، لا على ظنه بل يحلف على نفس الامر في الخارج. فان حملنا قسم امير المؤمنين عليه السلام على المحمل الاول فقد اندفع السؤال؛ لانه عليه السلام قد كان يعتقد ذلك؛ فحلف انه يعتقد وانه يظن ذلك؛ وهذا لا كلام فيه. وان حملناه على الثاني فالامر في الحقيقة يختلف، لان المقتول بسيف صارم معجل للزهوق لا يجد من الالم وقت الضربة ما يجده الميت دون النزح من المد والكف. نعم قد يجد المقتول قبل الضربة الم التوقع لها، وليس كلامنا في ذلك، بل في الم الضربة نفسها، والى سيف صارم مثل سيف واحد، اذا فرضنا سرعة

(١). ان ملاحظة مواقف الامام علي عليه السلام في معركة الخندق والجمل وصفين والنهر وان، تعطينا انطباعاً على انه عليه السلام كان يؤثر السلم على الحرب على النقيض مما اشار له ابن ابي الحديد.

(٢). لم اهتد الى قائله.

(٣). لم اهتد الى قائله.

الزهوق. واما في غير هذه الصورة نحو ان يكون السيف كالاً، وتكرر الضربات به، والحياة باقية بعد؛ وقايسناه بينه وبين ميت يموت حتف انفه موتاً سريعاً، اما بوقوف القوة الغازية كما يموت الشيوخ؛ او باسهال ذريع تسقط معه القوة، ويبقى العقل والذهن الى وقت الموت، فأن الموت ها هنا هون واقل المأ، فالواجب ان يحمل كلام امير المؤمنين عليه السلام اما على التحريض؛ فيكون قد بالغ كعادة العرب والخطباء في المبالغات المجازية، واما ان يكون اقسام علي انه يعتقد ذلك، وهو صادق فيما اقسام؛ لانه هكذا كان يعتقد بناء على ما هو مركز في طبعه من محبة القتال، وكراهية الموت على الفراش»^(١).

ولكن اذا كان الامام طامعاً في الشهادة فهلا خرج الى معاوية وحده من غير جيش؟ ان ذلك في رؤية المعتزلة غير جائز، لأنه القاء النفس الى التهلكة، وللشهادة شروط متى فقدت فلا يجوز ان تحمل احدي الحالتين على الاخرى.^(٢) كان للامام عليه السلام جملة من الآداب التي يستخدمها في حروبه منها:

اولاً:- الدعوة للمسلم:

كانت الدعوة الى السلام هو ديدن الامام عليه السلام سواء مع المشركين او مع الخارجين على خلافته، فكان يحث المقابل على ترك الحرب كما فعل مع عمرو بن عبد ود العامري يوم الخندق،^(٣) ومع اصحاب الجمل وصفين والنهروان ايام خلافته.^(٤)

(١). الشرح ٣٠٠/٧-٣٠٣. وانظر النص في نهج البلاغة ص ١٨٠.

(٢). الشرح ١٤٧/١٦.

(٣). انظر: الواقدي: المغازي ٤٧١/٢. ابن هشام: السيرة ٢٢٥/٣. الطبري: تاريخ ٥٧٤/٢.

(٤). انظر فصل الفكر السياسي عند الامام.

ثانياً:- كراهية الغدر:

-ومن آدابه العسكرية عليه السلام انه كان يكره الغدر في حروبه، وكان عليه السلام يقول: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس، ولكن كل غدره فجره، وكل فجره كفره، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة. والله ما استغفل بالمكيدة، ولا استغمز بالشديدة». (١) فلما استأذنه مالك الاشر في معركة صفين ان يبيت (٢) معاوية، قال عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله نهى ان يبيت المشركون. وفي الواقع ان هذا الخلق قد توارثه بنوه من بعده، (٣) اذ كانوا اصحاب دين، وليسوا من الدنيا بسبيل، وانما يطلبونها ليقيموا عمود الدين بالامرة فيها، فلم يستقر لهم، والدنيا الى اهلها اميل». (٤)

ثالثاً:- لا يدعو الى المبارزة:

كان عليه السلام لا يدعو للمبارزة، ولكنه يستجيب اذا دعي اليها، والسبب «لان الداعي اليها باغ، والباغ مصروع». (٥) فقد ذكر عليه السلام الحكمة والعلّة، ومن خلال استقصاء السيرة الشريفة له عليه السلام لم نجده يوماً يدعو الى مبارزة وانما كان يدعى لها، ففي معركة بدر الكبرى دعا بنو ربيعة بن عبد شمس بنو هاشم للبراز، فخرج علي عليه السلام وقتل الوليد بن عتبة، (٦) واشترك مع حمزة في قتل عتبة بن ربيعة، (٧) اما

(١). الشرح ٢١١/١٠.

(٢). بيت العدو: اوقع به ليلاً، وبيت امراً: دبره ليلاً. انظر بن فارس: المعجم ص ١٤٠. الرازي: مختار الصحاح ص ٧٠.

(٣). انظر مواقف ابراهيم بن عبدالله بن الحسن مع المنصور، ابوالفرج: مقاتل الطالبيين ص ٢٢١ - ٢٢٣.

(٤). الشرح ٣١٣/٢ - ٣١٤.

(٥). الشرح ٦٠/١٩. وانظر نهج البلاغة ص ٥٠٩.

(٦). حاول البعض التقليل من شأن الوليد بن عتبة وشجاعته، وتصدى لتفنيد ذلك. الاسكافي المعتزلي: انظر الشرح ٢٩٢/١٣. الجاحظ: العثمانية ص ٥٩. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٢٩.

في معركة احد، فقد دعا طلحة بن ابي طلحة للبراز، فخرج له الامام وقتله،^(١) وكذلك يوم الخندق، دعا عمر بن عبد ود العامري للبراز فخرج له الامام وقتله،^(٢) وفي يوم خيبر^(٣) فدعا مرحب اليهودي للبراز فخرج اليه فقتله.^(٤)

رابعاً: التأكيد على الروح القتالية:

حيث يقول لولده حسن عليه السلام: «يا بني اذا بارزت احدا فحدث نفسك بقتله»، والامام هنا يشير الى جانب الروح المعنوية، فان المقاتل اذا برز لخصمه وهو يتصور انه سيتغلب عليه فانه سيزداد حماسة، اما اذا تصور، بأن العدو سيقتله، فان قواه ستتهار، وما يلبث ان ينهزم او يقتل. ولذلك كان عليه السلام يقول: «ما لقيت احدا الا واعاني على قتله».^(٥) وهنا يشير الامام الى ان الخصم يخشى الامام ويخافه، لذلك يزداد ضعفا مما يمكن الامام من قتله.

خامساً: عدم الاهتمام بالجانب المادي (الغنيمة):

كان هم الامام عليه السلام هو التخلص من العدو دون الاهتمام بما يخلفه من غنائم، ففي معرض اشارته لمبارزة سعد بن ابي وقاص لابي سعد بن ابي طلحة،

(٧). الشرح ١٣٠/١٤ - ١. وانظر الواقدي: المغازي ٦٩/١. ابن هشام: السيرة ٢٧٧/٢. الطبري / تاريخ ٤٤٥/٢.

(١). الشرح ٢٣٥/١٤ - ٦. وانظر: الواقدي: المغازي ٢٢٥/١ - ٦. ابن هشام: السيرة ١٢٧/٣. ١٥١.

(٢). الشرح ٦٠/١٩ - ٦٤. الواقدي: المغازي ٤٧٠/٢ - ١. ابن هشام: السيرة ٢٢٤/٣ - ٥. ابن حبيب: المحبر ص ١٧٥.

(٣). انظر الواقدي: المغازي ٦٥٥/٢. الطبري: تاريخ ١٢/٩. وقد نسب ابن اسحق مقتل مرحب لمحمد بن مسلمة الانصاري، انظر ابن هشام: السيرة ٣٣٣/٣ - ٤. الطبري: تاريخ ١٠/٣ - ١١. الحاكم: المستدرک ٣٩٤/٣.

(٤). الشرح ٦٠/١٩. وللتفصيل عن مواقف الامام في حروب الرسول صلى الله عليه وآله انظر: المفيد: الارشاد ص ٢٨ - ٦٤.

(٥). الشرح ٢٢٦/١٩. وانظر: نهج البلاغة ص ٥٣١.

وقتله اياه، ثم تأسفه على عدم قدرته على سلبه، حيث نهض سبيع بن عبد عوف، ونفر معه، فحالوا دون سعد، ودون سلبه، وكان سلبه اجود سلب رجل من المشركين على حد تعبير سعد بن ابي وقاص^(١) - علق ابن ابي الحديد قائلاً: «شتان بين علي وسعد! هذا يجاحش على السلب ويتأسف على فواته، وذلك يقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق، وهو فارس قريش وصنديدها ومبارزه، فيعرض عن سلبه وهو انفس سلب! فيقول: كرهت ان ابز السبي ثيابه،^(٢) فكأن حبيب عناه بقوله:

ان الاسود اسود الغاب همتهيلوم الكريهة في المسلوب لا السلب^(٣)
وبالاضافة لهذه الروح القتالية لدى الامام عليه السلام نجده يتميز بقوة جسدية يضرب لها المثل، حيث يقول ابن قتيبة^(٤): «ما صارع احدا قط الا صرعه»، وكان عليه السلام قد قلع باب خيبر الذي اجتمع عليه عدد من الناس ليقبلوه فلم يستطيعوا.^(٥) وقد اشار لذلك ابن ابي الحديد في شعره:

يا قالع الباب الذي عن هزها عجزت اكف اربعون واربع^(٦)

وبعد فتح مكة المشرفة صعد اعلى الكعبة حيث اكبر الاصنام - هبل - فاقتلعه والقاء

(١). الشرح ٢٣٧/١٤. وانظر: الواقدي: المغازي ٢٢٧/١.

(٢). الشرح ٢٣٧/١٤ - ٨. وانظر الحاكم: المستدرک ٣٥/٣. المفيد: الارشاد ص ٤١. البيهقي: السنن ١٨/٨.

(٣). الشرح ٢٣٨/١٤. وانظر ديوان ابي تمام حبيب بن اوس الطائي ص ١٧.

(٤). المعارف ص ٢١٠.

(٥). قال اليعقوبي: «واقتمع باب الحصن. وكان حجارة طوله اربع اذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع، فرمى به علي بن ابي طالب خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون». تاريخ اليعقوبي ٤٧/٢. وانظر ابن هشام: السيرة ٣٣٥/٣. المفيد: الارشاد ص ٥٠، ١٢٤. الخوارزمي: المناقب ص ١٠٦. الطبرسي: اعلام الوري ص ١٨١. الشهرستاني: الملل ٢٠٤/١. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٢٧. محب: الدين الرياض النظرة ٢٤٧/٢. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٧. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٥٠.

(٦). ابن ابي الحديد: القصائد السبع العلويات ص ٤٣.

الى الارض.^(١) وفي ايام خلافته اقتلع الصخرة العظيمة بيده بعد عجز الجيش كله عنها، وقد انبط الماء من تحتها.^(٢)

ولذا فقد هدد النبي ﷺ بني وليعة^(٣) قائلاً: «لتنتهين يا بني وليعة، او لأبعثن عليكم رجلا عديل نفسي، يقتل مقاتلكم، ويسبي ذراريكم»^(٤)

ونتيجة لذلك كانت الشعوب تتيمن بالامام خيرا «وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها، وبيوت عبادتها، حاملا سيفه، مشمرا لحربه، وتصور ملوك الترك والديلم صورته على اسيافها! كان على سيف عضد الدولة بن بوية،^(٥) وسيف ابيه ركن الدولة^(٦) صورته، وكان على سيف الب ارسلان^(٧) وابنه

(١). انظر: ابن اخي تبوك: مناقب علي بن ابي طالب ص ٤٢٩. الحاكم: المستدرك ٦/٣. الخوارزمي: المناقب ص ٧١. ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٣٤. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٤، ٢٧. محب الدين: الرياض النظرة ٢/٢٦٥ - ٦. ابن تيمية: منهاج السنة ٧/٣. الجويني: فرائد السمطين ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٢). الشرح ٢١/١، ٢٠٤/٣. وانظر المنقري: صفين ص ١٤٤ - ٥. المفيد: الارشاد ص ١٢٤ - ١٢٥. المرتضى: القصيدة المذهبة للسيد الحميري ص ١١١ - ٩. الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٦. الاربلي: كشف الغمة ١/٢٨٢ - ٣.

(٣). بطن من بطون كندة، وهي من القبائل القحطانية. الجوهري: الصحاح ٤/٣ - ١٣٠. ابن منظور: لسان العرب ١٠/٢٩٣. الفيروز آبادي: القاموس المحيط ٣/٩٧. كحالة: معجم قبائل العرب ٣/١٢٥٣.

(٤). الشرح ١/٢٩٤. وانظر سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٩ - ٤٠.

(٥). هو فنا خسرو بن الحسن بن بوية الديلمي المكنى ابو شجاع، احد الامراء البويهيون عرف بالادب وصنفت له بعض الكتب في اللغة والادب والتاريخ. توفي ببغداد سنة ٣٧٢ هـ. انظر: الثعالبي: يتيمة الدهر ٢/٢٥٧. ابن الاثير: الكامل ٨/٦٦٩ - ٧١١ (متفرقة) ٩/٥ - ١٨. ابن الطقطقي: الفخري ص ٤٠. الياضي: مرآة الجنان ٢/٢٩٨ - ٣٩٩. ابن كثير: البداية والنهاية ١١/٢٩٩ - ٣٠١. السيوطي: الوسائل ص ٧٨.

(٦). والد عضد الدولة ولد في ٢٨٤ وتوفي ٣٦٦ هـ. حكم الدولة البويهية (٤٤) سنة. انظر ابن الاثير: الكامل ٨/٣٦٠ - ٦٦٩ (متفرقة). ابن كثير: البداية والنهاية ١١/٢٨٨.

(٧). السلطان السلجوقي ابن جفري بك، تولى السلطة بعد عمه، طغرل بك، وكانت له معارك مع البيزنطيين اهمها معركة مانزكرت. قتل سنة ٤٦٥ هـ. انظر ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/١٠٦ - ١٠٧. عبدالقادر احمد اليوسف: الامبراطورية البيزنطية ص ١٤١ - ٣.

ملكشاه. (١) صورته، كأنهم يتفائلون به النصر والظفر». (٢)

واضاف ابن ابي الحديد قائلاً: «ما اقول في رجل احب كل واحد اين يتكثر به، وود كل احد اين يتجمل ويتحسن بالانتساب اليه، حتى الفتوة (٣) التي احسن ما قيل في حدها: الا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك، فان اربابها نسبوا انفسهم اليه، وصنفوا في ذلك كتباً، وجعلوا ذلك اسناداً انهوه اليه، وقصروه عليه، (٤) وسموه سيد الفتيان، وعضدوا مذهبهم اليه بالبيت المشهور المروي، انه سمع من السماء يوم احد:

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي (٥)

واخيراً اصبح الامام عليه السلام موضعاً لنسبة كثير من الوقائع والمشاهد الحربية، فكان ما يدعي له العامة من الشجاعة، وقتل الابطال حتى يقال انه حمل على سبعين الفاً فهزمهم، (٦) وقتل الجن في البئر، (٧) وقتل الطوق الحديدي في عنق احد الاشخاص. (٨)

ويخلص ابن ابي الحديد للقول: «وجملة الامر ان كل شجاع في الدنيا اليه ينتهي، وبأسمه ينادي في مشارق الارض ومغاربها». (٩)

(١). جلال الدين والدولة ابو الفتح ابن السلطان الب ارسلان، امتدت مملكته من اقصى بلاد الترك الى اليمن، توفي سنة ٤٨٥ هـ. اليافعي: مرآة الجنان ١٣٩/٣. ابن كثير: البداية والنهاية ١٤٢/١٢ - ١٤٣.

(٢). الشرح ٢٨/١ - ٢٩.

(٣). اسسه الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٧٨ هـ، وهدفه اعداد الفتيان للصيد والرياضة والحرب، وقد عممه الناصر على سائر الاقاليم. انظر الدسوقي: الفتوة عند العرب ص ٢٤.

(٤). انظر هذا السند في الدسوقي: الفتوة عند العرب ٢٤٠ - ٢٤٣.

(٥). الشرح ٢٩/١. وانظر مصادره في ما مضى من هذا الفصل.

(٦). ربما يقصد حملات الامام في صفين.

(٧). انظر المفيد: الارشاد ١٢٦ - ١٢٧. الطبرسي: اعلام الورى ص ١٨٠ - ١٨١. وينسب للامام شعر في هذا الباب. انظر ديوان الامام علي ص ١٤.

(٨). الشرح ١٠٦/١٨.

(٩). الشرح ٢١/١. ومع كل هذه الادلة على شجاعة الامام نجد البعض قد حاول التهميه على

ان من مميزات البطل الشجاع -الصفح والحلم- فكان عليه السلام احلم الناس عن ذنب، واصفحهم عن مسيء، وقد ظهر صحة ذلك في معاركة، فبعد معركة الجمل ظفر بمروان بن الحكم،^(١) وكان من اكثر الناس عداوة له، واشدهم بغضاً فصفح عنه، وكان عبدالله بن الزبير يشتمه على رؤوس الاشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: قد اتاكم الوغد اللثيم علي بن ابي طالب، وكان الامام عليه السلام يقول: ما زال الزبير رجلاً منا اهل البيت حتى شب عبدالله.^(٢) فظفر به يوم الجمل واخذه اسيراً، وصفح عنه قائلاً «اذهب فلا ارينك» لم يزد علي ذلك. وظفر الامام علي عليه السلام بسعيد بن العاص بعد معركة الجمل في مكة،^(٣) وكان له عدواً فاعرض عنه ولم يقل له شيئاً.^(٤)

وتجلى حلمه عليه السلام في موقفه من ام المؤمنين عائشة (رض)، حيث اكرمها وبعثها الى المدينة بصحبة عشرين امرأة من بني عبدالمطلب عممهن بالعمائم وقلدهن السيوف،^(٥) فلما وصلت المدينة القى النساء العمائم وقلن لها: انما نحن نسوة.^(٦)

وظهر حلمه وصفحته تجاه من حاربه من اهل البصرة، وشتموه ولعنوه فلما ظفر بهم رفع السيوف عنهم، ونادى مناديه في اقطار العسكر: «الا يتبع مولى، ولا

ذلك واعتبار ذلك تهوراً وليس شجاعة. وللتفاصيل انظر الشرح ٢٨٤/٣ - ٦. الجاحظ: العثمانية ص ٤٧. الاسكافي: تقض العثمانية ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

(١). ان الدراسة المتعمقة لاحداث الفتنة تشير الى ان مروان هو المسؤول عن النهاية الاليمة للخليفة عثمان بن عفان (رض). الشرح ١٤٢/٢ - ١٥٦. وانظر الطبري: التاريخ ٣٢٩/٤ - ٣٩٦.

(٢). عقد ابن ابي الحديد فصلاً عن سيرة عبدالله بن الزبير. الشرح ١٠٢/٢٠ - ١٤٩.

(٣). لم يعرف عن الامام انه ذهب الى مكة بعد توليه الخلافة حتى استشهاده عليه السلام.

(٤). الشرح ٢٢/١ - ٢٣.

(٥). هل ياترى اكتفى الامام بهذا العدد من النساء، لكي يسرن مع ام المؤمنين عبر الصحراء من البصرة الى المدينة؟ وما الضير من ارسال الامام للرجال بصحبة النساء؟ وهو الاولى؟ ثم

كيف لم يكتشف وضع النساء طوال الطريق، واحوال النساء معروفة؟

(٦). الشرح ٨٣/١.

يجهز على جريح، ولا يقتل مستأسر، ومن القى سلاحه فهو آمن، ومن تحيز الى
عسكر الامام فهو آمن» ولم يأخذ ائقالمهم ولا سبى ذرارهم، ولا غنم شيئاً من
اموالهم ولو شاء ان يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه ابى الا الصفع والعفو، وتقبل سنة
الرسول ﷺ يوم فتح مكة، فانه عفى والاحقاد لم تبرد، والاساءة لم تنس.^(١)
وقبيل معركة صفين سيطر معاوية على شريعة الفرات فاغتنمها فرصة
للقضاء على الامام علي عليه السلام وجنده بالعطش، ولما سألهم الماء قال: لا والله ولا
قطرة حتى تموت ضمناً، فادرك انه لا مناص من استخدام القوة، لذا حمل على
عسكر معاوية وازاحه عن الفرات، واصبح الماء باكملة لدى اصحاب الامام
علي عليه السلام، هنا قال اصحابه له: امنعهم الماء يا امير المؤمنين كما منعوك، ولا تسقمهم
منه قطرة، واقتلهم بسيف العطش، وخذهم قبضاً بالايدي فلا حاجة بك الى
الحرب. فقال عليه السلام: لا والله، لا اكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة،
ففي حد السيف ما يغني عن ذلك، «فهذه ان نسبتها الى اللحم والصفح فناهيك بها
جمالاً وحسناً، وان نسبتها الى الدين والورع فاخلق بمثلها ان تصدر عن
مثله عليه السلام». ^(٢)

لقد كانت الدعاية المضللة التي يبثها معاوية واتباعه في اهل الشام، لتشوية
سمعة الامام علي عليه السلام بمكان، والا فهذا الموقف منه كفيلاً بأن يفتح بصائر اهل
الشام عن حقيقة الامام وبطلان دعاوى معاوية.

وكان عليه السلام الغاية في -الصبر- فالذي يقرأ احواله عليه السلام عند وفاء
الرسول ﷺ وفاطمة عليها السلام وما جرى من احداث الى ايام خلافته عليه السلام ثم ما مني به
من خروج بعض الصحابة عليه، وتخاذل اصحابه، حتى عاد البطل الضرغام يقف

(١). الشرح ٢٣/١ - ٢٤ - ٢٥٠. وانظر تفاصيل اكثر في الفصل الرابع.
(٢). الشرح ٢٣/١ - ٢٤ - ٣١٣/٢. وانظر تفاصيل اكثر في الفصل الرابع.

حائراً امام اعدائه الذين اخذوا يغيرون على المدن كغارات الثعالب.^(١)
وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وقف على قبره فقال: ان الصبر لجميل الا عنك، وان
الجزع لقبيح الا عليك، وان المصاب بك لجليل، وانه قبلك وبعذك لجلل.^(٢)
ويؤثر عنه قوله بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام: -

ذكرت ابا اروى فبت كأنني برد الهوم الماضيات وكيل
لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وان افتقادي فاطما بعد احمد دليل على ان لا يدوم خليل^(٣)
وروي انه عليه السلام مر على قبر فاطمة عليها السلام فقال:

مالي مررت على القبور مسلماً
قبر الحبيب فلم يرد جواب
يا قبر مالك لا تجيب منادياً
امللت بعدي خلة الاحباب
قال الحبيب وكيف لي بجوابكم
وانا رهين جنادل وتراب
اكل التراب محاسني فنسيتكم
وحجبت عن اهلي وعن اترابي
فعليكم مني السلام تقطعت
مني ومنكم خلة الاحباب^(٤)

(١). انظر لمزيد من التفاصيل الفصل الرابع.
(٢). الشرح ١٩٥/١٩. انظر الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٥٢٧. المحمودي: نهج السعادة ٣٧/١-٨.

(٣). الشرح ٢٨٨/١٠. وانظر المبرد: الكامل ٣٠/٤. الحاكم: المستدرك ١٧٩/٣.
(٤). الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٧.

اما في - التواضع - فكان اشد الناس تواضعاً لصغير وكبير، والينهم عريكة واسمهم خلقاً، وابعدهم عن الكبر، واعرفهم بالحق، هذه الصفات كانت ماثلة لديه قبل توليه الخلافة وبعدها «لم تغيره الامرة، ولا احالت خلقه الرياسة، وكيف تحيل الرياسة خلقه وما زال رئيساً! وكيف تغير الامرة سجيته وما برح اميراً! لم يستفد بالخلافة شرفاً، ولا اكتسب بها زينة! بل هو كما قال ابو عبدالله احمد بن حنبل: «ان علياً لم تزنه الخلافة ولكنه زانها» هذا يعني ان غيره قد ازدان بالخلافة واكملت نقصه، اما الامام فلم يكن فيه نقص يحتاج الخلافة لاتمامه، بل كانت الخلافة ذاتها فيها نقص فتم نقصها بولايته اياها»^(١).

كان عليه السلام كثيراً ما يتحدث عن نعم الله تعالى عليه، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٢)، فنسبه البعض عن قصد او غير قصد للتيه والزهو^(٣) والفخر. حيث لما قيل لعمر بن الخطاب: ول علياً امر الجيش والحرب، قال: هو اتيه من ذلك. وكان زيد بن ثابت يقول: ما رأينا ازهى من علي واسامة بن زيد.^(٤) قال ابن ابي الحديد: «ان من قيل في وصفه ما قيل، لو رقي الى السماء وعرج في الهواء، وفخر على الملائكة والانبياء، تعظماً وتبجحاً؛ لم يكن ملوماً؛ بل كان بذلك جديراً؛ فكيف وهو عليه السلام لم يسلك قط مسلك التعظيم والتكبر في شيء من اقواله ولا من افعاله، وكان الطف البشر خلقاً، واکرمهم طبعاً، واشدهم تواضعاً، واكثرهم احتمالاً، واحسنهم بشراً، واطلقهم وجهاً، حتى نسبه من نسبه الى الدعابة

(١). الشرح ٥١/١ - ٥٢.

(٢). سورة الضحى: الآية ١١.

(٣). التيه والزهو هو التكبر: الرازي: مختار الصحاح ص ٨١، ٢٧٧.

(٤). الظاهر ان نسبة التيه الى اسامة جاءت من تعيينه من قبل الرسول صلوات الله عليه وآله اميراً على الجيش الاسلامي الخارج لمحاربة الروم. وفيه عدد من كبار الصحابة. الشرح ١٨٢/١٧ وما بعده. انظر الواقدي: المغازي ١١١٨/٣. ابن هشام: السيرة ٢٩١/٤ - ٢٩٩. يعقوبي ١٠٣/٢. الطبري: التاريخ ١٨٤/٣. القاضي عبدالجبار: المغني ٣٤٣/١/٢٠ - ٩.

والمزاح، وهما خلقان ينافيان التكبر والاستطالة»^(١).

ولقد اوضح ابن ابي الحديد^(٢) الدافع الذي يدفع الامام لذكر نعم الله عليه وهو «انما كان يذكر احياناً ما يذكره من هذا النوع، نفثة مصدور، وشكوى مكروب، وتنفس مهموم، ولا يقصد به اذا ذكره الا شكر النعمة، وتنبيه الغافل على ما خصه الله به من الفضيلة، فان ذلك من باب الامر بالمعروف والحض على اعتقاد الحق والصواب في امره، والنهي عن المنكر، الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿أفمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدي فما لكم كيف تحكمون﴾^(٣).

ان النص اعلاه يشير الى مسألة تقديم المفضل على الافضل، والملاحظ ان الامام عليه السلام يعتبر ذلك من باب المنكر لذا ينهي عنه، ويذكر الامام فضائله التي هي «اعتقاد الحق والصواب» بكونه الافضل، مستشهداً بالنص القرآني الذي يؤكد على تقديم الافضل. اذن اذا كان تقديم المفضل على الافضل برؤية الامام التي ادلى بها ابن ابي الحديد شيئاً منكراً لذلك كان الامام عليه السلام ينهي عنه، اذ ما معنى اعتقاد ابن ابي الحديد بجواز امامة المفضل مع وجود الافضل؟ اخذين بنظر الاعتبار رؤية ابن ابي الحديد، ومن سبقه من معتزلة بغداد بأن مصدرهم الاول هو الامام علي عليه السلام^(٤).

وكان عليه السلام معروفاً في السخاء والجود، فنراه سخياً في اشد الحالات صعوبة، حيث نجده صائماً، يؤثر بزاده ويبقى طاوياً، حتى نزل به قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً واسيراً، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً

(١). الشرح ١٧٤/٩ - ١٧٥.

(٢). الشرح ١٧٥/٩.

(٣). سورة يونس: الآية ٣٥.

(٤). انظر رؤية المعتزلة في التفضيل في المدخل وفي الفصل الرابع

ولا شكورا^(١). ونزل فيه ايضاً: ﴿الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً
وعلانية﴾^(٢). حيث روى المفسرون انه كان الامام علي عليه السلام يملك اربعة دراهم،
فتصدق بدرهم ليلاً وآخر نهاراً، وبالثالث سراً، وبالرابع علانية^(٣).
وكان عليه السلام يسقي بيده نخل قوم من اليهود، حتى مجلت^(٤) يداه، ويتصدق
بالاجرة، ويشد على بطنه حجراً. ولقد قال فيه الشعبي: كان علي اسخى الناس،
كان على الخلق الذي يحبه الله: السخاء والجود: ما قال لسائل: لا قط.^(٥) وقال
معاوية وهو عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه لمحفن بن ابي محفن
الضبي،^(٦) قال الاخير: جئتك من عند ابخل الناس. فقال معاوية: ويحك! كيف
تقول ابخل الناس، لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن، لانفد تبره قبل تبنه.^(٧)
وكان عليه السلام - سيد الزهاد وبدل الابدال^(٨) - قاله في هذا الباب تشد الرحال،
وعنده تنفض الاحلاس.^(٩) فهو الذي ما شبع من طعام قط، وكان عليه السلام اخشن

(١). سورة الانسان: الآيات ٩ - ١٠. انظر القاضي: المغني ٦٢/٢/٢٠. الطوسي: التبيان
٢١١/١٠. الزمخشري: الكشاف ٦٧٠/٤. القرطبي: الجامع ١٢٨/١٩ - ١٣٣. ابن كثير: البداية
والنهاية ٣٥٩/٧.

(٢). سورة البقرة: الآية ٢٧٤.

(٣). انظر الواحدي: اسباب النزول ص ٥٨. الطوسي: التبيان ٣٥٧/٢. الشعالي: الجواهر
الحسان ٢٢٣/١. الزمخشري: الكشاف ٣١٩/١. القرطبي: الجامع ٣٤٧/٣. وانظر الاسكافي:
نقض العثمانية ص ٣١٩. سبط ابن جوزي: تذكرة ص ١٣ - ١٤. ابن تيمية: منهاج السنة ٦٢/٤.
الجويني: فرائد ٣٥٦/١. القسطلاني: ارشاد الساري ٢٦/٣.

(٤). المجل: ان يكون بين الجلد واللحم ماء، او هي قشرة رقيقة يجتمع فيها ماء من اثر العمل.
ابن فارس: المعجم ٨٢٣/٣. الفيروز آبادي: القلموس ٤٩/٤.

(٥). الشرح ٢١/١ - ٢٢.

(٦). لم أجد له ترجمة.

(٧). الشرح ٢٢/١. وانظر ابن قتيبة: الامامة والسياسة ص ٨٦.

(٨). الابدال قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم فاذا مات احدهم استبدله الله باخر. الرازي:
مختار الصحاح ص ٤٤.

(٩). جلس البيت: كساه ببسط تحته حر الثياب. ابن فارس: المعجم ٢٤٨/١. الرازي: مختار
الصحاح ص ١٤٩.

الناس ملبساً وما كلاً، دخل عليه احد اصحابه يوم عيد فقدم اليه جراباً^(١) مختوماً فيه خبز شعير يابس مرضوض ، فأكل عليه السلام منه، فقال له: يا امير المؤمنين، فلماذا تختمه فقال: خفت هذين الولدين ان يلتاه^(٢) بسمن او زيت. وكان ثوبه عليه السلام مرقوعاً تارة بجلد واخرى بليف، ونعلاه من ليف، ويلبس الكرباس^(٣) الغليظ، فاذا وجد كمه طويلاً قطعه شفره، ولم يخطه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمه له. وكان يأتدم اذا أتندم بخل او ملح، فان ترقى عن ذلك فبعض نبات الارض، فان ارتفع عن ذلك فبقليل من البان الابل. وكان عليه السلام لا يأكل من اللحم الا قليلاً، حيث يقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوان. ومع ذلك كان اشد الناس قوة، واعظمهم ايداً، لا ينقض الجوع قوته ولا يخون الاقلال منته. وهو الذي طلق الدنيا، وكانت الاموال تجبى اليه من جميع بلاد الاسلام ما عدا الشام، فكان يفرقها^(٤) ويقول:

هذا جناي وخياره فيه اذ كل جانٍ يده الى فيه

ولما سئل عليه السلام: لم ترقع قميصك؟ قال: ليخشع القلب، ويهتدي بي

المؤمنون.^(٥)

وكان عليه السلام بعد ان يوزع الاموال يصلي في بيت المال، ويقول: يا صفراء يا

بيضاء غري غيري، وهو الذي لم يخلف ميراثاً،^(٦) وكانت الدنيا بيده ما عدا

(١). هو المزود او الوعاء. الفيروز آبادي: القاموس ٤٥/١.

(٢). اللت هو الدق والشد والفت والسحق، واللات سمي بالذي كان يلت عنده السويق بالسمن. الفيروز آبادي: القاموس ١٥٦/١.

(٣). ثوب من القطن الابيض، والبائع له يدعى الكرابيسي، وهو لفظ معرب. ابن منظور: لسان العرب ٧٨/٨ - ٩.

(٤). الشرح ٢٦/١.

(٥). الشرح ٢٣٥/٩ - ٦. الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٤٨٦. وانظر البلاذري: انساب الاشراف ١٢٩/٢. الزمخشري: ربيع الابرار ١٢٨/٤. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٣١٨/١.

(٦). قال الحسن بن علي بعد استشهاده الامام عليه السلام: «لقد قبض في هذه الليلة رجل ما خلف صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم بقيت من عطائه اراد ان يبتاع بها خادماً لاهله» ابوالفرج:

الشام. (١)

وفي شرحه لقوله عليه السلام: والله لدنياكم هذه اهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم. قال ابن ابي الحديد: لعمرى لقد صدق - وما زال صادقا - حيث ان من تأمل سيرته في حالتي خلوه من العمل وولايته الخلافة عرف صحة هذا القول. (٢)

ويخلص ابن ابي الحديد للقول في امر الاموال: ان امير المؤمنين عليه السلام لم يكن يذهب في خلافته مذهب الملوك الذين يصنعون بالاموال ويصرفونها في مصالح ملكهم، وملاذ انفسهم، وانه عليه السلام لم يكن من اهل الدنيا وانما كان رجلا متألها صاحب حق، لا يريد بالله ورسوله بدلا. (٣)

ويروى انه عليه السلام علم بأن قاضيه - شريح بن الحارث (٤) - اشترى دارا بشمانين دينارا، فنظر اليه عليه السلام نظر مغضب وقال: «يا شريح، اما انه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسألك عن بيتك، حتى يخرجك منها شاخصا، ويسلمك الى قبرك خالسا. فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، او نقدت الثمن من غير حلالك، فاذا انت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة. اما انك لو كنت اتيتني عند شرائك ما اشتريت، لكتبت اليك كتابا على هذه النسخة...» (٥)

وبعد ان اورد ابن ابي الحديد نص الصيغة التي كتبها الامام الى شريح علق قائلاً: وموضع الاستحسان من هذا الفصل - وان كان كله حسنا - امران: احدهما:

مقاتل الطالبين ص ٣٢ - ٣٣.

(١). الشرح ٢٢/١.

(٢). الشرح ٦٧/١٩. انظر نهج البلاغة ص ٥١٠.

(٣). الشرح ٢٠٢/٢ - ٢٠٣.

(٤). هو شريح بن الحارث بن قيس الكندي، تولى قضاء الكوفة في خلافة عمر وعثمان (رض) وعلي عليه السلام ومعاوية، توفي سنة ٧٨ هـ. انظر ابونعيم: حلية الاولياء ١٣٢/٤ - ١٤١. ابن حجر: الاصابة ١٤٦/٢.

(٥). الشرح ٢٧/١٤. وانظر سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٤٩ - ١٥٠.

انه عليه السلام نظر اليه نظر مغضب، انكارا لاتباعه دارا بثمانين دينارا. وهذا يدل على زهد شديد في الدنيا عند الامام واستكثار للقليل منها، ونسبه هذا المشتري للاسراف، وخوف من ان يكون اتباعها بمال حرام.

الثاني: انه املى عليه كتابا زهديا وعظيا، مماثلا لكتب الشروط التي تكتب في ابتياع الاملاك.^(١)

ان زهد كهذا آثار اعجاب ابن ابي الحديد «فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة... وخرج ازهد الناس في الدنيا، وأعفهم، مع ان قريشا ذوو حرص ومحبة للدنيا...».^(٢)

ولكن اذا كان الامام عليه السلام على هذه الدرجة من الزهد، فما معنى قوله: «وانتظرنا الغير انتظار المجذب المطر»، اليس هذا الكلام يدل على ترقبه الفرصة لتولي الخلافة وهذا لا يطابق كلامه في طلاقه للدنيا.

والواقع انه عليه السلام طلق الدنيا لا يقبل منها حظاً دنيوياً، وهذا لا يعني ان لا ينهى عن المنكر واقامة الدين، ولا سبيل لذلك الا بتولي الخلافة.^(٣) وقد عابت العثمانية^(٤) على الامام عليه السلام بأنه خلف عقاراً كثيراً، أي نخلاً بينما مات ابوبكر ولم يخلف ديناراً ولا درهماً.

هذه الرؤية فندها ابن ابي الحديد بقوله: «قد علم كل احد ان علياً عليه السلام استخرج عيوناً بكده بالمدينة، وينبع،^(٥) وسويعة،^(٦) واحيا بها مواتاً^(٧) كثيراً، ثم

(١). الشرح ٣٠/١٤ - ٣١.

(٢). الشرح ١٤٦/١٦.

(٣). الشرح ١٥٢/٩ - ١٥٣. انظر نهج البلاغة ص ٢١٢.

(٤). هم المناصرون لقضية الخليفة عثمان بن عفان (رض) والمؤيدون لمعاوية. وقد وضع الجاحظ رسالة باسم العثمانية فصل فيها اراء العثمانية. وقد رد عليه الاسكافي في كتاب اسماه نقض العثمانية. والكتابان مطبوعان. انظر رسائل الجاحظ السياسية ص ١٩٢ - ٢. وانظر: بلقاسم

الغالي: الجانب الاعتزالي عند الجاحظ ص ٣٢٨ - ٣٣١.

(٥). تقع بين مكة والمدينة ذات نخل وزروع وعيون وماء عذبة غزيرة. انظر عرام بن الاصمغ

اخرجها من ملكه، وتصدق بها على المسلمين، ولم يمت وشيء منها في ملكه، الا ترى الى ما تضمنته كتب السير والاخبار من منازعة زيد بن علي^(٨) وعبدالله بن الحسن^(٩) في صدقات علي^{عليه السلام}،^(١٠) ولم يورث علي^{عليه السلام} بنيه قليلاً من المال ولا كثيراً الا عبيده وامائه وسبعمائة درهم من عطائه،^(١١) تركها ليشتري بها خادماً لاهله قيمتها ثمانية وعشرون ديناراً على حسب المائة اربعة دنانير، وهكذا كانت المعاملة بالدراهم اذ ذاك، وانما لم يترك ابوبكر قليلاً ولا كثيراً لانه ما عاش، ولو عاش لترك. الا ترى ان عمراً اصدق ام كلثوم اربعين الف درهم،^(١٢) ودفعها اليها! وذلك لان هؤلاء طالت اعمارهم، فمنهم من درت عليه اخلاف التجارة^(١٣) ومنهم

السلمي: اسماء جبال مكة وتهمامة، منشور ضمن نوادر المخطوطات ٣٩٧/٢ - ٨. الحموي: معجم البلدان ٤٤٩/٥ - ٤٥٠.

٦. موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن ابي طالب زمن ياقوت الحموي. انظر الحموي: معجم البلدان ٢٨٦/٣.

٧. الارض الموات: هي الارض المتروكة والتي يحتاج زرعها الى استصلاح. مالك ابن انس: الموطأ ٢٨٧/٢ - ٨. البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٥٣. الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ٢٥٥. الجرجاني: التعريفات ص ١٢٣.

٨. هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، قتل في الكوفة سنة ١٢١ هـ على يد والي الكوفة يوسف بن عمرو ايام هشام بن عبد الملك ويعرف بزيد الشهيد، وتنسب اليه الفرقة الزيدية انظر: يعقوبي: تاريخ ٧٣/٢ - ٧٥. ابوالفرج: مقاتل الطالبين ص ٨٦ - ١٠٢.

٩. عبدالله بن الحسن بن علي بن ابي طالب المعروف بالمحض لانه اول من ولد من الحسن والحسين وعرف بالفضل والحسن والمنطق، مات في حبس الهاشمية حيث حبسه المنصور بسبب تغيب ولده محمد ذوالنفس الزكية. الطبري ٥٣٩/٧ - ٥٥١. ابوالفرج: مقاتل الطالبين ص ١٢٢ - ١٢٥.

١٠. ابوالفرج: مقاتل الطالبين ص ٩٠.

١١. ابوالفرج: مقاتل الطالبين ص ٣٣.

١٢. انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١٩٥٥/٤. ابن الاثير: اسد الغابة ٦١٥/٥. ابن حجر: الاصابة ٤٩٢/٤.

١٣. مثال ذلك عبدالرحمن بن عوف. انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٨٤٧/٢. ابن حجر: الاصابة ٤١٦/٢. وكانت تركة الزبير (مائة الف وسبعمائة الف وكان له اربع نسوة حصة احدهن من الميراث الف الف ومائة الف) انظر ابن سعد: الطبقات ١٠٩/٣ - ١٠. ابن عبد ربه: العقد القرين ٣٢٤/٤. اما الطبري فيرى أنها قسمت على اربعين الف الف. المنتخب ص ٥٠٧.

من كان يستعمر الارض ويزرعها،^(١) ومنهم من استفضل من رزقه من الفيء».^(٢) مضافاً لذلك ان الامام علي عليه السلام فضلهم لانه كان يعمل بيده، ويحراث الارض ويستقي الماء، فيغرس النخل، كل ذلك يباشره بنفسه الشريفة، ومع ذلك فانه لم يستبق لاني نفسه ولا لاولاده قليلاً ولا كثيراً، وانما جعلها صدقة.^(٣)

والمعروف ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد توفي وله ضياع كثيرة في خيبر وفدك وبني النضير، وكان له صلى الله عليه وسلم وادي نخلة وغيره بالطائف، فصارت بعد موته صدقة بالخبر الذي رواه ابوبكر (رض)،^(٤) فاذا كان علي معاباً في تركه ضياع فكذلك صدقة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا كفر والحاد؛ ثم اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ترك تلك الضياع صدقة، فذلك لم يروه الا شخص واحد من المسلمين، اما ترك الامام علي ضياعه صدقة فقد رواه جميع المسلمين بالمدينة. فالتهمة في هذا الباب ابعد على حد تعبير ابن ابي الحديد.^(٥)

وفيما يخص سجاجة الاخلاق، وبشر الوجه، وطلاق المحيا والتبسم فهو المضروب به المثل. قال صعصعة بن صوحان واصفاً الامام: «كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهايه مهابة الاسير المربوط للسياق الواقف على رأسه». وقال معاوية لقيس بن سعد^(٦): «رحم الله ابا حسن، فلقد كان هشاً بشاً ذا فكاهة فعلم قيس مراد معاوية فقال: نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزح

وانظر امثلة اخرى في: نجمان ياسين: تطور الاوضاع الاقتصادية ص ٢٥٨ - ٢٦١.

(١). وكان للزبير خطط بالاسكندرية والكوفة والبصرة وغلات بالمدينة. ابن سعد: الطبقات

١١٠/٣. انظر نجمان ياسين: تطور الاوضاع الاقتصادية ص ٢٥٢ - ٢٥٨.

(٢). الشرح ١٤٦/١٥.

(٣). الشرح ١٤٧/١٥.

(٤). انظر مسألة فدك في الفصل الثاني.

(٥). الشرح ١٤٧/١٥.

(٦). قيس بن سعد بن عباد الخزرجي من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والامام علي. واحد دهاء

العرب. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٢٨٩/٣ - ١٢٩٣. ابن حجر: الاصابة ٢٤٩/٣.

ويبتسم الى اصحابه: وارك تسر حسواً في ارتغاء،^(١) وتعيبه بذلك! اما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة، اهيب من ذي لبدتين قد مسه الطوى؛ تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طعام اهل الشام».^(٢)

هذا الخلق بقي متوارثاً في محبي الامام واوليائه في الوقت الذي بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الاخر، حتى ان من له ادنى معرفة باخلاق الناس يعرف ذلك.^(٣)

وعد ابن ابي الحديد موافقة الامام على مشاركة - اوس بن خولي - وهو من الانصار في تجهيز الرسول ﷺ ودفنه دليلاً على كرم الامام، وسجاجة اخلاقه، وطهارة شيمته، حيث لم يرض بهذا المقام الشريف عن اوس بن خولي الانصاري! فكم بين هذه السجية الشريفة وبين قول القائل: لو استقبلت من امري ما استدبرت ما غسل الرسول ﷺ الا نساؤه ولو كان في ذلك المقام غير الامام من ذوي الطباع الخشنة وارباب الفظاظ والغلظة، وقد سأل اوس عن ذلك - لزجر وانتهر ورجع خائباً.^(٤)

ان الدعابة من مميزات كثير من الحكماء والعلماء، وهي دعابة مقتصدة لا مسرفة لأن الاسراف يخرج صاحبه الى الخلاعة،^(٥) ولكن هذه الفضيلة التي امتاز بها الامام علي عليه السلام اعتبرت من قبل البعض منقصة، حيث جعلها عمر بن الخطاب (رض) السبب الذي يمنعه من ان يعهد بالخلافة للامام قائلاً له: لله انت،

(١). مثل يضرب لمن يقول شيئاً ويريد غيره. انظر الميداني: مجمع الامثال ٨٩/١. ابن منظور:

لسان العرب ٤٦/١٩، مادة (رغا). النويري: نهاية الارب ٦٠/٣.

(٢). الشرح ٢٥/١.

(٣). الشرح ٢٦/١.

(٤). الشرح ٤٠/١٣ - ٤١.

(٥). الشرح ١٦/١٩. وقد كتب روكس العزيزي مقالاً رائعاً اوضح فيه ان الدعابة من الصفات

الطيبة المطلوبة في رجال المجتمع. انظر الامام علي عليه السلام وقديسه ص ١٧٨ - ١٨٢.

لولا دعاية فيك. (١)

وقد وظف - عمرو بن العاص - رؤية عمر بن الخطاب (رض) هذه في صراعه مع الامام علي عليه السلام حيث قال لاهل الشام: ان الامام ذو دعاية شديدة يعافس ويمارس النساء، مما دعا الامام علي عليه السلام للرد عليه قائلاً: عجبا لابن النابغة! يزعم لاهل الشام ان في دعايه، واني امرؤ تلعبه اعافس وامارس! لقد قال باطلاً ونطق آثماً. (٢)

لقد اوضح ابن ابي الحديد السبب الذي دفع عمر بن الخطاب (رض) لاعتبار دعاية الامام منقصة قائلاً: «واعلم ان الرجل ذا الخلق المخصوص، لا يرى الفضيلة الا في ذلك الخلق، الا ترى ان الرجل يبخل فيعتقد ان الفضيلة في الامساك والبخيل يعيب اهل السماح والجود، وينسبهم الى التبذير، واضاعه الحزم، وكذلك الرجل الجواد يعيب البخلاء وينسبهم الى ضيق النفس وسوء الظن وحب المال، والجبان يعتقد ان الفضيلة في الجبن، ويعيب الشجاعة، ويعتقد كونها خرقاً وتغريراً بالنفس: كما قال المتنبي:

يرى الجبناء ان الجبن حزم (٣)

والشجاع يعيب الجبان، وينسبه الى الضعف ويعتقد ان الجبن ذل ومهانة! وهكذا القول في جميع الاخلاق والسجايا المقتسمة بين نوع الانسان». (٤)
واضاف قائلاً «ولما كان عمر (رض) شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس، دائم العبوس، كان يعتقد ان ذلك هو الفضيلة، وان خلافة نقص، ولو كان سهلاً طلقاً مطبوعاً على البشاشة، وسماحة الخلق، لكان يعتقد ان ذلك هو الفضيلة

(١). الشرح ١/٢٥١، ١٨٦، ٦/٣٢٦.

(٢). الشرح ١/٢٥١، ٦/٢٨٠. وانظر: نص النهج ص ١١٥. ابن الاثير: النهاية ١/١٩٤.

(٣). ديوان المتنبي ص ٣٢٤. وعجزه: وتلك خديعة الطبع اللثيم.

(٤). الشرح ٦/٣٢٧.

وان خلافة نقص، حتى لو قدرنا ان خلقه حاصل لعلي عليه السلام وخلق علي حاصل له، لقال في علي: لولا شراسة فيه، فهو غير ملوم عندي فيما قاله، ولا منسوب الى انه اراد الغض من علي، والقدح فيه، ولكنه اخبر عن خلقه، ظاناً ان الخلافة لا تصلح الا لشديد الشكيمة، العظيم الوعورة، ولمقتضى ما كان يظنه من هذا المعنى تم خلافة ابي بكر بمشاركته اياه في جميع تدابيراته وسياسته وسائر احواله. ^(١) لرفق وسهولة كانت في اخلاق ابي بكر، وبمقتضى هذا الخلق المتمكن عنده، كان يشير على رسول الله صلى الله عليه وآله في مقامات كثيرة، وخطوب متعددة، بقتل قوم كان يرى قتلهم، وكان النبي صلى الله عليه وآله يرى استبقائهم واستصلاحهم، فلم يقبل عليه السلام مشورته على هذا الخلق». ^(٢)

كان الخليفة عمر صعباً، عظيم الهيبة، شديد السياسة، لا يميل الى احد ولا يراقب شريفاً او مشروفاً، ولذا فأكابر الصحابة كانوا يتفادون لقائه. ^(٣) وكان في اخلاقه والفاظه خشونة ظاهرة، يحسبه السامع لها انه اراد بها ما لم يكن قد اراد، ويفهم من تحكى له انه قصد به ظاهراً ما لم يقصده كالكلمة التي قالها في مرض الرسول صلى الله عليه وآله، ^(٤) ومعاذ الله ان يقصد بها ظاهرها ولكنه ارسلها على مقتضى خشونة غريزته، ولم يتحفظ منها، وكان الاحسن ان يقول مغموراً او مغلوباً بالمرض، وحاشاه ان يعني بها غير ذلك. ^(٥)

وفي تعقبة علي وصف عمر (رض) لبيعة ابي بكر (رض) بأنها فلتة وقى الله

(١). ان استقراء الروايات التاريخية توضح ان عمر بن الخطاب كان بمثابة الوزير للخليفة ابي بكر، ومن بين ذلك طلب الخليفة من اسامة بن زيد امير الجيش الخارج لحرب الروم البيزنطيين بان يسمح الى عمر بن الخطاب بالبقاء مع الخليفة. انظر الشرح ١٧٥/١٧-٦.

(٢). الشرح ٣٢٧/٦-٣٢٨.

(٣). الشرح ١٧٣/١-١٨٣.

(٤). البخاري: الصحيح ٦٥/١-٦٦.

(٥). الشرح ١٨٣/١.

شرها.^(١) قال ابن ابي الحديد: «اعلم ان هذه اللفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ما جبله الله تعالى عليه من غلظ الطينة، وجفاء الطبيعة، ولا حيلة له فيها، لانه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها، ولا ريب عندنا انه كان يتعاطى ان يتلطف، وان يخرج الفاظه مخارج حسنة لطيفة، فينزع به الطبع الجاسي، والغريزة الغليظة، الى امثال هذه اللفظات، ولا يقصد بها سوءاً، ولا يريد بها ذماً، ولا تخطئه، كما قدمنا من قبل في اللفظة التي قالها في مرض الرسول ﷺ وكاللفظات التي قالها عام الحديبية^(٢) وغير ذلك، والله تعالى لا يجازي المكلف الا بما نواه، ولقد كانت نيته من اطهر النيات، واخلصها لله سبحانه وللمسلمين، ومن انصف علم ان هذا الكلام حق».^(٣)

لما وقع بعض المشركين اسرى يوم بدر، اشارت الروايات ان الرسول ﷺ استشار المسلمين في امرهم، فكان رأي ابي بكر (رض) الفداء، فيما اشار عمر بن الخطاب (رض) بالقتل،^(٤) قال ابن ابي الحديد: فكان الصواب مع عمر ونزل

- (١). الشرح ٢٦٧/٢ - ٢٧، ٢٢٤/١٣. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٨٦. القاضي عبد الجبار: المغني ٣٣٩/١/٢٠. وقد نسب الجوهرى هذا القول للخليفة ابي بكر نفسه. الشرح ٤٧/٦.
- (٢). قال ابن هشام: «فلما التأم الامر ولم يبق الا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب فأتى ابا بكر قال: يا ابا بكر، اليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: اولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: اوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنيه في ديننا؟ قال ابو بكر: يا عمر الزم غرزه، فاني اشهد انه رسول الله، قال عمر: وانا اشهد انه رسول الله، ثم اتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله الست برسول الله؟ قال: بلى. قال: اوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنيه في ديننا؟ قال: انا عبدالله ورسوله، لن اخالف امره، ولن يضيعني! قال: فكان عمر يقول: ما زلت اتصدق واصوم واصلي واعتق من الذي صنعت يومئذ! مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت ان يكون خيراً». السيرة النبوية ٣١٧/٣. صحيح مسلم ١٤١/١٢. الملطي: التنبيه ص ٨. ابن الجوزي: مناقب عمر بن الخطاب ص ٤٤ - ٤٥.
- (٣). الشرح ٢٧/٢.
- (٤). الشرح ١٧٣/١٤ - ١٧٥. وانظر الواقدي: المغازي ١٠٧/١. الحاكم: المستدرک ٢٤/٣. الطوسي: الامالي، ط النجف ٢٧٣/١ - ٢٧٤.

القرآن بموافقته. (١)

اما في الحديدية فقد اشار عمر بالحرب وكره الصلح، فنزل القرآن بضد ذلك، (٢) اذ ليس كل وقت يصلح لتجريد السيف، والسياسة لا تجري على منهاج واحد ولا تلزم نظاماً واحداً. (٣)

وعلق ابن ابي الحديد على موقف عمر يوم الحديدية بأنه صحيح ولكنه غير مستهجن ولا مستقبح، لانه سأل من باب الاسترشاد، والتماس الطمأنينة كما يفعل الصحابة مع الرسول ﷺ، حيث لما عزم الرسول ﷺ يوم الخندق على مصالحة اليهود ببعض تمر المدينة، قال له سعد بن عباد، وسعد بن معاذ الانصاريان: اهذا من الله ام رأي رايته من نفسك؟ قال ﷺ: بل من نفسي قالوا: لا والله لا نعطيهم منها تمره واحده وايدينا في مقابض سيوفنا. (٤)

وفي يوم بدر قال الانصار للرسول ﷺ وقد نزل نزلاً لم يستصلحوه: انزلت هذا المنزل من رأي رايته ام بوحى اوحى اليك؟ قال: بل من رأي رايته، فقالوا انه ليس لنا بمنزل، ارحل عنه فانزل بموضع كذا. (٥)

ثم اوضح ابن ابي الحديد ان مراد ابي بكر (رض) في قوله لعمر (رض) «الزم غرزه فوالله انه لرسول الله ﷺ» انما هو تأكيد وتثبيت على عقيدته التي في قلبه، ولا يدل ذلك على الشك، فقد قال تعالى: ﴿ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن

(١). يقصد قوله تعالى ﴿ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يشخن في الارض ترديدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة﴾ سورة الانفال: الآيات ٦٧ - ٦٨. وانظر الطبري: جامع البيان ٤٣/١٠ - ٤٤. الزمخشري: الكشاف ٢/٢٣٦. ابن حزم: الفصل ١٢/٤.

(٢). يقصد قوله تعالى ﴿انا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ سورة الفتح آية ١. انظر مسلم: الصحيح ١٢/١٤٣. الطبري: جامع البيان ٧٠/٢٦.

(٣). الشرح ٦/٣٢٨.

(٤). الشرح ١٠/١٨٠. ابن هشام: السيرة ٣/٢٣٤.

(٥). الشرح ١٠/١٨١. انظر الواقدي: المغازي ١/٥٣. ابن هشام: السيرة ٢/٢٧٢.

اليهم شيئاً قليلاً»^(١). فما من احد يستغني عن زيادة اليقين والطمأنينة، وقد ظهر من عمر بن الخطاب احوال اقل من ذلك تسرع فيها: كقوله للرسول ﷺ في ابي سفيان «دعني اضرب عنق ابي سفيان»،^(٢) وقوله: «دعني اضرب عنق عبدالله بن ابي»،^(٣) وقوله «دعني اضرب عنق حاطب بن ابي بلتعة»،^(٤) وقد نهى النبي ﷺ وجذب ثوبه لما قام على جنازة ابن سلول يصلي قائلاً له: كيف تستغفر لرأس المنافقين.^(٥) وليس في ذلك جميعه ما يدل على وقوع القبيح منه، وانما كان عمر مطبوعاً على الشدة والشراسة والخشونة، وكان يقول ما يقول على مقتضى السجية التي طبع عليها.^(٦)

وبعد ان اوضح ابن ابي الحديد سجية الخليفة عمر (رض) علق قائلاً: «واعلم انا لا نريد بهذا القول ذمة (رض) وكيف نذمه، وهو اولى الناس بالمدح ليمن نقيته وبركة خلافته، وكثرة الفتوح في ايامه، وانتظام امور الاسلام على يده! ولكننا اردنا ان نشرح حال العنف والرفق، وحال سعة الخلق وضيقه، وحال البشاشة والعبوس، وحال الطلاقة والوعورة، فنذكر كل واحد منهما ذكراً كلياً، لا نخص به انساناً بعينه. فاما عمر فانه وان كان وعراً شديداً خشناً، فقد رزق من التوفيق، والعناية الالهية ونجح المساعي، وطاعة الرعية ونفوذ الحكم، وقوة الدين، وحسن النية وهمة الرأي، وما يربى محاسنه ومحامده على ما في ذلك من نقص، وليس الكامل المطلق، الا الله تعالى وحده».^(٧)

(١). سورة اسراء: الآية ٧٤.

(٢). حينما خرج ابوسفيان قبيل فتح مكة. ابن هشام: السيرة ٤٥/٤. الطبري: تاريخ ٥٣/٣.

(٣). في غزوة بني المصطلق. ابن هشام: السيرة ٣٠٣/٣.

(٤). قبيل فتح مكة: ابن هشام ٤١/٤. البخاري: الصحيح ١٢٩/٦ - ٣١. الحاكم: المستدرک ٣٤١/٣. المفيد: الارشاد ص ٢٥.

(٥). ابن هشام: السيرة ١٩٦/٤ - ١٩٧.

(٦). الشرح ١٠/١٨١.

(٧). الشرح ٦/٣٤٣ - ٣٤٤.

ولذلك يخلص ابن ابي الحديد في تحليله لمقولة الخليفة عمر (رض) في الامام علي عليه السلام للقول «وجملة الامر انه (رض) لم يقصد عيب علي عليه السلام ولا كان عنده معيباً، ولا منقوصاً، الا ترى انه قال في آخر الخبر: «ان احراهم ان وليها ان يحملهم على كتاب الله وسنة رسوله لصاحبك». ثم اكد ذلك بان قال: «ان وليهم ليحملهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم.» فلو كان اطلق تلك اللفظة، وعني بها ما حملها عليه الخصوم لم يقل في خاتمة كلامه ما قاله.»^(١)

ان ملاحظة احوال الامام عليه السلام تنفي اتهام عمرو بن العاص اياه بالدعابة سواء في عصر الرسول صلوات الله عليه وآله او عصور الخلفاء من بعده، حيث لا نجد حديثاً يمكن ان يتعلق به الخصوم في دعابته ومزاحه «فكيف يظن بعمر انه نسبه الى امر لم ينقله عنه ناقل، ولا ندده به صديق ولا عدو، وانما اراد سهولة خلقه لا غير، وظن ان ذلك مما يفضي به الى ضعف ان ولي امر الامة، لاعتقاده ان قوام هذا الامر انما هو بالوعورة، بناء على ما قد الفتة نفسه، وطبعت عليه سجيته... ومن تأمل كتب السير عرف صدق هذا القول وعرف ان عمراً بن العاص اخذ كلمة عمر، اذ لم يقصد بها العيب فجعلها عيباً، وزاد عليها انه كثير اللعب، يعافس النساء، ويمارسهن، وانه صاحب هزل.»^(٢)

ثم اقسام ابن ابي الحديد: ولعمر الله! لقد كان علي ابعد الناس من ذلك، واي وقت يتسع له حتى يكون على هذه المواصفات؟ حيث ان ازمائه كلها في العبادة والصلاة والذكر والفتاوي والعلم، واختلاف الناس اليه في الاحكام وتفسير القرآن، اما نهاره فكان كله او معظمه مشغول بالصوم، وليله كله او معظمه بالصلاة، في ايام السلم، اما في ايام الحرب فالسيف الشهير، والسنان الطرير وركوب الخيل، وقيادة الجيش، ومباشرة الحرب. ولقد صدق عليه السلام في قوله: «انني ليمنعني

(١). الشرح ١/١٨٦، ٦/٣٢٨.

(٢). الشرح ٦/٣٢٨-٣٢٩.

من اللعب ذكر الموت»^(١).

ثم اوضح ابن ابي الحديد سبب التهمة بان الرجل الشريف النبيل الذي لم يتمكن اعداؤه ان يجدوا له عيباً ياخذوا بالاحتيال في تحصيل عيب وان كان ضعيفاً ليجعلوه عذراً لانفسهم في ذمه، ويتوسلون به الى اتباعهم في تحسينهم لهم مفارقتة، والانحراف عنه كما كان يفعل المشركون والمنافقون مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فيبرأه الله من العيوب التي برأه الله منها، فغير منكر ان يعيب علياً عليه السلام عمرو بن العاص وامثاله من اعدائه، بما اذا تأمله المتأمل، علم انهم باعتمادهم عليه وتعلقهم به، قد اجتهدوا في مدحه والثناء عليه، لانهم لو وجدوا عيباً غير ذلك لذكروه، ولو بالغ امير المؤمنين وبذل جهده في ان يثني اعدائه وشانئوه عليه من حيث لا يعلمون، لم يستطع الى ان يجد الى ذلك طريقاً اللطيف من هذه الطريق التي اسلكهم الله تعالى فيها، وهداهم الى منهاجها، فظنوا انهم يفضون منه، وانما اعلوا شأنه، ويضعون من قدره، وانما رفعوا منزلته ومكانه»^(٢).

اما في العبادة فكان عليه السلام اعبد الناس واكثرهم صلاة وصوماً حيث تعلم الناس منه صلاة الليل، وملازمة الاوراد، وقيام النافلة، وبلغ من محافظته على الاوراد ان بسط له نطعاً في صفين ليلة الهرير واخذ يصلي، والسهام تقع بين يديه وتمر على جانبيه فلا يرتاع منها، ولا يقوم حتى يفرغ من ورده، ولكثرة سجوده اصبحت جبهته كثفنة البعير واذا تأملت دعواته ومناجاته،^(٣) ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه واجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزته، والاستخذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص، وفهمت من أي قلب

(١). الشرح ٣٢٩/٦.

(٢). الشرح ٣٢٩/٦ - ٣٣٠.

(٣). راجع ادعية الامام في نهج البلاغة ص ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٦، ١٠٤ وغيرها.

خرجت، وعلى أي لسان جرت. وقد قيل لعلي بن الحسين عليه السلام ^(١) وكان الغاية في العبادة: اين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: «عبادتي من عبادة جدي كعبادة جدي من عبادة رسول الله عليه السلام». ^(٢)

والشيء الذي يثير التعجب في مزايا الامام علي عليه السلام هو ذلك التضاد في الصفات فكان ذلك من عجائبه التي انفرد بها وامن المشاركة فيها، واصبح من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة، حيث جمع بين الاضداد، والف بين الاشتات، وهذا ما كان يثير عجب الشريف الرضي فيتحدث به الى معاصريه فيثير اعجابهم، وهي موضع العبرة والفكرة فيها، ^(٣) ومن هذه الصفات المتضادة:

اولاً: يقول الشريف الرضي ^(٤): «ان كلامه الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر؛ اذا تأمله المتأمل، وفكر فيه المفكر، وخلع من قلبه انه كلام مثله، من عظم قدره ونفذ امره واحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في انه كلام من لاحظ له في غير الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت، او انقطع الى سفح جبل، لا يسمع الا حسه، ولا يرى الا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب، مصلاً سيفه، فيقط الرقاب، ويجدل الابطال، ويعود به ينطف دماً، ويقطر مهجاً، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبذل الابدال».

(١). علي بن الحسين عليه السلام غني عن التعريف من انجازاته انه اوفد ولده محمد الباقر الى الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان ليشرح له طريقة ضرب عملة عربية اسلامية. انظر البيهقي: المحاسن والمساويء، ص ٤٦٧ - ٧٠. ابن كثير: البداية والنهاية ١٠٤/٩. الدميري: حياة الحيوان الكبرى ٦٢/١ - ٦٤. وانظر تحليلاً تفصيلاً في رسالتنا للماجستير: المقريري ص ١٣٩ - ١٤٨. وعرف عليه السلام بمناجاته حيث وصلت اليها الصحيفة المعروفة باسمه والمشملة على ادعيته ومناجاته. انظر الشرح ١٧٨/٦ - ١٨٧. امالي الطوسي ط النجف ١٤/١ - ١٨. الصحيفة السجادية ص ١٦ وما بعدها. وعن الصحيفة السجادية انظر دراسة تحليلية: علي حسين محفوظ: الصحيفة السجادية ص ٢ وما بعدها.

(٢). الشرح ٢٧/١.

(٣). الشرح ٤٩/١. الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٣٦.

(٤). الشرح ٤٩/١. نهج البلاغة ص ٣٥ - ٣٦.

ان الذي اشار له الشريف الرضي امر صحيح لان الغالب على اهل الشجاعة والاقدام والمغامرة والجرأة ان يكونوا ذوي قلوب قاسية، وفتك وتمرد وجبرية، والغالب على اهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذها، والاشتغال بمواعظ الناس وتخويفهم المعاد، وتذكيرهم الموت، ان يكونوا ذوي رقة ولين، وضعف قلب، وخور طبع، فهاتان حالتان متضادتان، وقد اجتمعا له عليه السلام. (١)

يقول ابن ابي الحديد (٢): «اني لا طيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على ان طبعه مناسب لطباع الاسود والنمور وامثالها من السباع الضارية، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه، اذا اراد الموعظة بكلام يدل على ان طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسى المسوح الذين لم يأكلوا الحما، ولم يريقوا دماً! فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس الشيباني، وعتبة بن الحارث اليربوعي، (٣) وعامر بن الطفيل العامري، (٤) وتارة يكون في صورة سقراط الحبر اليوناني، (٥)

(١). الشرح ٥٠/١.

(٢). الشرح ١٥٣/١١.

(٣). عتبة بن الحارث بن شهاب التميمي، فارس تميم قبل الاسلام، وكان يلقب «سم الفرسان» و«صياد الفوارس»، ويضرب به المثل في القروسية. الشرح ٢٧٩/٣. انظر ابو هلال: جمهرة الامثال: ١١١/٢. ابن حزم: جمهرة النسب ٢٢٤. المرصفي: رغبة الامل ١٥٥/٢ - ١٥٦.

(٤). عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر من بني عامر بن صعصعة، ولد في حدود ٧٠ ق.م وهو فارس قومه، واحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم قبل الاسلام. وفد على النبي عليه السلام ولم يسلم الا بشروط رفضها النبي عليه السلام، توفي سنة ١١ هـ انظر الجاحظ: البيان والتبيين ٥٤/١. ابن قتبية: الشعر والشعراء ص ١١٨. ابن حبيب: المحبر ص ١١٨، ١٣٥، ٣٠٣، ٤٧٢، ٤٧٣. ابن حجر: الاصابة ٢٥١/٢. البغدادي: خزانة الادب ٣٣٨/١، ٤٧٣، ٤٩٢/٣. المرصفي: رغبة الامل ١٧٦/٢، ١٦٥/٨، ٢٤٣. الالوسي: بلوغ الارب ١٢٩/٢، ١٢٨/٣. وعامر هو القائل:

اني وان كنت ابن سيد عامر
فما سودتني عامر عن قرابة
وفارسها المندوب في كل موكب
ابي الله ان اسموا بام ولا اب

ديوان عامر بن الطفيل ص ١٣. السيوطي: شرح شواهد المغني: ٩٥٣/٢ - ٤.

(٥). فيلسوف يوناني من اثينا (٤٦٩ - ٣٩٩ ق.م) لم يترك اثرأ مكتوباً، ولكن قام تلاميذه بتسجيل آرائه، وكان يترل الى العامة ويتحدث عن الفضيلة والعدل والتقوى، فأتهم بافساد عقول الشباب فحكم عليه بالاعدام. الشهرستاني: الملل والنحل ١٨٥/٣ - ١٩٠. القسطنطي: تاريخ الحكماء ١٩٧ - ٢٠٧. الموسوعة الميسرة ٩٨٥/١ - ٩٨٦.

ويوحنا المعمدان الاسرائيلي،^(١) والمسيح^(٢) بن مريم الالهي».

ولقد اوضح ابن ابي الحديد^(٣) ذلك في شعره اذ يقول:

الضارب الهام المقنع في الوغى

بالخوف للبهيم الكمامة يقنع

والسمهرية تستقيم وتنحني

فكأنها بين الاضالع اضلع

والمترع الحوض المددع حيث لا

واد يفيض ولا قلب يترع

ومبدد الابطال حيث تألبوا

ومرفق الاحزاب حيث تجمع

والحبر يصدح بالمواعظ خاشعاً

حتى تكاد لها القلوب تصدع

حتى اذا استعر الوغى متلضياً

شرب الدماء بغلة لا تنقع

متجلبياً ثوباً من الدم قانياً

يعلوه من نقع الملاحم برقع

(١) هو النبي يحيى عليه السلام الذي بشر بالسيد المسيح عليه السلام لذا اصيبت له مكانة لدى المسيحيين، وكان متقشفاً في البرية يأكل الجراد، وانكر زواج هيروس بأخت امرأته (هرودياس) فنقمت عليه وحرضته على قتله، فاعدم. انظر الانجيل: متى ص ١٢-١٣، ٢٥-٢٦. مرقس ص ٦١-٦٢، ٧١-٧٢. لوقا ١٥، ٩٧-٩٨، ١٠، ١٠٩-١١٠، ١١٤. يوحنا ١٠٥-١٠٦، ١٥٤.

محمد شقيق غريبال: الموسوعة الميسرة ١٩٨٩/٢.

(٢) المسيح: مأخوذ من المسح وهو امرار اليد على الشيء السائل او الملطخ لاذهابه. والمسيح هو المبارك. الفيروزى آبادي: القاموس ٢٤٩/١.

(٣) القصائد السبع العلويات: ص ٤٢.

زهّد المسيح وفتكه الدهر الذي

اودى به كسرى وفوز تبع

ثانياً: ان الغالب على ذوي الشجاعة وارقة الدماء ان يكونوا ذوي اخلاق سبعية، وطباع حوشية، وغرائز وحشية، اما اهل الزهادة فيغلب عليهم ان يكونوا ذوي انقباض في الاخلاق، وعبوس في الوجوه، ونفار من الناس واستيحاش، لان هدفهم رفض الدنيا والتذكير بالآخرة.^(١)

ولكن الامام علياً عليه السلام الذي كان اشجع الناس واعظمهم اراقة للدم، وهو ايضاً ازهد الناس، وابعدهم عن ملاذ الدنيا، واكثرهم وعظماً وتذكيراً بايام الله ومثلاته، ثم هو من اشد الناس في العبادة اجتهاداً، واداباً في المعاملة لنفسه، مع كل ذاك فهو الطف العالم اخلاقاً، واسفرهم وجهاً، واكثرهم بشراً، واوفاهم هشاشة، وابعدهم عن انقباض موحش، او خلق نافر، او تجهم مباحث، او غلظة، وفضاظة تنفر معها نفس، او يتكدر معها قلب، حتى عيب بالدعابة، بعد ان لم يجدوا فيه مغزاً ولا مطعناً، واعتمدوا في التنفير عنه عليها.^(٢)

وتلك شكاه ظاهر عنك عارها.^(٣)

ثالثاً: ان المعروف على من يكون من اهل بيت السيادة والرياسة ان يكون ذا كبر وتيه وتعظم وتغطرس، خاصة اذا اضيف الي شرفه من جهة النسب شرف من جهات اخرى.

هذا الحال لا نجده عند امير المؤمنين عليه السلام فمع انه في مصاص اشرف ومعدنه، لا يشك عدو ولا صديق انه اشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمه صلوات الله

١. الشرح ٥٠/١.

٢. الشرح ٥١/١.

٣. هو عجز بيت لابي ذؤيب الهذلي، وصدرة: وغيرها الواشون اني احبها.

ديوان الهذليين ٢١/١. ابن منظور: لسان العرب ١٧١/١٩.

عليهما، مضافاً الى الشرف الذي حصل عليه من جهات شتى، فكان من اشد الناس تواضعاً لصغير او كبير والينهم عريكة واسمحهم خلقاً، وابعدهم عن الكبر، واعرفهم بالحق، وحاله هذا واحداً سواء قبل توليه الخلافة او بعدها وذلك لانه لم يزل اميراً فلم يستفد بالخلافة شرفاً، ولا اكتسب بها زينة، بل هو الذي زانها^(١). وكانت في نقص فامت نقصها بتوليه اياها.^(٢)

رابعاً: ان الصفة التي تغلب على ذوي الشجاعة، وقتل الانفس، وارقة الدماء، ان يكونوا قليلي الصبح، بعيدي العفو، لان اكبادهم واغرة، قلوبهم ملتهبة، والقوة العصبية عندهم شديدة، وهذا لا يتفق مع ما يتميز به امير المؤمنين عليه السلام، فمع شجاعته نجده في الحلم والصفح بمكان، ونجد لديه القدرة على مغالبة هوى النفس، كما لوحظ تماماً في ايام خلافته الذي احسن مهيار الديلمي وصف حاله فيها^(٣): -

| | |
|--------------------------|---|
| حتى اذا دارت رحى بغيهم | عليهم وسبق السيف العذل |
| عاذوا بسعفو ماجد معود | للعفو حمال لهم على العلل |
| فنجت البقيا عليهم من نجا | واكل الحديد منهم من اكل |
| اطت بهم ارحامهم فلم يطع | ثأره الغيظ ولم يشف الغلل ^(٤) |

خامساً: قد لا تتفق الشجاعة مع الجود، حيث كان الزبير شجاعاً، ولكنه عرف بالشح، حتى اعتبر ذلك عمر بن الخطاب (رض) من الصفات التي لا تؤهله

(١). قال ابو عبدالله احمد بن حنبل؛ ذكر ذلك الشيخ ابوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه المعروف بالمنتظم، تذكروا يوماً عند احمد خلافة ابي بكر وعلي وقالوا فاكثروا، فرفع رأسه اليهم، قال: قد اكثرتم! «ان علياً لم تزنه الخلافة! ولكنه زانها». الشرح ٥٢/١.

(٢). الشرح ٥١/١ - ٥٢.

(٣). الشرح ٥٢/١.

(٤). من قصيدة في (١١١) بيت، يذكر فيها مناقب امير المؤمنين عليه السلام وهذه الابيات موجودة في الديوان المطبوع ما عدا البيت الاخير، انظر ديوان مهيار ١٠٩/٣ - ١١٦.

للخلافة قائلاً^(١): لو وليتها لظلت تلاطم الناس في البطحاء على الصاع^(٢) والمد^(٣). ولما اراد الامام علي عليه السلام ان يحجز على اموال عبدالله بن جعفر لتبذيره اياها، شارك الزبير في امواله وتجاراته، فقال الامام علي عليه السلام اما انه قد لاذ بملاذ، ولم يحجز عليه. كذلك كان طلحة بن عبيدالله شجاعا، ولكنه شحيجا امسك عن الانفاق حتى خلف من الاموال ما لا يأتي عليه الحصر^(٤). وكان عبدالله بن الزبير شجاعا، لكنه كان ابخل الناس^(٥) كذلك عبد الملك بن مروان الذي ضرب به المثل في الشح، وسمي - رشح الحجر - لبخله^(٦).

وكان امير المؤمنين عليه السلام في الشجاعة بحال معروفة في الشجاعة والسخاء وهذه من اعاجيبه عليه السلام^(٧).

-
- (١). الشرح ١٨٥/١.
 - (٢). الصاع: اربعة امداد عند اهل المدينة، وثمانية عند اهل الكوفة. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١١.
 - (٣). المد: مكيال وهو رطل وثلاث في الحجاز، ورطلان عند اهل العراق. الرازي: مختار الصحاح ص ٦١٨. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١١.
 - (٤). ابن سعد: الطبقات ٢٢١/٣ - ٢.
 - (٥). الشرح ١٠٣/٢. انظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٩٠٦/٣.
 - (٦). انظر الزمخشري: ربيع الابرار ٣٦٥/٢.
 - (٧). الشرح ٥٢/١ - ٥٣.

الفصل الرابع



الامام علي عليه السلام ونظام الحكم

المبحث الاول

الامام علي عليه السلام قبل الخلافة

ضمت بعض خطب الامام علي عليه السلام، ورسائله، وقصار كلماته الشريفة، اشارات الى الامامة،^(١) فوظفها ابن ابي الحديد لكي يقدم رؤية الامام من خلالها للامامة، وقد تباينت طريقة ابن ابي الحديد في شرحه لتلك الاشارات، فتارة يأخذ كلام الامام علي عليه السلام على ظاهره، وتارة يستخدم التأويل،^(٢) ويصرف كلامه عليه السلام عن ظاهره الى معنى اخر ليلائم وجهة نظر المعتزلة.

فبدءاً يقرر ابن ابي الحديد ان الامامة من اصول الدين (العقائد)،^(٣) ثم هي واجبة انطلاقاً من قوله عليه السلام للخوارج لما قالوا: «لا حكم الا لله»، فأجاب عليه السلام:

(١). الامامة لغة مأخوذة من أم القوم: تقدمهم. والامام كل من ائتم به قوم سواء كانوا على الصراط المستقيم ام ضالين. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ اُناسٍ بِاِمامِهِمْ﴾ سورة الأسراء: الآية ٧١. وامام كل شيء قيامة فالقرآن امام المسلمين، والرسول عليه السلام امام الائمة، والخليفة امام الرعية، ابن منظور: لسان العرب ٢٨٩/١٤ - ٢٩٠.

(٢). التأويل: صرف الكلمة عن معناها الظاهري الى معنى مجازي، الجرجاني: التعريفات، ص ٢٨.

(٣). الشرح ٣٦٧/١٨.

«كلمة حق يراد بها باطل: نعم انه لا حكم الا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا امرة الا لله. وانه لا يد الناس من امير بر او فاجر، يعمل في امرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الاجل، ويجمع به الفيء، ويقا تل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر»^(١).
ان القول بوجوب الامامة امر اجمع عليه المعتزلة ما عدا ابي بكر الاصم الذي يرى «انها غير واجبة: اذا تناصفت الامة، ولا تتظالم». وهذا الرأي عده متأخروا المعتزلة قولاً بالوجوب، وذلك لانه في العادة لا تستقيم امور الناس من دون رئيس يحكم بينهم.^(٢)

وقد وظف ابن ابي الحديد الكلام الإمام علي عليه السلام لتقرير صحة رؤية المعتزلة «والظاهر من كلام امير المؤمنين عليه السلام يطابق ما يقوله اصحابنا، الا تراه كيف علل قوله: «لا بد للناس من امير بر او فاجر، يعمل في امرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الاجل، ويجمع به الفيء، ويقا تل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي»! وهذه كلها من مصالح الدنيا»^(٣).
وتجدر الاشارة الى ان الإمام علي عليه السلام كان يرى ان الامارة مسألة ضرورية لاي مجتمع، وذلك لان فيها:

١. يعمل المؤمن فيصلي ويصوم ويتصدق، وان كان الامير فاجراً في نفسه.

٢. يستمتع الكافر بمدته، كما قال تعالى: ﴿قل تمتعوا فان مصيركم الى

النار﴾^(٤).

٣. يبلغ الله فيها الاجل، لان امارة الفاجر كأمارة المؤمن، في ان المدة

(١). الشرح ٣٠٧/٢.

(٢). الشرح ٣٠٨/٢.

(٣). الشرح ٣٠٨/٢. انظر رد الهاشمي: منهاج البراعة ٤/١٨٠-١٨٥.

(٤). سورة ابراهيم: الآية ٣٠.

المضروبة فيها تنتهي الى الاجل المؤقت للانسان.

٤. يجمع في امارة الفاجر الفيء، ويقا تل العدو، وتأمين السبل، ويؤخذ للضعيف من القوي، يقول الرسول ﷺ: «ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»^(١).

ويخلص ابن ابي الحديد للقول: «اتفقت المعتزلة على ان امراء بني امية كانوا فجارا عدا عثمان (رض) وعمر بن عبدالعزيز، ويزيد بن الوليد، وكان الفيء يجمع بهم، والبلاد تفتح في ايامهم، والثغور الاسلامية محصنة محوطة والسبل آمنة، والضعيف منصور على القوي الظالم، وما ضر فجورهم شيئا في هذه الامور»^(٢).

فاذا كانت الامامة واجبة، فهل ان وجوبها يتعين ان يكون الامام بالاختيار، ام بالنص؟ استنتج ابن ابي الحديد من خلال كلام الإمام علي عليه السلام ان الامامة بالاختيار^(٣) وليس بالنص، وهذا ما يذهب اليه المعتزلة، وقد وظف ابن ابي الحديد نصين من كلام الامام لا ثبات ذلك:

الاول: قوله عليه السلام: «ولعمري لئن كانت الامامة لا تتعقد حتى تحضرها عامة الناس، ما الى ذلك سبيل؛ ولكن اهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد ان يرجع، ولا للغائب ان يختار»^(٤).

اذن فهنا الامام يرى ان الامامة لا يشترط في صحة انعقادها حضور كل الناس، لان ذلك يعني عدم انعقاد امامة مطلقا لتعذر اجتماع الناس وانما ينعقد بعقد العلماء واهل الحل والعقد الحاضرين، واذا عقدت فلا يجوز الرجوع عنها الا

(١). اخرجه: ابن حنبل: المسند ٣٠٩/٢. البخاري: الصحيح ١٦٦/٤.

(٢). الشرح ٣٠٩/٢.

(٣). انظر رد صاحب بن عباد: نصره مذاهب الزيدية ص ١٨٥ - ١٨٧.

(٤). الشرح ٣٢٨/٩.

لسبب يقتضي ذلك، اما الغائب فهو ملزم بعقد الحاضرين ولا يجوز له الاحتجاج، وعلى هذا جرت بيعة ابي بكر وعمر وعثمان (رض)، «وهذا الكلام تصريح بصحة مذهب اصحابنا في ان الاختيار طريق الى الامامة، ومبطل لما تقوله الامامية من دعوى النص...»^(١).

الثاني: جاء في كتابه عليه السلام الى معاوية «انه بايعني القوم الذي بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد ان يختار، ولا للغائب ان يرد، وانما الشورى للمهاجرين والانصار، فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضا، فان خرج عن امرهم بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج عنه، فان ابي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى»^(٢).

عد ابن ابي الحديد هذا النص صريحاً في ان الاختيار طريق الى الامامة كما يذكره المعتزلة، لان الامام عليه السلام احتج على معاوية ببيعة اهل الحل والعقد له، ولم يراع اجتماع المسلمين، كما تمت بيعة ابي بكر (رض) فانه ما روعي فيه اجماع المسلمين، لان سعد بن عبادة واهل بيته لم يبايعوا، والامام وبني هاشم ومن انضوى اليهم لم يبايعوا في مبدأ الامر، ولكن لم يتوقفوا في تصحيح بيعة بي بكر (رض) وتنفيذ احكامه على بيعة من لم يبايع «وهذا دليل على صحة الاختيار وكونه طريقاً الى الامامة، وانه لا يقدر في امامته عليه السلام، امتناع معاوية من البيعة واهل الشام»^(٣).

ورد ابن ابي الحديد على حمل الامامية كلام الامام لمعاوية - اعلاه - على التقية لان الامام علي برأي الامامية لم يمكنه التصريح بالنص عليه لان ذلك يؤدي للطعن في من تقدمه، ثم يؤدي لفساد وخروج من بايعه عليه، قال ابن ابي

١. الشرح ٣٢٩/٩.

٢. الشرح ٣٥/١٤.

٣. الشرح ٣٦/١٤.

الحديد: «هذا القول من الامامية دعوى لو عضدها دليل لوجب ان يقال بها، ويصار اليها ولكن لا دليل لهم على ما يذهبون اليه من الاصول التي تسوقهم الى حمل هذا الكلام على التقية»^(١).

ويرى المعتزلة انه لما كان الإمام علي عليه السلام قد حصل على الامامة بالاختيار، لذا فقد وجبت طاعته فلا يعذر احد من المكلفين في الجهل بوجوب طاعته، وهذا مصداق قوله عليه السلام «عليكم بطاعة من لا تعذرون في جهالته»^(٢). ويجدر بنا ان نوضح هنا كيف تم اختيار ابو بكر (رض) للخلافة طبقاً لمبدأ الاختيار الذي يراه المعتزلة.

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم انكر عمر بن الخطاب (رض) وفاته قائلاً: «ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله، وليرجعن، فليقطعن ايدي رجال وارجلهم ممن ارجف بموته، لا اسمع رجل يقول: مات رسول الله الا ضربته بسيفي. فجاء ابو بكر وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: بابي وامي: طبت حياً وميتاً، والله لا يذيقك الله الموتتين ابداً، ثم خرج والناس حول عمر، وهو يقول لهم: انه لم يموت، ويحلف، فقال له: ايها الحالف، على رسلك: ثم قال: من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات. ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿انك ميت وانهم ميتون﴾^(٣). وقال: ﴿افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم﴾^(٤). قال عمر (رض) فوالله ما ملكت نفسي حيث سمعتها ان سقطت الى الارض، وعلمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات»^(٥).

(١). الشرح ٣٦/١٤ - ٣٧.

(٢). الشرح ٣٧٣/١٨.

(٣). سورة الزمر: الآية ٣٠.

(٤). سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٥). الشرح ١٧٨/١ - ٩، ٤٠/٢ - ١، ١٩٥/١٢. وانظر: ابن هشام: السيرة ٣٠٥/٤ - ٦. ابن

سعد: الطبقات ٢٦٦/٢ - ٩. اليعقوبي: تاريخ ١٠٤/٢. ابن الجوزي: مناقب عمر ص ٤٩ - ٥٠.

وقبل ان يطرح ابن ابي الحديد رؤيته لهذا الموقف من عمر الخطاب (رض) طرح لنا رؤيتين: الرؤية الاولى: رؤية اعتزالية قال بها القاضي عبدالجبار المعتزلي احد كبار رجال الاعتزال، حيث يرى القاضي ان عمراً (رض) لم يمنع من جواز موت الرسول ﷺ، وانما تأول قوله تعالى: ﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾،^(١) ولذلك فقد استغرب عمر (رض) كيف يموت الرسول ﷺ ولم يظهر على الدين كله فهنا قال له ابو بكر (رض) اذا ظهر دينه فقد ظهر هو، وسيظهر دينه بعد وفاته.^(٢)

الرؤية الثانية: رؤية امامية قال بها الشريف المرتضى^(٣) الذي تسائل عن انكار عمر (رض) لموت الرسول ﷺ هل انكاره كلياً او في ذلك الوقت فقط؟ ثم كيف دخلت هذه الشبهة على عمر دون المسلمين؟ وكيف لم يوقن بوفاة ﷺ لما رأى ما على المسلمين من اعتقاد موته؟ ثم كان يجب عليه ان يقول للمسلمين في مرض الرسول ﷺ وقد رأى جزعهم عليه ﷺ: ما هذا الجزع والهلع، وقد امنكم الله من موته؟ الى غيرها من التساؤلات؟؟^(٤)

وقدم ابن ابي الحديد اجابتين: الاولى: تتصف بالرد على ما جاء لدى الشريف المرتضى من شبهات التي يرى ابن ابي الحديد انه يمكن تبريرها، مع انه لا يرى وقوعها. الثانية: تحليله لموقف عمر (رض) حسبما يراه. الاجابة الاولى: ان عمر (رض) انكر ان يموت الرسول ﷺ الى يوم

(١). سورة التوبة: الآية ٣٣.

(٢). الشرح ٤١/٢. ١٩٥/١٢. ٦. وانظر القاضي: المغني ٩/٢/٢٠ - ١٠.

(٣). هو من كبار علماء الامامية في القرن الخامس الهجري، وممن له باع كبير في الادب والكلام، ومن اشهر مؤلفاته: الامالي، الشافي في الامامة، انظر: الشعالي: تنمة اليتيمة ص ٦٩ - ٧٢. الجشمي: الطبقتان ص ٣٨٣. ابن الجوزي: المنتظم ١٢٠/٨ - ١٢٦. الياضي: مسرأة الجنان ٧٠٥/٣. السيوطي بغية الوعاة ص ٢٣٥ - ٦. محي الدين: ادب المرتضى ص ٣ وما بعدها.

(٤). الشرح ٤١/٢ - ٤١/٢. ١٩٧/١٢. ٨.

القيامة، واعتقد فيه كما يعتقد كثير الناس في الخضر عليه السلام فلما حاجه ابو بكر بقوله تعالى: ﴿انك ميت وانهم ميتون﴾ وبقوله ﴿أفان مات او قتل﴾ رجع عن ذلك الاعتقاد، فعمر (رض) ما كان يعتقد استحالة الموت عليه كاستحالة الموت على الباري تعالى أي الاستحالة الذاتية. بل اعتقد استمرار حياته الى يوم القيامة، مع كون الموت جائزاً في العقل، وهذا لا تناقض فيه، فابليس يسقى حياً الى يوم القيامة مع كون موته جائزاً في العقل. ولكن عمر (رض) وقف مع شبهة اخرى، اقتضت عنده ان موته صلى الله عليه وسلم يتأخر، وان لم يكن الى يوم القيامة، حيث تأول قوله تعالى: ﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾، فجعل الضمير عائداً على الرسول صلى الله عليه وسلم وليس على الدين، ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يظهر بعد على الاديان، لذا فان حياته تستمر الى ان يظهر عليها، فحاجه ابو بكر مبيناً ان المقصود هو ظهور الدين وليس الرسول صلى الله عليه وسلم. (١)

اما مسألة ورود الشبهة على عمر (رض) دون سائر الخلق، فهكذا تكون الشبه والاعتقادات تسبق الى ذهن واحد دون غيره، والا فكيف دخلت الشبهة على مانعي الزكاة، او اصحاب الجمل وصفين والنهروان وغيرهم. (٢)

اما بالنسبة الى عدم ايمان عمر (رض) بموته حينما رأى من كآبة الناس وحزنهم فلأن الناس يبنون على ظاهر الامور، اما هو فقد نظر في امر باطن دقيق، فاعتقد ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يموت، وانما القى شبهته على غيره كما القى شبهة عيسى على غيره فصلب، ورفع عيسى الى السماء. (٣)

في حين رد على عدم قول عمر (رض) للناس في حال مرض الرسول صلى الله عليه وسلم والناس يبكون ويجزعون، ان لا تجزعوا فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يموت الان، يرى ابن

(١). الشرح ١٢/١٩٨-٩.

(٢). الشرح ١٢/١٩٩.

(٣). الشرح ١٢/٢٠٠.

ابي الحديد ان الشبهة لا يجب ان تخطر بالبال في كل الاوقات، فلعله كان وقتها غافلا مشغول الذهن بغيرها.^(١)

اما الاجابة الثانية: وهي تحليل ابن ابي الحديد لموقف عمر (رض) ونقله بالنص: «ان عمر كان اجل قدرا من ان يعتقد ما ظهر منه في هذه الواقعة؛ ولكنه لما علم ان رسول الله ﷺ قد مات، خاف من وقوع فتنة في الامامة، وتغلب اقوام عليها، اما من الانصار او غيرهم وخاف ايضا من حدوث ردة، ورجوع عن الاسلام، فانه كان ضعيفا لم يتمكن، وخاف من ترات تشن، ودماء تراق، فان اكثر العرب كان موتورا في حياة رسول الله ﷺ لقتل من قتل اصحابه منهم، وفي مثل ذلك الحال تنتهز الفرصة، وتهتل الغرة، فاقترضت المصلحة عنده تسكين الناس بان اظهر ما اظهره من كون رسول الله ﷺ لم يموت، وواقع تلك الشبهة في قلوبهم، فكسر بها شره كثير منه، وظنوها حقا، فثناهم بذلك عن حادث يحدثونه، تخيلا منهم ان رسول الله ﷺ ما مات؛ وانما غاب كما غاب موسى عن قومه، وليعودن فليقطعن ايدي قوم ارجفوا بموته».^(٢)

واضاف ابن ابي الحديد: «ومثل هذا الكلام يقع في الوهم فيصد عن كثير من العزم، الاترى ان الملك اذا مات في المدينة وقع فيها اكثر الامر نهب وفساد وتحريق، وكل من في نفسه حقد على اخر بلغ منه غرضه، اما يقتل او جرح او نهب مال، الى ان تتمهد قاعدة الملك الذي يلي بعده، فاذا كان في المدينة وزير حازم الرأي، كتم موت الملك، وسجن قوما ممن ارجف نداء بموته، واقام فيهم السياسة، واشاع ان الملك حي، وان اوامره وكتبه نافذة، ولا يزال يلزم ذلك التاموس الى ان يمهد قاعدة الملك للوالي بعده وكذلك عمر اظهر ما اظهر حراسة للدين والدولة، الى ان جاء ابو بكر - وكان غائبا بالسنح، وهو منزل بعيد عن المدينة - فلما اجتمع

(١). الشرح ٢٠١/١٢.

(٢). الشرح ٤٢/٢ - ٤٣.

بابي بكر قوى به جأشه، واشتد به ازره، وعظم طاعة الناس له وميلهم اليه، فسكت حينئذ عن تلك الدعوى التي كان ادعاها، لانه قد امن بحضور ابي بكر من خطب يحدث، او فساد يتجدد، وكان ابو بكر محبباً الى الناس، لا سيما المهاجرين»^(١).
 وادف قائلاً: «ويجوز عند الشيعة وعند اصحابنا ايضاً ان يقول الانسان كلاماً ظاهر الكذب على جهة المعاريض، فلا وصمة على عمر اذا كان حلف ان رسول الله ﷺ لم يمت، ولا وصمة عليه في قوله بعد حضور ابي بكر وتلاوة ما تلا: كأنني لم اسمعها، او قد تيقنت الان وفاته ﷺ، لانه اراد بهذا القول تشييد القول الاول، وكان هو الصواب، وكان من سيء الرأي وقبيحه ان يقول: انما قلته تسكيناً لكم، ولم اقله عن اعتقاد، فالذي بدأ به حسن وصواب، والذي ختم به احسن واصوب»^(٢).

بعد طرحنا لهذه الرؤى حول موقف عمر (رض) نتسائل حول الادلة التي استند اليها اولئك في رؤاهم خاصة اذا علمنا ان مصادرنا التاريخية تخلو من ذلك، ولذا فان اصحاب الرؤى اکتفوا بطرح رؤاهم دون الاشارة لمصدرها؟. فما الذي جعل القاضي عبدالجبار يفسر موقف عمر (رض) استناداً الى قوله تعالى: ﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهر على الدين كله﴾ ثم اوجد محاوره بين ابي بكر وعمر (رض) لم تشر لها المصادر مطلقاً؟

اما ابن ابي الحديد فهو مع عدم اعتقاده بما اورده القاضي، فإنه اندفع لرد تساؤلات الشريف المرتضى، وخلق المواقف التي يعلن بنفسه عن عدم وجودها، ولكنه لم يستبعد ان توجد في فكر عمر (رض).

ثم تأتي اجابته الثانية عن موقف عمر (رض) والتي توضح كونه كان محتاطاً على الاسلام ويخشى ان يستغل اعداؤه الفرصة، لذلك اعلن ما اعلنه

(١). الشرح ٤٣/٢.

(٢). الشرح ٤٤/٢.

لا لقاء الشبهة في نفوس من في قلبه مرض حتى جاء ابو بكر (رض) فعند ذلك علم عمر (رض) ان الخطر بعد لا يؤثر. اذن اين كان علي بن ابي طالب الذي هو بنظر المعتزلة افضل شخص بعد رسول الله ﷺ؟ ما موقفه من مقولة عمر (رض)؟ وما موقف باقي الصحابة؟ اتراهم كانوا مقتنعين بعدم وفاة الرسول ﷺ حتى جاء ابو بكر (رض)؟ وهل كان تفسير ابو بكر (رض) لموقف عمر (رض) يتطابق مع تفسير القاضي ام مع تفسير ابن ابي الحديد؟ وما الذي جعل الخليفة ابي بكر (رض) يتغيب تلك الساعة الحرجة والرسول ﷺ ينازع سكرات الموت؟

وحسب ما فسرہ ابن ابي الحديد، فأن حدس عمر (رض) قد وقع، حيث اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار سعد بن عبادة، وهنا اسرع اثنان من الانصار وهما «عويم بن ساعدة»^(١) و«معن بن عدي»^(٢) فأخبرا عمرأ الذي اخبر بدوره ابا بكر (رض) فسارا نحو السقيفة. ويفسر ابن ابي الحديد موقف الانصاريان لانهما «ذوي حب لابي بكر في حياة الرسول ﷺ، واتفق مع ذلك بغض وشحناء؛ كانت بينهما وبين سعد بن عبادة»^(٣).

وبعد مداولات بين كبار الانصار من جهة وبين ابو بكر وعمر وابي عبيدة بن الجراح (رض) من جهة اخرى، واثر ضعف موقف الانصار اقترح الحباب بن المنذر^(٤): «منا امير ومنكم امير، انا والله ما نفس هذا الامر عليكم ايها الرهط،

(١). انظر ترجمته: الحاكم: المستدرک ٧٣٢/٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٢٤٨/٣. ابن حجر: الاصابة ٤٤/٣ - ٥.

(٢). انظر ترجمته: الحاكم: المستدرک ٢٥٤/٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٤٤١/١ - ٢. ابن حجر: الاصابة ٤٤٩/٣ - ٤٥٠.

(٣). الشرح ١٩/٦. وأشار ابن ابي الحديد ان هذا السبب مذكور في كتاب القبائل لابي عبيدة معمر بن المثنى، الا ان ابن ابي الحديد لم يذكر السبب. الشرح ١٩/٦.

(٤). احد كبار الانصار. انظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢١٦/١. ابن حجر: الاصابة ٣٠٢/١ - ٣. العيادي: ذو الرأي الحباب بن المنذر الخزرجي ص ١٤٩ - ١٨٣.

ولكننا نخاف ان يليه بعدكم من قتلنا ابناءهم واباءهم واخوانهم»^(١).
 وبعد مداوات في الرأي تمت البيعة لابي بكر (رض) باقتراح من
 عمر (رض) وضعف جانب الانصار،^(٢) واختلف في اول من بايع من الانصار هل
 هو بشير بن سعد الخزرجي^(٣) ام اسيد بن حضير الاوسي؟^(٤) وسبب
 الاختلاف لان الفريقين تدافعوا ذلك تفادياً لسعد بن عباد، وكراهية كل حي ان
 يكون نقض امر سعد جاء من جهة صاحبه، فالخزرج اهله وقرابته لا يقرون ان
 بشير بن سعد هو اول من بايع ابا بكر، وابطل امر سعد، ويحيلون ذلك على اسيد بن
 حضير لانه من الاوس خصوم الخزرج. اما الاوس فتكرة نسبه ذلك اليها حتى لا
 ترمى بالحسد للخزرج، لان سعد بن عباد خزرجي فيحيلون انتقاض امره على
 قبيلته - الخزرج - ويدعون ان اول من بايع لابي بكر هو بشير بن سعد، والذي ثبت
 عند ابن ابي الحديد ان اول من بايع لابي بكر عمر، ثم بشير بن سعد، ثم اسيد بن
 حضير، ثم ابو عبيدة ثم سالم^(٥) مولى ابي حذيفة.^(٦) الا ان ابن ابي الحديد لم يشر
 الى دليله الذي استند اليه.

- (١). الشرح ٥٢/٢. وقد علق شيخ ابن ابي الحديد وهو ابو جعفر النقيب على كلام الحباب
 قائلاً: لقد صدقت فراسة الحباب، فان الذي خافه وقع يوم الحرة، واخذ من الانصار ثار
 المشركين يوم بدر، الشرح ٥٢/٢. اما يوم الحرة، فبعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام في كربلاء،
 انتفض اهل المدينة المنورة، فارسل يزيد بن معاوية اليهم مسلم المري فاوقع بهم. انظر
 اليعقوبي: تاريخ ٢٣٦/٢ - ٢٣٧. الطبري: تاريخ ٤٨٢/٥ - ٤٩٥.
- (٢). انظر تفاصيل احداث السقيفة: الشرح ٢١/٢ - ٦٠، ٥/٦ - ٥٢. الزبير بن بكار: الموقفيات
 ص ٥٧٧ - ٦٠٢. اليعقوبي: التاريخ ١١٢/٢ - ١١٦. الطبري: تاريخ ٢١٨/٣ - ٢٢٣.
- (٣). انظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ١٧٢/١ - ٣. ابن حجر: الاصابة ١٥٨/١.
- (٤). انظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ٩٢/١ - ٤. ابن حجر: الاصابة ٤٩/١.
- (٥). هو الذي قال في حق عمر (رض) لما طعن «لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته، فان قيل لي:
 قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ابو عبيدة امين هذه الامة، ولو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا
 لاستخلفته، فان قيل لي: قلت: سمعت رسول الله يقول: ان سالم شديد الحب لله تعالى» انظر
 الطبري تاريخ ٢٢٧/٤.
- (٦). الشرح ١٨/٦. وانظر: الزبير بن بكار: الموقفيات ص ٥٧٨.

وتجدد الاشارة الى ان حجة الانصار اعلاه قد فندها الامام علي عليه السلام حيث سئل ما قالت الانصار؟ قالوا: قالت: منا امير ومنكم امير؛ فقال عليه السلام فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصى بان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال: لو كانت الامامة فيهم لم تكن الوصية بهم. ^(١)

ان ملاحظة موقف الانصار في السقيفة وما بعدها من مناداتهم: «لا نبايع الا عليا» ^(٢) تعطي انطبعا الى ان تأخير بيعة الامام لابي بكر لها علاقة بموقف الانصار.

هذا الموقف الذي استغل للتشجيع بهم من قبل متأخري الاسلام من قريش، مما ولد رد فعل لدى بعض من كبار الصحابة كالامام علي عليه السلام، وخالد بن سعيد بن العاص، ضد كل من اتخذ موقفا سلبيا من الانصار. ^(٣)

وقد بايع الانصار بعد ذلك كلهم ما خلا سعد بن عبادة، الذي رفض بيعة ابي بكر ثم عمر (رض)، وترك المدينة الى الشام، ومات هناك مقتولا، وقد القيت تبعه قتلة على الجن، ولكن ابن ابي الحديد يستهزىء بفكرة قتل الجن لسعد قائلا: «لا اعتقد ان الجن قتلت سعدا، ولا ان هذا شعر الجن، ^(٤) ولا ارتاب ان البشر قتلوه، وان هذا الشعر شعر البشر. ولكن لم يثبت عندي ان ابا بكر امر خالدًا...» ^(٥)

(١). الشرح ٣/٦. انظر النص في نهج البلاغة ص ٩٧ - ٩٨.

(٢). الطبري: تاريخ ٢/٣ - ٢٠٢، ابن الاثير: الكامل ٢/٣٢٥.

(٣). الشرح ٤/٦ - ٤٥، وانظر: الزبير بن بكار: الموفقيات ص ٥٧٧ - ٦٠٢. البيهقي: تاريخ ١١٧/٢ - ١١٨.

(٤). حيث قيل انه سمع هاتف يقول بعد قتل سعد بن عبادة:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة
ورمينا بهم نفلنا
ن فلم نخط فؤاده

الشرح ١٧/٢٢٣. وانظر: ابن قتيبة: المعارف ٢٥٩. الحاكم. المستدرک ٣/٢٨٣.

(٥). الشرح ١٧/٢٢٣ - ٤. ولكن قتل سعد بن عبادة كان ايام الخليفة عمر بن الخطاب (رض). انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٢٦٠.

اما بالنسبة الى الامام علي عليه السلام، فقد اتخذ اولاً موقفاً سلبياً من بيعة ابي بكر (رض)، وابدى احتجاجه في اكثر من مورد «وقد روي كثير من المحدثين انه عقيب يوم السقيفة تألم وتظلم، واستنجد واستصرخ، حيث ساموه الحضور والبيعة، وانه قال وهو يشير الى القبر: يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني.^(١) وانه قال: واجعفره ولا جعفر لي اليوم! واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم!».^(٢)

وقد اشارت بعض المصادر لموقف الصحابة السلبي من الامام وفاطمة عليها السلام، وقد وقف ابن ابي الحديد موقفاً وسطاً بين قبول البعض ورفض البعض الاخر حيث قال: «فأما امتناع علي عليه السلام من البيعة حتى اخرج على الوجه الذي اخرج عليه، فقد ذكره المحدثون ورواه اهل السير، وقد ذكرنا ما قاله الجوهري في هذا الباب، وهو من رجال الحديث، ومن الثقات المأمونين، وقد ذكر غيره من هذا النحو ما لا يحصى كثره،^(٣) فاما الامور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من ارسال قنفذ الى بيت فاطمة عليها السلام، وانه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدملج وبقي اثره الى ان ماتت، وان عمراً اضغطها بين الباب والجدار، فصاحت يا ابتاه يا رسول الله، والقت جنيناً ميتاً، وجعل في عنق علي عليه السلام حبل يقاد به وهو يعتل، وفاطمة خلفه تصرخ وتتادي بالويل والثبور، وابناه حسن وحسين معهما يبكيان، وان علياً لما احضر سألوه البيعة فامتنع، فتهدد بالقتل، فقال: اذن تقتلون عبد الله واخا رسوله فقالوا: اما عبد الله فنعم، واما اخو رسول الله فلا، وانه طعن فيهم في اوجههم بالنفاق، وسطر صحيفة الغدر التي اجتمعوا عليها

(١). مأخوذة من نص قرآني جاء على لسان هارون لموسى عليه السلام، سورة الاعراف: الآية ١٥٠.

(٢). الشرح ١١١/١١.

(٣). ابن قتيبة: الامامة والسياسية ص ١٠ - ١٢. اليسعوي: التاريخ ٢، ١١٥ - ١١٦. الطبري: التاريخ ٢/٣ - ٢٠٢، ٢٠٣ - ٢٠٨، ٩.

وبأنهم ارادوا ان ينفروا ناقة رسول الله ﷺ ليلة العقبة. فكله لا اصل له عند اصحابنا، ولا يثبت احد منهم، ولا رواه اهل الحديث، ولا يعرفونه، وانما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله»^(١).

ونحن نذهب الى ما ذهب اليه ابن ابي الحديد في عدم صحة هذه الامور التي وصفها بالمستهجنة، وان طابع المبالغة واضح فيها، تجدر الاشارة الى ان مصدر هذه الامور هو كتاب سليم بن قيس الهلالي وهو من اجلاء اصحاب الامام علي عليه السلام وقد وضع كتابا يتحدث فيه عن احداث الصدر الاول، وفي اثناء امارة الحجاج توفي سليم مختفيا لدى ابان بن ابي عياش،^(٢) لذا سلم للاخير هذا الكتاب. وقد اكدت المصادر المتقدمة على وجود هذا الكتاب ومن بينها الفهرست لابن النديم، ولكن الملاحظ ان النسخة الاصلية لهذا الكتاب فقدت او انها حُرقت وزيد عليها، وهي النسخة المتداولة في المكتبات الآن، وقد اخضع المحققون هذا الكتاب للدراسة قديما وحديثا وخرجوا بنتائج متباينة،^(٣) وكانت رؤية ابن ابي الحديد له تتمثل بـ «فأما رواية سليم بن قيس الهلالي، فليست بشيء، وسليم معروف المذهب، ويكفي في رد روايته كتابه المعروف بينهم المسمى كتاب سليم، على اني قد سمعت من بعضهم من يذكر ان هذا الاسم غير مسمى، وانه لم يكن في الدنيا احد يعرف بسليم بن قيس الهلالي، وان الكتاب المنسوب اليه منحول

(١). الشرح ٥٩/٢ - ٦٠، ٣٤/٢٠. وانظر كتاب سليم ص ١١٠ - ١١٦، ١٧٩، ٣٣٠ - ٣٣٥. القاضي عبد الجبار: المغني ٢٩/٢/٢٠.

(٢). انظر ترجمته: الطوسي: الرجال ص ٨٣، ١٠٦، ١٥٢.

(٣). انظر: ابن النديم: الفهرست ص ٣٠٧ - ٨، النجاشي: الرجال ص ٦، ٣٤٣. الطوسي: الرجال ص ٤٣، ٦٨، ٧٤، ١٢٤. وايضا له الفهرست ص ١٠٧. الكشي: الرجال ص ٩٦ - ٧. المازندراني: معالم العلماء ص ٥٨. الحلبي: الرجال ص ٨٢ - ٨٣. ابن داود: الرجال ص ١٧٨. البرقي: الرجال ص ٤، ٧ - ٩. ابو القاسم الخوئي: معجم رجال الحديث ٢١٨/٨ - ٢٢٩. الخوانساري: روضات الجنات ٦٥/٤ - ٧٣.

موضوع لا اصل له، وان كان بعضهم يذكره في اسم الرجال»^(١).
على اننا لا نؤيد ابن ابي الحديد في انكاره هذا، فالمصادر المتقدمة اكدت وجوده، والمحققون اثبتوا صحة كتابه، ولكن الاشكال في صحة نسبة النسخة الموجودة الان اليه.

ان الطريقة التي تمت بها بيعة الخليفة ابي بكر (رض) وصفت من قبل عمر (رض) بانها «فلتة وقى الله شرها»،^(٢) والفلتة هي الامر يقع بغتة بلا سابق روية او مشاورة،^(٣) واكد ابن ابي الحديد ان عمرا (رض) لم يقصد الطعن في بيعة ابي بكر (رض) كما فهم البعض، وانما هذه اللفظة مناسبة لاسلوب عمر حيث كان مجبولاً على ذلك، مع انه كان يحاول ان يتلطف في الفاظه، ولكن طبعه يغلب عليه، ثم اكد ان عمرا اراد من اللفظة معناها في اللغة حيث ان الفلتة الامر الذي يعمل فجأة من غير تردد ولا تدبر، وهكذا كانت بيعة ابو بكر، لانها لم تكن عن شورى بين المسلمين وانما وقعت بغتة لم تمحص فيها الاراء، ولم يتناظر فيها الرجال.^(٤)
اما مسألة - النص - فقد انكر ابن ابي الحديد وجود - نص - سواء كان على ابي بكر (رض) او الامام عليه السلام حيث يقول: «ان الخبر المروي في ابي بكر في صحيح البخاري ومسلم^(٥) غير صحيح، وهو ما روي عن قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة في مرضه: ادع لي اباك، حتى اكتب لابي بكر كتابا، فاني اخاف ان يقول قائل، او يتمنى متمن، ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر»^(٦).

(١). الشرح ٢١٦/١٢ - ٢١٧.
(٢). الشرح ٢٣/٢. انظر: البلاذري: انساب الاشراف ١٥/٥. اليعقوبي: تاريخ ١٤٦/٢. الطبري: تاريخ ٢٠٥/٣.
(٣). الجوهري: الصحاح ٢٦٠/١.
(٤). الشرح ٢٦/٢ - ٣٧. وانظر: القاضي: المغني ٣٣٩/١/٢٠.
(٥). صحيح البخاري ٥/٥ ح ٢١٤٥، صحيح مسلم ١٠/٥ ح ١١.
(٦). الشرح ١٣/٦. وانظر صاحب بن عباد: نصرة المذاهب الزيدية ص ٥٩ - ٦١. الحاكم: المستدرک ٥٤٢/٣. ابن حزم: الفصل ١٠٨/٤، ١٧٨. المنقي الهندي: كنز العمال ١٥٩/١٢.

ان بيعة ابي بكر عند المعتزلة بيعة صحيحة شرعية بالاختيار، وليس بالنص وهذا الاختيار قد ثبت سواء بالاجماع او بغير الاجماع لانه طريق الى الامامة. (١)
 اما النص على الامام علي عليه السلام فقد انكره ابن ابي الحديد مرارا موظفا كلام الامام للاستدلال على عدم صحته، ومن هذه النصوص:

اولاً: في شرحه لكلامه عليه السلام في آل محمد عليهم السلام: «ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة». قال ابن ابي الحديد ان الولاية هي الامرة، واذا كان الامامية يحملونها على نص النبي صلى الله عليه وسلم على علي واولاده، فان المعتزلة يرون ان لال الرسول صلى الله عليه وسلم خصائص حق ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم على الخلق. (٢) وهذا التفسير من ابن ابي الحديد غامض، فولاية الرسول على الخلق معروفة، واذا كانت ولايتهم هي ذات خصائص حق ولاية الرسول، فاذن ولايتهم كولاية الرسول على الخلق.

ثانياً: من خلال تأمل ابن ابي الحديد في كتب الاخبار وجد «انه لم يكن هناك نص صريح ومقطوع به لا تختلجه الشكوك، ولا تتطرق اليه الاحتمالات كما تزعم الامامية، فانهم يقولون، ان الرسول صلى الله عليه وسلم نص على امير المؤمنين عليه السلام نصاً صريحاً جلياً ليس بنص يوم الغدير، (٣) ولا خبر المنزلة، (٤) ولا ما شابهها من الاخبار الواردة من طرق العامة وغيرها، بل نص عليه بالخلافة، وبامرة المؤمنين وامر المسلمين ان يسلموا عليه بذلك، فسلموا عليه بها، وصرح لهم في كثير من

(١). الشرح ٧/١.

(٢). الشرح ١٣٩/١ - ١٤٠.

(٣). هو يوم ١٨ من ذي الحجة من العام العاشر للهجرة، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين: من

كنت مولاه فهذا علي مولاه، انظر مصادره في المدخل ص ٣٣.

(٤). في العام التاسع للهجرة خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى تبوك وشارك علياً والياً على المدينة بعد ان قال له: «انت مني بمنزلة هارون من موسى». انظر مصادره المدخل ص ٢٤.

المقامات بانه خليفة عليهم من بعده، وامرهم بالسمع والطاعة له»^(١) لكن ابن ابي الحديد يرى ان المنصف اذا ما لاحظ احوال الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ يقطع بعدم وجود النص «ولكن قد سبق الى النفوس والعقول انه قد كان هناك تعريض وتلويح، وكناية وقول غير صريح، وحكم غير مبتوت، ولعله عليه السلام كان يصده عن التصريح بذلك امر يعلمه، ومصلحه يراعيها، او وقوف مع اذن الله تعالى في ذلك»^(٢).

ثالثاً: من خلال احتجاج الإمام علي عليه السلام على ابي بكر (رض) استدل ابن ابي الحديد انه لا وجود للنص، لانه لو كان هناك نص صريح لاحتج به وانما كان احتجاج بعضهم على الاخر بالسوابق والفضائل والقراية ولو كان هناك نص على ابي بكر لاحتج به على الانصار ولاحتج به الامام علي عليه السلام على ابي بكر (رض) خاصة وان الامام قد «كاشفهم، وهتك القناع بينه وبينهم، الا تراه كيف نسبهم الى التعدي عليه وظلمه، وتمنع من طاعتهم، واسمعهم من الكلام اشده واغلظه، فلو كان هناك نص لذكره.. وهذا هو نص مذهب المعتزلة»^(٣).

رابعاً: وفي تحليله لدخول الإمام علي عليه السلام في الشورى يرى ابن ابي الحديد في هذا الدليل على عدم وجود النص، اذ كيف يدخل الشورى ان كان منصوباً عليه! لان الشورى مبنية على الاختيار وعدم النص! اليس في هذا ايهاً ظاهراً لاكثر المسلمين خاصة ضعفائهم ومن لا نظر له؟ فكيف يجوز له اضلال المكلفين، ويوقع في انفسهم عدم النص؟ واذف ابن ابي الحديد مؤكداً عدم وجود النص بانه كان على الامام ان يكنى كناية لطيفة فيقول لهم «قد كان من رسول الله ﷺ بالامس في حقي ما تعلمون!» وتساءل قائلاً: «اتراهم كانوا في

١. الشرح ٥٩/٢.

٢. الشرح ٥٩/٢.

٣. الشرح ١٢/٦ - ١٣.

جواب هذه الكلمة يقتلونه! ما اظنهم يجتمعون على ذلك، ولا بد لو عرض بشيء من ذلك كان من كلام يدور بينهم في المعنى نحو ان يقولوا ان ذلك النص رجع عنه الرسول ﷺ، او يقولوا: رأى المسلمون تركه للمصلحة، او يجري بينه وبينهم جدال ونزاع، ولم يكن هناك خليفة يخاف جانبه، وانما كان مجلس مناظرة وبحث، ولم يستقر الامر لاحد»^(١).

خامساً: وفي معرض كلامه في تحليله لمحاججته يوم الشورى يقول انه لو كان هناك نص لكان اقل كلفة واسهل طريقاً، وايسر لما يريد تناوياً^(٢) ان يذكرهم بان العهد لم يطل، وان الرسول ﷺ امرهم بطاعته، وانه استخلفه عليهم، وان يذكرهم بانه لم يقع من الرسول ﷺ ما نسخ النص عليه، ولا رفعه، اذن فما الموجب الذي يدفعهم لتركه، والعدول عنه، واذا كان السبب في عدم اشارته هذه هو خوف القتل كما يرى البعض، اذا لماذا لم يخف وهو يمتنع من مبايعتهم ويستصرخ بالحمزة وجعفر والانصار، ويجمع الجموع في داره والبيعة قد عقدت لمن عقدت له»^(٣).

انه اذا كان علياً منصوصاً عليه، وان هذا النص خولف طلباً للرئاسة الدنيوية، فان حال المخالفين لا تعدوا احد امرين: اما الكفر او الفسوق، ولكن قرائن الاحوال واماراتها لا تدل على ذلك، وانما تشهد بخلافه»^(٤).

السادس: والظاهر ان هناك من احتج بأن النبي ﷺ قد نص على الإمام علي عليه السلام في قوله لعائشة (رض) لما سألته: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل. فنظرت السيدة عائشة (رض) ولم تر الا علياً، فقالت: يا

(١). الشرح ٢٧١/١٢ - ٢٧٢.

(٢). اجاب صاحب بن عباد على هذا التساؤل، نصره مذاهب الزيدية ص ٥١ - ٥٨.

(٣). الشرح ١١١/١١ - ١١٢.

(٤). الشرح ١١٢/١١.

رسول الله! ما ارى الا عليا! فقال هو ذلك. (١)

نفى ابن ابي الحديد ان يكون في هذا النص دلالة على النص لانه عليه السلام لم يقل: قد استخلفته. وانما قال: لو استخلفت، وذلك لا يقتضي حصول الاستخلاف، ويجوز ان تكون مصلحة المكلفين متعلقة بالنص عليه، لو كان النبي عليه السلام مأموراً بأن ينص على امام بعينه من بعده، وان يكون من مصلحتهم ان يختاروا لانفسهم من شاءوا اذا تركهم عليه السلام وارايتهم ولم يعين احدا. (٢)

السابع: وعند شرحه لكتاب الامام علي عليه السلام لمعاوية «انه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان...».

استدل على كون الاختيار هو طريق الامامة، وانتقد الامامية في حملهم هذا الكتاب على التقية مراعاة لاصحابه عليه السلام الذي يرون صحة امامة المتقدمين، وقال: «هذا القول من الامامية دعوى لو عضدها دليل لوجب ان يقال بها، ويصار اليها، ولكن لا دليل لهم على ما يذهبون اليه من الاصول التي تسوقهم الى حمل هذا الكلام على التقية». (٣)

الثامن: وبعد مقتل الخليفة عثمان (رض) طالبه كبار الصحابة بالبيعة فقال لهم: «دعوني والتمسوا غيري». هنا اخذ المعتزلة كلام الامام علي عليه السلام على ظاهره، فالامام علي عليه السلام وان كان اولى الناس بالامامة واحقهم بمنزلتها فان كلامه هذا فيه دلالة على انه لا منصوص عليه. (٤)

وانتقد الامامية لصرفهم الكلام عن ظاهره قائلاً: «ان ما ذكروه ليس ببعيد ان يحمل الكلام عليه لو كان الدليل قد دل على ذلك، فاما اذا لم يدل عليه دليلاً،

(١). الشرح ٢١٨/٦. وانظر: الحاكم: المستدرک ١٣٢/٣. القاضي: المغني ٦٢/٢/٢٠.

(٢). الشرح ٢١٨/٦ - ٢١٩.

(٣). الشرح ٣٥/١٤ - ٣٧.

(٤). الشرح ٣٣/٧ - ٣٤.

فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره، ونحن نتمسك بالظاهر الا ان تقوم دلالة على مذهبهم تصدنا عن حمل اللفظ عن ظاهره ولو جاز ان تصرف الالفاظ عن ظواهرها لغير دليل قاهر يصدف ويصد عنها، لم يبق وثوق بكلام الله عزوجل وبكلام رسوله ﷺ». (١)

التاسع: عند شرحه لكلامه ﷺ: «حتى اذا قبض الله رسوله رجع قوم على الاعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولايج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي امروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص اساسه، فبنوه في غير موضعه». (٢)

اوضح ان المعتزلة يحملون بكلامه ﷺ على انه قصد اعداءه الذين حاربوه في صفين، فهم الذي نقلوا البناء، وهجروا السبب، ووصلوا غير الرحم واتكلوا على الولايج، وغالتهم السبل، ورجعوا على الاعقاب، كعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبه، ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة، وحبيب بن مسلمة، وبسر بن ارطاه، وسعيد بن العاص، وحوشب، وذو الكلاع، وشرحبيل بن السمط، وابي الاعور السلمي وغيرهم، اذ ان هؤلاء نقلوا الامامة عنه ﷺ الى معاوية. (٣)

ان لفظ كلام الامام علي ﷺ اعلاه يشير الى خلاف تأويل ابن ابي الحديد، فعليه السلام يشير الى ان الرجوع على الاعقاب لما قبض الرسول ﷺ وما ذكره ابن ابي الحديد اعلاه وقع بعد اكثر من عشرين سنة، فكيف ذهب الى هذا التفسير؟ اشار ابن ابي الحديد الى انه ربما رجع هؤلاء على الاعقاب بعد وفاة الرسول ﷺ، واضمروا في انفسهم مشاققة الإمام علي ﷺ واذاه، حيث كان هناك من يؤذيه ويتعرض اليه ايام ابي بكر وعمر وعثمان (رض)، وقد يقصد ﷺ

(١). الشرح ٢٤/٧ - ٢٥.

(٢). الشرح ١٣٢/٩.

(٣). الشرح ١٣٤/٩.

برجوعهم ارتدادهم عن الاسلام بالكلية، فان كثيراً من المعتزلة يطعنون في ايمان بعض مما ذكر اعلاه، ويعدونهم من المنافقين، وكان سيف الرسول صلوات الله عليهم يجمعهم عن اظهار ما في انفسهم من النفاق، اما بعده فاظهروا نفاقهم خاصة مع الامام علي عليه السلام الذي ورد في حقه «ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله الا يبغض علي ابن ابي طالب»^(١) واكد ابن ابي الحديد ان هذا الخبر محقق ووارد في كتب الصحاح^(٢).

ولقد تعرض ابن ابي الحديد للنقد في تأويله هذا «يمنعك من هذا التأويل قوله: «ونقلوا البناء عن رص اساسه، فجعله في غير موضعه» وذلك لان «اذ» ظرف، والعامل فيها قوله «رجع قوم على الاعقاب» وقد عطف عليه قوله «ونقلوا البناء»؛ فاذا كان الرجوع على الاعقاب واقعاً في الظرف المذكور وهو وقت قبض الرسول، وجب ان يكون نقل البناء الى غير موضعه واقعاً في ذلك الوقت ايضاً، لان احد الفعلين معطوف على الاخر، ولم ينقل احد وقت قبض الرسول صلوات الله عليهم البناء الى معاوية عن امير المؤمنين عليه السلام، وانما نقل عنه الى شخص آخر، وفي اعطاء العطف حقه اثبات مذهب الامامية صريحاً»^(٣).

فكان جواب ابن ابي الحديد: اذا كان الرجوع على الاعقاب واقعاً وقت قبض النبي صلوات الله عليهم فقد قمنا بما يجب من وجود عامل في الظرف، حيث لا يجب ان يكون نقل البناء الى غير موضعه واقعاً في تلك الحال ايضاً، بل يجوز ان يكون واقعاً في زمان آخر، اما بأن تكون الواو للاستئناف لا للعطف، او ان تكون للعطف

(١). الترمذي: صحيح ١٦٨/١٢. الحاكم: المستدرک ١٣٩/٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١١٠/٣. ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٤٨.
 الهيتمي: مجمع الزوائد ١٣٢/٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠. الهيتمي: الصواعق ص ١٧٢، ١٢٠.
 (٢). الشرح ١٣٤/٩ - ١٣٥.
 (٣). الشرح ١٣٥/٩.

في مطلق الحدث، لا في وقوع الحدث في عين ذلك الزمان المخصوص، كقوله تعالى: ﴿حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فأقامه﴾^(١).

عاشرا: في اثناء دراسته على يد شيخه الامامي - ابي جعفر النقيب - سأل ابن ابي الحديد شيخه قائلا: «ان نفسي لا تسامحني ان انسب الى الصحابة عصيان رسول الله ﷺ ودفع النص»، وهو هنا يؤكد الرؤية الاعتزالية.

فكان جواب النقيب: «وانا فلا تسامحني ايضا نفسي ان انسب الرسول ﷺ الى اهمال امر الامامة، وان يترك الناس فوضى سدى مهملين، وقد كان لا يغيب عن المدينة الا ويؤمر عليها اميرا وهو حي ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث». ثم اوضح ان الدعوة التي جاء بها النبي ﷺ كانت سببا في سفك دماء البعض على يد الامام علي عليه السلام اذن فعلى النبي ﷺ ضرورة حقن دمه واهل بيته، وهذا يدعوه لتأمين مستقبلهم وذلك بالنص على الامام علي عليه السلام^(٢).

وقال له مرة اخرى: «انه لم يثبت النص عندنا بطريق يوجب العلم وما تذكرونه انتم صريحا فانتم تنفردون بنقله، وما عدا ذلك من الاخبار التي نشارككم فيها، فلها تأويلات معلومة». فاجاب النقيب: «لو فتحنا باب التأويلات، لجاز ان يتناول قولنا: لا اله الا الله محمد رسول الله. دعني من التأويلات الباردة التي تعلم القلوب والنفوس أنها غير مراده، وان المتكلمين تكلفوها وتعسفوها»^(٣).

ان ابن ابي الحديد مع انكاره للنص لكنه يلمح الى امور اخرى كان

(١). سورة الكهف: الآية ٧٧.

(٢). الشرح ١٣٥/٩ - ١٣٦.

(٣). الشرح ٢٤٨/٩ - ٢٥٠. وانظر ايضا ٥٣/٢. وانظر مناقشة ابن ابي الحديد للنقيب حول موقف الصحابة من النص. الشرح ٨٢/١٢ - ٩٠.

(٤). الشرح ٢٢٧/١٠.

النبي ﷺ يراها في علي عليه السلام «فرسول الله ﷺ اخبره ان الامامة حقه، وانه اولى بها من الناس اجمعين». (١) ولذلك كان الإمام علي عليه السلام يقول في آل البيت «ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة» فالولاية هي الامرة، ولكنها ليست اشارة للنص كما تقول الامامية، بل تعني ان لهم خصائص حق ولاية الرسول ﷺ على الخلق. اما الوصية «فالاريب عندنا ان عليا عليه السلام كان وصي رسول الله ﷺ، وان خالف في ذلك ممن هو منسوب عندنا الى العناد، ولسنا نعني بالوصية النص والخلافة، ولكن امورا اخرى لعلها - اذا لمحت - اشرف واجل». (٢)

ولذا دعي الامام بعد وفاة الرسول ﷺ بانه وصي رسول الله، لوصايته اليه بما اراد «واصحابنا لا ينكرون ذلك، ولكن يقولون: أنها لم تكن وصية بالخلافة، بل بكثير من المتجددات بعده، افضى بها اليه عليه السلام». (٣)

ولقد اورد ابن ابي الحديد الكثير من الشعر الذي قيل في صدر الاسلام، وفيه اشارة الى ان الامام علي عليه السلام ووصي الرسول ﷺ: (٤) فمنها قول عبدالله بن ابي سفيان بن الحارث: (٥)

وصي النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه

وقال عبدالرحمن بن جعيل: (٦)

عليا وصي المصطفى وابن عمواول من صلى اخا الدين والتقى

وقال ابو الهيثم بن التيهان احد اصحاب بدر:

ان الوصي امامنا ووليننا برح الخفاء وباحت الاسرار

(١). الشرح ٢/٢٩٦.

(٢). الشرح ١/١٣٩ - ١٤٠.

(٣). الشرح ١/١٢.

(٤). الشرح ١/١٤٣ - ١٤٧.

(٥). انظر ترجمته: ابن عبدالبر: الاستيعاب ٣/٩٢١. ابن حجر: الاصابة ٢/٣٢٠.

(٦). لم اهند الى ترجمته.

وقال رجل من الازد في معركة الجمل:
هذا علي وهو الوصي آخاه يوم النجوة^(١) النبي
وقال سعيد بن قيس الهمداني:^(٢)
قل للوصي اقبلت قحطانها فأدع بها تكفيكها همدانها
وقال زياد بن لييد الانصاري:^(٣)
ولا نبالي في الوصي من غضبوانما الانصار جد لا لعب
وقال حجر بن عدي الكندي:^(٤)
فيه فقد كان له وليا ثم ارتضاه بعده وصيا
وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين:
يا وصي قد اجلت الحرب الاعادي وسارت الاضعان
وقال خزمية ايضاً مخاطباً السيدة عائشة (رض):
وصي رسول الله من دون اهله وانت على ما كان من ذلك شاهدة
وقال زحر بن قيس الجعفي^(٥) في الامام علي:
من زانه الله وسماه والوصي ان الولي حافظ ظهر الولي
وبعدايراده لهذه الابيات قال ابن ابي الحديد: «ذكر هذه الاشعار والاراجيز

(١). يقصد بالنجوة ما روي عن ان النبي ﷺ دعا الامام علي وابتجاءه، واطال نجواه يوم الطائف، فتكلم بعض الناس، فقال عليه السلام: ما انتجيتته ولكن الله انتجاه. الترمذي: صحيح ١٧٣/١٢. ابن تيمية: منهاج السنة ١٣/٣. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٥٧/٧.

(٢). من الدهاة والاجواد، ومن خواص الامام علي عليه السلام. الطبري: تاريخ ٥٤/٥. الهمداني: الاكليل ٤٦/١٠ - ٥٠.

(٣). الحاكم: المستدرک ٦٨١/٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٥٣٣/٢ - ٤. ابن حجر: الاصابة ٥٥٨/١ - ٥٥٩.

(٤). احد ابرز الصحابة الذي قتل ايام معاوية بتهمة الخروج عليه وكان قتله من ضمن المأخذ الكبرى على معاوية. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣٢٩/١. ابن حجر: الاصابة ٣١٤/٢ - ٥.

(٥). كان رسول الامام علي عليه السلام الى الخوارج وارسله ايضا الى الري. رجال ابن داود ق ١ ص ١٥٥. ابن حجر: الاصابة ٥٧٦/١.

باجمعها ابو مخنف لوط بن يحيى^(١) في كتاب وقعة الجمل. و ابو مخنف من المحدثين، وممن يرى صحة الامامة بالاختيار، ولبس من الشيعة ولا معدود من رجالها^(٢).

ثم عزز ابن ابي الحديد رؤيته في الوصية بما اورده نصر بن مزاحم المنقري في كتاب وقعة صفين الذي قال فيه بانه من رجال الحديث^(٣). وابن ابي الحديد باستخدامه مصطلح -المحدثين- ورجال الحديث انما يعني المؤرخين. قال الاشعث بن قيس^(٤):

رسول الوصي وصي النبي له السبق والفضل في المؤمنين^(٥)

وقال الإمام علي عليه السلام يوم صفين:

يا عجباً لقد سمعت منكراً كذبا على الله يشيب الشعرا

ما كان يرضي احدا لو اخبرا ان يقرنوا وصية والابتر^(٦)

وقال جرير بن عبدالله البجلي^(٧):

وصي رسول الله من دون اهله وفارسه الحامي به يضرب المثل^(٨)

وقال النعمان بن عجلان الانصاري^(٩):

(١). احد رواة الاخبار في القرن الثاني للهجرة. ت ١٥٧ هـ ومن مدرسة العراق التاريخية، لمزيد من التفاصيل عنه انظر: كفاية طارش العلي: ابو مخنف ودوره في التدوين التاريخي. رسالة ماجستير غير منشورة، البصرة، ١٩٩٧.

(٢). الشرح ١٤٧/١.

(٣). الشرح ١٤٧/١.

(٤). امير كنده اسلم في عهد النبي صلى الله عليه وآله ثم امتنع عن تأدية الزكاة في عهد الخليفة ابي بكر (رض). فعفى عنه الخليفة بعد ان طلب الامان وزوجه اخته ام فسرة. انظر الشرح ٢٩١/١ - ٢٩٧. الطبري ٣/٣٣٥ - ٣٣٩.

(٥). الشرح ١٤٧/١. المنقري: صفين ص ٢٣.

(٦). الشرح ١٤٨/١. المنقري: صفين ص ٤٣.

(٧). انظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٢٣٦ - ٢٤٠. ابن حجر: الاصابة ١/٢٣٢.

(٨). الشرح ١٤٩/١. المنقري: صفين ص ٤٨ - ٤٩.

(٩). احد الانصار وشاعرهم، شهد صفين مع الامام وتولى البحرين. الشرح ١٤٧/١٦. ابن

كيف التفرق والوصي امامنا لا كيف الا حيرة وتخاذلا^(١)

وقال عبدالرحمن بن ذؤيب الاسلمي^(٢) في معاوية:

يقودهم الوصي اليك حتى يردك عن ضلال وارتياب^(٣)

وقال المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب^(٤):

فيكم وصي رسول الله وقائدكم صهره وكتاب الله قد نشر^(٥)

وقال عبدالله بن العباس

وصي رسول الله من دون اهله وفارسه ان قيل هل من منازل^(٦)

وخلص ابن ابي الحديد للقول: «والاشعار التي تتضمن هذه اللفظة

(الوصي) كثيرة جداً، ولكننا ذكرنا منها هاهنا بعض ما قيل في هذين الحريين

(الجمل وصفين)، فأما ما عداهما، فانه يجمل عن الحصر، ويعظم عن الاحصاء

والعد، ولولا خوف الملالة والاضجار لذكرنا من ذلك ما يملأ اوراقاً كثيرة»^(٧).

واستمراراً لرؤية النبي ﷺ فإن الامام علياً يرى نفسه احق بالامر، ليس

على اساس النص، وانما على اساس الافضيلة والقراية والسابقة والجهاد وغيرها

من الفضائل،^(٨) ففي قوله علياً «واعجبا ان تكون الخلافة بالصحابة، ولا تكن

بالصحابة والقراية». يشير الامام هنا الى قول عمر لابي بكر (رض) في السقيفة:

انت صاحب رسول الله في المواطن كلها، شدتها ورخائها، فامددت يدك، فهنا

عبدالبر: الاستيعاب ١٥٠١/٤ - ٢. ابن حجر: الاصابة ٥٦٢/٣.

(١). الشرح ١٤٩/١. المنقري: صفين ص ٣٦٥.

(٢). لم اهتد الى ترجمته.

(٣). الشرح ١٤٩/١. المنقري: صفين ص ٣٨٢.

(٤). احد ابطال وشعراء الجاهلية والاسلام، اسلم في فتح مكة، ومات في خلافة عمر (رض).

ابن عبدالبر: الاستيعاب ١٤٤٥/٤.

(٥). الشرح ١٤٩/١ - ١٥٠. المنقري: صفين ص ٣٨٥.

(٦). الشرح ١٥٠/١. المنقري: صفين ص ٤١٦ - ٧.

(٧). الشرح ١٥٠/١.

(٨). الشرح ٢٥٤/١٠.

يرى الإمام علي عليه السلام اذا احتج عمر (رض) علي استحقاق ابي بكر (رض) الخلافة بالصحابة، فهلا سلم عمر ذلك الى من شارك ابي بكر في ذلك وزاد عليه بالقرابة. (١) ولكن الإمام علي عليه السلام يقول: «ان الائمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح علي سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم». لقد واجه ابن ابي الحديد اشكالا في شرحه لهذا النص، فالمعروف انه شرح نهج البلاغة طبقاً لقواعد المعتزلة، وهذا النص يفيد ما تذهب اليه الامامية، لذا قال: «هذا الموضوع مشكل، ولي فيه نظر: وان صح ان علياً عليه السلام قاله: قلت كما قال، لانه ثبت عندي ان النبي ﷺ قال: «انه مع الحق، وان الحق يدور معه حيثما دار»، ويمكن ان يتأول ويطبق علي مذهب المعتزلة فيحمل علي ان المراد به كمال الامامة كما حمل قوله ﷺ: «لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد» (٢) علي نفني الكمال لا علي نفني الصحة». (٣)

كان الإمام علي عليه السلام يرى ان الامامة لا يتولاها الفاسق، ولا بد للامام من صفات مخصوصة، منها «انه لا ينبغي ان يكون علي الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل، فتكون في اموالهم نهمته ولا الجاهل فيظلمهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف (٤) للدول فيتخذ قوماً دون قوماً، ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة، فيهلك الامة». (٥)

فلما كان عليه السلام اول السابقين، وجب ان يكون اقرب المقربين، حيث يقول

(١). الشرح ٤١٦/١٨.

(٢). اخرجاه: الباقلاني: التمهيد ٣٧٠/١.

(٣). الشرح ٨٨، ٨٧، ٨٤/٩.

(٤). هو الظالم والجائر في تقسيم الاموال فيخص قوماً دون قوم، الشرح ٢٦٦/٨.

(٥). الشرح ٢٦٥، ٢٦٤/٨.

تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١) ولما كان اقرب المقربين، وجب ان تنتفي عنه الموانع الستة اعلاه التي جعلها سبباً في عدم استحقاق صاحبها الامامة، وهي البخل، والجهل، والجفاء - أي الغلظة - والعصبية، تقديم قوم على اخرين، والارتشاء في الحكم، وتعطيل السنة، فاذا ما انتفت هذه الموانع الستة عنه عليه السلام توجب ان يكون هو الامام، لان شروط الامامة موجودة فيه بالاتفاق فاذا كان موانعها عنه منتفية، ولم يحصل لغيره اجتماع الشروط وارتفاع الموانع، وجب ان يكون هو الامام، لانه لا يجوز خلو العصر من امام سواء كانت هذه المسألة عقلية او سمعية.^(٢)

ويضع الإمام علي عليه السلام شرطين آخرين لمن يتولى الامامة اذ يقول: «ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه، واعلمهم بامر الله فيه». والفرق بين الاقوى والاعلم، ان الاقوى هو الاحسن سياسة، اما الاعلم فهو الاكثر علماً واجراء للتدبير بمقتضى العلم، وبينهما فرق واضح، فقد يكون سائسا حاذقا، ولا يكون عالما بالفقه، وقد يكون سائسا فقيها، ولا يجرى التدبير على مقتضى علمه وفقهه.^(٣)

ولذا كان الامام عليه السلام يرى ان العدول بالامامة عنه الى غيره اخراج لها الى غير جهة الاستحقاق، لذلك شبه ذلك بادلاء الانسان بماله الى الحاكم، فانه اخراج للمال الى غير وجهه.^(٤)

وطبقا لهذه الرؤية فسر ابن ابي الحديد كلام الامام الجاري في هذا المعنى،

(١). سورة الواقعة: الآية ١٠.

(٢). الشرح ٢٦٥/٨. يقول صاحب بن عباد:

تجمع فيه ما تفرق في الورى

ديوان صاحب ص ٣٤.

(٣). الشرح ٣٢٨/٩ - ٣٢٩.

(٤). الشرح ١٦٢/١ - ١٦٣.

ففي شرحه للخطبة الشقشقية^(١) قال: «انه لما كان امير المؤمنين عليه السلام هو الافضل والاحق، وعدل عنه الى من لا يساويه في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يماثله في سؤدد وشرف، ساغ اطلاق هذه الالفاظ، وان كان من وسم بالخلافة قبله عدلا تقيا، وكانت بيعته بيعة صحيحة»^(٢).

وفي احتجاجه عليه السلام على اهل الشورى: «انما اطلب حقالي وانتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه» قال ابن ابي الحديد ان المعتزلة تحمل هذا الكلام على ادعائه عليه السلام الامر بالافضلية والاحقية وهو الحق والصواب، لان حمله على الاستحقاق بالنص يعني تفكير او تفسيق وجوه المهاجرين والانصار، وانتقد الامامية والزيدية لآخذهم هذه الالفاظ على ظاهرها «ولعمري ان هذه الالفاظ موهمة مغلبة على الظن ما يقوله القوم؛ ولكن تصفح الاحوال يبطل ذلك الظن؛ ويدراً ذلك الوهم، فوجب ان يجري مجرى الايات المتشابهات الموهمة مالا يجوز على البارئ، فانه لا نعمل بها، ولا نعول على ظواهرها، لانا لما تصفحنا ادلة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ، وان تحمل على التأويلات المذكورة في الكتب»^(٣).

وكذلك حمل المعتزلة كلام الإمام علي عليه السلام «اللهم اني استعديك على قريش ومن اعانهم، فانهم قد قطعوا رحمي؛ واكفئوا انائي، واجمعوا على منازعتي حقا كنت اولى به من غيري، وقالوا: الا ان في الحق ان تأخذه وفي الحق

(١) احدى خطب الامام علي عليه السلام التي اوضح فيها رؤيته الى نظام الحكم بعد الرسول عليه السلام وقد اثبتت الشكوك حولها، ولكن ابن ابي الحديد أكد صحة وجودها وصدورها عن الامام عليه السلام في مصادر غير الشريف الرضي. الشرح ١/١٥١ - ٢٠٦. وانظر: سبط ابن الجوزي الذي قال عنها: «ذكر بعضها صاحب النهج، وأخل بالبعض، وقد اتيت بها مستوفاة، اخبرنا بها شيخنا ابو القاسم النقيسي الاتباري باسناده عن ابن عباس...». ثم ذكر نص الخطبة. تذكرة ص ١٢٤ - ٥. الشهرستاني: ما هو نهج البلاغة ص ٢٣ - ٤٠.

(٢) الشرح ١/١٥٧.

(٣) الشرح ٩/٣٠٥، ٣٠٧.

ان تمنعه، فاصبر مغموما، او مت متأسفا». هذا الكلام حمله المعتزلة على تألمه وتظلمه منهم اذ تركوا الاولى والافضل.^(١)

ولكننا لاحظنا ان ابن ابي الحديد^(٢) في ايضاحه للدافع الذي دفع الامام لذكر نعم الله عليه انما هو «من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدي فما لكم كيف تحكمون﴾»^(٣).

اذن هنا ابن ابي الحديد يؤكد على ان الله سبحانه وتعالى نهى عن تقديم المفضول على الافضل، فكيف يعتقد ابن ابي الحديد بجواز ذلك؟

اذا كان الامام علي عليه السلام هو من اراده الرسول ﷺ لتولي قيادة الامة من بعده، ليس بطريق النص انما بالافضلية، اذن لماذا اختار المسلمون ابا بكر للخلافة؟ وما هو موقف الامام من هذا الاختيار حسب الرؤية الاعتزالية؟

لدى المعتزلة قاعدة تقول بجواز امامة المفضول مع وجود الافضل،^(٤) فامامة ابي بكر وعمر وعثمان صحيحة مع وجود الافضل وهو الامام علي عليه السلام ولكن ابن ابي الحديد يشير الى تعدد مصادر هذه القاعدة:

المصدر الاول: الله سبحانه وتعالى اذ يقول: «واقترضت حكمته ان... قدم المفضول على الافضل لمصلحة اقتضاها التكليف».^(٥)

المصدر الثاني: الله والرسول ﷺ: «وانه لولا ما يعلمه الله ورسوله من ان

(١). الشرح ١٠٩/١١ - ١١١.

(٢). الشرح ٧٥/٩.

(٣). سورة يونس: الآية ٣٥.

(٤). انظر رؤية صاحب بن عباد لعدم صحة ذلك، الصاحب بن عباد: نصرة مذاهب الزيدية، ص ٨٩ - ٩٨.

(٥). الشرح ٣/١. وقد لاحظنا انه استشهد بالآية القرآنية التي تنهى عن ذلك.

الاصح للمكلفين تقديم الفضول عليه»^(١).

المصدر الثالث: الصحابة: «فاصحابنا رحمهم الله لما احسنوا الظن بالصحابة وحملوا ما وقع منهم على وجه الصواب، وانهم نظروا الى مصلحة الاسلام، وخافوا فتنة لا تقتصر على ذهاب الخلافة فقط، بل وتفضي الى ذهاب النبوة والملة، فعدلوا عن الافضل الاشرف الاحق، الى فاضل آخر دونه فعقدوا له»^(٢).

ان الصحابة هنا اما ان يكونوا عدلوا عن الافضل لعله ومانع الافضل، او لا لمانع، فان كان لا لمانع كان ذلك عقداً للمفضول بالهوى، فيكون باطلاً وان كان لمانع فكان على الإمام علي عليه السلام ان يعذرهم في العدول عنه، ويعلم ان العقد لغيره كان مصلحة للاسلام، فكيف حسن منه ان يشكوهم بعد ذلك ويتوجد عليهم! وايضاً فما معنى قوله «فطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جداء»، فان ترك الاولى لا يصل عليه بالحرب^(٣).

اوضح ابن ابي الحديد الرؤية الاعتزالية حول هذه التساؤلات في انه يجوز ان الإمام علي عليه السلام لم يغلب على ظنه ما غلب على ظنون الصحابة من الشغب وثوران الفتنة، حيث ان الظنون تختلف باختلاف الامارات، فنجد انسان يغلب على ظنه امر، اما غيره فيغلب على ظنه خلافة، وتفسير المعتزلة لقوله عليه السلام «ارتأي بين ان اصول» يجوز انه اراد بها صيال الجدال والمناظرة وليس الحرب، فلو كان جادلهم فربما خصموه بان يقولوا له: قد غلب على ظنوننا ان الفساد يعظم ويتفاقم ان وليت الامر، ولا يجوز مع غلبة ظنوننا لذلك ان نسلم الامر اليك، لذا قال عليه السلام: طفقت ارتأي بين ان اذكر لهم فضائلي عليهم، واحاجهم بها، فيجيئونني بهذا

(١). الشرح ٢٩٦/٢.

(٢). الشرح ١٥٧/١. ١١١/١١.

(٣). الشرح ١٥٨/١.

الجواب، الذي تصبح به حجتي جذاً مقطوعة، ولا قدرة لي على تشييدها ونصرتها، وبين ان اصبر على ما آل اليه الامر.^(١)

اذا كان عليه السلام لم يغلب على ظنه وجود العلة والمانع، وكان قد استراب الصحابة وشكاهم لعدولهم عن الافضل الذي لا علة فيه عنده، اذن فقد ظلم الصحابة، ونسبهم الى غضب حقه، فما الفرق بين ذلك وبين ان يستظلمهم لمخالفة النص؟ وكيف هرب المعتزلة من نسبته عليه السلام لهم الى الظلم لدفع النص، ووقعوا في نسبته الى الظلم لخلاف الاولى من غير علة في الاولى، ومعلوم ان مخالفة الاولى من غير علة فيه كتارك النص لان العقد في كلا الموضوعين يكون فاسداً.^(٢)

اوضح ابن ابي الحديد رؤية المعتزلة بان هناك فرقاً ظاهراً بين الامرين، لان الامام عليه السلام لو نسبهم الى مخالفة النص، لوجب وجود النص، ولو كان موجوداً لكانوا كفاراً او فساقاً لمخالفته، واما اذا نسبهم لترك الاولى من غير علة في الاولى، فقد نسبهم الى امر يدعون فيه خلاف ما يدعي عليه السلام، واحد الامرين لازم، وهو اما ان يكون ظنهم صحيحاً او غير صحيح، فان كان صحيحاً فالمسألة لا كلام فيها، وان لم يكن صحيحاً كانوا كالمجتهد اذا ظن واخطأ فانه معذور، ومخالفة النص امر خارج عن هذا الباب لان مخالفته غير معذور بحال.^(٣)

واشار ابن ابي الحديد ان الإمام علي عليه السلام كان اولاً يظن ان العقد لغيره كان عن غير نظر في المصلحة، وانه لم يقصد به الا صرف الامر عنه، او الاستئثار عليه فظهر منه ما ظهر من الامتناع والقيود في بيته، الى ان صح عنده وثبت في نفسه انهم اصابوا فيما فعلوه، وانهم لم يميلوا الى هوى، ولا ارادوا الدنيا، وانما فعلوا

١. الشرح ١/١٥٨. وانظر الهاشمي: منهاج البراعة ٢/٤١٦ - ٤٢٠.

٢. الشرح ١/١٥٨ - ١٥٩.

٣. الشرح ١/١٥٩.

الاصلاح في ظنونهم.^(١)

المصدر الرابع: الامام علي عليه السلام ان الإمام علي عليه السلام ادرك المصلحة لذا ترك حقه لغيره،^(٢) ولكن ماهي هذه المصلحة؟ ومن الذي او عز للإمام بذلك؟، هنا يقدم لنا ابن ابي الحديد اربع حثيات:

الاولى: ان الرسول ﷺ امر الامام بذلك، ففي قوله عليه السلام: «فنظرت في امري، فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي، واذا الميثاق في عنقي لغيري».^(٣)
 هذه الخطبة اوضح فيها الإمام علي عليه السلام حالة بعد وفاة النبي ﷺ وانه كان معهوداً اليه الا ينازع في الامر ولا يثير فتنة، بل يطلبه بالرفق، فان حصل له والا امسك، «هكذا كان يقول عليه السلام وقوله الحق، وتأويله هذه الكلمات: فنظرت في امري فاذا طاعتي لرسول الله ﷺ أي وجوب طاعتي، فحذف المضاف، واقام المضاف اليه مقامه، قد سبقت بيعتي للقوم، أي وجوب طاعة رسول الله ﷺ علي، ووجوب امتثالي امره سابق على بيعتي للقوم، فلا سبيل لي الى الامتناع من البيعة لانه ﷺ اخذ علي الميثاق بترك الشقاق والمنازعة فلم يحل لي، ان اتعدى امره، او اخالف نهيه».^(٤)

واضاف ابن ابي الحديد ان رسول الله ﷺ اخبر الامام بان الامامة حقه وانه اولى بها من كل الناس، واعلمه ان في تقديم غيره وصبره على التأخر عنها مصلحة للدين راجعة الى المكلفين، وانه يجب ان يمسك عن طلبها، ويفضي عنها لمن هو دون مرتبته، فامتثل ما امره به رسول الله ﷺ، ولم يخرججه تقدم من تقدم عليه من كونه الافضل والاولى واللاحق.^(٥)

(١). الشرح ١١٢/١١.

(٢). الشرح ١٤٠/١. وانظر الجاحظ: استحقاق الامامة ص ١٨٢ - ٣.

(٣). الشرح ٢٨٤/٢. وانظر نص كلام الامام علي عليه السلام البيهقي: المحاسن ص ٥١.

(٤). الشرح ٢٩٥/٢ - ٢٩٦.

(٥). الشرح ٢٩٦/٢.

الثانية: ان الامام ترك حقه لما لاحظ من حسد البعض له وكراهيتهم اياه. (١)
وانحرفهم عنه، وميلهم عليه، ولاحظ ثورات الاحقاد التي كانت في انفسهم،
واحتدام نيران قلوبهم، وتذكروا تراته التي وترهم بها، ثم اوضح ابن ابي الحديد
الاسباب التي دفعت العرب للعدول عن الإمام عن الإمام علي عليه السلام وهي:

١. صغر سنه، واستهجان البعض تقديم الشباب على الكهول والشيوخ.
٢. يرى البعض كراهية الجمع بين النبوة والخلافة في بيت واحد، فيجحفون
على الناس.

٣. استصعاب قوم شكيمته، وخوفهم شدته، وعلمهم بانه عليه السلام لا يحابي ولا
يداجي ولا يراقب ولا يجامل في الدين، وان الخلافة تحتاج الى من يجتهد برأيه،
ويعمل بموجب استصلاحه.

٤. حسد البعض اياه منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله لشدة اختصاصه بالرسول صلى الله عليه وآله،
وتعظيم الرسول اياه وما قال فيه من الفضائل الدالة على رفعة شأنه، وعلو مكانه،
وما اختص به من مصاهرته واخوته، وغيرها من احواله معه عليه السلام.

٥. تنكر البعض له ناسبين له العجب والتهيه، حيث اتهموه باحتقاره البعض،
واستصغاره الناس، «وان كانوا عندنا كاذبين، ولكنه قول قيل، وامر ذكر، وحال
نسبت اليه، واعانهم عليها ما كان يصدر منه من اقوال توهم مثل هذا، نحو قوله
«فانا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا» (٢).

ولذا فان الإمام علي عليه السلام صح عنده ان الامر لم يكن ليستقيم له يوما
واحدا، ولا ينتظم ولا يستمر، وانه لو ولي الامر لفتقت العرب عليه فتقا يكون فيه
استئصال شأفة الاسلام، وهدم اركانه، فاذعن بالبيعة، وجنح الى الطاعة وامسك
عن طلب الخلافة، وان كان علي مريض. وهذه الرؤية هي رؤية متأخري معتزلة

(١). الشرح ١/١٤٠.

(٢). الشرح ١١٢/١١٣-١١٣.

بغداد. (١)

واكد ابن ابي الحديد ان حال الإمام علي عليه السلام اشهر من ان يحتاج للايضاح حيث لوحظ انتقال العرب عليه لما بويج للخلافة بعد خمس وعشرون سنة من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي اقل من هذه المدة تنسى الاحقاد، وتموت التراث، وتبرد الاكباد الحامية، وتسلو القلوب الواجدة، ويمضي جيل من الناس، ويأتي جيل جديد، ولا يبقى من ارباب تلك الشحنة والبغضاء الا القليل، ومع كل ذلك فإن حاله مع قريش كانت كأنها حالة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث ظهر ما في النفوس، وهاج ما في القلوب، حتى ان الابناء والاحفاد الذين لم يشهدوا وقائعه عليه السلام وفتكاته في اسلافهم وابائهم، فعلوا به ما لو كان الاباء موجودين لقصروا عن فعلهم، اذن ياترى كيف يكون حاله لو تولى الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، اذن كانت تتدرس اعلام الملة، وتنغفي رسوم الشريعة، وتعود الجاهلية الجهلاء، ويفسد ما اصلحه الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان من عناية الله بهذا الدين ان الهم الصحابة ما فعلوه. (٢)

ولكن ابن ابي الحديد ناقض رأيه هذا في رده على قول معاوية للامام علي عليه السلام: «لو وليتها حينئذ (بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم) لفسد الامر، واضطرب الاسلام». قال ابن ابي الحديد: «لعله لو وليها حينئذ استقام الامر وصلاح الاسلام وتعهد، فانه ما وقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان الا لان امره قد هان عندهم بتأخره عن الخلافة وتقدم غيره عليه، فصغر شأنه في النفوس، وقرر من تقدمه في قلوب الناس انه لا يصلح لها كل الصلاحية، والناس على ما يحصل في نفوسهم، ولو كان وليها ابتداء وهو على تلك الحالة التي كان عليها ايام الرسول صلى الله عليه وسلم وبنتلك المنزلة الرفيعة، والاختصاص الذي كان له، لكان الامر غير الذي رأيناه عند

(١). الشرح ١١٣/١١ - ١١٤.

(٢). الشرح ١١٤/١١.

ولايته بعد عثمان»^(١).

الثالثة: ان المصلحة في ترك نزاع القائمين بالامر حيث لما وقعت بيعة ابي بكر (رض) لاحظ الإمام علي عليه السلام ان الاصلح للاسلام ترك النزاع لانه يخاف منه حدوث فتنة تحل معاهد الملة، وتزعزع اركانها، فحضر الامام وبايع طوعاً^(٢).

وكذلك في قوله عليه السلام لاهل الشورى: «لقد علمتم اني احق بها من غيري ووالله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن فيها جوراً الا علي خاصة التماساً لاجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تناقستموه من زخرفة وزبرجة». يفسر ابن ابي الحديد هذا الكلام، بان الإمام علي عليه السلام يرى بان الصحابة يعلمون بأنه احق بالخلافة، ومع ذلك فهو يقسم بأنه سيسلمن ويترك المخالفة اذا كان في تسليمه ونزوله عن حقه سلامة امور المسلمين، ولم يكن الجور والحيث الا عليه، وهذا الكلام طبقة الإمام علي عليه السلام لانه اذا علم او غلب على ظنه ان نازع وحارب دخل على الاسلام وهن وثلث، لم يختزله المنازعة، حتى وان كان حقه، واذا ما علم او غلب على ظنه بالامسك عن طلب حقه انما يدخل الثلث والوهن عليه خاصة، ويسلم الاسلام من الفتنة، وجب عليه ان يغضي ويصبر على ما اتوا اليه من اخذ حقه، وكف يده، حراسة للاسلام من الفتنة^(٣).

اذا كان هذا هو التفسير لموقف الامام فلماذا لم يسلم الامر لاصحاب الجمل او معاوية، ويغضي على اغتصاب حقه حفظاً للاسلام من الفتنة؟ ان الجور الداخل عليه هنا من اصحاب الجمل ومعاوية لم يكن مقتصراً عليه، بل كان يعم المسلمين جميعاً، لانهم لم يكونوا عنده ممن يصلح لرياسة الامة، وتحمل اعباء الخلافة، فلم يكن الشرط الذي اشترطه متحققاً وهو قوله:

(١). الشرح ٢٥٦، ٢٥٢/١٧.

(٢). الشرح ٢٥٥/١٠. وانظر الصحاب بن عباد، نصره مذاهب الزيدية، ص ٥٣.

(٣). الشرح ١٦٦/٦ - ١٦٧ - ٣٩٠/١٨.

«ولم يكن فيه جور الا علي خاصة» وهذا الكلام يدل على انه عليه السلام لم يكن يذهب الى ان خلافة عثمان كانت تتضمن جوراً على المسلمين والاسلام، وانما عليه فقط، وأنها وقعت على جهة مخالفة الاولى، لا على جهة الفساد الكلي والبطلان الاصلي. (١)

ويخلص للقول ان ما جرى من عبدالرحمن وغيره يوم الشورى وان كان لم يقع على وجه الافضل، فانه معفو عنه مغفور لفاعله، لانه لو كان فسقاً غير مغفور، لم يقل الامام عليه السلام: عفا الله عما سلف. (٢)

الرابعة: ان السبب الذي دفع الامام لترك الامر هو عدم وجود من ينصره حيث يقول عليه السلام: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر»، اشار ابن ابي الحديد ان الامام هنا يشير الى ان الذي دفعه للقيام بالامر بعد عثمان هو وجود الناصر. (٣)

اذن لما اقتضت المصلحة تقديم المفضول على الافضل، فما هو موقف المعتزلة من بيعة المفضول؟

صحيح ان الامام علياً عليه السلام هو الافضل، ولكن العدول عنه الى من لا يساويه في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يماثله في سؤدد وشرف، فان بيعة المفضول ايضا صحيحة، ويضرب ابن ابي الحديد مثالا انه قد يوجد في بلد ما فقيهان احدهما اعلم من الاخر، فيجعل السلطان الاقل علما قاضيا، مما يؤدي بالاخر الى التوجد والتألم والشكوى، ولكن ذلك لا يكون طعنا في القاضي الاقل، ولا تفسيقا له، ولا حكما فيه بأنه غير صالح. (٤)

(١). الشرح ١٦٧/٦.

(٢). الشرح ٦٣/١٠.

(٣). الشرح ٢٠٢/١. وانظر: صاحب بن عباد: نصره ومذاهب الزيدية ص ٥٣ - ٥٤.

(٤). الشرح ١٥٧/١. قارن رؤية الامامية. الهاشمي: منهاج البراعة ١٤٥/٤ - ١٥١.

ان هذا المثال الذي ضربه ابن ابي الحديد لا يماثل موضوع الامامة، فالامامة وهي رئاسه دينية ودنيوية لشتى مناحي الحياة تختلف عن القضاء الذي لا تتعدى مهمته الفصل بين الخصوم، وان تعدت فيالى الاشراف على بعض المسائل المالية.

ومع ان الامام علي عليه السلام يرى ان الاحق بالامامة هو الاقوى والاعلم فهذا لا ينافي صحة امامة المفضول لانه عليه السلام لم يقل ان امامة غير الاقوى فاسدة، ولكنه يرى ان الاقوى احق، والمعتزلة تعترف بانه عليه السلام احق ممن تقدمه مع قولهم بصحة امامة المتقدمين، لانه لا منافاة بين كونه احق وبين صحة امامة غيره. ^(١)

ولكن بيعة المفضول يحكم بصحتها بلحاظ موقف الإمام علي عليه السلام في حالة عدم تنازعه، اما لو نازع الامام لحكم بتفسيق هذا المنازع.

يقول ابو القاسم البلخي الكعبي، احد كبار معتزلة بغداد: لو نازع عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسل سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين اظهر نفسه. ولكنه مالك الامر وصاحب الخلافة اذا طلبها، وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، واذا امسك عنها وجب علينا القول بعدالة من اغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وآله لانه قد ثبت عنه في الاخبار الصحيحة انه قال: «علي مع الحق، والحق مع علي يدور حيثما دار» وقال غير مرة: «حربك حربي وسلمك سلمي». ^(٢)

ان المعتزلة تحمل كلام الإمام علي عليه السلام على ما يقتضيه سؤدده الجليل، ومنصبه العظيم، ودينه القويم، من الاغضاء عما سلف ممن سلف حيث صاحبهم بالمعروف دهرًا، فاما ان يكون ما كانوا فيه حقهم او حقه فتركه رفعا لنفسه عن المنازلة او لمصلحة رآها، وعلى كلا التقديرين رأى المعتزلة ان يطبقوا بين آخر

(١). الشرح ٨٢٣/٩.

(٢). الشرح ٢٩٦/٢ - ٢٩٧.

اقواله وافعاله واولها، فاذا ما بعد تأويل ما يتناول من كلامه، فهو ليس بابتعد من تأويل المعتزلة للآيات المتشابهات حيث لم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظة على الاصول المقررة^(١) لذا وجب على المعتزلة بعد مبايعته لابي بكر ورضاه به ان يرضون ويطيعون لانه الامام القدوة وافضل من تركه الرسول صلى الله عليه وسلم،^(٢) حيث ان الامام علي عليه السلام عند المعتزلة بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم في تصويب قوله، والاحتجاج بفعله عليه السلام ووجوب طاعته، واذا ما صح عن الإمام علي عليه السلام براءته من شخص ما، فان المعتزلة تبريء من هذا الشخص كائنا من كان بعد التأكد من صحة براءة الامام منه، لانه عليه السلام أكثر من الكذب عليه، وولدت العصبية احاديث لا اصل لها، ولذلك فان براءة الامام من المغيرة وعمرو بن العاص ومعاوية من الامور المعلومة لدى المعتزلة والمتواترة، ولذا فالمعتزلة لا تتولاهم، ولكن حاشا للامام عليه السلام ان يكون ذكر من سلف من المهاجرين الا بالجميل والذكر الحسن بموجب ما تقتضيه رئاسته في الدين، واخلاصه في طاعة رب العالمين «ومن احب تتبع ما روى عنه مما يوهم في الظاهر خلاف ذلك، فليراجع هذا الكتاب، اعني شرح نهج البلاغة، فانا لم نترك موضعا يوهم خلاف مذهبنا الا واوضحناه، وفسرناه على وجه يوافق الحق وبالله التوفيق».^(٣)

ويرى المعتزلة ايضا ان الإمام علي عليه السلام افضل الخلق في الآخرة، واعلاهم منزلة في الجنة، وافضلهم في الدنيا، واكثرهم خصائص ومزايا ومناقب، وكل من عاداه او حاربه او ابغضه، فانه عدو لله سبحانه وخالد في النار مع الكفار والمنافقين، الا ان يكون ممن ثبتت توبته ومات على تولى وحبه، اما بالنسبة الى الافاضل من المهاجرين والانصار الذي تولوا الخلافة قبله، فلو انه عليه السلام انكر

(١). الشرح ١٣٦/٩.

(٢). الشرح ٢٥٥/١٠.

(٣). الشرح ٢٥٥/١٠.

خلافتهم وغضب عليهم، وسخط فعلهم، او شهر السيف، او دعا الى نفسه لحكم المعتزلة بهلاكهم، كما لو غضب عليهم الرسول ﷺ، ودليل المعتزلة على ذلك قوله: «حربك حربي وسلمك سلمي». وقوله ﷺ: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». وقوله: «لا يحبك الا مؤمن، ولا يبغضك الا منافق». (١) ولكن المعتزلة لما رأته عليه رضي بامامة من كان قبله، وبايعهم، وصلى خلفهم، وانكحهم واكل من فيئهم، فلم يكن لهم ان يتعدوا فعله، او يتجاوزوا ما علم عنه، ولذا لما برئ من معاوية ولعنه، برئ المعتزلة منه ولعنوه ولما حكم عليه بضلال اهل الشام ومن فيهم من بقايا الصحابة كعمر وبن العاص وابنه عبدالله وغيرهما حكم المعتزلة بضلالهم: «والحاصل انا لم نجعل بينه وبين النبي ﷺ الا رتبة النبوة، واعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه، ولم نطعن في اكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا انه طعن فيهم وعاملناهم بما عاملهم عليه به». (٢)

ولذا فان طاعة الامام علي عليه السلام واجبة عند المعتزلة سواء بالاختيار ام بالنص كما عند الامامية «وعلى التحقيق فلا فرق بيننا وبينهم في هذا المعنى، لان من جهل امامة علي عليه السلام، وانكر صحتها ولزومها فهو عند اصحابنا مخلد في النار، لا يتفعه صوم ولا صلاة، لان المعرفة بذلك من الاصول الكلية التي هي اركان الدين، ولكن لا نسمي منكر امامته كافراً بل نسميه فاسقاً وخارجياً ومارقاً ونحو ذلك». (٣)

(١). اخرجته: مسلم: الصحيح ٦٤/٢. الترمذي: صحيح ١٦٨/١٢، ١٧٧. ابن ماجه: صحيح

١٦٨/١٢، ١٧٧. ابن ماجه: صحيح ٢٥/١. ابن حزم: الفصل ٣٠٠/٣، ٢٢٤/٤.

الحاكم: المستدرک ١٤٥/٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠٠/٣. البلوي: ألف بيا ٢٢٣/١. ابن

الجوزي: صفة الصفوة ٣١٢/١. ابن تيمية: منهاج السنة ١٣/٣. ابن كثير: البداية ٣٥٥/٧. ابن

حجر: الاصابة ٥٠٩/٢. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠.

(٢). الشرح: ٢٢١/٢٠ - ٢٢٢.

(٣). الشرح ٣٧٣/١٨.

وقد اختص معتزلة بغداد الامام علياً عليه السلام من بين سائر الامة بالصلاة عليه شأنه في ذلك شان النبي صلى الله عليه وآله، فهم يكرهون اذا ذكروه عليه السلام ان يقولوا: صلى الله عليه، ولا يكرهوا ان يقولوا: صلوات الله عليه. فجعلوا اللفظة الاولى مختصة بالرسول صلى الله عليه وآله، والثانية مشتركة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وآله، ولم يطلقوا لفظ الصلاة الا على الرسول صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام. (١)

وتذهب المعتزلة على عدم عصمة الامام علي عليه السلام، حيث يجد ابن ابي الحديد في نهج البلاغة نصاً يستدل به على ذلك، اذ يقول عليه السلام: «الا لا يرعين مدع على نفسه، شغل من الجنة والنار امامه، ساع مجتهد ينجو، وطالب يرجو، ومقصر في النار؛ ثلاثة واثنان: ملك طار بجناحيه، ونبي اخذ الله بيده - لا سادس». (٢) اشار ابن ابي الحديد ان تقدير هذا الكلام «المكلفون على اقسام خمسة: ساع مجتهد، وطالب راج، ومقصر هالك. ثم قال ثلاثة، أي فهؤلاء ثلاثة اقسام، وهذا ينظر الى قوله سبحانه: ﴿ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله﴾. (٣) ثم ذكر القسمين: الرابع والخامس فقال: هما ملك طار بجناحيه، ونبي اخذ الله بيده؛ يريد عصمة هذين النوعين من القبيح، ثم قال: «لا سادس». أي لم يبق في المكلفين قسم سادس، وهذا يقتضي ان العصمة ليست الا للانبياء والملائكة ولو كان الامام يجب ان يكون معصوماً لكان قسماً سادساً، فاذن قد شهد هذا الكلام بصحة ما تقوله المعتزلة في نفي اشتراط العصمة في الامامة، اللهم الا ان يجعل الامام المعصوم داخلاً في القسم الاول، وهو الساعي المجتهد، وفيه بعد وضعف». (٤)

(١). الشرح ١٤٥/٦.

(٢). الشرح ٢٧٥/١.

(٣). سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٤). الشرح ٢٧٧/١.

وفي شرحه لقوله عليه السلام «فأني لست في نفسي بفوق ان اخطيء» قال: «هذا اعتراف منه عليه السلام بعدم العصمة فاما ان يكون كلامه على ظاهره او على سبيل الهضم لنفسه كقوله صلى الله عليه وآله: «ولا انا الا ان يتداركني برحمته»^{(١)(٢)}.

ولكن - ابن متويه - احد معتزلة البصرة. ومن القائلين بالترفضيل يرى ان الامام عليا عليه السلام معصوم، وان لم يكن واجب العصمة، كذلك يرى ان العصمة ليست شرطاً في الامامة، ولكن ادلة النصوص دلت على عصمة الامام علي عليه السلام، والقطع على باطنه ومغيبه، وان ذلك امر اختص به دون الصحابة، ويرى ابن ابي الحديد ان هناك فرق بين قولنا «زيد معصوم» وقولنا «زيد واجب العصمة» لانه امام ومن شرط الامام ان يكون معصوماً، فالاعتبار الاول هو ما يذهب اليه المعتزلة، والثاني ما تذهب اليه الامامية.^(٣)

اذن حسب الرؤية الاعتزالية فالامام علي عليه السلام اذا امسك عن طلب الخلافة - فمن يتولاها يحكم المعتزلة بصحة خلافته - اما اذا طلب الخلافة ونازعه منازع، فهنا يحكم المعتزلة بتفسيق الخارج عليه، طبقاً لذلك لنرى رؤية الاعتزال لاحداث خلافة الامام علي عليه السلام.

(١) اخرجه: مسلم: الصحيح ١٥٩/١٧. ابن ماجه: صحيح ٤٠٩/٢. الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ١١٧. ابن حزم: الفصل ٢١٣/٣.
(٢) الشرح ١٠٢/١١، ١٠٧-١٠٨.
(٣) الشرح ٣٧٦/٦-٣٧٧.

المبحث الثاني خلافة الإمام علي عليه السلام

اثر مقتل الخليفة عثمان (رض) اجتمع بعض المهاجرين والانصار في المسجد النبوي وتداولوا الرأي فيمن يلي الامر، فاتجهت الانظار صوب الإمام علي عليه السلام فأقبلوا الى بيته، ودعوه للبيعة، وبعد مداولات معهم قرر الإمام علي عليه السلام أن تكون بيعته في المسجد، فتمت البيعة في ظرف من اهلك الظروف التي مرت بالدولة العربية الاسلامية حيث اختلف الناس في هذه البيعة، فالذي عليه اكثر الناس، وجمهور ارباب السير ان طلحة (رض) والزبير (رض) بايعا الامام طائعين غير مكرهين. (١)

اما المناصرون لال الزبير كعبد الله بن مصعب، والزبير بن بكار، ومن وافق قولهم من بني تميم بن مرة الذين لهم رغبة في طلحة فاشاروا الى ان طلحة والزبير بايعا مكرهين (٢). في الوقت الذي نجد ابا مخلف يؤكد اجماع المهاجرين والانصار بعد اجتماعهم في مسجد الرسول ﷺ ما عدا بضعة اشخاص اعتزلوا (٣) وهم عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، واسامة بن زيد، وان الامام لم يكرههم

(١). الشرح ٧/٤.

(٢). الشرح ٧/٤.

(٣). انظر تفسير الحاكم في سبب عدم اشراك هؤلاء بمعركة الجمل، المستدرک ١٢٤/٣-١٢٧. وانظر القاضي: المغني ٦٦/٢٠-٦٨.

على البيعة، ويرى المعتزلة ان هؤلاء لم يتخلفوا عن البيعة، وانما تخلفوا عن الاشتراك بحرب الجمل^(١).

ان اضطراب الاوضاع، ومقتل الخليفة عثمان (رض)، ثم قبول الامام بالخلافة كان موضع طعن للبعض في قبول الامام للخلافة لانه بمقتضى رأيهم، ان على الامام علي عليه السلام بعد مقتل الخليفة ان يغلق بابه، ويمنع الناس من الدخول عليه، وعند ذلك ستتضرب العرب ثم تعود اليه، فهو عليه السلام حسب رأيهم - قد تعين للامر بحكم الوضع الحاضر انذاك ولكن الامام فتح بيته، وبسط يده، لذلك أنتقض عليه^(٢).

هذا الرأي يرى المعتزلة خلافه، فالإمام علي عليه السلام كان يرى ان القيام بالامر واجب عليه يومذاك لعدم من يصلح في ظنه للخلافة، وكيف يغلق بابه، وهناك من يدعي ان عثمان عهد اليه بالخلافة كعبدالله بن الزبير وكان مروان يطمع بها بشبهه انه ابن عم الخليفة المقتول، ومعاوية لانه من بني اميه وابن عم الخليفة المقتول وامير الشام لعشرين سنة سابقة، وكيف يسوغ للإمام عليه السلام في الدين ان يمتنع عن الخلافة اذا طلبه المسلمون، ويعلم أنه لو امتنع فانها ستصير الى من لا يصلح لها، ولذلك فهو عليه السلام امتنع اولاً امتناع من يريد ان يعلم ما في قلوبهم ولما رأى منهم التصميم وافق لوجوب الموافقة عليه^(٣)، اذ يقول عليه السلام: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما اخذ الله على العلماء الا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها، ولسقيت اخرها بكاس اولها»^(٤).
عد الإمام علي عليه السلام وصوله للخلافة عودة للحق الى نصابه اذ يقول: «الآن

(١). الشرح ٨/٤ - ١٠١٩/١٤٧ - ٨.

(٢). الشرح ١٠/٢٥٦.

(٣). الشرح ١٠/٢٥٦ - ٢٥٧.

(٤). الشرح ١/٢٠٢ - ٢٠٣.

رجع الحق الى اهله، ونقل الى منتقله» وقد اضطر المعتزلة لتأويل النص، بان الامام علي عليه السلام كان الاولي واللاحق بالامر ليس بالنص وانما بالافضلية - كما لاحظنا - وجائز لمن كان اولى بشيء فتركه ثم استرجعه ان يقول: «قد رجع الامر الى اهله»^(١).

وبعد بيعته اتخذ جملة اجراءات:

الاجراء الاول:

توزيع الاموال بالتساوي بين جميع المسلمين

حيث قام بعد البيعة مباشرة فالقى خطبة جاء فيها: «الا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار، وفجروا الانهار وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة؛ فصار ذلك عليهم عارا وشنارا؛ اذا ما منعتم ما كانوا يخوضون فيه، واصرتهم الى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك، ويستنكرون ويقولون: حرمانا ابن ابي طالب حقوقنا! الا وايماننا من المهاجرين والانصار من اصحاب رسول الله ﷺ واله يرى ان الفضل له على من سواه لصحبته، فان الفضل النير غدا عند الله، وثوابه واجره على الله، وايماننا رجل استجاب لله وللرسول، فصدق ملتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، قد استوجب حقوق الاسلام وحدوده؛ فانتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لاحد على احد، وللمتقين عند الله غدا احسن الجزاء، وفضل الثواب، وما عند الله خير للابرار، واذا كان غدا ان شاء الله فاغدوا علينا، فان عندنا ما لا نقسمه فيكم، ولا يتخلفن احد منكم، عربي ولا اعجمي، كان من اهل العطاء، او لم يكن الا حضر، اذا كان مسلما حرا»^(٢).

(١). الشرح ١/١٤٠.

(٢). الشرح ٣٧/٧. وانظرها في المحمودي: نهج السعادة ١/٢٠٨-٩.

كان توزيع الاموال بالتساوي مدعاة لتذمر بعض كبار الصحابة وغيرهم^(١) لذا لم يستلموا العطاء، لان الإمام خالف طريقة الخليفة عمر (رض) القائمة على التفضيل في العطاء حسب القرابة والسابقة والغناء والحاجة في الاسلام. لذا قالوا للإمام: «انك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما افاء الله تعالى علينا باسيافنا ورماحنا، واوقفنا عليه بخيلنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، واخذناه قسرا قهرا ممن لا يرى الاسلام الا كرها»^(٢).

اوضح الامام في اجابته ان التساوي في العطاء امر حكم به الرسول ﷺ، ونطق به القرآن، واما مسألة ما افاء به الله «باسيافنا ورماحنا» فاكد الإمام علي عليه السلام انه سبق الى الاسلام قوم نصره بسيفهم ورماحهم فلم يفضلهم الرسول ﷺ، لان الله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة^(٣).

تجدر الاشارة ان سياسة التساوي في العطاء كانت من جملة سياسة الخليفة ابو بكر (رض)، والتي سار بها محتذيا سياسة الرسول ﷺ، ولم تكن تقابل بالتذمر، اذن لماذا قوبلت سياسة الامام علي عليه السلام بالتذمر؟

في الواقع ان الخليفة ابا بكر (رض) قسم محتذيا بالرسول ﷺ فلما تولى عمر (رض) الخلافة، وفضل قوما على آخرين القوا ذلك، ونسوا القسمة الاولى، وقد طالت خلافة عمر (رض) عشر سنوات، فاعتادت القلوب على الاموال وكثرة العطاء، ولم يكن يخطر بالبال تغير الحال، فلما تولى عثمان (رض) الخلافة لاثنتي عشرة سنة اجري الامر على ما كان عليه عمر (رض)، فازداد وثوق الناس بذلك، ومن الف شيئا شق عليه فراقه، فلما جاء الامام وارجع الامر الى ما كان ايام الرسول ﷺ وابي بكر (رض)، وقد نسي ذلك وتخلله اثنتان وعشرون سنة، شق

(١). القاضي عبد الحبار: المغني ٦٨/٢/٢٠.

(٢). الشرح ٤١/٧.

(٣). الشرح ٤١/٧ - ٤٢.

ذلك عليهم، وانكروه واكبروه^(١).

الاجراء الثاني: اعادة القطنع الى بيت المال:

اتخذ الامام موقفا مشددا ازاء القطنع التي اقطعت لافراد الاسرة الاموية، وكان رأيه ان تعاد ملكيتها لبيت المال اذ يقول: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء، ومملك به الاماء؛ لرددته، فأن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه اضيق». وقد كان الخليفة عثمان (رض) اقطع بعضا من افراد الاسرة الاموية واصحابه قطنع من ارض الخراج، فاذا كان الخليفة عمر (رض) قد اقطع لارباب الغناء في الحرب والجهاد، ثمنا لما بذلوه من مهجهم في طاعة الله سبحانه، فان عثمان (رض) اقطع صلة لرحمه عن غير غناء في الجهاد، لذا امر الامام باعادة كل ذلك لبيت المال^(٢).

الاجراء الثالث: عزل الولاية:

صور الامام ان الدين كان عند الولاية في عهد عثمان (رض) اسيرا، لانهم لم يقضوا بالحق، وانما بالهوى لطلب الدنيا، لذا اتخذ قرار عزلهم باجمعهم^(٣). هذه الاجراءات زادت من حدة موقف الاسرة الاموية من الإمام علي عليه السلام وقد استغل عمرو بن العاص ذلك، فابرق الى معاوية برسالة يحذره من نوايا علي عليه السلام، وانشد الوليد بن عقبة بن أبي معيط شعرا عده الخليفة العباسي المنصور السبب في التفريق بين بني عبد مناف، حيث ندد بسياسة الإمام علي عليه السلام^(٤).

(١). الشرح ٤٢/٧-٤٣.

(٢). الشرح ٢٦٩/١. وانظر قول الامام: المحمودي: نهج السعادة ١٨٦/١-١٨٧.

(٣). الشرح ٦/١٧. وانظر الطبري: تاريخ ٤٤٢/٤.

(٤). الشرح ٢٧/١. وانظر المسعودي: مروج الذهب ٣٥٦/٢. ابو الفرج: الاغاني:

والملاحظ ان الوضع الذي آل اليه المسلمون الى درجة مقتل الخليفة دعا الإمام لاحداث تغيير جذري في السياسة العامة للدولة، من مسألة توزيع الاموال، والقطائع، والولاية، ما دامت هذه المسائل من الامور التي اججت الوضع.

ان هذه السياسة دفعت الناقلين عليها للخروج على الإمام علي عليه السلام مستغلين قميص عثمان (رض) ورقة سياسة للوصول الى غاياتهم، لذا وجهت للإمام تهمة مقتل الخليفة، او التواطؤ مع قتلته، وكان ذلك هو المبرر لمعارك الجمل وصفين وباقي احداث خلافة الإمام عليه السلام.

فياترى ما هو موقف الإمام علي عليه السلام من مقتل الخليفة عثمان (رض) حسب الرؤية الاعتزالية؟

من خلال بضعة نصوص وردت في كلام الإمام علي عليه السلام استنتج ابن أبي الحديد براءة الإمام علي عليه السلام من تهمة قتله، فالإمام علي عليه السلام كان يرى ان عثمان (رض) ضعف عن تدبير امر الخلافة، وان اهله غلبوا عليه، واستبدوا بالامر دولة، واستعجزه المسلمون، واستسقطوا رأيه، لذا صار حكمه حكم الإمام اذا عمي، او اسره العدو فانه ينخلع من الإمامة^(١).

واضطر ابن أبي الحديد لتأويل كلام الإمام علي عليه السلام في عثمان (رض): «لو امرت به، لكنت قاتلا، او نهيت عنه لكنت ناصرا، غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول: خذله من انا خير منه، ومن خذله لا يستطيع ان يقول: نصره من هو خير مني؛ وانا جامع لكم امره، استأثر فاساء الاثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، والله حكم واقع في المستأثر والجازع».

هنا لم يحمل ابن أبي الحديد الكلام على ظاهره لسببين: الاول: ثبوت عصمة دم عثمان (رض). الثاني: ثبت في السير والاخبار انه كان علي عليه السلام ينهي الناس

عن قتله.

اذن يجب ان يحمل لفظ (النهي) على المنع، كما يقال: الامير ينهى عن نهب اموال الرعية، أي يمنع، فحينئذ يستقيم الكلام، لانه عليه السلام ما امر بقتله ولا منع عن قتله لانه ينهى باللسان وليس باليد، ولكن النهي عن المنكر واجب، فهلا منع من قتله باليد؟

تري المعتزلة «ان المنع باليد يجب اذا كان حسنا، وانما يكون الانكار حسنا اذا لم يغلب على ظن الناهي عن المنكر ان نهيه لا يؤثر، فان غلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر قبح انكار المنكر، لانه ان كان الغرض تعريف فاعل القبيح ما اقدم عليه، فذلك حاصل من دون الانكار؛ وان كان الغرض الايقع المنكر، فذلك غير حاصل؛ لانه قد غلب على ظنه ان نهيه وانكاره لا يؤثر، لذلك لا يحسن من الانسان الانكار على اصحاب المآصر ما هم عليه من اخذ المكوس، لما غلب على الظن ان الانكار لا يؤثر، وهذا يقتضي ان يكون امير المؤمنين عليه السلام قد غلب على ظنه ان انكاره لا يؤثر فلذلك لم ينكر»^(١).

واشكل على ابن ابي الحديد تأويل كلام ورد في كتاب الإمام علي عليه السلام لاهل مصر لما ولي عليهم مالكا الاشر اذ وصفهم بانهم (غضبوا لله حين عصي في ارضه، وذهب بحقه)، فقال ابن ابي الحديد: «هذا الفصل يشكل علي تأويله، لان اهل مصر هم الذي قتلوا عثمان، واذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام انهم غضبوا لله حين عصي في ارضه، فهذه شهادة قاطعة على عثمان (رض) بالعصيان، واثيان المنكر، ويمكن ان يقال وان كان متعسفا: ان الله تعالى عصي في الأرض لا من عثمان (رض)؛ بل من ولاته وامراته وأهله، وذهب بينهم بحق الله وضرب الجور سرداقة بولايتهم، وامرهم على البر والفاجر والمقيم والظاعن، فشاع المنكر، وفقد

(١). الشرح ١٢٦/٢-١٢٩. وانظر نص كلام الامام: المحمودي: نهج السعادة ١/٢١٩.

المعروف»^(١).

ولكن هؤلاء الذي غضبوا الله قد آل امرهم انهم قطعوا المسافة من مصر إلى المدينة فقتلوا الخليفة: فلا تعدوا حالتهم أمرين:
ان يكونوا اطاعوا الله فيكون عثمان (رض) عاصيا، او يكونوا اسخطوا الله بقتل عثمان (رض)، فعثمان (رض) على حق وهم فساق، فكيف يبجلهم الإمام ويخاطبهم خطاب الصالحين؟ هنا يرى ابن ابي الحديد ان اهل مصر لما غضبوا الله وجاءوا إلى المدينة، وانكروا على عثمان (رض) تأميره الامراء الفساق وحصروه في داره طلبا ان يدفع لهم مروان على ما كتبه في امرهم، فلما حصر الخليفة طمع فيه مبغضوه واعدائه من اهل المدينة، وصار معظم الناس الباع عليه، فهنا اصبح عدد المصريين قليلا بالنسبة إلى ما اجتمع في المدينة من الناس الذي يطالبون الخليفة بعزل نفسه، وتسليم مروان، وعزل الولاة، ولم يكونوا يطلبون الخليفة نفسه، ولكن البعض تسوروا داره فرماهم عبيد الخليفة، وجرحوا بعضهم، فدعاهم الحال للنزول والاحاطة بالخليفة، فتنسرع اليه احدهم فقتل الخليفة وتمكن عبيد عثمان (رض) من قتل القاتل، فلا يلزم من فسق ذلك القاتل، ان يفسق الباقون، لانهم ما انكروا الا المنكر، واما القتل فلم يقع منهم، فجاز للإمام ان يقول انهم غضبوا الله، وان يثني ويمدحهم^(٢).

وكذلك اضطر ابن ابي الحديد لتأويل كلام الإمام الذي يرويه قيس بن ابي حازم اذ يقول: سمعت عليا عليه السلام يقول: «يا ابناء المهاجرين، انفروا إلى ائمة الكفر، وبقية الاحزاب، واولياء الشيطان، انفروا إلى من يقاتل على دم حمال الخطايا، فوالله الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، انه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من اوزارهم شيئا».

(١). الشرح ١٥٦/١٦-١٥٧.

(٢). الشرح ١٥٧/١٦.

اولاً: طعن ابن ابي الحديد في الراوي وهو قيس بن ابي حازم لانه قال في حق الإمام علي عليه السلام «فابغضته، فدخل بغضه في قلبي». والمعتزلة ترى بان من يبغض الإمام علي عليه السلام لا تقبل روايته^(١).

ثانياً: يرى ان الاشهر في الرواية صدر الحديث، واما عجزه فليس بمشهور. ثالثاً: اذا صحت الرواية يحملها المعتزلة على ان الإمام يقصد معاوية وسمى ناصر به مقاتلين على دمه، لانهم يحامون عن دمه، ومن حامى عن دم انسان فقد قاتل عليه^(٢).

لقد استغل الساخطون لسياسة الإمام علي عليه السلام - دم الخليفة - وسيلة لتحقيق غاياتهم، فاتهموا الإمام علي عليه السلام بقتله، او التواطؤ مع قتلته، وقد استغرب الإمام علي عليه السلام من اتهمه بذلك من قبل الامويين قائلاً: «اولم ينه بني امية علمها بي عن قرفي! او ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي! ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني». قال ابن ابي الحديد في شرحه ان الإمام يرى ان معرفة حاله ومنزلته تفرض على بني امية عدم اتهمه بدم الخليفة، فمزلته عليه السلام التي لا يوجد اعلى منها، كالذي نطق به القران من طهارته، وطهارة ابنائه وزوجته، في قوله تعالى: ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «انت مني بمنزلة هارون من موسى» وهذا يقتضي عصمته عن الدم الحرام؛ كما ان هارون معصوم عن مثل ذلك، ثم ان ترادف اقوال وافعال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حقه تضطر الحاضرين لها والمشاهدين اياها الى ان مثل الإمام لا يجوز ان يسعى في اراقة دم مسلم، لم يحدث حدثاً يستوجب به احلال دمه^(٣).

(١). اشار الشريف الرضي لانحراف قيس بن ابي حازم عن الامام علي عليه السلام . المجازات النبوية ص ٤٨-٩.

(٢). الشرح ١٩٤/٢-١٩٥.

(٣). الشرح ١٦٩/٦-١٧٠.

رؤية الإمام هذه أكد ابن أبي الحديد صحتها وذلك أن من يظهر ناموس الدين، ويواظب على العبادات، ويتصف بالورع والتقوى، يتقرر في نفوس الناس استشعاره الدين واعتقاده إياه، مما يدفع الناس لثلاث تفرقه بالعيوب الفاحشة، واستبعاد من يطعن فيه، فكيف ساغ لاعداء الإمام علي عليه السلام مع علمهم بمنزلته العالية في الدين والتي لم يصل إليها أحد من المسلمين، إطلاق السننهم فيه، ونسبته لقتل الخليفة، أو الممالة عليه، لاسيما وقد ثبت لديهم أنه كان من المدافعين عنه قولاً وفعلاً، ويخلص المعتزلة إلى براءة الإمام من دم الخليفة^(١).

يرى البعض أن من بين الأسباب التي دفعت مناوئي الإمام لاتهمه بدم الخليفة هو بقاءه في المدينة في الوقت الذي حصر فيه الخليفة، فيرى هؤلاء أنه كان على الإمام مغادرة المدينة فلا يكون عذراً للطاعنين فيه.

في الواقع أن الإمام علي عليه السلام لم يكن يخطر بباله مع براءته من دم الخليفة، أن يتهم به، وكان عليه السلام يرى أن مقامه بالمدينة في مصلحة الخليفة، حيث حضر مراراً وأبعد المحاصرين عنه، وأرسل ولديه وابن أخيه عبدالله بن جعفر يحملان له الماء، ولولا حضور الإمام علي عليه السلام في المدينة لما تأخر مقتل الخليفة، وكان لمقام الإمام دور في تراخي الناس عنه^(٢)، ويخلص المعتزلة إلى الحكم ببراءة الإمام من دم الخليفة، وقد صرح الإمام بذلك مراراً ومنها قوله: «والله ما قتلت عثمان، ولا مالت على قتله»^(٣).

أما رؤية المعتزلة لموقفه عليه السلام من قتلة الخليفة، فيشار إلى أنه عليه السلام لما بويع بالخلافة قيل له: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان (رض) فقال عليه السلام: «يا اخوتاه! اني لست اجهل ما تعلمون؛ ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على

(١). الشرح ١٧٠/٦ - ١٧١.

(٢). الشرح ٢٥٦/١٠.

(٣). الشرح ٢٠٠/١.

حدشوكتهم يملكوننا ولا نملكهم! وهاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، والتفت اليهم اعرابكم، وهم خلالكم يسمونكم ما شاءوا؛ وهل ترون موضعاً لقدرة علي شيء تريدونه، ان هذا الامر امر جاهلية؛ وان لهؤلاء القوم مائة، ان الناس من هذا الامر اذا حرك علي امور: فرقة ترى ماترون، وفرقة ترى ما لاترون، وفرقة لاترى هذا ولا هذا. فاصبروا حتى يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعها. وتؤخذ الحقوق مسمحة. فاهدوا عني وانظروا ماذا يأتيكم به امري، ولا تفعلوا فعلة تضعع قوة، وتسقط منه، وتورث وهناً وذلة».

من خلال هذا النص استنتج ابن ابي الحديد ان الإمام علي عليه السلام كان يرى عقاب الذين حصروا الخليفة، والاقتصاص من قتلته، ان كان بقي ممن باشر قتله، ولكنه عليه السلام اعتذر بعدم التمكن و ذلك لوجود عالم كثير جاء من الامصار مضافاً لاهل المدينة، والبادية، فاصبح الامر امر جاهلية كما وصفه، ولو حرك ساكناً لاختلف الناس، فمنهم من يرى فعل الإمام هو الصواب، ومنهم من يراه خطأ، ومنهم من يقف لا مصوباً ولا مخطئاً، لذا فالإمام يخشى من تجدد فتنة كالأولى او اعظم، فكان علي عليه السلام يرى ان الاصواب بالتدبير، والذي يوجبه الشرع والعقل هو الامسك الي حين سكون الفتنة، وتفرق تلك الشعوب، وكان عليه السلام يؤمل ان يطيعه معاوية وغيره، وان يحضر بنو الخليفة المقتول عنده يطالبون بدم ابيهم، ويعينون المتهمين فبعض للقتل، و اخر للحصار وثالث للتسور، وحينها يتمكن الإمام العمل بحكم الكتاب، ولكن الامر لم يقع هكذا، اذ امتنع معاوية واهل الشام، ولجأ ورثة عثمان اليه، وفارقوا الإمام متهمين اياه، ولم يطلبوا القصاص بصورة شرعية، وانما طلبوه مغالبة، وجعلها معاوية عصبية الجاهلية، وسبق معاوية خروج اصحاب الجمل عليه، فكان ذلك مما منع الإمام عن التصدي للقصاص، وقد قال عليه السلام لمعاوية «فأما طلبك قتلة عثمان، فادخل في الطاعة، وحاكم القوم الي احملك واياهم علي كتاب الله وسنة رسوله». وهذا هو ما يراه المعتزلة «لانه يجب دخول

٣٠٠..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

الناس في طاعة الإمام، ثم تقع المحاكمة اليه، فان حكم بالحق استديمت امامته، وان حكم بالجور انتقض امره وتعين خلعه»^(١).

ولكن يجدر التساؤل اذا كان القصاص من قتلة الخليفة موقوفاً على ما ذكره **عليه السلام** اما كان يجب عليه من باب النهي عن المنكر الذي هو واجب على العامة فكيف على الإمام؟

ترى المعتزلة ان النهي عن المنكر يجب قبل وقوعه حتى لا يقع، فاذا وقع، فلا معنى للنهي بعد، وكان **عليه السلام** قد نهى اهل الامصار عن قتل الخليفة قبل قتله مراراً، ونابذهم بيده ولسانه، وباولاده دون فائدة، حتى تفاقم الامر الى قتل الخليفة، ولا يجب بعد القتل الا القصاص، فاذا ما امتنع اولياء الدم من طاعة الإمام، لم يجب عليه ان يقتص من القاتلين، فالقصاص حق اولياء الدم، وقد سقط ببغيتهم على الإمام، واكدت المعتزلة ان القصاص على من باشر القتل، والذين باشروا القتل قتلوا يوم قتل الخليفة وهما - قتيبة بن وهب، وسودان بن حمران^(٢)، وكلاهما قتلا يوم الدار على يد عبيد الخليفة، اما الاخرون فلم يباشروا القتل، وانما حصروا الخليفة، واجلبوا عليه وتوعدوه، ومنهم من تسور الدار وحضر محضر قتلة او لم يحضر، فهؤلاء عند المعتزلة لا قصاص عليهم^(٣).

معركة الجمل ٣٦هـ/ ٦٥٨م

لم تلاق السياسة التي اتبعها الإمام قبولاً لدى طلحة والزبير، فخرجا من المدينة بعد بيعة الإمام علي **عليه السلام** الى مكة بعد ان سمعا بالموقف السلبي للسيدة

(١). الشرح ٢٩٣/٩ - ٢٩٤.

(٢). وهما من اهالي مصر، خرجا سنة ٣٥هـ الى المدينة، وقام سودان بقتل الخليفة عثمان بمساعدة قتيبة، فقام غلام للخليفة فقتل سودان فثار قتيبة وقتل الغلام فقام غلام آخر للخليفة وقتل قتيبة. انظر الطبري: ٣٩١، ٣٤٨/٤.

(٣). الشرح ١٦/٤ - ١٧، ٢٧/١٤ - ٣٨. وانظر المنقري: وقعة صفين ص ١٨٩.

عائشة رضي الله عنها من الإمام علي عليه السلام، ومن هناك تحركا صوب البصرة، حيث تمت لهم السيطرة التامة عليها، فاضطر الإمام علي عليه السلام للخروج الى البصرة داعياً أهل الكوفة للخروج معه، وبعد وصوله للبصرة دخل في مفاوضات مع طلحة والزبير لم تسفر الا عن حالة الحرب، والتي انتهت بمقتل طلحة في ساحة المعركة، فيما خرج الزبير من المعركة فاغتاله - ابن جرموز - في وادي السباع^(١)، وبعد ذلك القى اهل البصرة السلاح، وتمت اعادة السيدة عائشة (رض) الى المدينة^(٢).

هذا الحدث التاريخي المهم في تاريخ المسلمين، والذي كان فاتحة للحروب الاهلية في الاسلام، يا ترى ما هي رؤية المعتزلة له؟ ولتناقش هذه الرؤية في المباحث الآتية:

- ١- بيعة طلحة والزبير للإمام علي عليه السلام.
- ٢- مدى اهلية طلحة والزبير للخلافة.
- ٣- موقف الإمام علي تجاه اصحاب الجمل قبل وبعد المعركة.
- ٤- رؤية الاعتزال لاصحاب الجمل.

اولاً: بيعة طلحة والزبير للإمام علي عليه السلام

تناقضت الروايات بشأن بيعة طلحة والزبير للإمام علي عليه السلام، هل كانت طوعاً أم كرهاً؟ فقد «اختلف الناس في بيعة امير المؤمنين عليه السلام، فالذي

(١). وادي السباع: بين البصرة ومكة وعلى بعد خمسة اميال عن البصرة، قيل سمي باسماء اخوة يحملون اسماء السباع الحموي: معجم البلدان ٣٤٣/٥ - ٤. الحميري: الروض المعطار ص ٦٠٣ - ٤.

(٢). انظر تفاصيل ذلك مستثارة في الشرح: ١/٩، ١/٢٠١، ٧-٢٢٥، ٦-٢٣٠، ٦-٢٤٣، ٦٦-٣٠٥، ٣١١-٣٠٥، ١٦٦/٢-١٧٠، ١٨٧-٨، ٦/٤-١١، ١٢٨-٢٢٩، ٣٥/٧-٤٦، ٣٩/٩، ١٠٩-١١٥، ١٦٢، ١٩٠-٢٠٠، ٢٩٣-٤، ٢٧-٣١٠، ٤/١٠-٩، ٢٤٧-٨، ١٠/١١-٢٠، ١٢١-٦، ٨/١٤-٢٥، ١٧/٢٥٤-٢٥٥، وانظر الطبري: تاريخ ٤٤٤/٤-٥٤٦.

عليه اكثر الناس وجمهور ارباب السير ان طلحة والزبير بايعاه طائعين غير مكرهين، ثم تغيرت عزائمهما... قال الزبيريون منهم عبدالله بن مصعب، والزبير بن بكار، وشيعتهم، ومن وافق قولهم من بني تميم بن مرة، ارباب العصبية لطلحة: انهما بايعا مكرهين؛ وان الزبير كان يقول: بايعت واللعج على قفى، واللعج سيف الاشر»^(١).

فيما صورت روايات ابي هلال العسكري^(٢) وابي مخنف دور عمار والانصار في انجاح بيعة الإمام علي عليه السلام^(٣)، والظاهر ان هذا النجاح حمل طلحة والزبير على البيعة. ولذا كان الزبير يقول: «بايعت بيدي لا بقلبي، وكان يدعي تارة انه اكره، ويدعي اخرى انه وري في البيعة، ونوى دخيلة واتى بمعارض يض لا تحمل على ظاهره»^(٤).

وقد رد الإمام علي عليه السلام على ادعاءات الزبير قائلاً: «يزعم انه بايع بيده، ولم يبائع بقلبه، فقد اقر بالبيعة، وادعى الوليعة، فليأت عليها بأمر يعرف، والا فليدخل فيما خرج منه». فالزبير هنا اقر بالبيعة، وادعى امراً اخر لم يقم عليه دليل، فاما ان يقيم دليلاً على فساد البيعة الظاهرة والا فليعود للطاعة»^(٥).

والظاهر ان الإمام كان مدركاً لنوايا الزبير لذا قال له وقت البيعة: «انى لخائف ان تغدر بي وتنكث بيعتي، قال: لا تخافن؛ فان ذلك لا يكون مني ابداً، فقال عليه السلام فلي الله عليك بذلك راع وكفيل، قال نعم: الله لك علي راع وكفيل»^(٦).

(١). الشرح ٧/٤.

(٢). الشرح ٧/٤-٨. وانظر ابو هلال: الاوائل ص ١٦٢.

(٣). الشرح ٧/٤-١١. وانظر الطبري ٤/٤٢٧-٤٣٠.

(٤). الشرح ١/٢٣٠.

(٥). الشرح ١/٢٣٠. وانظر رد الحسن بن علي بن عبدالله بن الزبير. القاضي: المغني

٨٠/٢/٢٠

(٦). الشرح ١/٢٣٠.

اذا كان هكذا فلماذا أذن الامام لطلحة والزبير بالخروج من المدينة الى مكة
لما استئذناه لاداء العمرة؟

في الواقع ان الرواة اختلفوا في خروج طلحة والزبير من المدينة: هل كان
باذن الإمام علي عليه السلام ام لا؟ فان كان الجواب بغير اذنه، فالسؤال اعلاه لا معنى له،
واذا كانا خرجا باذنه، فالمعروف انه عليه السلام قال لهما: والله ما تريدان العمرة، وانما
تريدان الغدرة، وخوفهما بالله من التسرع الى الفتنة، وما كان يجوز للامام لا في
الشرع ولا في السياسة ان يحبسهما، ففي الشرع كان محظوراً عليه معاقبة شخص
بما لم يفعل بعد وربما لا يقع هذا الفعل. واما في السياسة فلأنه عليه السلام لو اظهر التهمة
لهما - وهما من المهاجرين السابقين، لكان في ذلك من التنفير عنه ما لا يخفى،
ويؤدي الى الطعن فيه، كأن يقال: انه ليس على ثقة من امامته فلذلك يتهم الرؤساء
ولا يأمن الفضلاء، ولا سيما وطلحة اول من بايعه والزبير لم يزل معروفاً بنصرته،
فلو حبسهما واظهر الشك فيهما لم يسكن احد الى جهته، ولتفرق الناس عنه^(١).

اذن لماذا لم يستصلحهما ويوليهما، ويرتبطهما بالاجابة لاغراضهما؟ قال
ابن ابي الحديد في جواب هذا التساؤل: «فحوى هذا انكم تطلبون من
امير المؤمنين عليه السلام ان يكون في الإمامة مغلوباً على رأيه، مقتاتاً عليه في تدبيره،
فيقر معاوية على ولاية الشام غصباً، ويولي طلحة والزبير مصر والعراق كرهاً؛
وهذا شيء ما دخل تحته احد ممن قبله؛ ولا رضوان يكون لهم من الإمامة الاسم،
ومن الخلافة اللفظ، ولقد حورب عثمان وحصر على ان يعزل بعض ولاته
فلم يجب الى ذلك. فكيف تسومون علياً عليه السلام ان يفتتح امره بهذه الدنية ويرضى
بالدخول تحت هذه الخطة! وهذا ظاهر»^(٢).

(١). الشرح ٢٤٧/١٠ - ٢٤٨.

(٢). الشرح ٢٤٨/١٠.

ثانياً: مدى اهلية طلحة والزبير للخلافة؟

ان المعتزلة يرون عدالة اكثر الصحابة ومنهم طلحة والزبير - كما سيتضح فيما بعد - ولكن الإمام علياً عليه السلام في اشارته لطلحة والزبير اكد عدم اهليتهم للخلافة اذ يقول: «لقد اتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله، فوقصوا دونه»^(١). فكيف ياترى يتم التوفيق بين كلام الإمام علي عليه السلام هذا وبين رؤية الاعتزال المخالفة لكلامه، خاصة اذا علمنا ان ابن ابي الحديد يعد ان كل ما جاء في نهج البلاغة هو من كلام الإمام علي عليه السلام.

هنا يشير ابن ابي الحديد لرؤية الاعتزال الى اهلية طلحة والزبير للخلافة في حالة عدم طلب الإمام علي عليه السلام للخلافة، اما اذا طلبها فلم يكونا لهما ولا غيرهما اهلاً لها، ولولا طاعته عليه السلام، لمن تقدمه بالخلافة، ورضاه بهم، لم يحكم معتزلة بغداد بصحة خلافتهم^(٢). كما مر بنا.

ثالثاً: موقف الإمام علي عليه السلام من اصحاب الجمل قبل المعركة وبعدها:

عد الإمام علي عليه السلام خروج طلحة والزبير نكثاً للبيعة، لكنه اثر الامسك عن حربهم اولاً، «وسأمسك الامر ما استمسك، واذا لم اجد بداً فأخر الدواء الكي». أي امسك نفسي عن محاربة هؤلاء ما امكنني، وادفع الايام بمراسلتهم، وتخويفهم واندازهم، واجتهد في ردهم الى الطاعة ترغيباً وترهيباً، فاذا لم اجد بداً من الحرب، فأخر الدواء الكي، أي الحرب، فهي الغاية التي اليها ينتهي امر الخارجين^(٣).

(١). الشرح ١٢٣/١١. وانظر ابن الاثير: النهاية ١٩٤/١.

(٢). الشرح ١٢٦/١١.

(٣). الشرح ٢٩١/٩، ٢٩٤.

لكنه عليه السلام وجد ان الواجب الشرعي يحتم عليه استخدام القوة لارجاعهم الى الطريق الصحيح «فما وجدتي يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله، فكانت معالجة القتال اهن من معالجة العقاب، وموتات الدنيا اهن علي من موتات الاخرة»^(١). ولكن كيف يكون تارك الواجب جاحداً لما جاء به النبي صلى الله عليه وآله؟

ترى المعتزلة انه في حكم الجاحد لانه مخالف وعاص، لاسيما معتزلة بغداد التي ترى ان تارك الواجب مخلد في النار حتى ولو لم يجحد النبوة، وترى المعتزلة ان جهاد الخارجيين عن طاعة الإمام واجب على الإمام في حالة اذا وجد انصاراً. فاذا اخل بذلك يكون قد اخل بواجب، فيستحق العقاب^(٢).

والملاحظ ان الإمام علياً عليه السلام لا يستند في قتاله على شرعية حكمه بل على احاديث تنسب للنبي صلى الله عليه وآله^(٣) وهذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وآله لانه اخبار صريح بالغيب، لا يحتمل التمويه والتدليس، كما تحمله الاخبار المجملة^(٤).

ان ما حدث من خروج طلحة والزبير امرأ غير مألوف مسبقاً عند المسلمين لذلك كان من الصعب اتخاذ موقف بصددهم، وهنا كان موقف الإمام علي عليه السلام: «فاني فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجتريء عليها احد غيري بعد ان ماج غيبها، واشتد كلبها»^(٥).

(١). الشرح ٦/٤. ورد معنى النص عند الحاكم: المستدرک ١٢٤/٣ - ١٢٥ - القاضي: المغني ٧٥/٢/٢٠.

(٢). الشرح ٦/٤.

(٣). انظر: البهقي: المحاسن والمساويء ص ٤٥. الحاكم: المستدرک ١٥٠/٣. القاضي: المغني ٧٤/٢/٢٠. الخطيب: تاريخ بغداد ٣٤٠/٨ - ١، ١٨٧/١٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١١٧/٣.

الشهرستاني: الملل ١٥٨/١. الخوارزمي: المناقب ص ١١٠. الجويني: فرائد السمطين ١٥٠/١. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٦١/٧.

(٤). الشرح ٢٠٠/١ - ٢٠١.

(٥). الشرح ٤٤/٧. وانظر: ابي هلال: الفارات: ص ٥.

ان الناس قبل معركة الجمل كانوا يهابون قتال اهل القبلة، ولا يعلمون كيف يقاتلونهم؟ هل يتبعون مولاهم ام لا؟ وهل يجهزون على جريحتهم ام لا؟ وكيف يتعاملون مع غنائمهم؟ وكانوا يستعظمون قتال من يؤذن بأذان المسلمين، ويصلي بصلاتهم، وكذلك استعظموا حرب ام المؤمنين وطلحة والزبير، لمكانهم في الاسلام، وتوقف جماعتهم عن الدخول في هذه الحرب، كالأحنف بن قيس وغيره.

فلولا ان الإمام علي عليه السلام اجترأ على سل السيف ما اقدم احد على الحرب ^(١). حيث قال عليه السلام: «قد فتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة، ولا يحمل هذا العلم الا اهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحق، فامضوا ما تؤمرون به، وقفوا عندما تنهون عنه، ولا تعجلوا في امر حتى تتبينوا فإن لنا مع كل امر تنكرونه غيراً». فهنا الإمام يشير لهيئة الناس من قتال اهل القبلة، حتى ان الشافعي يقول: «لولا علي لما عرف شيء من احكام البغي»، واكد الإمام علي عليه السلام ان مثل هذا الحال لا يعرف مواقع العمل به الا من خصه الله بالبصيرة والعلم ^(٢)، ولذا قال عليه السلام: «لو لم اك فيكم لما قوتل اهل الجمل واهل النهروان». وذلك لان الشبهه كانت في اهل الجمل ظاهرة الالتباس فالزبير وطلحة موعودان بالجنة، وام المؤمنين زوجة رسول الله في الدنيا والاخرة، وحال طلحة والزبير في السبق والجهاد معروفة، وكان اهل النهروان في حالة من العبادة والزهد، وهم قراء العراق، في حين كان معاوية، مشهوراً بقلته الدين وكذلك من ناصره وهو عمرو بن العاص، ومن تابعهم من اهل الشام واعرابهم فاولئك كان حالهم معروفاً في الانحراف فلا يستحرمون

(١). الشرح ٤٤/٧-٤٦. وانظر كتاب سليم ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢). الشرح ٣٣٠/٩-٣٣١. ولذلك لما اعترض احد الاشخاص على الامام، قال عليه السلام: انه ملبوس عليك، ان الحق لا يعرف بالرجال. اعرف الحق تعرف اهله. الجاحظ: البيان والتبيين ٢١١/٢. القاضي عبدالجبار: المختصر في اصول الدين ص ١٧١.

قتالهم^(١).

اما عن موقف الإمام بعد المعركة، فالمعروف ان الزبير خرج منها اثر احتجاج الإمام عليه، فاتبعه - ابن جرموز - فاغتاله وجاء برأس وسيف الزبير للإمام علي عليه السلام، وادرك الإمام ان ابن جرموز لم يقتل الزبير مبارزة وانما غدرًا حيث قال له: «والله ما كان ابن صفية جباناً ولا لثيماً. ولكن الحين ومصارع السوء» ثم اخذ سيف الزبير وقال: «سيف طالما جلي به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ» فقال ابن جرموز: الجائزة يا امير المؤمنين! فقال عليه السلام: اما اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: بشر قاتل ابن صفية بالنار» فخرج ابن جرموز خائباً، وقتل في النهروان مارقاً^(٢).

اما طلحة فقد قتل في ساحة المعركة، واتهم مروان بن الحكم بقتله، بل كان مروان يصرح بذلك، حيث لما ضعف اصحاب الجمل قال مروان: «لا اطلب ثأر عثمان من طلحة بعد اليوم! فانتحى له بسهم فاصاب ساقه»^(٣).

اما عن موقف الإمام علي عليه السلام منه، فترى المعتزلة انه عليه السلام لما مر بساحة المعركة ومر على طلحة قال: اجلسوه، ثم قال: «اعزز علي يا ابا محمد ان اراك معفراً تحت نجوم السماء، وفي بطن هذا الوادي! ابعدهم في الله، وذبحك عن رسول الله ﷺ! فجاء اليه انسان فقال: اشهد يا امير المؤمنين، لقد مررت عليه بعد ان اصابه السهم وهو صريع، فصاح بي، فقال: من اصحاب من انت؟ فقلت: من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام، فقال: امدد يدك لا بايع امير المؤمنين عليه السلام فمددت اليه يدي فبايعني لك. فقال علي عليه السلام: ابي الله ان يدخل طلحة الجنة الا وبيعتي في

(١). الشرح ٥٨/٧.

(٢). الشرح ٢٣٣/١ - ٢٣٦. وانظر ابن حبيب: اسماء المفتالين ١٥٩/٦. الطبراني: المعجم الكبير ١٢٣/١. الحاكم: المستدرک ٤١٤/٣.

(٣). الشرح ١١٣/٩.

عنه»^(١).

اننا لا نستعبد موقف الإمام من طلحة (رض)، فتأسيه وتألمه لهذه العاقبة مسألة طبيعية! كيف وهو زميله في درب الجهاد منذ ان كان الاسلام لا زال بذرة في مكة مروراً بتلك الايام الصعاب حتى اصبح الاسلام يرفرف على انحاء الجزيرة وحواليها. ان ذلك قطعاً سيثير الشجون لدى الإمام علي عليه السلام، وهو الذي تألم لاشقى الاخرين - ابن ملجم - كيف لا يتألم لاحد ابرز الصحابة الكرام. اما بالنسبة الى ام المؤمنين (رض) فقد اوكل امير المؤمنين عليه السلام امرها لاختها محمد بن ابي بكر، ثم اعادها الى المدينة بصحبة اربعين من نساء بني عبد القيس^(٢).

اما عن باقي الناس فقد «اتفقت الرواة على انه عليه السلام قبض ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة، ومملوك ومتاع وعروض فقسمه بين اصحابه، وانهم قالوا له: اقسام بيننا اهل البصرة فاجعلهم رقيقاً، فقال: لا، فقالوا: فكيف تحل لنا دماؤهم وتحرم علينا سبيهم! فقال: كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة واسلام، اما ما اجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، واما ما وارت الدور واغلقت عليه الابواب فهو لاهله، ولا نصيب لكم في شيء منه، فلما اكثروا عليه قال: فاقرعوا علي عائشة لادفعها الى من تصببه القرعة! فقالوا: نستغفر الله يا امير المؤمنين: ثم انصرفوا»^(٣).

رابعاً: رؤية المعتزلة لخاتمة اصحاب الجمل:

تحكم المعتزلة لكل فاسق مات على فسقه بالنار، ويعدون الباغي على

(١). الشرح ٢٤٨/١ - ٢٤٩. وانظر ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٢١/٤. الحاكم: المستدرک ٤٢١/٣.

(٢). الشرح ٢٢٩/٦. وانظر يعقوبي: تاريخ ١٧٠/٢.

(٣). الشرح ٢٥٠/١.

الإمام الحق، والخارج عليه بشبهة او بغير شبهة فاسق^(١) ومن خلال حديث للنبي ﷺ يرويه الصحابي حذيفة بن اليمان ذكر فيه خروج ام المؤمنين فقال ﷺ: «تقاتل معها مضر مضرها الله في النار، وازد عمان سلت الله اقدامها، وان قيساً لن تنفك تبغي دين الله شراً، حتى يركبها الله بالملائكة فلا يمنعو اذنب تلعة»^(٢). اشار المعتزلة ان هذا الحديث يؤكد مذهب المعتزلة في فسق اصحاب الجمل، الا من ثبتت توبته وهم الرؤساء فقط - طلحة والزبير وعائشة^(٣) - وهذه التوبة كانت بعد المعركة وان الإمام شهد لهم بالجنة بعد حرب الجمل^(٤).

وفي معرض نقده لطعن معاوية على الإمام لحربه طلحة والزبير وعائشة، قال ابن ابي الحديد: «واصحابنا يذهبون الى انهما تابا، وفارقا الدنيا تادمين على ما صنعنا، وكذلك نقول نحن؛ فان الاخبار كثرت بذلك، فهما من اهل الجنة لتوبتهما، ولولا توبتهما لكانا هالكين كما هلك غيرهما، فان الله تعالى لا يحابي احداً في الطاعة والتقوى ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾^(٥)، واما الوعد لهما بالجنة فمشروط بسلامة العاقبة، والكلام في سلامتهما، واذا ثبتت توبتهما فقد صح الوعد لهما وتحقق؛ وقوله «بشر قاتل ابن صفية بالنار» فقد اختلف فيه، فقال قوم من ارباب السير وعلماء الحديث، هو كلام امير المؤمنين عليه السلام غير مرفوع، وقوم منهم جعلوه مرفوعاً، وعلى كل حال فهو حق لان ابن جرموز قتله مولياً خارجاً من الصف، مفارقاً للحرب، فقد قتله على توبة

(١). الشرح ٩/١.

(٢). ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/٢٥٠.

(٣). الشرح ١١/١٢١-٢. فيما يرى الاشاعرة انهم اجتهدوا والمجتهد اذا اخطأ له اجر واحد. الشرح ١٤/٢٤.

(٤). الشرح ٢٠/٣٤. القاضي عبدالجبار: المعني: ٢٠/٢٤-٨٩.

(٥). سورة الانفال: الآية ٤٢.

وانابة ورجوع من الباطل، وقاتل من هذه حاله مستحق للنار»^(١).

وفي دعائه عليه السلام على طلحة والزبير «وارهما المساءة فيما املا وعملا» عد ابن ابي الحديد هذه المساءة مساءة الدنيا لا الاخرة، لان الله وعدهما على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالجنة التي استوجباها بالتوبة^(٢).

اما بالنسبة الى ام المؤمنين (رض) فانها عند المعتزلة قد ندمت وخاصة بعد استشهاد الامام علي عليه السلام، حيث يرى المعتزلة انها اعترفت يوم الجمل بالخطأ لامير المؤمنين، وسألته العفو، وان الاخبار تواترت باظهارها الندم، وانها كانت تقول: ليته كان لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم بنون عشرة، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٣) - وشكلتهم، ولم يكن يوم الجمل! وانها كانت تقول: ليتني مت قبل يوم الجمل، وانها كانت اذا ذكرته تبكي حتى تبل خمارها^(٤).

ان الاخبار الواردة في توبتها اكثر من الواردة في توبة طلحة والزبير، لانها عاشت بعدها زماناً، فالذي جرى كان خطأ منها، وليس على امير المؤمنين ذنب، على انه اكرمها وصانها وعظم من شأنها^(٥).

ولكن كلام الامام «ولها بعد حرمتها الاولى، والحساب على الله» يدل على

(١). الشرح ٢٥٤/١٧.

(٢). الشرح ٣٨/٩-٣٩.

(٣). هو عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، اسلم ابوه يوم فتح مكة، وكان صغيراً لما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وامه فاطمة بنت الوليد اخت خالد، ولما توفي ابوه تزوج عمر بن الخطاب (رض) امه فنشأ في حجر عمر، ثم تزوج مريم بنت عثمان بن عفان، وكان احد الاربعة الذين عهد اليهم عثمان (رض) بنسخ المصاحف، خرج مع طلحة والزبير في الجمل، توفي سنة ٤٣ هـ انظر مصعب الزبيري نسب قريش ص ٣٠٣، ٣٠٨. الطبري ١١٢/٤، ٤٧١، ٥٠٧، ٥١٣، ٦٧/٥، ٢٧٨، ٥٢٨. الحاكم: المستدرک ٣١٣/٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤٢٦/٢. ابن حجر: الاصابة ٣٩٤/٢، ٦٦/٣.

(٤). الشرح ٢٤/١٤. البيهقي: المحاسن ٢٩٧-٨. الحاكم: المستدرک ١٢٨/٣-٩. القاضي:

المغني ٨٩/٢٠-٩١. سبط ابن الجوزي: تذكرة: ص ٨١.

(٥). الشرح ٢٥٤/١٧-٢٥٥.

توقفه في امرها، فكيف الجمع بين كلامه عليه السلام، ومذهب الاعتزال؟

هنا يرى ابن ابي الحديد انه يجوز ان كلامه هذا كان قبل تواتر الخبر بتوبتها^(١)، فان المعتزلة يرون انها ثابت بعد مقتله عليه السلام، وندمت، وقالت: لوددت ان لي عشرة بنون من الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلهم ماتوا، ولم يكن يوم الجمل، وانها كانت بعد مقتله تشني عليه، وتنشر مناقبه، مع ان المعتزلة ايضاً روت انها بعد الجمل كانت تبكي حتى تبل خمارها، وتستغفر الله. ولكن لم يبلغ لامير المؤمنين عليه السلام حديث توبتها بعد الجمل بشكل يقطع العذر ويشبث الحجة، والذي شاع من ندمها وتوبتها بعد مقتله عليه السلام الى ان ماتت وهي على ذلك، والتائب عند المعتزلة مغفور له، وقبول التوبة واجب عند المعتزلة من باب العدل الالهي، والمعروف انه ثبت انها زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، اذن فيجب عند المعتزلة تكلف اثبات التوبة لها اذا لم يكن هناك ما يدل عليها، كيف وقد اكدت الروايات والادلة على توبتها^(٢). وايضاً استفاد ابن ابي الحديد في اثبات توبتها من قوله صلى الله عليه وسلم: «ايتمكن صاحبة الجمل الاديب، تنبجها كلاب الحواب، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة، كلهم في النار، وتنجو بعد ما كادت»^(٣).

حيث يحمل المعتزلة قوله صلى الله عليه وسلم: «وتنجوا» على نجاتها من النار، لان لفظه «في النار» اقرب من لفظه «القتل»، والقرب معتبر في هذا الباب، وان نحاة البصريين اعملوا اقرب العاملين، نظراً الى القرب^(٤). ويخلص ابن ابي الحديد في امرام المؤمنين ان المعتزلة ترى في انها اخطأت فيما فعلت، ثم تابت وماتت تائبة

(١). ولكن ابن ابي الحديد قد اشار الى انها اعترفت للامام وسأته العفو!!.

(٢). الشرح ١٨٩/٩، ٢٠٠.

(٣). الشرح ٣١١/٩. اخرج الطبري: تاريخ ٤٥٧/٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ٧٤٥/٢.

الهيتمي: مجمع الزوائد ٢٣٤/٧، ٢٨٩/٨.

(٤). الشرح ٣١١/٩.

وانها من اهل الجنة^(١).

اما توبة الزبير فانه رجع عن الحرب معترفاً بالخطأ لما ذكره علي عليه السلام بما مضى من حديث الرسول ﷺ. في حين ان طلحة مر به - وهو صريح - فارس، فقال له: قف، فوقف. قال: من أي الفريقين انت؟ قال: من اصحاب امير المؤمنين، قال اقعدني، فاقعده، فقال: امدد يدك ابايعك لامير المؤمنين، فبايعه^(٢).
هذه الروايات وان كانت احاداً، فان التوبة يحكم بها للمكلف على غالب الظن في جميع المواضع، وليس على القطع^(٣).

معركة صفين ٣٧هـ

بعد انتهاء الإمام من معركة الجمل في البصرة توجه نحو الكوفة بدلاً من المدينة لان الواقع يفرض عليه اعتماد قوة الامصار، ازاء الاخطار المحدقة بخلافته حيث رفض معاوية بن ابي سفيان والي الشام بيعته الإمام مستغلاً مقتل الخليفة كورقة سياسة. ومستفيداً من الموقف السلبي لطلحة والزبير وام المؤمنين من الإمام علي عليه السلام فكانت وقعة صفين سنة ٣٧هـ والذي احرز فيها الإمام علي عليه السلام نصراً عسكرياً، ولكن معاوية وبإشارة من عمرو بن العاص تمكن من ايقاف الحرب بخدعة المصاحف، والدعوة الى الاحتكام الى كتاب الله تعالى، وكان ذلك سبباً في انشقاق اتباع الإمام بين داع للاستمرار بالحرب، وبين من

١. الشرح ٢١٤/٦.

٢. الشرح ٢٤/١٤.

٣. الشرح ٢٥/١٧. وأوضح البغدادي رؤية الاشاعرة بقوله «وقالوا (الاشاعرة) بتصويب علي في حروبه بالبصرة و بصفين وبالنهران، وقالوا: بأن طلحة والزبير تابا ورجعا عن قتال علي لكن الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع بعد منصرفه من الحرب، وطلحة لما هم بالانصراف رماه مروان بن الحكم وكان مع اصحاب الجمل بسهم فقتله، وقالوا: ان عائشة رضي الله عنها قصدت الاصلاح بين الفريقين فغلبها بنو ضبة والازد على رأيها وقاتلوا علياً دون اذنها حيث كان من الامر ما كان». الفرق بين الفرق ص ٢١١-٢١٢.

انهكه القتال ورأى في رفع المصاحف عذراً له، وازاء ذلك اضطر الإمام للقبول بالتحكيم، حيث مثل ابو موسى الاشعري اهل العراق تلبية لطلب الداعين لوقف القتال، وان كان الإمام علي عليه السلام غير راض عنه. اما اهل الشام فرشحوا عمرو بن العاص، وانتهى الامر بفشل التحكيم^(١).

وسناقش تحليل ابن ابي الحديد لاحداث صفين في المحاور الآتية:

اولاً: دعوة الإمام معاوية للدخول في البيعة.

ثانياً: الاسس التي اعتمدها معاوية في حربه للإمام.

١. نسبه.

٢. ولايته للشام.

٣. مقتل الخليفة.

٤. الطعن في سيرة الإمام.

٥. موقف الإمام من عائشة وطلحة والزبير.

ثالثاً: معركة صفين

١. موقف الإمام من معاوية واهل الشام.

٢. احداث المعركة.

٣. التحكيم.

رابعاً: رؤية الاعتزال لاهل صفين.

اولاً: دعوة الإمام معاوية للدخول في البيعة:

بعد انتهاء معركة الجمل، ومسير الإمام علي عليه السلام الى الكوفة كتب لعماله

(١). انظر تحليل ابن ابي الحديد في الشرح ٩/١، ٢٠٦/٢-٢٦٠، ٣/٧٠-١١٨، ١٦٦-١٨٨، ٢٠٢-٢١٥، ٣١٢-٣٣٨، ١٣/٤-٣٢، ١١٩/٥-١٣١، ١٧٥-٢٥٨، ٣٠٢/٦-٣١٧، ٩/٨-١٠٢، ٩/٢٩٣-٤، ٣٨/١٤، ٤٠، ١٢٠/١٥-١٢٤، ١٦/١٣٣-٧.

بخبر اهل الجمل، ومنهم جرير بن عبد الله البجلي والى همدان، الذي بايع للامام ثم جاء الى الكوفة فارسله الإمام رسولاً الى معاوية، بكتاب جاء فيه «انه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد ان يختار، ولا للغائب ان يرد، وانما الشورى للمهاجرين والانصار، فان اجتمعوا على رجل وسموه اماماً كان ذلك لله رضاءً، فان خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة، ردوه الى ما خرج منه، فان ابي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى»^(١).

ولما قرأ معاوية الكتاب اغتم بما فيه، وذهبت به افكاره كل مذهب وطاول جرير الجواب حتى كلم اناساً من اهل الشام في مسألة الطلب بدم عثمان (رض)، فاجابوه، ووثقوا له، واحب الزيادة في الاستظهار، فاستشار اخاه عتبة بن ابي سفيان فاشار عليه بالاستعانة بعمر بن العاص «فانه من قد علمت من دهائه ورأيه، وقد اعتزل عثمان في حياته، وهو لامرك اشد اعتزالاً، الا ان تثمن له دينه، فيتبعك فانه صاحب دنياً»^(٢).

كان عمرو بن العاص والياً على مصر للخليفة عمر (رض)، ثم لعثمان (رض)، وبعد ذلك عزله فاتخذ منه موقفاً سلبياً، وتشير بعض الروايات لمجاهرتة بنقد الخليفة عثمان (رض) واعلانه الصريح بانه من وراء قتله^(٣). ولما جاءه كتاب معاوية استجاب لدعوته بعد طول تفكير ومناقشة مع ولديه وغلामه^(٤)، مع ان هناك اشارة تفيد ان عمرو بن العاص كان المحرض الاول لمعاوية على الإمام بعد مقتل عثمان قائلاً له: «ما كنت صانعاً فاصنع، اذ قشرك ابن ابي طالب من

(١) الشرح ٧٠/٣-١١٨. ٣٥/١٤. وانظر المنقري: وقعة صفين ص ٥١-٦١. ابن قتيبة: الامامة والسياسة ص ٧١.

(٢) الشرح ٦١/٢. المنقري: وقعة صفين ص ٢٧-٣٣.

(٣) الشرح ١٣٥/٢-٧، ١٤٣-٤. وانظر الطبري: تاريخ ٣٣٤/٤، ٣٥٦-٧.

(٤) الشرح ٦١/٢-٦٤. المنقري: وقعة صفين ص ٣٤-٣٦. اليعقوبي: تاريخ ١٧٢/٢-٣.

كل ما تملكه كما تقشر عن العصا لحاها»^(١).

وبعد وصوله لمعاوية تداول معه الرأي بخصوص الموقف من الإمام علي عليه السلام فقال عمرو: «والله يا معاوية: ما انت وعلي بحملي بعير، ليس لك هجرته، ولا سابقته، ولا صحبتته، ولا جهاده، ولا فقهاء، ولا علمه. والله ان له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لاحد غيره، ولكني قد تعودت من الله تعالى احساناً وبلاءاً جميلاً، فما تجعل لي ان انا شايعتك على حربيه، وانت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال: حكمك، فقال مصر طعمه، فتلكاً عليه معاوية، ثم قال: يا ابا عبد الله! اني اكره لك ان تتحدث العرب عنك انك انما دخلت في هذا الامر لغرض الدنيا، قال عمرو: لا لعمر والله. ما مثلي يخدع. لأنا اكيس من ذلك. قال معاوية: ادن مني اسارك، فدنا منه عمرو ليساره، فغض معاوية اذنه، وقال: هذه خدعة! هل ترى في البيت احداً؟ ليس غيري وغيرك»^(٢).

واوضح الجاحظ السر في مطالبة عمرو بن العاص بمصر، لانه هو الذي افتتحها في خلافة عمر (رض)، فكان لعظمها في نفسه وجلالتها في صدره، وما قد عرفه من اموالها وسعة الدنيا، لا يستعظم ان يجعلها ثمناً لدينه^(٣).

وبعد مداولات وتدخل عتبة بن ابي سفيان وافق معاوية على اعطاء مصر طعمه لعمر وبن العاص وكتب بذلك كتاباً جاء فيه: «على الا ينقض شرط طاعه». فكتب عمرو: «على الاتنقض طاعه شرطاً». فكايد كل واحد منهما صاحبه، وتفسيره ان معاوية قال للكاتب: اكتب «على الا ينقض شرط طاعه». يريد اخذ اقرار عمرو له ان قد بايعه على الطاعة بيعة مطلقة غير مشروطة بشيء. وهذه مكايده له؛ لانه لو كتب ذلك لكان لمعاوية ان يرجع في اعطائه مصر، ولم يكن

(١). الشرح ٢٧٠/١.

(٢). الشرح ٦٥/٢. وانظر المنقري: وقعة صفين ص ٣٧-٣٨.

(٣). الشرح ٦٦/٢.

لعمر وان يرجع عن طاعته، ويحتج عليه برجوعه عن اعطائه مصر، لان مقتضى المشاركة المذكورة، ان طاعة معاوية واجبة عليه مطلقاً سواء كانت مصر مسلمة اليه ام لا، ولكن عمرو انتبه للمكيدة فقال للكاتب: بل اكتب: «على الاتنقض طاعه شرطاً» يريد اخذ اقرار معاوية له بانه اذا كان اطاعه لا تنقض طاعته اياه ما شارطة عليه من تسليم مصر اليه، وهذا ايضاً مكايده من عمرو لمعاوية، ومنع له من ان يغدر بما اعطاه من مصر^(١).

ثم بدأ العمل حيث استشار معاوية عمراً في امور ثلاثة: الاول: خروج محمد بن ابي حذيفة^(٢). الثاني: تحريك قيصر الروم^(٣). الثالث: الموقف من الإمام علي عليه السلام.

وكان رأي عمرو ان يرسل مالك بن هبيرة الكندي لمحمد بن ابي حذيفة، فانفذه اليه وقتله، واما القيصر فان يوادعه بالهدايه والاموال. في حين قال في حق الإمام: «انه قد اتاك في طلب البيعة خير اهل العراق، ومن عند خير الناس في انفس الناس، ودعواك اهل الشام الى ردهذه البيعة خطر شديد، ورأس اهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي^(٤)، وهو خصم لجرير رسول علي، «فابعث اليه، ووطن له ثقاتك، فليفشوا في الناس ان علياً قتل عثمان وليكونوا اهل رضا عند شرحبيل، فانها كلمة جامعة لك اهل الشام على ما تحب، وان تعلقت بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشيء ابداً»^(٥).

(١). الشرح ٦٧/٢-٦٨. المنقري: وقعة صفين ص ٤٠-٤١.

(٢). هو محمد بن ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كان ممن اتخذ موقفاً من الخليفة عثمان (رض)، ثم سيطر على مصر في اواخر ايام الخليفة عثمان (رض)، وقد تم قتله على يد معاوية - الطبري: تاريخ ٢٩١/٤-٢، ٣٥٣، ٣٥٧، ٨-٣٩٩، ٤٢١، ٥٤٦-٧. ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ٧٧.

(٣). الطبري ٤٤١/٤.

(٤). انظر ترجمته ابن عبد البر: الاستيعاب ٢٩٩/٢-٧٠٠. ابن حجر: الاصابة ١٤٣/٢-١٤٤.

(٥). الشرح ٧١/٢. المنقري: وقعة صفين ص ٤٤.

وفعلاً ارسل معاوية الى شرحبيل، وتمكن من اقناعه وفق الخطة، التي رسمها عمرو في رمي مسؤولية قتل الخليفة عثمان على الإمام علي عليه السلام ونتيجة لذلك اتحدت الشام في تأييدها لمعاوية^(١)، بعد استخدامه سياسة تقريب رؤساء القبائل «ان معاوية... كان يعطي رؤساء القبائل من اليمن وساكني الشام الاموال الجليلة، يستعبدهم بها، ويدعو اولئك الرؤساء اتباعهم من العرب فيطيعونهم، فمنهم من يطيعهم حمية، ومنهم من يطيعهم لا ياد وعوارف من اولئك الرؤساء عندهم، ومنهم يطيعهم ديناً، زعموا للطلب بدم عثمان، ولم يكن يصل الى هؤلاء الاتباع من اموال معاوية قليل ولا كثير»^(٢).

وبعد حصول معاوية على تأييد اهل الشام عاد الجواب معلناً رفضه للبيعة، ومطالباً اياه بدم الخليفة: «اما بعد، فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وانت بريء من دم عثمان، كنت كأبي بكر وعمر وعثمان؛ ولكنك اغريت بعثمان المهاجرين، وخذلت عنه الانصار، فاطاعك الجاهل، وقوى بك الضعيف. وقد ابى اهل الشام الا قتالك، حتى تدفع اليهم قتلة عثمان، فان فعلت كانت شورى بين المسلمين، ولعمري ليس حججك علي كحججك علي طلحة والزبير لانهما بايعاك، وما حججتك علي اهل الشام كحجتك علي اهل البصرة، لان اهل البصرة اطاعوك، ولم يطعك اهل الشام. فاما شرفك في الاسلام، وقرابتك من النبي صلى الله عليه، وموضعك من قريش. فلست ادفعه»^(٣).

يلاحظ على هذا الكتاب ان معاوية يجعل نقطة الفصل هي مسألة عثمان (رض)، فلامام علي عليه السلام وان لم يكن القاتل، فهو الذي اغرى المهاجرين

(١). الشرح ٧١/٢-٧٣. انظر: المنقري: وقعة صفين ص ٤٣-٤٧.

(٢). الشرح ٧١/١٠.

(٣). الشرح ٨٨/٣. وانظر ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص ٧٧. المبرد: الكامل في اللغة والادب

وخذل الانصار، اذن فهو مطالب اولاً بتقديم قتلة عثمان وبعد ذلك تلغى خلافة الامام ويعاد الامر شورى، ولكن اين يا ترى تكون الشورى، فهل في المدينة التي اتخذت موقفاً سلبياً حيال مقتل الخليفة، ام في العراق، وهذا ما لا يقبل به معاوية، اذن فمعاوية لا يقصد من الشورى الا في الشام، وهو ما يعني توليه الخلافة، ثم اكدت ان الامام ليست لديه حجة على معاوية كما كانت لديه حجة على طلحة والزبير لأنهما بايعاه، ولا له حجة على اهل الشام كما كانت له حجة على اهل البصرة، لانهم استجابوا لامره بعزل الوالي القديم وتولية والي جديد، وبايعوا للإمام.

ثانياً: الاسس التي اعتمدها معاوية في حربه للإمام:

١. نسبه:

الملاحظ ان معاوية استند في صراعه مع الإمام على نسبه المكافىء لنسب الإمام، اذ يقول له في احد كتبه: «فأنا بني عبد مناف، لم نزل نترع من قليب واحد، ونجري في حلبة واحدة، ليس لبعضنا على بعض فضل، ولا لقائنا على قاعدنا فخر، كلمتنا مؤتلفة، والفتنا جامعة، ودارنا واحدة، يجمعنا كرم العرق، ويحويها شرف النجار، ويحنو قلوبنا على ضعيفنا، ويواسي غنينا فقيرنا، قد خلصت قلوبنا من وغل الحسد، وطهرت انفسنا من خبث النية، فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الازهان في امر ابن عمك...»^(١).

والظاهر ان معاوية اراد التغطية على تاريخه في ظل الاسلام، فالتجأ الى ما قبل الاسلام مؤكداً على مسألة النسب التي هي من ضرورات الجاهلية، مدعياً انه لا يوجد فضل لعلي عليه السلام لانهما من اصل واحد، لكن الامام علي عليه السلام انكر

التساوي في الفضل حيث قال: «كذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبدالمطلب، ولا ابوسفیان کابی طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كالصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل. ولبئس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هوى في نار جهنم»^(١).

كان الترتيب يقتضي ان يجعل الامام هاشماً بازاء عبدشمس لأنهما اخوه في قعد، وكلاهما ولد عبدمناف لصلبه، وان يكون امية بازاء عبدالمطلب، وان يكون حرب بازاء ابي طالب، وان يكون ابوسفیان بازاء امير المؤمنين عليه السلام، لان كل واحد منهم في قعد صاحبة الا ان الامام علي عليه السلام لما كان في صفين بازاء معاوية اضطر لجعل هاشم بازاء امية بن عبدشمس^(٢).

ان ترتيب الإمام هو ما يلائم الواقع فعلاً، فأمية هو الذي نافر هاشماً واضطر للرحيل الى الشام بعد ان غلبه هاشم، وحرب نازع عبدالمطلب، اما ابوسفیان فموقفه بالنسبة للدعوة الاسلامية بالضد من موقف أبي طالب، ثم جاءت مواقف معاوية المقابلة للمواقف الإمام عليه السلام.

ان الإمام وهو يضع نفسه مقابلاً لمعاوية في تأكيده على مسألة الايمان له ونفيها عن معاوية، وقد سبق ان قابل بين اجداده واجداد معاوية، والملاحظ ان المقابلة حول نفس المسألة وهي الايمان، فمثلما كان الإمام مؤمناً فكذلك اسلافه، ومثلما نفى الإمام الايمان عن معاوية فكذلك عن اسلافه، لذلك خلص الإمام علي عليه السلام للقول: «ولبئس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هوى في نار جهنم».

واضاف الإمام علي عليه السلام: «وفي ايدينا بعد فضل النبوة التي اذللنا بها العزيز، ونعشنا بها الذليل، ولما ادخل الله العرب في دينه افواجا، واسلمت له هذه الامة طوعاً وكرهاً، كنتم ممن دخل في الدين». أي اذا فرضنا تساوي الاقدام في

(١). الشرح ١١٧/١٥.

(٢). الشرح ١١٨/١٥.

مآثر اسلافكم كان في ايدينا بعد الفضل عليكم بالنبوة التي نعشنا بها الخامل،
واخملنا به النبيه^(١).

ان تفسير ابن ابي الحديد الاخير لا يتفق مع كلام الإمام علي عليه السلام، بل
انه عليه السلام بعد ان ذكر فضائله قبل الاسلام اضاف لذلك ماثرة جديدة وهي النبوة.
ورد الإمام علي عليه السلام على ما جاء في كتاب معاوية في مسألة توحيدهما
وكونهما من اصل واحد فقال: «انا كنا نحن وانتم على ما ذكرت من الالفه
والجماعة، ففرق بيننا وبينكم امس ان آمننا وكفرتم، واليوم انا استقمنا وفتنتم،
وما اسلم مسلمكم الا كرهاً وبعد ان كان انف الاسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حرباً»^(٢).

ولكن لماذا لم يقل الإمام علي عليه السلام لمعاوية: ولا انا كأنت؟. قال ابن
ابي الحديد: قبيح ان يقال ذلك، كما يقال: السيف امضى من العصا، بل قبيح به ان
يقولها مع احد من المسلمين كافة، نعم قد يقولها لا تصريحاً، بل تعريضاً، لانه يرفع
نفسه على ان يقيسها باحد^(٣).

ثم اكد الإمام علي عليه السلام على ان معاوية من الطلقاء، والطلاق هو: كل من
دخل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم مكة عنوة فملكه بالسيف، ثم من عليه عن اسلام او غير
اسلام، كصفوان بن امية الذي لم يسلم، ومعاوية الذي اعلن اسلامه، وكذلك من
اسر في حرب الرسول صلى الله عليه وسلم فمن عليه بفداء او غير فداء فهو ايضاً طليق، فممن
امتن عليه بفداء كسهيل بن عمرو وبغير فداء مثل ابي عزة الجمحي، ومن امتن عليه
معاوضة مقابل اطلاق اسير من المسلمين عمرو بن ابي سفيان اخو معاوية، فهؤلاء

(١). الشرح ١١٧/١٥، ١١٩.

(٢). الشرح ٢٥٠/١٧. وقد عقد ابن ابي الحديد فصلاً اوضح فيه فضل بني هاشم على
بني عبدشمس قبل الاسلام وبعده. الشرح ١٩٥/١٥-٢٩٥. وانظر الجاحظ: رسالة فضل هاشم
على عبدشمس ضمن رسائل الجاحظ السياسية ص ٤٠٧-٤٦٠.

(٣). الشرح ١١٨/١٥.

كلهم من الطلقاء^(١).

وفي وصفه عليه السلام لمعاوية اطلق عليه لفظة اللصيق، فهل في نسب معاوية شبهة؟ ان الإمام هنا لم يقصد النسب، وانما اراد بالصريح بالاسلام ويعني نفسه، فهو ممن اسلم اعتقاداً واخلاصاً، اما اللصيق فهو من اسلم تحت السيف، او رغبة في دنيا، وقد جاء في احد كتبه لمعاوية «كنتم ممن دخل في هذا الدين اما رغبة واما رهبة»^(٢).

وختم الإمام كلامه «ولبئس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هوى في نار جهنم»، فالإمام يعيب معاوية على اسلافه، لانه اتبع آثارهم، واحتذى حذوهم، فهنا عليه السلام لم يعبه لان سلفه كفار، بل لانه كان متبعاً لهم^(٣).

واشار الإمام علي عليه السلام ان معاوية ممن لم يسلم حتى رضخت له الرضائع، والرضيخة شيء قليل يعطاه الانسان يصانع به عن شيء يطلب منه كالاجر، وذلك لانه من المؤلفة قلوبهم، الذين رغبوا في الاسلام والطاعة، بجمال وثناء دفعت اليهم، وهم قوم معروفون كمعاوية واخيه يزيد وابيهما ابي سفيان، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام بن المغيرة، حيث «كان اسلام هؤلاء للطمع والاغراض الدنياوية، ولم يكن عن اصل، ولا عن يقين وعلم»^(٤).

وكان الإمام يؤكد على الموقف السلبي الذي اتخذه معاوية من الاسلام في بدء الدعوة الاسلامية «ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية، وولاية امر الامة، بغير قدم سابق، ولا شرف باسق». وهذا ينبغي ان يحمل على نفي كونهم سادة في الاسلام، وليس قبله بدليل:

(١). الشرح ١١٩/١٥.

(٢). الشرح ١١٩/١٥.

(٣). الشرح ١١٩/١٥.

(٤). الشرح ٢٢٥/١٧-٢٢٦.

١. المعروف رياسة عبدشمس على عدد من بطون قريش، وهم قادة يوم بدر، فكان عتبة قائد النفير، أما ابو سفيان فصاحب العير، اما في احد والخندق فالزعامة لابي سفيان.

٢. قوله عليه السلام «ولاية امر الامة» يفيد انه يقصد ذلك في الاسلام، لان لفظة الامة - تعني العرب في ظل الاسلام^(١).

٣. ان الإمام ينكر على معاوية ان يكون له الحق في قيادة الامة لانه لا يوجد لديه ولا اهل بيته «قدم سابق، ولا شرف باسق» أي القدم في الاسلام والجهاد في سبيله.

ولذا انكر الإمام علي عليه السلام على معاوية دخوله في المفاضلة بين كبار الصحابة لانه من الطلقاء: «وما انت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس! وما للطلقاء وابناء الطلقاء، والتميز بين المهاجرين الاولين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم! هيات، لقد حن قدح ليس منها^(٢)، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها! الا تربع ايها الانسان على ضلعك، وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث اخرك القدر! فما عليك غلبة المغلوب، ولا ظفر الظافر، فانك لذهاب في التيه، رواج عن القصد»^(٣).

ثم اكد عليه السلام قتال معاوية واهل بيته للاسلام «فانا ابو الحسن قاتل جدك واخيك وخالك شذخاً يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب القى عدوي، ما استبدلت ديناً، ولا استحدثت نبياً واني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتم فيه مكرهين»^(٤).

(١). الشرح ٧٩/١٥، ٨١.

(٢). يضرب مثلاً للرجل يدخل نفسه في القوم ليس منهم: ابو هلال العسكري: جمهرة الامثال ٣٧٠/١. ابن نباتة: سرح العيون ص ٢٩٦.

(٣). الشرح ١٨١/١٥.

(٤). الشرح ٧٩/١٥.

وكتب له في مناسبة اخرى «فانا ابن عبدالمطلب صاحب السيف، وان قائمه نفي يدي، وقد علمت من قتلت من صناديد بني عبدشمس، وفراعنة بني سهم، وجمع وبني مخزوم، وايتمت ابناءهم، وايتت نسايتهم واذكرت مالست له ناسياً، يوم قتلت اخاك حنظلة، وجررت برجله الى القليب، واسرت اخاك عمراً، فجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً، وطلبتك ففرت ولك حصاص؛ فلو لا اني لا اتبع فاراً لجعلتك ثالثهما، وانا اولي لك بالله اليه برة غير فاجرة، لئن جمعتني واياك جوامع الاقدار لا تركنك مثلاً يمتثل به الناس ابداً، ولأججعن بك في مناخك حتى يحكم الله بيني وبينك»^(١).

وفي محاوره له مع شيخه النقيب سألته ابن ابي الحديد عن معاوية هل شهد بدرأ؟ قال: نعم، شهدها ثلاثة من اولاد ابي سفيان: حنظلة وعمرو ومعاوية، قتل احدهم واسر الثاني، وافلت معاوية هارباً على رجله، فقدم مكة، وقد انتفخت قدماه، وورمت ساقاه. ثم قال الشيخ: اما سمعت نادرة الاعمش ومناظرة؟ سأل رجل الاعمش - وكان قد ناظر صاحباً له: هل معاوية من اهل بدر ام لا؟ فقال له: اصلحك الله، هل شهد معاوية بدرأ؟ فقال: نعم من ذلك الجانب^(٢).

وقد اعتبر الإمام علي عليه السلام معاوية عدواً للنبي ﷺ: «فأنه لا سواء، امام الهدى، وامام الردى، وولي النبي، وعدو النبي». فالإمام هنا يشير الى نفسه كامام للهدى، والى معاوية كامام للردى، وسمى معاوية اماماً من قوله تعالى: ﴿وجعلناهم ائمة يدعون الى النار﴾^(٣). ثم نعتته بصفة اخرى الا وهي عداوته الرسول ﷺ، لقوله ﷺ: «عدوك عدوي، وعدوي عدو الله»^(٤).

(١). الشرح ٨٤/١٥. ان اسلوب هذه الرسالة لا يتناسب مع سجايا الامام وخصاله وبلاغته، فطابع التحريف واضح عليها بدليل انها لم ترد في نهج البلاغة.
 (٢). الشرح ٨٥/١٥-٨٦.
 (٣). سورة القصص: الآية ٤١.
 (٤). الشرح ١٧٠/١٥-١٧١. والحديث أخرجه الحاكم: المستدرک ١٢٨/٢. والخطيب: تاريخ

وخلص الإمام للقول: «واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تفرض بهم الشورى»^(١).

اذن كان قتل الإمام لجد واخ وخال معاوية سبب في خلق كراهيته للإمام، فكان «على اس الدهر مبغضاً لعلي عليه السلام شديد الانحراف عنه، وكيف لا يبغضه، وقد قتل اخاه حنظلة يوم بدر، وخاله الوليد بن عتبة، وشرك عمه في جده. وقتل من بني عبدشمس نفاً كثيراً من اعيانهم وامثالهم، ثم جاءت الطامة الكبرى واقعة عثمان، فنسبها كلها اليه بشبهة امساكه عنه، وانضواء كثير من قتلته اليه عليه السلام، فتأكدت البغضة، وثارَت الاحقاد، وتذكرت تلك الترات الاولى، حتى افضى الامر الى ما افضى عليه»^(٢).

٢. ولايته للشام:

اعتمد معاوية، ولايته الطويلة للشام - عذراً في صراعه مع الإمام علي عليه السلام. وكان قد تولاهما بعد وفاة اخيه يزيد بن ابي سفيان منذ خلافة عمر بن الخطاب (رض) سنة ١٨ هـ واستمر حتى وفاة الخليفة، ولما جاء عثمان (رض) اقره طوال خلافته، ورغم تعرض اكثر الولاة للعزل في عهد الخليفين، فانه لم يعزل. ولذا لما جاء الإمام علي عليه السلام كان معاوية قد امضى سبعة عشر عاماً في ولايته للشام وفي هذه الفترة اجهد نفسه على الاهتمام باقليم الشام، وكسب ود اهله. واخذ يميل نحو الترف والبذخ رغم نهي الخليفة عمر اياه، لكنه كان يعتذر بانه في ثغر، ولذا فهو بحاجة للظهور بمظهر خاص امام الروم^(٣). ولما تولى الخليفة

بسفداد ٤١/٤. محب الدين: الرياض ٢٢٠/٢. الذهبي: تلخيص المستدرک ١٣٨/٣. الفيروز آبادي: فضائل الخمسة ٢٠/٢.

(١). الشرح ٣٦/١٤.

(٢). الشرح ٣٣٨/١.

(٣). الشرح ٣٢٨/١ - ٢٩٩/٨ - ٣٠٠.

عثمان (رض) ازدادت مكانة معاوية، ومع بواكير ظهور الفتنة كانت الشام المكان المناسب لنفي المتمردين، والذين دخلو في مناقشات مع معاوية، الذي احتج عليهم قائلاً: «ليس في زماني احد اقوى على ما انا فيه مني، ولقد رأى عمر بن الخطاب ذلك فلو كان غيري اقوى مني لم يكن عند عمر هواده لي ولا لغيري». ولما وثب عليه هؤلاء اخذين برأسه ولحيته قال لهم:

«مه! ان هذه ليست بارض الكوفة، والله لو رأى اهل الشام ما صنعتم بي وانا امامهم، ما ملكت ان انهاهم عنكم حتى يقتلوكم»^(١). وفي هذا اشارة لمدى تمكنه من قلوب اهل الشام.

كان معاوية من اكبر ولاة عثمان (رض) ومستشاريه، وهو الذي اشار عليه بالخروج معه الى الشام ايام الفتنة، وقد اظهر ما في نفسه مستخدماً التهديد ضد كبار الصحابة فيما اذا حصل حادث للخليفة^(٢)، و«من هذا اليوم انشب معاوية اظفاره في الخلافة؛ لانه غلب على ظنه قتل عثمان، ورأى ان الشام بيده، وان اهلها يطيعونه وان له حجة يحتج بها عليهم، ويجعلها ذريعة الى غرضه؛ وهي قتل عثمان اذا قتل، وانه ليس في امراء عثمان (رض) اقوى منه، ولا اقدر على تدبير الجيوش، واستمالة العرب، فبنى امره من هذا اليوم على الطمع في الخلافة، الا ترى الى قوله لصعصعة «انه ليس احد اقوى مني على الامارة، وان عمر استعملني، ورضى سيرتي! او لا ترى الى قوله للمهاجرين الاولين: ان شرعتم في اخذها بالتغالب، وملتم على هذا الشيخ، اخرجها الله منكم الى غيركم، وهو على الاستبدال قادر، وانما كان يعني نفسه، وهو يكني عنها، ولهذا تربص بنصرة عثمان لما استنصره ولم يبعث اليه احداً»^(٣).

(١). الشرح ١٣٣/٢. وانظر الطبري: تاريخ ٣١٨/٤-٣٢١، ٣٢٤-٥.

(٢). الشرح ١٣٩/٢. وانظر الطبري: تاريخ ٣٤٤/٤-٥.

(٣). الشرح ١٣٩/٢-١٤٠.

وكان معاوية - مع عظم قدر الإمام علي عليه السلام في النفوس، واعتراف العرب بشجاعته، وانه البطل الذي لا يقام له - يتهدده وعثمان (رض) بعد حي بالحرب والمنازدة، ويكاتبه من الشام برسائل شديد اللهجة، حتى قال له مرة في وجهه «اني اقسم بالله ان لم تتركوا شيخكم يموت على فراشه لا اعطيكم الا هذا السيف»^(١).

وقد وصف ابن ابي الحديد في امارته «انه كان كثير الهزل والخلاعة، صاحب جلساء وسمار، ومعاوية لم يتوفر، ولم يلزم قانون الرياسة الا منذ خرج على امير المؤمنين، واحتاج الى الناموس، والسكينة، والافقد كان في ايام عثمان شديد التهتك، موسوماً بكل قبيح، وكان في ايام عمر يستر نفسه قليلاً خوفاً منه، الا انه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة، ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها، وعليها جلال الديباج والوشي، وكان حينئذ شاباً، وعنده نزق الصبا، واثر الشيبية، وسكر السلطان والامرة... ولا خلاف في انه سمع الغناء وطرب عليه، واعطى ووصل عليه»^(٢).

٣. مقتل الخليفة عثمان (رض)

لما بويع الإمام علي عليه السلام بالخلافة كتب الى معاوية: «اما بعد، فان الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة مني، وبايعوني عن غير مشورة منهم، واجتماع، فاذا اتاك كتابي فبايع لي، واوفد الي اشراف الشام قبلك»^(٣).

كان معاوية ينتظر الفرصة المناسبة للوصول الى الحكم، حيث لم يزل «ذا همة عالية، يطلب معالي الامور، ويرشح نفسه للرياسة» وجاءت الفرصة اثر مقتل

(١). الشرح ١/٣٢٨-٣٤٠. وانظر ابو هلال العسكري: الاوائل ص ١٤٦.

(٢). الشرح ١٦/١٦١.

(٣). الشرح ١/٢٣٠-٢٣١، ١٨/٦٨.

عثمان (رض)، خاصة وان الذي تولى من بعده، ممن يكن له معاوية اشد العدا، حيث كان على اس الدهر مبغضا لعلي عليه السلام^(١).

وقد اتخذ الإمام قرار عزل معاوية مباشرة بعد البيعة، ذلك القرار الذي جوبه بنقد من قبل البعض كأبن عباس، والمغيرة، واعتبره البعض من اخطاء الإمام لانه «لو كان حين بويع له بالخلافة في المدينة اقر معاوية على الشام الى ان يستقر الامر له ويتوطد، ويبايع معاوية واهل الشام ثم يعزله بعد ذلك؛ لكان قد كفى ما جرى بينهما من الحرب»^(٢).

في الواقع ان امير المؤمنين عليه السلام علم من قرائن الاحوال ان معاوية لا يبايع له حتى لو اقره على ولاية الشام، بل ان اقراره اقوى لحال معاوية، وأكد في امتناعه عن البيعة، لان علي الإمام اما ان يطالب معاوية بالبيعة ويقرن ذلك بتقليده الشام، او يطالبه بالبيعة فقط، او يتقدم منه الاقرار على الشام وتتأخر المطالبة بالبيعة الى وقت اخر، فان كان الاول، فمن الممكن ان يقرأ معاوية كتاب التقليد على الناس، فيؤكد حاله عندهم، ويقرر في انفسهم لولا انه اهل لذلك لما اعتمده علي عليه السلام، ثم يماطله بالبيعة، وان كان الثاني فهو عين ما فعله الإمام، وان كان الثالث فهو كالقسم الاول بل اكد لما يريد معاوية من الخلف والعصيان. اذ «كيف يتوهم من يعرف السير ان معاوية كان يبايع له، لو اقره على الشام وبينه وبينه ما لا تبرك الابل عليه، من الترات القديمة والاحقاد، وهو الذي قتل حنظلة اخاه، والوليد خاله، وعتبه جده في مقام واحد، ثم ما جرى بينهما في ايام عثمان، حتى اغلظ كل واحد منهما لصاحبه، وحتى تهدده معاوية وقال له: اني شاخص الي الشام، وتارك عندك هذا الشيخ - يعني عثمان - والله لئن انحصت منه شعرة

(١). الشرح ٣٣٨/١.

(٢). الشرح ٣٣٢/١٠.

واحدة، لا ضربتك بمائة الف سيف»^(١).

ولذا عدّ ابن ابي الحديد رؤية الإمام في عزل معاوية اصح من رؤية ابن عباس والمغيرة، فالإمام علي عليه السلام: «كان اعلم بحاله مع معاوية، وانها لا تقبل العلاج والتدبير، وكيف يخطر ببال عارف بحال معاوية ونكره ودهائه، وما كان في نفسه من علي عليه السلام من قتل عثمان (رض)، ومن قبل قتل عثمان، وانه يقبل اقرار علي عليه السلام على الشام، وينخدع بذلك، ويبايع ويعطي صفقه يمينه! ان معاوية لادهى من ان يكاد بذلك، وان علياً عليه السلام لا عرف بمعاوية ممن ظن انه لو استماله باقراره لبايع له، ولم يكن عند علي عليه السلام دواء لهذا المرض الا السيف؛ لان الحال اليه كانت تؤل لا محالة، فجعل الآخر اولاً».

ان مسألة انجذاب معاوية لعلي واعطائه البيعة امرأ مستحيلاً، اذ ان مبايئته لعلي عليه السلام كمبايئته السواد للبياض، لا يجتمعان ابداً، وكمبايئته السلب للايجاب، فانها مبايئته لا يمكن زوالها اصلاً^(٢).

لقد احسن معاوية استخدام مقتل الخليفة كورقة سياسية، بل كان يمهد لها قبل مقتل الخليفة، اذ لما وصله كتاب مروان يخبره بحصار الخليفة، ارسل معاوية جيشاً امره بالاقامة في مكان حدده له ريثما تأتيه او امره^(٣)، ولما جاء كتاب مروان الثاني يعلمه بمقتل الخليفة، او عز للجيش بالانسحاب الى الشام، واكد ابن ابي الحديد ان معاوية كانت له يد في خروج طلحة والزبير، حيث ابرق لكل واحد

(١). الشرح ٢٣٢/١٠-٢٣٣.

(٢). الشرح ٢٣٣/١٠.

(٣). الشرح ١٥١/٢، ١٥٤/١٦، ١٥٤/١٦. انساب الاشراف ٧١/٥-٧٢. الطبري: تاريخ ٣٦٨/٤. وقد حمل ابن عباس معاوية مسؤولية تربصه وخذلانه لعثمان اذ قال: (فاقسم بالله لانت المتربص بقتله، والمحب لهلاكه، والحابس الناس قبلك عنه علي بصيرة من امره ولقد اتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ، فما حفلت به حتى بعثت اليه معذراً بآخره، انت تعلم انهم لن يتركوه حتى يقتل، فقتل كما كنت اردت...). الشرح ١٥٤/١٦-١٥٥.

منهما بكتاب يدعوهُ للسّير نحو العراق، بعد الالتقاء بوالي عثمان المعزول لليمن، يعلي بن منيه - في مكة لان الاخير اخذ اموال اليمن وسار الى مكة، حيث وظفها لصالح الجيش الخارج للبصرة وفي رسالته الى طلحة والزبير اكد معاوية انه ضمن لهما الشام، حيث بايع لاحدهما بالخلافة، والثاني من بعده، دون تحديد من هو الاول ومن الثاني^(١). وهكذا اشغل معاوية الامام علي عليه السلام فترة من الزمن حيث معركة الجمل.

ولم يكتف معاوية بذلك، بل راسل كبار الشخصيات الاموية او المتضررة من خلافة علي عليه السلام، وهم - مروان بن الحكم^(٢)، وسعيد بن العاص^(٣)، وعبدالله بن عامر الحضرمي^(٤)، والوليد بن عقبة^(٥)، ويعلي بن منيه^(٦). يوضح لهم الوضع المأساوي الذي آل اليه الخليفة، والمستقبل المجهول الذي ينتظرهم، لذا دعاهم الى رص الصفوف، والوقوف بوجه الخليفة الجديد، مؤكداً عليهم بانهم سيقعون تحت طائلة الحساب على اعمالهم السابقة، حيث كتب لعبدالله بن عامر: «واعلم انك غير متروك ولا مهمل» وحذر الوليد بن عقبة «وعن قليل يجتث اصلك»، اما يعلي بن منيه فكتب اليه «ان القوم قاصدوك بادئ بدء لا استنطاق ما حوته يداك من

(١). الشرح ٢٣١/١، ٢٣٥/١٠-٢٣٦، ٢٤٠.

(٢). كان مستشار الخليفة عثمان، وتشير الروايات انه يتحمل المسؤولية الكبرى عن مقتل الخليفة: الطبري: تاريخ ٣٣٩/٤ وما بعدها.

(٣). كان والي الخليفة عثمان على الكوفة، فرفضه اهله، وتم تولية ابو موسى الاشعري، الطبري: تاريخ ٢٧٨/٤ وما بعدها.

(٤). والي الخليفة عثمان على مكة وهو الذي ايد اصحاب الجمل وجمعهم في مكة ووجد صفوفهم. الطبري تاريخ ٤٤٨/٤ - ٥٠.

(٥). والي الخليفة عثمان على الكوفة، وقد عزل وجلده الامام علي عليه السلام اثر شربه الخمر: الطبري تاريخ ٢٥١/٤ - ٢٧٧، ابو الفرج: الاغانى ١١٤/٥ - ٩.

(٦). والي الخليفة عثمان على اليمن، اخذ اموالها ووضفها في حرب الجمل. الطبري: تاريخ ٤٤٣/٤. الفيروز ابادي: تحفة الابية في من نسب الى غير ابيه ١١/١.

المال، فاعلم ذلك واعمل على حسيبه»^(١) وقد تركت هذه الكتب اثرها فيهم فكتبوا لمعاوية يحرضونه، ويغرونه، ويحركونه ويهجونه ما عدا سعيد بن العاص الذي كتب له بخلاف ذلك^(٢).

اذن اجتمع الى معاوية فضلاً عن طموحه في الملك والرياسة، وعلو همته، اجتمع له تحريض المحرضين، ولو لم يكن الاشعر الوليد بن عقبة:

فو الله ما هند بأملك ان مضى النهار ولم يثأر بعثمان ثائر
أيقتل عبد القوم سيد اهله ولم تقتلوه، ليت امك عاقر
ومن عجب ان بت بالشام وادعاً قريراً وقد دارت عليه الدوائر

إذا فكيف لمعاوية اطاعة علي عليه السلام وبيعته، وتسليم نفسه اليه، وهو نازل في الشام وسط قحطان «ودونه حره لا ترام؛ وهم اطوع له من نعله، والامر قد امكنه الشروع فيه، وتالله لو سمع هذا التحريض اجبن الناس واضعفهم نفساً وانقصهم همة لحركه وشحد من عزمه؛ فكيف معاوية، وقد ايقظ الوليد بشعره من لا ينام»^(٣). فيما يرى ابن ابي الحديد «واعلم ان حقيقة الجواب هو ان علياً عليه السلام، كان لا يرى مخالفة الشرع لاجل السياسة سواء كانت تلك السياسة دينية او دنيوية. اما الدنيوية فنحو ان يتوهم الإمام في انسان انه يروم فساد خلافته من غير ان يثبت ذلك عليه يقيناً فان علياً عليه السلام لم يكن يستحل قتله ولا حبسه، ولا يعمل بالتوهم وبالقول غير المحقق، واما الدينية فنحو ضرب المتهم بالسرقة، فانه ايضاً لم يكن يعمل به، بل يقول: ان يثبت عليه باقرار او بينة، اقامت عليه الحد، والا لم اعترضه. وغير علي عليه السلام قد كان منهم يرى خلاف هذا الرأي،

(١). الشرح ١٠/٣٢٦-٣٤٠.

(٢). الشرح ١٠/٣٤٠-٣٤٥.

(٣). الشرح ١٨/٦٨-٦٩. وانظر شعر الوليد: ابو الفرج: الاغاني ٥/١١٢.

ومذهب مالك بن انس العمل على المصالح المرسله^(١)، وانه يجوز للامام ان يقتل ثلث الامة لاصلاح الثلثين، ومذهب اكثر الناس انه يجوز العمل بالرأي وبغالب الظن، واذا كان مذهبه عليه السلام ما قلناه، وكان معاوية عنده فاسقاً، وقد سبق عنده مقدمة اخرى يقينه، وهي ان استعمال الفاسق لا يجوز، ولم يكن ممن يرى تمهيد قاعدة الخلافة بمخالفة الشريعة، فقد تعين مجاهرته بالعزل، وان افضى ذلك الى الحرب^(٢).

رابعاً: الطعن في سيرة الإمام:

استخدم معاوية الحرب الدعائية ضد الإمام علي عليه السلام وذلك بتشويه سمعته،

ومن هذه الطعون:

١. اظهار ان الإمام اتخذ موقفاً سلبياً من الخلفاء السابقين حيث جاء في احد كتبه للامام علي عليه السلام «لقد حسدت ابا بكر، والتويت عليه، ورمت افساد امره، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته، ثم كرهت خلافة عمر وحسدته، واستطلت مدته، وسررت بقتله، واظهرت الشماتة بمصابه، حتى انك حاولت قتل ولده لانه قتل قاتل ابيه^(٣)، ثم لم تكن اشد منك حسداً لابن عمك عثمان؛ ونشرت مقابحه، وطويت محاسنه، وطعنت في فقهه، ثم في دينه، ثم في سيرته، ثم في عقله؛ واغريت به السفهاء من اصحابك وشيعتك، حتى قتلوه بمحضرتك، لا تدفع عنه بلسان ولا يد، وما من هؤلاء الا من بغيت عليه، وتلكأت

(١) هي الوصف المناسب لتشريع الحكم الذي يترتب على ربط الحكم به جلب نفع او دفع ضرر، ولم يدل شاهد من شارع على اعتباره او الغائه. البهادلي: مفتاح الوصول ١٦٠/٢. ولمزيد من التفاصيل انظر: مذکور: مناهج الاجتهاد ص ٢٨٠-٣٠٧.

(٢) الشرح ٢٤٦/١٠.

(٣) كان الرأي الامام علي قتل عبيدالله بن عمر لانه قتل الهرمزان وهو ليس قاتل الخليفة عمر (رض). البلاذري: انساب ٢٤/٥. الطبري: تاريخ ٢٣٩/٤.

في بيعته، حتى حملت اليه قهراً، تساق بخزائم الاقتسار، كما يساق الفحل
المخشوش، ثم نهضت الان تطلب الخلافة، وقتلة عثمان خالصاً وسجراًوك
والمحدقون بك، وتلك من امانى النفوس، وضلالات الالهواء»^(١).

ان الإمام علي عليه السلام في موقفه مع من سبقه بالخلافة كان يرى انه احق
بالامر طبقاً للافضلية^(٢). هذا الموقف استغله معاوية لتصويره كموقف سلبي للإمام
من الخلفاء السابقين، فاخذ يندد به عسى ان يتفوه الإمام بكلمة او تصرف
يستعملها معاوية للتنديد به ليس امام اهل الشام فحسب بل حتى امام
اهل العراق^(٣).

وكان الإمام علي عليه السلام يدرك النوايا السلبية لمعاوية لذارده عليه منكرأ
دخوله في الفاضل والمفضول لانه من الطلقاء الذين ليس لهم الحق في التمييز بين
المهاجرين الاولين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، ودعاه الإمام لمعرفة
نفسه وقصور ذرعه عن الوصول الى مكانه المهاجرين^(٤). واستنتج ابن ابي الحديد
ان كلام الإمام علي عليه السلام ينقض ما يقوله من يطعن في السلف، لانه عليه السلام انكر عليه
المفاضلة بين المهاجرين الاولين اصحاب الدرجات والطبقات الرفيعة، وان قدر
معاوية يصغر في ان يدخل نفسه في مثل ذلك، فهذه شهادة قاطعة على علو
شأنهما، وعظم منزلتهما^(٥).

وندد معاوية بمواقف الإمام من الخليفة عثمان (رض) واتخذ من دمه ورقة
سياسة ضده. حيث كتب له «.. كان منك ما كان من الادهان في امر ابن عمك،
والحسد له، ونصره الناس عنه، حتى قتل بمشهد منك، لا تدفع عنه بلسان ولا يد،

(١). الشرح ١٨٦/١٥.

(٢). الشرح ٢٥٥/١٧-٦.

(٣). الشرح ١٨٥/١٥.

(٤). الشرح ١٨١/١٥.

(٥). الشرح ١٩١/١٥.

فليتك اظهرت نصره حيث اسررت خبره، فكنت كالمترلق بين الناس بعذر، وان ضعف، والمتبرئ من دمه بدفع وان وهن، ولكنك جلست في دارك تدس اليه الدواهي، وترسل اليه الافاعي، حتى اذا قضيت وطرك منه، اظهرت شماتة، وابديت طلاقة، وحسرت للامر عن ساعدك، وشمرت عن ساقك، ودعوت الناس الى نفسك، واكرهت اعيان المسلمين على بيعتك»^(١).

وقد انكر الإمام على معاوية دخوله في امر عثمان، لان من يحق له المطالبة بدم عثمان انما هم ابناؤه لصلبه، فاذا زعم معاوية انه الاقوى، فعليه ان يدخل فيما دخل به المسلمون، ثم يحاكم قتلة عثمان الى الإمام علي عليه السلام^(٢). وانكر ابن ابي الحديد اتهامات معاوية للإمام فيما يخص مواقف الخلفاء واطهار الشماتة، وانه دعا الناس لقتل عثمان، وكرهه طلحة والزبير على البيعة «فكله دعوى والامر بخلافها، ومن نظر في كتب السيرة عرف انه قد بهته، وادعا عليه ما لم يقع منه»^(٣).

ومما عاب به معاوية الإمام اتهامه بالزهو والاستطالة على الآخرين «انك الشامخ بانفه، الذاهب بنفسه، المستطيل على الناس بلسانه ويده». وقد اسرف معاوية بما وصفه به، ولا شك ان الإمام علي عليه السلام كان عنده زهو، ولكن ليس كما وصفه معاوية، فكان مع زهوه الطف الناس خلقاً^(٤).

وتدد بالإمام كونه ترك المدينة المنورة واختار الكوفة: «ثم ترك دار الهجرة التي قال رسول الله ﷺ عنها: ان المدينة لتنقي خبثها كما ينقي الكير خبث الحديد»^(٥). فلعمري لقد صح وعده وصدق قوله، لقد نقت خبثها، وطردت عنها من

(١). الشرح ٢٥١/١٧-٢٥٢.

(٢). الشرح ٨٩/٣. وانظر: المنقري: صفين ص ٥٧-٥٩.

(٣). الشرح ٢٥٥/١٧.

(٤). الشرح ٢٥٢/١٧، ٢٥٦. وانظر فصل سجايا الامام.

(٥). مالك: الموطأ ٤٦٣/٢-٤. مسلم: الصحيح ١٥٣/٩. المتقي الهندي: كنز العمال ٢١٨/١٣.

ليس باهل ان يستوطنها، فاقمت بين المصريين، وبعدت عن بركة الحرمين، ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة، وبمجاورة الخورنق والحيرة عوضاً عن مجاورة خاتم النبوة»^(١).

انه لا مانع ولا عيب على الخليفة اذا انتقضت عليه اطراف الاسلام الخروج من المدينة، اذ ليس كل من يخرج منها كان خبثاً، فقد خرج عمر (رض) مراراً الى الشام، وكذلك معاوية قد خرج من المدينة فهل يعد هذا نفياً له: وكذلك طلحة والزبير وعائشة (رض) وغيرهم من الصالحين، والواجب على الإمام ان يقدم الالهم على المهم، فالاقامة في الحرمين ومجاورة الرسول ﷺ مهمة، ولكن مصالح الاسلام، وقتال اهل البغي اولى من ذلك^(٢).

خامساً: موقف الإمام من طلحة والزبير وام المؤمنين:

من الطعون التي وجهها معاوية للإمام قتاله ﷺ لطلحة والزبير باعتبارهما من شيوخ الاسلام وقتلهما، وتشريد ام المؤمنين، واحلالها مبتذلة بين الاعراب وفسقة الكوفة، «تري ابن عمك بهذه لو رآه راضياً، اما كان يكون عليك ساخطاً، ولك عنه زاجراً! ان تؤذي اهله وتشرد حليلته، وتسفك دماء اهل ملته»^(٣).

اجاب ابن ابي الحديد «ان طلحة والزبير قتلا انفسهما... واما كونهما شيخين من شيوخ الاسلام فغير مدفوع، ولكن العيب يحدث، واصحابنا يذهبون الى انهما تابا... واما الوعد لهما بالجنة فمشرط بسلامة العاقبة والكلام في سلامتهما، واذا ثبتت توبتهما فقد صح الوعد لهما وتحقق». واما قوله «لو عاش رسول الله ﷺ فبربك هل كان يرضى لك ان تؤذي حليلته». فعلي عليه السلام ان

١. الشرح ٢٥٢/١٧.

٢. الشرح ٢٥٥/١٧.

٣. الشرح ٢٥٢/١٧.

يقلب الكلام عليه، فيقول: افتراه لو عاش اكان يرضي لحليته ان تؤذي اخاه ووصيه! وايضاً اتراه لو عاش اكان يرضي لك يا ابن سفيان ان تنازع علياً الخلافة وتفرق جماعة هذه الامة! وايضاً اتراه لو عاش كان يرضي لطلحة والزبير ان يبايعا، ثم ينكتا لا لسبب، بل قالاً: جئنا نطلب الدراهم، فقد قيل لنا: ان بالبصرة اموال كثيرة! هذا كلام يقوله مثلهما»^(١).

بعد هذه السلسلة من الطعون هدد معاوية الإمام علي عليه السلام بالحرب: «وها انا سائر اليك في جمع من المهاجرين والانصار، تحفهم سيوف شامية ورماح قحطانية، حتى يحاكموك الى الله». ولكن الإمام علي عليه السلام انكر على معاوية أي وجود للمهاجرين والانصار معه، قائلاً له: «قد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك». فالإمام يريد ان يقول له انه ليس معك الا من الطلقاء وابنائهم الذين اسلموا بعد فتح مكة، والنبى ﷺ يقول: لا هجرة بعد الفتح، وعبر الإمام علي عليه السلام عن يوم الفتح بعبارة فيها تقريع لمعاوية واهله بالكفر، وانهم ليسوا من اهل السوابق، فقال ﷺ: «وقد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك» أي يزيد بن ابي سفيان الذي اسر يوم فتح مكة في باب الخندمة^(٢)، وقد خرج في عدد من قريش لمحاربة الرسول ﷺ، فقتل بعضهم واسر يزيد، اسره خالد بن الوليد، فخلصه ابو سفيان منه، وادخله داره، فاصبح آمناً^(٣).

ان هذه السلسلة من المراسلات كانت موضع استياء من ابن ابي الحديد «واعجب واطرب ما جاء به الدهر - وان كانت عجائبه وبدائعه جمّة - ان يفضي امر علي عليه السلام الى ان يصير معاوية ندأله ونضيراً مماثلاً، يتعارضان الكتاب

(١). الشرح ٢٥٤/١٧ - ٢٥٥. القاضي: المغني ٨٩/٢/٢٠.

(٢). جبل بمكة تجمع فيه بعض المشركين لمحاربة المسلمين يوم الفتح، الزمخشري: كتاب الامكنة ص ٧٨. الحموي: معجم البلدان ٣٨٢/٢ - ٣. الحميري: الروض ص ٢٢٢ - ٣.

(٣). الشرح ٢٥٠/١٧، ٢٥٢، ٢٥٦، ٣ - ٢٥٧.

والجواب، ويتساويان فيما يواجه به احدهما صاحبه، ولا يقول له علي عليه السلام كلمة الا قال مثلها واخشن مساً منها، فليت محمداً ﷺ كان شاهداً ذلك؛ ليرى عياناً لا خبراً ان الدعوة التي قام بها، وقاسى اعظم المشاق في تحملها، وكابد الاهوال في الذب عنها، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها، وشيد اركانها، وملاً الآفاق بها خلصت صفواً عفواً لاعدائه الذين كذبوه لما دعا اليه، واخرجوه عن اوطانه لما حض عليها، وادموا وجهه، وقتلوا عمه واهله، فكأنه كان يسعى لهم، ويدأب لراحتهم، كما قال ابو سفيان في ايام عثمان وقد مر بقبر حمزة، وضربه برجله، وقال: يا ابا عماره! ان الامر الذي اجتلدنا عليه بالسيف امسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به^(١)! ثم آل الامر الى ان يفاخر معاوية علياً كما يتفاخر الاكفاء والنظراء:

| | |
|----------------------------|--|
| اذا عير الطائي بالبخل مادر | وقرع قسا بالفهاة باقل |
| وقال السها للشمس: انت خفية | وقال الدجى: يا اصبح لونك حائل |
| وفاخرت الارض السماء سفاهة | وكاثرت الشهب الحصاد الجنادل |
| فياموت زر ان الحياة ذميمة | ويانفس جدي ان دهرك هازل ^(٢) |

ثم اقول ثانياً لامير المؤمنين عليه السلام: ليت شعري: لماذا فتح باب الكتاب والجواب بينه وبين معاوية! وإذا كانت الضرورة قد قادت الى ذلك، فهلا اقتصر في الكتاب اليه على الموعظة من غير تعرض للمفاخرة والمنافرة! وإذا كان لابد منهما فهلا اكتفى بهما من غير تعرض لامر اخر يوجب المقابلة والمعارضة بمثله. وباشد منه، ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾^(٣). وهلا

(١)، المقرئزي: النزاع والتخاصم ص ٣.

(٢)، ابيات لابي العلاء المعري: سقط الزند ٥٣٣/٢-٥٣٨. ابن نباتة: شرح العيون ص ٢٦٤.

(٣)، سورة انعام: الآية ١٠٨.

دفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذا السفية الاحمق، هذا مع انه القائل: من واجه الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون! أي افتروا عليه، وقالوا فيه الباطل.

ايها الشامي لتحسب مثلي انما انت في ظلال تهيم
لا تسبيني فلست بسبي ان سبي من الرجال الكريم^(١)

وهكذا جرى القنوت واللعن، قنت بالكوفة على معاوية، ولعنة في الصلاة وخطبة الجمعة، واطاف اليه عمرو بن العاص، وابا موسى، وابا الاعور السلمي، وحيب بن مسلمة، فبلغ ذلك معاوية بالشام، فقنت عليه ولعنه بالصلاة وخطبة الجمعة، واطاف اليه الحسن والحسين وابن عباس الاشر النخعي، ولعله عليه السلام قد كان يظهر له من المصلحة حينئذ ما يغيب عنا الآن، ولله امر هو بالغه^(٢).

ثالثاً: وقائع معركة صفين

بعد ان ادرك الإمام علي عليه السلام انه لا فائدة من مراسلة معاوية بعد ان قدم الادلة ورد ادعاءاته في مسألة مقتل الخليفة عثمان (رض)، رأى عليه السلام انه لا مناص من اللجوء للقوة، ولم يكن عليه السلام يستند في ذلك لمشروعية حكمه فحسب، وانما ايضاً لما اثر عن الرسول صلى الله عليه وآله بانه سيقا تل الناكثين والقاسطين والمارقين، «واما الطائفة الفاسقة فاصحاب صفين وسماهم رسول الله صلى الله عليه وآله والقاسطين... وهذا الخبر من دلائل نبوته صلى الله عليه وآله لانه اخبار صريح بالغيب لا يحتمل التمويه والتدليس كما تحتمله الاخبار المجملة، وصدق قوله عليه السلام.... واما اصحاب صفين فانهم عند

(١). ابیات لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت يهجو مسكين الدارمي. الشرح ١٣٧/١٦ هـ ٢ (المحقق).

(٢). الشرح ١٣٦/١٦ - ١٣٧.

اصحابنا رحمهم الله مخلدون في النار لفسقتهم فصح بهم قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^{(١)(٢)}.

ولقد تمكن جيش معاوية من الوصول الى شريعة الفرات قبل جيش الإمام علي لذا كانت فرصة ذهبية لمعاوية ان يحرمهم من الماء ولكن السيطرة على الشريعة ما لبثت ان تحولت الى الإمام علي وجيشه فلذا طلب اصحاب الإمام منه معاملتهم بالمثل، فقال **عَلِيٌّ**: «لا افعل كما فعله الجاهلون». وسمح لهم باستخدام شريعة الفرات^(٣).

ان سيطرة الإمام علي الماء، وازاحته لاهل الشام، ثم سماحه لهم باستخدامه كانت من ضمن الطعون التي اثيرت ضد سياسة الإمام حيث قالوا: هلا اذا ملك شريعة الفرات علي معاوية، وبعد ان كان معاوية ملكها عليه، ومنعه واهل العراق منها، منع معاوية واهل الشام منها؛ فكان يأخذهم قبضاً بالايدي! فإنه لم يصبر علي منعهم من الماء، بل فسح لهم في الورود، وهذا يخالف ما يقتضيه تدبير الحرب^(٤).

هذه الرؤية فندها ابن ابي الحديد وقدم الادلة على السبب الذي دفع الإمام لذلك حيث قال: «انه عليه السلام لم يكن يستحل ما استحله معاوية من تعذيب البشر بالعطش؛ فان الله تعالى ما امر في احد من العصاة الذين اباح دماءهم بذلك، ولا فسح فيه في نحو القصاص، او حد الزاني المحصن، او قتل قاطع الطريق، او قتل البغاة والخوارج، وما كان امير المؤمنين ممن يترك حكم الله وشريعته، ويعتمد ما هو محرم فيها لاجل الغلبة والقهر والظفر بالعدو، ولذلك لم يكن يستحل

(١). سورة الجن: الآية ١٥.

(٢). الشرح ٢٠١/١.

(٣). الشرح ٣١٢/٣ - ٣٣١.

(٤). الشرح ٢٥٧/١٠.

البيات ولا الغدر ولا النكث، وايضاً فمن الجائز ان يكون عليه السلام غلب على ظنه ان اهل الشام ان منعوا من الماء كان ذلك ادعى لهم الى الحملات الشديدة المنكرة على عسكرة، وان يضعوا فيهم السيوف، فيأتوا عليهم، ويكسروهم بشدة حنقهم وقوة داعيهم الى ورود الماء، فان ذلك من اشد الدواعي الى ان يستमित القوم ويستقتلوا. ومن الذي يقف بين يدي جيش عظيم عرمرم حنق قد اشتد بهم العطش، وهم يرون الماء كبطون الحيات، ولا يحول بينهم وبينه الا قوم مثلهم، بل اقل منهم عدة واضعف عدة، ولذلك لم حال معاوية بين اهل العراق وبين الماء، وقال: لا منعهم وروده فاقتلهم بشفار الظماً، قال له عمرو بن العاص: خل بين القوم وبين الماء، فليسوا ممن يرى الماء ويصبر عنه، فقال: لا والله لا اخلي لهم عنه. فسفه رأيه وقال: أتظن ان ابن ابي طالب واهل العراق يموتون بازائك عطشاً، والماء بمعقد الازر، وسيوفهم في ايديهم! فلج معاوية، وقال: لا اسقيهم قطرة، كما قتلوا عثمان عطشاً، فلما مس اهل العراق العطش، اشار علي عليه السلام الى الاشعث ان احمل، والى الاشتر ان احمل، فحملا بمن معهما فضربا اهل الشام ضربا اشاب الوليد، وفر معاوية ومن رأى رأيه وتابعه على قوله عن الماء كما تفر الغنم خالطتها السباع، وكان قصارى امره، ومنتهى همته ان يحفظ رأسه، وينجو بنفسه، وملك اهل العراق عليهم الماء، ودفعوهم عنه فصاروا في البر القفر، وصار علي عليه السلام واصحابه على شريعة الفرات، مالكين لها، فما الذي كان يؤمن علياً عليه السلام لو عطش القوم ان يذوق هو واصحابه منهم مثل ما اذاقهم! وهل بعد الموت بالعطش امر يخافه الانسان! وهل يبقى له ملجأ الا السيف يحمله به فيضرب خصمه الى ان يقتل احدهما»^(١).

ولم يكتف الإمام بذلك الموقف؛ بل عقبه بعدة مواقف كان من خلالها الإمام

يريد ان يتوصل لحل سلمي، ويهدف ان يستبصر اهل الشام بصحة موقف الإمام وبطلان موقف معاوية حيث قال لاصحابه لما استبسطأوه في اذنه بالقتال «... فوالله ما دفعت الحرب يوماً الا وانا اطعم ان تلحق بي طائفة فتهددي بي، وتعشوا الى ضوئي، فهو احب الي من ان اقتلها على ضلالها، وان كانت تبؤ بأثامها»^(١).

فكانت معركة صفين التي ادت لسقوط عدد من القتلى من كلا الطرفين، فيهم عدد من كبار الصحابة، ولما ادرك معاوية ان النصر بات وشيكاً لعلي عليه السلام طلب فرساً لينهزم، ثم اشار عمرو بن العاص على اهل الشام برفع المصاحف، ودعوة اهل العراق الى الاحتكام الى كتاب الله تعالى، فهنا انقسم اصحاب الإمام علي اقساماً: «فمنهم من دخلت عليه الشبهة برفع المصاحف، وغلب على ظنه ان اهل الشام لم يفعلوا ذلك خدعة وحيلة، بل حقاً ودعاء الى الدين وموجب الكتاب، فرأى ان الاستسلام للحجة اولى من الاصرار على الحرب، ومنهم من كان قد مل الحرب، وآثر السلم، فلما رأى شبهة ما يسوغ التعلق بها في رفض المحاربة وحب العافية اخذ اليها. ومنهم من كان يبغض علياً عليه السلام باطنه، ويطيعه بظاهره، كما يطيع كثير من الناس السلطان في الظاهر، ويبغضه بقلبه، فلما وجدوا طريقاً الى خذلانه وترك نصرته، اسرعوا نحوها، فاجتمع جمهور عسكره عليه، وطالبوه بالكف وترك القتال، فامتنع امتناع عالم بالمكيدة، وقال لهم: انها حيلة وخدعة، واني اعرف بالقوم منكم، انهم ليسوا اصحاب قرآن ولا دين، قد صحبتهم وعرفتهم صغيراً وكبيراً، فعرفت منهم الاعراض عن الدين، والركون الى الدنيا، فلا تراعوا برفع المصاحف، وصمموا على الحرب، وقد ملكتموهم، فلم يبق منهم الا حشاشة ضعيفة، وذمار قليل. فأبوا عليه والحووا واصروا على القعود والخذلان، وامروه بالانفاذ الى المحاربين من اصحابه. وعليهم الاشر ان يأمرهم بالرجوع، وتهددوه

ان لم يفعل باسلامه الى معاوية. فارسل الى الاشرى يامر به بالرجوع وترك الحرب فأبى فقال: كيف ارجع وقد لاحت امارات الظفر! ليمهني ساعة واحدة. ولم يكن علم صورة الحال كيف وقد وقعت. فلما عاد اليه الرسول بذلك. غضبوا ونفروا وشغبوا، وقالوا: انفذت الى الاشرى سرّاً وباطناً، تأمره بالتصميم، وتنهاه عن الكف، وان لم تعده الساعة، والاقتلناك كما قتلنا عثمان. فرجعت الرسل الى الاشرى فقالوا له: أتحب ان تظفر بمكانك وامير المؤمنين قد سل عليه خمسون الف سيف! فقال: ما الخبر؟ قال: ان الجيش يأسره وقد احدث به، وهو قاعد بينهم على الارض، تحته نطع وهو مطرق، والبارقة تلمع على رأسه، يقولون: لئن لم تعد الاشرى قتلناك! قال: ويحكم! فما سبب ذلك؟ قالوا: رفع المصاحف. قال: والله لقد ظننت حين رأيتها رفعت انها ستوقع فرقة وفتنة، ثم كر راجعاً على عقبه، فوجد امير المؤمنين عليه السلام تحت الخطر، قد رده اصحابه بين امرين: اما ان يسلموه الى معاوية، او يقتلوه، ولا ناصر له منهم الا ولداه، وابن عمه ونفر قليل لا يبلغون عشرة. فلما رأهم الاشرى سبهم وشتمهم، وقال: ويحكم! ابعث الظفر والنصر صب عليكم الخذلان والفرقة! يا ضعاف الاحلام! يا اشباه النساء! يا سفهاء العقول! فشتموه وسبوه، وقهروه، وقالوا: المصاحف، المصاحف! والرجوع اليها، لا يرى غير ذلك! فاجاب امير المؤمنين عليه السلام الى التحكيم، دفعاً للمحذور الاعظم بارتكاب المحذور الاضعف، فلذلك قال: كنت اميراً فاصبحت مأموراً، وكنت ناهياً فصرت منهيّاً»^(١).

ان قبول الامام التحكيم وايقاف الحرب بعد ما لاحت علائم النصر ولم يبق الا ان يأخذ معاوية ثم ترك ذلك، واخذ الى التحكيم، وان تحكيمه هذه البعض دليلاً على شك في امره، وضعفاً في سياسته.

ان اهل الشام لما رفعوا المصاحف انخذع بها اهل العراق وقالوا: لا يحل لنا التصميم على حربهم ولا يجوز لنا الا وضع السلاح والرجوع لحكم المصاحف، فإشار الإمام بانها خديعة، وكلمة حق يراد بها باطل ودعاهم للصبر ولو ساعة، فأبوا قائلين: ارسل الى الاشر، وبعد أخذ ورد عاد الاشر وجرى بينه وبين اهل العراق المتخاذلين من السب والشتم، «فاذا كانت الحال هكذا، فاي تقصير وقع من امير المؤمنين عليه السلام، وهل ينسب المغلوب على امره، المقهور على رأيه الى التقصير او فساد تدبير! اما قولهم ان التحكيم يدل على الشك في امره: لانه انما يدل على ذلك لو ابتداء هو به، فاما اذا دعاه الى ذلك غيره، واستجاب اليه اصحابه، فمنعهم وامرهم ان يستمروا على وتيرتهم وشأنهم، فلم يفعلوا، وبين لهم أنها مكيدة فلم يتبينوا، وخاف ان يقتل او يسلم الى عدوه، فانه لا يدل تحكيمه على شكله، بل انه يدل على انه وقع بذلك ضرراً عظيماً عن نفسه، ورجا ان يحكم الحكمان بالكتاب، فتزول الشبهة عن طلب التحكيم من اصحابه»^(١).

ولما قبل الإمام التحكيم، ووضعت صيغة الصلح رفض معاوية كتابه لفظة (امير المؤمنين) للإمام علي عليه السلام برفعها، فاصبح ذلك من المطاعن التي وجهت الى سياسته حيث قالوا: ان الإمام اخطأ حيث محا اسمه بالخلافة من صحيفة الحكومة، لان ذلك مما وهنه عند اهل العراق، وقوى الشبهة لدى اهل الشام.

في الواقع انه عليه السلام اقتدى في ذلك بفعل الرسول عليه السلام في صلح الحديبية، حيث محا عليه السلام اسمه من النبوة كما طلب سهيل بن عمرو الذي قال للرسول صلى الله عليه وآله لما حاربناك، ولا منعناك البيت. وقد قال صلى الله عليه وآله يومها لعلي عليه السلام وكان الكاتب بصلح الحديبية: ستدعى الى مثلها فتجيب. وهذا من علائم نبوته صلى الله عليه وآله، ودلائل صدقه، وقد جرى للإمام ما جرى للرسول صلى الله عليه وآله حذو القذة^(٢) بالقذة^(٣).

(١). الشرح ٢٥٢/١٠-٢٥٣.

(٢). القذة: الريشة التي تتركب على السهم. والمثل يضرب في تشابه الشئين. ابو هلال

واختير ابو موسى الاشعري حكماً عن اهل العراق، وعمرو بن العاص عن اهل الشام، وكان ذلك ما اثار الطعن في سياسة الإمام علي عليه السلام اذ كيف يرضى بحكومة ابي موسى وهو فاسق عنده بتشبيطه اهل الكوفة عنه؟ وكيف رضى لتحكم عمرو بن العاص وهو افسق الفاسقين؟

ان ابا موسى كرهه الإمام علي عليه السلام واراد ان يجعل بدله ابن عباس فقال اصحابه: لا يكون الحكمان من مضر، فرشح الامام الاشر، فقال: وهل اضرم النار الا الاشر! وهل جر ما ترى الا حكومة الاشر! فابوا الا ابا موسى، ومدحوه، فاضطر الإمام للقبول على مضض. واما تحكيمه عمراً فإنه لم يرض به، وانما رضاه خصمه، وقد اجاب ابن عباس حينما قال للخوارج: اليس قد قال الله تعالى: ﴿فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها﴾^(٤)! رأيتم لو كانت المرأة يهودية، فبعثت حكماً من اهلها، اكننا نسخط ذلك^(٥).

وكانت نتيجة التحكيم ان خدع عمرو بن العاص ابا موسى، وذهب للشام وباع للمعاوية، فيما هرب ابو موسى الى مكة، واصبحت خديعة عمرو له مضرب المثل^(٦).

كانت فلسفة الإمام في التحكيم مفادها: «انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن هذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وانما ينطق عنه الرجل ولما دعنا القوم الى ان نحكم بيننا القرآن، ولم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله سبحانه وتعالى؛ وقد قال الله تعالى عز من

العسكري: جمهرة الامثال ٣٨١/١. التويري: نهاية الارب ٢٦/٢.
(٣). الشرح ٢٥٨/١٠. وانظر الطبري: تاريخ ٥٢/٥-٥٣. وللجاحظ رأي في صحيفة الصلح حيث يرى بانها حرقت وزيد فيها. رسالة في الحكمين ص ١٧٢-٦.
(٤). سورة النساء: الآية ٣٥.
(٥). الشرح ٢٥١/١٠، ٢٥٣. وانظر الشريف المرتضى: تنزيه الانبياء ص ١٦٦-١٧٠.
(٦). الشرح ٥٦/١٠-٥٧. وانظر: الزمخشري: ربيع الابرار ٧٠٧/١.

قائل: ﴿فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول﴾^(١). فردوه الى الله ان نحكم بكتابه، وردوه الى الرسول ان نحكم بسنته، فاذا حكم بالصدق في كتاب الله، فنحن احق الناس به، وان حكم بسنة رسول الله ﷺ، فنحن احق الناس واولاهم بها»^(٢).

ان الإمام هنا يقول: لما دعينا الى تحكيم الكتاب، لم نكن القوم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿واذا دعو الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون﴾^(٣)، بل اجبنا الى ذلك، وعملنا بقول الله تعالى: ﴿فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول﴾. ومعنى ذلك ان نحكم بالكتاب والسنة، فاذا عمل الناس بها بالحق، واطرحوا الهوى والعصبية، كنا احق بتدبير الامة، وبولاية الخلافة من المنازع لنا عليها. وقد رفع علياً نفسه ان يصرح بذكر الخلافة فكفى عنها، وقال: نحن اذا حكم بالكتاب والسنة اولى بهما، ويلزم من كونه اولى بهما من جميع الناس ان يكون اولى بالخلافة من جميع الناس، فدل على ما كنى عنه بالامر المستلزم له^(٤).

ولكن يمكن التساؤل: اذا كان الرجال الذي يترجمون القرآن ويفسرونه، وقد كلفوا ان يحكموا في واقعة اهل العراق واهل الشام، بما يدلهم القرآن عليه، يجوز ان يختلفوا في تفسير القرآن وتأويله، فيدعي صاحب اهل العراق من تفسيره ما يستدل به على مراده، ويدعي وكيل اهل الشام ما يقابل ذلك ويناقضه، بطريق الشبهة التي تمسكوا بها من دم عثمان، ومن كون الاجماع لم يحصل على بيعة امير المؤمنين عليه السلام، احتاج الحكمان حينئذ الى ان يحكم بينهما

(١). سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢). الشرح ١٠٣/٨. وانظر: الطبري: التاريخ ١٦٦/٥.

(٣). سورة النور: الآية ٤٨.

(٤). الشرح ١٠٤/٨ - ١٠٥.

حكمان آخران، والقول فيها كالقول في الاول الى ما لا نهاية له؛ وانما كان يكون التحكيم قاطعاً للشغب لو كان القرآن ينص بالصريح الذي لا تأويل فيه، اما على امير المؤمنين عليه السلام، واما على معاوية، ولا نص صريح فيه، بل الذي فيه يحتمل التأويل والتجاذب، فما الذي يفيد التحكيم والحال تعود لا محالة!؟

ان اجابة ابن ابي الحديد عن هذا السؤال تكمن في «ان الحكمين لو تأملا الكتاب حق التأمل، لوجدوا فيه النص الصريح على صحة خلافة امير المؤمنين عليه السلام، لان فيه النص الصريح على ان الاجماع حجة، ومعاوية لم يكن مخالفاً في هذه المقدمة ولا اهل الشام، واذا كان الاجماع حجة، فقد وقع الاجماع لما توفي رسول الله صلوات الله عليه وآله، على ان اختيار خمسة من صلحاء المسلمين لواحد منهم وبيعته توجب لزوم طاعته وصحة خلافته، وقد بايع امير المؤمنين خمسة من صلحاء الصحابة، بل خمسون؛ فوجب ان تصح خلافته، واذا صحت خلافته نفذت احكامه، ولم يجب عليه ان يقيد بعثمان، الا اذا حضر اولياؤه عنده، طائعين له مبايعين، ملتزمين لاحكامه، ثم بعد ذلك يطلبون القصاص من اقوام باعياهم، يدعون عليهم دم المقتول، فقد ثبت ان الكتاب لو تأمل حق التأمل، لكان الحق مع اهل العراق، ولم يكن لاهل الشام من الشبهة ما يقدر في استنباطهم المذكور»^(١).

رابعاً: رؤية الاعتزال لاهل صفين:

تري المعتزلة هلاك اهل صفين لاصرارهم على البغي، وموتهم عليه سواء الرؤساء او الاتباع. لذا صح فيهم قوله تعالى: «واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً»^(٢)، ولكن الإمام علي عليه السلام وصف اهل صفين بانهم اخوان بقوله: «ولكننا انما أصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج».

(١). الشرح ١٠٥/٨-١٠٦.

(٢). سورة الجن: الآية ١٥. الشرح ١/٩، ٢٠١.

في حين لا يصف المعتزلة المحاربين للامام من اهل صفين بالمسلمين، فكيف التوفيق في ذلك؟

في الواقع ان المعتزلة وان كانت تذهب الى ان صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمناً، ولا مسلماً، ولكنهم يجيزون اطلاق لفظ الاسلام عليه اذا قصد به تمييزه عن اهل الذمة وعابدي الاصنام، فيطلق مع قرينة حالة او لفظة تخرجه عن ان يكون مقصوداً به التعظيم والثناء والمدح، لان لفظة «مسلم» و«مؤمن» تستعمل في اكثر الاحوال كذلك، والامام علي عليه السلام لم يقصد بذلك الا تمييزهم من كفار العرب وغيرهم من اهل الشرك، ولم يقصد مدحهم بذلك، لذا لا ينكر اطلاق لفظ المسلمين عليهم بهذا القصد^(١).

ولذا فكبار قادة صفين ك معاوية وعمر وبن العاص والمغيرة لا يتولاهم المعتزلة ولا يثنون عليهم، وهم لدى المعتزلة في مقام غير محمود، اما رؤية المعتزلة لمعاوية خاصة، فهو «مطعون في دينه عند شيوخنا رحمهم الله... وقد ذكرنا في «نقض السفينية»^(٢). على شيخنا ابي عثمان الجاحظ ما رواه في كتبهم الكلامية عنه... ولو لم يكن شيء من ذلك، لكان في محاربتة الامام ما يكفي في فساد حاله، لاسيما على قواعد اصحابنا، وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصير الى النار والخلود فيها ان لم تكفرها التوبة»^(٣).

وقال في معرض مقارنته بين معاوية والخوارج: «وقد طعن كثير من اصحابنا في دين معاوية... ونقلوا عنه في فلتات كلامه وسقطات الفاظه ما يدل على ذلك». وقد استشهد ابن ابي الحديد بما رواه الزبير بن بكار في كتابه

(١). الشرح ٢٩٩/٧.

(٢). هو رد على كتاب السفينية للجاحظ. انظر على جواد محي الدين: ابن ابي الحديد ص ٢٤٣.

(٣). الشرح ٣٤٠/١، ١٠١/١٠، ٣٥/٢٠. وانظر القاضي: المغني ٩٣/٢/٢٠ - ٩٤.

الموفقيات^(١) من موقف معاوية من النبي صلى الله عليه وآله اثناء خلافته. وقد ايد ابن ابي الحديد صحة الرواية بقوله بخصوص الزبير بن بكار: وهو متهم على معاوية، ولا منسوب الي اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حالة من مجانبة علي عليه السلام، والانحراف عنه^(٢).

واكد ابن ابي الحديد صحة رؤيته من خلال التأكيد على افعال معاوية المجانبة للعدالة الظاهرة من لبسه الحرير، وشربه في آنية الذهب والفضة، حتى انكر عليه ذلك ابو الدرداء، حيث قال له: اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ان الشارب فيهما ليجر جر في جوفه نار جهنم^(٣). فرد معاوية: اما انا فلا ارى بذلك بأسا. فقال ابو الدرداء: من عذيري من معاوية: انا اخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يخبرني عن رأيه: لا اساكك بارض ابدأ^(٤). وأكد ابن ابي الحديد ان هذا الخبر اخرج المحدثون والفقهاء في كتبهم في باب الاحتجاج على ان خبر الواحد معمول به في الشرع، وهذا الخبر يقدر في عدالته، كما يقدر في عقيدته، لان من قال في مقابلة خبر قد روى عن الرسول صلى الله عليه وآله: اما انا فلا ارى بأسا فيما حرمه الرسول صلى الله عليه وآله، هذا ليس بصحيح العقيدة^(٥).

واضاف ابن ابي الحديد: «ومن المعلوم ايضا من حاله استثنائه بمال الفيء، وضربه من لاحد عليه، واسقاط الحق عن يستحق اقامة الحد عليه، وحكمه برأيه في الرعية، وفي دين الله، واستلحاقه زيادا، وهو يعلم قول رسول الله صلى الله عليه وآله «الولد للفراش وللعاهر الحجر»^(٦). وقتله حجر بن عدي واصحابه، ولم يجب عليهم القتل،

(١). الاخبار الموفقيات ص ٥٧٦-٥٧٧.

(٢). الشرح ١٢٩/٥-١٣٠.

(٣). اخرج ابن ماجه: صحيح ٢٤٨/٢.

(٤). رواه مالك: المؤطا ٥١٢/٢. النسائي: سنن ٢٧٩/٧. البيهقي: السنن ٢٨٠/٥.

(٥). الشرح ١٣٠/٥. وانظر: الجاحظ: رسالة في النابتة ص ٢٤١-٢.

(٦). اخرجاه: الجاحظ: رسالة في الحكمين ص ٣٦٨. رسالة في النابتة ص ٢٤١. مسلم:

ومهانته لابي ذر الغفاري وجبهه وشتمه، واشخاصه الى المدينة على قتب بغير وطاء لانكاره عليه، ولعنه عليا وحسنا وحسينا وعبدالله بن عباس على منابر الاسلام، وعهده بالخلافة الى ابنه يزيد، مع ظهور فسقه وشربه المسكر جهارا، ولعبه بالنرد، ونومه بين القيان المغنيات، وطحابه معهن، ولعبه بالطنبور بينهن، وتطريقه بني امية للوثوب على مقام رسول الله ﷺ وخلافته حتى افضت الى يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد، المفتضحين الفاسقين، صاحب حبابه وسلامة، والاخر رامي المصحف بالسهام، وصاحب الاشعار في الزندقة والاحاد»^(١).

ويرى ابن ابي الحديد انه اذا كان الخوارج قد بريء منهم اهل الدين والحق، لانهم فارقوا الإمام وبرئوا منه، وما عدا ذلك من عقائدهم كالقول بتخليد الفاسق في النار والخروج على امراء الجور^(٢) وغيرها.

فالمعتزلة تعتقد بها، فلم يبق ما تقتضي البراءة منهم الا برائتهم من علي عليه السلام، وقد كان معاوية يلعنه على رؤوس الاشهاد على المنابر في الجمع والاعياد، سواء في المدينة او مكة او سائر الامصار، اذن فقد شارك الخوارج في الامر المكروه فيهم، وامتازوا عليه باظهار الدين والالتزام بقوانين الشريعة، والاجتهاد في العبادة، وانكار المنكرات وكانوا احق بأن ينصروا عليه من ان ينصر عليهم، فاتضح بذلك قول الامام عليه السلام «لا تقتلوا الخوارج بعدي»، أي في ملك معاوية، ومما يؤيد هذا المعنى ان عبدالله بن الزبير استنصر بالخوارج على يزيد بن معاوية، وقال: لو شايعني الترك والديلم على محاربة بني امية لشايعتهم، وانتصرت بهم.

الصحيح ٣٧/١٠. ابن ماجه: صحيح ٣٣٩/١-٤٠. ابي داود: سنن ٣٨٢/٢-٣. الطبري: تاريخ ٢٧٩/٥. الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ١٣٩. البيهقي: السنن ٤٠٢/٧، ٤١٢. ابن الاثير: النهاية ٢٣/١-٤.

(١). الشرح ١٣٠/٥-١٣١.

(٢). عن فكرة الخروج على الامام الجائر عند الخوارج انظر: الزوار: الفكر السياسي عند الخوارج ص ٥٨-٧٣.

حتى قال فيه الشاعر:

يا ابن الزبير اتهمى فتية قتلوا

ظلماً اباك ولما تنزع الشكك!

ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية

يا طيب ذاك الدم الزاكي الذي سفكوا^(١)

وقد وصف الامام علي عليه السلام معاوية بأنه عدو النبي، وقد اوضح ابن ابي الحديد ذلك لان دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من فلتات لسانه، ومن افعاله، ولقد اكد المعتزلة على هذه المسألة خاصة في مؤلفات ابي عبدالله البصري، وابي جعفر الاسكافي، وابي القاسم البلخي^(٢).

وفي اشارته لمفاوضات معاوية وعمرو بن العاص حول كيفية التعاون ضد الامام، فطلب عمرو اقليم مصر طعمه له، فقال معاوية: «اني اكره لك ان تتحدث العرب عنك انك انما دخلت في هذا الامر لغرض الدنيا». فقال عمرو بن العاص: دعني عنك. قال ابن ابي الحديد: «قال شيخنا ابو القاسم البلخي رحمته الله، قول عمرو له: «دعني عنك» كناية عن الالحاد، بل تصریح به، أي دع هذا الكلام، لا اصل له؛ فان اعتقاد الآخرة، وانها لا تباع بعرض الدنيا من الخرافات. وقال رحمته الله: وما زال عمرو بن العاص ملحداً، ما تردد قط في الالحاد والزندقة، وكان معاوية مثله، ويكفي من تلاعبهما بالاسلام حديث السرار المروي، وان معاوية عرض اذن عمرو. ابن هذا من سيرة عمر؟ وابن هذا من اخلاق علي عليه السلام، وشدته في ذات الله؟ وهما مع ذلك يعيبانه بالدعابة»^(٣) ويخلص للقول ان المعتزلة ترى فساد عقيدة معاوية^(٤).

(١). الشرح ١٣١/٥. لم اهتد الي قائل البيت.

(٢). الشرح ١٧٠/١٥ - ١.

(٣). الشرح ٦٥/٢.

(٤). الشرح ١١٥/١٥.

وفي شرحه لكتاب الامام إلى عمرو بن العاص «فانك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهر غيه، مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته، فاتبعت اثره، وطلبت فضله؛ اتباع الكلب للضرغام، يلوذ بمخالبه، وينتظر ما يلقي إليه من فضل فريسته، فاذهبت دنياك وآخرتك، ولو بالحق اخذت ادركت ما طلبت». قال ابن ابي الحديد: ان كل ما قاله الامام هو الحق الصريح بعينه، فالإمام علي عليه السلام لم يحمله بغضه وغضبه منهما للمبالغة في ذمهما، كما يباليغ الفصحاء عند سورة الغضب «ولا ريب عند احد من العقلاء ذوي الانصاف ان عمراً جعل دينه تبعاً لدنيا معاوية، وانه ما بايعه وتابعه الا على جعالة جعلها له وضمان تكفل له بايصاله، وهي ولاية مصر مؤجلة، وقطعة وافرة من المال معجلة، ولولديه وغلماينه ما ملأ اعينهم». اما وصفه لمعاوية بانه ظاهر غيه، فان ظهور ضلاله وبغيه لا ريب فيه، فكل باغ غاو. اما مهتوك ستره فانه كان كثير الهزل والخلاعة، صاحب جلساء وسمار، وهو لم يتوفر ويلزم قانون الرئاسة، الا بعد خروجه على الامام عليه السلام، فاحتاج إلى الناموس والسكينة، واما قبل ذلك فكان شديد التهتك موصوفاً بكل قبيح، وكان في ايام عمر يستر نفسه خوفاً منه، لكنه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة، ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها، وعليها جلال الديباج والوشي، وكان حينئذ شاباً وعنده ترقق الصبا، واثر الشبيبة وسكر السلطان والامرة. واما بعد وفاة الإمام علي عليه السلام واستقرار الامر له فلا خلاف في انه سمع الغناء وطرب عليه، واعطى ووصل عليه، واما قوله عليه السلام «يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته»، فلأنه لم يكن في مجلسه الا شتم بني هاشم وقذفهم، والتعرض بذكر الاسلام والطعن عليه، حتى وان اظهر انتماءه اليه واما طلب عمرو فضله واتباعه اثره اتباع الكلب للاسد، فامر ظاهر ولم يقل عليه السلام

الثعلب، غضاً من قدر عمرو، وتشبيهاً له بما هو ابلغ في الالهانة والاستخفاف.^(١)
 وعد ابن ابي الحديد معاوية وعمراً بن العاص من ائمة الضلالة الذين اشار
 لهم الامام علي عليه السلام بقوله: «فتقربوا الى ائمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور
 والبهتان، فولوهم الاعمال، وجعلوهم حكماً على رقاب الناس». وذكر بعض
 الاحاديث الموضوععة على لسان النبي صلى الله عليه وآله كحديث في حق معاوية «اللهم قه
 العذاب والحساب، وعلمه الكتاب»^(٢) وكرواية عمرو بن العاص تقرباً إلى قلب
 معاوية، ان الرسول صلى الله عليه وآله قال: «ان آل ابي طالب ليسوا لي بأولياء، انما ولي الله
 وصالح المؤمنين».^(٣) وكرواية آخرين في ايام معاوية موضوعات في فضائل
 عثمان تقرباً لمعاوية.^(٤)

ويؤكد ابن ابي الحديد ان معاوية ممن اسلم رهبة لذلك كان من المؤلفة
 قلوبهم^(٥) الذين رغبوا في الاسلام والطاعة بجمال وثناء دفعت اليهم، فكان
 اسلامهم للطمع والاغراض الدنيوية. ولم يكن عن اصل ولا علم ويقين.^(٦)
 اما رؤية المعتزلة لعمرو بن العاص، فعند استعراضه لسيرته قال ابن ابي
 الحديد: ان المعتزلة تحكم على كل من شهد صفين بما يحكم به على الامام الباغي
 الخارج على الامام العادل، فمذهبهم في صاحب الكبيرة اذا لم يتب الحكم بالنار.
 ولكن عمراً بن العاص تلفظ بالفاظ في ساعاته الاخيرة فلم لا تكون دليلاً على
 توبته لقوله «اللهم خذ مني حتى ترضى» وقوله «امرت فعصيت، ونهيت فركبت»

(١). الشرح: ١٦٠/١٦ - ١٦٢.

(٢). رواه الهيثمي: تطهير اللسان وانجان بذكر سيدنا معاوية بن ابي سفيان ص ١٦.

(٣). اخرجه مسلم: صحيح ٨٧/٣. الهيثمي: الصواعق ص ١٥٦.

(٤). الشرح: ٣٩/١١ - ٤٢.

(٥). الذين اسلموا رهبة او رغبة بحطام الدنيا وجعل لهم القرآن نصيب من الزكاة كما ورد في
 آية الصدقات الآية ٦٠ من سورة التوبة. انظر الطبري: جامع البيان: ١٠/١٦١ - ١٦٣.

(٦). الشرح: ٢٢٦/١٧.

وقوله «ولا مستكبر بل مستغفر» فهي الفاظ تفيد الاعتراف والندم، وهو معنى التوبة. يستدل ابن ابي الحديد من قوله تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن﴾^(١) بأن هذه الآية تمنع من كون ما بدر من عمرو توبة، لان شروط التوبة معلومة، وليس هذا الاعتراف والتأسف منها في شيء.^(٢) فالتوبة عند المعتزلة لها شروط ثلاثة:

الاول: الندم على ما مضى من فعل قبيح.

الثاني: العزم على عدم العودة إليه.

الثالث: اللجوء إلى الذنوب السابقة فان كانت بين العبد وربه سواء كانت في الاعتقادات او المسائل العملية كالصلاة والصوم، فعليه تأديتها، وان كانت بين العبد والناس فعليه ارجاع كل حق إلى صاحبه.^(٣)

يرى ابو عبدالله البصري احد شيوخ المعتزلة: ان اول من قال بالارجاء المحض معاوية وعمرو بن العاص، كانا يزعمان انه لا يضر مع الايمان معصية، ولذلك قال معاوية لمن قال له: حاربت من تعلم، واركتبت ما تعلم، فقال: وثقت بقوله تعالى: ﴿ان الله يغفر الذنوب جميعاً﴾.^(٤) والى هذا المعنى اشار عمرو بن العاص لابنه^(٥) بقوله: تركت افضل من ذلك، شهادة ان لا اله الا الله.^(٦)

وفي تعقيبه على قول عمرو بن العاص يوم صفين: «كم من رجل احسن في الله، عظيم الحال لم ينج من قتله فلان وفلان» قال ابن ابي الحديد: «ليت شعري لم برأ نفسه! وكان رأساً في الفتنة بل لولاه لم تكن؛ ولكن الله تعالى انطقه بهذا الكلام

(١). سورة النساء: الآية ١٨.

(٢). الشرح: ٣٢٥/٦.

(٣). القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة ص ٧٨٩-٧٩٩.

(٤). سورة الزمر: الآية ٥٣.

(٥). انظر الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣٣.

(٦). الشرح: ٣٢٦-٣٢٥/٦.

واشباهه، ليظهر بذلك شكه، وانه لم يكن علي بصيرة من امره»^(١).
 وقال في الاسلام عمرو انه مدخول أيضاً، الا انه لم يكن عن رضىخة، وانما
 لمعنى آخر^(٢). ولم يحدد ابن ابي الحديد الواعز الذي دفع عمراً للاسلام.
 وحينما اورد ما ذكره الواقدي في غزوة بدر حول ما كان يرويه عمرو بن
 العاص بعد اسلامه حول رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب في ان شخصاً اخذ صخرة
 من جبل ابي قبيس^(٣) وارسلها تهوى، فما بقي بيت في مكة الا ودخلها منه فلقة.
 فكان عمرو بن العاص يقول: لقد رأيت كل هذا، ولقد رأيت في دارنا فلقة من
 الصخرة التي انفلقت من ابي قبيس، ولقد كان ذلك عبرة، ولكن الله لم يرد ان نسلم
 يومئذ لكنه اخر اسلامنا إلى ما اراد^(٤).

قال ابن ابي الحديد معلقاً: «كان بعض اصحابنا يقول: لم يكف عمراً ان
 يقول: رأيت الصخرة في دور مكة، فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء باطناً على وجه
 النفاق، واستخفافه بعقول المسلمين. زعم حتى يضيف إلى ذلك القول بالجبر
 الصراح فيقول: ان الله تعالى لم يكن اراد منه الاسلام يومئذ»^(٥).

اما ابو موسى الاشعري فهو عند المعتزلة من ارباب الكبائر، لذا حكمه
 عندهم حكم من واقع كبيرة ومات عليها بلا توبة قال فيه ابن متويه - احد معتزلة
 البصرة -: «اما ابو موسى الاشعري فانه عظيم جرمه بما فعله، وادى ذلك إلى الضرر
 الذي لم يخف حاله، وكان علي عليه السلام يقنت عليه وعلى غيره. فيقول: اللهم العن
 معاوية اولاً، وعمراً ثانياً، وابا الاعور السلمي ثالثاً، وابا موسى الاشعري رابعاً.

(١). الشرح: ٢٥٦/٥.

(٢). الشرح ٢٢٧/١٧.

(٣). احد جبال مكة ويقال عنه شيخ الجبال: البكري: معجم ما استعجم ٣/٤٠٠. الحميري:
 الروض ص ٤٥٢.

(٤). الشرح ٩٢/١٤. وانظر الواقدي: المغازي ٢٩/١.

(٥). الشرح: ٩٢/١٤ - ٩٣.

روي عنه عليه السلام انه كان يقول في ابي موسى: صبغ بالعلم صبغاً وسلخ منه سلخاً. و ابو موسى هو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: كان في بني اسرائيل حكمان ضالان، وسيكون في امتي حكمان ضالان، ضال من اتبعهما. وانه قيل له: الا يجوز ان تكون احدهما؟ فقال: لا - او كلاهما ما هذا معناه - فلما بلي به، قيل فيه: البلاء موكل بالمنطق. ^(١) ولم يثبت في توبته ما ثبت في توبة غيره، وان كان الشيخ ابو علي (الجبائي) قد ذكر في آخر كتاب الحكمين انه جاء إلى امير المؤمنين عليه السلام في علي، فقال له: أجتئنا عائداً ام شامتاً؟ فقال: بل عائداً، وحدث بحديث في فضل العبادة. وهذه امارة ضعيفة في توبته. ^(٢)

معركة النهروان ٥٣٨هـ

بعد ان اضطر الامام للقبول بالتحكيم تحت تخاذل اصحابه، وتم كتابة صحيفة الهدنة بين اهل العراق والشام، وتعيين الحكمين، واذا بطائفة من اصحابه ينادون «لا حكم إلا لله». ويطالبون الامام علي عليه السلام بالاستمرار في الحرب، ولما اوضح لهم الامام علي عليه السلام ان ذلك غير جائز، كفروه وخرجوا عليه معسكرين في النهروان، ^(٣) وبعد مناظرات له عليه السلام معهم دون فائدة كانت المعركة الثالثة وهي معركة النهروان التي تمكن الامام من استئصال الخوارج فيها، لكنهم تفرقوا في

(١). قول للرسول صلى الله عليه وآله اصبح يضرب كمثل: ابو هلال العسكري: جمهرة الامثال ٢٠٧/١. ابن منقذ: لباب الاداب ص ٣٣٢.

(٢). الشرح: ٣١٥/١٣ - ٣١٦. القاضي: المغني ٩٢/٢/٢٠. وقد اوضح البغدادي رؤية الاشاعرة. لاهل صفين: «وقالوا في صفين ان الصواب كان مع علي عليه السلام، وان معاوية واصحابه بغوا عليه بتأويل اخطئوا فيه ولم يكفروا بخطأهم. وقالوا: ان علياً اصاب في التحكيم غير ان الحكمين اخطئنا في خلع علي من غير سبب اوجب خلعه وخذع احد الحكمين الآخر». الفرق بين الفرق ص ٢١٢.

(٣). النهروان: نسبة إلى نهر يسمى النهروان. البكري: معجم ما استعجم ١٣٣٦/٤ - ٧. الحميري: الروض ص ٥٨٢ - ٣.

البلاد. ^(١) فياترى ما هو تحليل ابن ابي الحديد والمعتزلة لاحداث النهروان؟ المعروف عن سياسة الامام الحربية انتهاجه اولاً الدعوة إلى السلم، وفتح باب الحوار، اما الحرب فهي آخر الدواء، فبعد ان اكد لهم انه لا بد للناس من امير بر او فاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر - كما اوضحنا ذلك في بدء الفصل او فد ابن عباس لمناظرتهم موصياً اياه: «لا تخصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون. ولكن حاججهم بالسنة، فانهم لن يجدوا عنها محيصاً». ^(٢) اعتبر ابن ابي الحديد وصية الامام هذه «كلام لا نظير له في شرفه وعلو معناه». حيث ان القرآن يضم الآيات المحكمة والمتشابهة، والتي يغلب على ظن البعض انها متناقضة نحو قوله تعالى: ﴿لا تدركه الابصار﴾ ^(٣) وقوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾. ^(٤) ونحو قوله ﴿وجعلنا من بين ايديهم سداً فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ ^(٥) وقوله ﴿فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي على الهدى﴾ ^(٦) ونحو ذلك، وهو كثير جداً، واما السنة فليست كذلك، وذلك لان الصحابة كانت تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وتستوضح منه الاحكام في الوقائع، وما عساه يشبه عليهم من كلامه؛ يراجعونه فيه، ولم يكونوا يراجعونه في القرآن الا فيما قل؛ بل كانوا يأخذونه منه تلقفاً، واكثرهم لا يفهم معناه، لا لأنه غير مفهوم، بل لانهم ما كانوا يتعاطون فهمه، اما اجلالاً له او لرسول الله ان يسألوه عنه، او يجرونه مجرى

- (١). عن احداث معركة النهروان انظر الشرح ١/٩، ٢٠١ - ٢/١٩١، ٧ - ٢٦٥ - ٨٣ - ٣٠٧ - ١١، ٣/١٢٧ - ٥٠، ٥/٧٨ - ١٣١، ٦/١٢٩ - ٣٢، ٧/٢٩٢ - ٣، ٩/٣٧، ١٠/٢٤٩، ٢٥١، ١٨/٢٧.
- (٢) ٧٢ - ٣/١١٣، ٨ - وانظر الطبري: تاريخ ٥/٧٢ - ٩٢.
- (٣) الشرح: ١٨/٧١، وانظر مؤلف مجهول: اخبار العباس ص ٣٩ - ٤٠. ابن عبد البر: جامع بيان العلم ٢/١٠٣ - ٤. البيهقي: السنن ٨/١٧٩ - ٨٠. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٩٩. محب الدين: الرياض ٢/٣٢٠.
- (٣). سورة الانعام: الآية ١٠٣.
- (٤). سورة القيامة: الآية ٢٣.
- (٥). سورة يس: الآية ٩.
- (٦). سورة فصلت: الآية ١٧.

الاسماء الشريفة له التي انما يراد منها بركتها لا الاحاطة بمعناها؛ فلذلك كثر الاختلاف في القرآن، وايضاً فان ناسخه ومنسوخه اكثر من ناسخ السنة ومنسوخها وقد كان بعض الصحابة يسأل النبي ﷺ عن معنى كلمة وردت في القرآن فيفسرها له تفسيراً مقتضباً، فلا يستوعب فهمها، حيث لما نزلت آية الكلاله،^(١) وقال تعالى في آخرها ﴿يبين الله لكم ان تضلوا﴾^(٢) سأل عمر (رض) النبي ﷺ عن آية الكلاله، فاجابه ﷺ. يكفيك منها آية الصيف، لم يزد على ذلك، فسكت عمر ولم يراجعه ولم يفهم مراد الرسول ﷺ حتى مات عمر، وكان يقول بعد ذلك: اللهم مهما بينت، فان عمراً لم يتبين. يشير لقوله تعالى: ﴿يبين الله لكم ان تضلوا﴾، ولكنهم في السنة كانوا على خلاف ذلك من مخاطبة الرسول ﷺ وفهم الفاظه لذا دعا الامام ابن عباس لمحاجتهم بالسنة.

ولكن ابن عباس حاججهم بالقرآن، كقوله تعالى: ﴿فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها﴾.^(٣) وقوله ﴿يحكم به ذوا عدلٍ منكم﴾.^(٤)

ولذلك لم يرجعوا فالتحمت الحرب. وكان غرض الإمام علي عليه السلام من المحاججة بالسنة هو ما اثر عن الرسول ﷺ من احاديث بحق الامام علي عليه السلام كقوله ﷺ: «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار» وقوله «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله». «ونحو ذلك من الاخبار التي كانت الصحابة قد سمعتها من فلق فيه ﷺ، وقد بقي ممن سمعها جماعة، تقوم الحجة وتثبت بنقلهم، ولو احتج بها على الخوارج في انه لا يحل مخالفته والعدول عنه بحال لحصل من ذلك غرض امير المؤمنين عليه السلام في

(١). ابن مساجه: صحيح ١١٥/٢. ابي داود: سنن ١٢٠/٣. ابن الطيب: المعتمد ٣٠٢/١، ٣٥٧.

البيهقي: السنن ٢٢٤/٦، ١٥٠/٨. القرطبي: الجامع ٢٩/٦.

(٢). سورة النساء: الآية ١٢.

(٣). سورة النساء: الآية ٣٥.

(٤). سورة المائدة: الآية ٩٥.

محاجتهم، واغراض اخرى ارفع واعلى منهم، فلم يقع الامر بموجب ما اراد، وقضي عليهم بالحرب، حتى اكلتهم عن آخرهم، وكان امر الله مفعولاً^(١).
 ويروي ان الامام علياً عليه السلام تمكن قبل معركة النهروان من اقناع الخوارج حينما قالوا له: انا اذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم، وقد تبنا، فتب إلى الله كما تبنا نعد لك. فقال عليه السلام: انا استغفر الله من كل ذنب، فرجعوا معه وهم ستة الاف. لكن الاشعث جاء للامام فقال له: يا امير المؤمنين، ان الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالاً والاقامة عليها كفرأً، فقام عليه السلام وقال: من زعم اني رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالاً فقد ضل، فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت^(٢).

عد ابن ابي الحديد ان كل فساد في خلافة الامام، وكل اضطراب فاصله الاشعث، فلولا محاqqته الامام في معنى الحكومة هذه المرة لما كانت معركة النهروان، ولكان عليه السلام نهض باصحابه لمعاوية، وملك الشام، فانه عليه السلام حاول ان يسلك معهم مسلك التعريض والمواربة طبقاً للمثل النبوي «الحرب خدعة». وذلك انهم لما قالوا له: تب إلى الله مما فعلت كما تبنا نهض معك إلى حرب الشام، فقال لهم كلمة مجملة مرسلة، يقولها الانبياء وهي قوله: استغفر الله من كل ذنب. فرضوا بها واعتبروها اجابة لسؤالهم، وصفت له نياتهم، واستخلص بها ضمائرهم، من غير ان تتضمن تلك الكلمة اعترافاً بكفر او ذنب، فلم يتركه الاشعث، وجاء إليه مستفسراً وكاشفاً عن الحال وهاتكأ ستر التورية والكنائية، ومخرجاً لها من ظلمة الاجمال وستر الحيلة إلى تفسيرها بما يفسد التدبير، ويوغر الصدور، ويعيد الفتنة، ولم يستفسره عليه السلام عنها الا بحضور من لا يمكنه ان يجعلها معه هدنة على دخن^(٣)

(١). الشرح: ٧١/١٨ - ٧٣.

(٢). الشرح: ٢٧٩/٢. وانظر المبرد: الكامل ٢١٠/٣ - ١.

(٣). مثل يضرب على المصالح. الميداني: مجمع الامثال ٣٨٢/٢. الشريف الرضي: المجازات

ولا ترقيقاً من صبح،^(١) والجهأ بتضييق الخناق عليه إلى ان يكشف ما في نفسه، ولا يترك الكلمة على احتمالها، ولا يطويها على غيرها، فخطب بما صدع به عن صورة ما عنده مجاهرة، فانتقض ما دبره، وعادت الخوارج لشبهتها الاولى. وهكذا الدول التي تظهر فيها امارات الانتقضاء والزوال، يتاح لها امثال الاشعث من اولي الفساد في الارض ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾^{(٢) (٣)}

لم يكن الامام علي عليه السلام يستند في قتاله للخوارج على سلطته الشرعية فحسب، وانما ايضاً إلى ما آثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم في قتال الامام لهؤلاء حيث قال له عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين والمعروف ان المارقين هم الخوارج، وقال صلى الله عليه وسلم: في وصفهم بالمارقين «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^{(٤) (٥)}

وبعد ان اشتبك معهم الإمام علي عليه السلام كان يرفع رأسه إلى السماء تارة ثم يطرق للارض تارة اخرى ويقول: «ما كذبت ولا كذبت»، هذا الموقف من الامام كان موضع طعن من - ابراهيم بن سيار النظام - احد معتزلة البصرة، الذي عدّه ايهاً من الامام، اما بنزول الوحي عليه، او انه موصى عليه من قبل بشأن

النبوية ص ٢٤٨ - ٩. الزمخشري: الفائق ١٩٦/٣ - ٧. ابن الاثير: النهاية ١٠٩/٢. النويري: نهاية الارب ٥٥/٣.

(١). مثل يضرب لمن كنى عن شيء ويريد غيره، الميداني: مجمع الامثال ٢١/٢. ابو هلال العسكري: جمهرة الامثال ٢٩/١. الشعالي: التمثيل والمحاضرة ص ٣٧. الزمخشري: الفائق ٥٠٠/١. ابن الاثير: النهاية ٢٥٣/٢.

(٢). سورة الاحزاب: الآية ٦٢.

(٣). الشرح: ٢٧٩/٢ - ٢٨٠.

(٤). اخرجه مسلم: الصحيح ١٥٩/٧. المطي: التنييه ص ١٨٢ - ٣. البيهقي: السنن ١٦٩/٨ -

٧١. محب الدين: الرياض ٣١٨/٢. السيوطي: الخصائص: ١٦/٣ - ١٧. الطبرسي: اعلام الوري ص ١٩٨. الفيروز آبادي: فضائل الخمسة ٤٠٠/٢ - ٤١٠.

(٥). الشرح: ٢٠١/١، ٢٧/١٨.

الخوارج بامر. وأشار النظام لسؤال الحسن لابييه: اكان رسول الله ﷺ تقدم اليك في امر هؤلاء بشيء؟ فقال: لا، ولكن رسول الله ﷺ امرني بكل حق، ومن الحق ان اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. (١)

علق ابن ابي الحديد على طعن النظام قائلاً: «ان النظام اخطأ عندنا في تعريضه بهذا الرجل خطأ قبيحاً، وقال قولاً منكراً، نستغفر الله له من عقابه، ونسأله عفوه عنه، وليست الرواية التي رواها عن الحسن وسؤاله لابييه وجوابه له، بصحيحه ولا معروفة، والمشهور المعروف المنقول نقلاً يكاد يبلغ درجة المتواتر من الاخبار، ما روي عن رسول الله ﷺ في معنى الخوارج باعيانهم، وذكرهم بصفاتهم، وقوله ﷺ لعلي عليه السلام: «انك مقاتلهم وقتلهم وان المخدج ذا الشدية منهم» (٢) وانك ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين». فجعلهم اصنافاً ثلاثة حسب ما وقعت الحال عليه. وهذا من معجزات الرسول ﷺ، واخباره عن الغيوب المفصلة. فما اعلم من اي كتاب نقل النظام هذه الرواية، ولا عن اي محدث رواها، ولقد كان ﷺ بعيداً عن معرفة الاخبار والسير منصباً فكره، مجهداً نفسه في الامور النظرية الدقيقة كمسألة الجزء، ومداخلة الاجسام وغيرها، ولم يكن الحديث والسير من فنونه ولا من علومه؛ ولا ريب انه سمعها ممن لا يوثق بقوله، فنقلها كما سمعها» (٣).

واما سبب نظر الامام تارة إلى السماء واخرى الارض وقوله «ما كذبت ولا كُذبت»، فهذا اشارة لاستبطائه وجود المخدج (ذا الشدية) مع القتلى، وخشى عليه دخول الشبهة على اصحابه لانه اخبرهم بأنه سيقتل، فاخذ يكرر قوله «ما كذبت

(١). الشرح: ١٢٩/٦. وانظر الطبرسي: اعلام الوري ص ١٧٠.
 (٢). هو حرقوص بن زهير ذو الخويصرة الذي قال للرسول ﷺ: اعدل يا محمد. الطبرسي: تاريخ ٨٨/٥. ابي داود: سنن ٢٤٥/٣. ابن حزم: الفصل ٥٥/٤. البيهقي: السنن ١٧٠/٨ - ١٧١.
 الشهرستاني: الملل ١٥٧/١. السيوطي: الخصائص ١٦/٣.
 (٣). الشرح: ١٣٠/٦.

ولا كذبت» أي ان الامام لم يكذب على الرسول ﷺ، ولا ان الرسول ﷺ كذب فيما اخبر به الامام عليه السلام. فكان عليه السلام حين يرفع رأسه إلى السماء يدعو ويتضرع إلى الله في تعجيل الظفر بالمخدج وحينما يطرق إلى الارض يغلبه الهم والتفكير. (١) وعد النظام قول الامام «اذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فهو كما حدثتكم، فوالله لان اخر من السماء احب الي من ان اكذب على رسول الله ﷺ، واذا سمعتموني احدثتكم فيما بيني وبينكم، فانما الحرب خدعة» يسجري مجرى التدليس في الحديث، فلو لم يحدثهم عن الرسول ﷺ بالمعاريض، وعلى طريق الايهام لما اعتذر من ذلك. ولكن ابن ابي الحديد يرى ان النظام قد وهم ولم يفهم مقصد الامام عليه السلام، فالامام لشدة ورعه اراد ان يميز للسامعين ما بين ما يخبر به عن نفسه، وما يرويه عن الرسول ﷺ، وذلك لان الضرورة ربما تدعو لاستعمال المعاريض، لا سيما في الحرب القائمة على الخديعة والرأي، فأخبرهم عليه السلام ان ما يقوله لهم بلفظ قال رسول الله ﷺ فهو سليم من المعاريض، خال من الرمز والكناية، لانه عليه السلام لا يستجيز ولا يستحل الالغاز في حديث النبي، اما ما يحدثهم به عن نفسه فلربما يستعمل عليه السلام فيه المعاريض لان الحرب الخدعة. (٢)

وعد ابن ابي الحديد كلام الامام هذا كلام من استعمل التقوى والورع في جميع اموره، حيث بلغ من تعظيم امر الرسول ﷺ، واجلال قدره، واحترام حديثه الا يرويه الا بالفاظه لا بمعانيه، ولا بأمر يقتضي فيه الباساً وتعمية، حتى لو كان مضطراً لذلك؛ ترجيحاً للجانب الذي على جانب مصلحته في خاص نفسه، اما اذا قال كلاماً من نفسه فيجوز استعمال المعاريض اذا اقتضت الحكمة والتدبير، كما

(١). الشرح ١٣٠/٦ - ١٣١. فكرة ابن ابي الحديد هذه نجدها ماثلة لدى الشريف المرتضى والذي قد يكون هو مصدر ابن ابي الحديد مع عدم اشارة الاخير له. انظر: تنزيه الانبياء ص ١٧١ - ١٨٩.

(٢). الشرح ١٣١/٦. وانظر: الاربلي: كشف الغمة ١/١٢٧.

كان يفعل الرسول صلى الله عليه وآله، ففي فتحه لمكة قال لاصحابه كلاماً يقتضي انه يقصد بني بكر بن عبد مناة من كنانة، ولم يعرفوا الحقيقة حتى شارفوا مكة، وقال لاعرابي لما سأله ممن انت؟ قال من ماء. فتحير الاعرابي وقال من ماء فلان او فلان. وكان النبي صلى الله عليه وآله يقصد انه من نطفة. (١)

وذهب النظام إلى ان الامام لو لم يحدث عن الرسول صلى الله عليه وآله بالمعارض لما اعتذر من ذلك، فأنكر ابن ابي الحديد وجود اعتذار للامام، وانما الامام نفى ان يدخل المعارض في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وآله واجازها بالنسبة لنفسه، وهذا لا يتضمن اعتذاراً، وأستدل بقوله عليه السلام: «لان اخر من السماء» دليل على انه عليه السلام ما فعله ولا يفعله. (٢)

ومن شبهات الخوارج «نهيتنا عن الحكومة، ثم امرتنا بها، فما ندري أي الامرين ارشد»، ومعنى ذلك انك نهيت عن الحكومة اولاً ثم امرت بها ثانياً، فان كانت قبيحة كنت بنهيك عنها مصيباً، وبامرك فيها مخطئاً، وان كانت حسنة، كنت بنهيك عنها مخطئاً وبأمرك بها مصيباً، فلا بد من خطيء على كل حال.

يرى ابن ابي الحديد ان للامام ان يعمل حسبما يغلب على ظنه من المصلحة، فهو عليه السلام لما نهاهم اولاً كان نهيه مصلحة، ولما امرهم بها كانت المصلحة في ظنه قد تغيرت، فامرهم على حسب ما تبدل وتغير في ظنه. (٣)

وكان الإمام علي عليه السلام قد رد على قول الخارجي اعلاه: «هذا جزاء من ترك العقدة» أي الرأي الوثيق، وقد استنتج ابن ابي الحديد من هذا الكلام ان الامام قد ظهر له فيما بعد ان الرأي الاصلح كان هو الاصرار والشبات على الحرب، وان كان

(١). الشرح ١٣٢/٦.

(٢). الشرح ١٣٢/٦.

(٣). الشرح ٢٩١/٧ - ٢٩٢.

مكروهاً فالله تعالى يجعل فيه الخير أي أنه عليه السلام كان يرى حملهم على الحرب وترك الالتفات لمكيدة معاوية وعمرو من رفع المصاحف، فاذا ما استقاموا له فقد اهتدوا، واذا لم يستقيموا فسينقسموا الى قسمين، الاول: اعوجاجهم وعصيانهم وفتور همتهم وقلة الجد في الحرب. والثاني: التآني والامتناع المطلق عن الحرب فاذا كان الاول فسيقوم الامام بتقويمهم بالتأديب والارشاد وارهاق الهمم والعزائم بالتصبير والوعظ والتحريض والتشجيع. وان كان الثاني: تدارك الامر بالاستنجد بغيرهم من قبائل العرب واهل خراسان والحجاز، فكان عليه السلام يرى انه لو فعلى ذلك لكانت هي العقدة الوثقى أي الرأي الا صوب والاحزم. ولكن هذا لا يعني ان الامام أخطأ بمعنى الاثم وانما فعل ما غلب على ظنه انه المصلحة، وليس الواجب عليه الا ذلك، ولكنه ترك الرأي الا صوب، فالاثم لا يلحق من غلب على ظنه في حكم السياسة امر فاعتمده، ثم بان له ان الا صوب كان خلافة، وقد قيل انه اشار لهذا المعنى بقوله:

لقد عثرت عشرة لا تنجبر سوف اكيس بعدها واستمر

واجمع الرأي الشئيت المنتشر^(١)

ولقد اوضح الامام السبب الذي دعاه لعدم استخدام هذا الرأي وهو لعدم وجود من يطيعه فالذين معه قد عصوه وخالفوه، اما الغائبون في البلاد البعيدة. فالى ان يصلوا اليه يكون العدو قد بلغ منه غرضه.^(٢)

ونوه ابن ابي الحديد برؤية احد كبار معتزلة البصرة الا وهو الجاحظ حول موقف الامام من التحكيم وهي: «من عرفه عرف انه غير ملوم في الانقياد معهم الى التحكيم، فانه مل من القتل وتجريد السيف ليلاً ونهاراً، حتى ملت الدماء من

(١). الشرح ٢٩٢/٧ - ٢٩٣. وانظر الشريف المرتضى: تنزيه الانبياء ص ١٧٠ - ١٧١.

(٢). الشرح ٢٩٤/٧.

اراقته لها، وملت الخيل من تقحمه الاهوال بها، وضجر من دوام تلك الخطوب الجليلة، والارزاء العظيمة، واستلاب الانفس، وتطاير الايدي والارجل بين يديه، واكلت الحرب اصحابه واعدائه، وعطلت السواعد، وخدرت الايدي التي سلمت من وقائع السيوف بها، ولو ان اهل الشام لم يستعفوا من الحرب، ويستقيلوا من المقارعة والمصادمة، لادت الحال الي قعود الفيلقين معاً، ولزومهم الارض والقائم السلاح، فان الحال افضت بعظمها وهو لها الي ما يعجز اللسان عن وصفه»^(١).

ان رؤية الجاحظ هذه تبدو عليها ميوله الخاصة انه تناسى ان معاوية طلب فرساً لينهزم، وهذا ما كان الابدان ادرك حلول الهزيمة، وتناسى الجاحظ عبقرية عمرو بن العاص ودهائه واستخدامه المصاحف للاغراض الحربية الشخصية بدلاً من الاغراض الربانية، وتناسى انه بعد ان القيت الشبهة على اهل العراق انسحب اكثرهم ما خلا الاشر وثلة معه وهو يتقدم شبراً شبراً وفي هذا دلالة على هزيمة واضحة لاهل الشام، فاين يا ترى هذا من رؤية الجاحظ انه لو لم يطلب اهل الشام ايقاف الحرب، للجيء الطرفان للجلوس على الارض والقاء السلاح، دلالة على تساويهما بالقتال، ان هذا الرأي من الجاحظ يفسره ميله كاحد شخصيات معتزلة البصرة.

ان الخوارج تذهب الي تكفير مرتكب الكبيرة وقد عدوا التحكيم من الكبائر لذا كفروا الامام علياً عليه السلام وكل من قبل التحكيم، وقد رد الامام علي اعتقادهم هذا بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يكفر مرتكب الكبيرة، فقد رجم الزاني ثم صلى عليه، وورثه اهله، وقتل القاتل وورث ميراثه اهله، وقطع يد السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم لهما من الفية، وزوجهما من المسلمات. واحتجاج الامام

(١). الشرح ٢٩٣/٧ - ٢٩٤. وانظر. صاحب بن عباد: نصره مذاهب الزيدية ص ٧١ - ٨٣.

هذا لازم وصحيح لانه لو كان مرتكب الكبيرة كافر لما صلى عليه الرسول صلى الله عليه وآله، ولا ورثه، ولا زوجه المسلمات، ولا اعطاه من الفبيء، ولا خرج من لفظ الاسلام^(١).

ولكن الامام اوصى بعدم قتال الخوارج من بعده قائلاً: «لا تقاتلوا الخوارج من بعدي، فليس من طلب الحق فاخطأه، كمن طلب الباطل فادركه». فمراده عليه السلام ان الخوارج ضلوا بشبهة دخلت عليهم مع انهم كانوا يطلبون الحق، ولهم تمسك في الدين ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها وان كانوا مخطئين فيها، في حين ان معاوية «لم يكن يطلب الحق، وان كان ذا باطل، ولا يحامي عن اعتقاد قد بناه على شبهة، واحواله كانت تدل على ذلك، فانه لم يكن من ارباب الدين، ولا ظهر عنه نسك ولا صلاح حال، وكان مترفاً يذهب مال الفبيء في مآربه؛ وتمهيد ملكه ويصانع به عن سلطانه، وكانت احواله كلها مؤذنة بانسلاخه من العدالة، واصراره على الباطل، واذا كان كذلك لم يجز ان ينصر المسلمون سلطانه، وتحارب الخوارج عليه، وان كانوا اهل ضلالة؛ لانهم احسن حالاً منه، فانهم كانوا ينهون عن المنكر، ويرون الخروج على ائمة الجور واجباً»^(٢).

والمعتزلة تتفق مع الخوارج في وجوب الخروج على ائمة الجور وان الفاسق المتغلب بغير شبهة يعتمد عليها لا يجوز نصره على من يخرج عليه ممن ينتمي الى الدين، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، بل يجب ان ينصر الخارجون عليه، وان كانوا ضالين في عقيدة اعتقدوها بشبهة دينية دخلت عليهم، لانهم اعدل منه واقرب للحق، والمعروف ان الخوارج ملتزمون بالدين، وعلى العكس من معاوية^(٣).

(١). الشرح ١١٢/٨ - ١١٤.

(٢). الشرح ٧٨/٥.

(٣). الشرح ٧٨/٥ - ٧٩، ١٣١. ومن هنا سمي المعتزلة: مخانيث الخوارج لانهم لم يحملوا

وبعد سرده لاحداث وسير رجالات الخوارج^(١) قال ابن ابي الحديد «فهذا يسير مما هو معلوم من حال هذا الطائفة في خشونتها في الدين، وتلزمها بناموسه، وان كانت في اصل العقيدة على ضلالة، وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تستحقر صلاة احدكم في جنب صلاتهم، وصيام احدكم في جنب صيامهم»^(٢) ومعلوم ان معاوية من بعده من بني امية لم تكن هذه الطريقة طريقته؛ ولا هذه السنة سنتهم، وانهم كانوا اهل دنيا واصحاب لعب ولهو وانغماس في الملذات، وقلة مبالاة في الدين، ومنهم من هو مرمى بالزندقة والاحاد»^(٣).

ولذلك قال عليه السلام ولو لم اك فيكم لما قوتل اهل الجمل والنهروان ولم يقل اهل صفين لان الشبهة كانت في اهل الجمل والنهروان ظاهرة الالتباس، فكان اهل النهروان اهل قرآن وعبادة واجتهاد، وعزوف عن الدنيا واقبال على امور الاخرة، وهم كانوا قراء العراق وزهادهم، واما معاوية «فكان... مشهور بقلة الدين...؛ وكذلك ناصره ومظاهره على امره عمرو بن العاص؛ ومن اتبعهما من طغام اهل الشام واجلا فهم وجهال الاعراب، فلم يكن امرهم خافياً في جواز محاربتهم واستحلال قتالهم، بخلاف حال من تقدم ذكره»^(٤).

ويخلص ابن ابي الحديد في ايضاحه لرؤية المعتزلة الى الخوارج للقول: «واما الخوارج فانهم مرقوا على الدين بالخبر النبوي المجتمع عليهم، ولا يختلف اصحابنا في انهم من اهل النار»^(٥).

السلاح. البغدادي: الفرق ص ٧١.

(١). الشرح ٨٠/٥ - ١٢٩.

(٢). الشهرستاني: المل ١٥٧/١. الزمخشري: ربيع الابرار ٣٥٤/٢ - ٣٥٥. السيوطي:

الخصائص الكبرى ١٦/٣.

(٣). الشرح ١٢٩/٥.

(٤). الشرح ٥٨/٧.

(٥). الشرح ٩/١.

تجدد الاشارة الى ان الخليفة عمر بن الخطاب استشار الامام علياً عليه السلام في الخروج لغزو الروم فكان جواب الامام: «انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنكب، لا يكن للمسلمين كهف دون اقصى بلادهم. ليس بعدك مرجع يرجعون اليه، فابعث اليهم رجلاً محرباً، واحفز معه اهل البلاء والنصيحة، فان اظهر الله فذاك ما تحب، وان تكن الاخرى، كنت رداءً للناس ومثابة للمسلمين». فهنا الامام يشير على الخليفة بعدم الخروج حذراً من ان يصاب، فيذهب المسلمون كلهم لذهاب الرأس، بل يبعث اميراً ويقوم بالمدينة رداءً لهم وفسر ابن ابي الحديد سبب خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بالحروب لانه كان موعداً بالنصر، وآمنا على نفسه بالوعد الالهي في قوله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾،^(١) وليس عمراً كذلك، اذاً فما بال الامام شارك بالحرب بنفسه في الجمل وصفين والنهروان ولم يبعث اميراً محرباً واقام هو بالمدينة رداءً ومثابة! هنا قدم ابن ابي الحديد جوابان؛ الاول: انه عليه السلام كان عالماً من جهة النبي صلى الله عليه وسلم بالا يقتل في هذه الحروب، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين. والثاني: قد يكون غلب على ظنه عليه السلام ان لا يقوم احد بمقامه، فلم يجد اميراً محارباً من اهل البلاء والنصيحة، فمن كان في اصحابه محرباً لم يكن من اهل النصيحة له، ومن كان من اهل النصيحة لم يكن محرباً، فدعاه ذلك لمباشرة الحرب.^(٢)

تحليل ابن ابي الحديد لسياسة الامام علي عليه السلام

ان ملاحظة سير حوادث خلافة الامام علي عليه السلام منذ البدء مروراً بحروبه الثلاث ثم ما آل اليه حاله بعد معركة النهروان من تخاذل اصحابه، وفرار بعضهم الى معاوية، او من ترك ولاياته بعد اخذ اموالها، ثم ما قام به معاوية من شن

(١). سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢). الشرح ٢٩٦/٨ - ٢٩٨.

الغارات على المدن الموالية للامام حتى فتح مصر، والامام من جانبه يستصرخ اصحابه دون جدوى.^(١)

هذا الحال دفع البعض للاعتقاد بان السبب يمكن في حسن سياسة معاوية، وسوء تدبير الامام عليه السلام، يقول ابن ابي الحديد: «ان قوماً ممن لم يعرف حقيقة فضل امير المؤمنين عليه السلام، زعموا ان عمر كان اسوس منه، وان كان هو اعلم من عمر، وصرح الرئيس ابو علي بن سينا بذلك في الشفاء في الحكمة،^(٢) وكان شيخنا ابو الحسين (البصري) يميل الى هذا، وقد عرض به في كتاب الفرر،^(٣) ثم زعم اعداؤه ومباغضوه ان معاوية كان اسوس منه، واصح تدبيراً».^(٤)

ومن خلال مقارنته بين سياسة الامام وسياسة معاوية، اورد ابن ابي الحديد اسباباً أدت الى تغاير السياستين وما نتج عنهما، وهي:

اولاً: ان الامام علي عليه السلام اعتمد في سياسته السير على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله في الوقت الذي اعتمد معاوية سياسة الحيل والمكايد، وقد اوضح ذلك في طرحه لرؤية الجاحظ^(٥) وهو من كبار معتزلة البصرة، حيث يقول الجاحظ: «ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتمييز - وهو من العامة ويظن انه من الخاصة - يزعم ان معاوية كان ابعد غوراً، واصح فكراً، واجود رؤية، وابعد غاية، وادق مسلكاً؛ وليس الامر كذلك، وسأرمي اليك بجملة تعرف بها موضع غلطة والمكان الذي دخل عليه الخطأ من قبله...». ثم ابان الجاحظ الاشكال الذي وقع فيه هؤلاء اذ قال: «كان عليه السلام لا يستعمل في حربه الا

(١). انظر تفاصيل خلافة الامام عند الطبري: تاريخ ٤/٤٢٧-٤٥٧، ٥/٥-١٥٧.

(٢). لم يتسنى لي وجود هذا الرأي في كتاب الشفاء.

(٣). احد كتبه الكلامية، وقد شرحه ابن ابي الحديد بكتاب شرح مشكلات الفرر. علي جواد محي الدين: ابن ابي الحديد ص ٢٣٨.

(٤). الشرح ١٠/٢١٢. وانظر رؤية العثمانية. رسائل الجاحظ السياسية ص ١٩٠-١٩٢.

(٥). رسالة في الحكمين ضمن رسائل الجاحظ السياسية ص ٣٦٥-٣٦٨.

ما وافق الكتاب والسنة وكان معاوية، يستعمل خلاف الكتاب والسنة؛ كما يستعمل الكتاب والسنة، ويستعمل جميع المكاييد، حلالها وحرامها، ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند اذا لاقى كسرى، وخاقان اذا لاقى رتبيل.^(١) وعلي عليه السلام يقول: لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم، ولا تتبعو مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً؛ وهذه سيرته في ذي الكلاع، وفي ابي الاعور السلمي، وفي عمرو بن العاص، وحبیب بن مسلمة،^(٢) وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والحشو والاتباع والسفلة. واصحاب الحروب ان قدروا على البيات بيتوا، وان قدروا على رضخ الجميع بالجنادل وهم نيام فعلوا، وان امكن ذلك في طرفة عين لم يؤخره الى ساعة، وان كان الغرق اعجل من الحرق لم يقتصروا على الغرق ولم يؤخروا الحرق الى وقت الغرق، وان امكن الهدم لم يتكلفوا الحصار، ولم يدعوا ان ينصبوا المجانيق،^(٣) والعرادات،^(٤) والنقب والتسريب، والديابات،^(٥) والكمين، ولم يدعو دس السموم، ولا التضريب بين الناس بالكذب، وطرح الكتب في عساكرهم بالسعايات، وتوهيم الامور، وايحاش بعض من بعض، وقتلهم بكل آلة او حيلة؛ كيف وقع القتل، وكيف دارت بهم الحال».^(٦)

وقد اوضح الجاحظ اين من يقتصر تدبيره على الكتاب والسنة يكون قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير؛ وما لا يتناهى من المكاييد لان «الكذب

(١). خاقان لقب ملوك الترك. اما رتبيل فهو اسم ملوك الترك ايام الحجاج. الخوارزمي: مفاتيح

العلوم ص ٧٣. ابن نباتة: شرح العيون ص ١١.

(٢). كل هؤلاء كانوا في صف معاوية ضد الامام علي عليه السلام.

(٣). آلة ترمي الحجارة. الشرح ٢٢٨/١٠.

(٤). من الآلات الحربية، واصغر من المنجنيق تستخدم لرمي الحجارة نحو الاماكن البعيدة. الشرح ٢٨٨/١٠.

(٥). آلة حربية تتخذ للحصار، يدخل فيها الرجال ثم تدفع داخل الحصن، ويعمل الرجال على تنقيته. الشرح ٢٢٨/١٠.

(٦). الشرح ٢٢٨/١٠ - ٩. وانظر الجاحظ: رساله في الحكمين ص ٢٦٠ - ٣٦٦.

حفظك الله - اكثر من الصدق، والحرام اكثر عدداً من الحلال، ولو سمي انسان انساناً باسمه لكان قد صدق، وليس له اسم غيره، ولو قال: هو شيطان او كلب او حمار او شاه او بعير او كل ما خطر على البال، لكان كاذباً في ذلك، وكذلك الايمان والكفر وكذلك الطاعة والمعصية، وكذلك الحق والباطل، وكذلك السقم والصحة، وكذلك الخطأ والصواب»^(١).

إذاً لما كان الامام ملجماً بالورع عن جميع القول الا ما هو رضا الله، وممنوع اليدين من كل بطش الا ما هو رضا الله، ولا يرى الرضا الا فيما يرضاه الله ويحبه، وما دل عليه الكتاب والسنة، دون ما يعتمده اصحاب الدهاء والنكراء والمكايد، لذا لما ابصرت العوام كثرة نوادر معاوية في المكاييد، وغرائبه في الخداع، وما حصل عليه يده، ولم يجدوا ذلك لعلي عليه السلام «ظنوا - بقصر عقولهم، وقلة علومهم - ان ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند علي عليه السلام. فانظر بعد هذا كله، هل يعد له من الخدع الا رفع المصاحف! ثم انظر هل خدع بها الا من عصى رأي علي عليه السلام، وخالف امره!»^(٢).

ثم اكد الجاحظ ان ما ناله معاوية من اختلاف اصحاب الامام لا يعود الى ضعف سياسة الامام وانما الى «غرارة اصحاب علي عليه السلام وعجلتهم وتسرعهم وتنازعهم»^(٣).

ويرى الجاحظ ان الصالحين لا يوصفون بالدهاء والمكر، ولذا لا نقول ما كان انكر ابا بكر بن ابي قحافة! وما كان انكر عمر بن الخطاب! ولا يقول احد عنده شيء من الخير: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ادهى العرب والعجم، وانكر قريش وامكر كنانة؛ لان هذه الكلمة انما وضعت في مديح اصحاب الارب ومن يتعمق في الرأي

(١). الشرح ٢٢٩/١. وانظر الجاحظ: رساله في الحكمين ص ٣٦٦.

(٢). الشرح ٢٢٩/١٠. وانظر الجاحظ: رساله في الحكمين ص ٣٦٦.

(٣). الشرح ٢٢٩/١٠. وانظر الجاحظ: رساله في الحكمين ص ٣٦٦-٣٦٧.

في توكيد الدنيا وزبرجها وتشبيد خالق البشر، فان هؤلاء لا يمدحون بالدهاء والنكراء، ولم يمنعوا هذا الا ليعطوا افضل منه، وضرب الجاحظ مثلاً في وصف المغيرة لعمر بن الخطاب قائلاً فيه: «كان عمر اعقل من ان يخدع، وافضل من ان يخدع». ولم يصفه المغيرة بالدهاء والنكراء، لانه علم انه اذا اطلق على الائمة الالفاظ التي لا تصلح في اهل الطهارة، لكان ذلك غير مقبولاً.^(١)

ثم اشار الجاحظ لعذر معاوية: «اخرجوا الينا قتلة عثمان، ونحن لكم سلم». فتسائل: فاجهد كل جهدك، واستعن بمن شايحك الى ان تتخلص الى صواب رأي في ذلك الوقت اضله علي، حتى تعلم ان معاوية خادع، وان علياً عليه السلام كان المخدوع.. واكد الجاحظ ان نجاح معاوية يمكن في ابتلاء الامام علي عليه السلام باصحابه ودهره «بما لم يمتحن امام من الاختلاف والمنازعة، والتشاح من الرياسة والتسرع والعجلة! وهل اتى علي عليه السلام الا من هذا المكان». وضرب الجاحظ مثلاً بمؤامرة الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمراً، «فكان من الاتفاق او من الامتحان، ان كان علي من بينهم هو المقتول».^(٢)

وعلق ابن ابي الحديد انه من تأمل كلام الجاحظ بعين الانصاف، ولم يتبع الهوى علم صحة جميع ما ذكره وان الذي وقع للامام نتيجة اختلاف اصحابه وسوء طاعتهم له، ولانه لزم سنن الشريعة، ومنهج العدل، في الوقت الذي خرج معاوية وعمرو بن العاص عن قاعدة الشرع في استمالة الناس اليهم رغبة او رهبة. ويخلص للقول: «فلولا انه عليه السلام كان عارفاً بوجوه السياسة وتدابير امر السلطان والخلافة، حاذقاً في ذلك، لم يتجمع عليه الا القليل من الناس، وهم اهل الآخرة خاصة؛ الذي لا ميل لهم الى الدنيا، فلما وجدناه دبر الامر حين وليه؛ واجتمع عليه من العساكر والاتباع ما يتجاوز العد الحصر، وقاتل بهم اعداؤه الذي حالهم

(١). الشرح ٢٢٩/١٠ - ٢٣٠. وانظر الجاحظ: رساله في الحكيمين ص ٣٦٧.

(٢). الشرح ٢٣٠/١٠ - ٢٣١. وانظر الجاحظ: رساله في الحكيمين ص ٢٦٧.

حالهم، فظفر في اكثر حروبه، ووقف الامر بينه وبين معاوية على سواء، وكان هو الاظهر والاقرب الى الانتصار علمنا انه من معرفة تدبير الدول والسلطان بمكان مكين»^(١).

ويرى ابن ابي الحديد ان السائس لا يتمكن من السياسة البالغة الا اذا كان يعمل برأيه، وبما يرى فيه صلاح ملكه، سواء وافق الشريعة ام لا، واذا لم يعمل بذلك، فبعيد ان ينتظم امره او يستوثق حاله، ولما كان الامام مقيداً بالشريعة ومتبعاً لها ورافضاً ما يصلح اعتماده من اراء الحرب والكيد والتدبير اذا لم يكن للشرع موافقاً، لذا لم تكن قاعدته في الخلافة كقاعدة غيره.^(٢)

وفي معرض مقارنته بين سياسة عمر بن الخطاب (رض) وسياسة الامام علي عليه السلام قال ابن ابي الحديد: «كان (عمر) مجتهداً يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسله، ويرى تخصيص عمومات النص بالآراء وبالاستنباط من اصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص، ويكيد خصمه، ويأمر امراءه، بالكيد والحيلة، ويؤدب بالدره والسوط من يتغلب على ظنه ان يستوعب ذلك، ويصفح عن اخرين قد اجترموا ما يستحقون به التأديب، كل ذلك بقوة اجتهاده وما يؤديه اليه نظرة»^(٣).

هذا المنهج يرى ابن ابي الحديد لا يطابق منهج الإمام علي عليه السلام لانه: «كان يقف مع النصوص والظواهر، ولا يتعداها الى الاجتهاد والاقيسة، ويطبق امور الدنيا على امور الدين، ويسوق الكل مساقاً واحداً، ولا يضع ولا يرفع الا بالكتاب والنص، فاختلفت طريقتاهما في الخلافة والسياسة، وكان عمر مع ذلك شديد الغلظة والسياسة، وكان علي عليه السلام كثير الحلم والصفح والتجاوز، فازدادت

(١). الشرح ٢٣١/١٠.

(٢). الشرح ٢١٢/١٠.

(٣). الشرح ٢١٢/١٠ - ٢١٣.

خلافة ذاك قوة، وخلافة هذا لينا؛ ولم يمن عمر بما مني به علي عليه السلام من فتنة عثمان؛ التي احوجته الى مداراة اصحابه وجنده ومقاربتهم، للاضطراب الواقع بطريق تلك الفتنة: ثم تلا ذلك فتنة الجمل، وفتنة صفين، وفتنة النهروان، وكل هذه الامور مؤثرة في اضطراب الوالي وانحلال معاهد ملكه، ولم يتفق لعمر شيء من ذلك، فستان بين الخلافتين فيما يعود الى انتظام المملكة وحتى تدبير الخلافة»^(١). ولكن اذا كان السير على النصوص هو السبب في ما عاناه الامام عليه السلام، فلماذا انتظمت سياسة الرسول صلى الله عليه وآله وهو ايضاً ممن كان يعمل بالنصوص ولا يتعدها؟

اكد ابن ابي الحديد انه لا يمكن المقارنة بين سياسة النبي صلى الله عليه وآله وغيره لانه معصوم لا تتطرق الغفلة الى افعاله، ولا واحد من هذين الرجلين بواجب العصمة عندنا. وايضاً فان كثيراً من الناس ذهبوا الى ان الله اذن للرسول صلى الله عليه وآله للحكم بالشرعيات برأيه، وحتى اذا كان الرسول صلى الله عليه وآله مجتهداً كما يرى البعض، فان اجتهاد الامام لا يرقى الى اجتهاده^(٢).

ويخلص ابن ابي الحديد للقول: «فقد بان بما اوضحنا فساد قول من قال: ان تدبيره عليه السلام وسياسته لم تكن سالحة، وبان انه اصح الناس تدبيراً واحسنهم سياسة، وانما الهوى والعصبية لا حيلة فيهما!»^(٣).

ثانياً: الاموال: ان سياسة توزيع الاموال كانت سبباً في ابتعاد الناس عن الامام وانجذابهم الى معاوية، حيث ان سياسة الامام قائمة على اساس توزيع الاموال بالتساوي وذلك بالرجوع الى سياسة الرسول صلى الله عليه وآله وابي بكر (رض). في حين ان سياسة معاوية قائمة على دس الاموال لرؤساء القبائل لكسب ودهم، ففي

(١). الشرح ٢١٣/١٠.

(٢). الشرح ٢١٣/١٠ - ٢١٤.

(٣). الشرح ٢٦٠/١٠.

شرحه لكلام الامام «أ وليس عجباً ان معاوية يدعو الجفافة الطعام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وانا ادعوكم وانتم تريكة الاسلام وبقية الناس الى المعونة او طائفة من العطاء، فتنفرون عني، وتختلفون علي!».

اوضح ابن ابي الحديد ان معاوية لم يكن يعطي جنده على وجه المعونة والعطاء، وانما كان يعطي رؤساء القبائل اليمانية، وسكان الشام من الوجهاء الاموال الجليلة، يستعبدهم بها، ثم يقوم اولئك الرؤساء بدعوة اتباعهم فيطيعونهم اما حمية، او لاياد وعوارف من اولئك الرؤساء عندهم، ومنهم من يطيعهم تديناً بدعوى الطلب بدم عثمان (رض) الا انه لا يصل لهؤلاء الاتباع من اموال معاوية لا قليل ولا كثير. في الوقت الذي يقسم فيه الامام علي عليه السلام العطاء والارزاق على وجه المساواة بين الرؤساء والاتباع، ولا يرى شرفاً لشريف على مشروف «فكان من يعقد عنه بهذا الطريق اكثر ممن ينصره ويقوم بامر، وذلك لان الرؤساء من اصحابه كانوا يجدون في انفسهم من ذلك. اعني المساواة بينهم وبين الاتباع فيخذلونه عليه السلام باطناً، وان اظهروا له النصر، واذا احس اتباعهم بتخاذلهم وتواكلهم تخاذلوا وتواكلوا ايضاً، ولم يجد علي عليه السلام ما اعطى الاتباع من الرزق، لان انتصار الاتباع له وقتالهم دونه لا يتصور وقوعه، والرؤساء متخاذلون، فكان يذهب ما يرزقهم ضياعاً»^(١).

ان مسألة سبب تقاعد العرب عن نصرة الامام علي عليه السلام هو امر المال، لان الامام لم يكن يفضل شريفاً على مشروف، ولا عربياً على اعجمي، ولا يصانع الرؤساء وامراء القبائل كما يفعل الآخرون، ولا يستميل احداً لنفسه، كما يفعل معاوية، لذا ترك الناس علياً والتحقوا بمعاوية، وقد شكوا الامام ذلك لمالك الاشر احد المقربين اليه، فقال الاشر: يا امير المؤمنين؛ انا قاتلنا اهل البصرة باهل

البصرة واهل الكوفة، ورأي الناس واحد، وقد اختلفوا بعد وتعادوا وضعفت النية،
 وق العدد، وانت تاخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتنصف الوضيع من
 الشريف فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجت طائفة ممن معك
 من الحق اذ عموا فيه، واغتموا من العدل اذ صاروا فيه، ورأوا صنائع معاوية عند
 اهل الغناء والشرف، فتاقت انفس الناس الى الدنيا، وقل من ليس للدنيا بصاحب،
 واكثرهم يجتوي الحق ويشترى الباطل، ويؤثر الدنيا، فان تبذل المال يا
 امير المؤمنين تحمل لك اعناق الرجال، وتصف نصيحتهم لك وتستخلص ودهم،
 صنع الله لك يا امير المؤمنين! وكبت اعدائك، وفض جمعهم. فكان جواب الإمام
 علي عليه السلام: «اما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فان الله عزوجل يقول: ﴿من
 عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للبعيد﴾»^(١) وانا من اكون
 مقصراً اخوف. واما ما ذكرت من ان الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله
 انهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا اذ فارقونا الى عدل، ولم يلتمسوا الا دنيا
 زائلة عنهم، وكان قد فارقوها، وليسألن يوم القيمة؛ اللدنيا ارادوا ام الله عملوا؟ واما
 ما ذكرت من بذل الاموال، واصطناع الرجال، فانه لا يسعنا ان نؤتي امرءاً من
 الفيء اكثر من حقه، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة
 كثيرة باذن الله والله مع الصابرين﴾^(٢). وقد بعث الله محمداً ﷺ وحده؟ فكثرة بعد
 القلة، واعز فئته بعد الذلة، وان يرد الله ان يولينا هذا الامر بذلك لنا صعبة، ويسهل
 لنا حزنه»^(٣).

ويخلص ابن ابي الحديد للقول ان امير المؤمنين عليه السلام لم يكن يذهب في
 خلافته كالملوك الذين يصانعون بالاموال، ويصرفونها في مصالح ملكهم وملاذ

(١). سورة فصلت: الآية ٤٦.

(٢). سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

(٣). الشرح ١٩٧/٢ - ١٩٨.

انفسهم، ولم يكن عليه السلام من اهل الدنيا، وانما كان رجلاً متألهاً صاحب حق، لا يريد بالله ورسوله بدلاً. (١)

ثالثاً: الاصحاب: لقد ابتلى الإمام علي عليه السلام باصحاب يدعوهم فلا يستجيبون، ويكلمهم فيكذبونه، في الوقت الذي كان فيه معاوية لا يجد من اصحابه الا السمع والطاعة، فيصدقونه اذا قال، ويطيعونه اذا امر، ويصور لنا الجاحظ موقف الإمام علي عليه السلام بانه قد امتحن في اصحابه وفي دهره بما لم يمتحن امام قبله من اختلاف اصحابه ونزاعهم. وكان عليه السلام لا يريد من طاعة اصحابه الا نصره دين الله والقيام بحدوده، وحقوقه، لا يريد منهم لحظ نفسه، اما هم فيريدونه لحظوظ انفسهم من العطاء والتقريب، والاسباب الموصلة لمنافع الدنيا، ولذا كان عليه السلام يقول: «اني اريدكم لله، وانتم تريدونني لانفسكم». (٢)

وكان الامام مدركاً ان اصلاحهم لا يكون الا بالسيف «واني لعالم بما يصلحكم، ويقيم اودكم، ولكني والله لا اري اصلاحكم بافساد نفسي». لانه لا يستحل من دماء اصحابه ما يستحله من يريد الدنيا وسياسة الملك، (٣) ويتسائل ابن ابي الحديد: اليس نصره الامام واجبة؟ فلم لا يقتلهم اذا اخلوا بهذا الواجب؟ ترى المعتزلة انه ليس كل اخلال بواجب عقوبته القتل، كالحج مثلاً، ولربما تكون عاقبة القتل فسادهم عليه وشغبهم الذي يفضي لقتلهم اياه وقتل اولاده او تسليمه لمعاوية، واذا علم ذلك او غلب على ظنه لا يجوز ان يسوسهم بالقتل، فلو ساسهم والحال هذه لكان آثماً ومواقعاً لقبيح وفي ذلك افساد لدينه. (٤)

ونتيجة لهذه المعاناة منهم اشار الإمام علي عليه السلام الى انه لم يأتهم اختياراً

(١). الشرح ٢٠٢/٢ - ٢٠٣.

(٢). الشرح ٣١/٩ - ٣٢.

(٣). الشرح ١٠٢/٩ - ٤.

(٤). الشرح ١٠٤/٦.

وانما اضطراراً لانه لولا يوم الجمل لم يحتج للخروج من المدينة الى العراق استنجاداً باهل الكوفة على اهل البصرة لان جيشه الحجازي لم يكن وافياً باهل البصرة، فخروجه من المدينة وهي دار الهجرة، ومفارقتة لقبر الرسول ﷺ وقبر فاطمة عليها السلام ليس عن ايثار ومحبة، ولكن الاحوال تحكم وتسوق الناس الى ما لا يختارونه ابتداءً.^(١)

واشار الامام لنكتة لطيفة فقال: «ولقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها، واصبحت اخاف ظلم رعيتي» حيث من تأمل احواله عليه السلام في خلافته، علم انه كان كالمحجور عليه، ولا يتمكن من بلوغ ما في نفسه، لان العارفين بحقيقة حالة اقلية، اما السواد الاعظم فلا يعتقدون فيه الامر الذي يجب اعتقاده فيه، ويرون تفضيل من تقدمه من الخلفاء عليه، ويظنون ان الافضلية بالخلافة، ويرون انه لو لا ان الاوائل علموا فضل المتقدمين عليه لما قدموهم، ولا يرونه الا بعين التبعية لمن سبقه، وانه كان رعية لمن سبقه، وكان اكثرهم يحارب معه حمية وبنخوة العربية لا بالدين والعقيدة، نتيجة لذلك اضطر عليه السلام لمداراتهم ومقاربتهم؛ ولم يكن قادراً على اظهار ما عنده، الا ترى الى كتابه الى قضاته في الامصار. وقوله: «فاقضوا كما كنتم تقضون، حتى تكون للناس جماعة، واموت كما مات اصحابي»^(٢) وهذا الكلام لا يحتاج الى تفسير، ومعناه واضح، وهو انه قال لهم: اتبعوا دعواتكم الان بعاجل الحال في الاحكام والقضايا التي كنتم تقضون بها الى ان يكون للناس جماعة، أي الى ان تستقر هذه الامور والخطوب عن الاجتماع وزوال الفرقة وسكون الفتنة وحينئذ اعرفكم ما عندي في هذه القضايا والاحكام التي قد استمررتم عليها... الا ترى الى قوله على المنبر في امهات الاولاد «كان رأيي ورأي عمر الا يبعن، وانا ارى الان يبعن». فقام اليه عبيدة السلماني، فقال له: رأيك مع الجماعة احب

١. الشرح ١٢٧/٦ - ١٢٨.

٢. اورده البخاري ٩٠/٥.

الينا من رأيك وحدك، فما عاد عليه حرفاً، فهل يدل هذا على القوة والقهر، ام على الضعف في السلطان والرخاوة! وهل كانت المصلحة والحكمة تقتضي في ذلك الوقت غير السكون والامساك!». واذاف ابن ابي الحديد مثلاً آخر على ان الامام كان يصلي صلاة الصبح جماعة، فقرأ احدهم رافعاً صوته مخالفة لقراءة الإمام علي عليه السلام ﴿ان الحكم الا لله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين﴾،^(١) فلم يضطرب الامام علي عليه السلام ولم يقطع صلاته، ولم يلتفت ورائه، بل قرأ معارضاً على البديهة ﴿فاصبر ان وعد الله حق، ولا يستخفك الذين لا يوقنون﴾^(٢) وهذا صبر عظيم وانه عجيبة وتوفيق بين.^(٣)

وبهذا وامثاله استدل المعتزلة على حسن سياسة الامام وصحة تدبيره، لان من مني بهذه الرعية المختلفة الالهواء، وهذا الجيش العاصي له والمتمرد عليه، ثم كسر بهم الاعداء، وقتل الرؤساء، فليس يبلغ احد في حسن السياسة وصحة التدبير مبلغه ولا قدره، ويرى بعض المعتزلة ان سياسة الامام علي عليه السلام اذا تأملها المنصف متدبراً لها بالاضافة الى احواله التي دفع اليها مع اصحابه، فانها جرت مجرى المعجزات، لصعوبة الامر وتعذره، لان اصحابه كانوا فرقتين: الاولى: ترى ان الخليفة عثمان قتل مظلوماً - وتتولاه وتبرأ من اعدائه - والثانية: وهم جمهور اصحاب الحرب واهل الغناء والبأس، فيعتقدون ان عثمان قتل لاحداث اوجبت قتله، وكل من هاتين الفرقتين تعتقد انه يتفق معها في الرأي، وتطالبه بادباء رأيه في قتل الخليفة عثمان (رض)، فكان عليه السلام يعلم انه متى ما وافق احدي الفرقتين تركته الاخرى، وخذلته، فاخذ عليه السلام يعتمد في كلامه ما تظن كل واحدة انه يوافقها

(١). سورة الروم: الآية ٦٠.

(٢). سورة الروم: الآية ٦٠.

(٣). الشرح ٧٢/٧ - ٧٣. وانظر الجاحظ: رسالة في الحكيمه: ضمن رسائل الجاحظ السياسية

في الرأي كقوله: «الله قتله وانا معه». وقوله: «ما امرت به ولا نهيت عنه».. وقوله: «لو امرت به لكنت قاتلاً، ولو نهيت عنه لكنت ناصراً». واخذت كل فرقة تؤول كلامه بما يوافق توجهها، واستمر على هذا الحال حتى وفاته «فلو لم يكن له من السياسة الا هذا القدر - مع كثرة خوض الناس حينئذ في امر عثمان والحاجة الى ذكره في كل مقام - لكفاه في الدلالة على انه اعرف الناس بها، واحذقهم فيها، واعلمهم بوجوه مخارج الكلام وتدبير احوال الرجال»^(١).

ونتيجة لهذا التخاذل من اصحابه تنبأ بان اهل الشام يتغلبون على اهل العراق، ليس لان اهل الشام على حق، وانما لانهم اطوع لاميرهم، ومدار النصره في الحرب هو طاعة الجيش وانتظام امره، لا اعتقاد الحق، فانه ليس يغني في الحرب ان يكون الجيش محققاً في العقيدة اذا كان مختلف الاراء غير مطيع لامر المدبر له.^(٢)

وقد تباينت وجهة نظر الامام لاهل الكوفة بين المدح والذم، فلما حقق بهم الانتصار على اهل البصرة مدحهم مدحاً ليس باليسير ولا بالملستصغر، وقال في الكوفة واهلها: أهلاً بك وبأهلك، ما ارادك جبار بكيد الا قصمه الله، ويثني عليها وعلى اهلها حسب ذمه للبصرة وعيبه لها، ودعائه عليها وعلى اهلها، ولكن لما خذله اهل الكوفة يوم التحكيم، وتقاعدوا عن نصرته، وخرج منهم الخوارج، واستنفرهم فلم يخرجوا معه، ورأى منهم دلائل الوهن وامارات الفشل، انقلب المدح ذمماً وذلك الشاء استزاده تقريعاً وتهجيناً. فقال لهم «يا اهل الكوفة، لقد ضربتكم بالدره التي اعظ بها السفهاء فما اراكم تنتهون! ولقد ضربتكم بالسياط التي اقيم بها الحدود، فما اراكم ترعوون!! فلم يبق الا ان اضربكم بسيفي، واني

(١). الشرح ٧٣/٧ - ٧٤.

(٢). الشرح ٧٢/٧.

لا علم بما يقومكم، ولكني لا احب ان آلي ذلك منكم»^(١).

ولقد فسد حال اهل الكوفة اواخر خلافته، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة اخرى وينادي باسم قبيلته يقصد الشر والفتنة، فيتآلب عليه فتیان القبيلة التي يمر بها ويهتفون باسم قبيلتهم، فيضربوه، وتسلس السيوف وتثار الفتن، وهي لا اصل لها سوى تعرض الفتیان بعضهم لبعض. لذا خطب بهم الامام قائلاً: «فان كان لا بد من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الافعال، ومحاسن الامور، التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب، ويعاسب القبائل، بالاخلاق الرغيبية، والاحلام العظيمة، والاطار الجليلة، والاثار المحمودة»^(٢).

ان سياسة الامام في السير على احكام الكتاب والسنة، والشدة على الولاية بضرورة السير عليها، ومعاملته للجميع بالتساوي وخاصة في توزيع الاموال، دفع البعض من اصحابه لتركه والاتحاق بمعاوية، او الخروج على طاعته مستغلين الظرف السلبي له، لذا كان من جملة الانتقادات الموجهة لسياسته «ان جماعة من اصحابه عليه السلام فارقوه؛ وصاروا الى معاوية، كعقيل ابن ابي طالب اخيه، والنجاشي شاعره؛ ومصقلة بن هبيرة احد الوجوه من اصحابه؛ ولو لا انه كان يوحشهم، ولا يستميلهم لم يفارقوه ويصيروا الى عدوه، وهذا يخالف حكم السياسة، وما يجب من تآلف قلوب الاصحاب والرعية»^(٣).

ان الذي يرغب في حطام الدنيا وزخرفها، ويحب العاجل من ملاذها وزينتها فلا ينكر ميله لمعاوية الذي يبذل من الدنيا كل مطلوب، ويسمح بكل مأمول، ويطعم خراج مصر لعمر بن العاص، ويضمن لذي الكلاع، وحبیب بن

(١). الشرح ١٩٥/٢ - ١٩٦.

(٢). الشرح ١٦٦/١٣ - ١٦٨.

(٣). الشرح ٢٤٩/١٠ - ٢٥٠.

مسلمة، ما يوفي على الرجاء والاقتراح والامام علي عليه السلام لا يعدل فيما هو امين عليه من مال المسلمين عن قضية الشريعة وحكم الملة، حتى قال خالد بن معمر السدوسي ^(١) لعلباء بن الهيثم ^(٢) وهو يريد على مفارقتة الامام واللاحق بمعاوية: اتق الله يا علباء في عشيرتك، وانظر لنفسك ولرحمك: ماذا تؤمل عند رجل اردته على ان يزيد في عطاء الحسن والحسين دريهمات يسيرة ريثما يرأبان ظلف عيشهما، فابي وغضب ولم يفعل. ^(٣)

عقيل بن ابي طالب:

وهو الابن الثاني لابي طالب اذا صح وجود طالب وهو اكبر من الامام علي عليه السلام بعشرين سنة، خرج في بدر مع المشركين، ووقع اسيراً فاطلقه الرسول صلى الله عليه وآله بفداء، ثم اسلم قبيل فتح مكة، يعد من نسابي العرب، وقد قال في حقه الرسول صلى الله عليه وآله اني احبك حبين حب لك وحب لحب ابي طالب لك. ^(٤)

تشير الروايات ان عقيلاً كان يرتاد مجلس معاوية فسأله ذات مرة قائلاً: «يا ابا يزيد: اخبرني عن عسكري وعسكر اخيك، فقد وردت عليهما، قال: أخبرك، مررت والله بعسكر اخي، فاذا ليل كليل رسول الله صلى الله عليه وآله ونهار كنهار رسول الله صلى الله عليه وآله، الا ان رسول الله صلى الله عليه وآله ليس في القوم، ما رأيت الا مصلياً، ولا سمعت الا قارئاً. ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة

(١). هو احد قادة الامام علي عليه السلام في معركة صفين، انظر الطبري: تاريخ ٥٧٤/٤، ٥٧٤/٥ - ٣٣/٥.
(٢). هو من اهل الكوفة واشترك مع الامام في حرب الجمل وقتل فيها. انظر: الطبري: تاريخ ٤٩٣/٤ - ٥١٣، ٥٤٢.
(٣). الشرح ٢٥٠/١٠. وانظر الجاحظ: رسالة في الحكمين ضمن رسائل الجاحظ السياسية ص ٣٥٠.
(٤). انظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيغاب ١٠٧٨/٣ - ٩. ابن حجر: الاصابة ٤٩٤/٢.

العقبة». ثم اخبر معاوية وجلساءه كل واحد منهم حول نسبه. (١)

ولكن هل كان هذا الالتحاق بمعاوية في خلافة الامام علي عليه السلام او في خلافة معاوية، فهناك من يرى انه في خلافة الامام، وان معاوية قال يوماً وعقيل عنده: هذا ابو يزيد، لو لا علمه اني خير له من اخيه لما اقام عندنا وتركه. فقال عقيل: اخي خير لي في ديني، وانت خير لي في دنياي، وقد آثرت دنياي، اسأل الله خاتمة الخير». (٢)

وهناك من يرى انه التحق بمعاوية بعد وفاة الامام علي عليه السلام، واستدلوا على ذلك بالكتاب الذي كتبه اليه عقيل في آخر حياته، وجواب الامام عليه حول غارة الضحاك على نواحي الكوفة كما سنرى، (٣) حيث جاء في كتاب عقيل: «فأف لحياة في دهر جراً عليك الضحاك! وما الضحاك؟ فقع بقرقر! وقد توهمت حيث بلغني ذلك ان شيعتك وانصارك خذلوك، فاكتب الي يا ابن امي برأيك، فان كنت الموت تريد، فحملت اليك ببني اخيك، وولد ابيك، فعشنا معك ما عشت، ومنتنا معك اذا مت؛ فوالله ما احب ان ابقى في الدنيا بعدك فواقاً، واقسم بالاعز الاجل ان عيشاً نعيشه بعدك في الحياة لغير هني، ولا مري ولا نجيع». فاجابه الامام عليه السلام: «اما ما عرضت به من مسيرك الي بينيك، وبني ابيك، فلا حاجة لي في ذلك، فاقم راشداً محموداً، فوالله ما احب ان تهلكوا معي ان هلكت، ولا تحسبن ابن امك - ولو اسلمه الناس - متخشعاً ولا متضرعاً». (٤)

(١). الشرح ١٢٤/٢ - ١٢٥.

(٢). الشرح ٢٥٢/١١.

(٣). الشرح ٢٥٢/١١. وقد سها ابن ابي الحديد اثنا، شرحه لكتاب الامام اعلاه لعقيل قائلاً: «قد تقدم ذكر هذا الكتاب في اقتصاصاً ذكر حال بسر بن ارطاة، وغارته على اليمن في أول الكتاب». والصحيح أنها غارة الضحاك، وفعلاً اشار لها ابن ابي الحديد. الشرح ١١٨/٢ - ١٢٥، ١٤٨/١٦.

(٤). الشرح ١١٩/٢ - ١٢٠، ١٤٨/١٦. وانظر ابن قتيبة: الامامة والسياسة ص ٤٣ - ٥، الزمخشري: ربيع الابرار ٥٢٧/٢.

واشارت الروايات ان عقيلاً جاء للكوفة في خلافة الامام وقد كف بصره، فانتظر الامام عطاءه، فاعطاه اياه، ولكنه لما التحق فيما بعد بمعاوية اعطاه معاوية مائة الف دينار.^(١)

ويخلص ابن ابي الحديد للمقول: «الصحيح الذي اجتمع ثقات الرواة عليه انه لم يجتمع مع معاوية الا بعد وفاة امير المؤمنين عليه السلام، ولكنه لازم المدينة، ولم يحضر حرب الجمل وصفين، وكان ذلك بأذن امير المؤمنين عليه السلام وقد كتب عقيل اليه بعد الحكمين يستأذنه في القدوم عليه الكوفة بولده وبقية اهله، فأمره عليه السلام بالمقام، وقد روي خبر مشهور، ان معاوية وبخ سعيد بن العاص على تأخيره عنه في صفين، فقال سعيد: لو دعوتني لوجدتني قريباً، ولكنني جلست بمجلس عقيل وغيره من بني هاشم ولو اوعبنا لا وعبوا».^(٢)

النجاشي الشاعر:

السبب الذي دفعه لترك الامام والتحاق بمعاوية انه شرب الخمر في شهر رمضان، فقام الامام علي عليه السلام الحد عليه، وزاده عشرين جلدة، فقال النجاشي: ما هذه العلاوة؟ قال عليه السلام لجرأتك على الله في شهر رمضان، فهرب الى معاوية.^(٣)

صقلة بن هبيرة:^(٤)

ارتد بنو ناجية^(٥) وحاربوا الامام، وقد تمكن قائد الامام من القضاء عليهم وسبيهم، فاشترى مصقلة السبي وعتقهم، ولما طالبه الامام بالاموال هرب الى

(١). الشرح ١٢٤/٢ - ١٢٥.

(٢). الشرح ٢٥٠/١٠.

(٣). الشرح ٢٥٠/١٠ - ٢٥١. وانظر ترجمته ابي هلال: الغارات ص ٣٦٥.

(٤). من ولادة الامام علي عليه السلام الشرح ١٢٧/٣.

(٥). عن بني ناجية: انظر: ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٣.

معاوية، فقال عليه السلام: فعل فعل السادة وابق اباق العبيد.^(١)

قال ابن ابي الحديد وليس تعطيل الحدود واطاحة حكم الدين، واضاعة مال المسلمين، من التآلف والسياسة. لمن يريد وجه الله تعالى، والتزم بالدين، ولا يظن بعلي عليه السلام التساهل والتسامح في صغير من ذلك ولا كبير.^(٢)

وتوقف ابن ابي الحديد في اصدار حكم بحق شخص من اقرب المقربين للامام علي عليه السلام الذي استغل الظرف السييء للامام، فاخذ اموال ولايته وتركها، فكتب له الامام: «اما بعد، فاني كنت اشركتك في امانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن في اهلي رجل اوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي، واداء الامانة الي؛ فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، والعدو قد حرب، وامانة الناس خزيت، وهذه الامة قد تنكبت وشغرك، قلبت لابن عمك ظهر المجن، وفارقت مع المفارقين، وخذلت مع المتخاذلين، وخنته مع الخائنين، فلا ابن عمك آسيت، ولا الامانة اديت، وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك، وكأنك لم تكن على بينة من ربك وكأنك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم، وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة، وعاجلت الوثبة، واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم واتباعهم، اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكبيرة، فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله، غير متأثم من اخذه، كأنك - لا ابا لغيرك - حدرت الى اهلك تراثك من ابيك وامك. فسيحان الله! اما تؤمن بالمعاد! او ما تخاف نقاش الحساب! ايها المعدود كان عندنا من اولي الالباب، كيف تسيغ طعاماً وشراباً، وانت تعلم انك تأكل حراماً، وتشرب حراماً، وتبتاع الاماء، وتنكح النساء من اموال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين، الذين افاء الله عليهم هذه الاموال، واحرز

(١). الشرح ١١٩/٣ - ١٤٨، ١٠/١٦، ٧٤/١٠، ١٧٥/١٦.

(٢). الشرح ٢٥١/١٠.

بهم هذه البلاد! فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم؛ فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لا عذرني الى الله فيك، ولا ضربتك بسيفي الذي ما ضربت به احداً الا دخل النار، ووالله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بارادة، حتى آخذ الحق منهما، وازيح الباطل عن مظلمتها، واقسم بالله رب العالمين، ما يسرني ان ما اخذته من اموالهم حلال لي، اتركه ميراثاً لمن بعدي فضح رويداً، فكأنك قد بلغت المدى، ودفنت تحت الثرى، وعرضت عليك اعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ويتمنى المضيع فيه الرجعة، ولات حين مناص»^(١).

لقد انقسمت الاراء في المكتوب اليه الى قسمين، قسم يرى انه ابن عباس وقسم لا يرى ذلك. وقد استدل القائلون بانه ابن عباس بالادلة:

اولاً: الفاظ الكتاب، فأنها تشير الى شخص مقرب من الامام وهي تنطبق على ابن عباس، كقوله عليه السلام: «اشركتك في امانتي، وجعلتك بطانتي وشعاري، وانه لم يكن في اهلي رجل اوثق منك». وقوله عليه السلام: «على ابن عمك قد كلب». وقوله عليه السلام: «قلبت لابن عمك ظهر المجن». وقوله عليه السلام: «فلا ابن عمك آسيت». وقوله عليه السلام: «لا ابا لغيرك» وهذه كلمة لا تقال لمثله، فاما غيره من افناء الناس، فان الامام عليه السلام كان يقول له: لا ابا لك. وقوله عليه السلام: «ايها المعدود كان عندنا من اولي الالباب». وقوله عليه السلام: «لو ان الحسن والحسين عليه السلام» وهذا يدل على ان المكتوب اليه هذا الكتاب قريب من ان يجري مجرى الحسن والحسين عند الامام.

ثانياً: استدل القائلون بانه ابن عباس بوجود روايات تشير لتبادل رسائل بين الامام وابن عباس، حيث كتب ابن عباس للامام: «قد اتاني كتابك تعظم عليّ ما اصبحت من بيت مال البصرة، ولعمري ان حقي في بيت المال اكثر مما اخذت،

والسلام». فرد الامام: «ان من العجب ان تزين لك نفسك ان لك في بيت مال المسلمين من الحق اكثر من رجل واحد من المسلمين، فقد افلحت ان كان تمنيك الباطل، وادعائك ما لا يكون ينجيك من المآثم، ويحل لك المحرم انك لانت المهتدي السعيد اذا! وقد بلغني انك اتخذت مكة وطناً، وضربت بها عطناً، تشتري بها مولدات مكة والمدينة والطائف، تختارهن على عينك، وتعطي فيهن مال غيرك، فارجع هداك الله الى رشدك، وتب الى الله ربك، واخرج الى المسلمين من اموالهم، فعما قليل تفارق من الفت، وتترك ما جمعت، وتغيب في صدع من الارض، غير موسد ولا ممهد، قد فارقت الاحباب، وسكنت التراب، وواجهت الحساب، غنيا عما خلفت، فقيرا الى ما قدمت». فكتب اليه ابن عباس: «قد اكرت علي، ووالله لأن القى الله قد احتويت على كنوز الارض كلها، وذهبها وعقيانها ولجينها، احب الي من القى الله بدم امريء مسلم».^(١)

اما القسم الثاني وهم الاقل، فانكروا وقوع ذلك من ابن عباس واكدوا انه لم يفارق الامام عليه السلام ولا خالفه، وانه لا زال اميرا على البصرة حتى قتل الامام علي عليه السلام، واستدلوا بما رواه ابو الفرج في كتابه مقاتل الطالبين،^(٢) بأن ابن عباس كتب لمعاوية وهو في البصرة كتابا بعد استشهاد الامام علي عليه السلام، واستدلوا ايضا بان معاوية قد خدع اكثر اصحاب الامام عليه السلام وجذبهم اليه بالاموال، فما باله وقد وقد علم النبوة بين الامام وابن عباس لم يجذب الاخير اليه، ثم ان الروايات التاريخية تؤكد مشاققة ابن عباس لمعاوية بعد وفاة الامام عليه السلام، وما كان يلقاه به من قوارع الكلام وشديد الخصام، وكان يمدح الامام عليه السلام امام معاوية، ويذكر فضائله، ويمدح بمناقبه «فلو كان بينهما غبار او كدر لما كان الامر كذلك، بل كانت الحال تكون بالضد لما اشتهر به من امرهما». وقد ايد ابن ابي الحديد اراء هذا

(١). الشرح ١٦٩/١٦ - ١٧١.

(٢). ص ٣٤.

الفريق.

ويرى قطب الدين الراوندي^(١) احد شراح نهج البلاغة ان المكتوب له هو عبيد الله بن عباس وليس عبدالله، وقد رد ابن ابي الحديد على ذلك لأن عبيد الله كان والي الامام على اليمن وفي سنة ٤٠ هـ غزا بسر بن ارطاة^(٢) اليمن، وهرب منها عبيد الله، ولم ترد رواية او خبر تفيد ان عبيد الله اخذ اموالا او خالف الامام^(٣) ويلخص ابن ابي الحديد للقول: «وقد اشكل علي امر هذا الكتاب، فان انا كذبت النقل، وقلت: هذا كلام موضوع على امير المؤمنين عليه السلام، خالفت الرواة، فانهم قد اطبقوا على رواية هذا الكلام عنه. وقد ذكر في اكثر كتب السير. وان صرفته الى عبدالله بن عباس صدني عنه ما اعلمه من ملازمته لطاعة امير المؤمنين عليه السلام، في حياته وبعد مماته، وان صرفته الى غيره، ولم اعلم الى من اصرفه من اهل امير المؤمنين عليه السلام، والكلام يشعر بان الرجل الخاطب من اهله وبني عمه، فانا في هذا الموضوع من المتوقفين»^(٤).

ان هذا الموقف من ابن عباس قد اشارت له المصادر الاخرى، فقد اورد كل من البلاذري^(٥) والطبري^(٦) نص الرسائل المتبادلة بين الامام علي عليه السلام وابن عباس وتفاصيلها، فبعد معركة الجمل ولي الامام ابن عباس البصرة، وولي ابا

(١). هر سعيدي بن هبة الله احد اعلام الامامية ت ٥٧٣ هـ انظر مصادر ترجمته: الزركلي: ١٠٤/٣.

(٢). من الصحابة الذين وقفوا الى جانب معاوية ضد الامام. انظر ترجمته: ابن حجر: الاصابة ٨-١٤٧/١.

(٣). الشرح ١٧١/١٦-١٧٢.

(٤). الشرح ١٧٢/١٦. وانظر: ابراهيم الخوئي: الدررة النجفية ص ٣٢٨.

(٥). انساب الاشراف ١٦٩/٢-١٧١. وانظر: التوحيد: البصائر والذخائر ١/٤٩٠-٤٩٣. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٧.

(٦). الطبري ١٤١/٥-٢. وايسدها من المحدثين: يوليوس: تاريخ الدولة العربية العربية ص ٩٥-١٠٥. طه حسين: علي وبنوه ١٣٣/٢-١٤٢. علي الوردي: مهزلة العقل البشري ص ٥٧-٨٥.

الاسود الدؤلي على بيت المال، فمر ابن عباس ذات مرة عى ابي الاسود وقال له: «لو كنت من البهائم كنت جملاً، ولو كنت راعياً ما بلغت من المرعى واحسنت مهنته في المشتى». فكتب ابو الاسود الى الامام عليه السلام: «اما بعد، فان الله جل وعلا جعلك والياً مؤتمناً، وداعياً مسؤولاً، وقد بلوناك فوجدناك عظيم الامانة، ناصحاً للرعية، توفّر لهم فيئهم وتظلف نفسك عن دنياهم فلا تأكل اموالهم، ولا ترشي في احكامهم، وان عاملك وابن عمك قد اكل ما تحت يده بغير علمك، ولا يسعني كتمانك ذلك، فانظر رحمك الله فيما قبلنا من امرك، واكتب الي برأيك ان شاء الله والسلام».

فاجابه الامام: «قد فهمت كتابك، ومثلك نصح الامام والامة، ووالي على الحق، وفارق الجور، وقد كتبت الي صاحبك فيما كتبت الي فيه من امره ولم اعلمه بكتابك الي فيه، فلا تدع اعلامي ما يكون بحضرتك مما النظر فيه للامة صلاح، فانك بذلك محقوق، وهو عليك واجب، والسلام».

وكتب الامام لابن عباس: «قد بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت ربك. واخزيت امانتك، وخنّت المسلمين، بلغني انك جردت الارض، واكلت ما تحت يديك، فارفع الي حسابك، واعلم ان حساب الله اشد من حساب الناس. والسلام».

فكتب ابن عباس: «ان الذي بلغك عني باطل، واني لما تحت يدي اضبط واحفظ فلا تصدق علي الأضناء، والسلام».

فكتب له الامام عليه السلام: «انه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما اخذت، من الجزية؟ ومن اين اخذته، وفيما وضعت ما انفقت منه، فاتق الله فيما أئتمنت عليه، واستر عيتك حفظه، فان المتاع بما انت رازيء منه قليل وتباعه ذلك شديد. والسلام».

فلما رأى ابن عباس ان الامام لا يعفيه كتب اليه: «قد فهمت تعظيمك علي

مرزأة مال بلغك اني رزأته من اهل هذه البلاد، ووالله لان القى الله بما في بطن هذه الارض من عقيانها ولجينها وبطلاع ما على ظهرها احب الي من ان القاه وقد سفكت دماء الأمة لأنال بذلك الملك والامارة، فابعث الى عملك من احببت، فاني ضاعن عنه، والسلام».

قال البلاذري والطبري:^(١)

«ولما اراد ابن عباس الخروج، دعا اخواله من بني هلال بن عامر ليمنعوه فجاء الضحاك بن عبدالله الهلالي، وهو كان على شرطة البصرة، وعبدالله بن رزين الهلالي، وقبيصة بن عون الهلالي وغيرهم من الهلاليين فقال الهلاليون: لا غناء بنا عن اخواننا من بني هوازن، ولا غناء بنا عن اخواننا من بني سليم، فاجتمعت قيس كلها، وصحب ابن عباس أيضاً سنان بن سلمة بن المحيق الهذلي، والحصين ابن ابي الحر العنبري، والربيع بن زياد الحارثي، فلما رأى عبدالله من معه حمل المال وهو ستة الاف الف في الغرائر^(٢) ثم سار، واتبعه اخماس البصرة كلهم فلحقوا^(٣) على بالطف على اربع فراسخ^(٤) من البصرة، ارادة اخذ المال منه، فقالت قيس: والله لا يصلون اليه ومنا عين تطرف. فقال صبرة بن شيبان بن عكيف الحداني وهو رأس الازد يا قوم ان قيسا اخواننا وجيراننا في الدار، واعواننا على العدو، ولو رد عليكم هذا المال كان نصيبكم منه الاقل فانصرفوا. وقالت بكر بن وائل: الرأي والله ما قال صبرة بن شيبان، واعتزلوا ايضاً، فقالت بنو تميم: والله لنقاتلهم عليه. فقال لهم الاحنف: انتم والله احق ان لا تقاتلونهم، وقد ترك قتالهم من هو ابعد منهم

(١). انساب الاشراف ١٧١/٢ - ٤. تاريخ ١٤٢/٥.

(٢). جمع غرارة وهي الجوالق التي يوضع فيها التين. ابن منظور: لسان العرب ٣٢١/٦.

(٣). وهي ما اشرفت من ارض العرب على العراق، وسمي لقربه من الريف. انظر: الزمخشري:

كتاب الامكنة ص ١٢٥ الحموي: معجم البلدان ٣٥/٤ - ٣٦. الحميري: الروض ٣٩٦.

(٤). الفرسخ هو ثلاثة اميال أو ستة. ابن منظور: لسان العرب ١٠٧٢/٢ - ٤. ماده (فرسخ).

رحما. فقالوا: والله لنقاتلهم عليه. فقال الاحنف: والله لا اساعدكم وانصرف عنهم. فرأسوا عليهم رجلا يقال له ابن المجاعة وهو من بني تميم، فحمل عليهم الضحاك بن عبدالله الهلالي فطعن ابن المجاعة فصرعه، وحمل سلمة بن ذؤيب على الضحاك فطعنه، فاعتنقه عبدالله بن رزين الهلالي فسقطا الى الارض يعتركان... وكثرت الجرحى بينهم، ولم يقتل من الفريقين احدا فقال من اعتزل من الاخماس: والله ما صنعت شيئا حيث اعتزلتموهم، وتركتموهم يتناحرون فجاءوا حتى صرفوا وجوه بعضهم عن بعض، وحجزوا بينهم، وقالوا لبني تميم: والله لنحن اسخى انفسا منكم، وتركنا لبني عمكم شيئا انتم تقاتلونهم عليه، فخلوا عن القوم، وعن ابن اختهم، ففعلوا ذلك... ومضى عبدالله بن عباس ومعه وجوههم نحو من عشرين سوى مواليتهم ومواليه، ولم يفارقه الضحاك بن عبدالله، وعبدالله بن رزين حتى وافاه مكة.. وكان ابن عباس يعطي في طريقه من سأله ومن لم يسأله من الضعفاء حتى قدم مكة. ويقال انه كان استودع حصين بن الحر مالا فاداه اليه. قالوا: ولما قدم ابن عباس مكة ابتاع من حبيبة مولى بني كعب من خزاعة ثلاث مولدات حوراء وفتور وشادن بثلاثة الاف دينار. فكتب اليه علي بن ابي طالب عليه السلام: «أما بعد، فاني كنت اشركتك في امانتي ولم يكن في اهل بيتي رجل...». نص الكتاب الذي ذكرناه في صدر الموضوع. ثم اشار البلاذري لرد ابن عباس ثم رد الامام عليه الذي ذكرناه سابقا.^(١)

فيما يرى اخرون ان ابن عباس لم يغادر البصرة حتى صلح الحسن، فذهب الى الكوفة، وشهد الصلح ثم رجع الى البصرة فحمل اثقاله، ومالا قليلا من بيت المال ادعى بانها ارزاقه.^(٢)

(١). انساب الاشراف ١٧٤/٢ - ١٧٦.

(٢). البلاذري: انساب الاشراف ١٧٦/٢. الطبري: تاريخ ١٤٣/٥.

وقد ذكر ابو الفرج انه بعد تخاذل عبيد الله بن عباس^(١) وميله لمعاوية - وكان قائد جيش الحسن الموجه لحرب معاوية - قام قيس بن عباد^(٢) خطيباً في اصحابه قائلاً: ايها الناس، لا يهولنكم ولا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع أي الجبان، ان هذا واباه واخاه لم يأتوا بيوم خير قط، ان اباه عم الرسول ﷺ خرج يقاتله ببدر فاسره ابو اليسر كعب بن عمرو الانصاري^(٣) فأتى به رسول الله ﷺ، فاخذ فداه فقسمه بين المسلمين وان اخاه وياه علي امير المؤمنين علي البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين فاشترى به الجواري وزعم ان ذلك له حلال. وان هذا وياه اليمن فهرب من بسر بن ارطأة وترك ولده حتى قتلوا، وصنع الان هذا الذي صنع»^(٤).

تجدد الاشارة الى ان عبدالله بن عباس كان ذا علاقة وثيقة جداً بالامام علي عليه السلام الى درجة انه يعتبر تلميذ الامام علي عليه السلام، ولما سئل عن مقدار علمه من علم الامام علي عليه السلام، فاكد ان نسبة علمه الى علم الامام علي عليه السلام كالقطرة الى البحر المحيط،^(٥) وكان ابن عباس الناطق باسم الهاشميين جميعاً، والامام علي عليه السلام خاصة في مناظراته مع الخليفتين عمر بن الخطاب (رض)،^(٦) وعثمان بن عفان (رض)،^(٧) حيث تظهره الروايات بمظهر المدافع والمثبت لحق الهاشميين في الامامة. ولما تولى الامام الخلافة كان لابن عباس دور مشهور في احداث

-
- (١). انظر ترجمته ابن عبد البر: الاستيعاب ١٠٠٩/٣. ابن حجر: الاصابة ٤٣٧/٢ - ٨.
 - (٢). من اشد اصحاب الامام اخلاصاً له. الشرح ٥٧/٦ - ٦٥. وانظر ابن عبد البر: الاستيعاب ١٢٨٩/٣ - ١٢٩٣. ابن حجر: الاصابة ٢٤٩/٣.
 - (٣). انظر ترجمته: ابن حجر: الاصابة ٣٠٠/٣.
 - (٤). مقاتل الطالبين ص ٤٢.
 - (٥). الشرح ١٩/١.
 - (٦). الشرح ٢٠/١٢ - ٤٦، ١ - ٥٠، ٥٥ - ٧٨، ٨٢. وانظر اخبار العباس، ص ٣٣، ١٢٨ - ٩.
 - (٧). البلاذري: انساب ١٦/٥ - ٧. اليعقوبي: تاريخ ١٤٦/٢ - ٧. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١١٩/٣ - ٢٠. الجويني: فرائد ٢٣٤/١ - ٦.
 - (٧). الشرح ٨/٩ - ٢٢.

خلافته، فهو رسول الامام الى كل من طلحة والزبير (رض)،^(١) ثم ام المؤمنين عائشة (رض)،^(٢) وبعد نهاية معركة الجمل اصبح والياً على البصرة للامام،^(٣) و اشار الطبري^(٤) انه تولاها طيلة ايام خلافة الامام عليه السلام، واذا ما طلبه الامام فكان يعين بدله والياً من قبله. وان الامام قد عين على قضاء البصرة وبيت المال ابا الاسود الدؤلي.

اما في معركة صفين، فمسألة وجوده فيها معروفة، فكان هو الذي اشار على الامام ان يكون ممثله في التحكيم، الا ان الاشعث واصحابه لم يوافقوا عليه قائلين للامام: كأنك تبعث نفسك، اذ لا يجدون فرقاً بين الامام، وابن عباس، وكان ضمن الوفد الذي ارسل للتحكيم برئاسة ابي موسى الاشعري وانه كان ينصح ابا موسى ويحذره من مكيدة عمرو بن العاص.^(٥)

ثم كان رسول الامام عليه السلام الى الخوارج، حيث اوصاه بان يناظرهم بالقرآن لا بالسنة وقد اوضحنا ذلك من قبل. وبعد ذلك عاد ابن عباس الى البصرة.

وفي سنة ٣٨ هـ تمت لمعاوية السيطرة على مصر وتم تسليمها الى عمرو بن العاص حسب الاتفاق المبرم، وقد قتل واليها، من قبل الامام محمد بن ابي بكر،^(٦) والواضح من الروايات ان الامام خص ابن عباس باهتمام كبير اذ كتب له رسالة يخبره بمقتل محمد بن ابي بكر موضحاً اثر ذلك في نفس الامام. مما دعا ابن عباس لاعادة الجواب معزياً الامام بقتل محمد الذي هو ابن الامام من صلب ابي

(١). الشرح ١٦٦/٢ - ١٧٠.

(٢). الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ٢١٥ - ٦. مؤلف مجهول: اخبار العباس وولده ١٢٥ - ١٢٧. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٢٨/٤ - ٩.

(٣). الطبري ٥٤٣/٤.

(٤). تاريخ ١٣٢، ٩٣/٥، ١٥٥.

(٥). الشرح ٢٤٦/٢ وانظر: مؤلف مجهول: اخبار العباس ص ٣٦ - ٧. الطبري: ٥١/٥، ٦٧، ٧٠ - ٧١. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٢ - ٣.

(٦). الشرح ٦٥/٦ - ١٠٠. وانظر: الطبري: تاريخ ٩٤/٥ - ١٠٥.

بكر،^(١) ولم يكتب ابن عباس بذلك بل سار الى الكوفة بنفسه لتعزية الامام تاركاً زياد بن ابيه في البصرة لادارة شؤونها، فاستغل انصار معاوية ذلك فارسلوا الى معاوية يدعونه لاستغلال الفرصة، فارسل معاوية ابن الحضرمي مما دعا زياداً لمراسلة ابن عباس الذي اطلع امير المؤمنين عليه السلام وهنا لانجد الروايات تشير لاي دور لابن عباس، فهو لم يرجع الى البصرة بل ان الامام عليه السلام كان يكتب زياد، وزياد يشرح له الحال وارسل الامام من جانبه رسولين لمعالجة الوضع حتى تم قتل ابن الحضرمي بجهود زياد.^(٢)

وفي نفس السنة ٣٨ هـ خرج الخريت بن راشد في بني ناجية^(٣) على سلطة الامام وتشير الروايات ان ابن عباس كان والياً على البصرة، فكتب له الامام عليه السلام بان يرسل من قبله رجلاً صليماً ومعه الفتي رجل لمساندة قائد الامام معقل بن قيس الذي تمكن من تصفية تمرد الخريت.^(٤) وكان معقل قد اسرو سبى اناساً كانوا على دين النصرانية فاشتراهم والي الامام مصقلة بن هبيرة واعتقهم، فطالبه الامام بالمال، فجاء مصقلة الى البصرة، فطالبه ابن عباس بالاموال، لان عمال البصرة كانوا يحملون الاموال لابن عباس الذي يقوم بدوره بحمل الاموال الى الامام عليه السلام، وثم سيره للامام علي عليه السلام.^(٥)

واشار الطبري ان خلافة الامام علي عليه السلام واجهت تحدياً واضطرابات داخلية بعد معركة النهروان في بلاد فارس حيث اخرجوا والي الامام سهل بن حنيف فاشار ابن عباس على الامام بأن يرسل زياد بن ابيه، حيث يقول: فقال ابن عباس لعلي عليه السلام اكفيك فارس بزياد، فأمره علي ان يوجهه اليها، فقدم ابن عباس

(١). الشرح ٥٣/٦، ٩٢-١٦٠، ١٤٥/١٦، الطبري: تاريخ ١٠٩/٥. ابي هلال: الغارات ص ١٩٦.

(٢). الشرح ٣٤/٤-٥٣. وانظر الطبري ١١٠/٥-١١٣. ابي هلال: الغارات ٢٥٥-٢٨٤.

(٣). الشرح ١٢٧/٣-١٤٨. وانظر الطبري ١١٣/٥-١٢٩. ابي هلال: الغارات ٢١٩-٢٤٥.

(٤). الشرح ١٣٦/٣. وانظر الطبري ١٢١/٥.

(٥). الشرح ١٤٣/٣-١٤٨. وانظر الطبري ١٢٩/٥.

البصرة ووجه ابن زياد الى فارس في جمع كثير تمكن من تصفية التمرد في سنة ٣٩ هـ^(١)

واوضح الطبري ان ابن عباس في سنة ٣٩ هـ لم يكن في البصرة «كان شخص عن عمله بالبصرة، فاستخلف زياداً على الخراج، وابا الاسود على القضاء»^(٢) ولكن الطبري لم يوضح سبب شخوص ابن عباس وربما طلبه الامام للمشاورة في امر الاضطرابات في بلاد فارس وغيرها.

ثم تأتي السنة الاخيرة من خلافة الامام عليه السلام ٤٠ هـ وهي السنة التي اشارت الروايات لاخذ ابن عباس اموال البصرة، والتي ادت لتلك المراسلات الشديدة اللهجة بين الطرفين، والتي لا تناسب علاقتهما مع بعضهما البعض، وتترك الروايات هذه العلاقة بهذا الوضع السلبي دون ان تضع لها نهاية، لكننا نجد روايات ابو الفرج توضح انه بعد استشهاد الامام علي عليه السلام كان ابن عباس ممن غسل الامام،^(٣) ورثاه،^(٤) ودعا الى بيعة الحسن،^(٥) وقد يكون هذا تصحيفاً وربما الذي قام بذلك هو اخوه عبيد الله، لأننا نجد ابن عباس يكتب رسالة الى الامام الحسن يدعوه للقيام بالامر^(٦) ورسالته فيها دلالة على ان ما جاء في الرسائل المتبادلة بين الامام وابن عباس امر مبالغ فيه، واوضحت الروايات ان معاوية لما تولى الخلافة كتب لابن عباس برسالة يهدده، فرد عليه ابن عباس برسالة مماثلة.^(٧)

واشار ابو الفرج ان معاوية دس جواسيساً في خلافة الحسن الى الكوفة

(١). الطبري: تاريخ ١٢٢/٥، ١٣٧.
 (٢). الطبري: تاريخ ١٣٦/٥، الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ٢٣.
 (٣). الشرح ١٢٢/٦.
 (٤). الشرح ٢٥/٦ - ١٢٦.
 (٥). الشرح ٢٢/١٦ - ٢٣، ٣٠ - ٣١.
 (٦). الشرح ٢٣/١٦ - ٢٤.
 (٧). الشرح ١٦/١٥٤.

والبصرة، فقبض على الجواسيس، وكتب ابن عباس من البصرة الى معاوية يندد بفعله هذا.^(١)

وذكر الطبري ان ابن عباس شخص الى الكوفة وشهد الصلح بين الحسن ومعاوية ثم رجع للبصرة، فحمل اثقاله، وبعضاً من مال بيت المال وارتحل للحجاز.^(٢)

وهنا نطرح الحثيات التالية:

اولاً: ما طبيعة العلاقة بين ابي الاسود الدؤلي وابن عباس؟ ان الوقوف عليها قد يكون فيه اضاءة للموضوع؟ وهذا ما لم نجده.

ثانياً: ما هي ميول رواة تلك المراسلات وخروج ابن عباس وترك ولايته؟

ثالثاً: ان من يقرأ الالفاظ التي تبودلت بين الامام وابن عباس سيجد أنها لا

تتطابق مع تلك العلاقة الودية والحميمة وذلك الاعتقاد الذي يحمله ابن عباس للامام علي عليه السلام.

فهل يعقل ان يكتب ابن عباس للامام: «والله لان القى الله بما في هذه

الارض من عقيانها ولجينها وبطلاع من على ظهرها احب الي من ان القاه وقد

سفكت دماء الامة لانال بذلك الملك والامارة».

اذا كان ابن عباس يرى هذا الرأي، فلماذا نجده العضد الايمن للامام في

معاركه الثلاثة، وفي مناظراته مع خصوم الامام كان يحاول بما اوتي من قوة

جدال اثبات صحة مواقف الامام وامامته والتأكيد على خطأ خصومه ولذلك نجد

الامام يرشحه ليمثله في التحكيم، ويرسله للخوارج، ومن قبل الى طلحة والزبير

وام المؤمنين، وكل ذلك يشير الى مدى الثقة التي يكنها الامام لابن عباس.

(١). الشرح ٣٢/١٦. ابو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٣٤.

(٢). تاريخ ١٤٣/٥.

ثم ان ابن عباس يجعل سر حروب الامام هو الوصول الى الحكم والملك، وهذا امر لم يفعله خصوم الامام، فاني لأبن عباس ان يعتقدده، واذا كان الامام يريد الوصول الى الحكم بأية طريقة، ولو بسفك الدماء، فما به رفض شرط عبدالرحمن بن عوف وهو يقول له: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين.^(١)

وقد علق المحمودي على ذلك قائلاً: «الظاهر ان هذا الكتاب وضعه بعض اتباع الاموية كي يكثروا سواد معاوية وامثاله ممن باع الاخرة بالدنيا، واذهب طبيباته في نيل الارذل والادنى، ويلقوا في روع الناس واذهانهم ان حروب امير المؤمنين وقيامه بالامر، لم تكن دينية، وانما كانت دنيوية محضة كي ينفرد بالملك وينال السلطة والرئاسة وكيف يمكن ان يكتب ابن عباس هذا الى امير المؤمنين ويعتقده مع احتجاجاته الكثيرة على النواصب والخوارج مشحونة بتبرير عمل امير المؤمنين عليه السلام، وانه كان في جميع اعماله على الحق وأن اعداءه على الباطل».^(٢)

ثم كتب الامام لابن عباس «فلما رأيت الزمان على ابن عمك كلب... الى نهايته» فيه من المبالغات مما لا يتناسب مع شخصية الامام ونظرة لابن عباس، منها قوله «فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم، فأنك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لأعذرن الى الله فيك، ولاضربنك بسيفي هذا الذي ما ضربت احدا الا دخل النار».

هب ان ابن عباس اخذ الاموال فهل عقوبته القتل، ثم ان الروايات، لا تشير لاعادة ابن عباس الاموال، فهل هذا يعني ان الامام يقول بان ابن عباس من اهل النار!؟

(١). الطبري ٤/٢٣٢، ٢٣٨.

(٢). البلاذري: انساب الاشراف ٢/١٧١ هـ ٣ (المحقق).

رابعاً: ان طريقة خروج ابن عباس من البصرة حسبما توضحه الروايات، تشير الى سلوك غير طبيعي لا يتناسب مع ابن عباس، وانه طلب حماية الاخرين للخروج، واذا فهو مقتنع بان تصرفه غير صحيح، ولذا طلب معونة الاخرين من اخواله، وقد بالغت الروايات في امر المال المأخوذ وهو ستة ملايين، دون ان تحدد دراهم او دنانير، وهذا شيء لا يمكن ان يقع من ابن عباس، ولم تترك الروايات خروج ابن عباس حتى جعلته وكأنه رغباً على اهل البصرة وبالقوة، رغم محاولات بني تميم الحيلولة دون ذلك.

خامساً: لماذا تصور الروايات ان بني تميم فقط اخذوا موقفاً متشدداً من ابن عباس فهل هذا يعود لتشده مع بني تميم أبان ولايته الى درجة ان كتب له الامام ينهاء عن ذلك لان بني تميم كلما غاب منهم نجم ظهر لهم آخر حسب تعبير الامام.^(١)

سادساً: لم تترك الروايات ابن عباس وامواله دون ان تحدد موارد صرفها والتي لم تتجاوز (الجوارى)، وكأن الروايات تريد ان تؤكد على دنيوية ابن عباس وميله للنساء، فأشارت لاسماء الجوارى (حوراء وفنور وشادن) الا انها لم تشر الا الى صرف ثلاثة الاف دينار فقط.

سابعاً: تجدر الاشارة الى ان معاوية كان يفتعل الكتب، وينشر الاخبار غير الصحيحة على السن اصحاب الامام في محاولة منه اما لجذبهم اليه او تشويه سمعتهم، او لادخال الشك في نفس الامام منهم، كما فعله مع قيس بن سعد،^(٢) والاشتر، وغيرهما، اذن ياترى ما باله لم يوظف هذا الشرخ الكبير الذي ظهر من ابن عباس خاصة وان ابن عباس هو الساعد الايمن للامام عليه السلام فاننا لم نجد أي اشارة لا في خلافة الامام ولا بعده، ونحن نعلم بان ابن عباس كان لسان

(١).الشرح ١٥/١٢٥.

(٢).الشرح ٦١/٦٢-٦٢.

الهاشميين في مجلس معاوية^(١) ولم يتردد يوماً في الثناء على الامام والظعن على معاوية بل الاكثر من ذلك ان معاوية اشرك ابن عباس في اللعن مع الامام والحسن والحسين عليهم السلام وجعل ابن عباس رابعهم^(٢).

ثامناً: ان رسالة ابن عباس للامام الحسن عليه السلام بعد استشهاده^(٣) الامام علي عليه السلام، توضح ان عباس كان يحمل ذلك الاعتقاد الراسخ والمعروف عن الامام، خاصة وان رسالته جاءت بعد اشهر من مسألة اخذ الاموال ان صحت.

تاسعاً: اتنا لا نستبعد ان يكون ابن عباس قد اخذ الاموال، فهو ليس معصوماً من الخطأ، ولا نستبعد موقف الامام هذا، فالمعروف عنه عليه السلام شدته في تطبيق الاحكام، ولو كان مع اقرب المقربين اليه، كأولاده مثلاً، ولكن هل ان غلظة الامام وشدته على ولاته توجب عليهم مفارقتة، فلماذا لم يفارقه عثمان ابن حنيف واليه على البصرة الذي حاسبه على استجابته لمأدبة طعام،^(٤) وقاضيه شريح القاضي الذي ندد به لشراءه داراً بثمانين ديناراً^(٥) اذن اذا كان الامام قد تشدد مع ابن عباس وهذا ما لا نستبعده فهذا لا يعني انه قد فارق الامام.^(٦)

ان قراءتنا لما جاء لدى اليعقوبي حول هذه المسألة التي اطلنا الحديث فيها تعطينا انطباعاً الى أي مدى بولغ في هذه المسألة؟ ولماذا بولغ؟ فلنقرأ ما جاء لدى اليعقوبي: «وكتب ابو الاسود الدثلي (كذا) كان خليفة عبدالله بن عباس بالبصرة الى علي عليه السلام يعلمه ان عبدالله اخذ من بيت المال عشرة الاف درهم فكتب اليه يأمره بردها فامتنع، فكتب يقسم له بالله لتردنها، فلما ردها عبدالله او رد اكثرها،

(١). الشرح ٢٩٨/٦ - ٣٠٤. وانظر: البيهقي: المحاسن والمساويء ص ٨٨ - ٩١.

(٢). الشرح ١٣٧/٦ الطبري: ٧١/٥.

(٣). الشرح ٢٣/١٦ - ٢٤.

(٤). الشرح ٢٠٥/١٦ وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٧١٩/٢.

(٥). الشرح ٢٧/١٤ - ٢٨.

(٦). انظر ميثم البحراني: شرح نهج البلاغة ٩٠/٥.

كتب اليه علي عليه السلام: «اما بعد فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليذكره، فما اتاك من الدنيا، فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها، فلا تكثر به جزعاً، واجعل همك لما بعد الموت، والسلام». فكان ابن عباس يقول: ما اتعظت بكلام قط اتعاضي بكلام امير المؤمنين^(١).

والظاهر ان ابن عباس كان يعتقد ان له الحق في أخذ المال ولا ندري بالضبط ما هو طبيعة اعتقاد ابن عباس هذا، حيث نجده يبرر للإمام أسباب اخذه المال بقوله: «ان حقي في بيت المال لا عظم مما اخذت»^(٢) فهل اعتقاد ابن عباس من باب العاملين عليها؟ ام من باب ذوي القربى؟ ام شيء آخر؟

هذا التخاذل من اصحاب الامام دفع معاوية لاستغلال الفرصة ومهاجمة عدد من الولايات اثاره للشغب والفتنة، كما فعل في ارساله دعاة الى مكة يدعون الى طاعته، وتشبيط الناس عن نصره امير المؤمنين عليه السلام ويوقعون في انفسهم انه قاتل لعثمان او خاذل، وان الخلافة لا تصلح فيمن قتل او خذل، وينشرون عندهم محاسن معاوية واخلاقه وسيرته، فكتب الامام عليه السلام لعامله على مكة قثم بن العباس^(٣) ينبهه لذلك ليعتمد فيه ما تقتضيه السياسة.^(٤)

وبعد معركة النهروان اراد الامام السير باصحابه صوب الشام اثر فشل التحكيم ولكنهم تقاعسوا وتخاذلوا، وعادوا للكوفة فلما علم معاوية بذلك ارسل الضحاك بن قيس^(٥) للاغارة على نواحي الكوفة، فتمكن من نشر الخوف، فدعا

(١). التواريخ ١٩٣/٢، وانظر ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٣٢٧. ابن الاثير: المثل السائر ١/٣٩٤. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٥. محب الدين: الرياض ٢/٢٩٥.
(٢). البلاذري: انساب الاشراف ٢/١٧٥.
(٣). انظر ترجمته ابن الاثير: اسد الغابة ٤/١٩٧ - ٨ ابن حجر: الاصابة ٣/٢٦٦ - ٧.
(٤). الشرح ١٦/١٣٨ - ١٣٩.

(٥). هو من خواص معاوية حيث شارك في صفين وتوالى الكوفة في ايامه ثم صلى على معاوية بعد وفاته واصبح صاحب شرطة يزيد ثم قتل في مرج راهط بعد وفاة يزيد. الطبري: ١٢/٥، ٧١، ٩٨، ١٣٥، ٢٩٨، ٣٠٠ - ٣٠٩ - ٣٢٢ - ٣٢٧ - ٥٣٠ - ٧.

الامام اصحابه للخروج لكنهم تناقلوا وخرج اخيراً حجر بن عدي الذي اضطر الضحاك للهرب.^(١)

وبعدها ارسل معاوية - النعمان بن بشير الانصاري^(٢) الى عين التمر^(٣) فاستصرخ الامام اصحابه للخروج لنجدة واليها مالك بن كعب الارجبي^(٤) دون جدوى، ولكن سالك تمكن بعد ذلك من صد غارة النعمان الذي عاد دون ان يحقق اهدافه.^(٥)

ومن الغارات التي ارسلها معاوية مستغلاً تخاذل اصحاب الامام، غارة سفيان بن عوف الغامدي^(٦) على الانبار، الذي تمكن من دخولها وقتل اميرها وحمل اموالها. ورغم دعوة الامام اصحابه الا انه لم يجد نفعاً وسار بعد ذلك سعيد بن قيس الذي لم يدرك سفيان.^(٧)

ثم كان فتح مصر ومقتل محمد بن ابي بكر على يد عمرو بن العاص والمعروف ان مصر هي الشرط الذي اشترطه عمرو مقابل دخوله مع معاوية الصراع مع الامام علي عليه السلام، فتمكن من اثاره الشغب في مصر، ثم دخولها، ومقتل

(١). الشرح ١١٣/٢ - ١٢٥. وانظر اليعقوبي: تاريخ ١٢/٢ - ١٨٢. الطبري: تاريخ ١٣٥/٥.

(٢). هو اول مولود للانصار في الاسلام بعد الهجرة، وهو الذي حمل قميص عثمان مخضباً بدمه الى معاوية، وقد تولى الكوفة لمعاوية ويزيد، ثم عزل ايام يزيد في امر الحسين عليه السلام وقتل بعد وفاة يزيد. الطبري ٤٠١/٢، ٤٣٠/٤، ٥٦٢، ١٣٣/٥، ٤، ٣١٥، ٣٣٨، ٣٥٩، ٤٦٢، ٤٨١، ٥٣١، ٥٣٩.

(٣). حصن في العراق افتتحه خالد بن الوليد وهو قريب من الانبار. الهمداني: مختصر كتاب البلدان ص ١٣٥، ١٦٥ الحموي: معجم البلدان ١٧٦/٤ - ١٧٧. الحميري: الروض ص ٤٢٣.

(٤). من اهل الكوفة شارك في القادسية وشهد صفين مع الامام علي ثم تولى له عين التمر. الطبري: تاريخ ٩/٤، ٥٤/٥، ١٠٧، ٨ - ١٣٣.

(٥). الشرح ٣٠١/٢. وانظر اليعقوبي: تاريخ ١٨٢/٢. الطبري ١٣٣/٥ - ٤. ابي هلال: الغارات ص ٣١١ - ٧.

(٦). انظر ترجمته. الطبري: تاريخ ١٣٤/٥، ٢٣٤. الحاكم: المستدرک ٥٠٥/٣.

(٧). الشرح ٨٥/٢ - ٩٠. وانظر الطبري: تاريخ ١٣٤/٥.

واليها محمد بن ابي بكر^(١) وكان الامام قد ولى مصر اولاً قيس بن سعد ثم عزله وولى محمد بن ابي بكر، فاثار عزله انتقاداً لسياسة الامام، فاجاب عنه بن ابي الحديد قائلاً: «ان ليس من الممكن ان يقال: ان محمد رحمه الله لم يكن باهل لولاية مصر، لأنه كان شجاعاً زاهداً فاضلاً، صحيح العقل والرأي، وكان مع ذلك من المخلصين في محبة امير المؤمنين عليه السلام، والمجتهدين في طاعته، وممن لا يتهم عليه ولا يرتاب بنصحه وهو ربيبة وخريجه، ويجري مجرى اولاده عليه السلام، لتربيته له واشفاقه عليه».^(٢)

واضاف: «كان المصريون على غاية المحبة له، والايثار لولايته، ولما حاصروا عثمان، وطالبوه بعزل عبدالله بن سعد بن ابي سرح عنهم، اقترحوا تامير محمد بن ابي بكر عليهم. فكتب له عثمان بالعهد على مصر وصار مع المصريين حتى تعقبه كتاب عثمان الى عبدالله بن سعد في امره وامر المصريين بما هو معروف.^(٣) فعادوا جميعاً، وكان من قتل عثمان ما كان، فلم يكن ظاهر الرأي ووجه التدبير الا تولية محمد بن ابي بكر على مصر لما ظهر ميل المصريين اليه، وايثارهم له، واستحقاقه لذلك بتكامل خصال الفضل فيه، فكان الظن قوياً باتفاق الرعية على طاعته وانقيادهم الى نصرته واجتماعهم على محبته فكان من فساد الامر واضطرابه عليه حتى كان ما كان».^(٤)

واردف قائلاً: «ليس ذلك بعيب على امير المؤمنين عليه السلام، فأن الامور انما

(١). الشرح ٦/٦٥ - ١٠١/١٦٦/١٤٢ - ١٤٣ - وانظر الطبري ٥/٤ - ١٠٥. ابو هلال:

الغارات ص ١٨٤ - ٧.

(٢). الشرح ١٠/٢٤٨ - ٢٤٩.

(٣). اشارة الى الكتاب المفتعل على الخليفة عثمان بقطع ايدي وارجل المصريين الشرح.

٢/١٤٩ - ١٥١. البلاذري: انساب ٥/٦٥ - ٧. الطبري: تاريخ ٤/٣٧٣. الجهشيارى: الوزراء

الكتاب ص ٢١ - ٢٢.

(٤). الشرح ١٠/٢٤٩.

يعتمدها الامام علي حسب ما يظن فيها من المصلحة، ولا يعلم الغيب الا الله تعالى، وقد ولي رسول الله ﷺ في مؤته جعفرأ فقتل، وولي زيدا فقتل، وولي عبدالله بن رواحة فقتل، وهزم الجيش، وعاد من عاد منهم الى المدينة باسوء حال، فهل لاحد ان يعيب رسول الله ﷺ بهذا ويطعن في تدييره». (١)

واستغل انصار معاوية في البصرة غياب والي البصرة - عبدالله بن عباس - الذي ذهب للكوفة لتعزية الامام بمقتل محمد بن ابي بكر - فكتبوا للمعاوية، الذي ارسل - ابن الحضرمي - لاثارة البصرة ضد الامام، الا انه اخفق في تأدية مهمته حيث قتل». (٢)

واقضع الغارات التي ارسلها معاوية هي غارة - بسر بن ارطاة - على المدينة ومكة والطائف، واليمن، وكانت في السنة الاخيرة من خلافة الامام عليه السلام، حيث تشير الروايات لعدد كبير من القتلى الذي طال حتى الاطفال (٣) وادخل الرعب والخوف في قلوب الناس، وقد وصف ابن ابي الحديد علاقة بسر بمعاوية: «كان مسلم بن عقبة ليزيد، وما عمل بالمدينة في وقعة الحرة (٤) كما كان بسر لمعاوية، وما عمل بالحجاز واليمن، ومن اشبه اباه فما ظلم» (٥) (٦)

ومع حالة التخاذل هذه، والتي نجم عنها التصعيد الذي قام به معاوية من شن الغارات على الولايات الموالية للامام، لكن الامام عليه السلام لم يتخل عن فكرة ضم بلاد الشام وأعادتها الى حضيرة الدولة، لذا تشير الروايات انه في اواخر

(١). الشرح ٢٤٩/١٠.

(٢). الشرح ٣٤/٤ - ٥٣. ابي هلال: الغارات ص ٢٥٥ - ٢٨٤.

(٣). انظر قصة طفلي عبيد الله بن عباس. الشرح ١٣/٢ الطبري: تاريخ ١٤٠/٥.

(٤). وقعت في ايام يزيد بن معاوية في اهل المدينة لما رفضوا بيعته، انظر تفاصيلها: الطبري: التاريخ ٤٨٢/٥ - ٤٩٤.

(٥). أي لم يضع الشيء في غير موضعه. الميداني مجمع الامثال ٣٠٠/٢.

(٦). الشرح ٣٤٠/١، ٣٤٠/٢ - ١٨. وانظر اليسعقوبي ١٨٤/٢ - ١٨٧. الطبري: تاريخ

١٣٩/٥ - ٤٠. ابي هلال: الغارات ص ٤٠٤ - ٤٢٨.

٤٠٢..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

خلافته تمكن من اعداد جيش كبير لاستعادة الشام، الا ان استشهاده المفاجيء حال دون ذلك.^(١)

ان اعداد هذا الجيش فيه دلالة على ان ما تشير اليه بعض الروايات من ان الامام علي عليه السلام هادن معاوية ان يكون العراق له، والشام لمعاوية^(٢) ليس له من الصحة شيء.

(١). الشرح ٢/٩٠، ٧/٩٣ - ٤. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٤/٢٤٢ - ٢٤٣.

(٢). الطبري: تاريخ ٥/١٤٠.

الفصل الخامس

الامام علي عليه السلام مصدر للفكر العربي الاسلامي

المبحث الاول

كانت تربية الامام علي عليه السلام في بيت الرسالة البداية لتفتح ذهنيته وقدرتها على استيعاب حقائق الكون واسراره وبعد الهجرة المباركة حيث كان عليه السلام مخصوصاً بخلوات يخلو بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، لا يطلع احد من الناس على ما يدور بينهما، وكان عليه السلام كثيراً ما يسأل النبي صلى الله عليه وآله عن معاني القرآن ومعاني كلامه صلى الله عليه وآله واذا لم يسأل ابتدأه النبي صلى الله عليه وآله بالتعليم والتثقيف،^(١) وروي انه قال: «كنت اذا سألت رسول الله اعطاني، واذا سكت ابتدأني».^(٢)

ولم يكن احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله كذلك، اذ كانوا اقساماً:

١. منهم من يهاب الرسول صلى الله عليه وآله ان يسأله وهم الذين يحبون ان يأتي الاعرابي او الطاريء فيسأله وهم يسمعون.
٢. منهم من كان بليداً بعيد الفهم قليل الهمة في البحث والنظر.
٣. منهم من كان مشغولاً عن طلب العلم.

(١). الشرح: ٤٨/١١.
(٢). الترمذي: الصحيح ١٧٠/١٢. ١٧٥ الحاكم: المستدرک ١٢٥/٣. ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٤٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٧٠.

٤. منهم المعاني اما بعبادة او دنيا.
 ٥. منهم المقلد الذي يرى ان فرضه السكوت وترك السؤال.
 ٦. منهم المبغض الشانئ الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه.^(١)
- واضيف الى اختصاص الامام علي عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم «ذكاءه وفطنته، وطهارة طينته واشراق نفسه وضوئها، واذا كان المحل قابلا متهيئا، كان الفاعل المؤثر موجودا، والموانع مرتفعة، حصل الاثر على اتم ما يمكن فلذلك كان عليه السلام كما قال الحسن البصري رباني هذه الامة، وذا فضلها، ولذا تسميه الفلاسفة: امام الائمة وحكيم العرب».^(٢)
- فكان عليه السلام سيد اهل النظر كافة وامامهم حيث لم يكن عليه السلام مقتصرا على اوائل الادلة في تكليفه بالعقليات، وقد اشاد النبي صلى الله عليه وسلم بمكانته العلمية اذ قال: «انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن اراد المدينة فليأتها من بابها».^(٣)
- ومن هنا كان عليه السلام يؤكد على ضرورة اخذ العلم من مصدره الا وهو نفسه

(١). الشرح ٤٨/١١.

(٢). الشرح ٤٨/١١. وانظر ما جاء لدى جورج جرداق: الامام علي صوت العدالة الانسانية ص ١٠٢-١٠٨.

(٣). الترمذي: صحيح ١٧١/١٢. الملطي: التنبيه والرد ص ٢٥. الطبراني: المعجم الكبير ٥٥/١١. ابن اخي تبوك: مناقب ص ٤٢٧. الحاكم: المستدرک: ١٣٧/٣ - ٨. الخطيب: تاريخ بغداد ٣٧٧/٢، ٣٤٨/٤، ١٧٣/٧، ٤٩/١١، ٢٠٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠٢/٣. ابن الاثير: اسد الغابة ٢٢/٤. البلوي: الف باء ٢٢٢/١. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٤٧-٤٨. النووي: تهذيب الاسماء ٣٤٨/١/١. الكنجي: كفاية الطالب ص ٢٢٠-٣. ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٣٥. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٧٨. الرياض ٢٥٥/٢. الجويني: فرائد السمطين ص ٩٨-١٠٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١٢٣١/٤. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٥٩/٧. الهيثمي: مجمع الزوائد ١١٤/٩. الدميري: حياة الحيوان ٥٥/١. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣٣٧/٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠. الجسامع الصغير ٤٦/٣. المتقي الهندي: كنز العمال ٢٠١/١٢-٢١٢. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٠. المحمودي: ترجمة الامام علي عليه السلام ٤٥٧/٢-٤٩٩.

الشريفة، اذ يقول: «فالتمسوا ذلك من عند اهله فانهم عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق». وهذا القول كناية عن نفسه عليه السلام فكان عليه السلام كثيرا ما يسلك هذا المسلك ويعرض هذا التعريض وهو الصادق الامين العارف بالاسرار الالهية. (١)

ولذا نجده الوحيد الذي تجرأ وقال: «سلوني قبل ان تفقدوني» (٢) فلأنا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض». وقد تأول البعض كلامه عليه السلام هذا «اراد انا بالاحكام الشرعية والفتاوي الفقهية اعلم مني بالامور الدنيوية، فعبر عن ذلك بطرق السماء، لانها احكام الهية، وعبر عن هذه بطرق الارض لانها من الامور الارضية». (٣)

وكان عليه السلام يقول: «نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم، وينابيع الحكم...» أي الحكم الشرعي، فانه وان عنى بها نفسه عليه السلام وذريته، فان الامر فيها ظاهرا جدا كما نجده في حديث الرسول صلوات الله عليه وآله اعلاه «انا مدينة العلم وعلي بابها». وقوله صلوات الله عليه وآله: «اقضاكم علي». (٤) والمعروف ان القضاء

(١). الشرح ١٠٦/٩ - ١٠٧.

(٢). ابونعيم: حلية الاولياء ٦٧/١ - ٨. ابن عبد البر: جامع بيان العلم ١١٤/١. الخوارزمي: المناقب ص ٤٦ - ٤٧. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٢٧. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٩٣. ابن تيمية: منهاج السنة ١٥٩/٤. الجويني: فرائد ٣٤١/١. ابن حجر: الاصابة ٥٠٩/٢. تهذيب التهذيب ٣٣٨/٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧١ - ١٨٥.

(٣). الشرح: ١٠٦/١٣ - ١٠٦.

(٤). ابن سعد: الطبقات ٣٢٨/٢ - ٩. الحاكم: المستدرک ١٤٥/٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠٢/٣. الخوارزمي: المناقب ص ٣٩ - ٤١. الشهرستاني: الملل ٢٢١/١. النووي: تهذيب الاسماء واللغات ٣٤٦/١/١. الجويني: فرائد ١٦٦/١. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٦٠/٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣٣٧/٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠. الهيثمي: الصواعق ص ١٢١.

يستلزم علوماً عدة.^(١)

واشار ابن ابي الحديد^(٢) الى عدد من الايات القرآنية النازلة في حق الامام علي عليه السلام في هذا المجال كقوله تعالى: ﴿وتعيها اذن واعية﴾. قال عليه السلام: سألت الله ان يجعلها اذنك ففعل.^(٣) وقوله تعالى: ﴿ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله﴾. انها نزلت في الامام علي عليه السلام لما خص به من العلم.^(٤) وقوله تعالى: ﴿افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ ان الشاهد هو الامام علي عليه السلام.^(٥) واكد هذا المعنى بعدد من الاحاديث النبوية كقوله عليه السلام لفاطمة عليها السلام: «زوجتك اقدمهم سلماً، واعظمهم حلماً، واعلمهم علماً». وقال عليه السلام: «من اراد ان ينظر الى نوح في عزمه، وموسى في علمه، وعيسى في ورعه، فليتنظر الى علي بن ابي طالب».^(٦)

والى هذا المعنى كان عليه السلام يشير بقوله: «وعندنا (اهل البيت) ابواب الحكم، وضياء الامر». فالحكمة هنا الشرعيات والفتاوى، وضياء الامر هي العقليات والعقائد (وهذا مقام عظيم لا يجسر احد من المخلوقين ان يدعيه سواه عليه السلام، ولو

(١). الشرح: ٢١٨/٧ - ٢١٩.

(٢). الشرح: ٢٢٠/٧ - ٢٣٥/١٨.

(٣). سورة الحاقة: الآية ١٢. الطبري: جامع البيان ٥٥/٢٩. الواحدي: اسباب النزول ص ٢٩٤. الطوسي: التبيان ٩٨/١٠. الزمخشري: الكشاف ٦٠٠/٤. القرطبي: الجامع ٢٦٤/١٨. الخوارزمي: المناقب ص ١٩٩. الكنجي: كفاية الطالب ص ١٠٨ - ٩. ابن تيمية: منهاج السنة ٤٦/٤، ١٤٠. السيوطي: الدر المنثور ٢٦٠/٦.

(٤). سورة النساء: الآية ٥٤. الطوسي: التبيان ٢٢٧/٣ - ٨. محمد الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٠٩.

(٥). سورة هود: الآية ١٧. الطبري: جامع البيان ١٥/١٢. الطوسي: التبيان ٤١٦/٥.

(٦). الشرح: ٢٢٠/٧ - ١٦٨/٩. الخوارزمي: المناقب ٤٠ - ٤١، ٢٢٠. ابن المغازلي: مناقب ص ٢١٢. الكنجي: كفاية الطالب ص ١٢٢. محب الدين: الرياض ٢٩٠/٢. الجويني: فرائد السمطين ١٧٢/١ - ٣. ابن كثير: البداية ٣٥٧/٧. الصفوري: نزهة المجالس ٢٤٠/٢. المحمودي: ترجمة الامام علي عليه السلام ٥٠٦/٢.

اقدم احد على ادعائه لكذب^(١) وكذبه الناس^(٢).

وكان عليه السلام على درجة من اليقين اذ يقول: «وما شككت في الحق منذ اريته». فالامام علي عليه السلام هنا يشير لنعمة الله عليه في انه لم يشك بالله منذ عرفه، او منذ عرف الحق في العقائد الكلامية، والاصولية والفقهية (وهذه مزية له ظاهرة على غيره من الناس فان اكثرهم او كلهم يشك في الشيء بعد ان عرفه وتعتروه الشبه والوساوس ويران على قلبه، وتختلجه الشياطين عما ادي اليه نظره).^(٣) لذا نجده عليه السلام يقول: «بل اندمجت على علم لو بحث به، لاضطربتم اضطراب الارشية^(٤) في الطوى البعيدة»^(٥).

وقد انكر الامام علي عليه السلام ادعاء البعض العلم دونه بقوله: «اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا، ان رفعنا الله ووضعهم، واعطانا وحرّمهم، وادخلنا واخرجهم، بنا يستعطي الهدى، ويستجلى العمى». وهذا الكلام كناية وإشارة لمن ينازعه الفضل، فهناك من يقال عنه انه افرض، او اقرء، او اعرف بالحلّال والحرام،^(٦) مع تسليم الكل له عليه السلام، ولكنه لم يرض بذلك وعد هذا الكلام موضوعا حسدا.^(٧)

لذا كان للامام علي عليه السلام نعمتان على الصحابة نعمة الجهاد ونعمة (علومه التي لولاها حكم بغير الصواب في كثير من الاحكام، وقد اعترف له عمر (رض)

(١). انظر بعض ذلك في الشرح ١٣/١٠٧ - ٩. الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/١٦٣ - ١٦٦. الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/٧٥٥.

(٢). الشرح: ٢٨٩/٧.

(٣). الشرح: ٢٧٤/١٨.

(٤). الارشية: هي الحبال، والطوى البعيدة: البئر البعيدة القعر. الشرح ١/٢١٥.

(٥). الشرح: ١/٢١٣. وانظر سبط بن الجوزي: تذكرة ص ١٢٨. ابن طلحة: مطالب السنول ص ٣٩.

(٦). ابن ماجه: صحيح ١/٣١. الحاكم: المستدرک ٣/٣٠٥ - ٦. البيهقي: السنن الكبرى

٦/٢١٠. الشهرستاني: الملل ١/٢٢١. الهيثمي: مجمع الزوائد ١/١٣٥.

(٧). الشرح: ٩/٨٤. ٨٦.

٤١٠..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

بذلك، والخبر المشهور، (لولا علي لهلك عمر).^(١)

واجمالاً فحاله عليه السلام حال رفيعة لم يلحقه احد ولا قاربه، لذا حق له عليه السلام ان
يصف نفسه بانه معادن العلم وينابيع الحكم، فلا احد احق بها منه بعد
الرسول صلى الله عليه وسلم.^(٢)

لذا اخذت كل فرقة تنتسب اليه وتتجاوزه كل طائفة لانه رئيس الفضائل
وينبوعها وابو عذرها، وسابق مضمارها، ومجمل حليتها، فكل من بزغ فيها بعده
فمنه اخذ وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى.^(٣)

(١). الشرح ١/١٤١.

(٢). الشرح: ٧/٢٢٠.

(٣). الشرح: ١/١٧.

المبحث الثاني الامام علي عليه السلام والعلم الالهي

هو العلم الذي يختص بدراسة الذات الالهية وصفاتها، لذا يعد اشرف العلوم لان شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومة اشرف الموجودات، فكان هو اشرف العلوم.^(١)

يعد الامام علي عليه السلام امام المتكلمين، ولم يعرف علم الكلام^(٢) ممن سبقه من العرب، ولا نقل في ما جاء من الاكابر والاصاغر منه شيء، وهو فن انفرد به اولا اليونان، اما من العرب فأول من خاض به منهم هو الامام علي عليه السلام، ولهذا نجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبثوثة عنه في فرش كلامه وخطبه، ولا نجد في كلام احد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك، ولا ينصرونه، بل حتى لو فهموه لم يفهموه.^(٣)

وهذا الفن هو الذي بان به امير المؤمنين عليه السلام عن العرب في زمانه قاطبة، ولذا استحق التقدم والفضل عليهم اجمعين (وذلك لان الخاصة التي يتميز بها الانسان عن البهائم هي العقل والعلم، الا ترى انه يشاركه غيره من الحيوانات في اللحمية والدموية والقوة والقدرة، والحركة الكائنة على سبيل الارادة والاختيار

(١). الشرح: ١٧/١، ٢٥٧/٩. وانظر: ابن خلدون: المقدمة ص ٨٢٦.
(٢). عن علم الكلام انظر: صبحي احمد محمود: في علم الكلام ١/١ - ١٠١.
(٣). الشرح: ٦/٣٧٠ - ١٠١/٦.

فليس الامتياز الا بالقوة الناطقة، اي العاقلة العالمة، فكلما كان الانسان اكثر حظاً منها كانت انسانيته اتم، ومعلوم ان هذا الرجل انفرد بهذا الفن، وهو اشرف العلوم، لان معلومه اشرف المعلومات، ولم ينقل عن احد من العرب غيره في هذا الفن حرف واحد، ولا كانت اذهانهم تصل الى هذا، ولا يفهمونه بهذا الفن فهو منفرد فيه، وبغيره من الفنون، وهي العلوم الشرعية مشارك لهم وراجح عليهم، فكان اكمل منهم لانا قد بينا ان الاعلم ادخل في صورته الانسانية وهذا هو معنى الافضلية^(١). وفي شرحه للخطبة رقم ٩٠ عقب ابن الحديد لو سمع النظر بن كنانة^(٢) هذا

الكلام لقال لقائله، ما قاله علي بن العباس بن جريح،^(٣) لاسماعيل بن بلبل^(٤)

قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم كلا، ولكن لعمرى منه شيبان
وكم اب قد علا بابن ذرا شرف كما علا برسول الله عدنان^(٥)

اذ كان يفخر به على عدنان وقحطان بل كان يقربه عين ابيه ابراهيم خليل الرحمن، ويقول له: انه لم يعف ما شيدت من معالم التوحيد، بل اخرج الله لك من ظهري ولدا ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم تبتدعه انت في جاهلية النبط، بل لو سمع هذا الكلام ارسطو طاليس،^(٦) القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات، لخشع قلبه ووقف شعره واضطرب فكره، الاترى ما عليه من الرواء

(١). الشرح: ٢٥٦/٩ - ٢٥٧.

(٢). النظر بن كنانة بن خزيمة احد اجداد النبي ﷺ وسمي بالنظر لجماله. انظر ابن حبيب: المحبر ص ٥٠. الطبري: تاريخ ٢/٢٦٤ - ٥. النويري: نهاية الارب ١٦/١٣ - ١٥.

(٣). هو الشاعر (ابن الرومي). ٢٢١ - ٢٨٣ هـ انظر ترجمته: المزباني: معجم الشعراء ص ٢٨٩. الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/٢٣ - ٦. ابن خلكان: وفيات ٣٥٨.

(٤). هو كتاب الموفق العباسي سنة ٢٧٢ هـ الطبري: تاريخ ١٠/١٠. الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص ٢٣١.

(٥). الشرح: ٢٣/٧. ولم اجد الايات في ديوان ابن الرومي.

(٦). ارسطو طاليس: انظر: ترجمته: ابن التديم: الفهرست ص ٣٤٥ - ٣٥٢. الشهرستاني: الملل والنحل ٣/٣٧ - ٥٣. القفطي: تاريخ الحكماء ص ٢٧ - ٥٣. ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء ص ٨٦ - ١٠٥. ابن نباته: سرح العيون ص ١٤١ - ١٤٤.

والمهابة، والعظمة والفخامة، والمتانة والجزالة! مع ما قد اشرب من الحلاوة والطلاوة واللطف والسلاسة، لا ارى كلاما يشبه هذا الا ان يكون كلام الخالق سبحانه، فان هذا الكلام نبعه من تلك الشجرة وجدول من ذلك البحر، وجزوة من تلك النار وكأنه شرح قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين﴾^{(١)(٢)}

ويخلص ابن ابي الحديد للقول (ان التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الالهية، ما عرفت الا من كلام هذا الرجل، وان كلام غيره من اكابر الصحابة لم يتضمن من ذلك اصلا، ولا كانوا يتصورونه ولو تصوروه لذكروه، وهذه الفضيلة عندي اعظم فضائله عليه السلام).^(٣)

وقد اثار ذلك استغراب ابن ابي الحديد فعلق قائلا: (فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفسية والخصائص الشريفة! ان يكون غلام من ابناء عرب مكة، ينشأ بين اهله، لم يخالط الحكماء وخرج اعرف بالحكمة ودقائق العلوم الالهية من افلاطون^(٤) وارسطو، ولم يباشر ارباب الحكم الخلقية والاداب النفسانية، لان قريشا لم يكن احد منهم مشهورا بمثل ذلك وخرج اعرف بهذا الباب من سقراط).^{(٥)(٦)}

(١). سورة الانعام: الآية ٥٩.

(٢). الشرح: ٢٣/٧ - ٢٤.

(٣). الشرح: ٣٤٦/٦.

(٤). هو افلاطون بن ارسطن من فلاسفة اليونان. درس على يد سقراط وفيثاغورس وتتلذذ على يديه ارسطو طاليس. انظر ابن النديم: الفهرست ص ٣٤٣ - ٤. الشهرستاني الملل ١٩٠/٢ - ١٩٣. القفطي: تاريخ الحكماء ص ١٧ - ٢٧. ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء ص ٧٩ - ٨٦. ابن نباتة: سرح العيون ص ١٤٠ - ١٤١. ابن منقذ: لباب الاداب ص ٤٤٧ - ٤٦٧.

(٥). من اهالي اثينا: ومن اوائل من تكلم بالفلسفة وقد قتله اليونانيون بسبب ارائه. انظر ابن النديم: الفهرست ص ٣٤٣. الشهرستاني: الملل ١٨٥/٢ - ١٩٠. القفطي: تاريخ الحكماء ص ١٩٧ - ٢٠٦. ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء ص ٧٠ - ٩.

ولهذا انتسب المتكلمون الذين لججوا في بحار المعقولات اليه خاصة دون غيره، وسموه استاذهم ورئيسهم، واجتذبتهم كل فرقة من الفرق الى نفسها (فالمعتزلة الذين هم اهل التوحيد والعدل وارباب النظر، ومنهم تعلم الناس هذا الفن، تلامذته واصحابه، لان كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ ابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنيفة، وابو هاشم تلميذ ابيه، وابوه تلميذه عليه السلام).^(١)

وقد اشار الحاكم الجشمي^(٢) الى سند المعتزلة واتصاله بالامام علي عليه السلام: (وبيان اتصاله (سند معتزلة) بواصل وعمرو، انه اخذه القاضي عن ابي عبدالله البصري وابو عبدالله اخذه عن ابي اسحق بن عياش^(٣) وابو اسحق اخذه عن ابي هاشم وطبقته، وابو هاشم اخذه عن ابيه ابي علي الجبائي، وابو علي اخذه عن ابي يعقوب الشحام، والشحام اخذه عن ابي الهذيل وابو الهذيل اخذه عن عثمان الطويل^(٤)، وطبقته، وعثمان اخذه من واصل وعمرو، وهما اخذاه عن عبدالله بن محمد، وعبدالله اخذه عن ابيه محمد بن علي (ابن الحنيفة)، ومحمد اخذه عن ابيه علي عليه السلام، وعلي عليه السلام اخذه عنه صلوات الله عليه وما ينطق عن الهوى).^(٥)

واما الاشعرية الذين ينتمون لابي الحسن الاشعري^(٦) الذي هو تلميذ ابي علي الجبائي احد كبار، رجال المعتزلة، وابو علي تلميذ ابي يعقوب الشحام، والشحام تلميذ ابو الهذيل وابو الهذيل تلميذ ابو عثمان الطويل، وابو عثمان تلميذ

(٦). الشرح: ١٤٦/١٦.

(١). الشرح: ١٧/١. ٣٧١/٦. ٦٠/١٠. ٤٧/١٣.

(٢). هو من متأخري المعتزلة. انظر: ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١١٦.

(٣). انظر ترجمته القاضي: فرق طبقات المعتزلة ص ١١٣.

(٤). انظر ترجمته: ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٤٢.

(٥). ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧.

(٦). كان معتزلياً ثم ترك الاعزال مؤسساً مذهباً توفيقياً حيث اخذ افكار التيار السلفي واثبتتها بادلة التيار العقلي، محاضرات القاها د. محمد جواد الموسوي علي طلبة الدكتوراه عام ١٩٩٩ -

٢٠٠٠. وانظر ترجمته: السمعاني: الانساب ٢٦٦/١ - ٧. حمودي غرابة: ابو الحسن الاشعري

ص ٢ وما بعدها، الحفني: موسوعة الفرق ص ٦٦ - ٦٨.

واصل فعاد الامر الى انتهاء الاشعرية الى علي عليه السلام^(١).

واما الامامية^(٢) والزيدية^(٣) والكيسانية^(٤) فائتماؤهم اليه ظاهر، وكذلك الخوارج، مع طعنهم فيه، لانهم كانوا اصحابه، وانحرفوا عنه، بعد ان تعلموا منه، وهم انصاره في الجمل وصفين، ولكن الشيطان ران على قلوبهم واعمى ابصارهم^(٥).

وتنتهي مقالة الكرامية^(٦) الى الامام علي عليه السلام عن طريقين: الاول: انهم يسندون اعتقادهم عن شيخ بعد شيخ حتى ينتهون الى سفيان الثوري وهو من الزيدية.

والثاني: ان مشايخ الكرامية ينتهون الى علماء الكوفة من اصحاب الامام علي عليه السلام وهم سلمة بن كهيل^(٧) وحبه العرني^(٨) وسالم بن الجعد^(٩) والفضل بن دكين^(١٠) وشعبة والاعمش^(١١) وعلقمة^(١٢) وهبيرة بن بريم^(١٣) وابي اسحق السبيعي^(١٤)

(١). الشرح: ٣٧١/٦. ١٧/١.

(٢). هم القائلين بامامة اثني عشر اماماً من الامام علي عليه السلام الى محمد بن الحسن العسكري: انظر. الاشعري: مقالات الاسلاميين ٨٧/١ - ٨٨. البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٤٠.

الشهرستاني: الملل والنحل ٢١٨/١ - ٢٢٤. ٢/٢ - ٥. الحفني: موسوعة الفرق ص ٨٩ - ٩٥.

(٣). هم القائلون بامامة زيد بن علي بن الحسين. انظر الملطي: التنبيه والرد ص ٣٣. البغدادي:

الفرق ص ٢٢ - ٢٣. الشهرستاني: الملل ٢٠٧/١ - ٢١٨.

(٤). هم القائلين بامامة محمد بن الحنفية. انظر مؤلف مجهول: اخبار العباس ص ١٦٥.

البغدادي: الفرق ص ٢٦ - ٢٤. الشهرستاني: الملل ١٩٦/١ - ٧.

(٥). الشرح: ٣٧١/٦. ١٧/١ - ٣٧٢.

(٦). اصحاب محمد بن كرام: الاشعري: مقالات الاسلاميين ٢٠٥/١ - ٢١٥. البغدادي: الفرق

ص ١٣٠ - ١٣٧. ابن حزم: الفصل ٥/٢، ١١١، ٢٨٨/٣، ٢٣٣، ٢٦٠. الشهرستاني: الملل

والنحل ١٤٤/١ - ١٥٤. الحفني: موسوعة الفرق ص ٥٣٠ - ٥٣٢.

(٧). انظر ترجمته: الطبري: المنتخب ص ٦٤٤. الكشي: رجال ص ٢٠٥.

(٨). هو حبة بن جوين بن علي بن عبد تميم العرني. يعد من الصحابة. البرقي: رجال ص ٦. ابن

حجر: الاصابة ٣٧٢/١ - ٣.

(٩). سالم بن الجعد الاشجعي الكوفي: ابن داود: رجال ص ١٦٦. البرقي: رجال ص ٣٣.

(١٠). هو من محدثي الكوفة ومن شيوخ البخاري ومسلم. الخطيب: تاريخ بغداد ٣٤٦/١٢ - ٥٧.

الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣٧٢/١ - ٣.

٤١٦..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

وغيرهم. وهؤلاء كلهم اخذوا عن الامام علي عليه السلام فهو رئيس الجماعة واقوالهم منقولة عنه وما أخوذة منه. (١٥)

-
- (١١). هو سليمان بن مهران الاعمش: الطبري: المنتخب ص ٦٥٢. ابو نعيم: حلية الاولياء ٤٦/٥ - ٦٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١٥٤/١.
- (١٢). علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك النخعي الكوفي ت بين ٦١ - ٧٣ هـ ابو نعيم: حلية الاولياء ٩٨/٢ - ١٠٢. الخطيب: تاريخ بغداد ٢٩٦/١٢ - ٣٠٠. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢٧/٣ - ٨. الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤٨/١ - ٩.
- (١٣). هبيرة بن مريم او يريم الحميري. البرقي: رجال ص ٦.
- (١٤). انظر ترجمته: الطبري: المنتخب ص ٦٤٧. ابو نعيم: حلية الاولياء ٣٣٨/٤ - ٣٥٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١١٤/١.
- (١٥). الشرح: ٣٧١/٦ - ٢.

المبحث الثالث

الامام علي عليه السلام مصدراً للتصوف الاسلامي

من خلال ما ورد في نهج البلاغة من اشارات الى احوال التصوف^(١) حيث بين عليه السلام من مقامات العارفين التي يرمز اليها في كلامه ما لا يعقله الا العالمون ولا يدركه الا الروحانيون^(٢) لذا عد ابن ابي الحديد الامام علياً عليه السلام مصدر التصوف الاسلامي اذ يقول: (ان ارباب هذا الفن في جميع بلاد الاسلام اليه ينتهون وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشبلي^(٣) والجنيد^(٤) وسرى^(٥) وابو يزيد البسطامي^(٦) وابو محفوظ معروف الكرخي^(٧) وغيرهم، ويكفيك دلالة على ذلك

(١). عن معنى التصوف انظر عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي ص ٤٧٠ - ٤٧١. السامرائي: تاريخ الفكر العربي ص ٢٧٧ - ٨.

(٢). الشرح: ٥/١.

(٣). ابو بكر دلف بن جحدر ت ٣٣٤ هـ نشأ في بغداد وتفقه على مذهب مالك. السلمي: طبقات الصوفية ص ٣٣٧ - ٣٤٨. ابو نعيم: حلية الاولياء ١٠/٣٦٦ - ٣٧٥. ابن الجوزي: صفة الصفة ٢/٤٥٦ - ٤٦١. ابن فرحون: الديباج المذهب ص ١١٦ - ١١٧.

(٤). ابو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز اصله من نهاوند ت ٢٩٧ هـ السلمي: طبقات الصوفية ص ١٥٥ - ١٦٣. ابو نعيم: حلية الاولياء ١٠/٢٥٥ - ٢٨٧. ابن الجوزي: صفة الصفة ٢/٤١٦ - ٢٤. السبكي: طبقات الشافعية ٢/٢٨ - ٣٧.

(٥). سرى بن المغلس السقطي من مدرسة بغداد الصوفية وامامها في وقته ت ٢٥١ هـ السلمي: طبقات الصوفية ص ٤٨ - ٥٥. ابو نعيم: حلية الاولياء ١٠/١١٦ - ١٢٧. ابن الجوزي: صفة الصفة ٢/٣٧١ - ٣٨٦.

(٦). طيفور بن عيسى من اهل بسطام بلده بقومس ت ٢٦١ هـ السلمي: طبقات الصوفية ص ٦٧ - ٧٤. ابو نعيم: حلية الاولياء ١٠/٣٣ - ٤٠. ابن الجوزي: صفة الصفة ٤/١٠٧ - ١١٤.

الخرقة^(١) التي هي شعارهم الى اليوم وكونهم يسندونها باسناد متصل اليه عليه السلام.^(٢) وقال في شرحه لكلام الامام علي عليه السلام في شعب الايمان والكفر: ^(٣) (هذا الفصل اخذت منه الصوفية واصحاب الطريقة والحقيقة كثيرا من فنونهم في علومهم، ومن تأمل كلام سهل بن عبدالله التستري^(٤) وكلام الجنيد والسري وغيرهم رأى هذه الكلمات في فرش كلامهم تلوح كالكواكب الزاهرة).^(٥) ومن خلال قوله عليه السلام: «ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه، فأستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه، واعد القرى ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد، وهون الشديد».

من هذا الكلام اخذ اصحاب علم الطريقة والحقيقة علمهم، وهو تصريح بحال العارف، ومكانته من الله تعالى، والعرفان درجة حال رفيعة شريفة جدا مناسبة للنبوة ويختص الله تعالى بها من يقربه اليه من خلقه. والعارف هو الواصل الى الله سبحانه بنفسه لا بيدنه. والباري سبحانه متمثل في نفسه تمثل المعشوق في ذات العاشق، ويستلزم ان يكون العارف زاهدا حيث لا يمكن تصور العرفان مع تعلق النفس بملاذ الدنيا. وقد يحصل بعض العرفان لبعض العلماء والفضلاء مع تعلقهم بشهوات الدنيا، لكنهم لا يكونون كاملين في احوالهم، لان الحالة الكاملة قد تحصل لمن رفض الدنيا، والتي تستلزم ان يكون العارف عابدا عبادة ما، ولكن

(٧). معروف بن علي من كبار المتصوفة وهو استاذ السري. وكان قد اسلم على يد علي بن موسى الرضا عليه السلام توفي وقبره معروف ببغداد السلمي: طبقات الصوفية ص ٨٣ - ٩٠. ابو نعيم: حلية الاولياء ٨/٣٦٠ - ٨. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣١٨ - ٣٢٤.

(١). عن الخرقة عند الصوفية انظر: الواسطي: طبقات خرقة الصوفية.

(٢). الشرح: ١٩/١.

(٣). الشرح: ١٨/١٤٢ - ١٤٣.

(٤). من اهل تستر ولد في ٢٠٠ هـ وتوفي ٢٨٢ هـ انظر: ابو نعيم: حلية الاولياء ١٠/١٨٩ - ٢١٢. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٢/٤٢٩.

(٥). الشرح: ١٨/١٤٣.

لا يشترط في حصول العرفان ان يكون على قدم عظيمة من العبادة، بل الاكثار من العبادة حجاب لكن لا بد من القيام بالفرائض وقليل من النوافل. والعارف هو العارف بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله وكتبه وبالحكمة المودعة في نظام العالم لاسيما الافلاك والكواكب وتركيب طبقات العناصر والاحكام وفي تركيب الابدان الانسانية. (١)

واكد ابن ابي الحديد ان هذه الصفات والشروط التي ذكرها في شرح حال العارف انما يعني بها نفسه عليه السلام فهذا من الكلام الذي له ظاهر وباطن، فظاهره ان يشرح حال العارف المطلق، وباطنه ان يشرح حال عارف معين، وهو نفسه عليه السلام. ثم ذكر ابن ابي الحديد هذه الصفات وهي ستة عشر اخرها العدالة وهي ملكه تصدر بها عن النفس الافعال الفاضلة خلقا لا تخلقا، وهذه العدالة لها اقسام ثلاث هي الاصول وما عداها تعد من الفروع. الاولى: الشجاعة ويدخل فيها السخاء لانه شجاعة وتهوين المال، كما ان الشجاعة الاصلية تهوين للنفس، فالشجاع بالحرب جواد بنفسه، والجواد بالمال شجاع في انفاقه. ولهذا يقول ابو تمام الطائي:

أيقنت ان من السماحة شجاعة تدمي، وان من الشجاعة جودا (٢)

والثانية: الفقه ويدخل فيها القناعة والزهد والعزلة، والثالثة: الحكمة وهي

اشرفها. (٣)

يعد ابن ابي الحديد العدالة الكاملة لم تحصل لاحد من البشر بعد الرسول صلى الله عليه وآله الا للامام علي عليه السلام (ومن انصف علم صحة ذلك فان شجاعته وجوده، وعفته وقناعته وزهده، يضرب بها الامثال. واما الحكمة والبحث في

(١). الشرح: ٦/٣٦٥-٦.

(٢). ديوانه، ص ٨١.

(٣). الشرح: ٦/٣٦٧-٣٧٠.

الامور الالهية، فلم يكن من فن احد من العرب، ولا نقل في جهاد اكابرهم واصاغرهم شيء من ذلك اصلا، وهذا فن كانت اليونان واوائل الحكماء واساطين الحكمة ينفردون به، واول من خاض فيه من العرب علي عليه السلام ولهذا تجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبثوثة عنه في فرش كلامه وخطبه ولا تجد في كلام احد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك ولا يتصورونه ولو فهموه لم يفهموه وانى للعرب ذلك!).^(١)

واكد ابن ابي الحديد من خلال شرحه خطبة للامام اشار فيها الى اولياء الله بان الامام هو مصدر التصوف اذ يقول: (اعلم ان الكلام في العرفان لم يأخذه اهل الملة الاسلامية الا عن هذا الرجل، ولعمري لقد بلغ منه اقصى الغايات وابعد النهايات والعارفون هم القوم الذين اصطفاهم الله تعالى، وانتجهم لنفسه واختصهم بأنسه، واحبوه فاحبهم وقربوا منه وتقرب منهم).^(٢)

وقد اشار الامام علي عليه السلام الى مقامين من مقامات الصوفية وهما الولاية والمحبة بقوله: «يتواصلون بالولاية ويتلاقون بالمحبة». ^(٣)

واشار ابن ابي الحديد ان مسألة (البروق اللامعة) التي يقول بها الحكماء والمتصوفة اخذوها عن الامام علي عليه السلام ففي قوله: (قد احيا عقله، وامات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فابان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الابواب الى باب السلامة، ودار الاقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه، وارضى ربه).^(٤)

فقوله عليه السلام: «وبرق له لامع كثير البرق» هو حقيقة مذهب الحكماء وحقيقة

(١). الشرح: ٢٧٠/٦ - ٣٧١.

(٢). الشرح: ٧٢/١١.

(٣). الشرح: ٧٥/١١.

(٤). الشرح: ١٢٧/١١.

قول الصوفية اصحاب الطريقة والحقيقة، وقد صرح به الرئيس ابو علي بن سينا فقال في ذكر السالك الى مرتبة العرفان: (انه اذا بلغت به الارادة والرياضة حدا ما عنت له خلسات من اطلاع نور الحق اليه لذيدة كأنها بروق تومض اليه ثم تخدم عنه، وهي التي تسمى عندهم اوقاتا، وكل وقت يكتنفه، وجد اليه، ووجد عليه... ثم انه لتبلغ به الرياضة مبلغا ينقلب له وقته سكينه فيصير المخطوب مألوفاً، والوميض شهاباً بيناً، ويحصل له معارف مستقرة، كأنها صحبة مستمرة، ويستمتع فيها بيهجته، فاذا انقلب عنها انقلب حيران اسفاً).^(١)

قال ابن ابي الحديد: (فهذه الفاظ الحكيم ابي علي بن سينا في الاشارات، وهي كما تراها مصرح فيها بذكر البروق اللامعة للعارف).^(٢)

واضاف: (وقال القشيري في الرسالة^(٣) لما ذكر الحال والامور الواردة على العارفين قال: هي بروق تلمع ثم تخدم، وانوار تبدو ثم تخفى، ما احلاها لو بقيت مع صاحبها! ثم تمثل بقول البحري:

خطرت في النوم منها خطره خطرته البرق بدا ثم اضمحل
أي زور لك لو قصدا سرى وملم بك لو حقا فعل^(٤)

فهو كما تراه يذكر البروق اللامعة حسبما ذكره الحكيم وكلاهما يتبع الفاظ امير المؤمنين عليه السلام لانه حكيم الحكماء، وعارف العارفين، ومعلم الصوفية، ولولا اخلاقه وكلامه وتعليمه للناس هذا الفن تارة بقوله، وتارة بفعله، لما اهتدى احد من هذه الطائفة ولا علم كيف يورد ولا كيف يصدر).^(٥)

(١). الشرح: ١٣٧/١١ - ٨. ابن سينا: الاشارات ٨٢٨/٤ - ٨٣٠.

(٢). الشرح: ١٣٨/١١.

(٣). الرسالة القشيرية ص ٢٧٢.

(٤). ديوانه ١٧١٥/٣ - ١٧١٦.

(٥). الشرح: ١٣٨/١١ - ١٣٩.

وبعد ان اورد نصوصا للقشيري^(١) علق في اخرها (افلاترى كلام القوم كله مشحون بالبروق واللمعان).^(٢)

وقال ابن ابي الحديد في شرحه لاحد خطبه عليه السلام بان ظاهر كلامه عليه السلام شرح حال القصاص، وارباب المواعظ في المجامع والطرقات، والمتصددين لانكار القبائح، اما باطنه فهو شرح حال العارفين الذين هم صفوة الله تعالى من خلقه، وهو عليه السلام دائماً يكتفي عنهم ويرمز اليهم، على انه في هذا الموقع قد صرح بهم في قوله «حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس، ويسمعون ما لا يسمعون». وقد ذكر من مقامات العارفين في هذا الفصل مقام الذكر، ومحاسبة النفس، والبكاء والنحيب، والندم والتوبة والدعاء والفاقة، والذلة، والحزن وهو الاسى الذي ذكرانه جرح قلوبهم بطوله.^(٣)

(١). الشرح: ١٣٩/١١ - ١٤١: الرسالة القشيرية ص ٦٧ - ٦٩.

(٢). الشرح: ١٤١/١١.

(٣). الشرح: ١٨٠/١١.

المبحث الرابع

الامام علي عليه السلام وعلم الفقه

الفقه لغة: فهم غرض المتكلم من كلامه.^(١) قال تعالى: ﴿قالوا يا شعيب ما

نفقه كثيرا مما تقول﴾.^(٢)

اصطلاحاً: العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسبة من ادلتها التفصيلية

وهو علم يستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه الى النظر والتأمل ولهذا لا يسمى

الله فقيهاً، لانه لا يخفى عليه شيء.^(٣)

كان الامام علي عليه السلام اصل علم الفقه واساسه، وكل فقيه في الاسلام فهو

عيال عليه، ومستفيد من فقهه^(٤) وقد بدأ بواكير ذلك في عهد الرسول ﷺ حيث

ارسله الى اليمن داعياً له: «اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه». فقال علي عليه السلام: «فما

شككت بعدها في قضاء بين اثنين»^(٥) ولذا قال عليه السلام: «اقضاكم علي»، كما مر بنا،

(١). الرازي: مختار الصحاح ص ٥٠٩. الجرجاني: التعريفات ص ٩٠.

(٢). سورة هود: الآية ٩١.

(٣). ابن خلدون: المقدمة ص ٨٠٤. الجرجاني: التعريفات ص ٩٠. البهادلي: مفتاح الوصول

٢٢/١ - ٢٤.

(٤). الشرح: ١٨/١. وانظر: رد ابن تيمية على ذلك: منهاج السنة ١٤٣/٤ - ٤.

(٥). الشرح: ١٨/١، ٢٨٩/٧. واخرجه: ابن سعد: الطبقات ٣٣٧/٢. ابن ماجة: صحيح ٣٣/٢.

ابو داود: سنن ٣٠١/٣. الحاكم: المستدرک ١٤٦/٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠٠/٣.

الخوارزمي: المناقب ص ٤١. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٤٤. الجويني: فرائد السمطين

والقضاء يحتاج صاحبه لان يكون ملما بالفرائض، والقرآن والحلال والحرام وغيرها.^(١)

وكان عليه السلام يقول: «فلأنا اعلم بطرق السماء مني بطرق الارض». أي انه عليه السلام اعلم بالاحكام الشرعية والفتاوي الفقهية من الامور الدنيوية فعبّر عن تلك بطرق السماء لانها احكام الهية، وهذه بطرق الارض لانها من الامور الارضية.^(٢) واكد عليه السلام ان الاحكام الشرعية لا يجوز ان تنقض باجتهاد^(٣) او قياس^(٤) بعد ثبوت الادلة عليها عن طريق النص (القرآن والسنة) حيث (كل ما ورد به النص تتبع مورد النص فيه، فما استحلته عام اول، فهو في هذا العام حلال لك، وكذلك القول في التحريم). اذ يقول عليه السلام: «ان ما احدث الناس لا يحل لكم شيئاً مما حرم عليكم، أي ما احدثوه من القياس والاجتهاد، حيث يمنع من تقديم القياس على النص».^(٥)

واشار عليه السلام ان الشرعيات مصالح للمكلفين، فاذا فعل سبحانه بنا ما فيه صلاحنا فقد احسن الينا، ومن جملة صلاحنا تعريفنا من الشرعيات ما فعله لطف ومفض الى الثواب، وهذا ابلغ ما يكون من الاحسان، والمحسن يجب تعظيمه وشكره، والله سبحانه وتعالى لم يترك شيئاً الا وجعل له نصاً ظاهراً يدل عليه او علماً يستدل به عليه، اما منصوص عليه صريحاً او يمكن استنباط حكمه من

ص ١٦٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣٢٧/٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠. المتقي

الهندي: كنز العمال ٢٢٠/١٢. الهيثمي: الصواعق ص ١٢١.

(١). الشرح: ٨٤/٩.

(٢). الشرح: ١٠١/١٣، ١٠٦.

(٣). الاجتهاد هو بذل الجهد في استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية. مذكور: مناهج الاجتهاد ص ٣٣٧.

(٤). القياس هو التسوية بين الفرع والاصل في الحكم لاشتراكهما في علته. الخوارزمي: مفاتيح

العلوم ص ٧-٨. ابن الطيب: المعتمد ٦٩٧/٢.

(٥). الشرح: ٢٩٠/١، ٣٠/١٠-٣١.

القرآن اما بذكره او بتركه، فيبقى على البرائة الاصلية^(١) وحكم العقل، اما اذا لم ينص عليه صريحا، بل هو في محل النظر فليس يجوز للعلماء ان يجتهدوا فيه، فيحله بعضهم ويحرمه اخرون، مع ان رضا الله واحد، وكذلك سخطه، فلا يجوز ان يكون شيء يفتى فيه البعض بالحل واخرين بالحرمة، وهنا كأن الامام علي عليه السلام يقول بتحريم الاجتهاد ثم ان الله لا يرضى من عباده الاختلاف في الفتاوي والاحكام، كما اختلفت الامم السابقة، فسخط الله اختلافهم ﴿ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء﴾^{(٢)(٣)}

وقد استنتج ابن ابي الحديد من كلام للامام علي عليه السلام^(٤) انه يرد على اهل الاجتهاد في الاحكام الشرعية وافساد قول من قال: كل مجتهد مصيب. ويتلخص احتجاجه عليه السلام في خمسة وجوه:

الاول: لما كان الاله واحداً، والرسول ﷺ واحداً والكتاب واحداً وجب ان يكون الحكم في الواقعة واحداً.

الثاني: لا يخلو الاختلاف الذي ذهب اليه المجتهدون ان يكون مأمورا به او منهيًا عنه. والاول باطل حيث ليس في الكتاب والسنة ما يشير لذلك، والثاني حق ويلزم منه تحريم الاختلاف.

الثالث: اما ان يكون دين الاسلام ناقصا او تاما فان كان ناقصا فان الله سبحانه استعان بالمكلفين لاتمامه سواء على سبيل النيابة او المشاركة، وهذا كفر وان كان تاماً فاما ان يكون الرسول ﷺ قصر عن تبليغه او انه بلغه على كماله وتمامه، والاول كفر وان كان الثاني بطل الاجتهاد لان الاجتهاد انما يكون فيما لم

(١). هي الوظيفة المؤمنة من قبل العقل عند عجز المكلف عن بلوغ حكم الشارع او وظيفته.

البيهادلي: مفتاح الوصول ٢٥١/٢.

(٢). سورة الانعام: الآية ١٥٩.

(٣). الشرح: ١١٨/١٠.

(٤). الشرح: ٨٨٢/١.

يتبين.

الرابع: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾^(١) وقوله: ﴿تبياناً لكل شيء﴾^(٢) وقوله: ﴿ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين﴾^(٣) ففيها دلالة على اشتمال الكتاب على كل الاحكام فكل ما ليس في الكتاب وجب ان لا يكون في الشرع.

الخامس: قوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(٤) فجعل الاختلاف دليلاً على انه ليس من الله تعالى، لكن القرآن من عند الله بالادلة القاطعة الدالة على صحة النبوة فوجب ان لا يكون فيه اختلاف.

وخلص ابن ابي الحديد للقول: (ان هذه الوجوه هي التي يتعلق بها الامامية ونفاة القياس والاجتهاد في الشرعيات، وقد تكلم عنها اصحابنا في كتبهم وقالوا: ان امير المؤمنين عليه السلام كان يجتهد ويقيس، وادعوا اجماع الصحابة على صحة الاجتهاد والقياس ودفعوا صحة هذا الكلام المنسوب في هذا الكتاب الى امير المؤمنين عليه السلام وقالوا: انه من رواية الامامية، وهو معارض بما ترويه الزيدية عنه وعن ابنائه عليهم السلام في صحة القياس والاجتهاد ومخالطة الزيدية لائمة اهل البيت عليهم السلام كمخالطة الامامية لهم، ومعرفتهم باقوالهم واحوالهم ومذاهبهم كمعرفة الامامية لا فرق بين الفئتين في ذلك، والزيدية قاطبة جاروديتها^(٥) وصالحيتها^(٦) تقول بالقياس والاجتهاد، وينقلون في ذلك نصوصاً عن اهل البيت عليهم السلام واذا

(١). سورة الانعام: الآية ٣٨.

(٢). سورة النحل: الآية ٩٩.

(٣). سورة الانعام: الآية ٥٩.

(٤). سورة النساء: الآية ٨٢.

(٥). اتباع ابي الجارود زياد بن ابي زياد احدي فرق الزيدية. الملطي: التنبيه ص ٢٣ - ٢٤.

البغدادي: الفرق ص ٢٢ - ٢٤. الشهرستاني: الملل والنحل ٢١١/١ - ٤.

(٦). اتباع الحسن بن صالح بن حي: احدي فرق الزيدية. الشهرستاني: الملل والنحل

٢١٦/١ - ٨. الجرجاني: التعريفات ص ٦٩.

تعارضت الروايتان تساقطتا وعدنا الى الادلة المذكورة في هذه المسألة وقد تكلمت في اعتبار الذريعة للمرتضى^(١) على احتجائه في ابطال القياس والاجتهاد بما ليس هذا موضع ذكره.^(٢)

واضطر ابن ابي الحديد إلى تخصيص كلام الامام عليه السلام: «ما اختلفت دعوتان الا كانت احداها ضلالة». فقال: (ولا يحمل اصحابنا كلامه عليه السلام على عمومه لان المجتهدين في فروع الشريعة، وان اختلفوا وتضادت اقوالهم، ليسوا ولا واحد منهم على ضلال). ولذا خصص ابن ابي الحديد كلامه عليه السلام هنا باختلاف الدعوة في اصول الدين.^(٣)

كان الامام عليه السلام مرجع الصحابة في كثير من الاحكام الفقهية ومنهم الخليفة عمر بن الخطاب، وعبدالله بن عباس (رض)، فاما الخليفة عمر (رض) فتواتر عنه رجوعه اليه في كثير من المسائل التي اشكلت عليه، وعلى غيره من الصحابة حتى قال مرارا (لولا علي لهلك عمر)^(٤) وقوله (لا بقيت لمعضلة ليس لها ابو الحسن).^(٥)

(١) كتاب الذريعة الى اصول الشريعة للشريف المرتضى. شرحه ابن ابي الحديد في ثلاث مجلدات. انظر محي الدين: ابن ابي الحديد ص ٢٢٩.

(٢) الشرح: ٢٨٩/١ - ٢٩٠.

(٣) الشرح: ٣٦٧/١٨.

(٤) انظر القاضي: المغني ١٣/٢/٢٠. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠٣/٣. الخوارزمي: مناقب ص ٣٩. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٤٧. ابن تيمية: منهاج السنة ١٦٠/٤. الجويني: فرائد السمطين ص ٣٣٧ - ٣٥١. ابن الصباغ: الفصول المهمة ص ١٧. المناوي: فيض القدير ٣٥٧/٤.

(٥) انظر: ابن سعد: الطبقات ٣٣٩/٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠٣/٣. البلوي: الف باء ٢٢٢/١. ابن الجوزي: صفة الصفة ٣١٤/١. الاربلي: كشف الغمة ١١٦/١. الجويني: فرائد

ص ٣٤٤ - ٥. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٥٩/٧ - ٣٦٠. ابن حجر: الاصابة ٥٠٩/٢. تهذيب التهذيب ٣٣٧/٧. ابن الصباغ: الفصول المهم ص ١٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧١. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٥. القسطلاني: ارشاد الساري ١٩٥/٣. قال ابن المسيب: ولهذا القول سبب وهو ان ملك الروم كتب الى الخليفة عمر (رض) يسأله عن مسائل فلم يجد جوابا الا عند علي عليه السلام. انظر نص المسائل في سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٣٣ - ١٤٧.

وقوله (لا يفتين احد في المسجد وعلي حاضر).^(١)
ومن فتاويه المشهورة فتواه في المرأة التي ولدت لستة اشهر فاراد الخليفة
رجمها وقد استنبط الامام علي عليه السلام من النص القرآني صحة الحمل حيث يقول
تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾^(٢) ثم جاءت اية اخرى حددت مدة
القطام ﴿والوالدات يرضعن اولادهن حوالين كاملين﴾^(٣) أي اربعا وعشرين
شهرا، فيبقى ستة اشهر مدة الحمل.^(٤)

وايضا فتواه في الحامل الزانية التي اراد رجمها فقال له الامام علي عليه السلام
هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها! فتركها حتى ولدت ثم رجمها.^(٥)
واراد الخليفة عمر (رض) اخذ حلي الكعبة لتوظيفها في الجهاد واستشار
الامام علي عليه السلام فقال عليه السلام: «ان هذا القرآن انزل على محمد صلى الله عليه وآله والاموال اربعة:
اموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفىء وقسمه على مستحقه،
والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان حلي
الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله على حاله، ولم يتركه نسيانا، ولم يخف عنه مكانا،
فاقره حيث اقره الله ورسوله».

هذا الاستدلال قال المعتزلة بصحته اذ يمكن ان يورد بوجهين:

- (١). الشرح: ٢٤٧/١٥.
- (٢). سورة الاحقاف: الآية ١٥.
- (٣). سورة البقرة: الآية ٢٣٣.
- (٤). الشرح: ١٨/١ - ١٩. وانظر: المفيد: الارشاد ص ٨٠. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠٣/٣. البيهقي: السنن ٤٤٢/٧. الخوارزمي: مناقب ص ٥٠. الصنعاني: المصنف ٣٤٩/٧ - ٣٥١. سبط بن الجوزي: تذكرة ص ١٤٨. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٩٢. الرياض النظرة ٢٥٦/٢. الجويني: فرائد ص ٣٤٦ - ٧. السيوطي: الدر المستثور ٢٨٨/١. ٤٠/٦. ابن الديبع: تيسير الوصول ٢/٢.
- (٥). الشرح: ١٨/١ - ١٩. وانظر: المفيد: الارشاد ص ٨٠. الخوارزمي: مناقب ص ٣٩. القرطبي: الجامع ١٩٣/١٦. ابن طلحة: مطالب السنول ص ٣٦ - ٧. الاربلي: كشف الغمة ١١٠/١. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٩١. الجويني: فرائد ص ٣٥٠ - ٣٥١.

الاول: اصل الأشياء الحظر والتحريم كما هو مذهب اكثر معتزلة بغداد فلا يجوز التصرف في شيء من الأموال والمنافع إلا بأذن شرعي، ولم يوجد آذن شرعي في حلي الكعبة، فبقيت على الاصل.

الثاني: ان حلي الكعبة مال مختص بها، ويجري مجرى ستورها وبابها، فكما لا يجوز التصرف في الستور والباب الا بنص، فكذلك حلي الكعبة، والجامع بينهما الاختصاص الجاعل كل واحد من ذلك كالجاء من الكعبة.^(١)

ويشار الى ان الخليفة عمر (رض) خاطب الحجر الاسود: (أني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ قبلك واستلمك لما قبلتك ولا استلمتك). فقال له الامام علي عليه السلام: «انه ليضر وينفع، ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت ان الذي اقول لك كما اقول، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى﴾^(٢) فلما اشهدهم واقروا له انه الرب عزوجل وانهم العبيد كتب ميثاقهم في رق ثم القمه هذا الحجر، وان له لعينين ولسانا وشفقتين، تشهد لمن وافاه بالموافاة فهو امين الله عزوجل في هذا المكان، فقال عمر: (لا ابقاني الله بارض لست بها يا ابا الحسن)».^(٣)

اما ابن عباس فهو تلميذه واكثر علمه مأخوذ عن الامام عليه السلام سواء في الفقه او تفسير القرآن.^(٤)

وكان الامام علي عليه السلام يذهب الى مخالفة الصحابة في بعض الاحكام الشرعية كقطع يد السارق من رؤوس الاصابع، وبيعه امهات الاولاد، الا ان الذي

(١). الشرح: ١٥٨/١٩ - ١٥٩. وانظر: الزمخشري: ربيع الابرار ٢٦/٤.

(٢). سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٣). الشرح: ١٠١/١٢. وانظر: ابن ماجة: صحيح ١٦٠/٢. ابن الجوزي: مناقب ص ١٢٢ - ٣.

الحلبي: السيرة الحلبيية ١٧٥/١ - ٦. القسطلاني: ارشاد الساري ١٩٥/٣.

(٤). الشرح: ٢٤٧/١٥.

يمنعه من تغييرها انشغاله بالحرب ايام خلافته، ولذا كان يقول لقضاته: «اقضوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة»^(١) ولفظة (حتى) تعني انه اباح لهم اتباع عاداتهم في القضايا والاحكام التي يعهدونها الى ان يصير للناس جماعة (وحدة) وما بعد (الى وحتى) ينبغي ان يكون مخالفا لما قبلها ويرى المعتزلة ان الامام علي عليه السلام كان مجتهدا في احكامه ويجوز لغيره من المجتهدين مخالفته^(٢) ومن فتاويه عليه السلام المسألة المنبرية^(٣) حيث سئل وهو على المنبر عن حصة امرأة معها ابوين وابنتين فقال: صار ثمنها تسعا. (وهذه المسألة لو فكر فيها الفرضي طويلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب. فما ظنك بمن قاله بديهية، واقتضبه ارتجالا).^(٤)

ومما يؤثر من احكام الامام علي عليه السلام ان العبد التابع الى بيت المال اذا سرق لا تقطع يده، واما البعيد عنه فتقطع، وهذا مطابق لرؤية الامامية في ان عبد المغنم اذا سرق من المغنم لا تقطع يده، اما العبد الغريب اذا سرق منه فتقطع اذا كان ما سرقه زائدا عما يستحقه من القيمة بمقدار النصاب الذي يجب فيه القطع، وهو ربع دينار، وكذلك الحر اذا سرق من المغنم حكمه هذا الحكم بعينه فوجب ان يحمل

(١). البخاري: الصحيح ٩٢/٥.

(٢). الشرح: ١٦١/١٩.

(٣). سأل رجل الامام علي عليه السلام وهو على المنبر: ان ابنتي قد مات زوجها ولها من ثمنه الثمن وقد اعطوها التسع. فاسألك الانصاف. فقال عليه السلام: خلف صهرك بتين. قال: نعم. قال: وابواه باقيان. قال: نعم. قال: قد صار ثمنها تسعا. فلا تطلب سواء ارثا. انظر: ابن الاثير: النهاية ١٣٩/٣. الاربلي: كشف الغمة ١٣٠/١. ابن منظور: لسان العرب ٥١٢/١٣ - ٥١٣. التوحيد: البصائر والذخائر ١٤٨/١/٢ - ٩. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٢١. ومن فتاويه ايضا المسألة الدينارية حيث قالت له امرأة: يا امير المؤمنين ان اضي مات وخلف ستمائة دينار. وقد دفعوا لي من ماله دينارا واحدا. فقال عليه السلام: خلف اخوك بتين. قالت: نعم. قال: لهما الثلثان اربعمائة. وخلف اما: قالت: نعم. قال: لها السدس مائة. وخلف زوجة. قالت: نعم. قال: لها الثمن خمسة وسبعون. وخلق معك اثني عشر اखा. قالت: نعم. قال: لكل اخ ديناران ولك دينار واحد. فقد اخذت حقتك فأصرفي. فسميت بالمسألة الدينارية. انظر: الاربلي: كشف الغمة ١٣٠/١.

(٤). الشرح: ١٨/١ - ١٩.

كلام الامام علي عليه السلام على ان العبد المقطوع كان قد سرق ازيد من حقه من القيمة بمقدار النصاب المذكور او اكثر. (١)

ومن خلال كتابه لقاضيه شريح القاضي (٢) اوضح فيه كيفية بيع الاملاك، اشار ابن ابي الحديد ان طريقته تطابق ما موجود في عصر ابن ابي الحديد (وهذا يدل على ان الشروط المكتوبة الان قد كانت في زمن الصحابة تكتب مثلها او نحوها الا انا ما سمعنا من احد منهم انه نقل صيغة الشرط الفقهي الى معنى اخر، كما قد نظمه هو عليه السلام، ولا غرو فما زال سباقاً الى العجائب والغرائب). (٣)

وكان عليه السلام يجيز اقامة وكيل عن الشخص في الخصومة وهو شاهد (٤) ويرى عليه السلام انه لا قرابة بالنوافل اذا اضرت بالفرائض، حيث لا يصح التنفل ممن عليه قضاء فريضة فاتته لا في صلاة ولا في غيرها. (٥)

وبذلك اصبح الامام علي عليه السلام اصل المذاهب الفقهية، فان اصحاب الامام ابي حنيفة كابي يوسف (٦) ومحمد بن الحسن (٧) اخذوا عن ابي حنيفة. والشافعي

-
- (١). الشرح: ١٦٠/١٩.
 - (٢). شريح ابو امية القاضي ادرك الجاهلية. ويعد من التابعين تولى القضاء في الكوفة منذ عهد الخليفة عمر وحتى ايام الحجاج توفي سنة ٨٧ هـ انظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٧٠١/٢ - ٢. ابن حجر: الاصابة ١٤٦/٢. وانظر الدوري: القاضي شريح واراؤه الفقهية. رسالة ماجستير ص ٢٢٤ - ٥.
 - (٣). الشرح: ٢٧/١٤. ٣١.
 - (٤). الشرح: ١٠٧/١٩.
 - (٥). الشرح: ١٥٨/١٨.
 - (٦). هو يعقوب بن ابراهيم الانصاري (١١٣ - ١٨٢ هـ) تلميذ الامام ابي حنيفة واول من نشر مذهبه. تولى القضاء حتى وفاته واشتهر بكتابة الخراج. انظر ابن النديم: الفهرست ص ٢٨٦. القرشي: الجواهر المضية ٢٢٠/٢ - ٢. ابن قطلوبغا: تاج التراجم ص ٨١. اللكنوي: الفوائد البهية ص ٢٢٦.
 - (٧). تلميذ الامام ابو حنيفة وممن نشر مذهبه (١٣١ - ١٨٩) تولى القضاء ومات في الري. ابن النديم: الفهرست ص ٢٨٧ - ٨. الخطيب: تاريخ بغداد ١٧٢/٢ - ١٨٢. القرشي: الجواهر المضية ٤٢/٢ - ٤٤. اللكنوي: الفوائد البهية ص ١٦٣.

قرأ علي محمد بن الحسن فيرجع فقهه لابي حنيفة، اما احمد بن جنبل فقرأ علي الشافعي، فيرجع ايضا لابي حنيفة، و ابو حنيفة قرا علي الامام جعفر الصادق عليه السلام، والصادق قرا علي ابيه محمد الباقر عليه السلام حتى ينتهي الامر الي الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، اما مالك بن انس فقد قرا علي ربيعه الرأي،^(١) وربيعه قرا علي عكرمة^(٢) وعكرمة قرا علي ابن عباس والمعروف ان ابن عباس هو تلميذ الامام علي عليه السلام، وكذلك فان الشافعي، درس من طريق اخر علي مالك ومالك يرجع فقهه للامام علي عليه السلام، واما فقه الشيعة فرجوعه اليه واضح.^(٣)

هذه الاضاءات القليلة تنبئ علي ان نهج البلاغة يعد مصدر للفقيه الذي يرغب في ان يكون نافذ الفكر مستنير البصيرة.^(٤)

(١). ربيعة بن فروخ التيمي ت ١٣٦ هـ لقب بريعه الراي لانه يقول برأيه اذا لم يجد حديثا. ابن التديم: الفهرست ص ٢٨٥. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١٧٧/٢. الخطيب: تاريخ بغداد ٤٢٠/٨. ابن خلكان، وفيات الاعيان ٢٨٨/١ - ٩٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١٥٧/١ - ٨.

(٢). عكرمة بن عبدالله البربري موسى ابن عباس (٢٥ - ١٠٥) من التابعين طاف البلدان واستقر فترة في المغرب حيث الخوارج هناك ثم عاد ومات بالمدينة. ابن سعد: الطبقات ٣٨٥/٢. ابو نعيم: حلية الاولياء ٣٢٦/٣ - ٣٤٧.

(٣). الشرح: ١٨/١. طرحت العثمانية فكرة مغايرة لذلك وانتقدت القائلين بأسبقية الامام في علم الفقه. انظر رسائل الجاحظ السياسية ص ١٨٥ - ١٩٠. وقال ايضا برأي العثمانية. ابن تيمية:

منهاج السنة ١٤٣/٤ - ٤.

(٤). العزيزي: الامام علي اسد الاسلام ص ٢٢٥.

المبحث الخامس

الامام علي عليه السلام وعلوم القرآن

كان الامام علي عليه السلام المنظور اليه في هذا الباب، حيث اتفق الكل على حفظه للقرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله وهو أول من جمعه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله حيث يرى اهل الحديث انه تشاغل بجمع القرآن، وهذا يدل على انه اول من جمعه، لانه لو كان مجموعا في حياة الرسول صلى الله عليه وآله لما احتاج ان يتشاغل بجمعه. (١)

لقد اولى الامام علي عليه السلام القرآن الكريم عنايته في التأكيد عليه، وايضاح اهميته ومكانته فمن اقواله فيه: «ان الله سبحانه وتعالى انزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر، فخذوا نهج الخير تهتدوا، واصدقوا عن سمت الشر تقصدوا». (٢) وقال ايضاً: «واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن احدا الا قام عنه بزيادة او نقصان، زيادة في هدى، او نقصان من عمى، واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن من فاقة، ولا لاحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من ادوائكم، واستعينوا به على آرائكم، فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق، والغبي والضلال، فأسألوا الله به، وتوجهوا اليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، انه ما توجه العباد الى الله بمثله، واعلموا انه شافع ومشفع، وقائل ومصدق، وانه من شفيع له

(١). الشرح: ٢٧/١.

(٢). الشرح: ٢٨٨/٩.

القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فانه ينادى منادي يوم القيامة: الا ان كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله، غير حرثه القرآن فكونوا من حرثته واتباعه، واستدلوه على ربكم، واستنصحوه على انفسكم، واتهموا عليه ارائكم، واستشفعوا فيه اهوائكم»^(١).

وقال ايضاً: «القرآن أمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه، اخذ عليهم ميثاقهم، وارتهن عليهم انفسهم، اتم نوره، واكرم به دينه، وقبض نبيه ﷺ وقد فرغ الى الخلق من احكام الهدى به»^(٢).

وقال بعد تلاوته لقوله تعالى: ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾^(٣) و«ان الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة»^(٤). وقال ايضاً: «وكتاب الله بين اظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم اركانه، وعز لا تهزم اعوانه»^(٥).

وقال: «كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالفه بصاحبه عن الله»^(٦).

هذه الملامح فيها اشارة الى مدى العلاقة الوثيقة بين الامام والنص القرآني، وقد اتضحت في خصوصية فهمه عليه السلام الى درجة يصورها في قوله لمن سأله: (هل عندكم شيء من الوحي؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، الا ان يعطي الله

(١). الشرح: ١٨/١٠ - ١٩.

(٢). الشرح: ١١٥/١٠.

(٣). سورة النور: الآيات ٣٦ - ٣٧.

(٤). الشرح: ١٧٦/١١.

(٥). الشرح: ٢٧٣/٨.

(٦). الشرح: ٢٨٧/٨.

عبدا فهما في كتابه). وانعام النظر في قوله عليه السلام يثبت ان اقل ما يدل عليه أن ما نقل عنه من اعاجيب المعارف الصادرة عن مقامه العلمي الذي يدهش العقول مأخوذ من القرآن الكريم، لذا اصبح عليه السلام دائرة معارف القرآن^(١).

ومن خلال ملاحظة ما جاء في كلامه عليه السلام عن القرآن، نجد فيه احسن ما ورد في تعظيمه واجلاله^(٢) وقد شهد النبي صلى الله عليه وآله بتلك العلاقة الوثقى، بين القرآن والامام علي عليه السلام بقوله: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»^(٣).

لذا نجد الامام عليا عليه السلام اصبح مصدرا لعلوم القرآن كعلم القراءات حيث ان ائمة القراءات يرجعون اليه مثل ابي عمرو بن العلاء^(٤) وعاصم بن ابي النجود^(٥) وغيرهما لأنهما يرجعون لابي عبدالرحمن السلمي^(٦) القارىء، وهو تلميذ الامام علي عليه السلام وعنه اخذ القرآن فصار فن القراءات من الفنون التي تنتهي الى الامام علي عليه السلام^(٧).

اما في علم التفسير فكان المعول عليه، حيث عنه اخذ ابن عباس (وقد علم

(١). الاعرجي: منهج المتكلمين في فهم النص القرآني ص ١٨ - ١٩.

(٢). الشرح: ٢/١٠.

(٣). اخرجاه: الحاكم: المستدرك ١٣٤/٣. انخوارزمي: المناقب ص ١١٠ - ١١١. الذهبي: تلخيص المستدرك ١٣٤/٣. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٣. السيوطي: الجامع الصغير ٣٥٦/٤. المتقي الهندي: كنز العمال ٢٠٣/١٢. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٢، ١٢٤.

(٤). هو زيان بن العلاء المازني اخذ عنه مشايخ البصريين. انظر ابن النديم: الفهرست ص ٤٢ - ٤٦. الذهبي: معرفة القراء الكبار ٨٣/١.

(٥). الكوفي الاسدي بالولاء ت ١٢٧ او ١٢٨ هـ يعد في التسابعين. انظر ابن النديم: الفهرست ص ٤٣. الذهبي: العبر ١٢٨/١. الذهبي: معرفة القراء الكبار ٧٣/١. ميزان الاعتدال ٣٥٧/٢ - ٨. الجزري: غاية النهاية ٣٤٦/١.

(٦). عبدالله بن حبيب الكوفي تصدر الاقراء ايام عثمان بن عفان (رض) حتى توفي سنة ٧٢ هـ ابو نعيم: حلية الاولياء ١٩١/٤ - ١٩٥. السمعاني: الانساب ١٨١/٧. الذهبي: تذكرة الحفاظ ٥٨/١. الذهبي: معرفة القراء الكبار ٤٥/١.

(٧). الشرح: ٢٧/١ - ٢٨.

الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه اليه، وانه تلميذه وخريجه، وقيل له: ابن علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر الى البحر المحيط).^(١)

وكان عليه السلام يقول: «لقد علمت تبليغ الرسالات، واتمام العادات، وتمام الكلمات...» والمقصود بعلم تمام كلمات الله تعالى أي تأويلها وبيانها الذي يتم به، لان في كلامه تعالى المجمل الذي لا يستغني عن متم ومبين يوضحه.^(٢) ولما كان الامام علي عليه السلام ملما بأساليب القرآن لذا نصح رسوله للخوارج (ابن عباس) بان لا يحاججهم بالقرآن (لان القرآن حمال ذو وجوه) حيث انه كثير الاشتباه، فهناك آيات تفيد رؤية الله^(٣) واخرى تنفيها^(٤) وآيات تشير الى ان الهداية والضلالة من الله^(٥) واخرى تنسبها للانسان.^(٦) ثم ان القرآن ناسخ ومنسوخ، ومن اجل ذلك دعا الامام علي عليه السلام ابن عباس للمحاجة بالسنة النبوية لخلوها من هذه الاشكالات.^(٧)

وفي علم اسباب النزول اشار الامام علي عليه السلام الى ان اول آية من سورة العنكبوت وهي ﴿الم. احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون...﴾. انها نزلت بعد معركة بدر، في الوقت الذي اشار المفسرون أنها مكية،^(٨) والملاحظ ان هذه الاية ربما تكون وحدها نزلت بعد معركة بدر، وكذا الحال في سورة

(١). الشرح: ١٩/١. ٢٤٧/١٥.

(٢). الشرح: ٢٨٩/٧.

(٣). كقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة﴾. سورة القيامة: الآية ٢٣.

(٤). كقوله تعالى: ﴿لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار﴾ سورة الانعام: الآية ١٠٣.

(٥). كقوله تعالى: ﴿فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ سورة ابراهيم: الآية ٤.

(٦). كقوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ سورة

الزلزال: الآيات ٧-٨.

(٧). الشرح: ٧١/١٨-٧٣.

(٨). انظر: الطوسي: التبيان ١٨٥/٨. القربطي: الجامع ٣٢٣/١٣.

الفصل الخامس: الامام علي عليه السلام مصدر للفكر العربي الاسلامي ٤٣٧

النحل^(١) التي هي مكة ما عدا الآيات الثلاث الاخيرة التي نزلت بالمدينة بعد معركة احد.^(٢)

وكان عليه السلام يؤكد على معرفته باسباب النزول بقوله: «سلوني عن كتاب الله، والله ما من آية الا انا اعلم انها بليل نزلت ام بنهار ام بسهل نزلت ام بجبل».^(٣)

(١). انظر: الطوسي: التبيان ٣٥٧/٦. القرطبي: الجامع ٦٥/١٠.

(٢). الشرح: ٢٠٧/٩.

(٣). انظر: ابن سعد: الطبقات ٣٣٨/٢. الازرقعي: اخبار مكة ٥٠/١. البلاذري: انساب ٩٩/٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠٧/٣. جامع بيان العلم وفضله ١١٤/١. الخوارزمي: المناقب ص ٤٩. البلوي: الف باء ٢٢٢/١. محب الدين: الرياض النظرة ٢٦٢/٢. ابن حجر: الاصابة ٥٠٩/٢. تهذيب التهذيب ٣٣٨/٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٨٥. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٦.

المبحث السادس الإمام علي عليه السلام والبلاغة

البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، والمقصود بالمطابقة ان يكون الكلام مناسباً لحال السامع حيث ان الناس طبقات ولذلك تختلف اساليب الكلام تبعاً لاختلاف حال السامع، اما الفصاحة فهي ان تكون اللفاظ سهلة واضحة عذبة خفيفة الحركات جارية على القياس الصرفي، وليس هناك تنافر بين حروفها، وان يكون التركيب (الكلام المؤلف) خالياً من الغموض والتعقيد والتكرار.^(١)

كان الامام علي عليه السلام من الفصاحة بمكان فهو امام الفصحاء وسيد البلغاء وفي كلامه قيل «دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين». ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة حيث حفظ عبد الحميد بن يحيى الكاتب^(٢) سبعيناً من خطبه عليه السلام. وحفظ ابن نباتة^(٣) (كنزاً لا يزيد الانفاق الا سعة، وكثرة حيث حفظ

(١). انظر معاني متعددة في ابن رشيق: العمدة ١/٢٤١ - ٢٥٠. الجرجاني: التعريفات ص ٢٦.

الحلاوي: البلاغة والتطبيق ص ٧ - ٨.

(٢). هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء اختص بمروان بن محمد وقتل معه، وكان يضرب به المثل في البلاغة، انظر الجهشاري: الوزراء والكتاب ص ٧٢ - ٨٣. ابن خلكان:

الوفيات ٣/٢٢٨ - ٢٣٢. ابن نباتة: سرح العيون ص ١٦٢ - ٥.

(٣). عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الفارقي (٣٣٥ - ٣٧٤هـ) ولد في ميفارقين

مائة فصل من مواعظه عليه السلام^(١).

وقد شهد معاوية له بهذا الامتياز فلما دخل عليه محفن بن ابي محفن قائلاً له: (جئتك من عند اعيان^(٢) الناس. فقال معاوية: ويحك! كيف يكون اعيان الناس! فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره).^(٣)

ويكفي كتاب نهج البلاغة في الاشارة على انه عليه السلام لا يجارى في الفصاحة، ولا يبارى في الفصاحة، حيث لم يدون لاحد من فصحاء الصحابة^(٤) العشر ولا نصف العشر مما دون له، وقد حفظ الجاحظ احد معتزلة البصرة، في كتابه البيان والتبيين^(٥) الكثير من خطبه.^(٦)

فلما اورد الجاحظ قوله عليه السلام: «قيمة كل امرئ ما يحسن» علق قائلاً: (لو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها شافية، ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية. واحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهره لفظه، وكان الله عز وجل قد البسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله. فاذا كان المعنى شريفاً، واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه، ومنزهاً عن

وسكن حلب ودخل في خدمة سيف الدولة الحمداني وكان الاخير كثير الغزوات فاكثر ابن نباتة من الخطب الجهادية. انظر ابن خلكان: الوفيات ١٥٦/٣ - ٨. الذهبي: العبر ١٤٣/٢.

(١). الشرح: ٢٤/١ - ٢٥.

(٢). العبي ضد البيان أي ليست لديه القدرة على الكلام الفصيح، الرازي: مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٣). الشرح: ٢٤/١ - ٢٥، ٢٤٧/١٥.

(٤). قال المدائني: كان ابو بكر خطيباً وكان عمر خطيباً وكان عثمان خطيباً وكان علي اخطبهم. انظر الجاحظ: البيان والتبيين ٣٥٣/١.

(٥). ٨٣/١، ٢٠٢، ٢٥٦، ٢٩٧، ١٤/٢، ٢٠ - ٢٢، ٥٠ - ٥٦، ٧٧ - ٧٨، ٨٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٦.

١٧٢، ١٩٠، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٥، ٣١١، ٣١٦، ٣٥٠، ٩٨/٣، ١٤١، ١٤٨، ١٥٥.

٢١١، ٢٦٠، ٢٧٤ - ٢٨٥، ٣٠١، ٩٣، ٨/٤.

(٦). الشرح: ٢٥/١.

الاختلال، مصنوناً عن التكلف، صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، اصحبها الله من التوفيق، ومنحها من التأيد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة.^(١)

لقد كان الامام علي عليه السلام افصح من كل ناطق بلغة العرب من الاولين والآخرين، الا كلام الله سبحانه وكلام رسوله ﷺ: (وذلك لان فضيلة الخطيب والكاتب في خطابته وكتابته تعتمد على امرين هما: مفردات الالفاظ ومركباتها. اما المفردات، فان تكون سهلة سلسلة غير وحشية ولا معقدة، والفاظه عليه السلام كلها كذلك، واما المركبات فحسن المعنى وسرعة وصوله الى الافهام، واشتماله على الصفات التي باعتبارها فضل بعض الكلام على بعض، وتلك الصفات هي الصناعة التي سماها المتأخرون البديع من المقابلة والمطابقة، وحسن التقسيم، ورد اخر الكلام على صدره، والترصيع^(٢) والتسهيم^(٣) والتوشيح^(٤) والمماثلة، والاستعارة، ولطافة استعمال المجاز، والموازنة، والتكافؤ، والتسميط^(٥) والمشاكلة).

ان هذه الاساليب كلها موجودة في خطبه عليه السلام وكتبه مبثوثة ومتفرقة في فرش كلامه عليه السلام وليس يوجد هذان الامران في كلام احد غيره، فان كان عليه السلام قد تعلمها، وفكر فيها، واعمل رويته في رصفها ونثرها، فقد اتى بالعجب العجاب، لذا وجب ان يكون امام الناس في ذلك، لانه المبتكر له، ولم يعرف من قبله، اما اذا

(١). البيان والتبيين ٨٣/١. وانظر كلمة الامام لدى سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٥٤.

(٢). هو ان تكون الالفاظ مستوية الاوزان متفقة الاعجاز كقوله تعالى: ﴿ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم﴾. وقوله تعالى ﴿ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم﴾. انظر ابن رشيق: العمدة ٢٦/٢.

(٣). هو ان يكون معنى البيت مقتنياً وشاهداً بها دالاً عليها. ابن رشيق: العمدة ٣٢/٢ - ٣٤.

(٤). هو نفس التسهيم. ابن رشيق: العمدة ٣١/٢.

(٥). هو تصيير كل بيت اربعة اقسام ثلاثها على سجع واحد مع مراعاة القافية في الرابع حتى تنقضي القصيدة، الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٦١. الجرجاني: التعريفات ص ٣١، ٧٠٠.

كان قد اقتضىها ابتداءً، وفاضت على لسانه مرتجلة، وجاش بها طبعه بديهة، من غير روية، ولا اعتمال فاعجب واعجب! وعلى كلا الامرين فلقد جاء مجلياً، والفصحاء تنقطع انفاسهم على اثره (واعلم ان تكلف الاستدلال على ان الشمس مضيئة يتعب، وصاحبه منسوب الى السفه، وليس جاحد الامور المعلومة علماً ضرورياً، باشد سفهاً مما رام الاستدلال بالادلة النظرية عليها).^(١)

لقد اطلق على بعض خطبه عليه السلام اسماء لشهرتها، كخطبة الاشباح أي الملائكة، التي اثاره اعجاب ابن ابي الحديد فقال عنها: «هذا موضع المثل (اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل)». ^(٢) اذا جاء هذا الكلام الرباني واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب، وكان نسبة الفصيح من كلامها اليه كنسبة التراب الى النضار الخالص، وحتى لو افترضنا ان العرب تقدر على الالفاظ الفصيحة المناسبة او المقاربة لهذه الالفاظ لكن من اين لهم المادة التي عبرت هذه الالفاظ عنها! ومن اين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون للرسول صلى الله عليه وسلم هذه المعاني الغامضة السمائية، ليتها لها التعبير عنها! اما الجاهلية فانهم انما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير او فرس او حمار وحش او ثور فلاه، او صفة جبال، او فلوات، ونحو ذلك. اما بالنسبة للصحابة، فالمذكور منهم بفصاحة انما كان منتهى فصاحة احدهم كلمات لا تتجاوز السطرين او الثلاثة، اما في موعظة تتضمن ذكر الموت، او ذم الدنيا، او ما يتعلق بحرب او قتال ترغيباً او ترهيباً).^(٣)

في حين ان الكلام في الملائكة وصفاتها، وصورها وعباداتها، وتسبيحها ومعرفتها بخالقها وحبها له، وولها اليه، وما جرى مجرى ذلك لما يتضمنه كلام

(١). الشرح: ٢٧٨/٦ - ٢٧٩.

(٢). الميداني: مجمع الامثال ٨٨/١. نسبه الى الصحابي معقل بن يسار المزني، حيث لما حفر زياد نهر البصرة واراد فتحه، اشهد معقل بن يسار فنسب النهر اليه. الزمخشري: ربيع الابرار ٢٢٦/١ - ٢٢٧.

(٣). الشرح: ٤٢٥/٦ - ٤٢٦.

الامام في هذه الخطبة، فاذا لم يكن معروفاً عند الجاهلية ولا الصحابة بهكذا تفصيل وقد يكونوا علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم ولا مرتبة هذا الترتيب، بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم.^(١)

اما من كان له علم بهذا الموضوع كعبدالله بن سلام^(٢) - احد اليهود - وامية بن ابي الصلت^(٣) فلم تكون لهم هذه العبادة، ولا قدروا على هذه الفصاحة. اذن ثبت ان هذه الامور الدقيقة في مثل هذه العبادة الفصيحة، لم تحصل إلا للإمام عليه السلام وحده «واقسم ان هذه الكلام اذا تأمله اللبيب، اقشعر جلده، ورجف قلبه، واستشعر عظمة الله في روعه وجلده، وهام نحوه، وغلب الوجد عليه، وكاد ان يخرج من مسكه شوقاً، وان يفارق هيكله صباة ووجدا».^(٤)

كان عليه السلام على درجة من التمكن في استخدام الألفاظ في ما يناسبها، فيعطي المتباعدات لفظة (مقرب)، لأن البعد بازاء القرب ويعطي المتباينات لفظة (مقارن) لأن البينونة بازاء المقارنة، واعطى المتعاديات لفظة (مؤلف) لان الائتلاف بازاء التعادي.^(٥)

ووقف ابن ابي الحديد معجباً بأسلوب كتاب ارسله الامام لابن عباس بعد مقتل محمد بن ابي بكر قائلاً «انظر الى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها، وتملكه زمامها، واعجب لهذه الالفاظ المنصوبة، يتلو بعضها بعضاً كيف تواتيه

(١). الشرح: ٤٢٦/٦.

(٢). هو عبدالله بن سلام بن الحارث ممن اسلم من اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وآله توفي سنة ٥٤٣ هـ. انظر: ابن سعد: الطبقات ٣٥٢/٢ - ١. مسلم: صحيح ٤١/١٦. الحاكم: المستدرک ٤٦٧/٣ - ٤٧١. ابن عبد البر: الاستيعاب ٩٢١/٣. ابن حجر: الإصابة ٣٢٠/٢ - ٣٢١.

(٣). امية بن عبدالله ابي الصلت بن ابي ربيعة الثقفي، كان ممن نبذ عبادة الأصنام، وحرم على نفسه الخمر، وادرك الاسلام ولم يسلم. ت ٥٥ هـ ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٦٩ - ٣٧٢. النووي تهذيب الاسماء ١٢٦/١/١ الالوسي: بلوغ الارب ٢٥٣/٢. ٢١/٣.

(٤). الشرح: ٤٢٦/٦.

(٥). الشرح ٧٤/٦ - ٧٥.

وتطاوعه، سلسلة سهلة، تتدفق من غير تعسف ولا تكلف، حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال «يوماً واحداً ولا التقى بهم أبداً» وانت وغيرك من الفصحاء، اذا شرعوا في كتاب او خطبه، جاءت القرائن او الفواصل تارة مرفوعة، وتارة منصوبة، فان ارادوا قسرهما باعراب واحد. ظهر منها في التكلف اثر بين، وعلامة واضحة»^(١).

هذا الصنف من البيان هو احد انواع الاعجاز القرآني، (انظر الى سورة الناس وبعدها سورة المائدة، الاولى منصوبة الفواصل والثانية ليس فيها منصوب اصلاً ولو مزجت احدي السورتين بالاخري لم تمتزجا، وظهر اثر التركيب والتأليف بينهما)^(٢).

ثم ان هذه الفواصل في كلام الامام علي عليه السلام تساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعي لا حسب الصناعة التكليفية. «ثم انظر الى الصفات والموصوفات في هذا الفصل كيف قال: (ولداً ناصحاً) و (عاملاً كادحاً) و (سيفاً قاطعاً) و (ركناً دافعاً) ولو قال: (ولداً كادحاً) و (عاملاً ناصحاً) وكذلك ما بعده لما كان صواباً، ولا في الموقع واقعاً»^(٣).

ان هذه البلاغة جعلت من ابن ابي الحديد يتعجب قائلاً (فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة، والخصائص الشريفة! ان يكون غلام من ابناء عرب مكة، ينشأ بين اهله... وخرج افصح من سحبان^(٤) وقس،^(٥) ولم تكن قريش

(١). الشرح: ١٥٤/١٦ - ١٤٦.

(٢). الشرح: ١٤٦/١٦.

(٣). الشرح: ١٤٦/١٦.

(٤). سحبان بن زفر بن ايباس ت ٥٤هـ. احد خطباء العرب. خطب امام معاوية من الظهر حتى العصر. ابو هلال العسكري: جمهرة الامثال ٢٤٨/١ - ٩. ابن حجر: الاصابة ١٠٩/٢. الالوسي: بلوغ الارب ١٥٦/٣.

(٥). قس بن ساعدة الايادي اول من خطب على عصا ت ٢٣ ق. هـ. الجاحظ: البيان والتبيين ٤٢/١ - ٣. ٤٥، ٥٢، ٣٠٨ - ٣٠٩. ابو هلال العسكري: جمهرة الامثال ٢٤٩/١. المرزباني:

بافصح العرب، كان غيرها افصح منها، قالوا افصح العرب جرهم، وان لم تكن لهم نباهة... ولا غرو فيمن كان محمد ﷺ مربيه و مخرجه، والعناية الالهية تمده وترفده ان يكون منه ما كان).^(١)

وكان عليه السلام ايضاً مقتدرأ على التصرف في المعنى فعلى سبيل المثال نجده دائماً يذم الدنيا ولكنه ايضاً أحياناً يمدحها، وهو صادق في المدح والذم.^(٢) وقد لاقى كلامه عليه السلام استحساناً لدى من كان له باع مشهود في البلاغة حيث يقول الشريف الرضي عن الخطبة الحادية والعشرون: (ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه، وبعد كلام رسول الله ﷺ بكل كلام لمال به راجحاً وبرز عليه سابقاً).^(٣) ووصف الخطبة رقم ٤٨ بان فيها (من غريب العبارات وعجيبها).^(٤) وقد خصص الشريف الرضي آخر كتابه نهج البلاغة.^(٥) لقصار كلمات الامام والتي كانت على ايجازها في منتهى الفصاحة، وقد وصف ابن ابي الحديد هذا الباب بانه: (كالروح من البدن، والسواد من العين، وهو الدرة المكنونة التي سائر الكتاب صدفها).^(٦) لذا نجده يعلق على بعض من هذه الكلمات بالثناء ومنها:

| كلام الامام | تعليق ابن ابي الحديد | الصفحة |
|----------------------|--|--------|
| ● ملكتني عيني | ● من فصيح الكلام يريد عليه السلام غلبني النوم. | ١٢/٦ |
| ● ونسأله المعافاة في | ● لقد اظرف عليه السلام وابدع، وذلك لان | |
| الاديان كما نسأله | للاديان سقماً وطباً وشفاءً، كما ان | ٨١/٧ |

معجم الشعراء ص ٣٣٨.
 (١). الشرح: ١٤٦/١٦-١٤٧.
 (٢). الشرح: ٣٢٦/١٨.
 (٣). الشرح: ٣٠١/١.
 (٤). الشرح: ٢٠٠/٣.
 (٥). نهج البلاغة ص ٤٦٩-٥٥٩.
 (٦). الشرح: ٨١/١٨.

- المعافاة في الابدان
- افأعبد ما لا أرى!
- العار امامكم والجنة امامكم
- فان البخل والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله
- المرء مخبوء تحت لسانه
- تكلموا تعرفوا، فان المرء مخبوء تحت لسانه
- هلك امرء لم يعرف قدره
- ما اكثر العبر واقل الاعتبار
- الناس أعداء ما جهلوا
- او تعتدل على عقول اهل الدنيا
- هذه اللفظة لا نظير لها في الايجاز والدلالة على المعنى وهي من الفاظه ^{التي} المعدودة ٣٥٣/١٨
- هذه احدى كلماته التي لا قيمة لها، ولا يقدر قدرها. ٣٤٠/١٩
- هذه الكلمة من كلماته المعدودة. ٣٥٥/١٨
- ما اوجز هذه الكلمة وما اعظم فائدتها! ٢٠٣/١٩
- هذه من الفاظه الشريفة التي لا نظير لها. ٨٦/٢٠
- هذا كلام لطيف فصيح غامض، ومعناه ان غمرات الموت واهواله عظيمة جداً، لا تستقيم على العقول، ولا تقبلها اذا شرحت لها، ووصفت كما هي على الحقيقة بل تنبو عنها ولا تصدق بما يقال فيها فعبر عن عدم استقامتها على العقول، بقوله: (او يعتدل) كأنه جعلها كالشيء المعوج عند العقل فهو غير مصدق به
- هذا كلام شريف جداً. ٣٠٣/٩
- هذا كلام شريف من كلام الحكماء ٤١/١٧

واحياناً يكون كلامه عليه السلام ليس بحاجة لتفسير، كما في كلامه ٢١٩ حيث ان معانيه ظاهرة، والفاظه الفصيحة تعطيها وتدل عليها بما لو اراد المفسر ان يعبر عنه بعبارة غير عبارته عليه السلام لكان لفظه عليه السلام اولى ان يكون تفسيراً لكلام ذلك المفسر.^(١) وكذلك كلامه ذو الرقم ١٨٣ الذي هو من فصيح الكلام ونادره، ويتضمن من توحيد الله تعالى وتمجيده، والثناء عليه ما يشهد لنفسه.^(٢)

وكان عليه السلام يستخدم الالفاظ المناسبة لبعضها البعض، بحيث لو ذكر غيرها لما انطبقت عليها، ولا استقرت في قرارها.^(٣) وكان عليه السلام يكرر المعنى، ولكن بالفاظ مختلفة وذلك لاقتداره على العبارة وسعة مادة النطق عنده.^(٤)

ومن اساليبه عليه السلام الجواب الاقناعي (وهي اجوبة اذا بحث عنها لم يكن وراءها تحقيق، وكانت يبادئ النظر مسكته للخصم سالحة لمصادمته في مقام المجادلة).^(٥) فلما سئل عليه السلام: كم بين السماء والارض؟ اجاب: دعوة مستجابة. وسئل ايضاً: ما بين المشرق والمغرب؟ فقال: مسيرة يوم للشمس.^(٦)

وهي اجوبة صحيحة لا ريب فيها لان السائل سأل بحضور العامة، تحت المنبر فلو اجابه الامام بمقدارها عدداً، لربما طالبه السائل بالدليل، والدليل يصعب حصوله على البديهة، وحتى لو حصل لشق ايصاله الى فهم السائل والحاضرين، ولصار فيها خلاف وربما فتنه، لذا عدل الامام الى جواب اجمالي صحيح اسكت السائل واقتنع السامعون به واستحسنوه، وهذا من نتائج حكيمته عليه السلام.^(٧)

(١). الشرح: ١١/١٤٤.

(٢). الشرح: ١٠/٨٨.

(٣). الشرح: ٧/٢٧١-٢٧٢.

(٤). الشرح: ١٨/٣٦٠.

(٥). الشرح: ٢/١٧٢.

(٦). الشرح: ٢/١٧٢-١٧٣، ١٩/١٩٩. وانظر الجاحظ: البيان والتبيين ٣/٢٧٤-٢٧٥.

الزمخشري: ربيع الابرار ١/٦٦٣.

(٧). الشرح: ١٩/١٩٩.

ولما كان كلام الامام علي عليه السلام متميزاً عن سواه، لذا لم يجد ابن ابي الحديد مشقة في تمييزه عن غيره، ففي شرحه لخطبة الامام الرابعة قال: (هذه الكلمات والامثال ملتقطة من خطبه طويلة منسوبة اليه عليه السلام فقد زاد فيها قوم اشياء حملتهم عليها اهوؤهم، لا توافق الفاظها طريقته عليه السلام في الخطب، ولا تناسب فصاحتها فصاحته ولا حاجة الى ذكرها فهي شهيرة، ونحن نشرح هذه الالفاظ لانها كلامه عليه السلام لا يشك في ذلك من له ذوق ونقد ومعرفة بمذاهب الخطباء والفصحاء في خطبهم، ورسائلهم ولان الرواية لها كثيرة، ولان الرضي رحمته الله قد التقطها ونسبها اليه عليه السلام وصححها وحذف ما عداها).^(١)

ولما نسبت بعض خطبه وكلامه عليه السلام للغير تمكن علماء البيان من اعادة نسبتها للامام عليه السلام فمثلاً الخطبة رقم ٣٢ التي نسبتها من لا علم له الى معاوية مع انها من كلام الامام عليه السلام الذي لا يشك فيه، اذ اين الذهب من الرغام! واين العذب من الاجاج! وقد دل على ذلك الخريت، وتقده الناقد البصير، عمرو بن بحر الجاحظ حيث ذكرها في كتابه البيان والتبيين،^(٢) وأشار الى ان هناك من نسبتها لمعاوية ثم انكر ذلك قائلاً: (وهذا الكلام بكلام علي عليه السلام اشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس، وفي الاخبار عما هم عليه من القهر والاذلال، ومن التقية والخوف اليق، ومتى وجدنا معاوية في حال من الاحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ومذاهب العباد!).^(٣)

ونسب الجاحظ خطبة الامام رقم ١١٠ الى قطري بن الفجاءة^(٤) والمعروف

(١). الشرح: ٢٠٨/١.

(٢). ٥٩/٢ - ٦١.

(٣). الشرح: ١٧٥/٢ - ١٧٦، ونسبها لمعاوية ايضاً الابي: نشر الدرر ١٩/٣ - ٢١.

(٤). هو قطري بن الفجاءة بن مازن التميمي من رؤساء الازارقة من الخوارج، وتولى امرة الخوارج ثلاث عشرة سنة، وقتل في حرابه. الجاحظ: البيان والتبيين: ١/٣٤١ - ٢، ١٢٦/٢، ٣١٠/٩ - ١. ابن قتيبة: المعارف ص ٤١١. الطبري: تاريخ: ١٢٦/٦ - ٧، ١٦٩، ٢٥٩.

انها للامام حيث رواها المرزباني في كتابه (الموتق)،^(١) وهي بكلام الامام عليه السلام اشبه، وليس يبعد عند ابن ابي الحديد ان يكون قطري خطب بها بعد ان اخذها من اصحاب الامام عليه السلام الذين صاروا فيما بعد خوارج.^(٢)

ومما يؤثر عن الامام عليه السلام قوله: «لا تظن بكلمة خرجت من احد سوءاً، وانت تجد لها في الخير محتملاً» الا ان هناك من رواها للخليفة عمر بن الخطاب (رض).^(٣)

ونسب (ابو حامد الغزالي)^(٤) قوله عليه السلام: «من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها، ولا ينال ما عنده الا بتركها». الى ابي الدرداء،^(٥) والصحيح انها من كلام الامام علي عليه السلام حيث ذكر ذلك الجاحظ^(٦) وهو اعرف بكلام الرجال.^(٧)

وذكر المبرد^(٨) خطبة لاعرابي بالبادية (واكثر الناس يرون انها من كلام الامام عليه السلام ويجوز ان يكون الاعرابي حفظها واوردها كما يورد الناس كلام غيرهم).^(٩)

ووجد ابن ابي الحديد كلمة الامام «نفس المرء خطاه الى اجله» منسوبة الى

٣٠٠ - ٣١٨/٣١٠.

(١). لم اعثر على هذا الكتاب.

(٢). الشرح: ٢٣٦/٧. وانظر الجاحظ: البيان والتبيين ١٢٦/٢ - ٩. ابن قتيبة: عيون الاخبار ٢٥٠/٢ - ١. النويري: نهاية الارب ٢٥٠/٧ - ٣. القلقشدي: صبح الاعشى ٢٢٣/١ - ٥.

(٣). الشرح: ٢٧٧/١٩.

(٤). لم اهتم اليها في كتابه احياء علوم الدين.

(٥). عويمر بن مالك بن قيس بن امية الانصاري الخزرجي احد الصحابة الذين عرفوا بالعبادة، تولى القضاء للخليفة عمر (رض) في دمشق توفي سنة ٣٢ هـ ابو نعيم: حلية الاولياء ٢٠٨/١ - ٢٢٧. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٦٤٦/٤ - ٨. الذهبي: معرفة القراء الكبار ٣٨/١. ابن

حجر: الاصابة ٤٥/٣ - ٤٦.

(٦). لم اهتم اليها في أي من مؤلفات الجاحظ.

(٧). الشرح: ٣٢٦/١٩.

(٨). الكامل في اللغة والادب ١٠٨/٤.

(٩). الشرح: ٣/١١ - ٤.

عبدالله بن المعتز^(١) فعلق قائلاً: (فلا ادري هل هي لابن المعتز ام اخذها من امير المؤمنين عليه السلام! والظاهر انها لامير المؤمنين عليه السلام فانها بكلامه اشبه، ولان الرضي قد رواها عنه، وخبر العدل معمول به).^(٢)

اساليب البيان

البيان: هو النطق الفصيح المعرب، أي اظهار المعنى وايضاح ما كان مستوراً قبله، ليتم اظهار المراد للسامع^(٣) وموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة،^(٤) ويجب على صاحب علم البيان الامام بعلوم تسمى (ادوات علم البيان) وهي: النحو والتصريف والفاظ اللغة وامثال العرب واياهمم (التاريخ) والاحاطة بالمؤلفات السابقة التي كتبت في علم البيان، والاحكام السلطانية وحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية.^(٥)

لقد تنوعت اساليب البيان التي استخدمها الامام علي عليه السلام في ثنايا كلامه ومنها:

اولاً: الاستعارة:

نقل المعنى من لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول اليه^(٦) وقد استخدم

(١). هو عبدالله بن محمد المعتز بالله بن الخليفة العباسي المتوكل كان شاعراً وله مجموعة من الكتب الادبية. تولى الخلافة بعد المقتدر يوم وليلة ثم عزل وتوفي سنة ٢٩٦هـ مخنوقاً، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٩٥/١٠ - ١٠١. القفطي: المحمدون من الشعراء ص ٢٥٥. الكتبي: فوات الوفيات ٢٣٩/٢ - ٢٤٦.

(٢). الشرح: ٢٢١/١٨.

(٣). ابن رشيق: العمدة ٢٥٤/١. الجرجاني: التعريفات ص ٨٣، ٢٦.

(٤). ابن الاثير: المثل السائر ٥١/١.

(٥). ابن الاثير: المثل السائر ٥٧/١ - ٨٦.

(٦). ابن رشيق: العمدة ٢٦٨/١. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٤٧. ابن الاثير: المثل السائر

٨٨/١. الجرجاني: التعريفات ص ١٣.

الامام علي عليه السلام هذا الاسلوب على نطاق واسع.

- قوله عليه السلام: «شقوا امواج الفتن بسفن النجاة... وضعوا تيجان المفاخرة.

اقلح من نهض بجناح». قال ابن ابي الحديد: (ان احسن الاستعارات ما تضمن مناسبة بين المستعار والمستعار منه كهذه الاستعارات... وذلك لان الفتن قد تتضاعف وتترادف فحسن تشبيهها بامواج البحر المضطربة. ولما كانت السفن الحقيقية تنجى من امواج البحر. حسن ان يستعار لفظ السفن لما ينجى من الفتن. وكذلك قوله «وضعوا تيجان المفاخرة» لان التاج لما كان مما يعظم به قدر الانسان استعارة لما يتعظم به الانسان من الافتخار وذكر القديم. وكذلك استعارة النهوض بالجناح لمن اعتزل الناس، كأنه لما نفى يديه عنهم صار كالطائر الذي ينهض من الارض بجناحيه).^(١)

واكثر الامام من الاستعارة في خطبه له يصف اصحاب القبور اذ يقول «سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سلطت الارض عليهم فيه، فاكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم فاصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون، وضماراً لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الاهوال، ولا يحزنهم تنكر الاحوال، ولا يحفلون بالرواجف، ولا يأذنون للقواصف، غيباً لا ينتظرون وشهوداً لا يحضرون، وانما كانوا جميعاً فتشتوا، والافاً فافترقوا، وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم، عميت اخبارهم وصمت ديارهم، ولكنهم سقوا كأساً بدلتهم بالنطق خرساً، وبالسمع صمماً، وبالحرركات سكوناً، فكأنهم في ارتجال الصفة، صرعى سبات، جيران لا يتأنسون، واحياء لا يتزاورون، بليت بينهم عرا التعارف وانقطعت منهم اسباب الاخاء، فكلهم وحيداً وهم جميع وبجانب الهجر وهم اخلاء».^(٢)

قال ابن ابي الحديد: (هذه كلها استعارات لطيفة مستحسنة). فأشارته

(١). الشرح: ٢١٥/١. وانظر نص كلام الامام عليه السلام. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٢٨.

(٢). الشرح: ١٥٠/١١.

للبرزخ أي الحاجز ويجوز ان يقصد به القبر لانه حجز بين الميت واهل الدنيا ويجوز ان يقصد به الوقت الذي بين حال الموتى الى حال النشور. ولفظنا (اكلت الارض من لحومهم وشربت من دمائهم). مستعارتان والمقصود بالفجوة أي الفرجة المتسعة بين الشيئين. (وجماداً لا ينمون) أي خرجوا عن صورة الحيوانية الى صورة الجماد الذي لا ينمى ولا يزيد وقوله: (لا يحفلون بالرواحف) أي لا يكثرثون بالزلازل، وقوله: (ولا يأذنون للقواصف) أي لا يسمعون الاصوات الشديدة، وقوله: (غيباً لا ينتظرون) أي شهود في الصورة وغير حاضرين في المعنى، وقوله: (وبالسمع صمما) أي لم يسمعوا فيها نداء المنادي ولا نوح النائح او لم يسمع في قبورهم صوت منهم. وقوله: (كانهم صرعى سبات) وهو النوم حيث لا فرق في الصورة بين الميت حال موته، والنائم المسبوق).^(١)

- وقال عليه السلام: «وبادروا للموت وغمراته، وامهدوا له قبل حلوله» فامهدوا له اتخذوا مهاداً وهو الفراش.^(٢)

- وقال عليه السلام: «وانا اطمع ان تلتحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشوا الى ضوئي». شبه به عليه السلام من يلتحق به من اهل الشام بمن يعشوا ليلاً الى النار، وذلك لان بصائرهم ضعيفة، فهم من الاهتداء بهداه عليه السلام كمن يعشو ببصر ضعيف الى النار في الليل.^(٣)

- وقوله عليه السلام في الخفافيش: «يقبضها الضياء الباسط لكل شيء، ويبسطها الظلام القابض لكل حي، وكيف عشيت اعينها من ان تستمد من الشمس المضئية نوراً تهتدي به في مذاهبها، وتتصل بعلائية برهان الشمس الى معارفها، وردعها بتلؤلؤ ضيائها، عن المضي في سباحات اشراقها». فعبارة (وتتصل بعلائية برهان

(١). الشرح: ١١٠/١١ - ١٥٥.

(٢). الشرح: ١١٢/١٣.

(٣). الشرح: ١٢/٤ - ١٣.

الشمس) كلام جيد في مذهب الاستعارة. (١)

- قوله عليه السلام: «وجلِب اسيافهم» أي ما اجلبته اسيافهم، وساقته اليهم،

والجلب: المال المجلوب، وجناه الثمر ما يجنى منه. وهذه استعارة فصيحة. (٢)

- قوله عليه السلام: «من احد سنان الغضب لله قوي على قتل اشداء الباطل» وهذه

الكلمة تتضمن استعارة تدل على الفصاحة. (٣)

- وفي خطبة الاشباح من حسن الاستعارة وبديع الصنعة ما لا خفاء به

كقوله عليه السلام: «ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال». ووجه الاستعارة هنا، كأن

الجبال لما اخرجت المعادن، شبهها بولادة الحيوان يتنفس فيخرج من صدره

ورئته الهواء، وقوله: «وضحكت عنه الاصداف» أي تفتحت عنه وانشقت، يقال

للتلحاح حيث ينشق: الضحك بفتح الضاد، وانما سمي الضاحك ضاحكاً لانه يفتح

فاه. (٤)

وقوله في الخطبة اعلاه: «وانت الله لم تتناه في العقول، فتكون في مهب

فكرها مكيفاً». فعبارة مهب فكرها استعارة حسنة. (٥)

قال ابن ابي الحديد في نهاية شرحه لهذه الخطبة: (لما تأمل العلماء شعر

امرء القيس وجدوا فيه من الاستعارة بيتا او بيتين نحو قوله يصف الليل:

فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازاً وناء بكلكل

وقوله:

وان يك قد ساءتني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي

ولم ينشدوا مثل ذلك في اشعار الجاهلية، حكموا له بأنه امام الشعراء

(١). الشرح: ١٨١/٩ - ١٨٢.

(٢). الشرح: ١١/١٣.

(٣). الشرح: ٤٠٥/١٨.

(٤). الشرح: ٤٠٣/٦.

(٥). الشرح: ٤١٣/٦ - ٤١٥.

ورئيسهم، وهذا الفصل من كلام امير المؤمنين عليه السلام قد اشتمل من الاستعارة العجيبة، وغيرها من ابواب البديع على ما لو كان موجوداً في ديوان شاعر مكثراً او مترسل مكثراً لكان مستحق التقديم بذلك. ألا تراه كيف وصف الامواج بأنها مستفحلة وانها ترغور غاء فحول الابل، ثم جعل الماء جماحاً، ثم وصفه بالخضوع وجعل للارض كلكلا، وجعلها واطئة الماء به، ووصف الماء بالذل والاستخذاء لما جعل الارض متمعكة عليه كما يتمكك الحمار او الفرس وجعل لها كواهل، وجعل للذل حكمة وجعل الماء في حكمه الذل منقاداً اسيراً وساجياً مقهوراً، وجعل الماء قد كان ذانخوة وبأو واعتلاء فردته الارض خاضعاً مسكيناً، وطأطأت من شموخ انفه وسمو غلوائه وجعلها كأعمة له، وجعل الماء ذاكظة بامتلائه، كما تعتري الكظة المستكثر من الاكل، ثم جعله هامداً بعد ان كانت له نزقات، ولا بدا بعد ان كانت له وثبات، ثم جعل الارض اكتافاً وعرانين وانوفاً وخياشيم، ثم نفى النوم عن وميض البرق وجعل الجنوب مادية درد السحاب، ثم جعل للسحاب صدراً وبوانا، ثم جعل الارض مبهجة مسرورة مزدهاه، وجعل لها ريطاً من لباس الزهور وسموطاً تحلى بها).^(١)

واردف ابن ابي الحديد قائلاً: (فيا لله وللعجب من قوم زعموا ان الكلام انما يفضل بعضه بعضاً لاشتماله على امثال هذه الصنعة فاذا وجدوا في مائة ورقة كلمتين او ثلاثاً منها، اقاموا القيامة ونفخوا في الصور وملئوا الصحف بالاستحسان لذلك والاستطراف ثم يمرون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعة على الطف وجه، وارصع وجه، وارشق عبارة وادق معنى واحسن مقصد ثم يحملهم الهوى والعصبية على السكوت عن تفضيله اذا اجملوا واحسنوا ولم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه! على انه لا عجب، فانه كلام على عليه السلام وحظ الكلام حظ

المتكلم وأشبه امرؤا بعض بزه^(١).(٢)

- ومن كلماته التي استخدم فيها الاستعارة قوله: «وخلق الاجال فاطالها وقصرها وقدمها واخرها، ووصل بالموت اسبابها، وجعله خالجا لاشطانها، وقاطعاً لمرائر اقرانها». والقرائن هي الحبال جمع قرن، ومرائر القرائن جمع مريز، وهو ما لطف وطال من الحبال واشتد فتله، وهذا الكلام من باب الاستعارة.^(٣)

ثانياً: التجنيس:

هو ان يتفق اللفظ ويختلف المعنى ولا يكون احدهما حقيقة والاخر مجازاً، بل يكونان حقيقيين، وهو سبعة اقسام.

منها التجنيس الحقيقي ويسمى (الجناس التام) وهو الذي تتساوى حروف الفاظه في تركيبها ووزنها كقوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾^(٤).(٥)

ومما ورد من هذا النوع في كلام الامام علي عليه السلام قوله: «فالبصير منها شاخص والاعمى اليها شاخص». فهو من مستحسن التجنيس فالشاخص الاول الراحل والشاخص الثاني من شخص بصره بالفتح اذا فتح عينيه نحو الشيء مقابلاً له، وجعل لا يطرق.^(٦) اما الاقسام الستة الاخرى فهي من متشابه التجنيس ولم

(١). قاله سهيل بن عمرو او ذو الاصمغ العدواني. ابو هلال العسكري: جمهرة الامثال ٢٥/١.

٤٠٥. ابن نباتة: سرح العيون ص ٢٨٨.

(٢). الشرح: ٤٥٢/٦.

(٣). الشرح: ٢/٧.

(٤). سورة الروم: الآية ٥٥.

(٥). الشرح: ٢٧٦/٨. وانظر ابن رشيق: العمدة ٣٢١/١-٢. ابن الاثير: المثل السائر

٣٧٩/١-٣٨٠.

(٦). الشرح: ٢٧٦/٨.

اجدلها نماذجاً في شرح ابن ابي الحديد لكلام الامام علي عليه السلام.^(١)

ثالثاً: البديع:

هو المطابقة بين المعاني وهو الجمع بين الشيء وضده كالسواد والبياض، والليل والنهار واسماء ابن الاثير مقابلة لانه لا يخلو الحال فيه من وجهين، اما يقابل الشيء بضده او يقابل بما ليس ضده. والاول مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض ينقسم الى قسمين، احدهما مقابلة في اللفظ والمعنى، والاخر مقابلة في المعنى دون اللفظ. فمثال المقابلة في اللفظ والمعنى قوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾^(٢) وقول الامام علي عليه السلام: «ان الحق ثقيل مري، والباطل خفيف وبى، وانت رجل ان صدقت سخطت وان كذبت رضيت». فقابل الحق بالباطل والثقل المري بالخفيف الوبي والصدق بالكذب، والسخط بالرضا، وهذه خمسة مقابلات في هذه الكلمات القصار^(٣) وكذلك قوله عليه السلام للخوارج: «كلمة حق يراد بها باطل»^(٤) وقوله عليه السلام في الخطبة الغراء: «الحمد لله الذي علا بحوله، ودنا بطوله، مانح كل غنيمة وفضل، وكاشف كل عزيمة وازل، احمده على عواطف كرمه، وسواغ نعمه، واومن به اولا باديا، واستهديه قريباً هادياً، واستعينه قاهراً قادراً، واتوكل عليه كافياً ناصراً»^(٥).

هذه الخطبة التي اعتبرها الشريف الرضي من خطب الامام العجبية فيها ضروب من البديع، فمنها ان لفظه (دنا) في مقابلة (علا) لفظاً ومعنى، وكذلك (حوله) و(طوله) ووجه المقابلة بين الحول والطول، لان الحول هو القوة وهي

(١). ابن الاثير: المثل السائر ١/٣٨٦-٣٩٧.

(٢). سورة التوبة: الآية ٨٢.

(٣). ابن الاثير: المثل السائر ٣/١٧١-١٧٣. الجرجاني: التعريفات ص ٨٣.

(٤). ابن الاثير: المثل السائر ٣/١٧٣.

(٥). الشرح: ٦/٢٤١.

مشعرة بالسطوة والقهر، ومنه منشأ الانتقام، والطول: الافضال والتكرم وهو نقيض الانتقام والبطش، ومنها ان (مانحا) في وزن (كاشف) و(غنيمة) بازاء (عظيمة) في اللفظ، وضدها في المعنى، وكذلك (فضل) و(ازل) ومنها ان (عواطف) بازاء (سوايف) و(نعمة) بازاء (كرمه). ومنها وهو الطف ما يستعمله ارباب هذه الصناعة. انه جعل قريباً هادياً مع قوله (استهديته) لان الدليل القريب منك اجدر بان يهديك من البعيد النازح، ولم يجعله مع قوله (واستعينه) وجعل مع الاستعانة (قاهراً قادراً) لان القادر القاهر يليق ان يستعان ويستخدم به، ولم يجعله قادراً قاهراً مع التوكل عليه، وجعل مع التوكل (كافياً ناصراً) لان الكافي الناصر اهل لان يتوكل عليه.^(١)

وفي قوله عليه السلام: «اتقوا الله تقاة من شمر تجريداً، وجد تشميراً» فلو قال: (وجرد تشميراً) لكان قد اتى بنوع مشهور من انواع البديع لكنه لم يحفل بذلك، وجرى على مقتضى طبعه من البلاغة الخالية من التكلف والتصنع.^(٢) واشتملت خطبته الرقم ٢٣٦ على الكثير من صناعة البديع الرائقة المستحسنة البريئة من التكلف ما لا يخفى.^(٣)

ومن انواع البديع (لزوم ما لا يلزم) وهو من اشق هذه الصناعة مذهباً، وابعدها مسلكاً، وذلك لان مؤلفه يلتزم ما لا يلزم، فان اللازم في هذا الموضع وما جرى مجراه انما هو للسجع الذي هو تساوي اجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها، وهذا فيه زيادة على ذلك وهو ان تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً.^(٤)

(١). الشرح: ٢٤٢/٦ - ٢٤٣.

(٢). الشرح: ٣٠/١٩.

(٣). الشرح: ١١٤/١٣.

(٤). الشرح: ١٣٣/١. وانظر: ابن الاثير: المثل السائر ٤٠١/١ - ٢. وقد وضع ابو العلاء كتاباً تحت عنوان (لزوم ما لا يلزم) جاء فيه بالجيد والردى. الشرح: ١٣٥/١. المثل السائر:

وفي ذلك قوله عليه السلام: «احمده استتماماً لنعمة... فانه ارجح ما وزن وافضل ما وزن» فلفظتي وزن ووزن بلزوم الزاي من باب لزوم ما لا يلزم.^(١) ويخلص ابن ابي الحديد للقول على ان فن البديع لا يوجد منه في كلام غير الامام ممن تقدمه الا الفاظاً يسيرة غير مقصودة، ولكنها واقعة بالاتفاق كما وقع التجنيس في القرآن العزيز اتفاقاً غير مقصود كقوله تعالى: ﴿يا اسفا على يوسف﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿والسما رفعها ووضع الميزان﴾^(٣) على انها ليست مقابلة في المعنى بل في اللفظ فقط.^(٤)

ويقول باحث معاصر عن موقف ابن ابي الحديد من البديع عند الامام علي: (يبدو ان موقفه من الامام علي عليه السلام في جعله امام ارباب صنعه البديع، موقف نقدي انفرد به عن سبقه من النقاد).^(٥)

رابعاً: الكناية:

هي من اقسام المجاز، وهي ابدال لفظة عرض في النطق بها مانع بلفظة لا مانع من النطق بها.^(٦) كقوله عليه السلام في الخوارج: «انهم نطف في اصلاب الرجال وقرارات النساء» فانه لما وجد الناس قد تواضعوا على استهجان لفظة (ارحام النساء) استخدم لفظة قرارات النساء كناية عن الارحام.^(٧) وقوله عليه السلام: «فالتمسوا

٤٠٢/١. وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٩٦١.

(١). الشرح: ١٣٢/١.

(٢). سورة يوسف: الآية ٨٤.

(٣). سورة الرحمن: الآية ٧.

(٤). الشرح: ٣٠/١٩.

(٥). حسن حميد محسن فياض: ابن ابي الحديد ناقدًا. ص ٦٠ - ٦١.

(٦). الشرح: ١٥/٥، ٥٩. ابن رشيق: العمدة ٣١٣/١. ابن الاثير: المثل السائر ٥٩/٣، ٨٣.

الجرجاني: التعريفات ص ٩٩.

(٧). الشرح: ٥٩/٥.

ذلك عند اهله» كناية عن نفسه عليه السلام حيث كان عليه السلام كثيراً ما يسلك هذا المسلك ويعرض هذا التعريض وهو الصادق الامين العارف بالاسرار الالهية^(١) وقوله عليه السلام: «احمده استتماماً لنعمته، واستسلاماً لعزته، واستعصاماً من معصيته» فالفاظ (استتماماً، استسلاماً، استعصاماً) من لطيف الكناية وبديعها، فسبحان من خصه بالفضائل التي لا تنتهي السنة الفصحاء الي وصفها، وجعله امام كل ذي علم، وقدوة كل صاحب خصيصة.^(٢)

خامساً: الاعتراض:

هو كل كلام ادخل فيه لفظ مفرد او مركب لو سقط لبقى الاول على حاله.^(٣) كقوله عليه السلام: «الا وفي غدأ - وسيأتي غد بما لا تعرفون - يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوي اعمالها». فقوله عليه السلام: (الا وفي غد) تمامه (يأخذ الوالي). وبين الكلام جملة اعتراضية وهي قوله (وسيأتي غد بما لا تعرفون) والمراد تعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه.^(٤)

وقوله عليه السلام: «يتنافسون في دنيا دنية، ويتكالبون على جيفة مريحة، وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون عند اللقاء، ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف، والقاصعة الزحوف...».^(٥) لما ذكر عليه السلام تنافس الناس على الجيفة المنننة وهي الدنيا، اراد ان يقول بعدها بلا فصل (ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف) لكنه عليه السلام لما تعجب من

(١). الشرح: ١٠٧/٩.

(٢). الشرح: ١٣٣/١.

(٣). ابن الاثير: الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٦١. المثل السائر ٤٧/٣. الجرجاني:

التعريفات ص ١٨.

(٤). الشرح: ٤١/٩ - ٤٢.

(٥). الشرح: ١٣٧/٩.

تراحم الناس وتكالبهم على تلك الجيفة، اراد ان يؤكد ذلك التعجب، فجاء بجملة اعتراضية بين الكلامين، لتأكيد معنى تعجبهم منهم، فقال: انهم على ما قد ذكرنا من تكالبهم عليها، عن قليل يتبرأ بعضهم من بعض، ويلعن بعضهم بعضاً، وذلك ادعى لهم لو كانوا يعقلون - الى ان يتركوا التكالب والتهارش على هذه الجيفة الخسيسة، ثم عاد عليه السلام الى نظام الكلام فقال: (ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف).^(١)

سادساً: التخلص:

هو ان يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه اذاخذ في معنى اخر غيره، وجعل الاول سبباً اليه، فيكون بعضه آخذ برقاب بعض، من غير ان يقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما افرغ افرغاً. وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه من اجل ان نطاق الكلام يضيف عليه، ويكون متبعاً للوزن والقافية، فلا تواتيه الالفاظ على حسب ارادته، واما الناثر فهو مطلق العنان يمضي حيث شاء، فلذلك يشق التخلص على الشاعر اكثر من الناثر.^(٢)

ومما جاء في كلام الامام عليه السلام قوله في ذكر ملك الموت: «هل يحس به اذا دخل منزلاً، ام هل تراه اذا توفي احداً! بل كيف يتوفى الجنين في بطن امه! ايلج عليه من بعض جوارحها، ام الروح اجابته باذن ربها، ام هو ساكن معه في احشائها!».^(٣)

ثم خرج عليه السلام لامر آخر اعظم واشرف مما ابتدأ به، فقال: «كيف يصف الهه

(١). الشرح: ١٤٢/٩.

(٢). ابن الاثير: العثل السائر ١٤٧/٣.

(٣). الشرح: ٢٣٧/٧.

من يعجز عن وصف مخلوقاً مثله!». والى هذا الغرض كان يتراعى، وایاه كان يقصد وانما مهد حديث الملك والجنين توطئة لهذا المعنى الشريف، والسر الدقيق. (١)

سابعاً: الالتفات:

هو الانتقال في الكلام من صيغة الي صيغة كانتقال من خطاب حاضرا الي غائب، او من خطاب غائب الي حاضر، او من فعل ماضي الي مستقبل، او من مستقبل الي ماضي، ويسمي (شجاعة عربية) لان الشجاعة هي الاقدام، والرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، وكذلك الالتفات في الكلام فان اللغة العربية تختص به دون باقي اللغات (٢).

ومما ورد في كلام الامام قوله عليه السلام: في توحيد الله تعالى: «كل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به، غني كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فعليه منقلبه» ثم انتقل من اسلوب الغيبية الي اسلوب الخطاب، فقال: «لم ترك العيون، فتخبر عنك، بل كنت قبل الواصفين من خلقك». (٣)

ثامنا: باب حسن التوصيل بايراد كلام غير مزعج:

عوضا عن لفظ يتضمن جبها وتفريعا، كقوله عليه السلام لاصحابه: «وقدرأيت جولتكم، وانحيازكم عن صفوفكم». فمراد الامام من جولتكم أي هزيمتكم،

(١). الشرح: ٢٣٩/٧.

(٢) الشرح: ١٨١/٢. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٦٠. ابن رشيق: العمدة ٤٥/٢-٤٧. ابن

الاثير: المثل السائر ٨١/٢. الجرجاني: التعريفات ص ٢٠.

(٣) الشرح: ١٩٤/٧-١٩٦.

٤٦٢..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

فاجمل **عَلِيًّا** في اللفظ وكنى عن اللفظ المنفر، عادلا عنه الى لفظ لا تنفير فيه، وكذلك قوله **عَلِيًّا**: «وانحيازكم عن صفوفكم» كناية عن الهرب ايضا، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿الامتحرفا لقتال او متحيزا الى فئة^(١)﴾.^(٢)

تاسعاً: الاستدراج :

هو استمالة واستدراج المقابل الى الاذعان والتسليم، ويرى ابن الاثير ان مدار البلاغة كلها عليه لانه لا انتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة، دون ان تكون مجلية لبلوغ غرض المخاطب بها.^(٣) ومثال ذلك قول الامام لابن عباس لما ارسله للزبير: «يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز، وانكرتني بالعراق) وهو لطيف جدا من باب الاستمالة والاذكار بالنسب والرحم.^(٤)

عاشرا: السجع:

هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد، مثل (الغريب، القريب، النسيب)،^(٥) وقد جاء السجع في كلام الامام علي **عَلِيًّا** كقوله: «وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للانام، يردونه وروود الانعام، ويولهنون اليه وله الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، واذعانهم لعزته، واختار من خلقه سماعاً اجابوا اليه دعوته، وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، ويحرزون الارباح في متجر عبادته،

(١) سورة الانفال: الآية ١٦.

(٢) الشرح: ١٧٩/٧-١٨٠.

(٣) ابن الاثير: المثل السائر ٢/٢٥٩.

(٤) الشرح: ١٦٢/٢-١٧٠، ٣.

(٥) الشرح: ١٥٤/٣، ابن الاثير: المثل السائر ١/٣٠٨، الجرجاني: التعريفات ص ٦٣.

ويتبادرون اليه موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للاسلام علما، وللعائدين حرما، وفرض حقه، واوجب حجه، وكتب عليكم وفادته»^(١).

تجدد الاشارة الى ان هناك من عاب السجع^(٢) لان الخطب الخالية منه برأيهم هي المستحسنة والخالية من التكلف، وهي خطب العرب كخطبة النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع. ولكن اذا كان السجع عيبا لكان الله (القران) معيبا لانه مسجوع كله ذو قرائن وفواصل، ويكفي هذا دليلا في بطلان ما ذهب اليه هؤلاء، وكذلك فان خطب الرسول صلى الله عليه وآله اكثرها مسجوع، كقوله صلى الله عليه وآله «ان مع العز ذلا، وان مع الحياة موتا، وان مع الدنيا اخرة، وان لكل شيء حسابا، ولكل حسنة ثوابا، ولكل سيئة عقابا، وان على كل شيء رقيبا، وانه لا بد من قرين يدفن معك هو حي وانت ميت، فان كان كريما اكرمك، وان كان لثيما اسلمك، ثم لا يحشر الا معك، ولا تبعث الا معه، ولا تسأل الا عنه، فلا تجعله الا صالحا، فانه ان صلح انست به، وان فسد لم تستوحش الا منه، وهو عملك»^(٣).

فالملاحظ ان كلام النبي صلى الله عليه وآله اعلاه اكثره مسجوع، اما بالنسبة الي السجع المذموم من التكلف فهو الذي تظهر سماجته وثقله للسامعين، في حين لا عيب في التكلف المستحسن، فالملاحظ ان الشعر لا بد فيه من تكلف اقامة الوزن، وليس يوجد من يطعن في ذلك. وكان مما احتج به عائبو السجع قوله صلى الله عليه وآله: «اسجعا كسجع الكهان» فقالوا: لولا ان السجع منكر لما انكر صلى الله عليه وآله سجع الكهان وامثاله والواقع انه عليه السلام انكر سجع الكهان لا مطلق السجع، وكان صلى الله عليه وآله قد ابطل الكهانة والتنجيم والسحر، ونهى عنها، ولو كان صلى الله عليه وآله انكر السجع مطلقا لما قاله كما هو

(١) الشرح: ١٢٣/١.

(٢) ابن الاثير: المثل السائر ٣٠٨/١.

(٣) الشرح: ١٢٦/١-١٢٨.

واضح في خطبته اعلاه.^(١)

حادي عشر: الموازنة :

وهي ان تكون الفاظ الفواصل من الكلام المنثور، متساوية في الوزن وان يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الالفاظ وزنا، والموازنة اخت السجع في المعادلة دون المماثلة، لان في السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهي تماثل اجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد. واما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع، ولا تماثل في فواصلها، فيقال اذا: «كل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعا» وعلى هذا فالسجع اخص من الموازنة.^(٢) والموازنة مطلوبة في الكلام الذي يقصد فيه الفصاحة لاجل الاعتدال الذي هو مطلوب الطبع في جميع الاشياء.^(٣)

ومثال الموازنة في القران قوله تعالى: ﴿واتيناهما الكتاب المستبين، وهديناهما الصراط المستقيم﴾^(٤) وقوله: ﴿واتخذوا من دون الله ليوثا ليحكم عليهم عزا﴾ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا* الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا* فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا^(٥)﴾.^(٦)

اما في كلام الامام عليه السلام ففي الخطبة رقم (٤٥) جاء بالفاظ (غير منقوطة) موازنا بلفظه (ولا مخلو) فكل واحدة منهما على وزن مفعول ولفظة (ولا مياوسن) على وزن مفعول، لكنه في الفقرة الرابعة لم يمكنه من الاتيان بلفظه ما يمكنه في

(١) الشرح ١/١٢٨-٩.

(٢) الشرح: ٣/١٥٤. ابن الاثير: المثل السائر ١/٤١٤-٤١٥. الجرجاني: التعريفات ص ١٢٤.

(٣) الشرح: ٣/١٥٤.

(٤) سورة الصافات: الآية ١١٨.

(٥) سورة مريم: الآيات ٨١-٨٤.

(٦) الشرح: ٣/١٥٤. ابن الاثير: المثل السائر ١/٤١٥.

الاولى ف جاء بلفظه (ولا مستنكف) على وزن مستفعل وهو وان كان خارجا عن الوزن، لكنه غير خارج عن المفعولية لان (مستفعل) مفعول في الحقيقة، كقولك: (زيد مستحسن) ثم وازن عليه السلام بين قوله (لا تبرح) وقوله (لا تفقد) وبين (رحمة) و (نعمة) فاعطت هذه الموازنات الكلام من الطلاوة والصنعة ما لا نجده عليه لو قال: «الحمد لله غير مخلو من نعمته، ولا مبعد من رحمته» لان (مبعد) بوزن (مفعل) وهو غير مطابق، ولا مماثل لمفعول، بل هو بناء اخر، وكذلك لو قال: (لا تزول منه رحمة) فان (تزول) ليست في المماثلة والموازنة (لا تفقد) (لا تبرح) حيث انها معتلة، وتلك صحيحة! وكذلك لو قال: (لا تبرح منه رحمة ولا يفقد له انعام) فان (انعام) ليس في وزن (رحمة).^(١)

ثاني عشر: التقسيم:

هو ما يقتضيه المعني مما يمكن وجوده من غير ان يترك منها قسم واحد، واذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه. ولم يشارك غيره، فتارة يكون التقسيم بلفظة (اما) وتارة بلفظة (بين) كقولنا: (بين كذا وكذا) وتارة بلفظ (منهم) كقولنا (كذا ومنهم كذا) وتارة بان يذكر العدد المراد اولا بالذكر ثم يقسم، كقولنا (فانشعب القوم شعبا اربعا، فشعبة ذهبت يمينا، وشعبة ذهبت شمالا، وشعبة وقفت بمكانها، وشعبة رجعت الى ورائها) ومما جاء في القران من التقسيم ﴿ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾^(٢) ^(٣)

(١) الشرح: ١٥٣/٣-١٥٤.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٣). الخوارزمي مفاتيح العلوم ص ٤٨: ابن الاثير المثل السائر ١٩٥/٣ الجرجاني التعريفات

مما جاء في كلام الامام عليه السلام قوله: «طبيب دوار بطبه، قد احكم مراهمه، واحمى مراسمه، يضع ذلك حيث الحاجة اليه، من قلوب عمي، واذان صم، والسنة بكم، متتبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة».

وهذا التقسيم صحيح حاصر، لان الضلال ومخالفة الحق يكون بثلاثة امور: - اما بجهل القلب، او بعدم سماع المواعظ والحجج، او بالامساك عن شهادة التوحيد وتلاوة الذكر، فهذه الضلال. (١)

وقال عليه السلام في ذكر ملك الموت وكيفية قبضه لروح الجنين في بطن امه: «ايلى عليه من بعض جوارحها، ام الروح اجابته باذن ربها، ام هو ساكن معه في احشائها!».

وهذا التقسيم حاصر لانه مع فرضنا اياه جسما يقبض الارواح التي في الاجسام، اما ان يكون مع الجنين في جوف امه لقبض روحه عند حضور اجله او خارجا عنها، والقسم الثاني ينقسم قسمين أحدهما ان يلى جوف امه لقبض روحه فيقبضها. والثاني: ان يقبضها من غير حاجة الى الولوج الى جوفها. وذلك بان تعطيه الروح وتكون مسخرة اذا اراد قبضها امتدت إليه فقبضها. وهذه القسمة لا يمكن الزيادة عليها، ولو قسمها واضع المنطق لما زاد. (٢)

ثالث عشر: التكرار:

هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا وينقسم الى قسمين يوجد في اللفظ والمعنى، كقولك لمن تستدعيه (اسرع اسرع) والثاني يوجد في المعنى دون اللفظ، كقولك (اطعني ولا تعصني) فان الامر بالطاعة نهى عن المعصية فحصل التكرار. (٣)

(١) الشرح: ١٨٣/٧-١٨٤.

(٢) الشرح: ٢٣٧/٧-٢٣٩.

(٣) ابن الرشيق: العدة ٧٣/٢-٧٨. ابن الاثير: ٧/٢. الجرجاني: التعريفات ص ٣٥.

وقد اشتبه ذلك على البعض وتصوروا انه اطناب او تطويل^(١) كما أخذ على الامام عليه السلام في ذكره كلمة الاجل مرتين، والملاحظ انه عليه السلام استعمل هذه اللفظة في موضعين مختلفين المعنى، فقوله (استقربوا الاجل) يعني المدة وقوله: (فلاحظوا الاجل) يعني الموت.^(٢)

رابع عشر: الامثال:

المثل هو الشبه، لان المثل يقارن بين الحادثة موضع الكلام وبين الحادثة التي ضرب من اجلها المثل.^(٣)

اشار ابن ابي الحديد ان الامام عليا عليه السلام سبق لاختراع ثلاثة امثال وان كان قد سبق بمعناها، وهي قوله: «لا تجتمع عزيمة ووليمة» و«ما انقض النوم لعزائم اليوم» «أمحى الظلم لتذاكير الهمم».^(٤)

اورد الامام عليه السلام الغريب^(٥) من الالفاظ في كلماته ولما كان الشريف الرضي لم يورد الا القليل،^(٦) فأثر ابن ابي الحديد ان ينقل ما اثر من غريب كلام الامام من المصنفات السابقة للشريف الرضي ككتاب غرير الحديثين لابي عبيد القاسم بن سلام^(٧) وكتاب غريب الحديث لابن قتيبة.^(٨) فعلى سبيل المثال قوله عليه السلام «والله لا أكون كالضبع تسمع اللدم حتى تخرج فتصاد»، والدم صوت الحجر^(٩) وقوله عليه السلام:

(١) ابن الاثير: المثل السائر ٧/٣.

(٢) الشرح: ٢٥٥/٧.

(٣) ابن الرشيقي: العمدة ٢٧٧/١-٢٨٦.

(٤) الشرح: ١٤٣/١١.

(٥) كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال. الجرجاني: التعريفات ص ٨٦.

(٦) نهج البلاغة ٥١٧-٥٢٠. الشرح: ١١٧/١٩.

(٧) غريب الحديثين: ١٢٩/٢-١٥٩.

(٨) غريب الحديث: ٨٨/٢-١٥١.

(٩) الشرح: ١١٧/١٩. وانظر ابو عبيد: غريب الحديثين: ١٣٠/٢.

«لاجمعة ولا تشريق الا في مصر جامع». ولا تشرق صلاة العيد لانها بعد شروق الشمس.^(١)

وقد حفل كلام الامام علي عليه السلام بكثير من المواعظ^(٢) الزهدية والزجوار الدينية، ففي شرحه للخطبة رقم (٢١٦) قال ابن ابي الحديد: «هذا موضع المثل - ملعا يا ظليم والا فالتخوية^(٣) - من اراد ان يعظ ويخوف، ويقرع صفاة القلب، ويعرف الناس قدر الدنيا وتصرفها باهلها، فليأت بمثل هذه المواعظ في مثل هذا الكلام الفصيح، والا فليمسك، فان السكوت استر، والعى خير من منطق يفضح صاحبه، ومن تأمل هذا الفصل علم صدق معاوية في قوله فيه: (والله ما سن الفصاحة لقريش غيره) وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس، وتلي عليهم ان يسجدوا كما سجد الشعراء لقول عدي بن الرقاع قلم اصاب من الدواة مدادها».^(٤)

فلما قيل لهم في ذلك قالوا: «انا نعرف مواضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن».^(٥)

وقال ايضا: «واقسم بمن تقسم به الامم كلها، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة والى الان اكثر من الف مرة، ما قرأتها قط الا واحدت عندى روعة وخوفا وعظة، واثرت في قلبي وجيبا، وفي اعضائي رعدة، ولا تأملتها الا وذكرت الموت من اهلي واقاربي، وارباب ودي، وخيلت في نفسي اني انا ذلك الشخص الذي وصف عليه السلام حاله».^(٦)

(١) الشرح: ١٢٠/١٩. وانظر ابو عبيد: غريب الحديثين: ١٣٩/٢.

(٢) الواعظ: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، الجرجاني: التعريفات ص ١٢٣-١٢٢.

(٣) لم اجد معنى هذا المثل في الكتاب الامثال.

(٤) لم اجد في ديوانه .

(٥) الشرح: ١٥٣-١١١/١٥٢.

(٦) الشرح: ١٥٣/١١.

واردف قائلاً: «وكم قد قال الواعظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى! وكم وقفت على ما قالوه وتكرر وقوفي عليه! فلم اجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي، فاما ان يكون ذلك لعقيدتي في قائله، او كانت نية القائل سالحة، و يقينه كان ثابتاً، واخلاصه كان محضاً خالصاً، فكان تأثير قوله في النفوس اعظم، وسريان موعظته في القلوب ابلغ»^(١).

ولما قرأ ابن ابي الحديد - في ايام صباه - وصية الامام علي عليه السلام لولده الحسن علي ابن الفرج محمد بن عباد،^(٢) حيث كان ابن ابي الحديد يحفظها، وقد تضمنت من المواعظ، فلما وصل الى قوله عليه السلام «رويدا يسفر الظلام كأن قد وردت الاضغان! يوشك من اسرع ان يلحق!» فصاح ابو الفرج صيحة شديدة وسقط، وكان جباراً قاسي القلب.^(٣)

واستنكر ابن ابي الحديد شغف الناس في المواعظ بابن الشيخباء العسقلاني^(٤) وهو كاتب محدث، اورد له ابن ابي الحديد احسن ما وجد له «ليعلم الفرق بين الكلام الاصيل والمولد) وعلق قائلاً: (هذه احسن خطبة خطبها هذا الكاتب، وهي كما تراها ظاهرة التكلف بينة التوحيد، تخطب على نفسها»^(٥).

اذن فرجل الوعظ المسلم الذي يريد ان يكون واسع الافاق محتاج الى نهج البلاغة وان لم يفعل فانه ظلام لنفسه، قليل الاحترام لعقله.^(٦) في الواقع ان كلامه عليه السلام الوارد في النهج ما هو الا شيء قليل جمعه الشريف

(١) الشرح: ١٥٣/١١-١٥٤.

(٢) لم اعثر على ترجمته.

(٣) الشرح: ٩٠/٦-٩١.

(٤) هو الحسن بن عبد الصمد بن الي الشيخباء العسقلاني ت ٤٨٢هـ له خطب ورسائل وديوتن شعر، قتل بالقاهرة مسحوناً. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٨٩/٢-٩١.

(٥) الشرح: ١٢٦/١٠-١٢٧.

(٦) العزيزي: الامام علي ص ٢٢٨.

الرضي لانه كان يقصد الى النادر من الفصيح من كلام الامام، واورد كل كلامه لجااء اضعاف كتاب النهج،^(١) وقد اشار البحراني احد شراح النهج: «قال قطب الدين الراوندي رحمه الله: سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول: اني وجدت بمصر مجموعا من كلام علي عليه السلام في نيف وعشرين مجلدا». ^(٢)

لذا حاول ابن ابي الحديد ان يجمع ما استطاع من كلام الامام وخطبه وقصار كلماته في ثنايا شرحه للنهج وفي ختامه للشرح قال: (ونحن الان ذاكرون ما لم يذكره الرضي مما نسبه قوم اليه، فبعضه مشهور عنه، وبعضه ليس بذلك المشهور، لكنه قد روي عنه وعزي اليه، وبعضه من كلام غيره من الحكماء، ولكنه كالنظير لكلامه والمضارع لحكمته، ولما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافعة رأينا الا نخلي هذا الكتاب منه، لانه كالتكملة والتممة لكتاب نهج البلاغة وقد عددنا ذلك كله فوجدناه الف كلمة) لكنه اورد ٩٩٨ فقط. ^(٣)

ان هذه الفصاحة اصبحت موضع استشهاد واقتباس الاخرين لاشتقاق كلام اخر منها، فقد اورد المبرد خطبه لاعرابي هي في الواقع من خطب الامام علي عليه السلام وكان هذا الاعرابي يحفظها. ^(٤) واقتبس زياد بن ابيه والحجاج بن يوسف من الفاظ الامام في خطبه. ^(٥) واخذ عبد الله بن الزبير قوله عليه السلام: «لوددت والله ان معاوية صار فني بكم صرف الدينار بالدرهم». فقال ابن الزبير على هذا المنوال: (فو الله لوددت ان لي بكل عشرة من اهل العراق واحدا من اهل الشام صرف الدينار بالدرهم). ^(٦) واقتبس من كلامه ايضا «اطرح عنك واردت الهم بحسن

(١) الشرح: ١٥٢/٣.

(٢) البحراني: شرح نهج البلاغة ١/١٠١.

(٣) الشرح: ٢٠٠/٢٥٢-٣٤٩.

(٤) الشرح: ١١/٣-٤. وانظر المبراد: الكامل في اللغة والادب ٤/١٠٨.

(٥) الشرح: ١/٢٧٨-٢٧٩.

(٦) الشرح: ٧/٥٧.

الصبر وكرم العزاء» فقال ابن الزبير لما بلغه مقتل مصعب: (لقد جاءنا من العراق خبر احزننا واسرنا، جاءنا خبر مقتل مصعب فاما سرورنا فلان ذلك كان له شهادة، وكان لنا ان شاء الله خيره، واما الحزن فلوجه يجدها الحميم عند فراقه حميمه، ثم يرعوي بعدها ذوي الرأي الى حسن الصبر وكرم العزاء).^(١)

واخذ الفرزدق قوله عليه السلام: «وصار دين احدكم لعقة على لسانه» فقال للامام الحسين عليه السلام «اما قلوبهم فمعك واما سيوفهم فعليك، والدين لعقة على سنتهم، فاذا محصوا قل الديانون». ^(٢)

واخذ يزيد بن المهلب ^(٣) لفظ الامام: «اعر الله جمجتك» فقال: «اعبروني سوا عدكم ساعة». ^(٤) ونظر الحسن البصري الى قوله عليه السلام: «من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن». فقال في مولود له: «لا مرحباً بمن ان كان غنياً فتنني، وان كان فقيراً احزنني، وان عاش كدني، وان مات هدني». ^(٥) واخذ ايضاً قوله عليه السلام: «ولا تسخط الله برضا احد من خلقه، فان في الله خلقاً من غيره، وليس من الله خلق في غيره». فقال لعمر بن هبيرة ^(٦) امير العراق: «ان الله مانعك من يزيد، ولم يمنعك يزيد من الله» ^(٧)

(١) الشرح: ١١٧/١٦.

(٢) الشرح: ٢٤٩/٧.

(٣) هو احد الامراء الامويون في العراق والمشرق، ولكنه بعد ذلك ثار على يزيد بن عبد الملك وقتل في حروبه مع مسلمة بن عبد الملك. سنة ١٠٢ هـ الشرح ١٤٤/٤-٢٢٥. انظر: البيهقي: تاريخ ٤٤/٣. الطبري: تاريخ ٣٢٥/٦-٦٠٤. صفحات متفرقة.

(٤) الشرح ٢٤٢/١.

(٥) الشرح ٢٣٩/٦.

(٦) هو احد الامراء الامويون، تولى العراق وخراسان والجزيرة. توفي سنة ١١٠ هـ انظر: الطبري: تاريخ ٢٩٦/٦-٢٩٣، ٩-٥٢٣، ٦٢٢-١٠/٧-٤٠.

(٧) الشرح ١٦٧/١٥-١٦٨.

واخذ الخليفة الاموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك: قوله عليه السلام: «على اثر الماضي من يمضي الباقي» فقال بعد موت مسلمة بن عبد الملك: «ان عقبي من بقي لحوق من مضى، وقد افتقد بعد مسلمة الصيد لمن رمى، واختل الثغر فوهى، وارتح الطود فهوى، وعلى اثر من سلف ما يمضي من خلف، فتزودوا فان خير الزاد التقوى»^(١).

ومن دعائه عليه السلام: «اللهم انا نشكو اليك غيبة نبينا، وكثرة عدونا وتشتت اهواءنا». اخذه سديف مولى ابو جعفر المنصور فقال: «اللهم انا نشكو اليك غيبة نبينا، وتشتت اهوائنا، وما شملنا من زيغ الفتن، واستولى علينا من غشوة الحيرة، حتى عاد فينا دونه بعد القسمة». وقد وجد ابن ابي الحديد هذا الدعاء منسوباً الى علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام،^(٢) ولعله من كلامه وكان سديف يدعو به.^(٣) ومن قوله عليه السلام: «لا مرحباً بوجوه لا ترى الا عند كل سوءة» اخذه المستعين بالله فقال لما دخل عليه ابن ابي الشوارب القاضي ومعه الشهود ليشهدوا عليه انه قد خلع نفسه من الخلافة وبايع للمعتز فقال: «لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى الا يوم سوء»^(٤).

واشهر من اقتبس من كلام الامام عليه السلام، الخطيب عبد الرحيم بن نباته الذي قال: «حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الانفاق الا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن ابي طالب»^(٥) وقد اخذ من خطبة الامام رقم (٢٣٦) الكثير من الفاظها، وادعها خطبة، قوله عليه السلام: «شديد كلبها، عال لجبها، ساطع لهبها، متغيظ زفيرها، متأجج سعيرها، بعيد خمودها، ذاك وقودها، مخوف وعيدها، عم قرارها،

(١) الشرح ٨٣/٧.

(٢) لم اعثر عليه في الصحيفة السجادية.

(٣) الشرح ١١٢/١٥-١١٣.

(٤) الشرح ٢٠/١٩.

(٥) الشرح ٢٤/١.

مظلمة اقطارها، حامية قدورها، فضيعة امورها». «فان هذه الالفاظ كلها قد اختطفها، واغار عليها واغتصبها، وسمط فيها خطبه، وشذر بها كلامه»^(١).
 واستفاد ابن نباته من قوله عليه السلام: «فلو مثلتهم بعقلك، او كشف عنهم محجوب الغطاء لك». اخذه وقال: «فلو كشفتم عنهم اغطية الاجداث، بعد ليلتين او ثلاث، لو جدتم الاحداق على الخدود سائله، والالوان من ضيق اللحود حائله، وهو ام الارض في نواعم الابدان جائلة، والرؤوس الموسدة على الايمان زائلة، ينكرها من كان لها عارفاً، ويفر عنها من لم يزل لها آلفاً»^(٢). كان ابن نباته ملازماً لسيف الدولة^(٣) لذا كثرت خطبه في الجهاد، وكانت مشابهة لخطب الامام عليه السلام، الا ان هناك فرقاً في بلاغة الامام عن ابن نباته، فحينما اورد ابن ابي الحديد خطبة ابن نباته في الجهاد^(٤) علق قائلاً: هذه آخر خطبة ابن نباته، فانظر اليها والى خطبته عليه السلام بعين الانصاف، تجدها بالنسبة اليها كمخنت الى فحل، او كسيف من رصاص بالاضافة الى سيف من حديد، وانظر ما عليها من اثر التوليد، وشين التكليف، وفجاجة كثير من الالفاظ، الا ترى الى فجاجة قوله: «كأن اسماعكم تمج ودائع الوعظ، وكأن قلوبكم بها استكبار على الحفظ». وكذلك ليس يخفى نزول قوله: «تندون من عدوكم نديد الابل، وتدرعون له مدراع العجز والفشل»^(٥).

بالاضافة الى ان خطبة - ابن نباته - يغلب عليها التوليد والتكلف، فإن

(١) الشرح ١١٤/١٣.

(٢) الشرح ١٦٢/١١.

(٣) هو الامير علي بن عبدالله بن حمدان التسغلي الملقب بسيف الدولة (٣٠٣-٣٥٦)، عرف بالشجاعة وكثرة وقائعه مع الروم البيزنطيين. انظر الثعالبي: يسميه الدهر ١/٣٧٧-٥٦. ابن خلكان: وفيات الاعيان ١/٣-٤٠٦.

(٤) الشرح ٨٠/٢-٨٢، وقارن خطبته بخطبة للامام. الشرح ٥٣/٢-٧٤. الجاحظ: البيان والتبيين ٥٣/٢-٥٥.

(٥) الشرح ٨٢/٢.

الفاظها مسروقة من كلام امير المؤمنين عليه السلام: (الا ترى الى قوله عليه السلام: «اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة»). وقد سرقه ابن نباته فقال: فان الجهاد اثبت قواعد الايمان، واوسع ابواب الرضوان، وارفع درجات الجنان. وقوله عليه السلام: «من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم». سرقه ايضا، فقال: صرخ بهم الشيطان الى باطله فاجابوه، وندبكم الرحمان الى حقه فخالقتموه. وقوله عليه السلام: قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم... الى آخره، سرقه ايضا فقال: كم تسمعون الذكر فلا تعقلون! وتقرعون بالزجر فلا تقلعون، وقوله عليه السلام: حتى شنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الاوطان. سرقه ايضا وقال: وعدوكم يعمل في دياركم عمله، ويبلغ بتخلفكم عن جهاده امله». (١)

ثم اكد ابن ابي الحديد ان باقي خطب ابن نباته مسروقة ايضا من خطب اخرى للامام ثم اوضح مقياساً للتمييز بين كلام الامام عليه السلام: وغيره قائلاً: (نسبه شعر ابي تمام والبحري وابي نؤاس ومسلم) (٢) الى شعرا مرو القيس والنابغة وزهير والعشى، (٣) هلا اذا تأملت اشعار هؤلاء واشعار هؤلاء، تجد نفسك حاكمة بتساوي القبيليين! وبتفضيل ابي نؤاس واصحابه عليهم؟ ما اظن ان ذلك مما تقوله انت ولا قاله غيرك، ولا يقوله الا من لا يعرف علم البيان، وماهية الفصاحة، وكنه البلاغة، وفضيلة المطبوع على المصنوع، ومزية المتقدم على المتأخر، فاذا اقررت من نفسك بالفرق والفضل، وعرفت فضل الفاضل ونقص الناقص، فأعلم ان نسبة كلام امير المؤمنين عليه السلام الى هؤلاء هذه النسبة، بل اظهر، لانك تجد في شعرا مرو القيس واصحابه من التعجرف. والكلام الخوشي، واللفظ الغريب المستكره شيئاً

(١) الشرح ٨٢/٢

(٢) شعراء من العصر العباسي. انظر تراجمهم في المعتز: طبقات الشعراء ص ١٩٣-٢١٧، ٢٣٥-٢٤٠، ٢٨٣-٢٩٤، ٥.

(٣) شعراء من عصر ما قبل الاسلام. انظر معلقاتهم، وتراجمهم في ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/ ٤٨-٨٨، ٩٢-١٠٩، ١٧٨-١٨٦.

كثيراً، ولا تجد من ذلك في كلام امير المؤمنين عليه السلام شيئاً، واكثر فساد الكلام ونزوله انما هو باستعمال ذلك»^(١).

واضاف قائلاً: (فان شئت ان تزداد استبصاراً فانظر الى القرآن العزيز وأعلم أن الناس قد اتفقوا على أنه في اعلى طبقات الفصاحة، تأملاً شافياً، وانظر الى ما خص به من مزية الفصاحة والبعد عن التعكير والتعيب،^(٢)، والكلام الحوشي الغريب، وانظر كلام امير المؤمنين عليه السلام، فانك تجده مشتقاً من الفاظه، ومقتضياً من معانيه ومذاهبه، ومحذواً به حذوه، ومسلوکاً به في منهاجه، فهو وان لم يكن نظيراً ولا نداً، يصلح ان يقال انه ليس بعده كلام افصح منه، ولا اجزل، ولا اعلى ولا افخم ولا انبل، الا ان يكون كلام ابن عمه عليه السلام، وهذه امر لا يعلمه الا من ثبتت له قدم راسخة في علم هذه الصناعة، وليس كل الناس يصلح لانتقاد الجوهر، بل ولا لانتقاد الذهب، ولكل صناعة اهل، ولكل عمل رجال»^(٣).

ثم اورد ابن ابي الحديد خطبة اخرى لابن نباته في الجهاد، واخذ يقارن بينها وبين خطب الامام داعياً القارىء للتامل حيث ان ابن نباته، وان كان قد اخذ من صناعة البديع بنصيب، لكنه بالمقارنة مع بلاغة الامام نجد كلامه في حضيض الارض بينما كلام الامام في اوج السماء، فلو قورن ما جاء في استخدام ابن نباته لزوم ما لا يلزم الذي نجده فيه مقتدراً قوة كتابة نحو قوله "كنز" بازاء "حوز" و"عز" وقوله "مشاهدة" بازاء "مجاهدة" و"مغالبة" بازاء "محرابة" و"حدوده" بازاء "تشييده"^(٤).

لكن هذا الكلام اذا قورن بكلام الامام علي عليه السلام يكون كدار مبنية من اللبن

(١) الشرح ٨٣/٢

(٢) أي التعمق في الكلام والتشدد به. انظر الجواهري: الصحاح ٧٩٧/٢، ٢٠٤/١.

(٣) الشرح ٨٣/٢

(٤) الشرح ٨٤/٢

والطين، مموهة الجدران بالنقوش والتصاوير مزخرفة بالذهب من فوق الجص والاسفيداج، قياساً الى دار مبنية بالصخر الاصم الصلد المسبوك بينه عمد الرصاص والنحاس المذاب، وهي مكشوفة غير مموهة ولا مزخرفة حيث بين هاتين الدارين بوناً بعيداً وفرقاً عظيماً، فقد اقتبس ابن نباته من كلام الامام عبارة: «ما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا»، فكانت هذه العبارة «تصيح من بين الخطبة صياحاً، وتنادي على نفسها نداءً فصيحاً، وتعلم سامعها انها ليست من المعدن الذي خرج باقي الكلام منه، ولا من الخاطر الذي صدر ذلك السجع منه، ولعمر الله لقد جملت الخطبة وحسنتها وزانتها، وما مثلها فيها الا كآية من الكتاب العزيز يتمثل بها في رسالة او خطبة، فانها تكون كاللؤلؤة المضيئة تزهو وتثير، وتقوم بنفسها وتكتسي الرسالة بها رونقاً، وتكتب بها ديباجة».^(١)

واضاف: واذا اردت تحقيق ذلك، فانظر الى السجعة الثانية التي تكلفها ليوازنها بها، وهي قول: «ولا قعدوا عن صوت ديارهم الا اضمحلوا» فانك اذا نظرت اليها وجدت عليها من التكلف والغثاثة ما يقوى عندك صدق ما قلته لك.^(٢) على ان بعض من كلام ابن نباته ليس بجيد: «وحرز طهر الله به اجسادكم» فانه لا يقال في الحرز انه يطهر الاجسام، وكان الاليق ان يقول: «حصن الله به اجسامكم». ولكنه ذكر "طهر" ليكون بازاء "وقر" و"اظهر" فاداة حب التقابل الى ما ليس بجيد.^(٣)

ولما كان ابن نباته الفائز بقصبات السبق من الخطباء في عصره فكان للناس غرام بخطبه، لذا اورد ابن ابي الحديد فصلاً من خطبه باعتباره الخطيب الذي وقع الاجماع على خطابته وحسنها، وان مواعظه هي الغاية التي ليس بعدها غاية. وبعد

(١) الشرح ٨٤/٢-٨٥

(٢) الشرح ٨٥/٢

(٣) الشرح ٨٥/٢

ايراده لخطبة، قال ابن ابي الحديد: «فليُنظر المنصف هذا الكلام، وما عليه من اثر التوليد، اولاً بالنسبة الى ذلك الكلام العربي المحض، ثم لينظر فيما عليه من الكسل والرخاوة، والفتور والبلادة، حتى كان ذلك الكلام لعامر ابن الطفيل، مستلثماً شكته، راكباً جواده، وهذا الكلام للدلال المديني المخنث^(١) آخذ زمارته، متأبطاً دفة»^(٢). واطاف: والمخ ما في قوله «بوق الرحيل» من السفسفة واللفظ العامي الغث، وأعلم انهم كلهم عابوا على أبي الطيب المتنبّي قوله:

فان كان بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول^(٣)

وقالوا: لا تدخل لفظه «بوق» في كلام يفلح أبداً. والمخ ما على قوله: «القهقري، القهقري» متكررة من الهجنة، واهجن منها (أم حبو كرى) واين هذا اللفظ الحوشي، الذي تفوح منه روائح الشيخ والقيصوم وكأنه من اعرابي قح قد قدم من نجد لا يفهم محاوراة أهل الحضرة، ولا أهل الحضرة يفهمون حوارته؛ من هذه الخطبة اللينة الالفاظ التي تكاد ان تتشني من لينها، وتتساقط من ضعفها!«^(٤).

«ثم المخ هذه الفقرة والسجعات التي اولها «القرى» ثم «المرا» ثم «يفتري» ثم «الكرى» إلى قوله «عبرت لمن يرى» هل ترى تحت هذا الكلام معناً لطيفاً، أو مقصداً وشيقاً! أو هل تجد اللفظ نفسه لفظاً جذاباً فصيحاً، أو عذباً معسولاً! وانما هي الفاظ قد ضم بعضها إلى بعض، والطائل تحتها قليل جداً. وتأمل لفظه «مرا» فانها محدودة في اللغة، فان كان قصرها فقد ركب ضرورة مستهجنة وان اراد جمع مربية، فقد خرج من الصناعة، لانه يكون قد عطف الجمع المفرد، فيصير مثل قول القائل «ما اخذت منه ديناراً ولا دراهم» في انه ليس بالمستحسن في فن

(١) اسمه ناقد، وكنيته ابو زيد من المدينة. ابو الفرج: الاغانى ٤ / ٢٦٦ - ٢٩٥.

(٢) الشرح ٧ / ٢١١ - ٢١٣.

(٣) ديوانه ص ٢٢٥.

(٤) الشرح ٧ / ٢١٣.

البيان»^(١).

وقال في وصفه كلاماً آخر لابن نباته: فليتأمل أهل المعرفة بعلم لفصاحة والبيان هذا الكلام بعين الانصاف، يعلموا أن سطرأ واحداً من كلام نهج البلاغة يساوي الف سطر منه، بل يزيد ويربى على ذلك، فان هذا الكلام ملزق عليه آثار كلفة، وهجنة ظاهرة يعرفها العامي فضلاً عن العالم.^(٢)

وقال أيضاً: هل يجد من يتصفح كلام ابن نباته هذا عذوبة أو معنى يمدح الكلام لاجله؟ وهل هو الا الفاظ مضموم بعضها لبعض، ليس لها حاصل، كما قيل في شعر ذي الرمة^(٣)، «بعر ضباء ونقط عروس»^(٤) ويخلص للقول «ان كلام ابن نباته يتميز بالركاكة والتكلف، ولو قاله خطيب من خطباء السواد، لم يستحسن منه، بل ترك واسترذل»^(٥).

ولكن اليس مما يعاب عليه ان نوازن بين كلام الامام علي عليه السلام وكلام ابن نباته، وما هذا الا بمنزلة القول: «السيف امضى من العصا». وفي هذا غضاضة على السيف!؟.

وفي الواقع انه قد اشتملت كتب المتكلمين على المقايسة بين كلام الله تعالى وبين كلام البشر ليبينوا فضل القرآن، وزيادة فصاحته على فصاحة كلام العرب، نحو مقايستهم بين قوله تعالى: ﴿ولكم في القصص حياة يا اولي الاباب﴾^(٦). وبين قول القائل «القتل انفى للقتل». وبين قوله تعالى: ﴿خذ العفو

(١) الشرح ٢١٣/٧ - ٢١٤.

(٢) الشرح ٢١٤/٧.

(٣) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي (٧٧ - ٨٧) احد الشعراء في العصر الاموي. ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢ / ٤٣٧ - ٤٤٧. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٤ / ١١ - ١٧.

(٤) هو وصف جرير لشعر ذي الرمة. انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢ / ٤٣٧.

(٥) الشرح ٢ / ٢١٥.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين»^(١) وبين قول الشاعر:
فان عرضوا بالشعر فاصفح تكرما وان كتموا عنك الحديث فلا تسئل^(٢)
وكذلك عند مقايسة كلام مسيلمة، واحمد بن سليمان المعري، وعبدالله بن
المقفع بالقرآن الكريم، لبيان انه لا يبلغ كلامهم درجة القرآن، ولا يقاربها. اذن فلا
مانع من ذكر كلام ابن نباته مع كلام الامام علي عليه السلام لتظهر فضيلة كلام الامام عليه السلام،
بالنسبة إلى هذا الخطيب الفاضل الذي اتفق على انه اوحده عصره في فنه. وهذا امر
لا ينكر «ولكن قوم من أهل العصبية والعدا، يزعمون ان كلامه يساوي كلام امير
المؤمنين عليه السلام ويمائله، وقد ناظر بعضهم في ذلك فاحببت ان ابين للناس في هذا
الكتاب انه لا نسبة لكلامه إلى كلام الامام عليه السلام وانه بمنزلة شعر الابله^(٣) وابن
المعلم^(٤) مقارنة بشعر زهير والنايعة»^(٥).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول: «ان معرفة الفصيح والافصح، والرشيح
والارشح، والحلو والاحلى، والعالي والاعلى من الكلام أمر لا يدرك الا
بالذوق^(٦)، ولا يمكن اقامة الدلالة المنطقية عليه، وهو بمنزلة جاريتين: احدهما
بيضاء مشربة بحمرة دقيقة الشفتين، نقيه الثغر، كحلاء العينين، اسيلة الخد، دقيقة
الانف، معتدلة القامة. والاخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن؛ ولكنها احلى
في العيون والقلوب منها، واليق واصلح، ولا يدري لاي سبب كان ذلك، ولكنه

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٩.

(٢) لم يتسن لي معرفة قائله.

(٣) هو محمد بن بختيار بن عبدالله احد شعراء بغدادت ٥٧٩ هـ، وسمي بالابله لقوة ذكائه.

القسطنطي: المحمدون من الشعراء ص ٢٣٥ - ٦. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٤/٤٦٣ - ٥.

الصفدي: الوافي ٢/٢٤٢. ابن تغري: النجوم الزاهرة ٦/٩٥.

(٤) هو محمد بن علي بن فارس الهرثي من شعراء واسط (٥٧ - ٥٩٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان

٥/٥ - ٩. ابن تغري: النجوم الزاهرة ٦/١٠٢، ١٠٤.

(٥) الشرح ٧/٢١٥ - ٢١٦.

(٦) عن معنى الذوق عند ابن أبي الحديد انظر: حامد الظالمي: ابن أبي الحديد ص ٧٢ - ٧٦.

بالذوق والمشاهدة يعرف ولا يمكن تعليقه، وهكذا الكلام. نعم يبقى الفرق بين الموضوعين. ان حسن الوجوه وملاحظتها، وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة، واما الكلام فلا يعرفه الا اهل الذوق، ليس كل من اشتغل بالنحو واللغة أو بالفقه كان من اهل الذوق، وممن يصلح لانتقاد الكلام؛ واما اهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان، وراضوا انفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربه وملكه تامة^(١)، فللى اولئك ينبغي ان نرجع في معرفه الكلام وفضل بعضه على بعض ان كنت عادماً لذلك من نفسك^(٢).

من خلال ما اشار اليه ابن أبي الحديد اعلاه يتضح انه ليس باستطاعة أي شخص ان يرجع النص إلى النصوص السابقة عليه، والتي اخذ منها اذ ان مثل هكذا شخص يجب ان يكون واسع المعرفة والاطلاع والحفظ، وامتلاك قابلية ذوق عالية كي يكشف النصوص المعدلة، وهذا النوع من النقاد هو الذي يتمكن من كشف المصادر التي استعان بها مؤلفو النصوص دون الاشارة اليها، اذ كثيراً ما يسرق بعض المؤلفين نصوصاً كاملة دون التنبيه إلى مصدرها الاصيلي، ومعرفة هذه النصوص المسروقة من اهم ما يجب على الباحث معرفته لئلا يقع في خطأ الاستنتاج وان الانتباه لهذه النصوص المسروقة يعود اولاً للتطابق التام بين النصوص. ولكنه احياناً يسرق الثاني من الاول نصاً معيناً يحاول اخفاء هذه السرقة بتعديل أو تغيير الالفاظ في النص وقد لاحظنا ابن أبي الحديد قد قارن بين النصوص، واكد على وجود التناص الموجود بينهما، والتناص هو التقاطع والتعديل المتبادل بين وحدات عائدة لنصوص مختلفة وقد استخدم ابن أبي الحديد عدة الفاظ تدل على وجود التناص أو السرقة وهي «سرقة، مصاله، اخذه، بعينه، اختطفها، اغار عليها، اغتصبها» وهذه الكلمات تطلق على اقبح انواع

(١) انظر حامد الظالمي: ابن أبي الحديد ص ٧٣ - ٧٥.

(٢) الشرح ٢١٦/٧ - ٢١٧.

السراقات حيث لمح ابن أبي الحديد ان السارق كان ياخذ النص بعينه أو بمعناه. (١)
- واخذ الحريري (٢) ت ٥١٦ هـ كلمته عليه السلام: «كم من اكلة تمنع اكالات» فقال
في المقامات «رب اكلة هاضت الآكل، ومنعته ما كل» (٣) - واثبت ابن أبي الحديد
معنى قوله عليه السلام: «اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام» في رسالة كتبها إلى احد
اصدقائه يعزيه فقال: «لو تأمل الناس احوالهم، وتبينوا مآلهم، لعلموا ان المقيم
منهم بوطنه، والساكن إلى سكنه، اخو سفر يسري به وهو لا يسري، وراكب بحر
يجري به وهو لا يدري» (٤).

- اما الشعراء فقد اقتبسوا من كلامه عليه السلام ووظفوه في شعرهم فقد نظر
الفرزدق ت ١١٠ هـ إلى قوله عليه السلام: «وفروا إلى الله من الله» فقال يمدح سعيد بن
العاص:

اليك فررت منك ومن زياد ولم احسب دمي لكم حلالاً (٥)

- ومن قوله عليه السلام: «وظهرت آثار صنعته، ودلائل حكمته في مخلوقاته
فكانت وهي صامتة في الصورة ناطقة في المعنى بوجوده وربوبيته سبحانه» فنظر
إلى ذلك ابي العتاهية ت ٢١١ وقال:

فوا عجباً كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد (٦)

ونظر ابو العتاهية ايضاً لقوله عليه السلام: «وقد مضت اصول نحن فروعها فما بقاء

(١) حامد الظالمي: ص ٥٦-٥٧.

(٢) هو القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري (٤٤٦-٥١٦ هـ) صاحب المقامات الحريرية
ومؤلفات اخرى. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٦٣/٤-٦٨. السبكي: طبقات الشافعية ٢٩٥/٤-٧.

البغدادي: خزنة الادب ١١٧/٣-١١٨.

(٣) الشرح ٣٩٧/١٨. وانظر المقامات ص ٤٣.

(٤) الشرح ٢٠٩/١٨.

(٥) الشرح ٣٣١/١. وانظر ديوان الفرزدق ٧٠/٢.

(٦) الشرح ٤١٢/٦. وانظر ديوان ابو العتاهية ص ١٢٢.

فرع بعد ذهاب اصله» فصوح بنفس معناه قائلاً:

ككل حياة إلى ممات وكل ذي جدة يحول

كيف بقاء الفروع يوماً وقد ذوت قبلها الاصول!^(١)

وكذلك نظر لقوله عليه السلام: «لا جاء يرد ولا ماض يرتد» فقال ابو العتاهية:

فلا انا راجع ما قد مضى لي ولا انا دافع ما سوف يأتي^(٢)

-ومن قول الامام عليه السلام يعزي الاشعث بن قيس «يا اشعث! ان صبرت جرى

عليك القدر وانت مأجور، وان جزعت جرى عليك القدر وانت مأزور» فقال ابو

العتاهية لمن يعزيه في ولد له:

ولا بد من جريان القضاء اما مثاباً واما اثيماً^(٣)

-ولما قال عليه السلام لمن سأله: ما اكثر حب الناس للدنيا! فقال عليه السلام: هم ابناؤها؛

اي لام الانسان على حب امه. فقال محمد بن وهب الحميري ت ٢٢٥هـ:

ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها ومما كنت منه فهو شيء محبب^(٤)

-ومن قوله عليه السلام للاشعث: ان صبرت صبر الاكارم، والا سلوت سلو البهائم.

قال ابوتمام ت ٢٣١:

وقال علي في التعازي لاشعث وخاف عليه بعض تلك المآثم

اتصبر للبلوى عزاء وحسبه فتؤجر ام تسلو سلو البهائم^(٥)

ونظر البحتري لقوله عليه السلام: «علا بحوله، ودنا بطوله» فقال:

دنوت تواضعاً وعلوت قدراً فشاناك انخفاض وارتفاع

(١) الشرح ٩٣/٩. لم اجده في ديوان ابي العتاهية.

(٢) الشرح ٢٥٦/٦. لم اجده في ديوان ابي العتاهية.

(٣) الشرح ١٩٢/١٩. لم اجده في ديوان ابي العتاهية.

(٤) الشرح ٢٩٠/٨.

(٥) الشرح ٥/٢٠. وانظر ديوان ابوتمام ص ٢٨٢.

كذلك الشمس تبعد ان تسامى ويدنو النور منها والشعاع^(١)
- واخذ ابو العلاف^(٢) الشاعر ت ٣١٨هـ كلمته عليه السلام «كم من اكلة تمنع
اكلات» فقال يرثى سنوره:

اردت ان تأكل الفراخ ولا يأكلك الدهر اكل مضطهد
يا من لذيذ الفراخ اوقعه ويحك هلا قنعت بالقدر
كم اكلة خارت حشا شره فاخرجت روحه من الجسد^(٣)
واقتبس المتنبي من قوله عليه السلام «واكتحلت ابصارهم بالتراب» فقال:

ويدفن بعضنا بعضاً ويمشي آواخرنا على هام الاوالي
وكم عين مقبلة النواصي كحيل بالجنادل والرمال
ومغضٍ كان لا يغضي لخطبٍ وبالٍ كان يفكر في الهزال^(٤)
وكذلك نظر لقوله عليه السلام: «مقاربة الناس في اخلاقهم امن من غوائلهم» فقال:
وخله في جليس اتقيه بها كيما يرى اننا مثلان في الوهن
وكلمه في الطريق خفت اعربها فيهتدي لي فلم اقدر على اللحن^(٥)
- ومن وصفه عليه السلام للدنيا: «اولها عناء وآخرها فناء» اقتبس الشريف الرضي
ت ٤٠٦هـ فقال:

واولنا العناء اذا طلعتنا الى الدنيا واخرنا الذهاب^(٦)
وكذلك اقتبس من كلامه: «لكل امرئ في ماله شريكان: الوارث
والحوادث». فقال:

(١) الشرح ٢٤٢/٦. وانظر ديوان البحثري ١٢٤٧/٢.
(٢) هو ابوبكر هبة الله ابن الحسين. انظر الثعالبي: يتيمة الدهر ٤٨٥/٣ - ٧.
(٣) الشرح ٣٩٧/١٨. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٤٢٨/٤ - ٩.
(٤) الشرح ١٦٣/١١. وانظر ديوانه ص ٢٠٤.
(٥) الشرح ٣٠/٢٠. وانظر ديوانه ص ٣٤٩ - ٣٥٠.
(٦) الشرح ٢٣٨/٦. وانظر ديوانه ١٠١/١.

خذ من تراثك ما استطعت فانما شركاؤك الايام والوراث
 لم يقض حق المال الا معشر نظروا الزمان يعبث فيه فعاثوا^(١)
 واخذ الطغرائي^(٢) قوله عليه السلام: «خيار خصال النساء شرار خصال الرجال:
 الزهو والجبن والبخل، فاذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها، واذا كانت
 بخيلة حفظت مالها ومال بعلمها، واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها».
 فقال الطغرائي:

الجود والاقدام في فتيانهم والبخل في الفتيات والاشفاق
 والطعن في الاجداث دآب رماتهم والراميات سهامها الاحداق^(٣)
 - اما ابن أبي الحديد فقد اشار له لعدة اقتباسات له من كلام الامام وتوظيفه
 في شعره، فمن قوله عليه السلام: «ومن ابصر بها بصرتي، ومن ابصر اليها اعتمته». فقال
 ابن أبي الحديد:

دنياك مثل شمس تدني اليك الضوء لكن دعوة المهلك
 ان انت ابصرت إلى نورها تعش وان تبصر به تدرك^(٤)
 - ومن قوله عليه السلام: «لا يزهديك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشكر
 عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد يدرك من شكر الشاكر اكثر مما اضاع الكافر،
 والله يحب المحسنين». فقال ابن أبي الحديد:

لا تسدين إلى ذي اللؤم مكرمة فانه سبخ لا ينبت الشجرا
 فان زرعت فمحفوظ بمضيعة واكل زرعك شكر الغير ان كفرا^(٥)

(١) الشرح ٢٥١/١٩. وانظر ديوانه ٢٢٨/١.

(٢) هو الحسين بن علي بن محمد (٤٥٥ - ٥١٣) شاعر ومن الوزراء والكتاب لدى السلاجقة في الموصل. ابن خلكان: وفيات الاعيان ١٨٥/٢ - ١٩٠. الاعلام: الزركلي ١٤٦/٢.

(٣) الشرح ٦٥/١٩. انظر ديوان الطغرائي ص ٢٦١.

(٤) الشرح ٢٣٩/٦.

(٥) الشرح ٢٤/١٩. وانظر عبد الجبار سالم عبدالكريم: شعر عبد الحميد هبة الله ص ٢٠٢.

— ومن قوله عليه السلام: «اذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه» فقال ابن أبي الحديد:

ان الاماني اكساب الجهول فلا تقنع بها واركب الاحوال والخطرا
واجعل من العقل جهلا واطرح نظرا في الموبقات ولا تستشعر الحذرا
وان قدرت على الاعداء منتصرا فاشكر بعفوك عن اعدائك الظفرا^(١)

— ومن قوله عليه السلام: «والله ان امرءا يمكن عدوه من نفسه، يعرق لحمه ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره، انت فكن ذاك ان شئت، فاما انا فوالله دون ان اعطى ذلك ضربا بالمشرفية...» قال ابن أبي الحديد:

ان امرءا امكن من نفسه عدوه يجده آرابه
لا يدفع الضيم ولا ينكر الذل ولا يحصن جلبابه
لقائل الرأي ضعيف القوى قد صرم الخذلان اسبابه
انت فكن ذاك فاني امرؤ لا يرهب الخطب اذا نابه
ان قال دهر لم يطع او شحا له فم ادر ان يابه
او سامه الخسف ابى وانتضى دون مرام الخسف قرضابه
اخزر غضبان شديد السطا يقدر ان يترك ما رابه^(٢)

وكذلك اقتبس من قولين للامام احدهما: «فاعل الخير خير منه، وفاعل الشر شر عنه» والآخر: «ليس شيء بشر من الشر الا عقابه، وليس شيء بخير من الخير الا ثوابه». فقال ابن أبي الحديد:

خير البضائع للانسان مكرمة تنمي وتزكو اذا بارت بضائعه
فالخير خير وخير منه فاعله والشر شر وشر منه صانعه^(٣)

(١) الشرح ١٠٩/١٨.

(٢) الشرح ١٨٩/٢، ١٩٢. عبد الكريم: شعر عبدالحميد بن هبة الله ص ١٤٨.

(٣) الشرح ٢٥٧/٧، ١٤٩/١٨. وانظر عبد الكريم: شعر عبدالحميد هبة الله ص ٢١٩.

- ومن وصيته عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «اياك ومصادقة الاحمق، فانه يريد ان ينفعك فيضرك». قال ابن أبي الحديد:

| | |
|-------------------------|-------------------------------------|
| حياتك لا تصحبن الجهول | فلا خير في صحبة الاخرق |
| يظن اخو الجهل ان الظلال | عين الرشاد فلا يتقي |
| ويكسب صاحبه حمقه | فيسرق منه ولا يسرق |
| واقسم ان العدو اللبيب | خير من المشفق الاحمق ^(١) |

- و اشار ابن أبي الحديد إلى اقتباس عدد من الشعراء من كلمات الامام وتوظيفها في اشعارهم، لكنه لم يذكر اسماء الشعراء.

- فمن قوله عليه السلام في مصقلة بن هبيرة احد ولاته حينما هرب لمعاوية: «قبح الله مصقلة! فعل فعل السادة وفر فرار العبيد، فما انطق مادحه حتى اسكته، ولا صدق واصفه حتى بكته، ولو اقام لاخذنا ميسورة، وانتظرنا بما له موفورة». اقتبس احد الشعراء:

| | |
|----------------------------|--------------------------------------|
| يا من مدحناه فاكذبنا | بفعاله واثابنا خجلا |
| برداً قشيباً من مدائننا | سربلت فارده لنا سملا |
| ان التجارب تهتك المستور من | ابنائها وتبهرج الرجال ^(٢) |

- ونظر احد الشعراء لقوله عليه السلام: «في حلالها حساب وفي حرامها عقاب»،

فقال:

| | |
|----------------------|--------------------------|
| الدهر يومان فيوم مضى | عنك بما فيه ويوم جديد |
| حلال يومك حساب وفي | حرام يومك عذاب شديد |
| تجمع ما يأكله وارث | وانت في القبر وحيد فريد |
| انسي لغيري واعظ تارك | نفسى وقولي من فعالي بعيد |

(١) الشرح ١٥٧/١٨. وانظر عبدالكريم: شعر عبدالحميد هبة الله ص ٢٢٥.

(٢) الشرح ١١٩/٣.

حلاوة الدنيا ولذاتها تكلف العاقل ما لا يريد^(١)

- وقال احد الشعراء مقتبساً من قوله عليه السلام: «يجمع ما لا يأكل، ويبني ما لا

يسكن».

اموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها^(٢)

- ومن قوله عليه السلام: «ما اقرب الحي من الميت للحاق به، وما ابعد الميت من

الحي لانقطاعه عنه» اقتبس احد الشعراء فقال:

يا بعيد عني وليس بعيداً من لحاقي به سميع قريب

حدث بين الوري غريباً كما انك تحت الثرى وحيد غريب^(٣)

- واخذ شاعر قوله عليه السلام: في الحرب «حلوأ رضاعها، علقماً عاقبتها». فقال:

الحرب اول ما تكون فتيقسي بـزينتها لكل جهول

حتى اذا اشتعلت وشب ضرامها دت عجوزاً غير ذات حليل

شمطاء جزت رأسها وتنكرت كروهة للشم والتقييل^(٤)

- ومن قوله عليه السلام: «جديد بلي» اخذ شاعر فقال:

يا دار غادرتي جليل بلاك رث الجديد فهل رتبت لذاك^(٥)

- وقال شاعر مقتبساً من كلامه عليه السلام: «شتان ما بين عمليين، عمل تذهب

لذته، وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤونته، ويبقى اجره».

تفني اللذاذة ممن نال بغيته من الحرام ويبقى الاثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار^(٦)

(١) الشرح ٢٣٩/٦.

(٢) الشرح ٢٥٦/٦.

(٣) الشرح ٢٥٦/٦ - ٢٥٧.

(٤) الشرح ٤١/٩، ١١٩/١٢.

(٥) الشرح ١٦٣/١١.

(٦) الشرح ١٦٣/١١.

- وقال عليه السلام ساعة دفنه للنبي صلى الله عليه وآله: «ان الصبر لجميل الا عنك وان الجزع لتقيح الا عليك، وان المصاب بك لجليل وانه بعدك لقليل». فقال احد الشعراء:
امست بجفني للدموع كلوم حزناً عليك وفي الخدود رسوم
والصبر يحمد في المواطن كلها الا عليك فانه مذموم^(١)
- وقال احدهم مقتبساً من كلامه عليه السلام: «ما لابن آدم والفخر! اوله نطفة،
وآخره جيفة، لا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه».

ما بال من اوله نطفه وجيفة اخرة يفتخر
يصبح ما يملك تقدير ما يرجو ولا تأخير ما يحذر^(٢)

لقد كان مصدر الامام الاول في هذه القمة من الفصاحة هو كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وآله، فكان عليه السلام كثيراً ما يستشهد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية، ويوظفها في خطبه ورسائله، وقد اكد على ذلك الشريف الرضي بقوله: «لان كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي»^(٣).

فعلى سبيل المثال قوله عليه السلام: «وما كل ذي قلب بلييب، ولا كل ذي سمع بسميع، ولا كل ذي ناظر ببصير». فانه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم اعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها﴾^(٤) ﴿^(٥)﴾.
وقوله عليه السلام: «فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم وانقطاعكم عن اوصل اخوانكم». مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم

(١) الشرح ١٩٠/١٩. ونسبها المبرد إلى محمد بن عبد الله العتيبي مع اختلاف باللفظ. الكامل ٤١/٢.

(٢) الشرح ١٥٠/٢٠.

(٣) الشرح ٤٥/١.

(٤) سورة الاعراف: الآية ١٧٩.

(٥) الشرح ٣٨٥/٦ - ٣٨٦.

وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال^(١) ﴿٢﴾.

ومن قوله تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا﴾^(٣). اقتبس عليه السلام فقال: «فاعلم ان لكل ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره، طاب باطنه، وما خبث ظاهره، خبث باطنه»^(٤).

أما قوله عليه السلام: «وقد ادبرت الحيلة، واقبلت الغيلة، ولات حين مناص». فالعبارة الاخيرة لفظة قرآنية بعينها^(٥). وكذلك قوله عليه السلام: ﴿فما بكت عليهم السماء﴾^(٦).

وقوله عليه السلام: «كن سمحاً ولا تكن مبذراً، وكن مقدراً ولا تكن مقترأ». مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾^(٧). وقوله تعالى: ﴿ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾^(٨) ﴿٩﴾.

اما اقتباساته من كلام الرسول ﷺ فعلي سبيل المثال قوله عليه السلام: «فليعمل العامل منكم في ايام مهله، قبل ارهاق اجله، وفي فراغه قبل اوان شغله، وفي متنفسه قبل ان يؤخذ بكظمه، وليعهد لنفسه وقدمه، وليتزود من دار ظعنه لدار اقامته». فهذا مأخوذ من خطبة للرسول ﷺ: «ايها الناس ان لكم معالم فانتهاوا إلى معالمكم، وان لكم غاية فانتهاوا إلى غايتكم. ان المؤمن بين مخافتين بين اجل

(١) سورة ابراهيم: الآية ٤٥.

(٢) الشرح ٢٨٢/٧ - ٢٨٣.

(٣) سورة الاعراف: الآية ٥٨.

(٤) الشرح ١٧٨/٩.

(٥) سورة ص آية ٣. الشرح ١٢٥/١.

(٦) سورة الدخان: الآية ٢٩. الشرح ١٢٦/١٣.

(٧) سورة الاسراء: الآية ٢٧.

(٨) سورة الاسراء: الآية ٢٩.

(٩) الشرح ١٥٠/١٨.

قد مضى لا يدري ما لله صانع به واجل قد بقي لا يدري ما لله قاض فيه، فليأخذ العبد قبل الموت، فوالذي نفس محمد بيده، ما بعد الموت من مستعجب، وما بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار»^(١).

ولما تحدث عن الملائكة ذكر «منهم في حظائر القدس»^(٢) وهي لفظة وردت في حديث النبي ﷺ^(٣). وقوله ﷺ: «اني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة»^(٤) مأخوذ من قوله ﷺ: «ان الدنيا حلوة خضرة، وان الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون!»^(٥).

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم اني اعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الاهل والمال والولد. اللهم انت صاحب في السفر، وانت الخليفة في الاهل». وقد دعا به لما عزم على المسير إلى الشام، ولكنه اضاف اليه: «ولا يجمعهما غيرك، لان المستخلف لا يكون مستصحباً، والمستصحب لا يكون مستخلفاً»^(٦).

اما في نطاق الشعر، فقد كان الامام عليه السلام على معرفة بالشعر والشعراء ففي محاوره بينه وبين ابي الاسود الدؤلي حول اشعر الشعراء، وكان رأي الاخير انه ابوداود الايادي^(٧). اما الامام فيرى ان اشعرهم هو الذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة، الملك الضليل ذو القروح امروء القيس^(٨).

(١) الشرح ٣٥٠/٦ - ٣٥١.

(٢) الشرح ٤٢٦/٦.

(٣) لم اهدت اليه في كتب الحديث.

(٤) الشرح ٢٢٨/٧.

(٥) اخبره الجاحظ: البيان والتميز ٢١/٢. مسلم: الصحيح ٢٠٩٨/٤. البيهقي: التاريخ ٨٠/٢.

(٦) الشرح ١٦٥/٣ - ١٦٦. وذكر الشريف الرضي هذا الدعاء للنبي ﷺ المجازات النبوية ص ١٤١.

(٧) هو جارية بن الحجاج أو حنظلة بن الشرفي من قبيلة اياد من شعراء قبل الاسلام ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١٦١/١ - ١٦٣.

(٨) الشرح ١٥٣/٢٠ - ٤. وانظر ابن رشيقي: العمدة ٤١/٤٢. الزمخشري: ربيع الابرار ٢٧٢/٤.

وقد احتوى شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد على طائفة من الابيات الشعرية، قرر ابن أبي الحديد صحة نسبة بعضها للامام، فيما شكك بالبعض الاخر، وبعضها جاء على شكل اراجيز في الحرب.
وسوف نرتب هذا الشعر على اساس القوافي:

قافية الباء

لقد اتانا كاشفاً عن نابه يهبط الناس على اعتذابه

فليأتنا الدهر بما اتى به^(١)

انا علي وابن عبدالمطلب نحن لعمر الله اولى بالكتب
منا النبي المصطفى غير كذب اهل اللواء والمقام الحجب

نحن نصرناه على كل العرب^(٢)

فان كنت بالشورى ملكت امورهم

فكيف بهذا والمشيرون غيب

وان كنت بالقربى حججت خصيمهم

فغيرك اولى بالنبي واقرب^(٣)

ومن لم يغمض عينه عن صديقه

وعن بعض ما فيه يمت وهو علب

(١) قاله لما رأى نزول معاوية في صفين. الشرح ٣/٣١٤. انظر المنقري: صفين ص ١٥٩.
(٢) قاله يوم صفين لما برز إلى حريث مولى معاوية: الشرح ٥/٢٥-٢١٦. وانظر المنقري: صفين ص ٢٧٢-٢٧٣.
(٣) قاله يوم السقيفة. الشرح ١٨/٤١٦. الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٥٠٣.

ومن يتبع جاهداً كل عشرة

يجدها ولا يسلم له الدهر صلحاً^(١)

الم تر قومي ان دعاهم اخوهم

اجابوا، وان يغضب على القوم يغضبوا

هم حفظوا غيبي كما كنت حافظاً

لقومي اخرى مثلها ان يغيبوا

بنو الحرب لم تقعد بهم امهاتهم

وآباؤهم اباء صدق فانجبوا^(٢)

قافية الدال

اطعن بها طعن ابيك تحمد لا خير في الحرب اذا لم توقد

بالمشرفي والقنا المسدد^(٣)

يا شاهدا لله علي فاشهد اني علي دين النبي احمد

من شك في الله فاني مهتد^(٤)

قافية الراء

من أي يوم من الموت افر ايوم لم يقدر ام يوم قدر

(١) الشرح ٣٤/١٩.

(٢) قاله في جواب له على كتاب لمعاوية. الشرح ٣١٤/٣. المنقري: صفين ص ١٦٠.

(٣) قاله لولده محمد بن الحنفية يوم الجمل حيث كان يحمل اللواء. الشرح ٢٤٣/١. وانظر: البغدادي: الفرق ص ٢٦. الخوارزمي: المناقب ص ١١٩.

(٤) قاله للخوارج لما طلبوا منه ان يقر بالكفر ويعلن توبته. الشرح ٢٧٨/٢ وانظر المبرد: الكامل ١٨٩٠٣. المرزباني: معجم الشعراء ص ٢٨٠.

فيوم لا يقدر لا ارهبه ويوم قد قدر لا يغني الحذر^(١)

كنت السواد لناظري فبكي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت احاذر^(٢)

لقد عثرت عثرة لا اعتذر سوف اكيس بعدها واستمر
واجمع الامر الشتيت المنتشر^(٣)

يا عجباً لقد سمعت منكراً كذباً على الله يشيب الشعرا
يسترق السمع ويغشي البصرا ما كان يرضي احمد لو اخبرا
ان يقرنوا وصيه والابترا شاني الرسول واللعين الاخررا
كلاهما في جنده قد عسكرا قد باع هذا دينه فافجرا
من ذا بدنيا بيعه قد خسرا بملك مصر ان اصاب الظفرا!
اني اذا الموت دنا وحضرا شممت ثوبي ودعوت قنبرا
قدم لوائي لا تؤخر حذرا لا يدفع الحذار ما قد قدرا
لما رأيت الموت احمررا عبات همدان وعبوا حميرا
حي يمان يعظمون الخطرا قرن اذا ناطح قرن كسرا
قل لابن حرب لا تدب الخمررا ارود قليلاً ابد منك الضجرا

(١) قاله يوم صفين حينما حمل على اهل الشام. الشرح ١٣٢/٥، ٥٥/٨. انظر المنقري: وقعة

صفين ص ٣٩٢. ابن عبد ربه: العقد الفريد ١٢٣/١.

(٢) قاله يوم وفاة الرسول ﷺ. الشرح ١٩٧/١٩.

(٣) قاله بعد ان علم ان الكتاب الذي كتبه لمحمد بن ابي بكر وقع بيد معاوية بعد مقتل محمد بن

ابي بكر. الشرح ٧٣/٦. بينما ذكر الطبري انه قاله بعد مبايعته بالخلافة. تاريخ ٤٣٦/٤ - ٤٣٧.

وانظر: ابن تيمية: منهاج السنة ١٨٠/٤.

لا تحسبن يا بن هند غمرا وسل بنا بدرأ معا وخيبرا
يوم جعلناكم ببدر جزرا لو ان عندي يا بن هند جعفرا
او حمزة القمر الهمام الازهرا رأت قریش نجم ليل ظهرا^(١)

فان للحرب عراما شررا ان عليها قائداً عشترا
ينصف من احجر أو تنمرا على نواصيها مزجاً زمجرا
اذا ونين ساعة تغشمرا^(٢)

الا ترون قد حفرت حفرا اني رأيت امراً منكرا
اوقدت ناري ودعوت قنبرا^(٣)

انا الذي سمتني امي حيدرة كليث غابات كريبه المنظرة
اوفيهم بالصاع كيل السندرة^(٤)

قافية الزاي

لا تعجلنّ فقد اتا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نسية وبصيرة يرجو الغداة نجاة فائز

(١) قاله بعد ان علمم بالاتفاق الذي جرى بين معاوية وعمرو بن العاص على حربه. الشرح
١٤٨/١، ٦٩/٢ - ٧٠. وانظر: المنقري: صفين ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) قاله في جواب له على كتاب معاوية. الشرح ٣١٤/٣. المنقري: صفين ص ١٥٩.

(٣) قاله بحق الغلاة الذين الهوه. الشرح ٥/٥، ١٩/٨. المصطفي: التنبيه والرد ص ١٨. ابن تيمية:
منهاج السنة ٧/١.

(٤) قاله يوم خيبر لما برز إلى مرحب اليهودي. الشرح ١٢/١، ١٢٧/١٩. وانظر: الطبري: تاريخ
١٣/٣. الحاكم: المستدرک ٤١/٣. المرزباني: معجم الشعراء ص ٢٨٠. ابن المغازلي: مناقب
ص ١٧٨، ١٨٢. الكنجي: كفاية الطالب ص ١٠٢.

انسي لارجو ان اقيد م عليك نائحة الجنائز
من ضربة تفنى ويب قى ذكرها عند الهزاهز^(١)

يخوض اناس في الكلام ليسوجزولي بعض الاحايين اوجز
اذا كنت عن ان تحسن الضملمتتتعلمجراً الابلاغ في القول اعجز^(٢)

قافية الصاد

لاوردن العاصي بن العاصي سبعين الفا عاقدى النواصي
مستحقين حلق الدلاص قد جنبوا الخيل مع القلاص
اسود غيل حين لا مناص^(٣)

قافية العين

اتأمرني بالصبر في نصر احوالله ما قلت الذي قلت جازعاً
ولكني احببت ان ترى نصوتي علم اني لم ازل لك طائعاً
سأسعى لوجه الله في نصر اخيهد الهدى المحمود طفلاً ويافعاً^(٤)

قافية الكاف

ان اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

(١) قاله في معركة الخندق سنة ٥٥ لما برز إلى عمرو بن عبد ود العامري، الشرح ٢٩٢/١٣.

٦٣/١٩. وأنظر الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٢) قاله في معنى الكلام والضم، الشرح ٢٦٥/١٩.

(٣) قاله يوم صفين رداً على عمرو بن العاص. الشرح ٦٦٩/٣. المنقري: صفين ص ١٣٦ - ١٣٧.

الطبري: تاريخ ٥٦/٤.

(٤) قاله لأبيه ابا طالب لما امره اياه بنصرة النبي ﷺ. والشرح ٦٤/١٤.

ومن اذا ريب الزمان صدعك شئت فيك شمله ليجمعك^(١)

قافية اللام

غر جهولاً امله
ومن دنأ من حتفه
ما بقاء آخر
والمراء لا يصحبه
يموت من جا اجله
لم تغن عنه حيله
قد غاب عنه اوله
في القبر الا عمله^(٢)

سمحت بامر لا يطاق حفيظة
جزاك اله الناس خيراً فأنه
وصدقا واخوان الوفاء قليل
لعمرك فضل ما هناك جزيل^(٣)

يا مرحباً بالقائلين عدلا
يا حار همدان من يمت يرني
وبالصلاة مرحباً واهلاً^(٤)
من مؤمن أو منافق قبلاً^(٥)

قافية الميم

فلو اني اطعت عصمت قومي
الى ركن اليمامة أو شمام

(١) في معنى الاخوة. والشرح ١١٣/١٨.

(٢) في اتباع الهوى وصدده عن تذكر الآخرة. الشرح ٣٢٠/٤.

(٣) قاله يوم صفين إلى عبد العزيز بن الحارث الجمحي. الشرح ٢٤٢/٥. المنقري: صفين ص ٣٠٨.

(٤) قاله يوم صفين في مدح اصحابه. الشرح ١٤/٨. المنقري: صفين ص ٣٣٠.

(٥) خاطب به الحارث بن عبدالله الهمداني وهو من اصحاب الامام. الشرح ٤٣/١٨.

ولكنني متى ابرمت امرأ

منيت بخلف اراء الطغام^(١)

دعوت فليأتي من القوم عصابة

فوارس من همدان غير لثام

فوارس من همدان ليسوا بعزل

غداة الوغى من شاكر وشام

بكل رديني وغصب تخاله

اذا اختلف الاقوام شعل ضرام

لهمدان اخلاق كرام تزينهم

ويأس اذا لاقو وحد خصام

وجد وصدق في الحروب ونجده

وقوم اذا قالوا بغير اثم

متى تأتهم في دارهم تستضيفهم

تبت ناعماً في خدمة وطعام

جزى الله همدان الجنان فانها

سمام العدا في كل يوم زحام

فلو كنت بواباً على باب جنة

لقلت لهمدان ادخلوا بسلام^(٢)

(١) قاله بعد خديعة معاوية لاصحابه في الارتحال من اماكنهم خوف الفرق. الشرح ١٩/٤. وانظر:
المنقري: وقعة صفين ص ١٩١.
(٢) قاله في مدح همدان يوم صفين. الشرح ٢١٧/٥، ٧٨/٨. المنقري: وقعة صفين ص ٢٧٤. ابن
رشيح العمدة ١/٢٤-٣٥.

جزى الله خيراً عصابة اسلمية

صباح الوجوه صرعوا حول هاشم

يزيد وسعدان وبشر ومعبد

وسفيان، وابنا معبد ذي المكارم

وعروه لا يبعد ثناه وذكره

إذا اخترطت يوماً خفاق الصوارم^(١)

افاطم هاء السيف غير ذميم

فلست برعديد ولا بلئيم

لعمرى لقد جاهدت في نصر احمد

وطاعة رب بالعباد رحيم^(٢)

اخوك الذي ان اجرضتك ملمة من الدهر لم يبرح لها الدهر واجماً

وليس اخوك بالذي ان تشعبت عليك امور ظل يلحاك لائماً^(٣)

يا رب ان الحارث بن الصمة كان رفيقاً وبنا ذا ذمة

قد ظل في مهامه مهمة يلتبس الجنة فيها شمة^(٤)

(١) قاله في قتل هاشم بن عتبة بن ابي وقاص يوم صفين وكان من اصحاب الامام. الشرح ٣٥/٨. المنقري وقعة صفين ص ٣٥٦.

(٢) قاله للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد معركة احد. الشرح ٣٥/١٥. ابن هشام: السيرة ١٠٦/٣. الطبري: تاريخ ٥٣٣/٢. الحاكم: المستدرک ٢٧/٣. المرزباني: معجم الشعراء ص ٢٨٠. الخوارزمي: المناقب ص ١٠٧. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٣) في معنى الاخوة. الشرح ١١٤/١٨.

(٤) قاله يوم احد بعد ان ذهب الحارث يلتبس حمزة بامر الرسول ﷺ. الشرح ١٦/١٥. انظر: الواقدي: المغازي ٢٨٩/١.

محمد النبي اخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي
سبقتكم إلى الاسلام طرا غلاماً ما بلغت اوان حلمي^(١)

قافية الياء

اضربهم ولا ارى معاوية الاخرز العين العظيم الحاوية
هوت به النار بأمر هاوية^(٢)

هذا هو كل ما جاء في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة من شعر الامام علي عليه السلام، والملاحظ ان ابن أبي الحديد كان معجباً بشعر الامام إلى درجة انه لما اورد شعراً فصيحاً نادراً للشريف الرضي علق عليه قائلاً: «لا عجب لان هذه الورقة من تلك الشجرة، وهذا القبس من تلك النار».^(٣)

الامام علي عليه السلام وعلم النحو

علم النحو: من علوم اللغة العربية التي ابتدعها الامام علي عليه السلام حيث المعروف انه املى على ابي الاسود الدؤلي جوامعه واصوله والتي منها: الكلام على ثلاثة اقسام: اسم وفعل وحرف. والكلمة: اما نكرة أو معرفة. وتقسيم وجوه الاعراب من حيث الرفع والنصب والجر والجزم. ان هذه الالمام «يكاد يلحق بالمعجزات

(١) الشرح ١٢٢/٤. وانظر: الطبرسي: الاحتجاج ١١٢/١. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٧ -

١٠٨. الحموي: معجم الادباء ٤٨/١٤. الجويني: فرائد السمطين ص ٤٢٧.

(٢) قاله يوم صفين. الشرح ٥٩/٨. وانظر: المنقري: وقعة صفين ص ٤٠٤. الطبري ٤٢/٥. وقد

نسبه ابن أبي الحديد في موضع آخر لمجزأة بن شور. الشرح ٢٤٠/٥. وانظر المنقري: وقعة

صفين ص ٣٠٥. المازندراني: مناقب ١٩/٢.

(٣) الشرح ٢٦٦/١١.

٥٠٠..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

لان القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط»^(١)

(١) الشرح ٢٠/١. وانظر ابو هلال العسكري: الاوائل ص ٢٩٦ - ٨ الحموي: معجم الادباء ٤٩/٤٢/١٤. ابن الاثير: المثل السائر ٦١/١. ابن تيمية: منهاج السنة ١٤٢/٤. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٨١.

المبحث السابع

الامام علي عليه السلام وعلم الفلك

من خلال شرحه لنهج البلاغة اثبت ابن أبي الحديد ان الامام عليه السلام سبق الفلكيين في التوصل لبعض المسائل الفلكية. كأشارته الى ان منطقة الابله هي ابعد موضع في الارض عن السماء. فقد جاء في خطبة له عن البصرة انها: «بعيدة عن السماء» فاكد ان الامام يشير إلى ما توصل اليه علماء الفلك في ان ابعد موضع في الارض عن السماء هو «الابله». ومعنى البعد هنا، هو بعد تلك الارض المخصوصة عن دائرة معدل النهار والبقاع، والبلاد تختلف في ذلك، واكد ابن أبي الحديد ان الالات الفلكية والارصاد دلت على ان ابعد موضع في المعمورة عن دائرة معدل النهار هو الابله.^(١)

ان الاشارة اعلاه تعد من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام لانه اخبر عن امر لا تعرفه العرب، ولا تهتدي اليه، وهو امر خاص بالمدققين من الحكماء، لذا عدت هذه الاشارة من اسراره وغرائبه البديعة^(٢).

وفي قوله عليه السلام: «الحمد لله الذي لا توارى عنه سماء سماء، ولا ارض ارضا». فانه يدل على اثبات ارضين بعضها فوق بعض كالسموات السبع. لكن القرآن الكريم لم يشر لعدد الارضين حيث قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ

(١) الشرح ٢٦٧/١. وعن الابله، انظر الحموي: معجم البلدان ٧٦/١-٧٨.
(٢) الشرح ٢٦٨/١. وانظر كلام الامام في: الزمخشري: ربيع الابرار ٣٠٨/١.

سموات، ومن الارض مثلهن^(١)، ولذا قيل انها ارض واحدة، ولكنها على سبعة اقاليم، فالمثلية التي اشار لها القرآن الكريم من هذا الوجه، وليس من تعدد الارضين وقد يحمل كلام الامام على ذلك، فيقصد ^{عليه السلام} انها ارض واحدة، لكنها اقطار واقاليم مختلفة، وهي كروية الشكل، فمن كان على حدة الكرة لا يرى من تحته، والذي تحت لا يرى من فوق، والذي على احد الجانبين لا يرى من على الجانب الاخر^(٢).

ولاحظ ابن أبي الحديد انه لا منافاة بين قول الامام ^{عليه السلام}: «سماوات ابراج» وبين ما يقوله الحكماء والمتكلمين ان السماء كرة لا زاوية فيها ولا ضلع، لان الفلك وان كان كرة لكنها فيه من المتممات ما يجري مجرى اركان الحصن أو السور. فصح اطلاق لفظة الابراج عليه، والمتممات اجسام في حشو الفلك تخف في موضع، ولا مانع من حمل لفظة الابراج على ما يقوله الحكماء ان الفلك يقسم لاثني عشر قسماً كل قسم يسمى برجاً، والامام ^{عليه السلام} اخذ اللفظه من القرآن في قوله تعالى: ﴿والسماوات ابراج﴾^(٣).^(٤)

اما بالنسبة إلى موقفه ^{عليه السلام} من التنجيم فهو ذو شقين الاول: اذا كان الهدف من التنجيم معرفة الطرق البرية والبحرية فهذا لا بأس به، الثاني: اذا كان لاغراض اخرى فهو محرم، حيث يقول ^{عليه السلام}: «اياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدي به في بر أو بحر، فأنها تدعو إلى الكهانة؛ المنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار». وأشار ^{عليه السلام} انه من صدق المنجمين فقد كذب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله، ثم انه سيحمد المنجم بدل الله سبحانه وتعالى.^(٥)

(١) سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٢) الشرح ٣٠٤/٩.

(٣) سورة البروج: الآية ١.

(٤) الشرح ٣٩٣/٦.

(٥) الشرح ١٩٩/٦.

المبحث الثامن

الامام علي عليه السلام وعلم الحيوان

ابدى الامام علي عليه السلام بعض الاراء في عدد من الطيور مثل الخفاش الذي يبصر ليلاً ولا يبصر نهاراً، ثم ان طيرانها باجنحة من لحم وليس من ريش، وهي تحمل ولدها ملاصقاً لها فلا يقع حتى يكبر. وقد اتى عليه السلام بالعلم الطبيعي في عدم ابصارها نهاراً، وهو انفعال حاسة بصرها عن الضوء الشديد، وقد يعرض مثل ذلك لبعض الناس، وهو المرض المسمى (روزكور)، أي اعمى النهار، ويكون ذلك افراط التحلل في الروح النوري فاذا لقي حر النهار، اصابه قمر، ثم يستدرك ذلك برد الليل فيزول، فيعود الابصار.^(١)

واشار إلى الطاووس وكيفية لقاحه الانثى مشيراً ان وصفه جاء لمعاينته عليه السلام

للتاوس، وقد اثار ذلك طعن البعض اذ أين رأى الامام علي عليه السلام الطاووس؟

والواقع انه عليه السلام رآه بالكوفة وليس بالمدينة حيث كانت الكوفة عاصمة

الدولة العربية الاسلامية تجبى لها الاموال والهدايا من الاصقاع.^(٢)

وقد رد عليه السلام على قول البعض: «من يزعم انه يلحق بدمعة تسفحها مدامعه،

فتقف في ضفتي جفونه، وان اثناء تطعم ذلك، ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى

الدمع المنبجس، لما كان ذلك باعجب من مطاعمة الغراب». حيث يرى البعض ان

الذكر تدمع عينه، فتقف الدمعة بين اجفانه، فتاتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك

(١) الشرح ١٨٣/٩. وانظر نص كلام الامام في بداية هذا الفصل.

(٢) الشرح ٢٦٨/٩.

الدمعة^(١). وقد انكر الامام ذلك بالنسبة للطاووس، ولكنه اشار إلى مطاعمة الغراب، حيث يرى البعض ان لقاح الغراب يكون بانتقال جزء من الماء الموجود في قانصة الذكر إلى الاثنى عن طريق منقارها.^(٢)

واشار عليه السلام إلى بعض الحشرات كالنملة التي قال فيها: «انظروا إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على ارضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعددها في مستقرها، تجمع في حرها الى بردها، وفي وردها لمصدرها؛ مكفول برزقها، مرزوقة بوقتها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان، ولو في الصفا اليابس، والجحر الجامس، ولو فكرت في مجاري اكلها، وفي علوها وسفلها، وما في الجوف، من شراسيف بطنها، وما في الراس من عينها واذنها لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعبا».^(٣)

تجدد الاشارة ان للجاحظ تحليل للنملة ربما يكون اخذ فكرته من الامام وزاد في تحليله.^(٤)

وتطرق الامام عليه السلام للجراة فقال عنها: «خلق لها عينين حمراوين، واسرج لها حدقتين قمرآوين، وجعل لها السمع الخفي وفتح لها القم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونابين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض، يرهبها الزراع في زرعه، ولا يستطيعون ذبها ولو اجلبوا بجمعهم، حتى ترد الحرث في نزواتها، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون اصبعاً مستدمة».^(٥)

(١) الجاحظ: الحيوان ١٧٧/٣، ٤٦٤. ويرى الدميري ان الغراب يتستر في لقاحه الاثنى. حياة الحيوان الكبرى ١٧٣/٢.

(٢) الشرح ٢٦٨/٩ - ٢٧٠.

(٣) الشرح ٥٥/٣. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٤٨١/٤ - ٤٨٢.

(٤) الشرح ٥٧/١٣ - ٦٣. وانظر الجاحظ: الحيوان ٥٤٢/٥ - ٥٧٣.

(٥) الشرح ٥٦/١٣ - ٦٦. وانظر الجاحظ: الحيوان ٥٤٣/٥ - ٥٧٣. الزمخشري: ربيع الابرار

المبحث التاسع

الامام علي عليه السلام وعلم التاريخ

كان الامام علي عليه السلام يوجه عناية فائقة إلى الاستفادة من التاريخ حتى أصبح التاريخ عنصراً بارزاً في مختلف الموضوعات التي اثارته اهتمامه وعنايته عليه السلام ولكنها ليست كعناية القاص أو السياسي الباحث عن الحيل السياسية واساليب التمويه ليعالج بها تدمير الشعب، وانما هي عناية رجل الرسالة والعقيدة والقائد الحضاري والمفكر المستقبلي. فهو يبحث ليجد في التاريخ جذور المشكل الانساني، وينفض جهود الانسانية على التكامل الروحي والمادي، ويعزز قدرته في تأمين قدر من السعادة مع الحفاظ على الطهارة الانسانية. ولذا فهو لم يتوقف عند جزئيات الوقائع الا بمقدار ما تكون شواهداً ورموزاً، وانما تناول المسالة التاريخية بنظرة كلية شمولية والامام عليه السلام ليس مؤرخاً لذا لا نجد عنده نظرة المؤرخ واسلوبه في سرد الوقائع، وتحليلها والحكم عليها، وانما هو رجل دولة وحاكم، ورجل عقيدة ورسالة فهو يتعامل مع التاريخ باعتباره حركة تكون شخصية الانسان الحاضرة والمستقبلية، ولذا فهي تشكل حيزاً هاماً، على درجة كبيرة من الخطورة في عملية التربيته والتحرك السياسي.^(١)

وتتضح عنايته عليه السلام بالتاريخ من خلال وصيته لولده الحسن عليه السلام اذ يقول:

(١) محمد مهدي شمس الدين: حركة التاريخ عند الامام علي عليه السلام. ص ٣١-٣٢.

«أي بني؛ اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم، وفكرت في اخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عدت كاحدهم، بل كأني بما انتهى الي من امورهم، قد عمرت من اولهم إلى اخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره»^(١).

واوضح عليه السلام الهدف من دراسة التاريخ: «احي قلبك بالموعظة... واعرض عليه اخبار الماضين، وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسرفي ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا واما انتقلوا، واين حلوا ونزلوا، فانك تجدهم قد صرت كاحدهم»^(٢).

ولكن يا ترى من اين استقى الامام علي عليه السلام معرفته التاريخية؟ من خلال نصوص النهج وسيرة الامام علي عليه السلام يتضح ان مصادره كانت متنوعة وهي:

اولاً: القرآن الكريم: حيث تضمن القرآن دعوى لدراسة التاريخ ﴿قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلكم﴾^(٣). ثم شمول القرآن لمادة تاريخية مثلت ثلث القرآن حيث اشار القرآن لقصة خمسة وعشرين نبياً، والى عدد من الاقوام السابقة وبعض الشخصيات، ثم اشارته لاحداث العرب قبل الاسلام ولما كان عليه السلام على علم بالقرآن، حيث قال عليه السلام: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي»^(٤). وقال عليه السلام: «ولا تسألوني عن آية ابليل نزلت ام بنهار ام بسهل ام بجبل»^(٥).

ولذا نجد التأثير القرآني واضحاً في فكر الامام التاريخي منهجاً

(١) الشرح ٦٧/١٦.

(٢) الشرح ٦٢/١٦. وانظر: الشريف الرضي: نهج البلاغة ٣٩٢.

(٣) سورة الروم: الآية ٤٢.

(٤) انظر مصادره فيما سبق من هذا الفصل.

(٥) انظر مصادره في مبحث الامام علي وعلوم القرآن.

وموضوعاً. (١)

ثانياً: تربية الامام علي عليه السلام في بيت النبي: كان لها الاثر في ثقافته التاريخية حتى تميز من بين اصحابه بأنه يملك تسعة اعشار العلم (٢)، وشارك الآخرون في العشر العاشر، وقد قال فيه عليه السلام: «انا مدينة العلم وعلي بابها».

ثالثاً: السنة النبوية الشريفة: اشتملت السنة النبوية على مادة تاريخية متنوعة شكلت مصدراً افاد الامام في المعرفة التاريخية.

رابعاً: قراءات الامام لما وجد من مؤلفات سواء باللغة العربية أو بغيرها وخاصة في تنقلاته بين الحجاز والعراق واليمن. (٣)

خامساً: الآثار القديمة: مر الامام عليه السلام في تنقلاته بين الاقاليم ببعض الآثار القديمة وهذا واضح من كلامه «وسرت في آثارهم» وكان عليه السلام قد عاش في اربعة اقاليم، وهي الحجاز واليمن والعراق وسوريا، فالحجاز هو مهده الاول حيث مكة والمدينة وما حواليهما في خيبر والطائف وغيرها من مدن وسط الجزيرة. اما اليمن ففي اثناء ولايته قضاءها ايام النبي عليه السلام. في حين كان العراق ايام خلافته متنقلاً بين البصرة والكوفة واخيراً سوريا في اثناء حرب صفين. (٤)

سادساً: لقاءاته مع علماء الثقافات الاخرى ومناظراته معهم شكلت مصدراً للامام: ففي شرحه لخطبة الامام «ولا همამه نفس اضرب فيها» قال ابن ابي الحديد: «فيه رد على المجوس والثنوية القائلين بالهمامه، ولهم فيها خبط طويل يذكر اصحاب المقالات، وهذا يدل على صحة ما يقال: ان امير المؤمنين عليه السلام كان يعرف اراء المتقدمين والمتأخرين، ويعلم العلوم كلها، وليس ذلك ببعيد من

(١) محمد المهدي: حركة التاريخ عند الامام علي ص ٣٤.

(٢) اخرج ابن المغازلي: مناقب ص ٢٨٦ - ٧. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١ - ٤/٣. البلوي: الف باء ٢٢٢/١. النووي: تهذيب الاسماء ٣٤٦/١/١. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٦٠/٧.

(٣) محمد المهدي: حركة التاريخ ص ٣٤ - ٣٧.

(٤) محمد المهدي، حركة التاريخ ص ٣٧ - ٣٨.

فضائله ومناقبه عليه ^(١).

لقد اشار الامام علي عليه السلام إلى سنة من سنن التاريخ الالهية «سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً» ^(٢). فاشار عليه السلام ان الذنب لا يلزم من اقترفه فقط، بل يشمل من رضى به، ولذلك اذا نزل العذاب شمل الجميع كما حصل لقوم ثمود لما عقروا الناقة، فكان العاقر شخصاً واحداً، ولكنهم رضوا به لذا شملهم العذاب، يقول عليه السلام «ايها الناس؛ انما يجمع الله بالعذاب لما عموه بالرضا» ^(٣).

ومن اشاراته التاريخية الاجمالية، اشار إلى بعض الاقوام القديمة كالعمالقة ^(٤)، والفراعنة ^(٥)، واصحاب مدين ^(٦). وكان هدفه عليه السلام من اشاراته هذه العظة والعبرة بحالهم اذ يقول: «وان لكم في القرون السالفة لعبرة! اين العمالقة، وابناء العمالقة! اين الفراعنة، وابناء الفراعنة! اين اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين، واطفئوا سنن المرسلين، واحياوا سنن الجبارين! اين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا الالوف، وعسكروا العساكر، ومدنوا المدائن» ^(٧).

والمح عليه السلام في احدى خطبه لحياة العرب قبل الاسلام. كيف كانوا تحت تسلط الاكاسرة والقياصرة، حيث يبعدون العرب عن الارض ذات الخصب والزرع، فازاح الاكاسرة العرب عن بحر العراق (دجلة والفرات)، وطرد القياصرة عرب الشام عن مراعي ومنتجعات الشام، فالجؤهم إلى منابت الشيع - وهو من

(١) الشرح ٨٠/١.

(٢) سورة الاحزاب: الآية ٦٢.

(٣) الشرح ٢٦١/١٠ - ٢٦٤.

(٤) الشرح ٩٣/١ - ٩٤.

(٥) الشرح ٩٤/١٠.

(٦) الشرح ٩٤/١٠ - ٩٥.

(٧) الشرح ٩٢/١٠.

نباتات الصحراء - والى ضيق العيش وقلته، فكان ذلك له اثره في تركهم فقراء، ليس لهم الا الاعتماد على الجمل والضأن، مما جعلهم «اذل الامم داراً»، وفيه اشارة لعدم وجود معاقل وحصون منيعة فيها، «واجذبهم قراراً» لعدم الزرع والشجر والنخل بها. وعلل عليه السلام سبب فرقة العرب لعدم وجود دعوة دينية أو غيرها ينتمون اليها، ولا هناك «ظل الفه يعتمدون على عزها»، وهذا ادى إلى «الاحوال مضطربة، والايدي مختلفة، والكثرة متفرقة» وهذا ترك آثاراً سلبية كان من جملتها: «بلاء ازل، واطباق جهل، من بنات مؤودة، واصنام معبودة، وارجام مقطوعة، وغارات مشنونة»^(١).

واشار إلى معتقدات العرب قبل الاسلام حيث يقول: «واهل الارض يومئذ ملل متفرقة». فوضح ابن أبي الحديد^(٢) مراد الامام عليه السلام في شرحه لعقائد العرب قبل الاسلام حيث قسمهم إلى العرب المعطلة وغير المعطلة. فكان المعطلة يقسمون الى:

١ - من انكر الخالق والبعث والاعادة. وقالوا: ﴿ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر﴾^(٣)، حيث جعلوا الجامع لهم الطبع والمهلك الدهر.

٢ - من اعترف بالخالق وانكر البعث، وهم الذين قال عنه القرآن: ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾^(٤). وقال احدهم:

ايخبرنا ابن كبشه ان سنحيا
اذا ما الرأس مال بمنكبيه
وكيف حياة اصداء وهام
فقد شبع الانيس من الطعام

(١) الشرح ١٧١/١٣ - ١٧٧.

(٢) الشرح ١١٧/١ - ٢٠. وانظر: الشهرستاني: الملل ٢١٩/٣. الألويسي: بلوغ الارب ١٩٧/٢ - ٢٥٢.

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٤.

(٤) سورة يس: الآية ٧٨.

ايقتلني اذا ما كنت حياً ويحيني اذا رمت عظامي^(١)

٣- من اقر بالخالق ونوع من الاعداء، وانكروا الرسل، وعبدوا الاصنام، وزعموا انها شفعاء عند الله في الآخرة، وحجوا لها ونحروا الهدى، وقربوا القرابين، وحللوها وحرموها وهم جمهور العرب الذين قال عنهم القرآن: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق﴾^(٢)، وكانوا للاصنام ذوي اراء مختلفة فمنهم من يجعلها شريكة لله، فيقولون في التلبية: «اللهم ليك، لا شريك لك، الا شريكا هو لك، تملكه وما ملك». ومنهم من لا يطلق عليه لفظ الشريك، ويجعلها وسائل وذرائع إلى الله سبحانه، وهم الذين قالوا: ﴿وما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى﴾^(٣).

٤- المشبهة والمجسمة: ومنهم امية بن ابي الصلت الذي من شعره:

من فوق عرش جالس قد حط رجل

_____ إليه إلى كرسية المنصوب^(٤)

٥- ومنهم من يعتقد بالتناسخ، وتنقل الارواح في الاجساد، ومنهم ارباب

الهامة، والهامة شيء يخرج من القبر على شكل صوت، وقد انكره الرسول ﷺ

بقوله: «لا عدوى ولا هامة ولا صفر»^(٥). وهذا الاعتقاد بقي سارياً حتى العصر

الاموي^(٦).

(١) قالها شداد بن الاسود في رثاء قتلي معركة بدر. ابن هشام: السيرة ٢٩/٣. الشهرستاني: الملل ٢٢١/٣.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧.

(٣) سورة الزمر: الآية ٣.

(٤) الشرح ١١٩/١. وأنظر ديوان امية بن ابي الصلت ص ١٦٤.

(٥) اخرج ابن ماجه: صحيح ٢١١/١، ٢٧٠/٢. الطحاوي: شرح معاني الآثار ٢٠٧/٤ - ٨.

الشهرستاني: الملل والنحل ٢٢١/٣.

(٦) الشرح ١١٩/١. وأنظر ديوان توبة بن حمير ص ٤٨. السيوطي: شرح شواهد المغني ٦٤٤/٢.

٦- ومن العرب من مال إلى اليهودية كجماعة من التبابعة^(١)، وملوك اليمن. أو إلى النصرانية كبنى تغلب، والعبادين رهط عدي بن زيد، ونصارى نجران، ومنهم من مال للصابئة والقول بالنجوم.^(٢)

اما غير المعطلة فهم المتألهون اصحاب الورع والتحرج عن القبائح وهم عبدالمطلب وولديه عبدالله وابو طالب، وزيد بن عمرو بن نفيل^(٣)، وقس بن ساعدة الايادي وغيرهم.^(٤)

واشار عليه السلام إلى حي من احياء العرب عرف بالشجاعة وهم «بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة»^(٥). حيث تمنى عليه السلام ان يكون له الف فارس منهم بدلاً من كل هذه الالوف التي معه. ومن بني فراس كان حامي الضعن حياً وميتاً وهو ربيعة بن مكدم بن حرتان بن جذيمة بن علقمة بن فراس. حيث لم يحرم الحریم ميتاً غيره، فبعد ان اصيب نصب رمحاً واتكأ عليه، و اشار على الضعائن بالرواح، ومات، وتصور اعدائه انه حي فلم يهاجموا الضعائن حتى سلمت.^(٦)

والمح عليه السلام إلى بعض من سيرة الاشعث بن قيس، حيث اسر مرتين الاولى قبل الاسلام حيث اسره بنو الحارث بن كعب، وتم فداؤه بثلاثة الاف بعير. والثاني: اسر في الاسلام، وذلك لما ارتدت بنو وليعة، وهزموا امام زياد بن لبيد والي الخليفة ابوبكر (رض) فذهبوا مستنجدين بالاشعث فابى مساعدتهم الا ان يملكوه عليهم، فملكوه عندها سار إلى زياد فانهزم امام زياد، وطلب الامان له ولعشرة من اصحابه، مقابل تسليم الحصن، فقبل زياد وارسله إلى الخليفة الذي

(١) لمزيد من التفاصيل عن التبابعة انظر: محسن مشكل الحجاج: دولة التبابعة ص ٩ وما بعدها.

(٢) الالوسي: بلوغ الارب ١٩٧/٢ - ٢٥٢.

(٣) احد الاحناف قبل الاسلام. انظر الشهرستاني: الملل والنحل ٢٣٥/٢٢٧/١٣.

(٤) الالوسي: بلوغ الارب ٢٢٣/٢ - ٢٢٤.

(٥) هم انجد العرب، والواحد يعدل بعشرة. ابن عبد ربة: العقد الفريد ١٣٦/١.

(٦) الشرح ٢٣٣/١، ٣٤١ - ٢. وانظر المبرد: الكامل ٨٩/٤. ابوالفرج: الاغانى ٦٦/١٦.

عفا عنه وزوجه اخته ام فروة، ولذلك عرف الاشعث بعرف النار وهو اسم للغادر عند قومه^(١). وقد قال الامام بحقه «ان امرؤ دل على قومه السيف، وساق اليهم الحتف، لحري ان يمقته الاقرب، ولا يأمنه الأبعد»^(٢).

(١) الشرح ٢٩٢/١-٧.

(٢) الشرح ٢٩١/١.

المبحث العاشر

الامام علي عليه السلام والغيبيات

الغيب لغة: ما غاب عنك^(١). والغيبيات هي الحوادث التي تقع في المستقبل. اما علم الغيب فهو العلم الذي يلم به انسان تنقشع من امام عينيه حجب القرون، وتنطوي المسافات فيقرأ المستقبل البعيد أو الحاضر المحجوب كما يقرأ في كتاب مفتوح، ويعي حوادثه كأنها بنت الساعة التي هو فيها.^(٢)

وقد جاء في كلام الامام عليه السلام اشارات مستقبلية تنبأ بها؛ اذ ان كلامه عليه السلام: «داخل في باب المعجزات المحمدية لاشتمالها على الاخبار الغيبية وخروجها عن وسع الطبيعة البشرية»^(٣).

ان معرفة الامور الغيبية امر غير مستحيل فبعض الانفس يمكن ان تختص بخاصية تدرك بها المغيبات، ولكن ليس كل المغيبات، لان القوة المتناهية لا تحيط بامور غير متناهية، وكل قوة في نفس حادثة فهي متناهية، اذن وجب ان يحمل كلام الامام عليه السلام في معرفته الغيب لاعلى انه يريد به العالمية، بل يعلم اموراً محدودة من المغيبات مما اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى تأهله لعلمه، وكذا

(١) الرازي: مختار الصحاح ص ٤٨٥. ابن منظور: لسان العرب ١٤٧/٢.

(٢) محمد المهدي شمس الدين: دراسات في نهج البلاغة ص ١٢.

(٣) الشرح ٤/١ - ٥.

الحال بالنسبة إلى الرسول ﷺ^(١).

ويقول ابن أبي الحديد: «انا لا ننكر ان يكون في نوع البشر اشخاص يخبرون عن الغيوب ولكن كل ذلك مستند إلى البارئ سبحانه باقداره وتمكينه، وتهيئة اسبابه، فان كان المخبر عن الغيوب ممن يدعي النبوة لم يجز ان يكون ذلك الا بأذن الله سبحانه وتمكينه وان يريد به تعالى استدلال المكلفين على صدق مدعي النبوة، لانه لو كان كاذباً لكان يجوز ان يمكن الله تعالى الجن من تعليمه ذلك اضلالاً للمكلفين وكذلك لا يجوز ان يمكن الله سبحانه الكاذب في ادعاء النبوة من الاخبار عن الغيب بطريق السحر، وتسخير الكواكب^(٢) والطلسمات^(٣) ولا بالزجر^(٤) ولا بالقيافة^(٥) ولا بغير ذلك من الطرق المذكورة لما فيه من استفساد البشر واغوائهم، واما اذا لم يكن المخبر عن الغيوب مدعياً للنبوة نظر في حاله، فاذا كان ذلك من الصالحين الاتقياء نسب ذلك إلى انه كرامة اظهرها الله تعالى على يده ابانة له وتمييزاً من غيره كما في حق علي^{عليه السلام} وان لم يكن كذلك امكن ان يكون ساحراً أو كاهناً او نحو ذلك، وبالجملة فصاحب هذه الخاصية افضل واشرف ممن لا تكون فيه، من حيث اختصاصه بها، فان كان للانسان منها مزية اخرى يختص بها توازيها، أو تزيد عليها، فترجع إلى التمييز والترجيح بينهما،

(١) الشرح ١٢/١٠ - ١.

(٢) أي ما عرف بعلم احكام النجوم وهو علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية من اوضاعها، على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد من احوال الجو والمعادن والنبات والحيوان. انظر طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة: ٣٣٧/١.

(٣) معنى الطلسم: عقد لا ينحل، وهو علم يبحث عن كيفية تمزيق القوى السماوية الفعالة بالقوى الارضية المنفعلة في ازمة مناسبة مع بخورات مناسبة قوية جالبة لروحانية ذلك الطلسم. طاش كبرى: مفتاح السعادة ٣٣٩/١ - ٤٠.

(٤) الزجر عكس الفأل ويراد منه طلب الهرب عن الامر وهو تشاؤم الانسان بشيء يراه أو يسمعه. خاصة في سفره أو اقدمه على امر. طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة: ٣٦٢/١ - ٣.

(٥) علم يبحث عن تتبع اثار الاقدام أو الاستدلال بهيئات اعضاء الانسان على صحة نسبه. طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة: ٣٥٢/١ - ٤.

والا فالمختص بهذه الخاصية ارجح واعظم من الخالي منها على جميع الاحوال^(١).

كان عليه السلام يخبر عن امتلاكه المعرفة بحوادث ومستقبل الايام اذ يقول: (فاسئلوني قبل ان تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة الا انبأتكم بناعقها، وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها، ومحط رحالها، ومن يقتل من اهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً، ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الامور وحوازب الخطوب لا طرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين)^(٢).

وقال ايضاً: (والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن اخاف ان تكفروا في برسول الله ﷺ ولذلك اضطر عليه السلام إلى ان يبلغه فقط إلى (الخاصة ممن يؤمن ذلك منه)^(٣) وكان عليه السلام يكيل العلم كيلا بلا ثمن، ولكنه لا يجد حملة لهذا العلم)^(٤).

قد اسند الامام عليه السلام غيبياته إلى الرسول ﷺ باعتباره المصدر الاصيل له، حيث بعد ان اشار إلى بعض الغيبات قام اليه احد اصحابه وقال: (لقد اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب!) وهنا ضحك الامام عليه السلام واوضح للسائل ما اشكل عليه، قائلاً: «ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم، وانما علم الغيب علم الساعة، وما عدده الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ان الله عنده علم الساعة...﴾^(٥)

(١) الشرح: ١٢/٥ - ١٣.

(٢) الشرح: ٤٤/٧. وانظر المفيد: الارشاد ص ١٧. الطوسي: آمالي الطوسي ط النجف ٥٨/١. الطبرسي: اعلام الوری ص ١٧٤.

(٣) الشرح: ١٠/١٠.

(٤) الشرح ١٣٤/٦. وانظر ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣٣٠.

(٥) سورة لقمان: الآية ٣٤. وتكملتها ﴿ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله علیم خبير﴾.

فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله، وما سوى ذلك فعلم علمه الله لئيبه فعلمنيه، ودعالي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي»^(١).

ولكن لماذا ضحك الامام عليه السلام من قول الرجل: لقد اوتيت علم الغيب؟ الا يعد هذا زهواً في النفس وعجباً بالحال؟

واقعا ان ذلك حدث للنبي صلى الله عليه وآله حينما دعا الله سبحانه وتعالى ان يسقيهم فكثر المطر في المدينة، فأخذ عليه السلام يشير على السحاب لينساب عن المدينة، فأخذ عليه السلام يضحك سرورا بنعمة الله سبحانه وتعالى عليه^(٢)، حيث ان السرور احيانا يؤدي إلى الضحك وذلك ليس بمذموم اذا خلا من التيه والعجب، وقد قال تعالى في صفة اوليائه ﴿فرحين بما اتاهم الله من فضله﴾^(٣) ^(٤).

وكان من جملة الامور الغيبية الخمسة التي اشار لها القرآن: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ افلا يتعارض هذا بما كان يعلمه النبي صلى الله عليه وآله من الله تعالى عن امور سيكسبها مستقبلاً كفتح مكة، واعلامه عليه السلام للامام بقتاله للناكثين والقاسطين والمارقين.

ان المراد بالآية بأنه لا تدري نفس جميع ما تكسبه في مستقبل زمانها، وذلك لا ينفي جواز ان يعلم الانسان بعض ما يكسبه في مستقبل زمانه^(٥).

لم يُعرف احد قال: «سلوني قبل ان تفقدوني» لا من الصحابة ولا غيرهم سوى الامام علي عليه السلام حتى ان احد الوعاظ قال ذلك على المنبر فتعرض للسخرية والاستهزاء^(٦). وقد اكد عليه السلام «فانا اعلم بطرق السماء مني بطرق الارض»

(١) الشرح ٢١٥/٨.

(٢) الشرح ٨٠/١٤ - ٨١. وانظر ابن هشام: السيرة ٣٠٠/١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٠.

(٤) الشرح ٢١٧/٨.

(٥) الشرح ٢١٧/٨ - ٢١٨.

(٦) الشرح ١٠٧/١٣ - ٩. وانظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٦٣/١٣ - ٦. الذهبي: تذكرة الحفاظ:

فيه اشارة إلى ما اختص به من العلم بمستقبل الامور لا سيما الملاحم والدول، وقد صدق هذا القول عنه ما تواتر من الاخبار الغيبية لا مرة ولا مائة مرة، حتى زال الشك والارتياب في انه اخبار عن علم وليس اتفاقاً.^(١)

ولكن قصور ادراك بعض الناس جعلهم يشكون بل ويكذبون الامام عليه السلام، وقد صار حوه بذلك مرارا، فكان عليه السلام يرد على تكذيبهم فقال: «لقد بلغني انكم تقولون: علي يكذب، قاتلكم الله تعالى، فعلى من اكذب! اعلى الله فانا اول من امن به، ام علي نبيه؟ فانا اول من صدق به». ثم قال عليه السلام: «كلا والله، لكنها لهجة غبتم عنها، ولم تكونوا من اهلها». ويحتمل ان الامام يقصد لهجة رسول الله صلى الله عليه وآله بتعليمه اياه، أو يقصد لهجته هو عليه السلام فيقول: «انها لهجة غبتم عن منافعها، واعدتم انفسكم ثمن مناصحتها». وقال ايضاً: «لا تتراموا بالابصار عندما تسمعونه مني، فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ان الذي انبأكم به عن النبي الامي صلى الله عليه وآله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع». ^(٢)

بل ان وجهات نظر سامعيه قد تناقضت بعد ما سمعوا كلامه فحينما قال: «لو كسرت لي وسادة لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم، وما من اية في كتاب الله انزلت في سهل أو جبل الا وانا عالم متى انزلت، وفيمن نزلت». فقال رجل: يا لله والدعوة الكاذبة! وقال اخر: اشهد انك انت رب العالمين. وقال قوم: لله ابوه ما افصحه كاذباً.^(٣)

وبعد ان اوضح عليه السلام مصدر معلوماته قال لهم: «ولتعلمن نبأه بعد حين»^(٤).

٧٥٥/٢. الدميري: حياة الحيوان ٣٦٨/٢.

(١) الشرح ١٠٦/١٣.

(٢) الشرح ١٢٣/٦.

(٣) الشرح ٩٨/٧.

(٤) الشرح ١٣٦/٦. وانظر المفيد: الارشاد ص ١٧.

(٥) سورة ص: الآية ٨٨.

وفيه اشارة إلى ان هذه الحقائق التي يخبر بها الامام لا يدرك حقائقها الناس في حياته وانما بعد وفاته. ^(١) قال ابن أبي الحديد «لقد امتحننا اخباره فوجدناه موافقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة... وكم له من الاخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى بما لو اردنا استقصائه، لكسرنا له كراريس كثيرة وكتب السير تشتمل عليها مشروحة». ^(٢)

اذن هذه النصوص صريحة بان علمه عليه السلام بالمغيبات مأخوذ من النبي صلى الله عليه وآله ولكن هل يمكن التصور انه صلى الله عليه وآله افضى للامام عليه السلام بتفاصيل كل الحوادث، فالظرف الزماني الذي جمع النبي بالامام لا يسع ذلك فالامام عليه السلام يقول: «فو الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة، وتظل مائة، الا انبأتكم...» ^(٣) ويقول: «فلأنا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض...» ^(٤) ويقول: «والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت...» ^(٥) فهذا علم واسع لا يسعه الظرف الزماني الذي قضاه الامام مع النبي صلى الله عليه وآله ولكن الامام يصرح بان علمه مستقى من النبي صلى الله عليه وآله فكيف التوفيق في ذلك؟

الظاهر انه صلى الله عليه وآله افضى للامام عليه السلام بكليات الامور، ثم كان نشاط القوة الخفية المودعة للامام فتكشف له ما محجوب من احشاء الزمان وثنايا المكان، لان الامام عليه السلام كان على درجة من الصفاء العقلي والطهارة الروحية والنقاء الوجداني وهذه القوى انشط في النفوذ إلى المغيب المحجوب، وكان صلى الله عليه وآله بعد ان اوضح للامام عليه السلام الكليات هداه للسبل التي تؤدي به إلى ارفع درجات الحالة

(١) الشرح ١٣٤/٦.

(٢) الشرح ٤٨/٧ - ٥٠.

(٣) الشرح ٤٤/٧.

(٤) الشرح ١٠١/١٣.

(٥) الشرح ١٠/١٠.

الروحية التي تتيح لقواه الخفية ان تعمل عملها الخارق فيعي بسببها تفصيل ما اجمله الرسول ﷺ^(١).

وفي تحليله للخطب التي يرد فيها ذكر الامور الغيبية (الملاحم) وجد ابن ابي الحديد ان هناك خطبا تجوز نسبتها للامام عليه السلام واخرى لا يجوز لذالم يوردها^(٢). ومن هذه الخطب والانبؤات^(٣):

اولاً: في خلافته عليه السلام

... لما طلب منه عليه السلام الناس البيعة بعد مقتل عثمان (رض) قال: «دعوني والتمسوا غيري، فانا مستقبلون امواله وجوهه والوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وان الافاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت». فكلامه هذا له باطن وغور عميق ومعناه الاخبار عن غيب يعلمه عليه السلام هو ويجهلونهم، وهو الانذار بحرب المسلمين بعضهم لبعض، واختلاف الكلمة وظهور الفتنة.^(٤)

... وخطب عليه السلام في الجمعة الثالثة من خلافته فقال: «وان محمداً... خلف فينا راية الحق... دليلها مكيث الكلام... فاذا انتم النتم له رقابكم، واشترتم اليه باصابعكم، جاءه الموت فذهب به...». هنا عليه السلام كنى عن نفسه، واعلمهم بانهم سيفارقهم، بعد اجتماعهم عليه وطاعتهم له، وهكذا وقع الامر فان اهل العراق لم يكونوا اشد اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل فيه، حيث عقد لابنه الحسن على عشرة الاف، ولابي ايوب الانصاري على عشرة الاف حتى اجتمع له مائة الف،

(١) محمد المهدي شمس الدين. دراسات في نهج البلاغة ص ١٣٨ - ١٤١.

(٢) الشرح ١٠/١٤.

(٣) لقد نقل الهاشمي اكثر ما جاء لدى ابن ابي الحديد في موضوع المغيبات. عند شرح الاول نهج البلاغة كتاب اسماء منهاج البراعة. انظر ٤/٣٤٠ - ٥٠، ٣٧٥ - ٨٠، ٨٢/٧، ٤، ١٧١، ٢ - ٢١٥ - ٤٤، ٢٩٨، ٩٣/٨، ٢٠٤، ٢١٠، ٣٤٦، ٦١، ١٦٥/٩، ١٨٣/١٠، ٣٤٧، ٧.

(٤) الشرح ٧/٣٣ - ٣٤.

واخرج مقدمته للشام فضربه ابن ملجم فانقضت تلك الجموع.^(١)
- وفي اثناء مراسلاته مع معاوية قبيل معركة صفين كتب الامام قائلاً: «كأنني
بجماعتك يدعونني جزعا من السيف إلى كتاب الله». وهذا اما ان يكون فراسة
نبوية صادقة وهذا عظيم، أو اخبار عن غيب مفصل وهو اعظم واعجب وعلى كلا
الامرین فهو غاية العجب.^(٢)
- وفد غالب بن صعصعة^(٣) على الامام عليه السلام ومعه ولده الفرزدق فقال له
الامام: يا ابا الاخطل^(٤) من هذا الغلام معك؟ قال: ابني وهو شاعر، قال: علمه
القرآن فهو خير له من الشعر.
فتحت قوله عليه السلام: (يا ابا الاخطل) قبل ان يعلم ان ذلك الغلام ولده وهو
شاعر، سر غامض، ويكاد يكون اخبارا عن غيب.^(٥)
- كان عليه السلام جالسا في مسجد الكوفة فاقبلت امرأة مختمرة لا تعرف، فقالت
للامام عليه السلام: يا من قتل الرجال، وسفك الدماء وايتهم الصبيان، وارمل النساء!
فقال عليه السلام: وانها لهي هذه السلققة^(٦) الجلعة^(٧) المجعة^(٨)، وانها لهي هذه شبيهة
الرجال والنساء! التي ما رأيت دما قط. فولت هاربة منكسة رأسها، فتبعها احدهم

(١) الشرح ٨٤/٧، ٩٣ - ٩٤.

(٢) الشرح ٨٣/١٥.

(٣) هو ابن صاحب المواقف المعروفة في مسألة وأد البنات. فكان ابوه صعصعة يشتري البنت من
ابيهما لذا قال الفرزدق:

وجدي الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوأد

ديوان الفرزدق ١/١٧٣.

(٤) الاخطل: هو الخفيف السريع، والمتفوه في القول. ابن منظور: لسان العرب ٢٢١/١٢ - ٢٢.

(٥) الشرح ٢١/١٠ - ٢٢. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٧٨/٢.

(٦) من السلق وهو شدة القول باللسان، قال تعالى: ﴿سَلَقُوكُمْ بِالسَّنَةِ حِدَادٍ﴾ سورة الاحزاب:

الآية ١٩. الرازي: مختار الصحاح ص ٣١٠. ابن منظور: لسان العرب ٢٥/١٢.

(٧) هي المرأة التي تترك الحياء وتتكلم بالقبيح. ابن منظور: لسان العرب ٤٠٢/٩.

(٨) هي المرأة المتكلمة بالفحش والقليلة الحياء. ابن منظور: لسان العرب ٢١٠/١٠.

فقال لها: لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل فادخلي منزلي حتى اهب لك واكسوك، فلما دخلت منزله امر جواريه بتفتيشها وكشفها ونزع ثيابها لينظر صدق قول الامام عليه السلام فبكت وسألته الا يكشفها، وقالت: انا والله كما قال لي، لي ركب النساء، وانثيان كأنتي الرجال، وما رأيت دما قط. فتركها ورجع للامام واخبره، فقال الامام عليه السلام: ان خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله اخبرني بالمتمردين علي من الرجال والنساء حتى تقوم الساعة. (١)

ثانياً: مصير اصحابه

كان للامام عليه السلام عدد من الاصحاب يفضي اليهم باسراهم وعلومه لذا كانوا السبيل لوصول بعض معارف الامام عليه السلام اليها، اولئك الصحابة كانوا موضع انتقام من الدولة الاموية التي استلمت مقاليد الحكم. لذلك كان الامام عليه السلام قد تنبأ بمصيرهم:

قال عليه السلام لعمر بن الحمق الخزاعي (٢): «انك لمقتول بعدي، وان رأسك لمنقول، وهو اول رأس ينقل في الاسلام، والويل لقاتلك! اما انك لا تنزل بقوم الا اسلموك برمتك، الا هذا الحي من بني عمرو بن عامر من الازد، فانهم لن يسلموك ولن يخذلوك، قال: فوالله ما مضت الا ايام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في بعض احياء العرب، خائفا مذعورا حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فاسلموه، فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام وهو اول رأس حمل من بلد إلى آخر في الاسلام». (٣)

(١) الشرح ٢/٢٨٨.

(٢) اسلم بعد الحديبية وهاجر إلى المدينة، وقد شهد حروب الامام علي عليه السلام. انظر ابن قتيبة:

المعارف ص ٢٩١. الطبري: تاريخ ٤/٣٢٦، ٣٧٢ - ٣٩٣، ٤، ٥، ١٧٩، ٢٣٦، ٢٥٨ - ٩.

٢٦٥. ابن حجر: الاصابة ٢/٥٣٢ - ٣. الكشي: رجال ص ٤٦ - ٨.

(٣) الشرح ٢/٢٨٩ - ٢٩٠. انظر ابن حبيب: المحبر ص ٤٩٠. البيهقي: المسحاسن والمساوي

- قال عليه السلام: لجويرية بن مسهر العبدى ^(١): «اما والذي نفسي بيده لتعتلن إلى العتل الزنيم، فليقطعن يدك ورجلك وليصلبنك تحت جذع كافر، قال: فوالله ما مضت الا ايام على ذلك حتى اخذ زياد بن ابيه جويرية، فقطع يده ورجله وصلبه». ^(٢)

- وقال لميثم التمار ^(٣): «انك تؤخذ بعدي وتصلب، فاذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفمك دما، حتى تخضب لحيتك، فاذا كان اليوم الثالث طعنت بحربة يقضى عليك فانتظر ذلك، والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو بن حريث ^(٤)، انك لعاشر عشرة انت اقصرهم خشبة واقربهم إلى المطهرة - يعني الارض - ولأرينك النخلة التي تصلب على جذعها».

وقد قبض على ميثم ايام ولاية عبيدالله بن زياد الكوفة، فلما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب دار عمرو بن حريث، فأخذ ميثم يحدثهم بفضائل آل البيت، فامر ابن زياد بألجامة، فكان اول مخلوق يلجم في الاسلام، فلما كان في اليوم الثاني فاضت منخراه وفمه دما، فلما كان في اليوم الثالث طعن بحربة فمات. ^(٥)

- وقبض زياد بن ابيه على رُشيد الهجري ^(٦) فقال له زياد: ما قال خليلك لك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبوتني. فقال زياد: اما والله لا كذبن حديثه.

ص ٣٦٦

(١) انظر ترجمته: الكشي: رجال ص ٩٨.

(٢) الشرح ٢٩٠/٢ - ٢٩١. وانظر ابن المفيد: الارشاد ص ١٢٠. الطبري: اعلام الورى ص ١٧٢.

(٣) هو ميثم التمار الاسدي، كان مولى لامرأة فاشتراها الامام علي عليه السلام واعتقه واصبح من اخلص اصحابه. انظر ابن حجر: الاصابة ٥٠٤/٣ - ٥.

(٤) عمرو بن حريث من اهل الكوفة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم. ابن حجر: الاصابة ٥٣١/٢.

(٥) الشرح ٢٩١/٢ - ٢٩٤. وانظر ابن المفيد: الارشاد ص ١٢٠ - ١٢١. الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٢ - ١٧٤.

(٦) رشيد بضم الراء، الكشي: رجال ص ٧١ - ٣.

ثم قال: ردوه لا نجد شيئاً اصلح مما قال لك صاحبك، انك لا تزال تبغي لنا سوءاً ان بقيت اقطعوا يديه ورجليه، ثم قال: اصلبوه خنقا في عنقه، ثم قطعوا لسانه.^(١) وكان مزرع^(٢)، احد اصحاب الامام عليه السلام يحدث في ايام معاوية؛ ليؤخذن رجل فليقتلن، وليصلبن بين شرفتين من شرف المسجد، فقبل له: انك لتحدث بالغيب. فقال: حدثني الثقة علي ابن ابي طالب - قال: فما اتت جمعة حتى اخذ مزرع وقتل وصلب بين شرفتين من شرف المسجد^(٣).

- كان مالك بن ضمرة الرؤاسي^(٤) يدعو: اللهم لا تجعلني اشقى الثلاثة، فيقال له: وما الثلاثة؟ فيقول: رجل يرمي من فوق طمار ورجل تقطع يداه ورجلاه ولسانه ويصلب، ورجل يموت على فراشه.

فكانت الناس تستهزأ به وتقول: هذا من اكاذيب ابي تراب، لانه كان من خواصه، وكان هانيء بن عروة قدرمي من قصر طمار^(٥) لوقوفه مع مسلم بن عقيل سفير الحسين عليه السلام إلى الكوفة ايام عبيدالله بن زياد، ورشيد الهجري قطع وصلب، اما مالك بن ضمرة فمات على فراشه^(٦).

(١) الشرح ٢/٢٩٤. وانظر ابن المفيد: الارشاد ص ٣٦. الطوسي: الامالي ١٦٧/١ - ١٦٨. الطبرسي: اعلام الوري ص ١٧٤.

(٢) هو مزرع بن عبدالله احد اصحاب الامام علي عليه السلام. المفيد الارشاد ص ١٢١ - ٢.

(٣) الشرح ٢/٢٩٤ - ٢٩٥. وانظر المفيد: الارشاد، ص ١٢١ - ١٢٢.

(٤) انظر ابن حجر: الاصابة ٣/٣٨٣ - ٤.

(٥) هو قصر بالكوفة. البغدادي: مرصد الاطلاع ٢/٩٨٢. والى ذلك يقول الشاعر في مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة الشيباني:

إلى هانيء في السوق وابن عقيل
واخر يهوي من طمار قتيل

إذا كنت لا تدريين ما لموت فانظري
إلى بطل قد هشم السيف وجهه

مقاتل ص ٧٢.

(٦) الشرح ٢/٢٩٥.

ثالثاً: الدولة الاموية

تنبأ الامام علي عليه السلام بقيام الدولة الاموية من بعده، حيث قال لاصحابه «اما انه سيظهر عليكم من بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه الا انه سيأمركم بسبي والبراءة مني، فاما السب فسبونني، فإنه لي زكاة ولكم نجاة، واما البراءة فلا تتبرؤا مني، فاني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الايمان والهجرة»^(١).

والامام هنا يقصد تولي معاوية للحكم، حيث كان موصوفاً بالثمة وكثرة الاكل، وكان بطيناً يقعد بطنه اذا جلس على فخذيته، وكان يحب كثرة الاكل، حتى قال فيه الشاعر:

وصاحب لي بطنه كالهوية

كان في احشائه معاوية^(٢)

هذا التنبؤ قد وقع، حيث لما تولي معاوية الحكم امر في جميع الاقاليم بسب الامام والبراءة منه، واستمر ذلك حتى خلافة عمر بن عبدالعزيز^(٣)، ولذلك مدحه الشريف الرضي:

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين

فتى من امية لبكيتك

غير اني اقول انك قد طببت

وان لم يسطب ولم يزل بيتك

(١) الشرح ٥٤/٤، ١٠٨. وانظر ابسو الفرج الاصفهاني: مقاتل الطالبين. ص ٤٤. الطبرسي: اعلام الوري ص ١٧٢.

(٢) الشرح ٥٤/٤ - ٥٥. الميداني: مجمع الامثال ٨٧/١.

(٣) الشرح ٥٦/٤ - ٦٣. وانظر كتاب سليم بن قيس ص ١٤٤ - ١٤٩.

انت نزهتنا عن السب والقذف

فلو امكن الجزاء جزيتك^(١)

واستمر خلفاء بني امية وولاتهم على هذا المنوال^(٢).

قال الاسكافي - احد معتزلة بغداد -: «ان معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله. فاختلفوا ما ارضاه، منهم عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير»^(٣).

- وتنبأ عليه السلام لوصول مروان بن الحكم إلى تولي الحكم اذ يقول عليه السلام: «يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه، وان له امره كلعقة الكلب انفه، وهو ابو الاكباش الاربعة. وستلقي الامة منه ومن ولده يوماً احمر»^(٤).

ان ما اشار إليه الامام عليه السلام قد وقع، فمروان وصل للحكم بعد ان بلغ الخامسة والستين، وقد فسر البعض - الاكباش الاربعة - باولاد عبدالملك الاربعة الذين تولوا الخلافة - الوليد، سليمان، يزيد، هشام - فيما يرى ابن أبي الحديد ان الاكباش الاربعة هو اولاد مروان لصلبه وهم عبدالملك، وعبدالعزيز، وبشر، ومحمد، حيث تولى عبدالملك الخلافة، واما عبدالعزيز فتولى مصر، فيما تولى بشر العراق، في حين تولى محمد اقليم الجزيرة^(٥).

- وتنبأ عليه السلام لعبدالملك بن مروان حيث جاء في احدي خطبه: «لكأني انظر إلى ضليل قد نعق بالشام، وفحص براياته في ضواحي كوفان، فاذا فغرت فاغرته،

(١) الشرح ٦٠/٤. لم اجده في الديوان المطبوع.

(٢) الشرح ٥٦/٤ - ٦٣.

(٣) الشرح ٦٣/٤.

(٤) الشرح ١٤٦/٦. وانظر: ابن سعد: الطبقات ٤٣/٥. الشريف الرضي: نهج البلاغة. ص ١٠٢.

الطبرسي: اعلام الوري ص ١٧٢.

(٥) الشرح ١٤٧/٦ - ١٤٨.

واشتدت شكيمته، وثقلت في الارض وطأته، وعضت الفتنة ابنائها بانبيائها، وماجت الحرب بامواجها، وبدا من الايام كلوحها، ومن الليالي كدوحها فاذا اينع زرعه، وقام على ينعه، وهدرت شقائقه، وبرقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعظلة، واقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم»^(١).

كلام الامام اعلاه كناية عن الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان (٦٤ - ٨٦هـ)، لان هذه الصفات والامارات فيه اتم منها في غيره - لانه قام في الشام حين دعا إلى نفسه، وهو معنى نعيه وفحصت راياته بالكوفة. تارة حين شخص بنفسه إلى العراق، وقتل مصعباً، وتارة لما استخلف الامراء على الكوفة كبشر من مروان اخيه وغيره حتى انتهى الامر إلى الحجاج وهو زمان اشتداد شكيمة عبدالملك وثقل وطأته، وحينئذ صعب الامر جداً، وتفاقت الفتن مع الخوارج وعبدالرحمن بن الاشعث، فلما كمل امر عبدالملك - وهو معنى «اينع زرعه» هلك، وعقدت رايات الفتن المعظلة من بعده، كالحروب التي دارت بين اولاده وبين بني المهلب، وزيد بن علي، وفتن الكوفة ايام يوسف بن عمرو وخالد القسري وعمر بن هبيرة وغيرهم، وما جرى من استئصال الاموال والانفس.^(٢)

ونفى ابن أبي الحديد ان يكون قصد الامام اعلاه هو معاوية لان الاخير كان في ايام الامام نعق بالشام، ودعاهم لنفسه، والكلام يدل على انسان ينعق فيما بعد، حيث يقول عليه السلام: «كأني انظر إلى ضليل قد نعق بالشام»^(٣).

واكد ابن أبي الحديد ذلك بكلام اخر للامام اشار به إلى عبدالملك اذ قال عليه السلام: «كأني به قد نعق بالشام، وفحص براياته في ضواحي كوفان، فعطف عليهما عطف الضروس وفرش الأرض بالرووس، قد فغرت فاغرته، وثقلت في

(١) الشرح ٩٨/٧.

(٢) الشرح ٩٩/٧.

(٣) الشرح ١٠٠/٧.

الارض وطأته، بعيد الجولة، عظيم الصولة والله ليشردنكم في اطراف الارض حتى لا يبقي منكم الا قليل كالكحل في العين، فلا تزالون كذلك حتى تؤوب إلى العرب عواذب احلامها»^(١).

وهذا اخبار عن عبدالملك بن مروان وظهوره بالشام، ومملكه بعد ذلك العراق، وما قتل من العرب فيها ايام عبدالرحمن بن الاشعث ومصعب بن الزبير^(٢).
- ودل كلامه «اما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال، يأكل خضرتكم ويذيب شحمتكم، اية ابا وذحة». على الحجاج فهو غلام ثقيف، وكان عليه السلام يعلم من حال الحجاج ونجاسته بالمعاصي والذنوب، التي لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشاة، لذا كناه «ابا وذحة»، وهذه الكنية اما لدمايته في نفسه، وحقارة منظره، وتشويه خلقته، حيث كان قصيراً ذميماً نحيفاً، اخفش العينين معوج الساقين، قصير الساعدين، مجدور الوجه، اصلع الرأس، فكناه الامام عليه السلام باحقر الاشياء وهو البعرة^(٣).

- وحينما كان الامام عليه السلام يخطب بذكر بعض الملاحم، قال له اعشى همدان^(٤) «يا امير المؤمنين، ما اشبه هذا الحديث بحديث خرافة»^(٥) فقال عليه السلام: «ان كنت اثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجال فقالوا: ومن غلام ثقيف يا امير المؤمنين؟ قال: غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك لله حرمة الا انتهكها يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا: كم يملك يا امير المؤمنين؟

(١) الشرح ٤٦/٩ - ٤٧.

(٢) الشرح ٤٧/٩، ٨٩.

(٣) الشرح ٢٧٧/٧ - ٢٨٠ - ٢٨١.

(٤) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث، يكنى ابا المصباح، شاعر من اهل الكوفة في العصر الاموي، خرج مع ابن الاشعث فوق اسيراً بيد الحجاج وقتله صبوا، ابوالفرج: الاغانى ٤١/٦ - ٧١.

(٥) هو رجل من عذرة استهوته الجن، ولما رجع اخذ يكلم عنهم فكذب وسمي حديثه حديث خرافة: الميداني: مجمع الامثال ١٩٥/١.

قال: عشرين ان بلغها، قالوا: يقتل قتلاً ام يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف انفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه». وفعلاً فقد اسر اعشى همدان بعد خروجه مع عبدالرحمن بن الاشعث، وامر به الحجاج فقتل^(١).

- وتنبأ عليه السلام لما قام به عبدالله بن الزبير في الحجاز بعد مقتل الامام الحسين عليه السلام فقال: «حُبُّ صُبِّ، يروم امرأً، ولا يدركه، ينصب حباله الدين لا صطياد الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش»^(٢).

- و اشار عليه السلام إلى الوالي الاموي - يوسف بن عمرو الثقفي بقوله: «... يا تيكم صاحب اليمن، حتى يحل بين اظهركم، فيأخذ العمال وعمال العمال، رجل يقال له يوسف بن عمرو، ويقوم عند ذلك رجل منا اهل البيت فانصروه فإنه داع إلى الحق». وقيل ان قصد الامام هذا هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام^(٣).

- وصف عليه السلام الولاة الامويين: «اثرُوا عاجلاً، واخروا اجلاً وتركوا صافياً، وشربوا اجناً، كأنني انظر إلى فاسقهم، وقد صحب المنكر فألفه، وبسى به وواقفه، حتى شابت عليه مفارقه، وصبغت به خلائقه، ثم اقبل مزبداً كالتيار لا يبالي ما غرق أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق»^(٤).

(١) الشرح ٢/٢٨٩. ابن حبيب: اسماء المقتالين ٧/٢٦٥ - ٧ وذكرها ابو الفرج مع الاشعث: مقاتل الطالبين ص ٢٠.

(٢) الشرح ٧/٤٨.

(٣) الشرح ٢/٣٠٦. روي الاصفهاني ان الامام علي عليه السلام قال: يخرج بظهر الكوفة رجل يقال له زيد في ابهة (والابهة الملك) لا يسبقه الاولون ولا يدركه الاخرون الا من عمل بعمل عمله، يخرج يوم القيامة هو واصحابه معهم الطوامير أو شبه الطوامير حتى يتخطوا اعناق الخلائق فتلقاهم الملائكة فيقولون هؤلاء خلف الخلف ودعاة الحق، وستقبلهم رسول الله ﷺ فيقول: يا بني قد عملتم ما امرتم به فادخلوا الجنة بغير حساب. مقاتل ص ٨٨ وانظر صاحب بن عباد: عنوان المعارف ص ٥٠.

(٤) الشرح ٩/٨٨.

ثالثاً: كربلاء

كانت كربلاء قد شغلت آل البيت كثيراً لانه رغم تعدد الفجائع التي حلت بأل البيت النبوي، لم يشهدوا فاجعة كفاجنة كربلاء، اذ تعرض بيت زعيم الدولة الاسلامية للسي في دولته، وكأنهم في ذلك يجازون النبي مقابل تبليغة للدعوة ﴿قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى﴾^(١) ومثلما تنبأ النبي صلى الله عليه وآله بأحداث كربلاء^(٢)، نجد الامام علياً عليه السلام تشغله تلك الفاجعة فيذكرها بمزيد من الالام.

فلما توجه إلى صفين وقف عليه السلام في موضع كربلاء وقال: ذات كرب وبلاء. وأوماً بيده إلى مكان، فقال: ها هنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، ثم اوماً إلى مكان اخر، فقال: ها هنا مراق دمائهم. فسأله رجل: وما ذاك يا امير المؤمنين؟ قال: ثقل لال محمد ينزل ها هنا، فويل لهم منكم، وويل لكم منهم، فقال الرجل: ما معنى ذلك يا امير المؤمنين؟ قال: ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار^(٣).

لما نزل الامام كربلاء اخذ من ترابها فشمها ثم قال: واهأ لك يا ثرى! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، فسمعه هرثمة بن سليم، فلما كان ايام ابن زياد كان ضمن الجيش الخارج لحرب الحسين عليه السلام، فلما وصل كربلاء عرف المكان وتذكر قول الامام عليه السلام فترك الجيش وانسحب^(٤).

وفهم ابن أبي الحديد من قول الامام عليه السلام «فالارض لكم شاغرة وايديكم

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣. وانظر تفسيرها القرطبي: الجامع ٢١/١٦ - ٢٣.

(٢) انظر في ذلك المحب الطبري: ذخائر العقبى ص ١٥٦ - ١٥٨. وانظر الحاكم المستدرک ١٩٤/٣، ١٩٦. المتقي الهندي: كنز العمال ١٠٨/١٣، ١١١ - ١١٤.

(٣) الشرح ١٧٠/٣ - ١٧٠/٧. وانظر: المنقري: صفين ٢٤١ - ٢٤٢. المسفيد: الارشاد ص ١٢٣. ابن طاووس: الملاحم والفتن ص ٩٢ - ٩٣. المحمودي: نهج السعادة ١٣١/١ - ١٣٢.

(٤) الشرح ١٦٩/٣ - ١٧٠. المنقري: صفين ص ١٤٠ - ١٤١. المسفيد: الارشاد ص ١٢٣.

فيها مبسوطة وايدي القادة عنكم مكفوفة، وسيوفكم عليهم مسلطة، وسيوفهم عنكم مقبوضة» بأنه عليه السلام يرمز إلى ما سيقع من قتل الحسين عليه السلام واهله، وكأنه يشاهد ذلك عياناً، ويخطب عليه ويتكلم على خاطر الذي سنع له، والامر الذي كان اخبر به ^(١).

قال عليه السلام للبراء بن عازب ^(٢): يا براء: أيقتل الحسين وانت حي فلا تنصره! فقال البراء لا كان ذلك يا امير المؤمنين. فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك: ويقول: اعظم بها حسرة! اذ لم اشهده واقتل دونه ^(٣).

وخطب عليه السلام قائلاً: «سلوني قبل ان تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مئة أو تهدي مائة الا انبأتكم بناعقها وسائقها، ولو شئت لا خبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله، وجميع شأنه». فقام إليه - تميم بن اسامة بن زهير بن دريد التميمي - فقال: فكم في رأسي طاقة شعر؟ فقال عليه السلام: اما والله اني لا علم ذلك، ولكن اين برهانه لو اخبرتك به؟ ولقد اخبرت بقيامك ومقالك، وقيل لي: ان على كل شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك وشيطان يستفزك وآية ذلك ان في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ويحضر على قتله.

ان ما اخبر به الامام عليه السلام قد وقع حيث كان وقتها لتميم ولد يدعى - حصين ^(٤) - طفلاً يرضع اللبن، واصبح فيما بعد صاحب شرطة عبيدالله بن زياد فارسله الاخير إلى عمر بن سعد يأمره بمحاربة الحسين عليه السلام فقتل الحسين عليه السلام

(١) الشرح ١١٧/٧، ١٢٠. وانظر النص في نهج البلاغة ص ١٥١.

(٢) هو من الانصار ويعد من الصحابة، غزاه مع الرسول صلى الله عليه وآله اربع عشرة غزوة، وفتح الري، وشهد الجمل وصفين والنهروان مع الامام علي عليه السلام ومات ايام مصعب بن الزبير. الكشي: رجال ص ٤٥ - ابن حجر: الاصابة ١٤٢/١ - ٣.

(٣) الشرح ١٥/١٠. وانظر المفيد: الارشاد ص ١٢٣. الاربلي: كشف الغمة ٢٨٢/١.

(٤) انظر الطبري: تاريخ ٣٧٢/٥، ٣٩٢، ٤٠٥، ٤٣٤، ٤٤٩ (متفرقة).

صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته^(١).

- ولما قال عليه السلام: «سلوني قبل ان تفقدوني» قال له انس النخعي: اخبرني ما

في رأسي ولحيتي من طاقة شعر، فقال عليه السلام: «والله لقد حدثني خليلي ان على كل طاقة شعر من رأسك ملكا يلعنك، وان كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك، وان في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله ﷺ ولقد كان ابنه سنان^(٢) يومها صغيرا وهو من اشترك في قتل الحسين عليه السلام^(٣).

- قال رجل للامام عليه السلام: «يا امير المؤمنين، اني مررت بوادي القرى^(٤)،

فوجدت خالد بن عرفطة^(٥) قد مات، فاستغفر له». فقال عليه السلام والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمار، فقام رجل وقال: يا امير المؤمنين: انا حبيب بن حمار، واني لك شيعة ومحب. فقال عليه السلام انت حبيب بن حمار؟ قال: نعم. فقال له ثانية: والله انك لحبيب بن حمار؟ فقال: أي والله. قال: ٧: اما والله انك لحاملها ولتحملنها، ولتدخلن بها من هذا الباب - و اشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة. قال الراوي: فوالله ما مت حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته، وحبيب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل^(٦).

(١) الشرح ١٤/١٠ - ١٥. وانظر: الطبرسي: اعلام الوري ص ١٧٤.

(٢) انظر: الطبرسي: تاريخ ٤٥/٥ - ٤٦٨/٤.

(٣) الشرح ٢٨٦/٢. وانظر المفيد: الارشاد ص ١٢٣. الطبرسي: اعلام الوري ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٤) وادي القرى: بين المدينة والشام وهو من اعمال المدينة، الحموي: معجم البلدان ٣٣٨ - ٩، ٣٤٥/٥.

(٥) هو من بني عذرة وحالف بني زهرة، شارك في القادسية. الطبرسي، تاريخ ٤٨٩/٣، ٥٣٠ - ٢، ٥٣٧، ٥٦٥، ٥٧٨، ٦١٩، ٥٣٤/٤، ٢٦٨/٥، ١٩/٦، ٨٤/٧. الحاكم: المستدرک ٣١٦/٣.

ابن حجر: الاصابة ٤١٠/٦١.

(٦) الشرح ٢٨٦/٢ - ٧. وانظر المفيد ص ١٢٢ - ١٢٣. الطبرسي: اعلام الوري ص ١٧٥. ابن طاووس: الملاحم ص ٩٢. ابن حجر: الاصابة ٤١٠/١ وذكر الاصفهاني على انها راية معاوية لما دخل الكوفة. مقاتل الطالبين ص ٤٦ - ٤٧.

رابعاً: الخوارج

حفل كلام الامام الوارد في نهج البلاغة بالاشارات لمستقبل الخوارج منذ عصره عليه السلام إلى العصر العباسي.

- في لقاءه عليه السلام بالخوارج يوم النهروان، قال له اصحابه: ان القوم قد عبروا جسر النهروان فقال: مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة^(١).

هذا الخبر من الاخبار التي تكاد تكون متواترة بالاشتهار ونقل الناس كافة له، لذا اصبح من معجزات الامام عليه السلام، واخباره المفصلة عن الغيوب، والاخبار تنقسم إلى قسمين، فهناك الاخبار المجملة التي لا اعجاز فيها كما يفعل الملوك والامراء عادة حيث يعدون اصحابهم بالنصر، فلا يدل وقوع ذلك على اخبار عن غيب يتضمن اعجازاً، اما الاخبار المفصلة عن الغيوب مثل هذا الخبر، فانه لا يحتمل التلبيس لتقيده بالعدد المعين في اصحابه وفي الخوارج، وقد وقع الامر بعد المعركة كما اخبر به عليه السلام من غير زيادة أو نقص «وذلك امر الهي عرفه من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة الله سبحانه وتعالى والقوة البشرية تقصر عن ادراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره»^(٢).

- بعد معركة النهروان امر اصحابه بالبحث عن جثة -المخدج ذي الشدية فلم يجده اصحابه، فقال: «ما كذبت ولا كذبت» وهذه اشارة لما اخبره الرسول صلى الله عليه وآله: «انك مقاتلهم، وقاتلهم، وان المخدج ذا الشدية منهم، وانك ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين فلما استبطأ الامام عليه السلام وجود المخدج مع القتلى، واشفق من دخول شبهه على اصحابه لما كان اخبرهم بقتله قال: «ما كذبت ولا كذبت» أي

(١) الشرح ٣/٥. وانظر: المفيد: الارشاد ص ١١٨ - ١١٩. الشريف الرضي: نهج البلاغة. ص ٩٣.

الخوارزمي: المناقب ص ١٨٥.

(٢) الشرح ٣/٥ - ٤٨/٧.

ما كذبت على رسول الله ﷺ. ولا كذبتني رسول الله ﷺ (١).

- وقال عليه السلام للخوارج: «اما انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيقا قاطعا، واثره يتخذها الظالمون فيكم سنة». ان هذا الاخبار عن مستقبل الخوارج قد وقع، حيث سلط الله عليهم بعد الامام الذل الشامل، والسيف القاطع، والاثره من السلطان، وما زال حالهم يضمحل، حتى فني اكثرهم بسيف المهلب وبنيه (٢). ولما قال اصحاب الامام بعد النهروان «هلك القوم باجمعهم» فقال عليه السلام: «كلا والله، انهم نطف في اصلاب الرجال، وقرارات النساء وكلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون اخرهم لصوصاً سلابين» (٣).

وهذا اخبار صحيح فان الخوارج لم يهلكوا جميعهم في النهروان، وان دعوتهم سيدعو بها قوم لم يخلقوا ايام الامام، وتحققت ايضاً نبوءة الامام بأن اخرهم لصوصاً سلابين، فان دعوتهم اضمحلت، وفني رجالهم، حتى انقضى الامر بهم إلى ان صاروا قطاعا للطرق متظاهرين بالفساد والفسوق مثل الوليد بن طريف الشيباني. ايام الرشيد (٤)، وابن عمرو والخثعمي (٥) ايام المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧) الذي ذمه البحتري (٦) في احدي قصائده (٧).

قال ابن أبي الحديد: «ومن المشهورين برأي الخوارج الذين تم بهم صدق قول امير المؤمنين عليه السلام: (انهم نطف في اصلاب الرجال، وقرارات النساء): عكرمة

(١) الشرح ١٣٠/٦. وانظر: الطبرسي: اعلام الوري ص ١٧٠.

(٢) الشرح ١٣٢/٤. ولمزيد من التفاصيل الشرح ١٣٢/٤ - ٢٧٨، ٨٠/٥ - ١٢٩. وانظر المبرد: الكامل ٤٠٣/٣ - ٤١٤، الطبري التاريخ ١١٩/٦ - ١٢٧، ١٧٤، ١٩٥ - ١٩٩، ٢١١ - ٢١٥، ٢١٦ - ٢٥٦، ٢٥٧ - ٢٨٤، ٣٠٠ - ٣١١.

(٣) الشرح ١٤/٥. وانظر المحمودي: نهج السعادة ٣١٦/٢.

(٤) الشرح ٧٣/٥ - ٤. وانظر: الطبري: تاريخ ٢٥٦/٨. ابن خلكان: وفيات ٣١/٦ - ٣٤.

(٥) الشرح ٧٤/٥ - ٧٦.

(٦) ديوان البحتري ١٣٧٣/٢.

(٧) الشرح ٧٤/٥ - ٧٦.

مولي ابن عباس^(١)... والمنذر بن الجارود العبدي^(٢) ومنهم يزيد بن ابي مسلم^(٣)
 مولي الحجاج... ومنهم صالح بن عبدالرحمن^(٤). صاحب ديوان العراق. ومن
 ينسب إلى هذا الرأي من السلف جابر بن زيد^(٥) وعمرو بن دينار^(٦) ومجاهد^(٧)...
 وابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي^(٨)، يقال: انه كان يرى رأي الصفرية^(٩)، ومنهم
 اليمان بن رباب^(١٠)، وكان على رأي البهسية^(١١)، وعبدالله بن يزيد^(١٢)، ومحمد بن
 حرب^(١٣) ويحيى بن كامل^(١٤)، وهؤلاء اباضية^(١٥). وقد نسب إلى هذا المذهب ايضاً

(١) ذكر الشهرستاني انه من الخوارج. الملل ٢٨٥/١.

(٢) الشهرستاني: الملل ٢١٨/١. الطوسي: الفهرست ص ٧٠. الكشي: رجاله ص ١٩٩.

(٣) هو مولي الحجاج وتولى خراج الكوفة والبصرة ايام الوليد بن عبدالملك سنة ٩٥ حتى عزله

سليمان سنة ٩٦ وقتل في افرقيبا سنة ١٠٤. الطبري: ٣٧٤/٦. ٤٣٣. ٥٠٦. ٥١٢.

(٤) ولاء سليمان بن عبدالملك سنة ٩٦. على خراج العراق: الطبري ٥٠٦. ٥٠٨. ٥٢٢. ٣.

٥٢٥.

(٥) الطبري: المنتخب ص ٦٤٦. ٦٧٩. الطوسي: الفهرست ص ٧٠. ابو نعيم: حلية الاولياء ٨٥/٣.

٩١. الذهبي: تذكرة الحفاظ ٧٢/١.

(٦) هو راو وفتية ومن خرج على الحجاج مع ابن الاشعث. الطبري: تاريخ ١١٥/١. ٢٢٥. ٣٤٤.

٣٦٦. ٢١٩/٢. ٣٨٤. ٣٨٩. ٣٠. ٣٢. ٢٤٠. ٤. ٣٩. ٥. ٣٤٥. ٦. ٤٨٨.

(٧) هو مجاهد بن جبر من الرواة في الفقه والتفسير. خرج على الحجاج مع ابن الاشعث، فحبسه

الحجاج حتى مات الحجاج. وشارك في غزوة القسطنطينية عام ٩٨ مع مسلمة. الطبري

٤٨٨/٦، ٥٣٠.

(٨) هو صاحب المؤلفات في اللغة والاختبار. ابن قتيبة: المعارف ص ٥٤٣. الاشعري: مقالات

الاسلاميين ١٨٤/١. ابن النديم: الفهرست ص ٧٩ - ٨٠. ابن خلكان: وفيات ٢٢٥/٥ - ٢٤٣.

(٩) هي احدي فرق الخوارج تنسب الى زياد بن الاصفر. الاشعري: مقالات الاسلاميين

١٦٩/١. الملطي: التنبيه والرد ص ٥٢، ١٧٨. الشهرستاني: الملل ١٨٣/١ - ٥.

(١٠) هو من زعماء الخوارج وله مؤلفات في ذلك اكثرها ردود على مخالفيين. انظر ابن النديم

الفهرست ص ٢٥٨. الشهرستاني: الملل ١٨٥/١.

(١١) نسبة إلى ابي بيهس الهيصم بن جابر الذي قتل ايام الوليد. الاشعري: مقالات الاسلاميين

١٧٧/١ - ١٨٢. الملطي: التنبيه ص ١٨٠. الشهرستاني: الملل ١٦٩/١ - ١٧٢.

(١٢) هو من الخوارج الاباضية، وله كتب في الرد على المعتزلة. ابن النديم: الفهرست ص ٢٥٨.

الشهرستاني: الملل ١٨٥/١.

(١٣) هو من متكلمي الخوارج وله مؤلفات. ابن النديم: الفهرست ص ٢٥٨. الشهرستاني: الملل

١٨٥/١.

(١٤) كان مرجئيا ثم اصبح خارجيا وله مؤلفات في الرد على المخالفيين. ابن النديم: الفهرست

من قبل ابو هارون العبيدي^(١٦)، وابو الشعثاء^(١٧)، واسماعيل بن سميع^(١٨) وهبيرة بن بريم^(١٩)... ونسب ابو العباس محمد بن يزيد المبرد^(٢٠)، إلى رأي الخوارج لاطنابه في كتابه المعروف بـالكامل - في ذكرهم وظهور الميل منه اليهم^(٢١)..

خامساً: زوال الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية

في اكثر من نص نجد الامام قد اشار إلى ان الدولة الاموية ستزول وتقوم مقامها الدولة العباسية، ومنها:

«ان لبني امية مرودا يجرون فيه، ولو قد اختلفوا فيما بينهم، ثم لو كادتهم الضباع لغلبتهم».

ان الاخبار اعلاه هو عن غيب صريح، فالامويون لم يزل ملكهم منتظما حينما لم يكن هناك اختلاف بينهم، بل حروبهم مع غيرهم كحرب معاوية للامام في صفين، وحرب يزيد لاهل المدينة في موقعة (الحرّة)، وعبدالله بن الزبير في مكة، وحرب مروان بن الحكم للضحاك، وحرب عبد الملك بن مروان مع ابن الاشعث وابن الزبير، وحرب يزيد بن عبد الملك لبني المهلب، وحرب هشام بن عبد الملك لزيد بن علي، لكنه لما تولى الوليد بن يزيد وخرج عليه ابن عمه يزيد

ص ٢٥٨. الشهرستاني: الملل ١/١٨٥.

(١٥) نسبه إلى عبدالله بن اباض وهي احدى فرق الخوارج. الشهرستاني: الملل: ١/١٨٠ - ١٨٢، الملطي: التنبيه ص ٥٢، ١٧٨.

(١٦) الشهرستاني: الملل ١/١٨٥.

(١٧) هو جابر بن زيد. الطبري ٥/٢٢٤، ٢٣٧، ابو نعيم: حلية الاولياء ٣/٨٥ - ٩١. الشهرستاني: الملل ١/١٨٥.

(١٨) هو اسماعيل بن سميع. الطبري: تاريخ ٥/٧٣. الشهرستاني: الملل ١/١٨٥.

(١٩) ترجمناه ص ٢٥٣.

(٢٠) هو صاحب كتاب - الكامل في الادب - وقد تحدث كثيراً عن الخوارج لذا اعتمده ابن أبي الحديد كمصدر عن الخوارج. انظر الكامل ٣/١٦٤ - ٤١٤.

(٢١) الشرح ٥/٧٦ - ٧٧.

بن الوليد وقتله، اختلفت بنو امية فيما بينها وجاء الوعد، وصدق من وعد به، فانه منذ قتل الوليد دعت دعاة بني العباس بخراسان، واقبل مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة، فخلع ابراهيم بن الوليد، وقتل قوما من بني امية، وكان زوال ملكهم على يد ابي مسلم، وكان في بدايته اضعف خلق الله، واعظمهم فقرا ومسكنة، وفي ذلك تصديق قوله عليه السلام ثم لو كادتهم الضباع لغلبتهم^(١).

- وقال عليه السلام بذات المعنى: «فاقسم بالله يا بني امية عما قليل لتعرفنها في ايدي غيركم، وفي دار عدوكم». وقد وقع الامر بموجب ما اخبر به عليه السلام، فان الخلافة بقيت بايديهم تسعين سنة ثم عادت للهاشميين، وانتقم الله منهم بايدي اشد الناس عداوة لهم^(٢).

- و اشار ثالثة: فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا وادخله الظلمة ترحه. وادلجوا فيه نقمة، فيومئذ لا يبقى لهم في السماء عاذر ولا في الارض ناصر... فاقسم ثم اقسم لتنخمنها امية من بعدي كما تلفظ النخامة، ثم لا تذوقها ولا تتطعم بطعمها ابدا، ماكر الجديدان.

وهذا النص ايضا اخبار عن الدولة الاموية، وزوال امرهم بعد تفاقم احوالهم^(٣).

- وفي نص تنبأ الامام لزوال الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية اذ يقول: «الا وان اخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية فانها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها، وخصت بليتها، واصاب البلاء من ابصر فيها، واخطا البلاء من عمي عنها، وايم الله لتجدون بني امية لكم ارباب سوء بعدي كالناب الضروس، تعذب بفيها، وتخبط بيدها، وتزين برجلها، وتمنع درها، ولا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم

(١) الشرح ١٨٢/٢٠ - ١٨٣.

(٢) ١١٧/٧، ١٢٠ - ١٢١. وانظر المحمودي: نهج السعادة ١/٢٢٢ - ٣.

(٣) الشرح ٢١٨/٩.

الا نافعا لهم، أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار احدكم منهم الا مثل انتصار العبد من ربه، والصاحب من مستصحبه ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية، وقطعا جاهلية، ليس فيها منار هدى ولا علم يرى، نحن اهل البيت منها بنجاة، ولسنا فيها بدعاة، ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الاديم، بمن يسومهم خسفا، ويسوقهم عنفا، ويسقيهم بكأس مصبرة لا يعطيهم الا السيف، ولا يحلسهم الا الخوف، فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يروني مقاما واحدا، ولو قدر جزر جذور لأقبل منهم ما اطلب اليوم بعضه فلا يعطوني»^(١).

ان كلام الامام اعلاه اشارة إلى ان فتنة بني امية، سوف تعم الكل من حيث كانت رياسة شاملة لكل احد، وحظ اهل البيت وشيعتهم من بلاءها اعظم، والذين لا يزالون. بالناس قتلا حتى لا يتركوا الامن ينفعهم ابقاءه، أو لا يضرهم تركه، حتى يكون انتصار الناس منهم كانتصار العبد من مولاه، هذا يعني انهم لا ينتصرون منهم لان العبد لا ينتصر من مولاه ابدا. ولا يزال الامر كذلك حتى يفرج عنكم بمن يسومهم خسفا ويوليهم ذلا، وهذا الكلام اختبار عن ظهور المسودة ورايات بني العباس، وانقراض الدولة الاموية، وقد وقع الامر كما اخبر عليه السلام وصدق في قوله «لقد تود قريش...» حيث ان الخليفة الاموي الاخير مروان بن محمد قال يوم الزاب لما شاهد عبد الله بن علي بازائه في صف خراسان: لوددت ان علي بن ابي طالب تحت هذه الراية بدلا من هذا الفتى^(٢).

- وبعد ان اشار عليه السلام إلى «ضليل قد نعق بالشام» وهو اشارة إلى عبد الملك بن مروان قال: «وعن قليل تلتف القرون بالقرون، ويحصد القائم، ويحطم المحصود». وهو كناية عن ظهور الدولة العباسية، وقوله عليه السلام «يحصد القائم ويحطم المحصود» كناية عن قتل الامراء الامويون في الحرب، وقتل المأسورين

(١) الشرح ٤٥/٧.

(٢) الشرح ٥٣/٧-٥٧.

صبرا، فحصد القائم هو قتل المحاربة، وحطم الحصيد هو القتل صبرا، وهكذا وقعت الحال مع عبدالله بن علي والسفاح^(١).

سادساً: الدولة العباسية:

- ويرى بعض المعتزلة ان قوله **علي** «لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها» في هذا اشارة إلى خلافة ابي العباس السفاح وابي جعفر المنصور، حيث ازلوا الدولة الاموية، وبهم عطفت الدنيا على بني عبدالمطلب عطف الضروس^(٢).

- اخبر **علي** عبدالله بن عباس بانتقال الامر لاولاده، حيث لما ولد لعبدالله ولد حنكه الامام بتمررة قد لاكها ثم دفعه لاييه قائلاً: «خذ اليك ابا الاملاك»^(٣).
- اشار **علي** إلى مقتل محمد ذي النفس الزكية في «انه يقتل عند احجار الزيت»^(٤). وقوله عن اخيه ابراهيم قتيل باخمري^(٥) «يقتل بعد ان يظهر، ويقهر بعد ان يقهر» وقوله فيه ايضا «يأتيه سهم غرب يكون فيه منيته فيا بؤسا للرامي: شلت يده ووهن عضده»^(٦).

- وتنبأ للائمة من ولده في طبرستان^(٧) كالناصر^(٨) والداعي^(٩) وغيرهما

(١) الشرح ١٠١، ٩٨/٧.

(٢) الشرح ٢٩/١٩.

(٣) الشرح ٤٩/٧ - ٥٠. وانظر: مؤلف مجهول: اخبار العباس، ص ١٣٤.

(٤) احجار الزيت: موضع بالمدينة المنورة. الحموي: معجم البلدان ١٠٩/١.

(٥) باخمري: موضع بين الكوفة وواسط. الحموي: معجم البلدان ٣١٦/١.

(٦) الشرح ٤٨/٧. وانظر ٣٠٧/٣ - ٣١٢. الاصفهاني: مقاتل الطالبين ١٥٧ - ٢٥٦.

(٧) طبرستان: من اقاليم بلاد فارس فتحت مدنها منذ عهد الخليفة عثمان (رض). الحموي: معجم

البلدان ١٣/٤ - ١٦. الحميري: الروض ص ٣٨٣ - ٥.

(٨) الداعي: ناصر الحق الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن الحسين بن علي. ابن

النديم: الفهرست ص ٢٧٣ - ٤. الشهرستاني: الملل ٢١٨/١. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة

ص ١١٧.

بقوله: «وان لال محمد بالطالقان^(١) كنزا سيظهره الله اذا شاء، دعاؤه حق، يقوم بأذن الله فيدعوا إلى دين الله»^(٢).

- وأشار إلى قتلى - وج^(٣) - وقولهم فيهم «هم خير اهل الارض»^(٤).
- وتتبعنا عليه السلام لقيام الدولة الفاطمية^(٥)، وأشار ابن أبي الحديد ان الامام عليه السلام صرح بذكر قبيلة كتامة^(٦) التي كان لها الدور الاكبر في مناصرة الدولة الفاطمية - الا انه لم يشر إلى النص الذي ذكرها - وقوله عليه السلام في ابي عبدالله المهدي: «ثم يظهر صاحب القيروان الغض البض، ذو النسب المحض، المنتجب من سلالة ذي البداء، المسجى بالرداء». وقد كان عبيدالله المهدي ابيض مترقا مشربا بحمرة، وخص البدن، تار الاطراف، اما ذو البداء فهو اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام وهو

(٩) هو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسين بن الحسن بن الحسين بن علي انظر: الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص ٣٤٤. ابن النديم: الفهرست ص ٢٧٤. الشهرستاني: الملل ٢١٨/١. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة، ص ١١٧.

(١) الطالقان: بلدتان في خراسان. الحموي: معجم البلدان ٦/٤ - ٨. الحميري: الروض ص ٣٨٠ -

(٢) الشرح ٤٨/٧.

(٣) اسم يطلق على الطائف قديما، نسبة إلى وج بن عبد الحي من العمالقة، ولما احاطها قسي وهو ثقيف بطوف سميت الطائف. انظر: الهمداني: مختصر كتاب البلدان، ص ٢٢. الشريف الرضي: المسجرات النبوية ص ٦٣. الحموي: معجم البلدان ٩/٤، ٣٦١/٥. الحميري: الروض المعطار ص ١٧، ٣٧٩، ٦٠٨.

(٤) الشرح ٤٨/٧. لم يتسنى لي معرفة قصد الامام، ولم يوضح ابن أبي الحديد مراد الامام من قتلى - وج -، وقد ذكر ابو عدي عبدالله بن عمر بن عبدالله العبلي الاموي القرشي ت ١٤٥. وهو شاعر مخضرم في الدولتين الاموية والعباسية، ومن اهل المدينة، وكان في ايام الدولة الاموية يذمهم ويميل لبني هاشم ولما آل الامر إلى العباسيين اكرموا. وقد ذكر «وج» في شعره اذ يقول:

من يشر خير ما انفس

وقتلى بوج وباللاتين

ابو الفرج: الاغاني ٣٣٢/٤ - ٣. ولم يتضح لي المقصود بقتلى وج.
(٥) لمزيد من التفاصيل عنها، وانظر: المقرئزي، اتعاظ الخلفا بذكر الائمة الفاطميين الخلفا.

المقرئزي: الخطط ٣٤٨/١ - ٤٩٦. حسن ابراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية.

(٦) احدي القبائل المغربية، انظر موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية.

المسجى بالرداء، لان اباہ الصادق عليه السلام سجاه بردائه لما مات، وادخل إليه وجوه اصحابه ليعلموا موته وتزول الشبهة عليهم في امره^(١).

- وتتبع عليه السلام لبعض الحركات في العصر العباسي كحركة القرامطة بقوله: «ينحلون لنا الحب والهوى، ويضمرون لنا البغض والقلبي، واية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم احداثنا».

ان ما اخبر به عليه السلام قد وقع - لان القرامطة قتلت من ال بني طالب عددا كثيرا. ويذكر ان - ابا طاهر سليمان بن الحسن الجنابي^(٢) - مر بجيشه بارض الغري^(٣) والحائر^(٤)، ولم يزر ايا منهما ولا دخل ولا وقف. و اشار عليه السلام إلى ما يفعلونه بالحجر الاسود: «كأنني بالحجر الاسود منصوبا هاهنا، ويحهم ان فضيلته ليست في نفسه، بل في موضعه واسمه، يمكت هاهنا برهة - و اشار إلى البحرين - ثم يعود إلى مأواه، وام مثواه» وقد وقع الامر في الحجر الاسود حسبما اخبر به عليه السلام^(٥).

- وفي كلامه عليه السلام للاحنف بن قيس اشار لبعض ما سيجري في البصرة، ومنها اشارته إلى ظهور حركة^(٦) الزنج «يا احنف، كأنني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب، ولا قعقة لجم، ولا حمحة خيل، يشيرون الارض

(١) الشرح ٤٨/٧ - ٤٩.

(٢) هو احد زعماء القرامطة. انظر ترجمته: ابن خلكان: وفيات الاعيان ١٤٨/٢ - ١٥٠. ابن تغدي: النجوم الزاهرة ٢٢٥/٣.

(٣) هو القطعة من الجبل، والشيء الحسن، وسمي الموقع الذي فيه مرقد الامام علي عليه السلام. بالغري. الحموي: معجم البلدان ١٩٨/٤ - ٢٠٠.

(٤) هو الموضع الذي يتحير فيه الماء. وسمي مرقد الحسين عليه السلام بالحائر. الحموي: معجم البلدان ٢٠٨/٢ - ٩.

(٥) الشرح ١٣/١٠ - ١٤. وعن اخذهم الحجر الاسود ثم ارجاعه انظر: الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص ٢٦٣ - ٤، ٣٧١.

(٦) لمزيد من التفاصيل انظر الطبري: تاريخ ٤١٠/٩ - ٦٦١. ناجي: تاريخ الطبري مصدرا عن ثورة الزنج ص ٣٧ - ٩٢. التنظيم العسكري لجيش صاحب الزنج ص ١١٦ - ١٥٧. صاحب الزنج ص ١١ - ٢٣. فوزي: التاريخ الاسلامي ص ٣٢٢ - ٣٦٦.

بأقدامهم كانوا اقدم النعام» اشار الشريف الرضي: ان الامام يقصد بذلك حركة الزنج التي ظهرت في العصر العباسي (٢٥٥ - ٢٧٠)، وقد ترك ظهورها اثارا سلبية على مدينة البصرة حيث يقول الامام: «ويل لسككم العامرة، والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور! وخراطيم كخراطيم الفيلة؛ من اولئك الذين لا يندب قتيلهم، ولا يفقد غائبهم»^(١).

- وتنبأ عليه السلام بفتن تترك اثار سلبية على مدينة البصرة^(٢) اذ يقول: «فتن كقطع الليل المظلم، لا تقوم لها قائمة، ولا ترد لها راية، تأتيكم مزمومة مرحولة يحفزها قائدها، ويجندها راكبها، اهلها قوم شديد كلهم، قليل سلبهم، يجاهدكم في الله قوم اذلة على المتكبرين، في الارض مجهولون، وفي السماء معروفون فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من تقم الله! لا رهج له ولا حس، وسيبتلى اهلك بالموت الاحمر، والجوع الاغبر».

وقد اختلفت الآراء في طبيعة هذا الجيش، ورأى البعض ان الامام يقصد به حركة الزنج. ولكن ابن أبي الحديد لا يرى ذلك، لان جيش الزنج كان ذا حس ورهج خلاق ما وصفه الامام اعلاه، ولانه انذر البصرة بهذا الجيش عند حدوث تلك الفتن، حيث لم يكن قبل خروج صاحب الزنج فتن شديدة على الصفات التي ذكرها الامام عليه السلام^(٣).

- وتنبأ عليه السلام لظهور البويهيين بقوله: «يخرج من ديلمان بنو الصياد» حيث

(١) الشرح ١٢٥/٨. ابن طاووس: الملاحم ص ١٠١، ١٠٩. تجدر الاشارة إلى ان ابن أبي الحديد تحدث بالتفصيل عن حركة الزنج واقتبس ما جاء لدى الطبري ولكن يشار إلى انه حذف كثيرا مما جاء لدى الطبري ولم يأت بشي جديد ولم يبد أي تحليل للموضوع لذا فلا فائدة مما جاء به خاصة وان الطبري موجود لدينا. انظر: الشرح ١٢٦/٨ - ٢١٤. ناجي: تاريخ الطبري ص ٨١ - ٨٢.

(٢) انظر سنن ابي داود ١١٣/٤ - ٤.

(٣) الشرح ١٠٤/٧.

كان ابوهم صياد سمك وهي مهنته التي يتقوت منها، فأخرج الله من صلبه ثلاثة ملوك، وانتشرت ذريته ثم اشار علياً لزيادة امرهم «ثم يستشري امرهم حتى يملكوا الزوراء، ويخلعوا الخلفاء». فقال له قائل: فكم مدتهم يا امير المؤمنين؟ قال: مائة أو تزيد قليلاً. وقال علياً فيهم: «المترف ابن الاجدم، يقتله ابن عمه على رجله» وفي هذا اشارة إلى عز الدولة بختيار^(١) بن عز الدولة ابي الحسين، وكان معز الدولة اقطع اليد، قطعت يده للنكوص في الحرب، وكان ابنه عز الدولة بختيار مترفاً، صاحب لهو وشرب قتله - عضد الدولة فنا خسرو - ابن عمه بقصر الجص على دجلة في الحرب، وسلبه ملكه^(٢). واما خلعهم للخلفاء العباسيين، فقد خلع معز الدولة - الخليفة العباسي المستكفي ورتب بدله المطيع^(٣)، وبهاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة خلع الطائع ووضع مكانه القادر، اما مدة حكمهم فكان كما ذكر علياً بلغت مائة سنة وثلاثة عشر (٣٣٤ - ٤٤٧)^(٤).

- وقد تنبأ علياً لظهور التتار بقوله «كأني اراهم قوما كأن وجوههم المجان المطرقة، يلبسون السرق والديباج، ويعتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت اقل من المأسور»^(٥).

(١) عن بختيار انظر: ابن الاثير: الكامل ٥٧٥/٨ - ٦٣١، ٦٤٣، ٦٥١ - ٦٩١. الشعالي: يسمية

الذهر ٢٦٠/٢، ابو حيان: الامتاع والمؤانسة، ٧٨/٣، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٧.

(٢) انظر ذلك في ابن الاثير: الكامل ٦٩١/٨.

(٣) انظر ذلك في ابن الاثير: الكامل ٤٥٠/٨ - ٤٥١.

(٤) الشرح ٤٩/٧.

(٥) الشرح ٢١٥/٨. وانظر التفاصيل الشرح ٢١٨/٨ - ٢٤٣. وورد كذلك في سنن ابي داود

١١٢/٤، ابن طائوس: الملاحم ص ١٠٩. وتجد والاشارة ان ابن ابي الحديد اعتمد في ما جاء لديه عن التتار على ما جاء لدى ابن الاثير في الكامل في التاريخ وان كان ابن ابي الحديد قد اغفل الاشارة عنها في ذلك، وادعى انه لم يسبقه احد للكتابة عن التتار، وبعد المقارنة وجدنا ابن ابي الحديد ينقل مادته من ابن الاثير حتى سنة ٦٢٧هـ، اما ما جاء في الفترة (٦٢٧ - ٦٤٣) وهي قليلة جدا فلم يشر للمصادر ويمكن ان يكون هو مصدرها. قارن الكامل في التاريخ ٣٥٨/١٠ -

قال ابن أبي الحديد: «واعلم ان هذا الغيب الذي اخبر عليه عنه قد رأيناه نحن عيانا، ووقع في زماننا، وكان الناس ينتظرونه من اول الاسلام، حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا وهم التتار»^(١). وقد استنتج ابن أبي الحديد من كلام الامام «ويكون هناك استحرار قتل» بأن الامام اتى بالكاف، حيث اذا وقعت عقيب الاشارة افادت البعد، فنقول للقريب هنا، وللبعيد هناك كما هو في لغة العرب اذ لو كان لهم استحرار قتل في العراق فلا يقول: هناك، بل المفروض ان يقول: هنا لانه عليه السلام خطب خطبته هذه في البصرة وهي وبغداد ضمن بلد واحد وهو العراق. وعلق قائلا: «فليلمح هذا الموضوع فإنه لطيف»^(٢).

ان ابن أبي الحديد كان وقت احاطة المغول لبغداد يكتب شرح نهج البلاغة، وقد لاحظ ان جند بغداد قد حققوا بعض الانتصارات على المغول مما ادى لانسحاب المغول عن بغداد قبيل عام ٦٤٩ هـ وهي السنة التي انتهى بها من الشرح. وقد تناسى ابن أبي الحديد ان بغداد ايام الامام لم تكن موجودة، وانه لا يمكن استخدام ضمير الاشارة القريب لمكان يبعد حوالي (٦٠٠) كم عن البصرة.

وتتبع عليه السلام لغرق مدينة البصرة بقوله: «كأني انظر إلى قريبتكم هذه قد طبقتها الماء، حتى ما يرى منها الاشرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر»^(٣).

قال ابن أبي الحديد في شرحه: «اما اخباره عليه السلام بأن البصرة تغرق عدا المسجد الجامع بها، فقد رأيت من يذكر ان كتب الملاحم تدل على ان البصرة تهلك بالماء الاسود ينفجر من ارضها فتغرق ويبقى مسجدها. والصحيح ان المخبر به قد وقع، فأن البصرة غرقت مرتين، مرة في ايام القادر بالله، ومرة في ايام القائم

بامر الله غرقت باجمعها ولم يبقى منها الا مسجدھا الجامع بارزا بعضه كجؤجؤ الطائر، حسب ما اخبر به امير المؤمنين عليه السلام، جاءها الماء من (الخليج العربي).... ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام^(١)، وخربت دورھا، وغرق كل ما في ضمنھا، وهلك كثير من اهلھا واخبار هذين الغرقين معروفة عند اهل البصرة، يتناقلھا خلفهم من سلفهم»^(٢).

- وتبأ عليه السلام لظهور العناصر الاجنبية وكثرتها بعد بناء مدينة بغداد، وما يتبع ذلك من تطور في الجوانب العمرانية اذ يقول: «اذا كثرت فيكم الاخلاط، واستولت الانباط، دنا خراب العراق، ذلك اذا بنيت مدينة ذات اثل وانهار، فاذا غلت فيها الاسعار، وشيد فيها البنيان، وحكم فيها الفساق، واشتد البلاء، وتفاجر الغوغاء؛ دنا خسوف البيداء، وطاب الهرب والجلء، وستكون قبل الجلاء امور يشيب منها الصغير، ويعطب الكبير، ويخرس الفصيح، ويبهت اللبيب، يعاجلون بالسيف صلتا، وقد كانوا قبل ذلك في غضارة من عيشهم يمرحون، فيالھا مصيبة حينئذ! من البلاء العقيم، وبالبعاء الطويل، والويل والعويل، وشدة الصريخ، في ذلك امر الله - وهو كائن»^(٣).

- و اشار عليه السلام إلى ما يجري في مستقبل الزمان مما يكون سببا في عدم الامان: «ذلك عند تمرد الاشرار، وطاعة اولى الخسار ذاك اوان الحتف والدمار، ذاك ادبار امرکم، وانقطاع اصلکم، وتشتت الفتکم؛ وانما كان ذلك عند ظهور العصيان، وانتشار الفسوق، حيث يكون الضرب بالسيف اهون على المؤمنين من اكتساب درهم حلال؛ حين لا تنال المعيشة الا بمعصية الله في سمائه، حين تسكرون من غير شراب، وتحلفون من غير اضطرار، وتظلمون من غير منفعة

(١) هو جبل قريب من البصرة، الحموي: معجم البلدان ٣/٢٦٠.

(٢) الشرح ١/٢٥٣. وانظر، الخوئي: الدررة النجفية ص ٧١.

(٣) الشرح ٦/١٣٤-١٣٥.

وتكذبون من غير احراج. بالفسوق، وتبادرون بالمعصية، قولكم البهتان، وحديثكم الزور، واعمالكم الغرور، فعند ذلك لا تأمنون البيات، فياله من بيات ما اشد ظلمته! ومن صائح ما افضع صوته! ذلك بيان لا ينمي صاحبه، فعند ذلك تقتلون، وبانواع البلاء تضربون، وبالسيف تحصدون، والى النار تصيرون، ويعظكم البلاء كما يعرض الغارب القتب^(١). يا عجايب كل العجب، بين جمادى ورجب^(٢). من جمع اشبات، وحصد نبات، ومن اصوات بعدها اصوات... سبق القضاء... سبق القضاء»^(٣).

— و اشار انه سيأتي على الناس زمان تتقلب فيه الامور الدينية إلى اضدادها ونقائضها، وقد شهد ذلك ابن أبي الحديد في عصره اذ يقول عليه السلام «سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ فيه الاناء بما فيه»^(٤). وقال ايضا: «انه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس منه شيء اخفى من الحق. ولا اظهر من الباطل، ولا اكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند اهل ذلك الزمان سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته، ولا انفق منه اذا حرف عن مواضعه...» وقد وقعت هذه المواصفات على عصر ابن أبي الحديد وعصر من كان قبله بشهادته^(٥).

وقال عليه السلام ايضا: «يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر، ولا يضعف فيه الا المنصف، يعدون الصدقة فيه عزما، وصله الرحم منا، والعبادة استطالة على الناس، فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الاماء،

(١) الغارب: كاحل السعير. والقتب: رحل صغير على قدر السنام: ابن منظور / لسان العرب

١٣٦/٢

(٢) اول من قالها عاصم بن القشعر. حيث لما قتل الخسفي بن حشرم الشيباني اخو عاصم واسمه ابيده، في آخر يوم من ايام جمادى الاخرة، اراد عاصم ان يقتل الخسفي قبل هلال رجب فادركه وقتله وقال المثل الميداني: مجمع الامثال ٢٤/٢.

(٣) الشرح ١٣٥/٦

(٤) الشرح ١٠٠/٧ - ١١٣

(٥) الشرح ١٠٤/٩ - ١٠٥

وامارة الصبيان وتديبر الخصيان»^(١). - وتتبا^{عليه} لخروج جيش حتى اذا كان بالبيداء خسف به^(٢).

سابعاً: الامام المهدي

شغلت فكرة الامام المهدي^(٣) حيزاً في كلام الامام علي عليه السلام وهو عليه السلام وان لم يصرح به ولكن اشار له بالرمز، وقد وظف ابن أبي الحديد كلام الامام بما يطابق وجهه نظر الاعتزال واذا ما اشكل عليه يلجأ إلى التأويل أو طرح الاحتمالات. ومن النصوص الواردة في النهج بخصوص الامام المهدي:
- «وبنا تختم لا بكم»^(٤).

- «فيا بن حرة الاماء، متى تنتظر، ابشر بنصر قريب من رب رحيم الافويل للمتكبرين، عند حصاد الحاصدين وقتل الفاسقين، عصاة ذي العرش العظيم، فبابي وامي من عدة قليلة اسمائهم في الارض مجهولة. قد دنا حينئذ ضهورها»^(٥).
- «فانصروا اهل بيت نبيكم، فان لبدوا فالبدوا، وان استنصروكم فانصروهم، فليفرجن الله الفتنة برجل منا اهل البيت، بأبي ابن خيره الاماء، لا يعطيهم الا السيف، هرجا هرجا، موضوعا على عاتقه ثمانية اشهر، حتى تقول قريش: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا يغريه الله ببني امية حتى يجعلهم حطاما ورفاتا،

(١) الشرح ٢٦٠/١٨. وانظر الخوئي: الدررة النجفية ص ٣٦٢.

(٢) الشرح ٢٩٥/٢. وانظر: ابي داود: سنن ١٠٨/٤. ابن طاووس: الملاحم ص ٥٣.

(٣) عن فكرة المهدي: انظر ابي داود: سنن ١٠٦/٤ - ١٠٩. الطبرسي: اعلام الوري ص ٣٨٠ -

٤٧٨. سبط ابن الجوزي: تذكرة ٢٦٣ - ٥. ابن طاووس: الملاحم ص ١٢ - ١٥٠. الاربلي: كشف

الغمة ٢٣٣/٣ - ٢٦٣. ابن كثير: نهاية البداية والنهاية ٢٧/١ - ٤١. الهيثمي: الصواعق المحرقة

ص ١٦٠ - ١٦٧. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٣٣ - ١٤٨. الشبلنجي: نور الابصار ص ١٦٨ -

١٧٢.

(٤) الشرح ٢٨١/١.

(٥) الشرح ١٣٥/٦.

ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا، سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا^(١)»^(٢).

- وبعد ان اشار الامام عليه السلام إلى نفسه كناية قال: «فلبثتم بعده ما شاء الله، حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم شركم»^(٣).

- «يعطف الهوى على الهدى، اذا عطفوا الهدى على الهوى ويعطف الرأي على القرآن، اذا عطفوا القرآن على الرأي»^(٤).

- «يا قوم هذا ابان ورود كل موعود، ودنوا من طلعه ما لا تعرفون. الا وان من ادركها منا يسري فيها بسراج منير، ويحذر فيها على مثال الصالحين، ليحل فيها ريقا، ويعتق منها رقا، ويصدع. شعبا ويشعب صدعا، وفي ستره على الناس. لا يبصر القائف^(٥) اثره، ولو تابع نظره»^(٦).

- «قد لبس للحكمة جنتها، واخذها بجميع ادبها، من الاقبال عليها، والمعرفة بها، والتفرغ لها، فهي عند نفسه ضالته التي يطلبها، وحاجته التي يسأل عنها، فهو مغترب اذا اغترب الاسلام، وضرب بعسيب ذنبه، والصق الارض بجرانه، بقيه من يقايا حجته وخليفة من خلائف انبيائه»^(٧).

- «ان الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله امام الحق من آل محمد عليه السلام»^(٨).

(١) مأخوذة من قوله تعالى في سورة الاحزاب اية ٦٢.

(٢) الشرح ٥٨/٧. وانظر سليم ص ٢١١ - ٢١٢.

(٣) الشرح ٨٤/٧. وانظر سليم ص ٢١٢.

(٤) الشرح ٤/٩.

(٥) هو الذي يتبع الاثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل باخيه وابيه. ابن منظور: لسان العرب.

٢٠٢/١١

(٦) الشرح ١٢٦/٩.

(٧) الشرح ٩٥/١٠.

(٨) الشرح ٤٥/١٣. وانظر ابو الفرج: مقاتل الطالبين ٤٤.

«لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها»^(١).

«فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنيه، فيجتمعون الي كما يجتمع فرع

الخریف»^(٢).

من خلال النصوص السابقة يطرح ابن أبي الحديد وجهة نظر المعتزلة في فكرة المهدي، فهو من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام اسمه اسم الرسول صلى الله عليه وآله، ولكنه لم يخلق بعد - كما تقول الامامية^(٣) - وانما سيخلقه الله اخر الزمان^(٤). ومن صفاته انه من ولد الحسين عليه السلام وانه اجلى^(٥) الجبين، اقنى^(٦) الانف، ضخم البطن، ازيل^(٧) الفخذين، ابلج الثنايا بفخذه الايمن شامة^(٨)، اما امه فهي ام ولد حيث يقول عليه السلام «يا بن خيرة الاماء»^(٩).

ان الفترة السابقة لظهور المهدي تتميز بالفتن والاضطرابات كخروج دابة الارض، وفتنة الدجال، وظهور السفيناني^(١٠)، ولذا نجد الامام المهدي في بدء امره مستترا فترة من الزمن، وهذا ما يذهب إليه الامامية، ولكن ابن أبي الحديد يرى ان

(١) الشرح ٢٩/١٩. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار، ٨٠/١.

(٢) الشرح ١٠٤/١٩.

(٣) عن رؤية الامامية للمهدي انظر المفيد: الارشاد ص ٢٤٠ - ٢٥٤.

(٤) الشرح ٢٨١/١، ٢٨١/٧، ٩٤/٥٩، ٩٦/١٠، ٤٥/١٦، ٢٩/١٩، ١٠٥.

(٥) الاجلى: الخفيف الشعر والذي انجلى الشعر عن جبهته. ابن منظور: لسان العرب ١٦٤/٨ - ١٦٥.

(٦) هو ارتفاع في اعلى الانف، واحد يداب في وسطه وسبوغ في طرفه. ابن منظور: لسان العرب ٦٥/٢٠.

(٧) الازل: هو الخفيف الوركين، ابن منظور: لسان العرب ٣٢٨/١٣.

(٨) الشرح ٢٨١ - ٢. وانظر: ابن قسطينية: غريب الحديث ١١٧/٢. ابي دود: سنن ١٠٧/٢. ابن طاووس: الملاحم ص ١١٣. ابن منظور: لسان العرب ١٦٤/١٨. ابن كثير: نهاية البداية والنهاية ٣٩/١.

(٩) الشرح ٥٨/٧.

(١٠) الشرح ١٣٤/٦ - ٥، ١٢٨/٩. وانظر ابي داود: سنن ١١٥١٨/٤. وابن كثير: نهاية البداية والنهاية ٥٠/١ - ١٦٥، ١٩٠.

هذا الاستتار يتكون في اخر الزمان بعد ان يخلق اذ يقول: «ليس ذلك بنافع للامامية في مذهبهم، ان ظنوا انه تصريح بقولهم، وذلك لانه من الجائز ان يكون هذا الامام يخلقه الله تعالى في اخر الزمان، ويكون مستترا مدة وله دعاة يدعون اليه، ويقدررون امره ثم يظهر بعد ذلك الاستتار. ويملك الممالك: ويقهر الدول ويعهد الارض»^(١).

اكّد الامام علي عليه السلام ان المهدي لا يبصره القائف، ولا يعرف اثره حتى لو تابع النظر والتأمل^(٢).

وفي اشارته إلى ان المهدي سيقضي على الامويين يأتي التساؤل: وهل هناك وجود لبني امية اخر الزمان؟ هنا ابن أبي الحديد يطرح رؤيتين:

الاولى: رؤية الامامية: حيث يقولون بالرجعة^(٣)، ويرون انه سيعاد قوم باعيانهم إلى الدنيا من الامويين وغيرهم، اذا ظهر المهدي فيقطع ايدي وارجل البعض ويسمل عيون اخرين ويصلب وينتقم من اعداء آل البيت عليه السلام.

الثانية: رؤية الاعتزال: ان المهدي يظهر بعد ظهور السفيناني الوارد في الاخبار الصحيحة^(٤) وهو من ولد ابي سفينان بن حرب بن امية فيسيطر على كثير من ممالك الاسلام، فيظهر المهدي ويقتله ويقتل انصاره، ثم ينزل السيد المسيح عليه السلام وتبدو اشراط الساعة، وتظهر دابة الارض، ويبطل التكليف - ويتحقق قيام الاجساد عند النفخ في الصور^(٥).

ويشير الامام علي عليه السلام إلى ان امر المهدي يكون اولا مضطربا ثم يستقر وفي هذا ما يؤيد رؤية الامامية، الا ان ابن أبي الحديد يرى، «لا يبعد على مذهبنا

(١) الشرح ١٢٨/٩ - ٩.

(٢) الشرح ١٢٦/٩.

(٣) عن فكرة الرجعة انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٨.

(٤) عن السفيناني انظر: سنن ابي داود ١٠٧/٤ - ١٠٨.

(٥) الشرح ٥٩/٧.

ان يكون الامام المهدي الذي يظهر اخر الزمان مضطرب الامر منتشر الملك في اول مرة لمصلحة يعلمها الله تعالى ثم بعد ذلك يثبت ملكه وتنتظم اموره»^(١).

وقد اطلق الامام لفظه حجة على المهدي وهو ايضا ما يطابق رؤية الامامية، فيما يرى ابن أبي الحديد ان لفظه (حجة) غير مقتصرة على الامامية، بل يطلقها اهل التصوف على اصحابهم، ويستخدمها ايضا الفلاسفة، اما المعتزلة فيطلقونها على العلماء المؤمنين في كل عصر، لانهم حجج الله^(٢).

واشار^(٣) إلى بعض من سياسة المهدي، ومنها العمل بالقرآن وترك الرأي والقياس^(٤) وقد اتفقت الفرق الاسلامية على ان الدنيا والتكليف لا تنقضي الا بعد ظهور المهدي^(٥).

تجدد الاشارة إلى ان بعض ما تنبأ له الامام^(٦) وفسره ابن أبي الحديد، لم يشر إلى مصدر معلوماته، ولم يشر للدليل الذي يثبت قصد الامام^(٧) بأن هذا عبدالملك، أو الزنج أو التتار.

وبعد هذا العرض لفكر الامام علي^(٨) يخلص ابن أبي الحديد^(٩) للقول: «ان قيل جهاد وحرب فهو سيد المجاهدين والمحاربين، وان قيل وعظ وتذكير فهو ابلغ الواعظين والمذكرين، وان قيل: فقه وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين وان قيل عدل وتوحيد فهو امام اهل العدل والموحدين.

ليس على الله بمستكر

ان يجمع العالم في واحد^(١٠)

(١) الشرح ١٩/١٠٥.

(٢) الشرح ١٠/٩٨-٩٩. وانظر رد ابراهيم الخوئي: الدرّة النجفية ص ٢١٢-٢١٣.

(٣) الشرح ٩/٤٠.

(٤) الشرح ١٠/٩٦.

(٥) الشرح ٧/٢٠٣.

(٦) بيت لأبي نؤاس: ديوان أبي نؤاس ص ٤٥٤. الثعالبي: التمثيل والمحاضرة ص ٨٠.

اشكالية نهج البلاغة والوضع

تجدد الاشارة إلى ان هناك رؤية لدى البعض بخصوص كتاب نهج البلاغة فحواها ان هذا الكتاب كلاً أو جزء ليس للامام علي عليه السلام بل هو من وضع الشريف الرضي أو اخوه الشريف المرتضى، هذه الرؤية التي اقدم من وجدنا يشير لها هو ابن خلكان ت ٦٨١ هـ اذ قال في ترجمة الشريف المرتضى: «وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام هل هو جمعه؟! ام جمع اخيه الرضي؟ وقد قيل: انه ليس من كلام علي، وانما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه. والله اعلم»^(١) وقد ذكر اليافعي^(٢) نص ابن خلكان هذا حرفياً. وأشار له ابن كثير^(٣). وجاء الذهبي فقال في ترجمة الشريف المرتضى: «وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة وله مشاركة قوية في العلوم، ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم انه مكذوب على امير المؤمنين علي عليه السلام ففيه... من التناقض والاشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب اكثره باطل»^(٤). وممن اشار لذلك الصفدي^(٥)، وابن حجر في لسان الميزان^(٦).

وقد ايد هذا الرأي من المحدثين بروكلمان^(٧). وجرجي زيدان^(٨)، وشوقي

(١) وفيات الاعيان ٣/٣١٣.

(٢) مرآة الجنان ٣/٥٥.

(٣) البداية والنهاية، ١٢/٥٣.

(٤) ميزان الاعتدال ٣/١٢٤، ونوه بالفكرة ايضا في كتابة تذكرة الحفاظ ٣/١١٠٩.

(٥) حيث قال: «والناس يزعمون ان نهج البلاغة من انشاية (الشريف الرضي). سمعت الشيخ الامام العلامة تقي الدين احمد بن تيمية رحمته الله يقول: ليس كذلك بل الذي فيه من كلام علي بن ابي طالب معروف والذي فيه للشريف الرضي معروف. الوافي بالوفيات ٢/٣٧٥.

(٦) ٢٢٣/٤.

(٧) تاريخ الادب العربي ٢/٦٤.

(٨) تاريخ ادب اللغة العربية ١/١٨٩، ٢/٥٩٨-٩.

ضيف^(١). والملاحظ ان هذه التهمة، سابقة لابن خلكان، حيث كانت ماثلة لدى ابن ابي الحديد، ولكننا لم نجد في المصادر السابقة له والتي ترجمت للشريف المرتضى من اشارة لذلك كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي^(٢)، والمنتظم لابن الجوزي^(٣)، وانباء الرواة للقفطي^(٤).

هذه التهمة جوبهت بالنقد الشديد من قبل مجموعة من الباحثين يأتي في مقدمتهم ابن ابي الحديد الذي اتخذ موقفا متشددا حيال القائمين بالتهمة، اذ قال: «ان كثيرا من ارباب الهوى يقولون: ان كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث، صنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرضي ابي الحسن وغيره، وهؤلاء قوم اعمت العصبية اعينهم، فضلوا عن النهج الواضح، وركبوا بنيات الطريق، ضلالة وقلّة معرفة باساليب الكلام».

ثم قال: «وانا اوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط. فاقول: لا يخلو اما ان يكون كل نهج البلاغة مصنوعا منحولا، أو بعضه، والاول: باطل بالضرورة لانا نعلم بالتواتر صحة اسناد بعضه إلى امير المؤمنين عليه السلام وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم، والمؤرخون كثيرا منه، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك.

والثاني: يدل على ما قلناه، لان من قد انس بالكلام والخطابة وشدا طرفا من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب لا بد ان يفرق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والافصح، وبين الاصيل والمولد، واذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعة من الخطباء، أو لاثنين منهم فقط، لا بد ان يفرق بين

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٦٢.

(٢) ٤٠٢/١١ - ٣.

(٣) ١٢٠/٨ - ١٢٦.

(٤) ٢٤٩/٢ - ٢٥٠.

الكلاميين، ويميز بين الطريقتين. الا ترى ان مع معرفتنا بالشعر ونقده، لو تصفحنا ديوان ابي تمام، فوجدناه قد كتب في اثنائه قصائد أو قصيده واحدة لغيره، لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر ابي تمام ونفسه، وطريقته ومذهبه في القريض، الا ترى ان العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة اليه، لمباينتها لمذهبه في الشعر، وكذلك حذفوا من شعر ابي نؤاس شيئاً كثيراً، لما ظهر لهم انه ليس من الفاظه، ولا من شعره وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك الا على الذوق خاصة».

طبقاً لذلك قال ابن أبي الحديد: «وانت اذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحداً، ونفساً واحداً، واسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من ابعاضه مخالفاً لباقي الابعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز، اوله كماوسطه واوسطه كآخره، وكل سورة منه، وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريقة والنظم لباقي الآيات والسور، ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم ان هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى امير المؤمنين عليه السلام».

ثم اضاف: «واعلم ان قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له به لأننا متى فتحنا هذا الباب، وسلطنا الشكوك على انفسنا في هذا النحو، لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله ﷺ ابداً، وساغ لطاعن ان يطعن ويقول: هذا الخبر منحول، وهذا الكلام مصنوع، وكذلك ما نقل عن ابي بكر وعمر من الكلام، والخطب والمواعظ والادب وغير ذلك كل امر جعله هذا الطاعن مستندا له فيما يرويه عن النبي ﷺ، والائمة الراشدين، والصحابة والتابعين، والشعراء والمترسلين، والخطباء، فلناصرى امير المؤمنين عليه السلام ان يستندوا إلى مثله فيما

يرونه عنه من نهج البلاغة وغيره وهذا واضح»^(١).

هنا يمكن القول بما ان ابن أبي الحديد كان معتزليا يعتمد تحكيم العقل في النصوص، ويعتمد التجربة، والممارسة، والذوق في النقد لذا نراه يبعد كل نص يبعده العقل أو التجربة، والذوق المنطلق من الممارسة والمران، لا الذوق العادين بل المستند إلى الخبرة. فهو هنا لا يقصد بالذوق الذوق الفطري الساذج، بل الذوق العلمي الذي اصلته الممارسة والدربة، وكثرة الرواية والحفظ. والواضح ان المقياس العقلي والذوقي ليسا في مرتبة المقياس النقلى في درجة اقرب إلى اليقين. وهذا المقياس الذوقي قد اشترك مع المقياس التصنيفى كما في قوله «اما ان يكون كل النهج مصنوعاً أو بعضه، والاول باطل بالضرورة». وذلك بسبب التواتر. اذن المقياس الذوقي هنا استند إلى اساس المقياس العقلي التصنيفى ثم الاستدلال بالمقياس النقلى وجاء فيما بعد دور المقياس الذوقي^(٢).

وعلى الان طرح بعض الحثيات في المسألة اعلاه.

اولاً: ان من يستطيع ان يضع مثل هذا الكلام، والذي له هذا القدم الثابت في العلم بالله واياته، كيف تطاوعة نفسه ان يحلى بمثل هذا الكلام غيره، ويعطل نفسه، بحيث يبقى هو مهملاً في زوايا الخمول، الا ان يكون مصاباً في عقله، والمصاب في عقله عن صنع مثل هذا الكلام ووضع اعجز، وعن الورود في شرعة هذه الفلسفة المتعالية ابعده^(٣).

ثانياً: ان كتاب نهج البلاغة هو مجموعة من الخطب والحكم والمواعظ، الواضح عليها انها قيلت في مناسبات مختلفة، فمنها ما كان جواباً لسؤال، أو خطاباً للاصحاب أو وصفاً للجنة والنار أو موعظه وغير ذلك، فهل تتبع جامعه كل

(١) الشرح ١٢٦/١٠ - ١٢٩.

(٢) الظالمى: ابن أبي الحديد ص ٥٥.

(٣) الطباطبائى: علي والفلسفة الالهية ٢٧.

هذه الحوادث والمناسبات واحصاها ووضع لكل حادثة خطبة أو كلاما يلائمها^(١).
ثالثاً: ان تصفحاً لمؤلفات الشريف الرضي تعطينا دليلاً على ان الشريف الرضي هو الجامع لنهج البلاغة ولا دخل للشريف المرتضى بذلك، وان دور الشريف الرضي هو مجرد تجميع هذه النصوص وترتيبها اخذاً بنظر الاعتبار اكثرها بلاغة.

ففي كتابه -المجازات النبوية. ذكر الرضي كتاب نهج البلاغة خمس مرات

وهي:

١- عند كلامه على قوله سَلَّمَ عليه السلام «اغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من صلاة» - قال «وبين ذلك قول امير المؤمنين سَلَّمَ عليه السلام في كلام له: «تخففوا تلحقوا» وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بـ«نهج البلاغة» الذي اوردنا فيه مختار جميع كلامه^(٢).

٢- في كلامه عن الحديث «اسرعن لحقابي، اطولكن يدا» قال: ومثل ذلك قول امير المؤمنين سَلَّمَ عليه السلام «ومن يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة»... وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم «بنهج البلاغة»^(٣).

٣- في قوله سَلَّمَ عليه السلام: «الا وان الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وان الاخرة قد ارتحلت مقبلة». قال: «ويروى هذا الكلام على تغيير في الفاظه لأمير المؤمنين علي ابن ابي طالب سَلَّمَ عليه السلام وقد اوردناه في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة وهو المشتمل على مختار كلامه سَلَّمَ عليه السلام في جميع المعاني والاعراض، والاجناس والاعراض»^(٤).

٤- في كلامه عن القرآن: «ان القرآن يتقلب وجوهاً، ويحتمل من

(١) مغنية: فضائل الامام علي عليه السلام ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) ص ٣٩ - ٤٠ الشرح ٣٠١/١. خصائص الائمة ط النجف ص ٨٧. نهج البلاغة ص ٦٢ - ٦٣.

(٣) ص ٦٧. الشرح ٥٩/١٩. نهج البلاغة ص ٥٠٩.

(٤) ص ١٩٩. الشرح ٩١/٢. نهج البلاغة ص ٧١.

التأويلات ضروريا كما وصفه امير المؤمنين علي عليه السلام في كلام له فقال: «القرآن حمال ذو وجوه» أي يحتمل التصريف على التأويلات، والحمل على الوجوه المختلفة، وقد ذكرنا هذا الكلام في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة^(١).

٥ - قوله صلى الله عليه وآله: «القلوب اوعية بعضها اوعى من بعض». قال «بما نسب هذا الكلام إلى امير المؤمنين عليه السلام على خلاف في لفظه، وقد ذكرنا في جملة كلامه لكميل بن زياد النخعي في كتاب نهج البلاغة»^(٢).

ومثلما اشار مؤلف المجازات النبوية بأنه مؤلف نهج البلاغة فان مؤلف نهج البلاغة قد اشار إلى ان له كتابا باسم المجازات النبوية^(٣)، اذا فصاحب المجازات النبوية هو صاحب نهج البلاغة الا وهو الشريف الرضي، ولا دخل للمرتضى هنا. ومن كتب الشريف الرضي كتاب حقائق التأويل الذي لم يصل الينا منه الا الجزء الخامس، وقد وردت فيه اشارة إلى نهج البلاغة اذ قال في اشارته لعلو بلاغة القرآن: «لو كان كلام يلحق بغيره أو يجري في مضماره بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله لكان ذلك كلام امير المؤمنين عليه السلام، اذ كان منفردا بطريقة الفصاحة، لا تزاحمه عليه المناكب، ولا يلحق فيها الكادح الجاهد، ومن اراد ان يعلم برهان ما اشرفنا إليه فليمعن النظر في كتابنا الذي ألفناه ووسمناه بـ(نهج البلاغة)، ويشمل على مختار جميع الواقع اليانا من كلام امير المؤمنين عليه السلام، في جميع الانحاء والاعراض، والاجناس والانواع، من خطب وكتب، ومواعظ وحكم، وبوبناه ابوابا ثلاث تشتمل على هذه الاقسام مميزة مفصلة، وقد عظم الانتفاع به وكثر الطالبون له، لعظيم ما ضمنه من عجائب الفصاحة وبدائعها، وشرائف الكلم

(١) ص ٢٥١. الشرح ٧١/١٨. نهج البلاغة ص ٤٦٥.

(٢) ص ٣٩١. الشرح ٣٤٦/١٨. نهج البلاغة ص ٤٩٥.

(٣) الشرح ١٨٦/٢٠. الشريف الرضي: نهج البلاغة ٥٥٧.

ونفائسها...»^(١).

وللشريف الرضي كتاب رابع يسمى «الخصائص» وهو خاص بخصائص الامام علي عليه السلام، وقد وردت الاشارة لهذا الكتاب مرتين في كتاب نهج البلاغة، مما يدل على ان مؤلف الخصائص هو نفسه مؤلف النهج، ففي المرة الاولى قال مؤلف النهج في المقدمة: «فاني كنت في عنقوان السن وغضاضه الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن اخبارهم، وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته امام الكلام ولما فرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين علياً عليه السلام وعاقبت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام...»^(٢).

اما المرة الثانية فقد اشار إليه عند قوله عليه السلام «تخففوا تلحقوا» اذ قال: فما سمع كلام اقل منه مسموعا، ولا اكثر محصولا، وما ابعد غورها من كلمة وانفع نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها^(٣).

رابعا: هل ان ما ورد في نهج البلاغة من خطب الامام وكلامه لم يرد في مصادر اخر؟ في الواقع ان ما ورد في نهج البلاغة ما هو الا يسير مما ورد في مصادر التراث العربي الاسلامي ولذلك قام عدد من الباحثين بجمع خطب الامام وكلماته من هذه المصادر وفي مقدمة اولئك كان ابن أبي الحديد الذي اتخذ منهاجا في شرحه للنهج الا وهو ذكر المصدر الذي وردت فيه الخطبة فعلى سبيل المثال بالنسبة إلى الخطبة الشقشقية^(٤)، فقد قال في اخر شرحها: «حدثني شيخي ابو

(١) حقائق التأويل ص ١٦٧.

(٢) الشرح ٤٤/١.

(٣) الشرح ٣٠١/١.

(٤) مأخوذة من قوله عليه السلام تلك شقشقة هدرت ثم قرئت - الشرح ٢٠٣/١.

الخير مصدقا بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائه، قال: قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب^(١)، هذه الخطبة... وكان ابن الخشاب صاحب دعاية وهزل، قال: فقلت له: اتقول انها منحولة؟! فقال: لا والله واني لا علم انها كلامه كما اعلم انك مصدق، قال: فقلت له: ان كثيراً من الناس يقولون انها من كلام الرضي - (رحمة الله تعالى) - فقال: اني للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الاسلوب؟! قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنشور وما يقع من هذا الكلام في خل ولا خمر. ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل ان يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدت في مسطورة بخطوط اعرفها واعرف خطوط من هو من العلماء واهل الادب قبل ان يخلق النقيب ابو احمد الرضي. قلت (ابن أبي الحديد): وقد وجدت انا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي امام البغداديين من المعتزلة. وكان في دولة المقتدر قبل ان يخلق الرضي بمدة طويلة، ووجدت ايضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة^(٢)، احد متكلمي الامامية وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الانصاف، وكان ابو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي (رحمة الله، ومات في ذلك العصر قبل ان يكون الرضي؛ موجوداً)^(٣). ثم قام مجموعة من الباحثين بالبحث عن مصادر نهج البلاغة كما فعل عبد الزهراء الحسيني الخطيب في كتابة مصادر نهج البلاغة واسانيده والذي صدر في اربعة اجزاء والذي قسم هذه المصادر لاربعة اقسام:

اولاً: مصادر الفت قبل سنة ٥٤٠٠ هـ، وهي سنة صدور نهج البلاغة. ولا زالت

(١) احد علماء اللغة العربية في عصره وله المام بالفلسفة والحساب والهندسة، ت ٥٦٧ هـ انظر: الشرح ١/٢٠٥/٧، ٢٦٥/١٠، ٩٧/١١، ١٣٥/١٩، ٢٥١/٢٠. الخوانساري: روضات الجنات ٥/٢٢.

(٢) انظر ترجمته، ابن النديم: الفهرست: ص ٢٥٠.

(٣) الشرح ١/٢٠٥/٦، وانظر كذلك ابراهيم الخوثي: الدررة النجفية ص ٦١، ٦٢.

موجودة إلى الان.

ثانياً: مصادر الفت قبل سنة ٤٠٠ هـ، ولكنها فقدت، وتم النقل عنها بالواسطة.

ثالثاً: كتب الفت بعد زمان الرضي ولكنها روت كلام الامام علي عليه السلام باسناد

متصل دون المرور بالشريف الرضي ولا على كتابه نهج البلاغة.

رابعاً: كتب صدرت بعد زمان الرضي ولكنها نقلت كلام الامام علي عليه السلام

بصورة تختلف عما في نهج البلاغة مما يعتقد ان مصدرها غير نهج البلاغة^(١).

ثم استدرك مجموعة من الباحثين قديما وحديثا على نهج البلاغة وذكروا

خطبا ورسائل وكلاما للامام لم يرد في نهج البلاغة، كما فعل عبد الله بن اسماعيل

بن احمد الحلبي^(٢) في كتابه «التذييل على نهج البلاغة»^(٣) والشيخ هادي الكاشف

الغطاء في كتابه مستدرك نهج البلاغة^(٤)، والشيخ محمد باقر المحمودي في كتابه -

نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، وهو في ثمان مجلدات^(٥).

خامساً: اما بالنسبة إلى الاشكالات التي أثيرت حول بعض مما ورد في

نهج البلاغة فقد تكفل بالاجابة عنه عدد من الباحثين يأتي في مقدمتهم ابن أبي

الحديد^(٦)، ومن المعاصرين عبدالزهراء الخطيب^(٧)، وحسن ال ياسين^(٨)،

والشهرستاني^(٩)، وهادي آل كاشف الغطاء^(١٠) ومغنية^(١١)، وحسين بستانة^(١٢).

(١) عبدالزهراء الخطيب: مصادر نهج البلاغة واسانيده ٢٦/١ - ٢٧ - ٤٨ - ٩٢.

(٢) لم اجده ترجمته.

(٣) الشرح ٢٢٥/١٨.

(٤) ص ٢ وما بعدها.

(٥) طبع في بيروت ١٩٧٦.

(٦) انظر مثلاً ٢٠٥/١ - ٦ - ١٠٠ - ١٢٦/١ - ١٢٩.

(٧) مصادر نهج البلاغة واسانيده ١٣٣/١ - ٢٢٢.

(٨) نهج البلاغة لمن؟ ص ٣١ - ٤٩.

(٩) ما هو نهج البلاغة ص ٥٢ - ٦١.

(١٠) مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه ص ١٩٥ - ٢٦٨.

(١١) فضائل الامام علي ص ٧٣ - ٧٧. وايضاً له في ضلال نهج البلاغة ٨/١ - ١٠.

والفرطوسي^(١٣)، والصائغ^(١٤)، والابيارى^(١٥).

(١٢) ادب الامام علي بن ابي طالب ونهج البلاغة ص ١٩٥-٢٠٣.
(١٣) غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى دراسة منهجية ص ٢٠-٢٢.
(١٤) علي بن ابي طالب بين امه وابيه ص ١٠٥-١١٠.
(١٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، مجلة تراث الانسانية مج ٢، ص ١٢٣-٤.

الخاتمة

من خلال البحث نستنتج ان الرؤية الاعتزالية للامام علي عليه السلام هي القول بافضليته على سائر الامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد قال بهذه الرؤية سائر معتزلة بغداد واكثر معتزلة البصرة المتأخرين.

وكان المقياس الذي اعتمدوا عليه في اثبات ذلك هو ان الافضل هو الاكثر ثوابا والاكثر مناقبا وقد اجتمعا لامام علي عليه السلام.

فبالنسبة الى الاكثر ثوابا استندوا الى عدد من الايات القرآنية والاحاديث النبوية كآية التطهير والمباهلة وقوله تعالى: ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص﴾.

اما الاحاديث فحديث الطائر المشوي، وقول صلى الله عليه وسلم: «انت مني مبنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي من بعدي». وقوله صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله». وغيره.

اما بالنسبة الى المناقب فتمثلت بـ

١. عراقه نسبه عليه السلام فهو من اعرق العرب نسبا اذ يرجع الى بني هاشم الذين كان لهم الاثر في تاريخ العرب ومكة على وجه الخصوص.

٢. ولادته في الكعبة المشرفة.

٣. شرف تربيته في بيت الرسالة ترك اثرا في توجهاته الروحية مما جعله اول من امن بالدعوة الاسلامية وما لبث ان اصبح وزيرا للرسول ﷺ يوم الانذار.

٤. زواجه من فاطمة الزهراء عليها السلام يعد من اعظم فضائله والى تلك المنقبة كان يشير الخليفة عمر وسعد بن ابي وقاص (رض).

٥. ولادته للحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة والسبب في حفظ نسب الرسول ﷺ حيث لا نسل له الا من الحسن والحسين.

٦. وقد نتج عن زواجه بفاطمة وولادته للحسن والحسين عليهما السلام ما عرف باهل البيت الذي كان له خصوصية لدى المسلمين حيث نزلت في هذا البيت آية التطهير، والمباهلة، والمودة، والقربى.

٧. امتاز عليه السلام بخصائص وصفات فاق بها الاقران والمعاصرين واسدل الستار على من سبقه وتلاه كالشجاعة والحلم والصبر والزهد والعبادة.

ومما كان يشير التعجب في خصائصه عليه السلام هو جمعه بين الصفات المتضادة كالشجاعة والزهد، والزهد وطلاقة الوجه، والتواضع وشرف النسب، والسخاء والجود.

٨. كان عليه السلام في السياسة مثال السداد والحكمة في معالجته للمشاكل سواء قبل خلافته او اثناءها، وقد اوضح ذلك رجالات المعتزلة كالجاحظ والاسكافي والقاضي وابن ابي الحديد.

٩. كان عليه السلام مصدراً للفكر العربي الاسلامي، فهو الوحيد الذي بان في العلم الالهي، ولم يعرف احد قبله او عاصره انه تكلم به، وهذه الفضيلة هي من اعظم فضائله عند ابن ابي الحديد. لذا فقد انتسب اليه المتكلمون وكذا الحال بالنسبة الى التصوف فان كثير من الفاظ التصوف مأخوذ من كلامه عليه السلام وقد انتسب اليه المتصوفة.

اما في علم الفقه فقد كان مصدر الصحابة والفقهاء الاربعة، حيث اثر عن الخليفة عمر قوله: (لا ابقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن).

وفي علوم القرآن كان المرجع في تأويله ومعرفة اسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

وكان عليه السلام المتقدم في علوم اللغة العربية، حيث كان يستند اللغويين والنحاة على كلماته، وكان مشرع الفصاحة حيث لم يؤثر عن احد سواه هذا الكم من الخطب والرسائل البليغة.

ولقد انتقى كثير من الادباء والشعراء كلماته عليه السلام ووشواها رسائلهم وشعرهم وخطبهم.

ولم يعهد عن احد من الصحابة انه كان يتنبأ غير الامام علي عليه السلام وعد ابن ابي الحديد ذلك من اعظم فضائل الامام عليه السلام.

هذه هي اهم الاسس التي استدل المعتزلة بها في قولهم بالتفضيل وقد اعتمدوا في اثبات ذلك على الايات القرآنية والاحاديث النبوية والوقائع.

تجدد الاشارة الى ان شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي يعتبر كنزا معرفيا عن الحضارة العربية الاسلامية في مختلف صنوف المعرفة لذا بالاضافة الى ما كتب عنه لا زال بحاجة الى دراسات اخرى سواء في اللغة او الادب او التاريخ او الكلام، وسنقوم ان شاء الله بعد هذه الدراسة باعداد دراسات حول:

اولاً: موارد ابن ابي الحديد في كتاب شرح نهج البلاغة: لقد اعتمد ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة على ما يقارب ثلاثمائة مصدر لغوي او ادبي او حديث او تفسير او تاريخ او كلام او فلسفة او تصوف.

هذه الكمية من المصادر بعض منها اصبح اليوم في حكم المفقود، لذا فالقيام بدراسة عنها يمكن ان تكشف لنا جانبا من الحركة الفكرية التي لا زالت غير معروفة لدينا.

ثانياً: اراء ابن ابي الحديد الكلامية: رغم ان ابن ابي الحديد اراد من شرحه
لنهج البلاغة ان يكون كتاب ادب وليس كتاب نظر ولكنه يمكن استخراج مادة
كلامية كبيرة تخص المعتزلة عامة و اراء ابن ابي الحديد خاصة. خاصة اذا علمنا
ان مؤلفات ابن ابي الحديد الكلامية قد فقدت ولم تصل الينا.

ملحق رقم ١
قصيدة لابن ابي الحديد^(١)
في مدح الامام علي عليه السلام

يا رسم لا رسمتك ريع زعزع
وسرت بليل في عراصك خروع
لم الف صدري من فؤادي بلقعا
الا وانت من الاحبة بلقع
جارى الغمام مدامعي بك فانشنت
جون السحاب فهي حسرى ظلع
لا يمحك الهتن الملك فقد محا
صبري دثورك مذ محتك الادمع
ما تم يومك وهو اسعد ايمن
حتى تبدل فهو انكد اشنع
شروى الزمان يضيء صبح مسفر
فيه فيشفعه ظلام اسفنع
الله درك والضلال يقودني
بيد الهوى فانا الحرون فاتبع
يقتادني سكر الصبابة والصببا
ويصيح بي داعي الغرام فاسمع

دهراً تقوض راحلاً ما عيب من

عقباه الا انه لا يرجع

يا ايها الوادي اجلك واديا

واعزز الا في حماك فاخضع

واسوف تبرك صاعراً واذل في

تلك الربى وانا الجليلد فاخضع

(اسفي على مغناك اذ هو غابة

وعلى سبيلك وهي لحب مهيع)

ايام انجم قضعب درية

في غير اوجه مطلع لا تطلع

والبيض تورد في الوريد فترتوي

والسمر تشرع في الوتين فتشرع

والسابقات اللاحقات كأنها

العقبان تردى في الشكيم وتمزع

والربيع انور بالنسيم مضمخ

والجو ازهر بالعبير مردع

ذلك الزمان هو الزمان كانما

قيظ الخطلوب به ربيع ممرع

وكانما هو روضة منطورة

او مزنة في عارض لا تقلع

قد قلت للبرق الذي شق الدجى

فكان زنجيا هناك يجده

يا برق ان جئت الغري فقل له
 اتراك تعلم من بارضك مودع
 فيك ابن عمران الكلیم وبعده
 عيسى يقفيه واحمد يستيع
 بل فيك جبريل وميكال واسد
 رافيل والملا المقدس الجمع
 بل فيك نور الله جل جلاله
 لذوي البصائر يستشف ويلمع
 فيك الامام المرتضى فيك الوصي
 المجتبي فيك البطين الانزع
 الضارب الهام المقنع في الوغى
 بالخوف للبهمة الكماة يقنع
 والسهمية تستقيم وتنحني
 فكانها بين الاضالع اضلع
 والمترع الحوض المددع حيث لا
 واد يفيض ولا قلب يترع
 ومبدد الابطال حيث تالبوا
 ومفرق الاحزاب حيث تجمع
 والحبر يصدع بالمواعظ خاشعا
 حتى تكاد لها القلوب تصدع
 حتى اذا استعر الوغى متلظيا
 شرب الدماء بغلة لا تنقع

متجلبيا ثوبا من الدم قانيا
يعلوه من نقع الملاحم برقع
زهد المسيح وفتكة الدهر الذي
اودى به كسرى وفوز تبع
هذا ضمير العالم الموجود عن
عدم وسر وجوده المستودع
هذي الامانة لا يقوم بحملها
خلقاء هابطة واطلس ارفع
تأبى الجبال الشم عن تقليدها
وتضح تيهاء وتشفق برقع
هذا هو النور الذي عذباته
كانت بجبهة آدم تتطلع
وشهاب موسى حيث اظلم ليله
رفعت له لالاؤه تشعشع
يا من له ردت ذكاء ولم يفز
بنظيرها من قبل الا يوشع
يا هازم الاحزاب لا يثنيه عن
خوض الحمام مدجج ومدرع
يا قالع الباب الذي عن هزها
عجزت اكف اربعون واربع
لولا حدوثك قلت انك جاعل
الارواح في الاشباح والمنتزع

لولا مـماتك قلت انك باسط
 الارزاق تقدر في العطا وتوسع
 ما العالم العلوي الا تربة
 فيها لجنتك الشريفة مضجع
 ما الدهر الا عبدك القن الذي
 بنفوذ امرك في البرية مولع
 انا في مدحيك الكن لا اهتدي
 وانا الخطيب الهبزي المصقع
 اقول فيك سـميدع كلا ولا
 حاشا لمثلك ان يقال سـميدع
 بل انت في يوم القيامة حاكم
 في العالمين وشافع ومشفع
 ولقد جهلت وكنت احذق عالم
 أغرار عزمك ام حسامك اقطع
 وفقدت معرفتي فلست بعارف
 هل فضل علمك ام جنابك اوسع
 لي فيك معتقد ساكشف سره
 فليصغ ارباب النهى وليسمعوا
 هي نفثة المصدور يطفىء بردها
 حر الصباية فاعذلوني او دعوا
 والله لولا حـميدر ما كانت
 الدنيا ولا جمع البرية مجمع

من اجله خلق الزمان وضوئت
شهب كنسن وجن ليل اردع
علم الغيوب اليه غير مدافع
والصبح ابيض مسفر لا يدفع
واليه في يوم المعاد حسابنا
وهو الملاذ لنا غدا والمفزع
هذا اعتقادي قد كشفت غطاءه
سـيـضـر مـعـتـقـداً له او ينفع
يا من له في ارض قلبي منزل
نعم المراد الرحب والمستربع
اهواك حتى في حشاشة مهجتي
نار تشب على هواك ولذع
وتكاد نفسي ان تذوب صباية
خلقا وطبعا لا كمن يتطبع
ورأيت دين الاعتزال وانني
اهوى لأجلك كل من يتشيع
ولقد علمت بانه لا بد من
مهديكم وليومه اتوقع
يحميه من جند الاله كتائب
كاليم اقبل زاخرا يتدفع
فيها لا ابي الحديد صوارم
مشهورة ورماح خط شرع

ورجال موت مقدمون كأنهم
أسد العرين الريد لا تتكعع
تلك المنى اما اغلب عنها فلي
نفس تنازعني وشوق ينزع
ولقد بكيت لقتل آل محمد
بالطف حتى كل عضو مدمع
عقرت بنات الاعوجية هل درت
ما يستباح بها وماذا يصنع
وحریم آل محمد بين العدى
نهب تقاسمه الثام الرضع
تلك الضغائن كالاماء متى تسق
يعنف بها والسياط تقنع
من فوق اقطاب الجمال يشلها
لكع على حنق وعبد اكوع
مث السبايا بل اذل تشق من
هن الخممار ويستباح البرقع
فمصفا في قيده لا يفتدى
وكريمة تسبي وقرط ينزع
تالله لا انسى الحسين وشلوه
تحت السنابك بالعراء موزع
متلفعا حمر الثياب وفي غد
بالخضر من فردوسه يتلفع

تطأ السنايك صدره وجبينه
والارض ترجف خيفة وتضع
والشمس ناشرة الذوائب ثاكل
والدهر مشقوق الرداء مقنع
لهفي على تلك الدماء تراق في
ايدي امية عنوة وتضيع
بايي ابو العباس احمد انه
خير الوري من ان يطل ويمنع
فهو الولي لشارها وهو الحمول
لعبثها اذ كل عود يضلع
الدهر طوع والشيبية غضة
والسيف غضب والفؤاد مشيع

المصادر

اولاً: المصادر الاولية

١. القرآن الكريم.

٢. الانجيل، دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط، ط ٤، بيروت ١٩٩٣.

* الابي: ابو سعيد منصور بن الحسين ت ٤٢١ هـ

٣. نثر الدرر، تح: محمد علي قرنة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٤.

* ابن الاثير: عزالدين ابو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠ هـ

٤. اسد الغابة في معرفة الصحابة، ب. محق، المكتبة الاسلامية، طهران

ب.ت.

٥. الكامل في التاريخ، ب. محق، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥.

٦. اللباب في تهذيب الانساب، ب. محق، القاهرة، ١٣٨٦ هـ

* ابن الاثير: ابو الفتح نصرالله بن ابي الكرم ضياء الدين الشيباني.

٥٥٨-٦٣٧ هـ

٧. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، تح: احمد الحوفي - بدوي

طبانة، ط ٢، دار الرفاعي، الرياض، ٨٣-١٩٨٤/١٤٠٣-١٤٠٤ هـ

* ابن الاثير: مجدالدين ابي السعادات المبارك بن محمد ٥٤٤-٦٠٦ هـ

٨. النهاية في غريب الحديث والاثر، تح: طاهر احمد الزاوي، محمود

الطناحي، ط ١، القاهرة، ١٩٦٣.

* الاربلي: ابو الحسن علي بن عيسى ت ٦٩٣ هـ

٩. كشف الغمة في معرفة الائمة، مط النجف، ١٣٨٤ هـ

* ابن اخي تبوك: ابو الحسين عبدالوهاب بن محمد بن الوليد ت ٣٩٦ هـ

١٠. مناقب علي بن ابي طالب، تح: محمد باقر البهبودي، المكتبة

الاسلامية، طهران، ١٣٩٤ هـ

* الازدي: ابو زكريا يزيد بن محمد ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م

١١. تاريخ الموصل، تح: علي حبيبة، القاهرة، ١٩٦٧.

* الازرقى: ابو الوليد محمد بن عبدالله (كان حيا في ٢٤٨ هـ)

١٢. اخبار مكة، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الاندلس، مكة المكرمة،

١٣٨٥ هـ

١٣. ابن اسحق: محمد ت ١٥١ هـ

١٤. السير والمغازي، تح: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، دمشق، ١٩٧٨.

* الاسكافي: ابو جعفر محمد بن عبدالله ت ٢٤٠ هـ

١٥. نقض العثمانية، منشور مع كتاب العثمانية للجاحظ، تح محمد

عبدالسلام هارون، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٥.

* الاشعري: ابو الحسن علي بن اسماعيل ت ٣٢٤ هـ

١٦. مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تح: محمد محي الدين

عبدالحميد، مصر، ١٣٦٩ / ١٩٥٠.

١٧. ابن ابي اصبيعة، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم ت ٦٦٨ هـ

١٨. عيون الانباء في طبقات الاطباء، شرح وتح: د. نزار رضا، منشورات

دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥.

* الالوسي: ابو الثناء شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني

١٢١٧ - ١٢٧٠/١٨٠٢ - ١٨٥٤ م.

١٩. شرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية، ب. محق، ط حجرية، شرحها في ١٢٧٠ هـ ب مكا. ب ت.

* امرؤ القيس بن حجر بن الحارث. ٨٠ ق. ٥٤٥/هـ م

٢٠. ديوان امرؤ القيس، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ٢، دارالمعارف، مصر، ١٩٥٨.

* ابن انس: الامام مالك (٩٣ - ١٧٩) هـ

٢١. الموطأ، تح: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، ط ٢، بيروت، ١٩٩٧.

* الانصاري: حسان بن ثابت ت ٥٤ هـ/٦٧٤ م

٢٢. ديوان حسان بن ثابت، ب. محق، بيروت، ١٩٦٦.

* الانصاري، كعب بن مالك. ت ٥٠ هـ/٦٧٠ م

٢٣. ديوان كعب بن مالك، دراسة وتح سامي مكّي العاني، بغداد، ط ١، ١٩٦٦.

* الباقلاني: ابو بكر محمد بن الطيب ت ٤٠٣ هـ

٢٤. التمهيد، تصحيح: الاب رتشد يوسف مكارثي اليسوعي، بيروت، ١٩٥٧.

* البحتري: الوليد بن عبيد، ٢٠٤ - ٢٨٤ هـ

٢٥. ديوان البحتري، تح: حسن كامل الصيرفي، ط ٢، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

* البحراني: ميثم بن علي. ت بعد ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م

٢٦. شرح نهج البلاغة، ب. محق، مؤسسة النصر، طهران، ١٣٧٨ - ١٣٨٤ هـ

* البحراني: يوسف بن احمد ت ١١٨٦ هـ

٢٧. لؤلؤة البحرين، تح: محمد صادق بحر العلوم، مط النعمان، النجف،

ب.ت.

* البخاري: ابو عبدالله محمد بن اسماعيل ت ١٩٤ - ٢٥٦ هـ

٢٨. الصحيح، الطباعة المنيرية، مصر، ب.ت.

* البرقي: ابو جعفر احمد بن ابي عبدالله. ت ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م

٢٩. الرجال، تح السيد كاظم المياموي، طهران، ١٣٨٣ هـ

* البغدادي: ابو منصور عبدالقاهر بن طاهر ت ٤٢٩ هـ

٣٠. الفرق بين الفرق، تح: محمد زاهد الكوثري، ب.مكا، ١٣٢٧ هـ

* البغدادي: صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق ت ٧٣٩ هـ

٣١. مرصد الاطلاع، تح: علي محمد البجاوي، ط ١، القاهرة، ١٩٥٥.

* البغدادي: عبدالقادر بن عمر ١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ

٣٢. خزنة الادب ولب لباب لسان العرب، ط ١، بولاق، ب.ت.

* ابن بكار: الزبير (١٧٢ - ٢٥٦ هـ)

٣٣. جمهرة نسب قریش و اخبارها، تح: محمود محمد شاكر، مط المدني،

القاهرة، ١٣٨١ هـ

٣٤. الاخبار الموقفيات، تح: سامي مكّي العاني، بغداد، ١٩٧٢.

* البكري: ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز ت ٤٨٧ هـ

٣٥. معجم ما استعجم، تح: مصطفى السقا، ط ١، القاهرة، ١٩٤٥ - ١٩٤٩.

* البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ

٣٦. انساب الاشراف، ج ١، تح: محمد حميد الله، دار المعارف، مصر،

ب.ت.

٣٧. انساب الاشراف، ج ٢، تح: محمد باقر المحمودي، ط ١، مؤسسة

الاعلمي، بيروت، ١٩٧٤.

٣٨. انساب الاشراف، ج ٣، تح: محمد باقر المحمودي، ط ١، دار التعارف، بيروت، ١٩٧٧.

٣٩. انساب الاشراف، ج ٥، تح: جوتن، باريس، ١٩٣٦.

٤٠. فتوح البلدان، ط ١، تح: علي بهجت، القاهرة، ١٩٠١.

* البلخي: ابي القاسم الكعبي ت ٣١٩ هـ

٤١. باب ذكر المعتزلة من كتاب مقالات الاسلاميين، تح: فؤاد سيد، تونس،

١٩٧٤.

* البلوي: ابو الحجاج يوسف بن محمد. ت ١٢٠٧/٥٦٠٤ م

٤٢. الف باء، ب. محق، المطبعة الوهبية، مصر، ١٢٨٧ هـ

* البيضاوي: ناصر الدين ابي سعيد عبدالله بن عمر ت ٧٩١ هـ

٤٣. تفسير البيضاوي ب. محق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨.

* البيهقي: ابراهيم بن محمد. (ق ٤ هـ)

٤٤. المحاسن والمساوي، ب. محق، بيروت، ١٣٨٠ هـ/١٩٦٠ م.

* البيهقي: ابو بكر احمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨ هـ

٤٥. السنن الكبرى، ب. محق، ط ١، حيدر آباد الفن، الهند، ١٣٥٢ هـ

* الترمذي: محمد بن عيسى ٢٠٩ - ٢٧٩ هـ

٤٦. صحيح الترمذي بشرح الامام ابن العربي المالكي، ب. محق، ط ١،

المطبعة المصرية بالازهر، ١٩٣١ - ١٩٣٤.

* ابن تغرى بردى: جمال الدين ابو المحاسن يوسف ٨١٣ - ٨٧٤ هـ

٤٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: احمد زكي العدوي، ط ١،

دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٩ - ١٩٥٦.

* ابو تمام الطائي: حبيب بن اوس ت. ٢٣١ هـ/٨٤٦ م

٤٨. ديوان ابو تمام، شرح وتعليق: د. شاهين عطية، ط ١، بيروت، ١٩٦٨.

* التهانوي: محمد اعلى بن علي، ت ١١٥٨ هـ

٤٩. كشاف اصطلاحات العلوم، بيروت، ١٩٦٦.

* ابن تيمية: ابي العباس احمد بن تيمية الحراني ت ٧٢٨ هـ

٥٠. منهاج السنة النبوية، ط ١، المطبعة الاميرية، بولاق، مصر، ١٣٢١ هـ

* الثعالبي: ابو منصور، عبدالملك ت ٤٢٩ هـ

٥١. تنمة يتيمة الدهر، شرح وتح: د. مفيد محمد قميحة، ط ١، بيروت،

١٩٨٣.

٥٢. التمثيل والمحاضرة، تح. عبدالفتاح محمد الحلو، القاهرة، ١٩٦١.

٥٣. يتيمة الدهر، شرح وتح: د. مفيد محمد قميحة، ط ١، بيروت، ١٩٨٣.

* الثعالبي: عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف ت ٨٧٥ هـ

٥٤. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ب. محق، مؤسسة الاعلمي،

بيروت، ب. ت.

* الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠ - ٢٥٥ هـ)

٥٥. البيان والتبيين، تح: عبدالسلام محمد هارون، ط ٥، القاهرة، ١٩٨٥.

٥٦. الحيوان، تح: عبدالسلام محمد هارون، ط ١، مصر، ١٩٣٨ - ١٩٤٥.

٥٧. رسائل الجاحظ، تح: السندوبي، ط ١، القاهرة، ١٩٣٣.

٥٨. رسائل الجاحظ السياسية، تح: علي ابو ملح، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.

٥٩. رسائل الجاحظ الكلامية، تح: علي ابو ملح، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.

٦٠. رسالة استحقاق الامامة، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، تح: علي ابو

ملح، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.

٦١. رسالة الاوطان والبلدان، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تح: علي

ابو ملح، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.

٦٢. رسالة الحكمين، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تح: علي ابو ملح،

ط ١، بيروت، ١٩٨٧.

٦٣. رسالة صناعة الكلام، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، تح: علي ابو

ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.

٦٤. رسالة العثمانية، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تح: علي ابو ملحم،

ط ١، بيروت، ١٩٨٧.

٦٥. رسالة في فضل بني هاشم على عبد شمس. ضمن رسائل الجاحظ

السياسية، تح: علي ابو ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.

٦٦. رسالة في فضل بني هاشم على عبد شمس. ضمن رسائل الجاحظ

للسندوبي، ط ١، ١٩٢٣، ص ٦٧-١١٦.

٦٧. رسالة في خلق القرآن، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، تح: علي ابو

ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.

٦٨. رسالة في النابتة، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، تح: علي ابو ملحم،

ط ١، بيروت، ١٩٨٧.

٦٩. العثمانية: تح وشرح: عبدالسلام محمد هارون، دار الكتاب العربي،

مصر، ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥.

* الجرجاني: ابو الحسن علي بن محمد بن علي ٧٤٠-٨١٦ هـ/١٣٤٠-

١٤١٣ م.

٧٠. التعريفات، ب. محق، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧١.

* الجزري: شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد ت ٨٣٣ هـ

٧١. غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره، برجستراسر، مصر، ١٣٥٢

١٩٣٣/٥.

* الجهشياري: ابو عبدالله محمد بن عبدوس. ٩٤٣/٣٣١.

٧٢. الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا وآخرين، ط ١، القاهرة، ١٣٥٧ هـ

٥٨٠..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

١٩٣٨.

* ابن الجوزي: جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي، ٥١٠-٥٩٧ هـ

٧٣. صفة الصفوة، تح: محمود فاخوري - محمد رواسي قلعة جي، ط ٢، دار

المعرفة ١٩٧٩.

٧٤. مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب، تح زينب القاروط، ط ١،

بيروت، ١٩٨٠.

٧٥. المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ب، محقق، الدار الوطنية، بغداد،

١٩٩٠.

* الجوهري: اسماعيل بن حماد ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م

٧٦. الصحاح، تح: احمد عبدالغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر ١٩٥٦.

* الجويني: ابراهيم بن محمد ٦٤٤ - ٧٣٠ هـ

٧٧. فرائد السمطين: تح محمد باقر المحمودي، ط ١، بيروت

١٩٧٨/١٣٩٨.

* ابن ابي الحاتم: ابو محمد عبدالرحمن ت ٣٢٧ هـ

٧٨. كتاب الجرح والتعديل، ط ١، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٩٥٢-١٩٥٣.

* حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله ١٠٦١ هـ

٧٩. كشف الضنون عن اسامي الكتب والفنون، تصحيح: محمد شرف الدين

بالتقايا - رفعت بيلكة الكلبي، ب مكا، ١٩٤١.

* الحاكم الجشمي: ابي السعد المحسن بن محمد الحاكم ٤٩٤ هـ

٨٠. الطبقتان الحادية عشرة والثانية عشرة من كتاب سرح العيون، نشر مع

كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح: فؤاد سيد، تونس، ١٩٧٤.

* الحاكم النيسابوري: ابو عبدالله محمد بن عبدالله ٣٢١ - ٤٠٥ هـ

١٠١٤/٩٣٣ م

٨١. المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق، مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١، بيروت، ١٩٩٠.

* ابن حبيب: محمد البغدادي ت ما بعد ٢٧٩ هـ

٨٢. اسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام، منشور ضمن نواذر المخطوطات المجموعة السادسة، تح: عبدالسلام هارون ط ١، القاهرة، ١٩٥٤ ص ١٠٦ - ٢٣٥.

٨٣. المحبر، تح: ايلزة ليختن شتير، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت ١٩٤٢.

٨٤. المنمق: تح، خورشيد احمد فاروق، ط ١، حيدر اباد الركن - الهند، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤.

* ابن حجر العسقلاني: احمد بن علي ت ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ

٨٥. الاصابة في تمييز الصحابة، ط ١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨ هـ اعادت طبعه بالاوفسيت مكتبة المشني، بغداد.

٨٦. تقريب التهذيب، تح، عبدالوهاب عبداللطيف، المدينة المنورة، ١٣٨٢ هـ

٨٧. تهذيب التهذيب ط ١، ب محق: حيدر اباد الدكن - الهند، ١٣٢٥ - ١٣٢٧.

٨٨. لسان الميزان ب محق، ط ١، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٣٣٠ - ١٣٣١ هـ

* ابن ابي الحديد: عزالدين عبدالحميد بن هبة الله المدائني ٥٧٦ - ٦٥٦ هـ

٨٩. شرح نهج البلاغة، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.

٩٠. القصائد السبع العلويات، شرح محمد صاحب المدارك، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٥.

* الحريري: القاسم بن علي، ٤٤٦ - ٥١٦ هـ

٩١. المقامات، تح: عيسى سابا، بيروت، ١٩٦٥.

* ابن حزم: ابو محمد بن احمد ت ٤٥٦ هـ

٩٢. جمهرة انساب العرب، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف،

القاهرة، ١٩٧١.

٩٣. الفصل في الملل والاهواء والنحل، تح: د. محمد ابراهيم نصر، د.

عبدالرحمن عميرة، ط ١، الرياض، ١٩٨٢.

* الحلبي: علي بن برهان الدين الشافعي ٩٧٥ - ١٠٤٤ هـ / ١٥٦٧ -

١٦٣٥ م.

٩٤. السيرة الحلبية، بلا محق، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٧١.

* الحلبي: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر ت ٦٤٨ - ٧٢٦ هـ

٩٥. رجال العلامة الحلبي، تح: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، ط ٢،

النجف، ١٩٦١.

٩٦. كشف اليقين، ط ١، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ١٤١١ هـ

* الحموي: ياقوت ت ٦٢٦ هـ

٩٧. معجم الادباء، ط الاخيرة، مكتبة عيسى الحلبي، مصر، ١٩٣٦.

٩٨. معجم البلدان، ب، محق، ب. ط، بيروت، ٥٥ - ١٩٥٧.

* الحميدي: ابو عبدالله محمد بن ابي نصر فتوح ٤٢٠ - ٤٨٨ هـ

٩٩. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، تح: ابراهيم الابياري، ط ٢،

بيروت، ١٩٨٩.

* ابن حمير، توبة. ت ٨٥ هـ

١٠٠. ديوان: توبة بن حمير، تح: خليل العطية، بغداد، ١٩٦٨.

* السيد الحميري: اسماعيل بن محمد ١٠٥ - ١٧٣ هـ

١٠١. ديوان السيد الحميري، جمع وتحقيق: شاكر هادي شكر، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب. ت.

* الحميري: محمد بن عبد المنعم ت ٧٢٧ هـ

١٠٢. الروض المعطار في خبر الاقطار، حققه: د. احسان عباس، بيروت، ١٩٧٥.

* ابن حنبل: ابو عبدالله احمد ١٦٤ - ٢٤١ هـ

١٠٣. المسند: ب محق، القاهرة، ١٨٩٦.

* الحنبلي: ابو الفلاح عبدالحى بن العماد ت ١٠٨٩ هـ

١٠٤. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ب. محق، مكتبة القدسي، ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ

ابو حيان التوحيدي: علي بن محمد ت نحو ٤٠٠ هـ

١٠٥. الامتاع والمؤانسة، صححه احمد امين واحمد الزين، بيروت، ١٩٥٠ - ١٩٥١.

* الخطيب البغدادي: ابو بكر احمد بن علي ت ٤٦٣ هـ

١٠٦. تاريخ بغداد، ب. محق، مط السعادة، القاهرة، ١٩٣١.

* ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م

١٠٧. العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٥٩.

١٠٨. المقدمة، ب محق، ط ٢، بيروت، ١٩٦١.

* ابن خلكان: ابو العباس احمد بن محمد ت ٦٠٨ - ٦٨١ هـ

١٠٩. وفيات الاعيان، تح: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ٦٨ - ١٩٧١.

* الخوارزمي: ابو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف ت ٣٨٧ هـ

١١٠. مفاتيح العلوم، ب. محق، ط ١، مصر، ١٣٤٢ هـ

* الخوارزمي ابو المؤيد الموفق بن احمد بن محمد البكري (ت القرن السادس الهجري)

١١١. المناقب، قدم له محمدرضا الخراسان، النجف، ١٣٨٥ هـ

* الخوانساري: محمد باقر الموسفي ت ١٣١٣ هـ

١١٢. روضات الجنات، تح: اسدالله اسماعيليان، بيروت،

١٣٩٠-١٣٩١ هـ

* الخياط: ابو الحسين عبدالرحيم بن محمد (ت حدود ٣٠٠ هـ)

١١٣. الانتصار، تصحيح: نبيرج، بيروت، ١٩٥٧.

* ابن داود الحلبي: تقي الدين الحسن بن علي (فرغ من الكتاب ٧٠٧ هـ)

١١٤. الرجال، نشر جلال الدين الحسيني، طهران، ١٣٨٣ هـ

* ابو داود الحلبي: سليمان ابن الاشعث ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ

١١٥. سنن ابن داود، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، دار احياء التراث

العربي، بيروت، ب، ت.

* الداوودي: شمس الدين محمد بن علي بن احمد ت ٩٤٥ هـ

١١٦. طبقات المفسرين، ط ١، بيروت، ١٩٨٣.

* دحلان: احمد زيني ١٣٠٤/١٨٨٦.

١١٧. اسنى المطالب في تجاه ابي طالب، تعليق علي بن الحسين الهاشمي،

طهران، ١٣٨٢ هـ

١١٨. السيرة النبوية والاثار المحمدية، بهامش الحلبي: السيرة الحلبية، ب.

محق، القاهرة، ١٩٧١.

* الدميري: كمال الدين ت ٨٠٦ هـ

١١٩. حياة الحيوان الكبرى ب. محق، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٥٦.

* الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن ت ٩٦٦/١٥٥٩

١٢٠. تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، بيروت، ١٢٨٣ هـ
 * ابن الديبع: عبدالرحمن بن علي ت ٩٤٤ هـ
١٢١. تيسير الوصول الى جامع الاصول، ب محق، مصر، ١٩٣٤.
 * الديلمي: الحسن بن ابي الحسن، ت ٨٤١ هـ
 ١٢٢. ارشاد القلوب، دار الشريف الرضي، ١٤١٢ هـ
 * الديلمي: مهيار ت ٤٢٨ هـ
١٢٣. ديوان مهيار الديلمي، تح: احمد نسيم، ط ١، القاهرة، ١٩٢٥.
 * الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م.
 ١٢٤. تذكرة الحفاظ، تح: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، ط ٤، دار الحياء
 التراث العربي، ١٩٧٤.
١٢٥. تجريد اسماء الصحابة، ب. محق، دار المعرفة، بيروت، ب. ت.
 ١٢٦. تلخيص المستدرك على الصحيحين، ط ١، بهامش المستدرك
 للحاكم، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠.
 - دول الاسلام، ب. محق، ط ٢، حيدرآباد الدكن - الهند، ١٣٦٤ هـ
١٢٧. العبر في خبر من غير، تح: ابو هاجر محمد السعيد، بيروت، دار
 الكتب العلمية، ب. ت.
١٢٨. معرفة القراء الكبار، تح: محمد سيد جاد الحق، ط ١، القاهرة،
 ١٩٦٧/١٣٨٧.
١٢٩. ميزان الاعتدال، ح علي محمد البجاوي، ط ١، دار احياء الكتب
 العربية، ١٩٦٣.
- * الرازي: محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر ت بعد ٦٦٦/١٢٦٨
 ١٣٠. مختار الصحاح: ب. محق، دار الرسالة، كويت، ١٩٨٢.
 - ابو رشيد النيسابوري: سعيد بن محمد بن سعيد ت حوالي ٤٠٠ هـ

٥٨٦..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

- المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين، تح: د. معن زيادة -
د. رضوان السيد، ط ١، بيروت ١٩٧٩.

* ابن رشيق: ابو علي الحسن ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م
١٣١. العمدة، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، ط ٤، دار الجيل، بيروت،
١٩٧٢.

* ابن زبالة: محمد بن الحسن ت ١٩٩
١٣٢. منتخب من كتاب ازواج النبي ﷺ، تح: د. اكرم ضياء العمري، ط ١،
المدينة المنورة، ١٩٨١.

* الزمخشري: جاد الله محمود بن عمر ت ٥٢٨ هـ
١٣٣. ربيع الابرار ونصوص الاخبار، تح: د. سليم النعيمي، مط العاني،
بغداد، ١٩٨٢.

١٣٤. الفائق في غريب الحديث، علي محمد البجاوي - محمد ابو الفضل
ابراهيم، ط ١، القاهرة، ١٩٤٥ - ١٩٤٨.
١٣٥. كتاب الامكنة والمياه والجبال، تح: ابراهيم السامرائي، بغداد،
١٩٤٧.

١٣٦. الكشف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الاقاويل، دار الكتاب
العربي، بيروت، ب. ت.

* الزبيري: ابو عبدالله مصعب بن عبدالله بن مصعب ت ١٥٦ - ٢٣٦ هـ
١٣٧. نسب قريش، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣.

* ابو زرعة الرازي: عبيد الله بن عبدالكريم ٢٠٠ - ٢٤٦ هـ / ٨١٥ - ٨٧٨ م
١٣٨. الضعفاء، دراسة وتح: د. سعدي الهاشمي. ط ١، المدينة المنورة،
١٩٨٢.

* زين العابدين، علي بن الحسين (٣٨ - ٩٥ هـ)

١٣٩. الصحيفة السجادية، بخط الحاج يحيى سلوم العباسي، بغداد، ب. ت.

* ابن الساعي: ابو طالب علي بن انجب ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م

١٤٠. الجامع المختصرن تح: مصطفى جواد، بغداد، ١٩٣٤ م.

* سبط ابن الجوزي: يوسف بن قراوغي بن عبدالله البغدادي، ٥٨١ -

٦٥٤ م.

١٤١. تذكرة الخواص، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، النجف،

١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م.

* السبكي: تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب ت ٧٧١ هـ.

١٤٢. طبقات الشافعية الكبرى، ب. محق، ط ٢، دار المعرفة، بيروت،

١٣٢٤ هـ.

* ابن سعد: محمد ت ٢٣٠ هـ.

١٤٣. الطبقات الكبرى، تح احسان عباس، بيروت، ١٩٧٨.

* السكتواري: علي دده بن مصطفى الملقب بشيخ التربة ت ١٠٠٧ /

١٥٩٨ م.

١٤٤. محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر، ب. محقق، ط ١ / المطبعة

العامة الشرقية ١٣١١ هـ.

* السلمي: عرام بن الاصبع ت نحو ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م.

١٤٥. اسماء جبل تهامة وسكانها، منشور ضمن نواذر المخطوطات،

المجموعة الثامنة ص ٣٧٤ - ٣٨٨، تح عبد السلام هارون، ط ١، ١٩٥٥.

* السلمي: ابو عبدالرحمن محمد بن الحسين ت ٤١٢ هـ.

١٤٦. طبقات الصوفية، تح: نور الدين شريبه، ط ١، دار الكتاب العربي،

مصر، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م.

* السمعاني: ابو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور ت ٥٦٢ / ١١٦٦ م.

٥٨٨..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

١٤٧. الانساب، تصحيح: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، ط ١، حيدرآباد
الدكن - الهند، ١٩٦٢ - ١٩٧٨.

* السهيلي: ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ٥٠١ - ٥٨١ م.

١٤٨. الروض الانف، مط الجمالية، مصر ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م.

* ابن سينا: ابو علي الحسين بن عبدالله ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ / ٩٨٠ - ١٠٣٧ م.

١٤٩. الاشارات والتنبيهات، تح د. سليمان دنيا، دار المعارف، مصر،

١٩٥٧ - ١٩٥٨.

* السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن ت ٨٤٩ - ٩١١ م.

- الاتقان في علوم القرآن، ب. محقق، القاهرة، ١٣٦٨ هـ.

١٥٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط ١، تصحيح محمد امين

الخانجي، القاهرة ١٣٢٦ هـ.

١٥١. تاريخ الخلفاء، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، ط ١، بيروت،

١٩٥٢.

١٥٢. التعظيم والمنه في ان ابوي رسول الله في الجنة، ب محق، ط ٢،

حيدرآباد الدكن - الهند ١٣٣٤.

١٥٣. الجامع الصغير، شرح محمد عبدالرئوف المناوي، ط ١، مصر، ١٩٣٨.

١٥٤. الخصائص الكبرى، تح: محمد خليل هواس، مط المدني، مصر

١٩٦٧.

١٥٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ب. محق، بغداد، ١٣٧٧ م.

١٥٦. الدر المنفية في الالباء الشريفة، ب محق، ط ٢، حيدرآباد الدكن -

الهند، ١٣٣٤ هـ

١٥٧. السبل الجلية في الالباء العلية، ب. محق، ط ٢، حيدرآباد الدكن -

الهند، ١٣٣٤ هـ

١٥٨. شرح شواهد المغني، تعليق: احمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي،

ب.ت.

١٥٩. مسالك الحنفا في والدي المصطفى ﷺ، ب محق، ط ٢، حيدرآباد

الدكن - الهند، ١٣٣٤ هـ

١٦٠. المقامة السندسية في النسبة المصطفوية، ط ٢، حيدرآباد الدكن -

الهند، ١٣٣٤ هـ

١٦١. الوسائل الى مسامرة الاوائل، تح: اسعد طلس، مطبعة النجاح، بغداد،

١٩٥٠.

١٦٢. نشر العلمين المتيقن في احياء الابوين الشريفين، ط ٢، حيدرآباد

الدكن - الهند، ١٣٣٤ هـ

* الشابستي: ابو الحسن علي بن محمد ت ٣٣٨ هـ / ٩٩٨ م

١٦٣. الديارات، تح: كوركيس عواد، مط المعارف، بغداد، ١٩٥١.

...الشافعي: محمد بن ادريس (١٥٠ - ٢٠٤)، الام، تصحيح، محمد النجار،

ط ٢، بيروت، ١٩٧٣.

* ابو شامه المقدسي: شهاب الدين ابو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل

ت ٦٦٥ هـ

١٦٤. ذيل الروضتين، تح: محمد زاهد الكوثري، ط ١، دار الكتب الملكية،

القاهرة، ١٩٤٧.

* الشريف الرضي: ابو الحسن محمد بن الحسين ٣٥٩ - ٤٠٦ هـ / ٩٧٠ -

١٠١٥ م

١٦٥. حقائق التأويل في متشابهة التنزيل، شرح: محمد رضا آل كاشف

الغطاء، بيروت، ب.ت.

١٦٦. خصائص الائمة، ب. محق، مجمع البحوث الاسلامية، ١٤٠٦ هـ

٥٩٠..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

١٦٧. خصائص الائمة، ب. محق، النجف، ١٣٦٩ هـ

١٦٨. ديوان الشريف الرضي، ب. محق، بيروت، ١٩٦١.

١٦٩. المجازات النبوية، تح طه محمد الزيني، القاهرة، مؤسسة الحلبي،

١٩٦٧.

١٧٠. نهج البلاغة، ضبط نصه: صبحي الصالح، ط ١، بيروت،

١٩٦٧/١٣٨٧.

* الشريف المرتضى: ابو القاسم علي بن الحسين علم الهدى ٣٥٥ -

٥٤٣٦ هـ

١٧١. تنزيه الانبياء والائمة، ط ٣، النجف، ١٩٧٤.

١٧٢. الشافي في الامامة، ب. محق، ط حجرية، ب. مكا ١٣٠١ هـ

١٧٣. القصيدة المذهبية للسيد الحميري، تح: محمد الخطيب، ط ١، دار

الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠.

* الشهرستاني: ابو الفتح محمد بن عبدالكريم ت ٥٤٨ هـ

١٧٤. الملل والنحل، بهامش ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل،

ب. مكا، ب. ت.

* صاحب بن عباد اسماعيل ٣٢٦ - ٣٨٥

١٧٥. ديوان صاحب بن عباد، تح: محمد آل ياسين، ط ١، بغداد، ١٩٦٥.

١٧٦. عنوان المعارف وذكر الخلائف، منشور ضمن نفايس المخطوطات،

تح: محمد حسن آل ياسين، ط ٢، بغداد، ١٩٦٣/١٣٨٣ هـ ص ٦١ - ٦٣.

١٧٧. نصره مذاهب الزيدية، تح: د. ناجي حسن، بغداد، ١٩٧٥.

* ابن الصباغ المالكي: نور الدين علي بن محمد ٧٨٤ - ٥٨٥٥/١٣٨٣ -

١٤٥١ م.

١٧٨. الفصول المهمة، ب. محق، ط ٢، النجف، ب. ت.

* الصبان: محمد بن علي ت ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢ م

١٧٩. اسعاف الراغبين، بهامش نور الابصار للشبلنجي، بيروت، ب. ت.

* الصدوق: ابو جعفر محمد بن علي ٣٠٥ - ٣٨١

١٨٠. الامالي، ب. محق، ط ١، النجف، ١٩٧٠ م.

١٨١. علل الشرائع، مكتبة الداودي، قم، ب. ت.

١٨٢. معاني الاخبار، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٣ هـ

* الصفدي: صلاح الدين خليل بن ابيك ت ٧٦٤ هـ

١٨٣. الوافي بالوفيات، ج ١، ط ٢، باعثناء هلموت ريتز، بفيسدان،

١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م.

١٨٤. الوافي بالوفيات، ج ٢، باعثناء: س. دريد ينغ، مط وزارة المعارف،

استانبول، ١٩٤٩.

١٨٥. الوافي بالوفيات، ج ٣، باعثناء: س. دريد ينغ، مط الهاشمية، دمشق،

١٩٥٣.

١٨٦. الوافي بالوفيات، ج ٤، باعثناء: س. دريد ينغ، مط الهاشمية، دمشق،

١٩٥٩.

* الصفوري الشافعي: عبدالرحمن بن عبدالسلام ٨٩٤ هـ / ١٤٨٩ م

١٨٧. نزهة المجالس ومنتخب النفائس (ب. محق) دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٣٤٦ هـ

- ابن أبي الصلت: أميه، ديوان أميه بن أبي الصلت، دراسه وتحقيق: بهجة

الحديثي، ط ٢، بغداد، ١٩٩١.

* الصنعاني: ابو بكر عبدالرزاق بن همام ت ٢١١ هـ / ٨٢٧ م

١٨٨. المصنف: تح: حبيب الرحمن الاعظمي، ط ١، بيروت، ١٩٧٠ -

١٩٧٢.

* الطائي: حاتم ت ٦٠٥ م

١٨٩. ديوان حاتم الطائي، تح: كرم البستاني، بيروت، ١٩٦٣.

* طاش كبرى زاده: احمد بن مصطفى ت ١٥٦١/٩٦٨

١٩٠. مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تح: كامل كامل بكري، عبد الوهاب

ابو النور، دار الكتب الحديثة، ب. ت.

* ابو طالب بن عبدالمطلب ت ٣ ق ٥

١٩١. ديوان ابو طالب، جمع: ابي هفان عبدالله بن احمد المهزمي العبدي،

تصحيح، محمد صادق آل بحر العلوم، النجف ١٣٥٦ هـ

١٩٢. ديوان ابو طالب، صنعه: علي بن حمزة البصري، ت ٣٧٥ هـ، تح:

محمد حسن آل ياسين، ب. مكا، ب. ت.

* ابن طاووس: رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى الحسني ت ٥٦٦٤

١٩٣. الملاحم والفتن، ط ٤، مط الحيدري، النجف، ١٩٧٢.

* الطبراني: ابو القاسم سليمان بن احمد (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ)

١٩٤. المعجم الكبير، تح: حمدي السلفي، ط ٢، دار احياء التراث العربي

الاسلامي، الموصل ١٩٨٦.

* الطبرسي: ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب ت نحو

٥٦٠/١١٦٥ م.

١٩٥. الاحتجاج، ب. محق، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ب. ت.

* الطبرسي: ابو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨ هـ

١٩٦. اعلام الوري باعلام الهدى، قدم له السيد محمد مهدي، ط ٣، النجف،

١٩٧٠.

* الطبرسي: عمادالدين ابو جعفر محمد بن ابي القاسم ت بعد ٥٥٣ هـ

١٩٧. بشارة المصطفى: ط ٢، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٣.

* الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ

١٩٨. تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ٤، دار المعارف، ٦١-١٩٦٨.

١٩٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ب. محق، ط ٣، ١٩٦٨.

٢٠٠. المنتخب من كتاب ذيل المذيل، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

* الطحاوي: ابو جعفر احمد بن محمد ت ٣٢١ هـ

٢٠١. شرح معاني الآثار، تح: محمد زهدي النجار، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩.

٢٠٢. مشكل الآثار، ب. محق، ط ١، حيدر اباد الداكن - الهند ١٣٣٣ هـ

* الطغرائي: ابو اسماعيل الحسين بن علي ت ٥١٥ هـ

٢٠٣. ديوان الطغرائي، تح: علي جواد الطاهر - يحيى الجبوري، بغداد، ١٩٧٢.

* ابن الطفيل: عامر ت ١١ هـ

٢٠٤. ديوان عامر بن الطفيل، تح: كرم البستاني، بيروت، ١٩٦٣.

* ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٥٧٠٩/١٣٠٩ م):

٢٠٥. الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، ب. محق، بيروت ١٩٦٠.

* ابن طلحة الشافعي: كمال الدين ابو سالم محمد ٦٥٢ هـ/١٢٥٤ م

٢٠٦. مطالب السؤل في مناقب آل الرسول، ب. محق، النجف. ب. ت.

* الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ/١٠٦٧ م):

٢٠٧. الامالي، قدم له: السيد محمد صادق بحر العلوم، مط النعمان، النجف،

٢٠٨. الامالي، ب. محق، دار الثقافة للنشر، قم، ١٤١٤ هـ

٢٠٩. التبيان في تفسير القرآن، تح: احمد حبيب العاملي، دار الاندلس،

بيروت، ب. ت.

٢١٠. تلخيص الشافي، (تحقيق: السيد حسين آل بحر العلوم، النجف -

١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م).

٢١١. الرجال، تح: محمد صادق آل بحر العلوم، ط ١، النجف، ١٩٦١ م.

٢١٢. الفهرست: صححه وعلق عليه: محمد صادق آل بحر العلوم، ط ٢،

النجف، ١٩٦٠.

٢١٣. مصباح المتهدد، ب. محق، بيروت، ١٤١١.

* ابن الطيب البصري: ابو الحسن محمد بن علي ت ٤٣٦ هـ

٢١٤. المعتمد في اصول الفقه، تح: محمد حميد الله وآخرين، دمشق، ٦٤ -

١٩٦٥.

* العامري: عماد الدين يحيى بن ابي بكر ٨١٦ - ٨٩٣ هـ

٢١٥. بهجة المحافل وبغية الامائل، ب. محق، المدينة المنورة، ١٣٣١ هـ

* ابن عبد البر: ابو عمر يوسف ت ٤٦٣ هـ

٢١٦. الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح: علي محمد البجاوي، القاهرة،

١٩٦٠.

٢١٧. جامع بيان العلم وفضله، ب. محق، المكتبة العلمية، المدينة المنورة،

ب. ت.

* ابن عبد ربه: ابو عمر احمد بن محمد ٣٢٨ هـ

٢١٨. العقد الفريد، تح: احمد امين وآخرون، القاهرة، ١٩٤٠ - ١٩٥٣.

* ابو عبيد: القاسم بن سلام الهروي ت ١٥٧ - ٢٢٤ هـ / ٧٧٤ - ٨٣٨ م

٢١٩. غريب الحديثين، ب محق، ط ١، بيروت، ١٩٨٦.

* ابو العتاهية، اسماعيل بن القاسم ت ٢١١ هـ / ٨٢٦ م
٢٢٠. ديوان ابي العتاهية، تح: كرم البستاني، بيروت، ١٩٦٤.

*

* ابن عدي: ابو احمد عبدالله الجرجاني ت ٣٦٥ هـ
٢٢١. الكامل في ضعفاء الرجال، تح: عادل احمد عبد الموجود وآخرين،
ط ١، بيروت، ١٩٩٧.

* ابن عذاري: ابو العباس احمد بن محمد: كان حيا في ٧١٢ - ١٣١٢ م
٢٢٢. البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تح كولان - بوفنسال،
ط ٢، بيروت، ١٩٨١.

* العراقي: الحافظ زين الدين ابو الفضل عبدالرحيم ٧٢٥ - ٨٠٦ هـ
٢٢٣. طرح التثريب في شرح التقريب، بيروت، دار احياء التراث العربي،
ب. ت.

* ابن العربي المالكي: محمد بن عبدالله ٤٦٨ - ٥٣٤ (شارح)
٢٢٤. صحيح الترمذي بشرح ابن العربي، ب. محق، ط ١، الازهر، ١٩٣١ -
١٩٣٤.

* ابن عطاء: واصل ٨٠ - ١٣١ هـ
٢٢٥. كتاب خطبة واصل بن عطاء، منشور ضمن نوادر المخطوطات، تح:
عبدالسلام هارون، المجموعة الثانية، ط ٢، ١٩٧٣. ص ١١٨ - ١٣٦.
* ابو العلاء المعري: احمد بن عبدالله بن سليمان ت ٣٦٣ - ٤٤٩ هـ / ٩٧٣ -
١٠٥٧ م

٢٢٦. شروح سقط الزند، تح مصطفى السقا وآخرين، نسخة مصورة عن
طبعة دار الكتب، ١٩٦٤ م.

٢٢٧. لزوم ما لا يلزم، ب. محق، بيروت، ١٩٦١.

* العمري: عبد الباقي (١٢٠٤ - ١٢٧٨ هـ)

٢٢٨. ديوان عبد الباقي العمري، تصحيح الحافظ عثمان الموصل،

الموصل، ١٣١٦ هـ

* ابن عنبه، اسيد جمال الدين احمد بن علي الحسيني ت ٥٨٢٨/١٤٢٤ م

٢٢٩. عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، دار الاندلس، النجف،

١٣٥٨ هـ

* الغزالي: ابو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥ هـ

٢٣٠. المستقصى من علم الاصول، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية،

ب.ت.

* ابن فارس، ابو الحسن احمد (ت ٣٩٥ هـ/١٠٠٤ م):

٢٣١. المجمل، دراسة وتح: زهير عبد المحسن سلطان، ط ١، بيروت،

١٩٨٤.

* القتال: ابي جعفر محمد بن الحسن ت ٥٠٨ هـ

٢٣٢. روضة الواعظين، دار الرضي، قم، ب.ت.

* ابو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابي الفداء، ت ٧٣٢ هـ

٢٣٣. المختصر في اخبار البشر، ب، محق، ط ٢، المطبعة الحسينية، ب.ت.

* ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين ت ٣٥٦ هـ/٩٦٦

٢٣٤. الاغانى، شرحه: عبد علي، سمير جابر، ط ٢، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٩٨٦.

٢٣٥. مقاتل الطالبين، ب. محق، مط الديواني، بغداد، ١٩٦٥.

* ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد ت ٧٧٩ هـ/١٣٩٧ م

٢٣٦. الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، ط ١، مصر، ١٣٥١ هـ

* الفرزدق: همام بن غالب ت ١١٤ هـ/٧٣٣ م

٢٣٧. ديوان الفرزدق، تح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

* الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ

٢٣٨. تحفة الائمة في من نسب الى غير ابيه، منشور ضمن نوادر

المخطوطات، المجموعة الاولى، تح: عبدالسلام هارون، ط ٢، ١٩٧٢، ٩٧-١١٠.

٢٣٩. القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣ م.

* الفيروز آبادي: مرتضى الحسيني

٢٤٠. فضائل الخمسة من الصحاح الستة، النجف، ١٣٨٣ - ١٣٨٤ هـ

* القاضي عبدالجبار عماد الدين ابي الحسن بن احمد ت ٤١٥ هـ

٢٤١. شرح الاصول الخمسة، حققه وقدم له: د. عبدالكريم عثمان، ط ١،

القاهرة، ١٩٦٥.

٢٤٢. فرق وطبقات المعتزلة، تح: د. علي سامي النشار - عصام الدين

محمد علي، الاسكندرية ١٩٧٢.

٢٤٣. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، تح:

فؤاد سيد، تونس، ١٩٧٤.

٢٤٤. المختصر في اصول الدين، ضمن (رسائل العدل والتوحيد) تح:

محمد عمارة، دار الهلال، ١٩٧١.

٢٤٥. المغني في ابواب العدل والتوحيد، تح: د. عبدالحليم النجار - د.

سليمان دينا، الدار المصرية، ب. ت.

* القالي، ابو علي اسماعيل بن القاسم ٢٨٨ - ٣٥٦ هـ / ٩٠١ - ٩٦٧

٢٤٦. ذيل الامالي والنوادر، ب. محق، دار الفكر، ب. ت.

* ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ

٢٤٧. الامامة والسياسة (المنسوب)، ب. محق، القاهرة، ب. ت.

٢٤٨. الشعر والشعراء، دار الثقافة ٧ بيروت - ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤.

٥٩٨..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

٢٤٩. عيون الاخبار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥ - ١٩٣٠.

٢٥٠. غريب الحديث، تح: عبدالله الجبوري، ط ١، بغداد، ١٩٧٧.

٢٥١. المعارف: تقديم وتحقيق: ثروت عكاشة، ط ٢، دار المعارف، مصر،

١٩٦٩.

* القرشي: عبدالقادر بن محمد ت ١٣٧٣/٥٧٧٥ م

٢٥٢. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٢ هـ

* القرطبي: ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري ٦٧١ هـ/١٢٧٣ م

٢٥٣. الجامع لاحكام القرآن، ط ٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٠.

* القسطلاني: احمد بن محمد بن ابي بكر ٨٥١ - ٩٢٣ هـ

٢٥٤. ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري. ب. محق، بولاق، ١٢٩٣.

* القشيري: ابو القاسم عبدالكريم بن هوازن ٣٧٦ - ٤٦٥ هـ

٢٥٥. الرسالة القشيرية في علم التصوف، ب. محق، بغداد، ب. ت.

* ابن قطلو بغا: ابو العدل زين الدين قاسم ت ٨٧٩ هـ

٢٥٦. تاج التراجم في طبقات الحنفية، ب. محق، بغداد، ١٩٦٢.

* القفطي، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف ت ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م

٢٥٧. انباه الرواة على انباه النحاة، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة،

١٩٥٠ - ١٩٥٥.

٢٥٨. تاريخ الحكماء، تح: يوليوس ليرت، لايبزك، ١٩٠٣.

٢٥٩. المحمدون من الشعراء، تح: رياض عبدالحميد مراد، دمشق،

١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م.

* القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي ت ٨٢١ هـ

٢٦٠. صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ب. محق، القاهرة، ١٩٦٣.

* اللكنوي الهندي: ابو الحسنات محمد عبدالحى

٢٦١. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ط ١، مصر، ١٣٢٤ هـ
- * الكتبي، محمد بن شاكر، ت ٧٦٤ هـ
٢٦٢. فوات الوفيات، تح: احسان عباس ٧ بيروت، ١٩٧٣ - ١٩٧٤.
- * ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي ت ٧٦٤ هـ
٢٦٣. البداية والنهاية، ط ٢، بيروت، ١٩٧٧.
٢٦٤. تفسير ابن كثير، ب. محق، دار احياء الكتب العربية، ب. ت.
٢٦٥. نهاية البداية والنهاية، تح الشيخ محمد فهم، ط ١، الرياض، ١٩٦٨.
- * الكشي: ابي عمرو محمد بن عمر بن عبدالعزيز ٣٤٠/٩٥١ هـ
٢٦٦. الرجال، تح: السيد احمد الحسيني: مؤسسة الاعلمي، كربلاء، ب. ت.
- * الكنجي الشافعي: ابو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد ت ٦٥٨ هـ.
٢٦٧. كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب عليه السلام، تح: محمد هادي الاميني: ط ٢، النجف، ١٩٧٠.
- * الكندي: ابي عمر محمد بن يوسف ٢٨٣ - ٣٥٠.
٢٦٨. الولاية والقضاة، تصحيح رفن كست، بيروت، ١٩٠٨.
- * ابن ماجة: محمد بن يزيد ٢٠٩ - ٢٧٣ هـ.
٢٦٩. صحيح سنن ابن ماجة، تح: محمد ناصر الالباني، ط ١، بيروت، ١٩٨٦.
- * المازندراني: رشيد الدين ابي عبدالله محمد بن علي (٤٨٩ - ٥٨٨ هـ).
٢٧٠. معالم العلماء، ب. محق، ط ٢، النجف، ١٩٦١.
٢٧١. مناقب ال ابي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦ / ١٩٥٦.
- * المبرد، ابي العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ):
٢٧٢. الكامل في اللغة والادب، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت.

٦٠٠..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

* المتقي الهندي، علاء الدين بن علي ت ١٥٦٧/٥٩٧٥ م:

٢٧٣. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ط ٢، حيد آباد الدكن - الهند،

١٩٦٧-٥٠.

* المتنبى: ابو الطيب، ت ٥٣٥٤.

٢٧٤. ديوان المتنبى، شرح عبود احمد الخزرجي، بغداد، ١٩٨٨.

- ابن متويه: ابي محمد الحسن بن احمد ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م.

- التذكرة في احكام الجواهر والاعراض، تح د. سامي نصر - د. فيصل

عون، القاهرة ١٩٧٥.

* مجهول المؤلف:

٢٧٥. اخبار العباس وولده، تح: عبدالعزيز الدوري وعبدالجبار المطلبي،

دار الطليعة - بيروت، ١٩٧١.

٢٧٦. العيون والحدائق في اخبار الحقائق، تح دي غويه، بريل، ١٨٧١،

اعادة مكتبة المثني، بغداد، طبعة بالافسيت.

٢٧٧. كتاب الحوادث وهو الكتاب المسمى وهماً بالحوادث الجامعة

والتجارب النافعة والمنسوب لابن الفوطي، تح: بشار عواد معروف - عماد

عبدالسلام رؤوف، ط ١، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٧.

* محب الدين الطبري، ابو جعفر احمد بن عبدالله ٦١٥ - ٦٩٤ هـ.

٢٧٨. ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، تقديم ومراجعة، جميل

ابراهيم حبيب، بغداد، ١٩٨٤.

٢٧٩. الرياض النظرة، تح: سليمان حسن عبدالوهاب، ط ٢، مصر.

١٩٥٣/١٣٧٢.

* ابن المرتضى: احمد بن يحيى ٥٨٤٠ هـ.

٢٨٠. طبقات المعتزلة، تح: مؤسسة ديفلد - فلزر، استانبول، ١٩٦٠.

* المرزباني: ابو عبيد الله محمد بن عمران ت ٥٣٨٤هـ.

٢٨١. معجم الشعراء، تهذيب سالم الكونكري، القاهرة، ١٣٥٤هـ.

* المرصفي: سيد بن علي ت ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م.

٢٨٢. رغبة الامل من كتاب الكامل، ط ١، مط النهضة، مصر، ١٩٢٧ -

١٩٣٠.

* المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين ت ٥٣٤٦هـ.

٢٨٣. مروج الذهب ومعادون الجوهر، تح: محمد محي الدين عبدالحميد،

مصر ١٩٦٧.

* مسلم بن الحجاج النيسابوري، ٢٠٤ - ٥٢٦١هـ.

٢٨٤. صحيح مسلم، تح: محمود توفيق، مط مجازي، القاهرة، ب. ت.

* ابن المعتز، عبدالله ٢٤٧ - ٥٢٩٦هـ.

٢٨٥. طبقات الشعراء. تح عبدالستار احمد فراج، دار المعارف، مصر

١٩٥٦.

* ابن معد: شمس الدين ابو علي فخار ٦٠٣هـ.

٢٨٦. الحجة على الذاهب الى تكفير ابي طالب، تح: السيد محمد بحر

العلوم، ط ٢، مكتبة النهضة، بغداد، كانت ط ١، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.

* ابن المغازلي: ابو الحسن علي بن محمد الشافعي ت ٥٤٨٣هـ.

٢٨٧. مناقب علي بن ابي طالب، تح محمد باقر البهبودي، المكتبة

الاسلامية، طهران، ١٣٩٤هـ.

* المقيد: ابو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان ٣٨٨ - ٤١٣هـ.

٢٨٨. الارشاد، ط ٥، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠١.

٢٨٩. ايمان ابو طالب، تح: محمد حسن آل ياسين، منشور ضمن نفائس

المخطوطات، ط ٢، بغداد ١٩٦٣، ١٣٨٣هـ.

٦٠٢..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

٢٩٠. مسار الشيعة، ب. محق، المؤتمر للشيخ المفيد، قم ١٤١٣هـ.

٢٩١. المقنعة، المؤتمر للشيخ المفيد، قم، ١٤١٣هـ.

* المقرئ: تقي الدين ابو العباس احمد بن علي ت ٥٨٤٥هـ.

٢٩٢. اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء: تح: جمال الدين

الشيال - محمد حلمي احمد، القاهرة، ٦٧ - ١٩٧١.

٢٩٣. الخطط المقرئية، ب. محق، بولاق ١٢٩٤، د. اعادة طبعة

بالاوفسيت، بغداد ١٩٧٠.

- النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم، لندن، ١٨٨٨.

* الملطي: ابو الحسين محمد بن احمد الشافعي ت ٣٧٧هـ / ٩٨٧م.

٢٩٤. التنبيه والرد على اهل الأهواء والبدع، تح: محمد زاهد الكوثري،

بيروت، ١٩٦٨.

* المناوي: محمد عبدالرؤوف ٩٥٢ - ١٠٣١هـ.

٢٩٥. فيض القدير بشرح الجامع الصغير، ط ١، مصر، ١٩٣٨.

* المنذري: زكي الدين ابو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي ٥٨١ - ٦٥٦هـ.

٢٩٦. تهذيب الترغيب والترهيب، تح: عوني نعيم، الزرقاء، الاردن،

١٩٩٠.

٢٩٧. التكملة لوفيات النقلة، تح: بشار عواد، النجف، ١٩٦٨ - ١٩٦٩.

* ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ٦٣٠ - ٧١١هـ.

٢٩٨. لسان العرب، الدار المصرية، القاهرة، ب. ت.

* ابن منقذ: الامير اسامة بن مرشد ت ٥٥٨٤هـ.

٢٩٩. لباب الاداب: تح: احمد محمود شاكر، القاهرة، ١٩٣٥.

* المنقري: نصر بن مزاحم ت ٢١٢هـ.

٣٠٠. وقعة صفين، تح: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٢٨٢هـ.

* الميداني: ابو الفضل احمد بن محمد ت ٥١٨هـ.

٣٠١. مجمع الامثال، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، ط ٢، مط

السعادة، مصر، ١٩٥٩.

* النابغة الذبياني: ت ٦٠٢م.

٣٠٢. ديوان النابغة، تح: كرم البستاني، بيروت، ١٩٥٣.

* الناشئ الاكبر، ابو العباس عبدالله بن محمد ٢٩٣هـ / ٩٠٦م.

٣٠٣. مسائل الامامة، تح: يوسف فان آس، بيروت، ١٩٧١.

* ابن نباتة: جمال الدين محمد بن محمد ت ٧٦٨هـ.

٣٠٤. شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ط ٤، مصر، ١٣٢١هـ.

* النباهي: ابو الحسن علي بن عبدالله المقالي ق ٨هـ.

٣٠٥. تاريخ قضاة الاندلس، المكتب التجاري، بيروت، ب.ت.

* النجاشي: احمد بن علي بن احمد بن العباس ٣٧٢ - ٤٥٠هـ.

٣٠٦. الرجال، ب. محق: تصحيح جلال الدين الاملي، ب. مكا. ب.ت.

* ابن النديم، محمد بن اسحق (ت مطلق ق ٥هـ).

٣٠٧. الفهرست، ب. محق، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

* النسائي: ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب، ٢١٥ - ٣٠٣هـ.

٣٠٨. خصائص امير المؤمنين علي بن ابيطالب، حقه: محمد هادي

الاميني: النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٩.

٣٠٩. سنن النسائي بشرح السيوطي، المطبعة المصرية بالازهر، ط ١،

١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م.

* ابو نعيم: احمد بن عبدالله الاصبهاني ت ٤٣٠هـ.

٣١٠. حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ب، محق، ط ٢، دار الكتاب العربي،

بيروت، ١٩٦٧.

٣١١. دلائل النبوة، ب، محق، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٧.

* ابو نؤاس: الحسن بن هاني ١٣٦ - ١٩٥ او ١٩٧.

٣١٢. ديوان ابو نؤاس، تح: احمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتب العربي،

بيروت، ١٩٥٣.

* النووي: ابو زكريا محي الدين ت ٥٦٥٦.

٣١٣. تهذيب الاسماء واللغات، ب، محق، ب، ط، دار الكتب العلمية،

بيروت، ب.ت.

* النويري: شهاب الدين احمد بن الوهاب ٦٧٧ - ٥٧٣٣.

٣١٤. نهاية الارب، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٧٧.

* الهاشمي: حبيب الله.

٣١٥. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تصحيح ابراهيم الميانجي،

المكتبة الاسلامية، طهران، ١٣٧٨هـ / ١٣٨٣.

* ابن هشام: عبد الملك ت ٥٢١٨.

٣١٦. السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وآخرين، دار الفكر، ب.ت.

* ابن هلال الثقفي: ابواسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد ت ٥٢٨٣ /

٨٩٦م.

٣١٧. الغارات، تح: عبد الزهراء الخطيب، ط ١، دار الكتاب الاسلامي،

١٩٩٠.

* ابو هلال العسكري: الحسن بن عبدالله بن سهيل ت ٥٣٩٥.

٣١٨. الاوائل، تح: محمد السيد الوكيل، طنجة، المغرب، ١٩٦٦.

٣١٩. جمهرة الامثال، تح: (محمد ابو الفضل ابراهيم - عبد المجيد

قطامش)، ط ١، القاهرة، ١٩٦٤.

* الهاللي: سليم بن قيس العامري ت حدود ٥٩٠.

٣٢٠. كتاب سليم بن قيس، حرره الحسيني، ب. مكا، ب. ت.
- * الهمداني: ابي محمد الحسن بن احمد ت ٣٣٤ هـ.
٣٢١. الاكليل: تح: محب الدين الخطيب، ج ١٠، القاهرة، ١٣٦٨ هـ.
- * الهمداني: ابو بكر احمد بن محمد.
٣٢٢. مختصر كتاب البلدان، تح: دي غوية، بريل، ١٨٨٥.
- * الهمداني: محمد بن عبد الملك ٥٢١/١١٢٧ م.
٣٢٣. تكملة تاريخ الطبري ضمن ذيول تاريخ الطبري، ط ٢، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ١٩٨٢.
- * الهيثمي: احمد بن حجر المكي ت ٩٧٤ هـ.
٣٢٤. تطهير الجنان واللسان، تح: عبد الوهاب عبداللطيف، القاهرة، ١٣٧٥ هـ.
٣٢٥. الصواعق المحرقة، تح: عبد الوهاب عبداللطيف الحسيني، القاهرة، ١٣٧٥ هـ.
- * الهيثمي: نور الدين علي بن ابي بكر ٨٠٧ هـ.
٣٢٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢ - ١٣٥٣ هـ.
- * الواحدي: ابي الحسن علي بن احمد ت ٤٦٨ هـ.
٣٢٧. اسباب النزول ب، محق، القاهرة، ١٩٦٨.
- * الواسطي: تقي الدين ابو الفرج ٦٧٠ - ٧٤٤.
٣٢٨. طبقات خرقه الصوفية، ب. محق، القاهرة، ١٣٠٥.
- * الواقدي: محمد بن عمر بن واقد ت ٢٠٧ هـ.
٣٢٩. المغازي، تح: مارسدن جونس، اكسفورد، ١٩٦٦.
- * اليافعي: ابو محمد عبدالله بن اسعد بن علي ت ٧٦٨ هـ.

٣٣٠. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٠.

* اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب ت ٥٢٩٢.

٣٣١. التاريخ تح: محمد صادق بحر العلوم، ط ٤، النجف، ١٩٧٤.

ثانياً: المراجع الثانوية

* الالوسي: محمود شكري البغدادي. ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م.

٣٣٢. بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، تصحيح محمد بهجت الاثري،

ط ٣، مصر، ١٣٤٢هـ.

* الامين: محسن العاملي ت ١٣٧١هـ / ١٩٥١م.

٣٣٣. اعيان الشيعة، تح: حسن الامين، بيروت. ب. ت.

* الاميني: عبدالحسين بن احمد النجفي ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

٣٣٤. الغدير في الكتاب والسنة والادب، مركز الغدير للدراسات

الاسلامية، ط ١، ١٩٩٥.

* بدوي: عبدالرحمن.

٣٣٥. مذاهب الاسلامين، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.

* بروكلمان: كارل.

٣٣٦. تاريخ الادب العربي، نقله الى العربية: د. عبدالحليم النجار، دار

المعارف، مصر، ١٩٦١.

* بنت الشاطي: عائشة عبدالرحمن.

٣٣٧. بنات النبي ﷺ، دار الهلال، مصر الجديدة، ١٩٦٣.

* البهادلي: احمد كاظم.

٣٣٨. مفتاح الوصول الى علم الاصول، ط ١. بغداد، ١٩٩٤.

* بينيس.

٣٣٩. مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود،
ترجمة: محمد عبدالهادي ابو ريده، القاهرة، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م.
* الجابري: محمد عابد.
٣٤٠. العقل السياسي العربي، ط ٢، بيروت، ١٩٩١.
* جار الله: زهدي.
٣٤١. المعتزلة، ط ٢، بيروت، ١٩٧٤.
* جرداق: جورج.
٣٤٢. الامام علي صوت العدالة الانسانية، قدم له: ميخائيل نعيمة، بيروت،
دار الفكر، ١٩٥٨.
* الجميلي: خضير عباس.
٣٤٣. قبيلة قريش وآثرها في الحياة العربية قبل الاسلام، بغداد، ٢٠٠٢.
* جواد: مصطفى.
٣٤٤. ابو جعفر النقيب، مط الهلال، بغداد، ١٩٤٩.
* حسن: حسن ابراهيم.
٣٤٥. تاريخ الدولة الفاطمية، ط ٣، الجيزة، ١٩٦٤.
* الحسنبي: هاشم معروف.
٣٤٦. سيرة الائمة الاثني عشر، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٦.
* حسين: طه.
٣٤٧. الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦.
* الحفني: عبدالمنعم.
٣٤٨. موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والاحزاب والحركات
الاسلامية، ط ٢، ب. مكا، ١٩٩٩.
* الحلوي: ناصر (وآخرين).

٣٤٩. البلاغة والتطبيق، ط ١، بغداد، ١٩٨٨.

* الخزرجي: عبود احمد.

٣٥٠. روائع الحكم في اشعار الامام علي عليه السلام، بغداد، ١٩٨٨.

* الخطيب: عبدالزهراء.

٣٥١. مصادر نهج البلاغة واسانيده، ط ١، النجف، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م.

* الخنيزي: عبدالله الشيخ علي.

٣٥٢. ابو طالب مؤمن قريش، ط ٢، بيروت، ١٩٦٤.

* الخوثي: ابراهيم ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧.

٣٥٣. الدرّة النجفية في شرح نهج البلاغة، ط حجرية، ب، مكا، ١٣٢٥ هـ.

* الدسوقي: عمر.

٣٥٤. الفتوة عند العرب، القاهرة، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١.

* الراوي: عبدالستار عز الدين.

٣٥٥. ثورة العقل: دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد، ط ٢، بغداد، ١٩٨٦.

* الربيعي: احمد.

٣٥٦. العذيق النضيد بمصادر ابن ابي الحديد، مط العاني، بغداد، ١٩٨٧.

* الزركلي: خير الدين.

٣٥٧. الاعلام، ط ٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩.

* الزنجاني: ابراهيم.

٣٥٨. عقائد الامامية، ط ٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٣.

* زيدان، جرجي ت ١٣٣٢ هـ.

٣٥٩. تاريخ اداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب. ت.

* السامرائي: خليل ابراهيم.

٣٦٠. دراسات في تاريخ الفكر العربي، الموصل ب. ت.

* الشبلنجي: مؤمن بن حسن مؤمن ١٢٥٢ - بعد ١٣٠٨ هـ / ١٨٣٦ - بعد

١٨٩١ م.

٣٦١. نور الابصار، ب محق، دار احياء التراث العربي، بيروت، ب. ت.

* شمس الدين: محمد مهدي.

٣٦٢. حركة التاريخ عند الامام علي عليه السلام، مؤسسة نهج البلاغة، ١٤٠٥.

٣٦٣. دراسات في نهج البلاغة، المطبعة العلمية في النجف، ١٣٧٦ / ١٩٥٦.

* الشهرستاني: السيد هبة الدين.

٣٦٤. ما هو نهج البلاغة، ط ٢، دار الثقافة، النجف، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م.

* الشنقيطي: محمد حبيب الله بن عبدالله ١٢٩٥ - ١٣٦١ هـ / ١٨٧٨ -

١٩٤٤ م.

٣٦٥. كفاية الطالب لمناقب علي بن ابي طالب، تح: محمد علي صالح، ط ١،

الاستقامة، ١٩٣٦.

* الصائغ: مجيد.

٣٦٦. علي عليه السلام بين امه وابيه، بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

* صالحية: د. محمد عيسى.

٣٦٧. المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، معهد المخطوطات العربية،

القاهرة، ١٩٩٢ - ١٩٩٥.

* صبحي: احمد محمود.

٣٦٨. في علم الكلام، ط ٢، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٦.

* صليبا: جميل.

٣٩٦. المعجم الفلسفي، ط ١، بيروت، ١٩٧٣.

* صفوة: احمد زكي.

٣٧٠. جمهرة رسائل العرب، ط ١، القاهرة، ١٩٣٧.

* ضيف: شوقي.

٣٧١. الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط ٩، دار المعارف، مصر، ب. ت.

* الطباطبائي: محمد حسين.

٣٧٢. علي والفلسفة الالهية، الدار الاسلامية، ١٣٤٩ هـ.

* العاملي: السيد محمد علي شرف الدين.

٣٧٣. شيخ الاطح، مط دار السلام، بغداد، ١٣٤٩ هـ.

* عثمان: عبدالكريم.

٣٧٤. قاضي القضاة عبدالجبار بن احمد الهمداني، بيروت، ١٩٦٧.

* العزيزي: روكس بن زائد.

٣٧٥. الامام علي اسد الاسلام وقديسه، مط النجف، ب. ت.

* العقاد: عباس محمود.

٣٧٦. عبقرية الامام علي، دار الفكر، بغداد، ب. ت.

٣٧٧. فاطمة الزهراء والفاطميون، دار الهلال، ب. ت.

* عمر: فاروق.

٣٧٨. التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، مكتبة النهضة، بغداد، ط ٢

١٩٨٥.

٣٧٩. العباسيون الاوائل، ط ٢، بغداد، ١٩٧٧.

* ابو علم: توفيق (رئيس مجلس ادارة مسجد السيدة نفيسة).

٣٨٠. اهل البيت، ط ١، ب. مكا، ١٩٧٠.

* الغالي: د. بلقاسم.

٣٨١. الجانب الاعتزالي عند الجاحظ، ط ١، بيروت، ١٩٩٩.

* غرابة: حمودي.

٣٨٢. ابو الحسن الاشعري، بيروت، ب. ت.

* غريال: محمد شفيق.

٣٨٢. الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان، ١٩٨٠.

* فروخ: عمر.

٣٨٤. تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون، ط ٤، بيروت، ١٩٨٣.

* ابو القاسم الخوئي.

٣٨٥. معجم رجال الحديث، ط ٢، النجف، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

* كاشف الغطاء: الهادي.

٣٨٦. مدارك نهج البلاغة ودفن الشبهات عند، مكتبة الاندلس، بيروت، ب.

ت.

٣٨٧. مستدرک نهج البلاغة، مكتبة الاندلس، بيروت، ب. ت.

* كحالة: عمر رضا.

٣٨٨. اعلام النساء، بيروت، ط ٣، ١٩٧٧.

٣٨٩. معجم قبائل العرب، بيروت، ١٩٦٨.

* لقبال: موسى.

٣٩٠. دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية، الجزائر، ١٩٧٩.

* متز: آدم.

٣٩١. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد

الهادي ابو ريده، القاهرة ١٩٤٠.

* محفوظ: علي حسين.

٣٩٢. الصحيفة السجادية، بغداد، ١٩٦٧.

* محمد السيد: د. محمد صالح.

٣٩٣. ابو جعفر الاسكافي وآراؤه الكلامية والفلسفية: دار احياء الكتب،

القاهرة، ١٩٩٨.

٦١٢..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

* محمودي: محمد باقر.

٣٩٤. ترجمة الامام علي بن ابي طالب ^{عليه السلام} من تاريخ دمشق لابن عساكر،

ط ١، بيروت، ١٩٧٥.

٣٩٥. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، بيروت، ١٩٧٦.

* محي الدين: عبدالرزاق.

٣٩٦. ادب المرتضى في سيرته واثاره، ط ١، مط المعارف، بغداد، ١٩٥٧.

* مذكور: محمد سلام.

٣٩٧. مناهج الاجتهاد في الاسلام، ط ٢، الكويت، ١٩٧٧.

* مغنية: محمد جواد.

٣٩٨. فضائل الامام علي، ط ٢، بغداد، ١٩٦٤.

٣٩٩. في ضلال نهج البلاغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨.

* المكتبة العلمية.

٤٠٠. ديوان امير المؤمنين، بغداد، ب. ت.

* الملاح: محمود.

٤٠١. تشريح شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، بغداد، ١٩٥٤.

* الملاح: هاشم يحيى.

٤٠٢. الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، الموصل، ١٩٩٤.

* منغم: اميل دور.

٤٠٣. حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ب. ت.

* النعيمي: د. عماد.

٤٠٤. مدرسة البصرة الاعتزالية، البصرة، ١٩٩٠.

* نقدي: جعفر.

٤٠٥. زهرة الادباء في شرح لامية شيخ البطحاء، النجف، ١٣٥٦ هـ.

* الوردى: علي.

٤٠٦. مهزلة العقل البشري، ب. مكا، ١٩٥٦.

* ياسين: نجمان.

٤٠٧. تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين الموصل،

١٩٨٨.

* اليوسف، عبدالقادر احمد.

٤٠٨. الامبراطورية البيزنطية، بيروت، ١٩٦٦.

* يوليوس: فلهاوزن.

٤٠٩. تاريخ الدولة العربية، ترجمة: عبدالهادي ابوريدة، القاهرة، ١٩٥٨.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

* الاعرجي: ستار جبر محمود.

٤١٠. منهج المتكلمين في فهم النص القرآني، اطروحة دكتوراه، غير

منشورة، جامعة الكوفة، كلية الاداب، ٢٠٠٠م.

* البطاط: اخلاص مرتضى.

٤١١. قاضي القضاة عبدالجبار المعتزلي، رسالة ماجستير، كلية الآداب،

البصرة، ١٩٩٩.

* الحجاج: محسن مشكل.

٤١٢. دولة التبابعة في اليمن. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة،

١٩٩٠.

* حمادي: عبدالخضر.

٤١٣. الحركة الفكرية في القرن الاول الهجري، رسالة ماجستير، الجامعة

المستنصرية، ١٩٨٤.

٦١٤..... شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي

* الحياني: مظفر شاكر محمود.

٤١٤. الامام الدارقطني وجهوده في الحديث وعلومه، رسالة ماجستير،

بغداد، ١٩٨٨.

* الدخيلي: مهدي عريبي.

٤١٥. بسطام بن قيس ذو الجدين، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة

البصرة، ١٩٨٩.

* الدوري: مزاحم مهدي ابراهيم.

٤١٦. القاضي شريح وارائه الفقهية، رسالة ماجستير، بغداد، ١٩٨٨.

* الراوي: عبدالستار عز الدين محمود.

٤١٧. القاضي عبد الجبار بن احمد المعتزلي وفكره الاسلامي، اطروحة

دكتوراه، الاسكندرية، ١٩٧٧.

* الزوار: منعم عبدالرحيم حميد.

٤١٨. الفكر السياسي عند الخوارج، رسالة ماجستير، البصرة، ٢٠٠٠.

* الشرهاوي: حسين علي.

٤١٩. السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية

التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠١.

* الظالمي: حامد ناصر عبود.

٤٢٠. ابن ابي الحديد جهوده النقدية والبلاغية، رسالة ماجستير غير

منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٦.

* عبدالكريم: عبد الجبار سالم.

٤٢١. شعر عبدالحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن ابي الحديد

٦٥٦هـ جمع وتح ودراسة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة

بغداد، ١٩٩٦.

* عبدالله: محمد رمضان.

٤٢٢. الباقلائي وآراؤه الكلامية، اطروحة دكتوراه، جامعة الازهر، ١٩٧٨.

* آل عجيل: عبدالواحد خلف وساك.

٤٢٣. جهود ابن ابي الحديد النحوية في شرح نهج البلاغة، رسالة ماجستير،

البصرة، ١٩٩٧.

* العلي: كفاية طارش.

٤٢٤. ابو محنف ودوره في التدوين التاريخي، رسالة ماجستير، الاداب،

البصرة، ١٩٩٧.

* الفحام: عباس علي حسين.

٤٢٥. التصوير الفني في خطب الامام علي عليه السلام، رسالة ماجستير، الكوفة،

١٩٩٩.

* الفرطوسي: سعد وحيد عيسى.

٤٢٦. غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف دراسة منهجية، رسالة ماجستير

غير منشورة كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٣.

* فياض: حسن حميد محسن.

٤٢٧. ابن ابي الحديد ناقداً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القائد

للتربية للبنات جامعة الكوفة، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.

* كاظم: شاكر مجيد.

٤٢٨. التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الاسلام، اطروحة دكتوراه، غير

منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٢ م.

* محي الدين: علي جواد.

٤٢٩. ابن ابي الحديد سيرته وآثاره الادبية والنقدية، رسالة ماجستير غير

منشورة، القاهرة، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

* المشهداني: يحيى محمود احمد.

٤٣٠. فلسفة ابوالقاسم الكعبي، اطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، ١٩٩٧.

* النصر الله: جواد كاظم.

٤٣١. المقرزي دراسة في سيرته الشخصية واراؤه في الازمات

الاقتصادية، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٨.

رابعاً: الدوريات

* الابياري: ابراهيم.

٤٣٢. شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، مجلة تراث الانسانية، المؤسسة

المصرية، مج ٢، ص ١٢٥ - ١٣٩.

* بستانة: حسين.

٤٣٣. ادب الامام علي ونهج البلاغة، مجلة الاعتدال، ع ٤، س ٥، النجف،

١٩٣٩، ص ١٨٩ - ٢٠٣.

* الجادر: د. محمود عبدالله.

٤٣٤. الرؤى الاجتماعية والاخلاقية في شعر الشريف الرضي، مجلة آفاق

عربية، ع ٧، ١٩٨٥، ص ٩٥ - ١٤٠.

* الجنابي: د. احمد نصيف.

٤٣٥. لغة الشريف الرضي، مجلة آفاق عربية، ع ٧، ١٩٨٥/ ص ٣١١ -

٣٢٨.

* جواد: مصطفى.

٤٣٦. بعض مستندات ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة، مجلة لغة

العرب، مج ٩، ع ٧، ١٩٣١، ص ٥٤٣ - ٦.

٤٣٧. عبدالحميد ابن ابي الحديد المدائني شارح نهج البلاغة، مجلة

المعرفة، بغداد، س ٢، ع ٢٩، ١٩٦٢، ص ٤-٦، ٣٤.

* خلوصي: صفاء.

٤٣٨. مصادر نهج البلاغة لابن ابي الحديد، مجلة المجمع العلمي العراقي،

مج ٩، س ١٩٦١/ ٣٤٠-٣٤٩.

٤٣٩. الكنوز الدفينة في شرح نهج البلاغة، مجلة المعلم الجديد، مج ٢٤، ج

٣-٤، س ١٩٦١، ص ١-٢٢.

* الشيببي: د. كامل مصطفى.

٤٤٠. حجازيات الشريف الرضي، مجلة آفاق عربية، ع ٧، ١٩٨٥، ص ٢٣

-٢٦.

* الصائغ: د. عبدالاله.

٤٤١. الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي، مجلة آفاق عربية، ع ٧،

١٩٨٥، ص ٢٤٧-٣١٠.

* الصفار: د. ابتسام مرهون.

٤٤٢. المؤثرات العامة في شعر الشريف الرضي، مجلة آفاق عربية، ع ٧،

١٩٨٥، ص ٦٣-٩٣.

* العبادي: علي غانم چثير.

٤٤٣. ذو الرأي الحباب بن المنذر المنذر الخزرجي، مجلة مؤتة للبحوث

والدراسات، مج ١٣، ع ٧، ١٩٩٨، ص ١٤٩-١٨٦.

* العسلي: د. خالد صالح.

٤٤٤. عام الفيل صورة من الصراع العربي الحبشي، مجلة دراسات في

التاريخ والاثار، ع ٢، ١٩٨٢، ص ١٧١-١٩٢.

* العطية: مروان.

٤٤٥. الشريف الرضي الشاعر والاديب العبقرى، مجلة ثقافة الهند

(نيودلهي، الهند)، مج ٤٣، ع ٢، ١٩٩٢، ص ٤٠-٦٢.

* العمر: د. سمير صالح حسن.

٤٤٦. موقف كبار الصحابة من مقتل عثمان (رض). مجلة آداب الرفادين،

ع ٣٥، ٢٠٠٢م، ص ١٤٩-١٦٠.

* عواد: كوركيس.

٤٤٧. الشريف الرضي في آثار الدارسين، مجلة آفاق عربية، ع ٧، ١٩٨٥،

ص ٣٢٩-٣٥٣.

* ناجي: عبدالجبار.

٤٤٨. تاريخ الطبري مصدراً عن ثورة الزنج في القرن الثالث للهجرة، مجلة

المورد، مج ٧، ع ٢، ١٩٧٨، ص ٣٧-٩٢.

٤٤٩. التنظيم العسكري لجيش صاحب الزنج، مجلة المؤرخ العربي، ع ٧،

١٩٧٨، ص ١١٦-١٥٧.

٤٥٠. صاحب الزنج، مجلة المورد، مج ١، ع ٣-٤، ١٩٧٢، ص ١١-٢٣.

* آل ياسين: محمد حسن.

٤٥١. نهج البلاغة لمن؟ مجلة البلاغ، ع ٣، س ٥، ١٩٧٥، ص ٣١-٤٩.

خامساً: المحاضرات

* الموسوي: د. محمد جواد.

٤٥٢. محاضرات القاها على طلبة الدكتوراه عام ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م.

الفهرست

| <u>الصفحة</u> | <u>الموضوع</u> |
|---------------|--|
| | □ الاهداء |
| ١ | □ شكر وتقدير |
| ٥ | □ المقدمة |
| ٢٧ | □ المدخل: التفضيل عند المعتزلة |
| | □ الفصل الاول: |
| ٥٧ | عراقه النسب |
| | □ الفصل الثاني: |
| ١١٧ | نشأة الامام علي <small>عليه السلام</small> في بيت الرسالة |
| | □ الفصل الثالث: |
| ١٩٩ | خصال الامام علي <small>عليه السلام</small> الخلقية وسجاياه النفسية |
| | □ الفصل الرابع: |
| ٢٤٥ | الامام علي <small>عليه السلام</small> ونظام الحكم |
| ٢٤٧ | المبحث الاول |
| ٢٨٩ | المبحث الثاني |
| ٣٠٠ | معركة الجمل |

| <u>الصفحة</u> | <u>الموضوع</u> |
|-----------------|--|
| ٣١٢ | معركة صفين ٣٧ هـ |
| ٣٥٦ | معركة النهروان ٣٨ هـ |
| ٣٦٥ | رؤية ابن ابي الحديد لسياسة الامام علي <small>عليه السلام</small> |
| □ الفصل الخامس: | |
| ٤٠٣ | الامام علي <small>عليه السلام</small> مصدر للفكر العربي الاسلامي |
| ٤٠٥ | المبحث الاول |
| ٤١١ | المبحث الثاني: الامام علي <small>عليه السلام</small> والعلم الالهي |
| ٤١٧ | المبحث الثالث: الامام علي <small>عليه السلام</small> مصدراً للتصوف الاسلامي |
| ٤٢٣ | المبحث الرابع: الامام علي <small>عليه السلام</small> وعلم الفقه |
| ٤٣٣ | المبحث الخامس: الامام علي <small>عليه السلام</small> وعلوم القرآن |
| ٤٣٩ | المبحث السادس: الامام علي <small>عليه السلام</small> والبلاغة |
| ٥٠١ | المبحث السابع: الامام علي <small>عليه السلام</small> وعلم الفلك |
| ٥٠٣ | المبحث الثامن: الامام علي <small>عليه السلام</small> وعلم الحيوان |
| ٥٠٥ | المبحث التاسع: الامام علي <small>عليه السلام</small> وعلم التاريخ |
| ٥١٣ | المبحث العاشر: الامام علي <small>عليه السلام</small> والغيبيات |
| ٥٥١ | اشكالية نهج البلاغة والوضع |
| ٥٦١ | □ الخاتمة |
| ٥٦٥ | □ ملحق رقم ١ قصيدة لابن ابي الحديد في مدح الامام علي <small>عليه السلام</small> .. |
| ٥٧٣ | □ المصادر |
| ٥٧٣ | اولاً: المصادر الاولية |
| ٦٠٧ | ثانياً: المراجع الثانوية |

الصفحة

الموضوع

| | | |
|-----|-------|--------------------------|
| ٦١٥ | | ثالثاً: الرسائل الجامعية |
| ٦١٨ | | رابعاً: الدوريات |
| ٦٢٠ | | خامساً: المحاضرات |
| ٦٢١ | | ☐ الفهرست |

على



مركز التوزيع

مكتبة ذوى القربى

ایران - قم / سوق القدس - الطابق الاول - رقم ۶۰ - ۵۹

تلیفون ۷۷۴۱۲۰۰ - ۷۷۴۴۶۶۳ - ۲۵۱ - ۹۸ +

العراق - النجف الأشرف - سوق الحویش

النقال ۰۷۸۰۱۰۰۳۵۷۲